هاري بوتر

وجماعة العنقاء

تاليف : ج . ك . رولينج





هارى بوتر ... وجماعة العنقاء
أنزل «دمبلدور» يديه ونظر إلى «هارى» من فوق نظارته. قال: «أخيرا،
حان الوقت لنقول ما كان يجب أن أخبرك به منذ خمسة أعوام
يا «هارى». اجلس من فضلك. سأخبرك بكل شيء».
ترى، ما الأسرار المخبأة عن «هارى» منذ عامه الأول بمدرسة
«هوجوورتس» لتعليم السحر حتى الآن؟
هذا ما ستعرفه عند قراءتك للطبعة الثانية من قصة «هارى
بوتر وجماعة العنقاء».
في هذه الطبعة الجديدة ستتعرف على شخصيات
جديدة من عالم «هارى بوتر» الغريب المشوق.
ستقرأ أحداث مباريات «الكويدتش» وكأنك
تشاهدها. سترى كائنات سحرية غريبة،
وتعيش مع «هارى» وأصدقائه في
صراعهم مع آكلة الموت، والمواجهة
الرهيبة بين «هارى»
و«فولدمورت» سيد الظلام.

١ الديمنتور يهاجم ددلى

اقترب أشد أيام الصيف حرارة من نهايته وسط حالة من السكون الناعس، الذى خيم على منازل شارع «بريفت درايف» الكبيرة المربعة. والسيارات التى كانت فى العادة تلمع وتبرق من النظافة وقفت مغطاة بالأتربة فى الجراجات وحدائق المنازل، التى كان لونها فيما سبق أخضر زمرديًا، فصارت الآن مصفرة؛ لأن استخدام خراطيم المياه فى التنظيف قد مُنع بسبب الجفاف. أما سكان شارع «بريفت درايف»، الذين حُرموا من متعة غسيل سياراتهم، وتشذيب حدائق منازلهم، فقد تراجعوا إلى منازلهم الرطبة الظليلة، ذات النوافذ المفتوحة على آخرها؛ أملاً فى إغراء نسمة عابرة، وإن كانت غير موجودة أصلاً؛ الشخص الوحيد الذى بقى بالخارج كان ولداً فى سن المراهقة، رقد على ظهره فى حوض الزهور خارج المنزل رقم (٤) بالشارع.

كان ولداً نحيفاً، أسود الشعر، ويرتدى نظارة، يبدو من مظهره أنه قد كبر بسرعة. كان بنطلونه «الجينز» ممزقًا ومتسخًا، والـ «تى - شيرت» الذى يرتديه واسعًا وباهت اللون، ونعل حذائه ممسوحًا ومهترئًا. لم يكن مظهر «هارى بوتر» محببًا لجيرانه، الذين كانوا يتصورون أن المظهر البالى لشخص ما يجب أن يعاقب عليه القانون. لكنه هذا المساء كان مختبئًا خلف شجيرة كبيرة مختفيًا تمامًا عن أنظار المارة. فى الواقع كانت الطريقة الوحيدة لأن يراه أحد هى أن يُخرج زوج خالته «فرنون» أو خالته «بيتونيا» رأسيهما من نافذة حجرة المعيشة وينظرا إلى حوض الزهور أسفل النافذة مباشرة.

عمومًا كان «هارى» يرى اختباءه هنا فكرة يجب تهنئته عليها. ربما لم يكن مرتاحًا فى رقاده هذا على الأرض الترابية الجامدة والساخنة، لكن على الجانب الآخر، لم يكن هناك أحد يحدق فيه وهو يصر على أسنانه بصوت عالٍ لا يمكن معه سماع نشرة الأخبار! أو يسأله أسئلة كثيرة مزعجة، وهو ما يحدث كل مرة يحاول فيها الجلوس فى حجرة المعيشة ومشاهدة التليفزيون مع خالته وزوجها.

وكأن هذه الفكرة مرقت عبر النافذة المفتوحة، تحدث «فرنون دورسلي» فجأة، قائلاً: «يسعدني كف هذا الولد عن الجلوس معنا أثناء النشرة. لكن ترى أين هو؟».

قالت الخالة «بيتونيا» بلا اهتمام: «لا أعرف. لكنه ليس بالمنزل».

فقال الخال «فرنون» بغلظة: «غريب شغفه بمشاهدة الأخبار! لا أعرف فيم يفكر! وكأن الأولاد العاديين مهتمون بالأخبار.. «دبلي» مثلاً ليس لديه فكرة عما يجري، لا أظنه يعرف رئيس الوزراء! لكن هذا «الولد» لا تظهر في النشرة أي أخبار عن قومه غريبي الأطوار».

قالت «بيتونيا»: «اصمت يا فرنون، فالنافذة مفتوحة».

«آه.. فعلاً.. آسف يا عزيزتي».

صمت كل من الخال والخالة. أنصت «هاري» لإعلان عن نوع جديد من الأطعمة وهو يراقب السيدة «فيج»، تلك السيدة العجوز (وطواطية) الشكل محبة القطط. كانت تمر قرب شارع «وستريا ووك» ببطء، مقطبة الجبين، وكان «هاري» مسروراً جداً؛ لأنه مختبئ خلف الشجيرات؛ والسيدة «فيج» لن تستطيع أن تراه ولن تدعوه لتناول الشاي عندها؛ كانت قد اختفت عن الأنظار مع انعطاف الطريق وصوت الخال «فرنون» يتساءل عبر النافذة مرة أخرى قائلاً: «هل خرج (دودو حبيبي) لتناول الشاي؟».

قالت الخالة «بيتونيا» بحب: «إنه عند آل بولكس، فله الكثير من الأصدقاء الصغار هناك.. يا لحبهم له! وشهرته بينهم!».

تمكن «هاري» ـ بصعوبة ـ من منع ضحكة كادت تفر من بين شفتيه. فآل «دورسلي» حمقى جداً فيما يتعلق بابنهم «ددلي». لقد صدقوا كل أكاذيبه السـاذجة عن تناول الشاي مع عضو مختلف من (شلته) كل ليلة من ليالي إجازة الصيف! كان «هاري» يعرف تمام المعرفة أن «ددلي» لا يتناول الشاي.. فهو وعصابته يقضون أمسياتهم في مضايقة الأولاد في الحديقة، ويدخنون على نواصي الشوارع، يلقون بالأحجار على السيارات والأطفال المارين. شاهدهم «هاري» يفعلون هذا خلال سيره مساءً عند شارع «ماجنوليا كريسنت»، فقد قضى معظم إجازته في التجوال بالشوارع، والبحث عن الجرائد القديمة ـ في سلال القمامة التي يجدها في طريقه ـ وقراءتها.

سمع «هاري» النثر الموسيقي لبداية نشرة أخبار السابعة، فشعر بأمعائه تتقلص. ربما الليلة! بعد شهر من الانتظار! ربما تكون الليلة!

«هذا وقد وصل إضراب عمال الشحن والتفريغ بالمطارات، عند بوابات وصول السائحين الإسبان إلى أسبوعه الثاني على التوالي..».

تذمر الخال «فرنون» وقال تعليقاً على الخبر: «عمال حمقى.. افصلوهم فوراً من عملهم!». أما بالخارج ـ في حوض الزهور ـ فقد تنفس «هاري» الصعداء لعلمه أن الخبر الذي ينتظره ويخافه لا يمكن إلا أن يكون الخبر الأول في النشرة؛ فالموت والدمار أهم من إضراب العمال طبعاً.

تنهد ببطء وعمق، وحدق في السماء الزرقاء اللامعة. كل يوم من أيام هذا الصيف مثل سابقه: التوتر، والتوقع، والراحة المؤقتة، ثم التوتر الذي ينمو من جديد.. ودائماً يصبح أشد وطأة مع مرور الوقت، والغريب أنه لم يحدث شيء حتى الآن.

تابع إنصاته للنشرة فربما يسمع خبراً صغيراً ـ لا يعرف دلالته «العامة»[1] ـ مثل اختفاء شخص ما بلا سبب.. لكن خبر إضراب العمال تلته أخبار عن الجفاف في جنوب شرق البلاد (صاح عندها الخال «فرنون»: «أرجو أن يسمع جيراننا الحمقى هذا الخبر. لقد فتحوا رشاشات مياه ري الحديقة في الثالثة فجراً») ثم خبر عن طائرة مروحية كادت تتحطم في حقل بمنطقة «سوراي»، ثم خبر عن طلاق ممثلة شهيرة من زوجها الشهير (صاحت عنده الخالة «بيتونيا» معلقة: «ما لنا نحن بعلاقاتهم المزعجة» رغم أنها كانت تتابع الموضوع بشغف في كل مجلة تضع يدها النحيفة عليها!)

أغمض «هاري» عينيه في مواجهة سماء الغروب المتوهجة، ومذيع النشرة يقول: *«وأخيراً تجح بانجي بطريقة مبتكرة في التخلص من حرارة الصيف.. فبانجي المقيم في بارنسلاي قد تعلم التزحلق على الماء! وذهبت مراسلتنا «ماري دوركينز» إلى هناك؛ لتقدم التقرير التالي..».*

فتح «هاري» عينيه. إن كانوا قد وصلوا في النشرة إلى من يتزحلق على الماء، فلا يوجد أخبار مهمة أخرى. دار بجسده بحذر في حوض الزهور، ونهض جالساً على ركبتيه ومرفقيه؛ استعداداً للخروج زحفاً من تحت النافذة.

كان قد تحرك مقدار بوصتين عندما حدثت عدة أشياء بتتابع سريع.

كسر حاجز الصمت الناعس صوت طقطقة مرتفع، بدا مثل العيار الناري.. ثم

(١) أو Muggle وتعني الإنسان العادي الذي لا يعرف شيئاً عن عالم السحر والسحرة. (المترجم).

انطلقت قطة خارجة من أسفل سيارة متوقفة وخرجت عن نطاق رؤيته.. ثم صيحة تلاها صوت تحطم طبق صينى من حجرة معيشة آل «دورسلى».. وكما لو كانت تلك إشارة ينتظرها «هارى»؛ فقد قفز على قدميه، وفى نفس الوقت جذب من حزام بنطلونه «الجينز» عصا خشبية رفيعة كأنه يستل سيفًا من غمده.. لكن قبل أن يخرج بالكامل من حوض الزهور، اصطدمت رأسه بنافذة آل «دورسلى» المفتوحة، فكان لصوت الارتطام دور فى ارتفاع حدة صرخة الخالة «بيتونيا».

شعر «هارى» كأن رأسه انقسم إلى نصفين. أخذ يترنح ودموعه محبوسة.. حاول التركيز ليعرف مصدر الجلبة، وما كاد يقف حتى امتدت يدان كبيرتان من النافذة المفتوحة وانطبقتا بإحكام حول رقبته.

همس الخال «فرنون» بغضب: «أبعدها.. أخفها قبل أن يراها أحد.. الآن».

شهق «هارى» قائلاً: «ابتعد عنى!».. أخذ يزيح أصابع زوج خالته الشبيهة بأصابع (السجق) بيده اليسرى، ويمناه قابضة بإحكام على عصاه السحرية المرفوعة.. ثم مع وخزة ألم قوية فى رأس «هارى»، عوى الخال «فرنون» وتركه كأنه تلقى منه صدمة كهربية. بدا أن ثمة قوة خفية قد انبعثت من جسد ابن أخت زوجته، لتجعل الإمساك به مستحيلاً.

سقط «هارى» للأمام - لاهثًا - على الشجيرة، ثم نهض ونظر حوله. فرأى العديد من الوجوه المحدقة عبر العديد من النوافذ القريبة. وضع عصاه السحرية سريعًا فى بنطلونه ثانية وحاول رسم البراءة على وجهه.

صاح الخال «فرنون»: «يالها من أمسية بديعة» وهو يلوح للسيدة المطلة من نافذة المنزل رقم (٧) عبر الطريق، والتى كانت تختلس النظر من خلف ستار النافذة. وأضاف: «هل سمعت صوت تلك السيارة المارة؟ ها ها.. لقد أفزعنى أنا وبيتونيا المسكينة».

استمر فى الابتسام بطريقته الفظيعة تلك حتى اختفى كل الجيران من نوافذهم، فتحولت الابتسامة إلى نظرة غاضبة إلى «هارى»، وهو يدعوه للاقتراب منه.

تحرك «هارى» بضع خطوات مقتربًا، حريصًا على التوقف قبل أقصى نقطة تصلها يد الخال «فرنون» الممدودة كأنها تود خنقه.

سأله الخال «فرنون» بصوت أجش مرتجف من الغضب: «ماذا تعنى بحق الشيطان يا ولد؟».

قال «هارى» ببرود: «ماذا أعنى فى ماذا؟» وأخذ ينظر ذات اليمين وذات اليسار بطول الطريق خلفه.

«أقصد الصخب الأشبه بإطلاق عيار نارى خارج منزلنا».

قاطعه «هارى» بحزم: «لم أكن أنا السبب فيه».

فى تلك اللحظة ظهر وجه الخالة «بيتونيا» الرفيع الشبيه بوجوه الجياد بجوار وجه الخال «فرنون» العريض المحمر وبدت شاحبة.

«لماذا اختبأت أسفل نافذتنا؟».

«فعلاً.. نقطة جيدة يا بيتونيا، ماذا كنت تفعل أسفل نافذتنا يا ولد؟».

قال «هارى» بصوت هادئ: «كنت أستمع لنشرة الأخبار».

تبادل كل من خالته وزوجها نظرات الاستنكار

«تستمع إلى نشرة الأخبار؟ مرة ثانية؟».

قال «هارى»: «وما المشكلة؟ إنها تتغير كل يوم.. أليس كذلك؟».

«لا تتذاكَ علىَّ يا ولد! أريد معرفة ما تنوى فعله.. ولا تقل ثانية: (أستمع للأخبار) فأنا لا أصدقك وأنت تعرف جيداً أن قومك لا..».

شهقت الخالة «بيتونيا» قائلة: «حذار يا «فرنون»..» فخفض الخال «فرنون» صوته لدرجة سمعه معها «هارى» بالكاد وهو يضيف: «..قومك لا يظهرون فى نشرات أخبارنا!». فقال «هارى»: «هذا ما تظنه أنت».

حدق فيه آل «دورسلى»، ثم قالت الخالة «بيتونيا»: «يالك من كاذب شقى. ولماذا يأتى كل هذا..» خفضت فى تلك اللحظة صوتها حتى اضطر «هارى» لقراءة شفتيها فيما قالته بعدها: «..البوم، إن لم يكن ليجلب لك الأخبار؟».

قال الخال «فرنون» بهمسة ظافرة: «آه.. كشفناك يا ولد! أتحسبنا لا نعرف أن الأخبار تصلك من تلك الطيور المتوحشة؟».

تردد «هارى» لحظة. سيكلفه إخبارهم بالحقيقة هذه المرة شيئًا ليس بالقليل، إضافة إلى شعوره السيئ المصاحب للتصريح بالحقيقة.

قال ببرود: «البوم؟ إنها لا تأتينى بأى أخبار».

قالت الخالة «بيتونيا» على الفور: «لا أصدقك».

قال الخال «فرنون» بعنف: «ولا أنا».

قالت الخالة «بيتونيا»: «نعرف أنك تضمر أمرًا غريبًا».

تلاها الخال «فرنون» بقوله: «نحن لسنا أغبياء كما تعرف».

قال «هاري» وشعوره بالعصبية في تزايد: «حقًا؟ أول مرة أعرف». وقبل أن ينادي عليه آل «دورسلي» ثانية استدار وعبر حديقة البيت الأمامية، وقفز فوق سور الحديقة الوطيء، وانطلق عبر الشارع.

هو يعرف أنه في مشكلة. عليه أن يواجه خالته وزوجها فيما بعد ويدفع ثمن وقاحته، لكنه لم يكترث كثيرًا بهذا في تلك اللحظة. فلديه الكثير من الأولويات الأهم في عقله.

كان «هاري» واثقًا من أن صوت الطقطقة سببه شخص ما يختفي أو يظهر بفعل السحر. كان بالضبط مثل صوت «دوبي» القزم المنزلي وهو يختفي. هل يمكن أن يكون «دوبي» هنا في شارع «بريفت درايف»؟ هل يمكن أن يكون «دوبي» يتبعه في هذه اللحظة؟ ومع ورود هذا الخاطر إلى ذهنه التفت خلفه وحدق في الشارع، الذي كان خاليًا. كان «هاري» متأكدًا أن «دوبي» لا يعرف كيف يقدر على البقاء مختفيًا.

أخذ يسير وهو بالكاد واعٍ بالمسار الذي يتخذه؛ فقد كان يجول بهذه الشوارع كثيرًا لدرجة أن قدميه تحملانه لأماكنه المفضلة دون وعي منه. وكل بضعة خطوات يتوقف وينظر خلفه. كان هناك شخص من عالم السحر بالقرب منه وهو مختبئ بين زهرات الخالة «بيتونيا» المحتضرة الذابلة. كان واثقًا من هذا. لماذا لم يتحدث إليه هذا الشخص؟ لماذا لم يتصل به؟ لماذا اختبأ؟

وقتها، مع وصول إحساسه بالإحباط والحيرة إلى الذروة، تخلت عنه ثقته.

لعله لم يكن صوتًا من عالم السحر بالمرة. لعله كان يبحث بيأس عن أية علامة أو إشارة للاتصال بالعالم الذي ينتمي إليه، لدرجة أن ردَّ فعله على جلبة عادية كان مبالغًا فيه. ربما كان الصوت لشيء يتكسر داخل أحد بيوت الجيران!

شعر «هاري» بإحساس بليد وثقيل يطبق على صدره، فقد تمكن منه ثانية إحساسه باليأس الذي صاحبه طوال الصيف.

صباح الغد سوف يوقظه المنبه في الخامسة فجرًا ليدفع النقود للبومة التي ستوصل إليه جريدة «دايلي بروفيت»[٢]. لكن هل هناك سبب يجعله يأخذها منها؟ كان «هاري» لا يكاد يلقي نظرة على الصفحة الأولى حتى يلقي بها

(٢) أو جريدة «المتنبئ اليومي»، وإن كان يفضل تركها كما هي احترامًا لها كاسم كبير في عالم الصحافة. (المترجم)

مهملة لأيام، فمتى سيدرك (الصحفيون/ السحرة) الحمقى الذين يعملون بالجريدة أن «فولدمورت» قد عاد، وتعود أخباره لتتصدر الجريدة؟ إنه الخبر الوحيد الذي يهتم به «هاري» هذه الأيام.

إن كان محظوظًا فقد يأتيه بوم محمل برسائل من أفضل أصدقائه «رون» و«هيرميون»، بالرغم من أن أمله في وصول أي أخبار مع رسائلهم قد تلاشى منذ زمن بعيد.

لا يمكننا ذكر الكثير عن «الذي - تعرفه»، فقد أمرونا بألا نقول أي شيء هام على سبيل الحيطة، فربما تقع الخطابات في أيدي أعدائنا. إننا مشغولون جدًا، لكنني لا أستطيع ذكر التفاصيل في الرسالة.. يوجد الكثير مما يجري، وسنخبرك به عندما نراك..

لكن متى سيرونه ثانية؟ يبدو أن لا أحد مهتم بالتاريخ الدقيق للقائه. كتبت إليه «هيرميون» عبارة موجزة على بطاقة المعايدة بمناسبة عيد ميلاده قائلة: «أتوقع رؤيتك قريبًا جدًا». لكن متى هذا الـ«قريبًا جدًا»؟ وبقدر ما استطاع «هاري» أن يستنتج من رسائلهم الغامضة وتلميحاتهم فيها، فإن «هيرميون» و«رون» يعيشان في نفس المكان، وهو منزل «رون» على الأرجح. كان بالكاد قادرًا على تحمل فكرة وجود الاثنين معًا واستمتاعهما بوقتيهما بينما هو مربوط بإقامته في منزل شارع «بريفت درايف». كان غاضبًا جدًا منهما لدرجة أنه ألقى بصندوقين قادمين منهما في عيد ميلاده - دون أن يفتحهما - ممتلئين بشيكولاتة «هوني - دوكس»، ندم على فعلته هذه لاحقًا بعد أن تذوق سلطة الخالة «بيتونيا» البشعة على العشاء تلك الليلة.

وفيم تراهما - «رون» و«هيرميون» - منشغلين؟ ولماذا ليس هو - «هاري» - منشغلاً؟ ألم يثبت قدرته على التعامل مع ضغوط أكثر منهما؟ هل نسوا جميعًا ما فعله مؤخرًا؟ أليس هو من دخل إلى المقابر وشاهد «سيدريك ديجوري» وهو يُقتل؟ أليس هو من رُبط إلى شاهد القبر وكاد يهلك؟

قال «هاري» لنفسه بحزم - وللمرة المائة هذا الصيف -: «لا تفكر في هذا». يكفي رؤية القبور في الكوابيس فهو ليس بحاجة لتذكرها أثناء اليقظة.

انحرف إلى شارع «ماجنوليا كريسنت»، وفي منتصفه عبر الزقاق الضيق إلى جانب الجراج، الذي رأى عنده - للمرة الأولى - أباه الروحي. على الأقل بدا «سيرياس» عالمًا بمشاعر «هاري». وبرغم اعترافه أن خطاباته - «سيرياس» - كانت خالية من أي أخبار - مثلها مثل غيرها كخطابات «رون» و«هيرميون» - إلا أنها على الأقل احتوت على كلمات تحذير وتضامن بدلاً من الإشارات والتلميحات المُعذبة مثل:

أعرف أن ما أقوله محبط لك.. لكن ابق بعيدًا عن المشكلات، وكل شيء سيسير على ما يرام. احذر ولا تفعل أي شيء متهور.

فكر «هاري» - وهو يعبر «ماجنوليا كريسنت»، وينحرف إلى طريق «ماجنوليا»، وإلى حديقة الألعاب المظلمة - أنه حتى الآن قد اتبع نصائح «سيرياس». على الأقل قاوم إغراء فكرة ربط حقيبته على المكنسة السحرية والطيران إلى منزل «رون» وحده. في الواقع كان يرى سلوكه حتى الآن جيدًا جدًا، آخذًا في الاعتبار كمّ الإحباط والغضب الذي يشعر به مع بقائه في «بريفت درايف»، ورقاده مختبئًا في أحواض الزهور؛ أملاً في سماع شيء يقوده إلى معرفة ما يفعله لورد «فولدمورت». لكن - ويالجرأة والغرابة - كيف يأمره بالحذر وقد قضى في سجن «أزكابان» اثنى عشر عامًا بتهمة القتل، ثم هرب منه، وحاول ارتكاب جريمة القتل التي اتهموه بأنه فعلها.

قفز «هاري» من فوق بوابة الحديقة المغلقة وانطلق فوق العشب الجاف. كانت الحديقة خالية مثلها مثل الشوارع المحيطة بها. عندما وصل إلى الأراجيح غاص في الأرجوحة الوحيدة التي لم ينجح «ددلي» وأصدقاؤه بعد في تحطيمها، ووضع ذراعه حول سلسلتها وأخذ يحدق بتوتر في الأرض. لن يستطيع الاختباء في حوض زهور «دورسلي» ثانية. غدًا عليه التفكير في مخبأ جديد يسمع منه نشرة الأخبار والآن ليس لديه إلا ليلة أخرى مضطربة مزعجة؛ لأنه حتى عندما يهرب من كوابيس «سيدريك»، تداهمه أحلام متعبة عن دهاليز وممرات مظلمة وطويلة، وجميعها تنتهي بحائط مسدود أو أبواب مغلقة. لقد عادت ندبة جبينه تؤلمه، لكنه يعرف أن مثل هذا الألم لن يثير اهتمام «رون» أو «هيرميون» أو «سيرياس». في الماضي كان ألم الندبة يعتبر بمثابة تحذير من أن «فولدمورت» أخذ في استعادة قوته، لكن الآن ومع عودة

«فولدمورت»، فعلى الأرجح سيذكّره أصدقاؤه أن ألمه المستمر متوقع. ولا يستدعي القلق.. فسببه أخبار قديمة معروفة.

شعر بإحساسه بالظلم يتنامى داخله. أحس أنه على شفا الصراخ غضبًا. لولاه، ما كان لأحد أن يعرف أن «فولدمورت» قد عاد! ومكافأته على معروفه هي الاحتجاز في «ليتل وينجنج» لمدة أربعة أسابيع، معزولاً تمامًا عن العالم السحري، راقدًا وسط نباتات وزهور ذابلة ينصت لأخبار عن المتزلجين على الماء! كيف نسي «دمبلدور» أمره بهذه السهولة؟ لماذا اجتمع «رون» و«هيرميون» معًا دون أن يدعواه للحضور؟ وكم عليه أن يتحمل أمر «سيرياس» له بأن يتوخى الحذر ويبقى ولدًا مؤدبًا؟ أو يقاوم إغراء الكتابة لجريدة «دايلي بروفيت» السخيفة، ويخبرهم بعودة «فولدمورت»؟.. أخذت هذه الأفكار الغاضبة تعتمل في عقل «هاري»، الذي جاش صدره بالغضب، وكان الليل الحار الرطب المخملي يوغل من حوله، والهواء محملاً برائحة العشب الدافئ الجاف، والصوت الوحيد الذي يصله هو صوت السيارات البعيدة على الطريق خارج الحديقة.

لم يعرف كم بقي على الأرجوحة قبل أن يقاطع صخب الأصوات أفكاره، وينظر لأعلى. كانت مصابيح الشوارع تلقي بظلال ضبابية متوهجة كشفت مجموعة من الأشخاص يقتربون منه داخل الحديقة. كان أحدهم يغني بصوت جهوري أغنية وقحة. والآخرون يضحكون، وسمع ضوضاء آلية من عدة دراجات سباق بخارية كانت تدور من حوله.

كان «هاري» يعرف هؤلاء الأشخاص. أولهم بلا شك ابن خالته «ددلي دورسلي» في طريقه للمنزل، تصحبه عصابته المخلصة.

كان «ددلي» ضخمًا كعهدنا به، لكن سنة من النظام الغذائي القاسي واكتشافه لموهبة جديدة لديه، غيرا من شكله كثيرًا. كان الخال «فرنون» يخبر أي شخص بفخر أن «ددلي» صار بطل الملاكمة لاتحاد مدارس جنوب شرق البلاد. وكما يطلق عليها الخال «فرنون»: (الرياضة النبيلة)، جعلت الملاكمة «ددلي» أكثر إثارة للرعب عنه عندما كان هو و«هاري» في مرحلة الدراسة الابتدائية، وكان «هاري» بالنسبة إليه أول كيس تدريب ملاكمة في حياته. لكنه لم يعد خائفًا من ابن خالته. وإن كان لا يعتبر قدرة «ددلي» على اللكم

بدقة وقوة سبباً يدعو للاحتفال والاحتفاء: صار الأطفال في المنازل القريبة يرهبونه أكثر حتى من رهبتهم لـ «هاري» الذى قيل عنه: إنه شخص عنيف يذهب إلى إصلاحية «سان بروتوس» بدلاً من المدرسة.

راقب «هاري» ظلال العابرين على العشب وتساءل: من تراهم سيضربون هذه الليلة؟ قال لنفسه دون أن يشعر: «انظروا حولكم. تعالوا.. أنا جالس وحدي.. التفتوا إلىّ وحاولوا ضربي..».

لو كان أصدقاء «ددلي» قد رأوه جالسًا وحده هكذا، لحاولوا مضايقته، وماذا سيفعل «ددلي» وقتها؟ لن يحب الخذلان أمام عصابته، لكنه سيخاف من استفزاز «هاري».. سيكون مشهداً مسلياً أن يرى «ددلي» فى مثل هذا المأزق، أن يستفزه، ويراقبه مسلوب القدرة على الاستجابة. وإن حاول أي من الآخرين ضرب «هاري»، سيكون مستعداً بعصاه السحرية. دعهم يحاولوا.. كم يود التنفيس عن بعض غضبه وإحباطه فى وجه هؤلاء الأولاد الذين حولوا حياته جحيمًا فى وقت من الأوقات.

لكنهم لم يلتفتوا إليه.. لم يروه. كانوا قد وصلوا إلى سور الحديقة تقريبًا عندما واتت «هاري» الجرأة للنداء عليهم. البحث عن شجار ليس بالأمر الحكيم.. لا يجب عليه استعمال السحر.. سيخاطر بالطرد من المدرسة ثانية.

تلاشت أصوات أفراد عصابة «ددلي».. كانوا قد خرجوا عن نطاق رؤيته، متجهين إلى طريق «ماجنوليا».

فكر «هاري» بفتور: «هأنذا يا سيرياس.. لم أتهور، وأخذت حذرى. عكس ما فعلته أنت تمامًا».

هب واقفًا وتمطى. فقد كانت الخالة «بيتونيا» والخال «فرنون» يرون أن الموعد الذى يصل فيه «ددلي» إلى البيت هو الموعد المناسب للعودة، وأى تأخير بعده غير مقبول. هدد الخال «فرنون» بحبس «هاري» فى السقيفة إن جاء إلى البيت بعد وصول «ددلي»؛ لذا توجه إلى بوابة الحديقة.

كان طريق «ماجنوليا» ـ مثله مثل شارع «بريفت درايف» ـ تشغله بيوت كبيرة، لها حدائق أمامية مشذبة، ويملكها أشخاص ضخام الجثة ومربعو الشكل، يركبون سيارات نظيفة مثل سيارة الخال «فرنون». كان «هاري» يفضل «ليتل وينجنج» ليلاً، عندما تلقى النوافذ ذات الستائر بقع من الضوء

على الليل بالطريق فتعطى تأثيراً أشبه ببريق الجوهرات فى الظلام، كما لم يزعجه احتمال سماع غمغمات ممتعضة عن مظهره «البائس» وهو يمر أمام ساكني البيوت. سار بسرعة، حتى إنه في منتصف طريق «ماجنوليا» رأى عصابة «ددلي» ثانية. كانوا يودعون بعضهم البعض عند مدخل «ماجنوليا كريسنت». خطا «هاري» إلى ظل شجرة «ليلاك» ضخمة وانتظر.

كان «ملكولم» يقول: «.. أخذ يصرخ مثل الخنزير. أليس كذلك؟» متلقيًا ضحكات حمقاء من أفراد العصابة.

قال «بيرس»: «لكمته لكمة خطافية رائعة يا (دودى الشجاع)».

سألهم «ددلي»: «سنتقابل في نفس الموعد غداً؟».

أجاب «جوردن»: «لنجتمع عند بيتي؛ فأبواى سيكونان بالخارج».

قال «ددلي»: «أراكم وقتها إذن».

«إلى اللقاء يا (دود)».

«وداعًا يا (دودى الشجاع)».

انتظر «هاري» حتى مضى أفراد العصابة فى طريقهم قبل أن يستأنف سيره. عندما تلاشت أصواتهم ثانية؛ عاد إلى «ماجنوليا كريسنت»، وهرول حتى اقترب كثيراً من «ددلي»، الذى كان يسير متمهلاً وهو يدندن بصوت منخفض.

«أهلاً يا (دودى الشجاع)».

التفت «ددلي» إليه، وقال بامتعاض: «هاه؟ إنه أنت».

قال «هاري»: «منذ متى وهم يطلقون عليك (دودى الشجاع)؟».

زجره «ددلي» مشيحًا بوجهه عنه قائلاً: «اصمت».

قال «هاري» وهو يبتسم ويسير بجانب ابن خالته: «ياله من اسم خطير. لكنك بالنسبة لي ستكون دومًا (دادة حبيبة ماما)».

قال «ددلي» وقد تكورت يداه الشبيهتان بأقدام الخنازير في قبضتين محكمتين: «قلت لك اصمت».

«ألا يعرف الأولاد أن هذا هو الاسم الذى تناديك به أمك؟».

«اصمت وإلا...».

«لا تقل لي: اصمت وإلا.. ماذا عن اسم (دادة)، و(ديدى حبيبتى)، هل يمكن استعمال هذه الأسماء؟».

لم ينطق «ددلي». وبما أن مجهوده الذي يبذله ليمتنع نفسه من ضرب «هاري» يتطلب كل ما لديه من قدرة على ضبط النفس.

سأله «هاري» وابتسامته تتلاشى: «إذن من ضربتم الليلة؟ ولدًا آخر في العاشرة من عمره؟ أعرف أنك ضربت مارك إيفانز منذ ليلتين..».

زمجر «ددلي» قائلاً: «هو من استفزني».

«حقا؟».

«لقد استهزأ بي».

«فعلاً؟ هل قال: إنك تبدو كخنزير تعلم المشي على قدميه الخلفيتين؟ إن هذا ليس استهزاءً يا (ديدي)؛ إنه الحقيقة».

كان هناك عضلة تختلج في فك «ددلي». فأعطى هذا «هاري» الكثير من الرضاء مع معرفته مدى استفزازه له. شعر كأنه يتخلص من إحباطه وغضبه بكل سهولة بنقلهما إلى ابن خالته، وهو المخرج الوحيد المتاح أمامه.

دارا مع الزقاق الضيق الذي رأى «هاري» فيه «سيرياس» للمرة الأولى، وكان بمثابة طريق مختصرة بين «ماجنوليا كريسنت» و«ويستريا ووك». كان خاليًا وأكثر إظلامًا من الشوارع المحيطة؛ فلم يكن به مصابيح. كان صوت خطوات أقدامهما مكتومًا بسبب حوائط جراج على جانب، وسور مرتفع على الجانب الآخر.

قال «ددلي» بعد عدة ثوانٍ: «هل تعتقد أن ذلك الشيء يجعلك رجلاً قويًا؟».

«أي شيء؟».

«ذلك.. ذلك الشيء الذي تخفيه».

ابتسم «هاري» ثانية.

«لست غبيًا كما حسبتك يا (ديدي). أليس كذلك؟ لكن أعتقد أنه لو كنت غبيًا حقًا؛ ما كنت لتقدر على المشي والحديث في نفس الوقت».

شهر «هاري» عصاه السحرية. ورأى «ددلي» يختلس نظرة سريعة إليها.

قال «ددلي» على الفور: «ليس مسموح لك باستخدامها. أعرف أنه غير مسموح لك. سيطردونك من تلك المدرسة العجيبة لو استعملتها».

«وكيف تعرف إن كانوا قد عدلوا القواعد أم لا يا (دودي الشجاع)؟».

قال «ددلي»: «لم يغيروها» وإن بدا غير مقتنع بكلامه.

ضحك «هاري» بهدوء. وزمجر «ددلي» قائلاً: «لست شجاعًا بما يكفي للعراك معي دون هذا الشيء، أليس كذلك؟».

«أه صحيح.. وأنت لا تضرب الأولاد ذوي الأعوام العشرة دون أربعة أصدقاء من خلفك. هل تذكر لقب بطل الملاكمة الذي تتفاخر به هذا؟ كم كان عمر خصمك؟ سبعة أعوام؟ ثمانية أعوام؟».

قال «ددلي» بغضب: «لمعلوماتك، كان في السادسة عشر، وأمضى عشرين دقيقة مغشيًا عليه بعدما انتهيت منه، وكان وزنه ضعف وزنك. انتظر حتى أخبر بابا بأنك أخرجت هذا الشيء..».

«هل ستجري على (بابا)؟ هل يخاف بطل الملاكمة (المحبوب) من عصا «هاري» الشقية؟».

زمجر «ددلي»: «لكنك لا تكون شجاعًا هكذا ليلاً. أليس كذلك؟».

«الوقت ليل بالفعل يا (ديدي)، فعندما يحل الظلام هكذا فهذا ليل».

قال «ددلي»: «أعني عندما تكون في الفراش!».

توقف عن المشي. و«هاري» كذلك، وحدق في ابن خالته. من القليل الذي يراه على وجه «ددلي» الضخم، وصله إحساس بأنه نال منه.

قال «هاري»: «ماذا تعني بقولك: إنني لست شجاعًا في الفراش؟.. مم تحسبني أخاف؟ الوسائد أو ما شابه؟».

قال «ددلي» لاهثًا: «سمعتك ليلة أمس.. تتحدث في نومك، وأنت تتأوه».

قال «هاري» ثانية: «ماذا تعني؟» لكنه كان يشعر بإحساس بارد مقبض في صدره، فقد عاود زيارة المقابر في أحلام ليلة أمس.

ضحك «ددلي» ضحكة قاسية شبيهة بالنباح، ثم قلد صوتًا مذعورًا: «لا تقتل «سيدريك»! لا تقتل «سيدريك»! من «سيدريك» هذا؟ صديقك؟».

قال «هاري» بصورة آلية: «أنا.. أنت تكذب» لكن حلقه جف. كان يعرف أن «ددلي» لا يكذب.. وإلا كيف عرف بشأن «سيدريك»؟

«بابا! النجدة يا بابا! سيقتلني يا بابا! آآه».

قال «هاري» بهدوء: «اصمت.. اصمت يا «ددلي». أنا أحذرك!».

«تعال وساعدني يا بابا! يا ماما. ألحقوني! إنه يقتل «سيدريك» يا بابا. النجدة! إنه سي.. لا تصوب هذا الشيء نحوي!».

تراجع «ددلي» ليلتصق بجدار الزقاق. كان «هاري» يصوب عصاه السحرية إلى قلبه مباشرة. شعر بكراهية أربعة عشر عامًا تتدفق في عروقه نابضة بقوة..

ماذا يمنعه الآن من إطلاق ضربته على «ددلي».. ماذا يمنعه من إطلاق لعنة عليه تجعله يزحف إلى البيت مثل حشرة، أو يسقط هامدًا والأهداب تنبت من جسده..

هدر قائلاً: «إياك والتحدث عن هذه المسألة ثانية.. هل تفهمني؟».

«صوّب هذا الشيء إلى أي مكان آخر».

«قلت لك.. هل تفهمني؟».

«صوبها بعيدًا».

«هل تفهمني؟!»

«أبعد هذا الشيء عنـ..»

شهق «ددلي» شهقة غريبة مرتجفة، كأنه سقط في مياه مثلجة.

حدث شيء غريب لليل من حولهما. تحولت السماء الداكنة الزرقة فجأة إلى لون أسود حالك.. واختفت أضواء النجوم والقمر ومصابيح الشوارع عند طرفي الزقاق. سكت صخب السيارات البعيدة وهمس الأشجار. أصبح الليل الدافئ فجأة ببرودة رهيبة لاذعة. كانا محاطين بظلام تام، صامت لا قبل لهما باختراقه، كأن يدًا عملاقة قد أسقطت فجأة حاجزًا سميكًا وثلجي البرودة على الزقاق بأكمله؛ لتصيبهما بالعمى.

لجزء من الثانية فكر «هاري» أنه ربما يكون قد أدى السحر دون أن يقصد، رغم حذره.. ثم عاوده المنطق مع استعادته لحواسه. ليس لديه القوة السحرية الكافية لإطفاء النجوم. أدار رأسه إلى هذه الناحية وتلك محاولاً اختراق حجب الظلام ببصره، لكن الظلال كانت كثيفة على عينيه مثل حاجز بلا وزن أو وجود.

وصل صوت «ددلي» الخائف إلى أذنيه: «مـ..ماذا تـ..تفعل؟ كف عما تفعله!».

«أنا لا أفعل أي شيء! اصمت ولا تتحرك!».

«لـ..لا أستطيع رؤية أي شيء! لقد أصبت بالعمى! أنـ..»

«قلت لك اصمت!».

وقف «هاري» بثبات، وعيناه تدوران إلى اليسار وإلى اليمين. كانت البرودة شديدة فارتجف، وانتصب الشعر على ذراعيه وعلى ظهره.. فتح عينيه على آخرهما، محدقًا في الظلام من حوله، وهو لا يرى أي شيء.

هذا مستحيل.. لا يمكن أن يكونوا هنا.. ليس في «ليتل وينجنج».. أخذ يسترق السمع.. سيسمعهم قبل أن يراهم..

أخذ «ددلي» ينشج: «سـ.. سأخبر بابا.. أ..أين أنت؟ مـ..ماذا تفعل؟».

همس «هاري» بغضب: «ألن تصمت؟ أنا أحاول الإنصا..».

لكنه صمت. سمع لتوه شيئًا يرهبه.

ثمة شيء ما في الزقاق معهما، شيء يقترب بأنفاسه المبحوحة اللاهثة. أحس «هاري» برعب هائل وهو واقف يرتجف في الهواء القارس البرودة.

«كف عما تفعله! توقف! سأضربك. أقسم إنني سأضربك!».

«ددلي.. توقف..»

طراخ

تلامست قبضة يد مع جانب وجه «هاري»، لترفعه عن الأرض. برقت أضواء بيضاء خاطفة أمام عينيه. وللمرة الثانية خلال ساعة شعر «هاري» كأن رأسه انقسم إلى نصفين، ثم سقط على الأرض وطارت عصاه من يده.

صاح «هاري»: «أيها المجنون.. ددلي» وعيناه مغرورقتان بدموع الألم، وهو ينهض على يديه وركبتيه، باحثًا بجنون عن العصا في الظلام. سمع «ددلي» يبتعد عنه، وهو يتعثر ويتخبط في سور الزقاق.

«عد يا «ددلي»! إنك تعدو في طريقك إليه».

سمع صرخة رهيبة، وسكت صوت خطوات «ددلي». وشعر «هاري» ببرودة زاحفة من خلفه، لا تعني سوى شيء واحد: هناك أكثر من واحد.

أخذ يغمغم بجنون: «أبق فمك مغلقًا يا «ددلي».. أيًا كان ما تفعله، فأبق فمك مغلقًا! أين العصا؟!» أخذت يداه تتحسسان الأرض مثل قدمي عنكبوت. «أين العصا؟! أين؟! لوموس!».

ردد تعويذة الإضاءة بصورة آلية، في خضم بحثه اليائس عن الضوء لمساعدته في بحثه.. يالعجب! تدفق الضوء بالقرب من يده اليمنى.. أضاء طرف العصا السحرية. انقض «هاري» عليها، وهبّ واقفًا واستدار.

شعر بمعدته تنقلب من التوتر والخوف.

كان هناك كائن عملاق مغطى الرأس بمعطف مهترئ يسري بنعومة نحوه، ثابت في حركته فوق الأرض دون قدمين أو وجه يراه من تحت معطفه، يبدو كأنه يسحب الليل مع أنفاسه وهو يقترب.

رفع «هاري» عصاه السحرية وهو يتعثر للخلف.

«إكسبكتو باترونام!»

انبعث من طرف عصاه السحرية خيط دخاني فضي هزيل فأبطأ (الديمنتور) من تقدمه، لكن التعويذة لم تعمل كما يجب. تراجع «هاري» متعثرًا و(الديمنتور) ينحني عليه، فحجب الذعر المنطق عنه. يجب أن تركز.

خرج من تحت معطف (الديمنتور) زوج من الأذرع الرمادية اللزجة المجروحة، باحثة عنه، وملأ صخب شديد أذني «هاري».

«إكسبكتو باترونام!»

بدا صوته ضئيلاً وبعيدًا، وخرج خيط آخر من الدخان الفضي أضعف من سابقه من طرف العصا. لم يعد قادرًا على أداء التعويذة بنجاح.

سمع صوت ضحك داخل رأسه. صوتًا حادًا ومرتفعًا. شم رائحة أنفاس (الديمنتور) المفعمة بالبرودة والموت والعفن، وأحس بها تملأ رئتيه؛ لتغرقه. فكِّر. فكر في شيء سعيد.

لكن لم يعد بداخله سعادة. كانت أصابع (الديمنتور) الباردة الثلجية تحيط برقبته. والضحك الحاد المرتفع ينمو أعلى وأعلى، والصوت يتحدث داخل رأسه: اركع للموت يا هاري. لعله بلا ألم. أنت لا تعرف.

إذن لن يرى «رون» أو «هيرميون» ثانية أبدًا.

فجأة ظهر وجهاهما في عقله وهو يجاهد باحثًا عن أنفاس.

«إكسبكتو باترونام!».

خرج من طرف عصاه السحرية أيل[*] فضي هائل الحجم. أصاب قرناه (الديمنتور) في موضع القلب؛ فسقط إلى الخلف، بلا وزن كالظلام، فهاجمه الأيل، وتراجع (الديمنتور) مثل وطواط مهزوم.

صاح «هاري» في الأيل: «من هنا!» والتفت وأخذ يعدو بطول الزقاق، وعصاه السحرية مضاءة أمامه مشهرة مرفوعة. «ددلي.. ددلي!».

جرى مسافة اثنتي عشرة خطوة حتى وصل إليهما، كان «ددلي» مكوَّمًا على الأرض، وذراعاه متشابكتان فوق وجهه. و(الديمنتور) الثاني جاثم فوقه، وقد أمسك بمعصميه في يديه اللزجتين، وأحنى رأسه مقتربًا من وجه «ددلي» إلى أقصى درجة.

(*) غزال كبير الحجم بقرون كبيرة متشابكة. (المترجم)

صاح «هاري»: «هاجمه!» وبصوت مندفع زائر ركض الأيل الفضي الذي استحضره من جواره. كان وجه (الديمنتور) الخالي من العيون على مسافة بوصة من «ددلي» عندما دفعه القرنان الفضيان. طار الكائن الكابوسي في الهواء، ومثله مثل رفيقه، انساب بعيدًا وامتصه الظلام. وصل الأيل إلى نهاية الزقاق، ثم اختفى وسط سحابة من الضباب الفضي.

دبت الحياة في القمر والنجوم ومصابيح الشوارع ثانية، ومرت نسمة دافئة عبر الزقاق. أخذت الأشجار في حدائق الجيران تتهامس، وعاد صخب السيارات إلى «ماجنوليا كريسنت». وقف «هاري» جامدًا، وكل حواسه مهتزة، محاولاً العودة إلى الحالة الطبيعية الدنيا. وبعد لحظة صار على وعي بأن الـ «تي ـ شيرت» الذي يرتديه ملتصق به بسبب العرق الغزير.

لم يقدر على تصديق ما حدث منذ لحظات. (ديمنتورات) هنا! في «ليتل ويننج». رقد «ددلي» مكوَّمًا على الأرض، وهو يغمغم ويرتجف. انحنى «هاري» فوقه؛ ليرى إن كان في حالة مناسبة للنهوض، لكنه سمع صوت خطوات لشخص يعدو من خلفه. وبصورة غريزية شهر عصاه السحرية ثانية، ودار على عقبيه لمواجهة القادم.

كانت السيدة «فيج» جارتهم العجوز الشمطاء تقترب لاهثة؛ شعرها الرمادي الحائل اللون متناثر على غطاء رأسها، وفي يدها حقيبة بقالة تتأرجح، وقدماها بارزتان من حذائها. كاد «هاري» يخبئ عصاه السحرية عن ناظريها، لكن..

صاحت فيه: «لا تخبئها أيها الولد الأحمق! ماذا لو كان هناك المزيد منهم بالقرب منا؟ يا ربي.. سأقتل مندنجس فلتشر!»



٢ طوفان من البوم

قال «هاري» بدهشة: «ماذا!».

قالت السيدة «فيج» وهي تشيح بيدها: «لقد غادر. غادر: ليقابل شخصًا ما بشأن شحنة قدور سحرية سقطت من على مقشة طائرة! قلت له: إنني سأسلخه حيًا إن ذهب، وانظر ماذا حدث؟! (ديمنتورات)! من حسن حظنا أنني أدخلت السيد «تيبلز» في الموضوع! لكن ليس لدينا وقت للوقوف، أسرع، لابد أن أعود بك. بالمشكلات التي ستثار بسبب ما حدث، سأقتله!».

«لكن..» اكتشافه أن هذه الجارة الوطواطية المهووسة بالقطط تعرف بشأن (الديمنتورات) كان صدمة هائلة «هل.. هل أنت ساحرة؟».

«أنا مساعدة ساحرة، كما يعرف مندنجس جيدًا، فكيف بالله عليك أقدر على مساعدتك في قتال (الديمنتورات)؟ لقد تركني بلا أية تغطية وقد حذرته من..».

«هل كان مندنجس هنا يتبعني؟ انتظري.. كان هو! لقد اختفى باستخدام السحر من أمام بيتي!».

«أجل.. أجل.. أجل، لكن لحسن الحظ كنت قد وضعت السيد تيبلز أسفل سيارة على سبيل الحيطة، وجاء السيد تيبلز وحذرني، لكن مع ذهابي إلى منزلك كنت أنت قد اختفيت.. والآن.. يا ربي.. ماذا سيقول دمبلدور؟ وأنت!» صاحت في «ددلي» قائلة: «أنت.. ارفع مؤخرتك البدينة هذه عن الأرض، بسرعة».

قال «هاري» محدقًا بها: «هل تعرفين دمبلدور؟».

«بالطبع أعرف دمبلدور، ومن لا يعرف دمبلدور؟ لكن هيا.. لن أقدر على مساعدتك لو عادوا، فلم يسبق لي حتى أن حولت كوب شاي بالسحر».

انحنت، وقبضت على ذراع «ددلي» البدينة في يدها النحيفة وشدته.

«انهض.. يا كتلة الشحم عديمة النفع، انهض».

لكن «ددلي» إما لم يكن قادرًا أو لم يرغب في الحركة. ظل كما هو على الأرض، مرتجفًا ووجهه شاحب بلون التراب، وفمه مطبق.

قال «هاري» وهو يمسك بيد «ددلي» ويرفعه: «سأنهضه أنا» وبمجهود هائل رفعه على قدميه. بدا على شفا الإغماء. أخذت عيناه الصغيرتان تدوران في محجريهما والعرق يغمر وجهه، وللحظة تركه «هاري» فترنح بشدة.

قالت السيدة «فيج» بطريقة هيستيرية: «أسرع».

جذب «هاري» إحدى ذراعي «ددلي» الهائلتين حول كتفيه، وأخذ يجره عبر الطريق، وهو يترنح بسبب وزنه الثقيل. هرولت السيدة «فيج» أمامهما وهي تنظر بقلق نحو تقاطع الطريق.

قالت لـ «هاري» وهما يدخلان «وستريا ووك»: «أبق عصاك السحرية مرفوعة. ولا تبال بقانون السرية الآن. سيقوم عالم السحر ولن يقعد بسبب ما حدث، وربما يشنقوننا.. ما هذا الشيء عند نهاية الشارع؟ آه. إنه السيد برنتس، لا تبعد عصاك السحرية عن يدك يا ولد، ألم أقل لك إنني غير ذات نفع؟».

لم يكن من السهل إشهار العصا بثبات وجر «ددلي» في نفس الوقت. غرس «هاري» أصبعه في ضلع ابن خالته بنفاد صبر، لكن «ددلي» بدا فاقد الرغبة في الحركة بالاعتماد على نفسه. كان نائمًا على كتف «هاري»، وقدماه الكبيرتان تنسحبان خلفه على الأرض.

سأل «هاري» السيدة «فيج» لاهثًا: «لماذا لم تخبريني أنك مساعدة ساحرة؟ في كل مرة دعوتني فيها إلى منزلك.. لماذا لم تخبريني بأي شيء؟».

«بسبب أوامر دمبلدور. كان عليَّ مراقبتك دون أن أخبرك بشيء، فأنت صغير جدًا. أعتذر على الوقت البائس الذي كنت تقضيه معي يا هاري، لكن آل «دريسلي» ما كانوا ليدعوك تأتي إليَّ إن عرفوا أنك تستمتع بوقتك. لم يكن الأمر سهلاً كما تعرف.. لكن يا ربي..» أنهت كلامها بصورة درامية تمثيلية، وهي تلوح بيديها مرة أخرى، ثم أكملت: «عندما يعرف دمبلدور بما حدث.. كيف تركني مندنجس وحدي؟ كيف؟ كان عليه الحراسة حتى منتصف الليل.. كيف سأخبر دمبلدور بما حدث؟ لا أستطيع حتى الاختفاء سحريًا والذهاب إليه».

قال «هاري» متألمًا وهو يتساءل إن كان عموده الفقري سينكسر تحت ضغط وزن «ددلي»: «معي بومة، ويمكنك استعارتها».

«هاري، أنت لا تفهم. على دمبلدور أن يتصرف بأسرع ما يمكن، فالوزارة

لديها أساليبها في كشف حالات ممارسة السحر من جانب السحرة تحت السن القانونية، وأؤكد لك أنهم عرفوا بما حدث بالفعل. ثق بكلامي».

«لكنني كنت أحاول التخلص من الديمنتورات، وكان عليَّ استعمال السحر. أحسبهم سيكونون أكثر اهتمامًا بمعرفة ما كانت (الديمنتورات) تفعله في وستريا ووك، أليس كذلك؟».

«آه يا عزيزي. أتمنى هذا، لكن أخشى أن.. مندنجس فلتشر! سأقتلك!».

صدر صوت فرقعة عالٍ، صاحبته رائحة شراب كحولي مختلطة برائحة تبغ ملأت الهواء، مع الظهور المفاجئ لرجل غير حليق يرتدي معطفًا رثًا أمام أعينهم. كانت قدماه قصيرتين، مقوستين، وشعره طويلاً متناثرًا بني اللون، وعيناه مرتخيتين ومحاطتين بهالة حمراء، مما أعطاه مظهر كلبٍ أشعث. كان بيده حزمة فضية اللون، عرف «هاري» على الفور أنها عباءة اختفاء.

قال الرجل ناقلاً بصره بين السيدة «فيج» و«هاري» و«ددلي»: «ما الأمر يا فيجي؟ ماذا حدث واستدعى كشف تنكرك؟».

صاحت السيدة «فيج»: «أنا التي سأجري عليك عملية تنكر جراحية! لقد جاءت (ديمنتورات) أيها اللص الحقير عديم النفع».

كرر مندنجس الكلمة بذعر: «(ديمنتورات)؟ (ديمنتورات) هنا؟».

«أجل هنا.. يا كومة فضلات الوطاويط يا تافه.. هنا! هاجمت (الديمنتورات) الولد الذي تتولى حراسته، وفي نوبة حراستك!».

قال «مندنجس» بوهن وحيرة: «غير معقول! غير معقول! أنا..».

«وأنت ذهبت لتشتري قدورًا مسروقة! ألم آمرك بعدم الذهاب؟».

بدا «مندنجس» مضطربًا للغاية وهو يقول: «أنا.. أنا.. المسألة أن.. كانت فرصة لصفقة عظيمة كما ترين، ولم..».

رفعت السيدة «فيج» يدها التي تتدلى منها حقيبة البقالة وضربت «مندنجس» بها على وجهه ورقبته.. ومن صوت الارتطام المعدني بدا واضحًا أن الحقيبة مليئة بعلب طعام القطط.

«أي.. أي.. ابتعدي.. ابتعدي أيتها الوطواط الأدمي.. علينا إخبار دمبلدور».

صاحت فيه السيدة «فيج» قائلة: «أجل» ثم أخذت تضربه بحقيبة طعام القطط

على كل مكان تصل إليه من جسده وأكملت: «و.. من الأفضل.. أن.. يكون أنت.. من يخبره.. وعليك.. أن تقول له.. إنك لم.. تكن هنا.. لتساعدنا!».

قال «مندنجس»: «أبعدي حقيبتك عني.. أنا ذاهب.. ذاهب» وحمى رأسه بذراعيه.

قالت بغيظ: «أتمنى أن يقتله دمبلدور.. والآن هيا يا «هاري».. ماذا تنتظر؟».

قرر «هاري» ألا يضيع أنفاسه الباقية على إخبارها بأنه بالكاد قادر على المشي تحت ثقل «ددلي»، فعدل وضعه على كتفه بصعوبة وأخذ يترنح متقدمًا للأمام.

قالت السيدة «فيج» وهم ينحرفون مع انعطاف شارع «ويزيفت درايف»: «سأرسلك إلى الباب.. فربما لا يزالون هنا.. يا للكارثة.. وقاتلتهم وحدك.. ودمبلدور أمرنا بإبعادك عن استعمال السحر بأي ثمن.. لا فائدة من البكاء على التركيبة السحرية المسكوبة[١].. فالقطة وقعت وسط العفاريت بالفعل[٢].. لا فائدة».

أخذ «هاري» يتحدث لاهثًا: «إذن فدمبلدور وضع حراسة عليَّ؟».

قالت السيدة «فيج» بنفاد صبر: «بالطبع وضع حراسة عليك.. هل تتوقع منه أن يتركك تتجول وحدك بعد ما حدث في يونيو الماضي؟ يا ربي الرحيم.. أخبروني أنك ذكي يا ولد.. ها قد وصلنا.. ادخل وابق بالداخل».. أنهت كلامها وقد وصلوا إلى المنزل رقم (٤)، ثم أضافت: «أتوقع أن يتصل بك أحد ما قريبًا جدًّا».

سألها «هاري» بسرعة: «وماذا ستفعلين؟».

قالت السيدة «فيج» وهي تحدق في الشارع المظلم وترتجف: «سأعود إلى البيت.. وأنتظر التعليمات، وأنت ابق بالمنزل، وتصبح على خير».

«انتظري.. لا تذهبي، أريد معرفة ـــ».

لكن السيدة «فيج» هرولت مبتعدة، وحذاؤها الوطيء مع تخبط العلب في حقيبتها يحدثان صوتًا معدنيًا مسموعًا.

صاح «هاري» فيها: «انتظري». كان لديه مليون سؤال وسؤال يريد أن يطرحه على أي أحد يمكنه الاتصال بـ «دمبلدور».. لكن خلال ثوان ابتلع الظلام السيدة «فيج». بعبوس عدل «هاري» من وضع «ددلي» على كتفه وتحرك ببطء وألم عبر حديقة المنزل رقم (٤) الأمامية.

(١) كالمثل القائل: «لا فائدة من البكاء على اللبن المسكوب» لكن من وجهة نظر السحرة (المترجم).
(٢) كأنها تقول: «سبق السيف العذل» لكن بطريقة السحرة (المترجم).

كانت أنوار الصالة مضاءة. أدخل «هاري» عصاه السحرية في ثنايا بنطلونه «الجينز»، وضرب الجرس وراقب خيال الخالة «بيتونيا»، وهو يكبر ويكبر، وقد شوهه زجاج الباب المفصص بغرابة.

«ديدي حبيبي، وصلت في وقتك. كنت سأقلق.. أقلق. ديدي؟ ما الأمر؟».

اختلس «هاري» نظرة جانبية إلى «ددلي» وخرج من تحت ذراعه في الوقت المناسب تماماً. ترنح «ددلي» للحظة، ووجهه أخضر شاحب.. ثم انفتح فمه وأخذ يتقيأ على البساط الممدود أمام الباب.

«ديدي! حبيب ماما! ماذا حدث؟ فرنون؟ فرنون؟».

جاء زوجها مهرولاً من حجرة المعيشة، وشاربه الشبيه بشارب حيوان الفظ يتأرجح كعادته كلما شعر بالضيق. تقدم؛ ليساعد الخالة «بيتونيا» على حمل «ددلي» الذي سقط عند مدخل البيت محاولاً تفادي بركة القيء التي تجمعت أمامه.

«إنه مريض يا فرنون».

«ما الأمر يا بني؟ هل أعطتك السيدة بولكس طعاماً معطوباً مع الشاي؟».

«ما سبب كل هذه القذارة على جسدك يا حبيبي؟ هل وقعت على الأرض؟».

«دقيقة.. هل (قشّطك) اللصوص يا ولدي؟». فصرخت الخالة «بيتونيا».

«اتصل بالشرطة يا فرنون، اتصل بالشرطة.. ديدي.. رُدّ على ماما يا حبيبي.. ماذا فعلوا بك يا روح ماما؟».

ووسط كل هذه الجلبة بدا كأن أحداً لم يلاحظ وجود «هاري»، وهو ما كان يناسبه تماماً. نجح في التسلل إلى داخل المنزل قبل أن يغلق الخال «فرنون» الباب، وبينما كانت خالته وزوجها يتقدمان مُصدرين صخباً شديداً من المطبخ، تحرك بحذر وسرعة تجاه السلم.

«من فعل بك هذا يا بني؟ أعطني أسماءهم. سأنتقم لك منهم، لا تقلق».

«صه. إنه يحاول الكلام. ماذا ستقول يا ديدي؟ أخبر ماما حبيبتك».

كانت قدم «هاري» على أول درجة من السلم عندما عاد لـ«ددلي» صوته.

«هو».

تجمد «هاري» وقدمه على السلم، ووجهه مشدود، منتظراً الانفجار الذي سيقع.

«يا ولد. تعال هنا».

بشعور مختلط من الرهبة والغضب استدار «هاري» متجهاً نحو آل «دورسلي».

كان المطبخ شديد النظافة واللمعان، ذا مظهر غريب مقارنة بالظلام بالخارج. كانت الخالة «بيتونيا» تجلس «ددلي» على مقعد، وهو مازال أخضر اللون هزيلاً. والخال «فرنون» واقف أمام بالوعة المطبخ محدقاً في «هاري» بعينيه الضيقتين الصغيرتين.

قال بصوت كالهدير، ملىء بالتهديد: «ماذا فعلت بابننا؟».

قال «هاري»، وهو على يقين من أن الخال «فرنون» لن يصدقه: «لا شيء».

قالت الخالة «بيتونيا» بصوت مرتجف مختلج وهي تمسح القيء بإسفنجة عن صدر «ددلي»: «ماذا فعل بك يا ديدي؟ هل استعمل (الشيء الذي تعرفه) يا حبيبي؟ هل استعمل (ذلك الشيء الغريب)؟».

ببطء وبخوف أومأ «ددلي» برأسه.

قال «هاري» بحدة: «لم أستعملها» والخالة «بيتونيا» تعوي والخال «فرنون» يرفع قبضتيه. وأضاف: «لم أفعل به أي شيء، لم يكن أنا.. كان الـ».

لكن في تلك اللحظة طارت بومة مذعورة عبر نافذة المطبخ، وتفادت بالكاد رأس الخال «فرنون»، ثم طافت بالمطبخ وأسقطت لفافة ورق كانت بمنقارها عند قدمي «هاري»، ثم استدارت برشاقة، وخرجت منطلقة إلى الحديقة.

جأر الخال «فرنون» بصوت عالٍ: «بوم!» والوريد المنتفخ في جبهته ينبض بغضب، وهو يغلق نافذة المطبخ بحدة، وأكمل: «بوم مرة أخرى! لن أسمح بمزيد من البوم في بيتي».

لكن «هاري» فتح اللفافة وأخرج الرسالة منها، وقلبه ينبض بقوة.

عزيزي السيد بوتر،

وصلتنا معلومات أنك أديت تعويذة الباتروناس في الساعة التاسعة والدقيقة الثالثة والعشرين مساءً، في منطقة يسكنها العامة وفي حضور أحدهم.

تسببت فداحة هذا الانتهاك الخطير لقانون «حظر استعمال السحر على السحرة تحت السن القانونية» في فصلك من مدرسة هوجورتس لتعليم الساحرات والسحرة. وسيأتي إلى محل إقامتك بعد قليل ممثلو وزارة السحر لتدمير عصاك السحرية.

وعلى خلفية من تلقيك إنذارًا رسميًا بسبب انتهاكك السابق للمادة ١٣ من قانون «سرية السحرة الكونفدرالي الدولي» يؤسفنا إخطارك بضرورة حضورك محاكمة بوزارة السحر الساعة التاسعة صباح الثاني عشر من أغسطس.

مع تمنياتنا بدوام الصحة.

المخلصة ـ مافلدا هوبكريك

مصلحة «إساءة استخدام السحر» ـ *وزارة السحر*

قرأ «هاري» الخطاب مرتين. كان بالكاد واعيًا بما يقوله الخال «فرنون» والخالة «بيتونيا». كان يشعر بالبرودة والبلادة. حقيقة واحدة اخترقت غياهب وعيه وأفزعته: فصلوه من «هوجورتس». انتهى كل شيء. لن يعود ثانية أبدًا.

رفع بصره إلى خالته وزوجها. كان الخال «فرنون» محتقن الوجه، يصيح. والخالة «بيتونيا» ذراعاها حول «ددلي» الذى أخذ يتقيأ ثانية.

بدا أن عقل «هاري» الذى تجمد لبرهة يستعيد إدراكه. *سيأتي إلى محل إقامتك بعد قليل ممثلو وزارة السحر لتدمير عصاك السحرية.*

ليس أمامه سوى حل واحد. الهروب.. الآن. أين عساه يذهب؟ لم يكن يعرف، لكنه كان واثقًا من شيء واحد: داخل «هوجورتس» أو خارجها، فهو بحاجة لعصاه السحرية. وفي حالة أشبه بالحلم، شهر عصاه السحرية واستدار مغادرًا المطبخ.

صاح فيه الخال «فرنون»: «إلى أين تظن نفسك ذاهبًا؟» وعندما لم يجبه «هاري»، ركض بطول المطبخ ليحجب الطريق إلى الصالة، وأضاف: «لم أنته منك بعد يا ولد» قال «هاري» بهدوء: «ابتعد عن طريقي».

«بل ستبقى هنا حتى تشرح لي كيف تعرض ابني لـ..».

قال «هاري» وهو يرفع عصاه: «إن لم تبتعد عن طريقي سأطلق عليك لعنة».

زمجر الخال «فرنون» قائلاً: «لن تستطيع خداعي! أعرف أنك ليس مسموح لك باستعمالها خارج بيت المجانين الذى تعدونه مدرسة».

قال «هاري»: «طردني بيت المجانين.. وسأفعل ما أشاء. أمامك ثلاث ثوان لتتنحى. واحد.. اثنان..» وملأت المطبخ فرقعة عالية.

صرخت الخالة «بيتونيا»، وصاح الخال «فرنون» وانحنى، لكن للمرة الثالثة هذه الليلة أخذ «هاري» يبحث عن مصدر الاضطراب الذى لم يكن هو مصدره. لقد عرفه أخيرًا: بومة مندهشة ومشعثة تجلس على إطار نافذة المطبخ الخارجي، اصطدمت بالنافذة المغلقة.

عبر «هاري» الحجرة بسرعة متجاهلاً صيحة الخال «فرنون» المتألمة: «بوم»، وفتح النافذة. مدت البومة قدمها، وكانت مربوطة بها لفافة صغيرة من الورق، وهزت ريشها، وطارت حالما أخذ «هاري» الرسالة. فض الرسالة الثانية، ويداه ترتجفان. كانت مكتوبة على عجلة وعليها بقع حبر أسود كبيرة.

هاري،

وصل دمبلدور لتوه إلى الوزارة، ويحاول حاليًا حل المشكلة. إياك ومغادرة منزل خالتك وزوج خالتك. إياك والقيام بأي سحر. إياك وتسليم عصاك السحرية لأي أحد

أرثر ويزلي

دمبلدور يحاول حل المشكلة.. ماذا يعني هذا؟ ما مدى نفوذ «دمبلدور» في وزارة السحر؟ هل هناك فرصة لعودته إلى «هوجورتس»؟ أضاء شعاع واهن من الأمل في صدره، وسرعان ما خنقه الذعر. كيف سيرفض تسليم عصاه السحرية دون استخدام السحر؟ سيكون عليه منازلة ممثلي الوزارة، وإن فعل: فمن الصعب ألا يدخل سجن «أزكابان»، بجانب فصله من المدرسة.

أخذ عقله يفكر بسرعة. يمكنه الهروب والمخاطرة بالاعتقال من جانب الوزارة، أو البقاء وانتظارهم حتى يجدوه. أغراه الخيار الأول أكثر لكنه كان يعلم أن السيد «ويزلي» يعرف مصلحته وحريص عليه. وبعد كل شيء فـ«دمبلدور» حل مشكلات أعقد من هذه بكثير فيما سبق.

قال «هاري» لزوج خالته: «عندك حق. لقد قررت تغيير رأيي وسأبقى هنا».

ألقى بنفسه على مائدة المطبخ وواجه «ددلي» والخالة «بيتونيا». بدا على آل «دورسلي» الاندهاش من تغييره المفاجئ لرأيه. نظرت خالته بيأس إلى زوجها. كان الوريد في جبينه ينبض بصورة أسوأ من أي وقت مضى.

هدر قائلاً: «من أين أتى كل هذا اليوم الوقح؟».

قال «هاري» بهدوء: «الأولى من وزارة السحر تعلن فصلي من المدرسة». كان يحاول الإنصات؛ أملاً في سماع أية جلبة بالخارج، في حالة إن كان ممثلو الوزارة يقتربون. وكان من الأسهل والأهدأ أن يجيب على أسئلة الخال «فرنون» بدلاً من إثارة غضبه وصياحه ثانية. أضاف: «الثانية من والد صديقي رون، الذي يعمل بالوزارة».

صاح الخال «فرنون»: «وزارة السحر؟ هل هناك أشخاص من أمثالك في الحكومة؟ آه.. هذا يفسر كل شيء، لا عجب أن البلد مصيرها للكلاب».

عندما لم يستجب «هاري»، قال الخال «فرنون»: «ولماذا فصلوك؟».

رد «هاري»: «لأنني أديت السحر».

زأر الخال «فرنون» وهو يضرب بقبضته على سقف الثلاجة، التي انفتح بابها وسقط منها العديد من وجبات «ددلي» قليلة الدسم وانفتحت على الأرض: «آها.. إذن أنت تعترف بما فعلته. ماذا فعلت بددلي؟».

قال «هاري» وهو أقل هدوءاً: «لا شيء.. ولم يكن أنا من أصابه بـ..».

غمغم «ددلي» على غير انتظار: «بل هو». فلوح الخال «فرنون» والخالة «بيتونيا» إلى «هاري» ليصمت، وانحنيا على «ددلي» ليسمعا ما يقول.

قال الخال «فرنون»: «انطق يا ولدي.. ماذا فعل بك؟».

همست الخالة «بيتونيا»: «أخبرنا يا حبيبي».

همهم «ددلي»: «لقد صوب عصاه نحوي».

شرع «هاري» في الكلام - بغضب - قائلاً: «أجل فعلت، لكنني لم أستعمل الـ..».

زأر فيه الخال «فرنون» والخالة «بيتونيا» في نفس واحد: «اصمت!».

كرر الخال «فرنون» كلامه وشاربه يتحرك بغضب: «استمر يا ولدي».

قال «ددلي» بوهن، وهو يرتجف: «أظلمت الدنيا أمامي.. أظلم كل شيء.. ثم سمعـ.. سمعت.. أشياء داخل رأسي».

تبادل الخال «فرنون» والخالة «بيتونيا» نظرات رعب شديد. إن كان أقل شيء يحبانه في العالم هو السحر، ويليه الجيران الذين يغشون أثناء حظر استخدام خراطيم المياه وقت الجفاف؛ فإن الناس الذين يسمعون أصواتاً داخل رءوسهم يعتبرون من أقل عشرة أشياء يحبانها. بدا عليهما الاعتقاد في جنون «ددلي».

همست الخالة «بيتونيا» ووجهها أبيض شاحب، والدموع تملأ مقلتيها: «أي أصوات سمعتها يا حبيبي؟».

لكن بدا أن «ددلي» غير قادر على الكلام. ارتجف ثانية وهز رأسه الكبير الأشقر. وبالرغم من إحساسه المتبلد بالرهبة منذ قدوم البومة الأولى، شعر «هاري» بنوع من الفضول. فالـ(ديمنتورات) تتسبب في تذكر الشخص أسوأ ذكرياته.. ترى ماذا أجبرت «ددلي» الفاسد العنيف على السماع؟!

قال الخال «فرنون» بصوت هادئ بطريقة غريبة - الصوت الذي يستعمله عند جلوسه بجانب فراش شخص مريض جداً -: «وكيف سقطت يا بني؟».

قال «ددلي» باضطراب: «تعـ.. تعثرت.. ثم..».

أشار إلى صدره الهائل الحجم. فهم «هاري». كان «ددلي» يتذكر البرودة الشديدة التي ملأت رئتيه، والأمل والسعادة ينسحبان منه.

قال «ددلي» بصوت متحشرج: «شعور فظيع.. برودة رهيبة.. رهيبة».

قال الخال «فرنون» بصوت أجبر نفسه على أن يكون هادئاً: «حسناً». بينما وضعت الخالة «بيتونيا» يداً قلقة على جبين «ددلي» لتتحسس حرارته، وقالت: «ثم ماذا حدث يا روح ماما؟».

«شعرت.. شعرت.. شعرت.. كأن.. كما لو..».

أمده «هاري» بالإجابة قائلاً: «كما لو أنك لن تشعر بالسعادة ثانية».

همس «ددلي» وهو لا يزال يرتجف: «فعلاً».

قال الخال «فرنون» بصوت مرتفع: «إذن فقد أصبت ابني بلعنة مجنونة فسمع أصواتاً وظن أنه.. أنه محكوم عليه بالتعاسة. أليس كذلك؟».

قال «هاري» ومزاجه وصوته في اضطراب: «كم مرة علي أن أخبرك.. لم يكن أنا من فعلها.. كان زوج من (الديمنتورات)».

«زوج من ماذا؟! ما هذه الكلمة الغريبة؟».

قال «هاري» ببطء ووضوح: «(دي - من - تورات) اثنان منهما».

«وما هي بحق الجحيم هذه (الديمنتورات)؟».

«إنهم حراس سجن أزكابان» صدرت الكلمات عن الخالة «بيتونيا».

مرت ثانيتان من الصمت المطبق، قبل أن تضع يديها على فمها كأنها

أطلقت سبة قذرة. أخذ الخال «فرنون» يحدق فيها، وشعر «هاري» بسخونة فى عقله. السيدة «فيج» شىء، لكن الخالة «بيتونيا»؟!

سألها مندهشًا: «كيف عرفت بهذا؟!».

بدت خالته مندهشة من نفسها. نظرت إلى الخال «فرنون» نظرة اعتذار خائفة، ثم خفضت يديها؛ لتكشف عن أسنانها الأشبه بأسنان الخيل.

قالت مرتجفة: «سمعت.. ذلك الولد الفظيع.. يخبرها.. منذ سنوات».

قال «هارى» بصوت عالٍ: «إن كنت تعنين أبى وأمى؛ فلماذا لا تستخدمين اسميهما» لكنها تجاهلته. بدت مرتبكة بشدة.

كان «هارى» مذهولاً. فيما عدا انكشافًا سالفاً منذ سنوات - قالت وقتها الخالة «بيتونيا»: إن أم «هارى» كانت مجنونة - فلم يسمعها تذكر أختها قط. تعجب لتذكرها هذه المعلومة عن العالم السحرى، بينما تحاول بكل قوتها أن تتظاهر بأنه غير موجود.

فتح الخال «فرنون» فمه، ثم أغلقه ثانية، وفتحه ثانية، ثم أغلقه، ثم وهو يجاهد لتذكر قدرته على الكلام، فتح فمه للمرة الثالثة وقال: «إذن.. إذن فقد.. أعنى.. هم.. فعلاً موجودون، أليس كذلك؟ هؤلاء الديمينتورات؟».

أومأت الخالة «بيتونيا» برأسها.

نقل الخال «فرنون» بصره بين الخالة «بيتونيا» و«ددلى» ثم إلى «هارى»؛ أملاً فى أن يصيح أحدهم قائلاً: «هيهه.. كذبة إبريل!» وعندما لم ينطق أحد، فتح فمه ثانية، لكن وصول بومة ثالثة وفر عليه مجهود الكفاح لنطق المزيد من الكلمات. دخلت البومة عبر النافذة المفتوحة مثل قذيفة مدفع ريشية، وحطت بصوت مسموع على مائدة المطبخ؛ لتتسبب فى فزع آل «دورسلى». التقط «هارى» رسالة رسمية جديدة من منقار البومة وفضها، وهى تطير عائدة إلى الليل الذى جاءت منه.

غمغم الخال «فرنون»: «كفى.. كفانا بوم» وهو ينحنى على النافذة ويغلقها.

عزيزى السيد بوتر،

فيما يتعلق بالمذكور بخطابنا السابق الوارد منذ اثنتين وعشرين دقيقة، راجعت وزارة السحر قرارها الصادر بشأن تدمير عصاك السحرية. مسموح لك بالاحتفاظ بعصاك حتى يوم المحاكمة فى الثانى عشر من أغسطس، يوم انعقاد القرارات الرسمية بشأنك.

وبعد مناقشات مع ناظر مدرسة هوجورتس لتعليم الساحرات والسحرة، وافقت الوزارة على النظر فى مسألة فصلك من المدرسة يوم المحاكمة أيضًا. ومن الآن اعتبر نفسك موقوفًا عن المدرسة حتى صدور قرارات أخرى.

مع أطيب تمنياتنا بالتوفيق،

المخلصة،

مافلدا هوبكرك

مصلحة «إساءة استعمال السحر»

وزارة السحر

قرأ «هارى» الرسالة ثلاث مرات بسرعة. وانفكت العقدة البائسة المنعقدة فى صدره قليلاً مع إحساسه بالارتياح؛ ليقينه من عدم فصله، بالرغم من أن مخاوفه لم تتلاش بالمرة. بدا كل شىء معلقًا بمحاكمة الثانى عشر من أغسطس.

قال الخال «فرنون» معيداً «هارى» إلى الموجودات من حوله: «والآن.. ماذا حدث؟ هل حكموا عليك بأى حكم؟ هل لدى قومك عقوبة الإعدام؟» أضاف التساؤل الأخير بلهجة أشبه بالتمنى.

قال «هارى»: «علىَّ الذهاب لمحاكمة».

«وهل سيحكمون عليك فيها؟» فقال: «أعتقد هذا».

قال الخال «فرنون» بشماتة: «لا تتوقع منى مؤازرة أو أملاً فى النجاة».

قال «هارى» وهو ينهض على قدميه: «حسنًا. إن كان هذا كل شىء..» كان يريد الانفراد بنفسه بشدة، يريد التفكير، وربما إرسال رسالة إلى «رون» أو «هيرميون» أو «سيريوس».

صاح الخال «فرنون»: «كلا.. لم ننته بعد.. عد واجلس».

قال «هارى» بنفاد صبر: «ماذا تريد الآن؟».

زأر الخال «فرنون»: «ددلى.. أريد معرفة ماذا حدث لابنى بالضبط».

صاح «هارى»: «موافق» وقد ثار بشدة؛ فانطلقت شرارات حمراء وذهبية من طرف عصاه السحرية، التى كان لا يزال قابضًا عليها فى يده، فانكمش آل «دورسلى» وقد بدا عليهم الرعب.

قال «هارى» بسرعة: «كنت أنا وددلى فى الزقاق الواقع بين ماجنوليا كريسنت وويستريا ووك» كان يجاهد التحكم فى أعصابه. أضاف: «حاول ددلى التذاكى علىّ؛ فشهرت عصاى السحرية، لكنى لم أستخدمها. ثم ظهر أمامنا (ديمنتوران)..».

سأله الخال «فرنون» بغيظ: «لكنْ ما (الديمنتورات)؟ ماذا تفعل؟».

- «قلت لك: إنها تسحب السعادة من المرء.. وإنْ واتتها الفرصة تقبِّله..».

- قال الخال «فرنون» وعيناه جاحظتان قليلاً: «تقبِّله؟! تقبِّله؟!».

- «إنه الاسم الذى يطلقونه على سحب الروح من الفم».

صدر عن الخالة «بيتونيا» صرخة صغيرة: «الروح؟ هل أخذوا رو.. هل لا يزال معه روحه..».

قبضت على «ددلى» من كتفيه وهزته، كأنها تحاول سماع روحه ترن داخله.

قال «هارى» بسخط: «بالطبع لم يصلوا إلى روحه.. إن نجحوا كان..».

قال الخال «فرنون» كأنه يحاول استعادة مسار الحديث إلى المستوى الذى يفهمه: «هل قاتلتهم يا ولدى؟ هل لكمتهم لكمات سريعة متتالية؟».

قال «هارى» بغيظ: «لا تستطيع التغلب عليهم بلكمات سريعة متتالية».

انفجر الخال «فرنون» قائلاً: «إذن لماذا هو بخير؟ لماذا ليس خاليًا من الداخل؟».

- «لأننى استعملت تعويذة البتروناس».

فرررر.. صدر صوت حفيف أجنحة ثم تناثر الكثير من الغبار، تلاه خروج بومة رابعة من فتحة مدخنة المطبخ.

زأر الخال «فرنون» وهو يجذب خصلات كثيفة من شعر شاربه بجنون، وهو ما لم يفعله منذ فترة طويلة: «بحق السماء، لن أسمح بحضور المزيد من البوم هنا. لن أسمح، ولن أتحمل هذا، صدقنى».

لكنّ «هارى» جذب لفافة الورق من قدم البومة. كان على يقين أن هذه الرسالة قادمة من «دمبلدور» ستفسر كل شىء: (الديمنتورات)، والسيدة «فيج»، وما تضمره وزارة السحر، وكيف ينتوى هو - «دمبلدور» - حل

المشكلة؛ لذا فللمرة الأولى فى حياته شعر بالحسرة لرؤية خط يد «سيرياس». تجاهل احتجاجات الخال «فرنون»، وضيق ما بين عينيه بسبب سحابة غبار أخرى مع آخر بومة تحلق منطلقة من المدخنة، وقرأ رسالة «سيرياس»:

أخبرنى آرثر منذ قليل بما حدث. إياك ومغادرة المنزل ثانية، أيًا كان ما تفعله لا تغادر المنزل.

وجد «هارى» فى الرسالة ردًا غير مناسب على كل ما حدث الليلة، حتى إنه أدار الورقة؛ بحثًا عن باقى سطور الرسالة، لكن لم يكن هناك المزيد.

توترت أعصابه ثانية: ألن يقول أحد لى: «أهنئك على قتالك (ديمنتورين) وحدك؟ كل من السيد «ويسلى» و«سيرياس» خاطباه كأنه أساء التصرف، كما أغفلا عنه ما يعرفانه؛ حتى يقدرا حجم الدمار الذى تسبب فيه.

«.. منقار.. أعنى طوفان من البوم ينطلق داخلاً خارجًا، إلى ومن بيتى.. لن أسمح بهذا يا ولد. لن أسـ..».

قاطعه «هارى» قائلاً وهو يكوم رسالة «سيرياس» فى يده: «لا أستطيع منع البوم من الحضور».

صاح «فرنون»: «أريد معرفة حقيقة ما حدث الليلة.. إن كانت (الديمنتورات) هى التى آذت ددلى، فلماذا فصلوك؟ أنت قمت (بما تعرفه)، وقد اعترفت بهذا».

أخذ «هارى» نفسًا عميقًا مهدئًا، بدأ رأسه يؤلمه ثانية. كان يريد أكثر من أى شىء أن يغادر المطبخ، ويبتعد عن آل «دورسلى».

قال مجبرًا نفسه على البقاء هادئًا: «أديت تعويذة البتروناس للتخلص من (الديمنتورات).. إنها الشىء الوحيد الفعال ضدهم».

قال الخال «فرنون» بغضب: «وماذا كانت تفعل (الديمنتوتات) هنا؟».

قال «هارى» بإجهاد: «لا أعرف، ليس عندى فكرة عن السبب».

أخذ رأسه ينبض من الألم وسط أضواء المطبخ القوية، وانحسر عنه غضبه، فشعر بالإرهاق، وأخذ آل «دورسلى» يحدقون فيه.

قال الخال «فرنون» ضاغطًا عليه: «أنت السبب.. الأمر متعلق بك يا ولد. أعرف هذا. لماذا تراهم ظهروا إن لم تكن أنت السبب؟ لماذا كانوا في الزقاق؟ فأنت الوحيد في هذه المنطقة الـ.. الـ..» لم يستطع حمل نفسه على قول كلمة «ساحر» فقال: «الذي تعرف ماذا على مسافة أميال من هنا».

«لا أعرف لماذا كانوا هناك».

لكن مع كلمات الخال «فرنون» عاد عقل «هاري» المرهق إلى العمل. لماذا جاءت (الديمنتورات) إلى «ليتل وينتنج»؟ كيف تصادف هذا مع وجوده في الزقاق؟ هل تم إرسالهم عمداً؟ هل فقدت وزارة السحر السيطرة على (الديمنتورات)؟ هل تركوا «أزكابان» وانضموا إلى «فولدمورت» كما تنبأ «دمبلدور»؟

سأل الخال «فرنون» متتبعًا نفس خط تفكير «هاري»: «هل هؤلاء (الديمومبرات) حراس لسجن ما في عالمكم الغريب؟».

لو يكف رأسه فقط عن الألم، لو يتمكن من مغادرة المطبخ والانفراد بنفسه في حجرته المظلمة ويفكر.

قال الخال «فرنون» بأسلوب من وصل إلى استنتاج عبقري: «آه.. كانوا قادمين للقبض عليك. هذا هو السر. أليس كذلك يا ولد؟ أنت هارب من حكم».

قال «هاري» وهو يهز رأسه كأنه يبعد عنه ذبابة: «بالطبع لا».

«لماذا إذن..؟»

قال «هاري» بهدوء لنفسه أكثر منه للخال «فرنون»: «لا بد أنه هو من أرسلهم».

«من تقصد؟ من أرسلهم؟» فقال «هاري»: «اللورد فولدمورت».

لاحظ «هاري» وجود مفارقة في أن آل «دورسلي» الذين يرتجفون ويخافون من أقل ذكر لكلمة «سحر» أو «عصا سحرية» أمكنهم تحمل سماع اسم أشد السحرة شرًا في العالم عبر الأزمان، دون أدنى إحساس بالرهبة.

قال الخال «فرنون» ووجهه يتغير، لتظهر على عينيه علامات الفهم: «لورد ماذا..؟ انتظر. لقد سمعت هذا الاسم. أليس هو من قـ..».

قال «هاري» ببرود: «أجل.. من قتل والديّ».

قال الخال «فرنون» بنفاد صبر دون أدنى دليل على تأثره بذكر قتل والدي «هاري»: «لكنه هلك.. ذلك العملاق أخبرني بهذا هلك».

قال «هاري» بإرهاق: «لقد عاد».

بدا أمرًا شديد الغرابة أن يقف في مطبخ الخالة «بيتونيا» النظيف، بجانب الثلاجة والتليفزيون الكبير، ويتحدث بهدوء عن اللورد «فولدمورت» إلى الخال «فرنون». بدا حضور (الديمنتورات) كأنه أسقط الحائط الكبير غير المرئي الذي يقسم العالم غير السحري في «بريفت درايف»، والعالم الآخر. امتزجت حياتا «هاري» المنفصلتان. انقلب كل شيء رأسًا على عقب. آل «دورسلي» يسألونه عن تفاصيل العالم السحري، والسيدة «فيج» تعرف «ألبوس دمبلدور»، و(الديمنتورات) تجول في «ليتل وينتنج»، وربما لا يعود أبدًا إلى «هوجوورتس». أخذ رأس «هاري» ينبض بألم أشد.

همست الخالة «بيتونيا»: «عاد؟»

كانت تنظر إلى «هاري» كأنها لم تره من قبل أبدًا. وفجأة، وللمرة الأولى في حياته، شعر بالامتنان لأن الخالة «بيتونيا» شقيقة والدته. لم يعرف على وجه اليقين سبب شعوره هنا وبهذه القوة في تلك اللحظة. المهم أنه ليس الشخص الوحيد في الحجرة الذي يعرف معنى عودة اللورد «فولدمورت». لم ير «هاري» خالته «بيتونيا» بهذه الصورة من قبل قط. لم تكن عيناها الكبيرتان الشاحبتان - بخلاف عيني أختها - ضيقتين بسبب الضيق أو الغضب. كانتا واسعتين وخائفتين. والمظهر الغاضب الذي حافظت عليه طوال حياة «هاري».. وتظاهرها بعدم وجود عالم آخر غير الذي تعيشه مع الخال «فرنون».. بدا كأن جدار التظاهر هذا يسقط.

قال «هاري» مخاطبًا الخالة «بيتونيا» مباشرة: «أجل.. عاد منذ شهر. ورأيته».

وجدت يداها كتفي «ددلي» الهائلين وأمسكت بهما.

قال الخال «فرنون» وهو ينقل بصره بين زوجته و«هاري»، مذهولاً ومرتبكًا من هذا التفاهم بينهما: «انتظرا.. دقيقة. لورد فلدود هذا عاد؟»

- «أجل».

- «ذلك الذي قتل والديك؟»

- «أجل».

- «والآن يرسل إلينا (دمنميورات) لتطاردك؟» فقال «هاري»: «على ما يبدو».

قال الخال «فرنون» وهو ينقل بصره بين وجه زوجته الشاحب و«هاري»، ثم يرفع بنطلونه: «واضح». بدا كأنه ينتفخ، ووجهه المحتقن يتمدد أمام عيني «هاري». قال: «حسنًا.. هذا ينهي الموضوع. يمكنك الخروج من المنزل يا ولد». قالها وقميصه يضيق حول خصره وهو يشد جسده.

قال «هاري»: «ماذا؟».

صاح الخال «فرنون»: «سمعتني.. اخرج». حتى الخالة «بيتونيا» و«ددلي» أجفلا فزعًا. «اخرج! اخرج! اضطررت لإيوائك طوال سنوات.. يوم يعامل المكان كأنه حظيرة، وحلوى تنفجر في وجوهنا، ونصف الصالة تدمر، وددلي ينمو له ذيل، ومارج أختي تطير، وتلك السيارة الفورد الطائرة.. اخرج اخرج نلت كفايتي منك. انتهت حياتك معنا! لن تبقى هنا وقاتل مجنون يطاردك. لن أتركك تعرض حياة زوجتي وابني للخطر. ولن تجلب لنا المشاكل. إن كنت قد اخترت طريق والديك الخاسر، فلن تعيش معنا. اخرج!».

وقف «هاري» متجمدًا في مكانه ورسائل الوزارة، والسيد «ويسلي» و«سيرياس» مكومة في يده اليسرى: إياك ومغادرة منزل خالتك وزوجها.

قال الخال «فرنون»: «سمعتني» وهو ينحني للأمام ووجهه الهائل المحتقن يقترب من وجه «هاري» حتى إنه شعر برذاذ من لعابه يصيب وجهه.. «اخرج.. كنت تريد المغادرة منذ نصف ساعة؟ وأنا أؤيدك! اخرج ولا تسوّد مدخل بيتنا بوجهك ثانية! لماذا أبقيناك في منزلنا بالمقام الأول. أنا لا أعرف. كانت مارج محقة، كان يجب إرسالك لملجأ الأيتام. كنا طيبين معك؛ لأننا أصلاء، بالرغم من قدرتنا على التخلص منك، ظننا أننا سنتمكن من تحويلك إلى شخص طبيعي، لكنك عفن منذ البداية، ونلت كفايتي من.. البوم».

مرقت البومة الخامسة عبر المدخنة بسرعة ضربت معها الأرض قبل أن تحلق في الهواء ثانية. رفع «هاري» يده ليقبض على الرسالة التي كانت في مظروف أحمر، لكن البومة ارتفعت فوق رأسه وطارت ناحية الخالة «بيتونيا» مباشرة، التي أطلقت صرخة وأحنت رأسها، وذراعاها فوق وجهها. أسقطت البومة المظروف الأحمر على رأسها، واستدارت، لتطير مغادرة عبر المدخنة.

اندفع «هاري» للأمام ليلتقط الرسالة، لكن الخالة «بيتونيا» سبقته إليها.

قال «هاري»: «يمكنك فتحها لو أردت، لكنني سأسمع ما بها.. فهذه رسالة عاوية».

زأر الخال «فرنون»: «اتركيها يا بيتونيا.. لا تلمسيها، قد تكون خطيرة».

قالت الخالة «بيتونيا» بصوت مرتجف: «إنها موجهة لي.. موجهة لي يا فرنون. انظر: السيدة بيتونيا دورسلي، المطبخ، رقم (٤)، بريفت درايف».

حبست أنفاسها بذعر، وبدأ الدخان ينبعث من المظروف الأحمر.

قال لها «هاري»: «افتحيها.. انتهى من المسألة.. ستتكلم الرسالة شئت أم أبيت».

- «لا».

كانت يدا الخالة «بيتونيا» ترتجفان. أجالت طرفها في المطبخ؛ بحثًا عن طريق للهروب، لكن فات الأوان.. انبعث اللهب من المظروف، وصرخت الخالة «بيتونيا» وأسقطته من يدها.

ملأ الصوت الرهيب المطبخ وصداه يتردد في المساحة الضيقة، صادرًا من المظروف المحترق الملقى على المائدة.

لذكرى آخر كلماتي يا بيتونيا

بدت الخالة «بيتونيا» كأنها ستفقد الوعي. تهاوت على المقعد المجاور لـ«ددلي» ووجهها بين يديها. تحول ما تبقى من المظروف إلى رماد في صمت.

قال الخال «فرنون» بصوت أجش: «ما هذا؟ ماذا.. لا أعرف.. بيتونيا؟».

لم تنطق الخالة «بيتونيا». أخذ «ددلي» يحدق بغباء في أمه، وفمه مفتوح. ظل الصمت فوق رؤوسهم رهيبًا مخيفًا. راقب «هاري» خالته باندهاش شديد، ورأسه الذي يؤلمه كأنه على وشك الانفجار.

قال الخال «فرنون» على استحياء: «بيتونيا يا عزيزتي.. بـ.. بيتونيا؟».

رفعت رأسها. كانت لا تزال ترتجف، وابتلعت ريقها.

قالت بضعف: «الولد.. يجب أن يبقى الولد يا فرنون».

- «مـ.. ماذا؟».

قالت دون النظر إلى «هاري»، وهي تنهض على قدميها ثانية: «سيبقى».

- «لكنه.. لكن يا بيتونيا..».

قالت وهي تستعيد سلوكها العاد المعتاد، وإن كانت لا تزال شاحبة: «إن رميناه إلى الخارج سيتكلم الجيران.. سيسألون أسئلة محرجة، وسيريدون معرفة أين ذهب. علينا إبقاؤه معنا».

انحسر غضب الخال «فرنون» مثل إطار سيارة قديم يتسرب منه الهواء.

ـ «لكن يا بيتونيا. عزيزتي».

تجاهلته زوجته والتفتت إلى «هاري». قالت: «ستبقى في غرفتك. ولن تغادر المنزل. والآن اذهب إلى الفراش».

لم يتحرك «هاري».

ـ «من أين جاءت هذه الرسالة العاوية؟».

بادرته الخالة «بيتونيا» بقولها الحاد: «لا تسأل أي أسئلة».

ـ «هل لك صلة بالسحرة؟».

ـ «قلت لك اذهب إلى الفراش».

ـ «ماذا كانت تعني بقولها تذكري آخر كلماتي؟».

ـ «اذهب إلى الفراش».

ـ «كيف و..؟».

ـ «سمعت خالتك. والآن اذهب إلى الفراش».



٣ فرقـة الحراسـة

لقد هاجمتني (ديمنتورات) منذ قليل، وربما يتم فصلي من هوجورتس. أريد معرفة ما يحدث، ومتى سأتي إليكم

نسخ «هاري» هذه الكلمات القليلة على ثلاث ورقات عندما وصل إلى مكتبه في حجرته المظلمة. وجه الرسالة الأولى إلى «سيرياس». والثانية إلى «رون». والثالثة إلى «هيرميون». كانت بومته ـ «هدويج» ـ قد خرجت تصطاد. أخذ «هاري» يذرع الحجرة جيئة وذهابًا؛ انتظارًا لعودتها، ورأسه يدوي، وعقله مشغول لدرجة لم تسمح له بالنوم حتى مع انتفاخ عينيه من الإرهاق. كان ظهره يوجعه منذ جر «ددلي» إلى البيت، والكدمتان في رأسه الناتجتان عن اصطدامه بالنافذة وبـ«ددلي» تؤلمانه بشدة.

أخذ يسير جيئة وذهابًا، وإحساسه بالغضب والإحباط والغيظ يأكله، مطبقًا أسنانه على بعضها، وقبضتاه مشدودتان، ونظرات غضب تخرج منه إلى السماء المرصعة بالنجوم كلما مر أمام النافذة. (الديمنتورات) جاءت لتهاجمه، والسيدة «فيج» و«مندنجس فلتشر» يحرسانه في السر، ثم إيقافه من «هوجورتس» والمحاكمة في وزارة السحر. ولا أحد حتى الآن يريد إخباره بما يحدث.

ثم عم كانت تتحدث تلك الرسالة العاوية؟ صوت مَنْ هذا الذي تردد بتلك الفظاعة، وتلك النبرة التهديدية، في المطبخ؟ لماذا لا يزال محبوسًا هنا دون أية معلومات تفسر له أي شيء؟ لماذا يعامله الجميع على أنه طفل شقي؟ *إياك والقيام بأي سحر، وابق في المنزل*.

ركل حقيبة مدرسته وهو يمر بجانبها، لكنه لم يشعر بالراحة أو بانحسار غضبه، بل أحس إحساسًا أسوأ، بعد أن أضيف ألم في أصبع قدمه إلى آلامه.

وهو يعرج بجوار النافذة، طارت «هدويج» إلى داخل الحجرة بصوت رفرفة ناعم من أجنحتها مثل شبح صغير.

قال «هاري» مزمجراً وهي تحط بخفة على قمة القفص: «جئت في وقتك. اتركي هذا الصيد، فلدي عمل لك».

حدقت فيه عينا «هدويج» الكبيرتان، المستديرتان، العنبريتان من فوق الضفدع الميتة التي تحملها في منقارها.

قال وهو يلتقط اللفافات الثلاث الصغيرة من الورق وحزامًا جلديًا صغيراً لربطها في قدمها: «خذي هذه إلى سيرياس، ورون، وهيرميون ولا تعودي إلا محملة بردود طويلة منهم. انقريهم حتى يكتبوا رسائل محترمة الطول. هل فهمت؟».

صدر عن «هدويج» صوت مكتوم، ومنقارها لا يزال قابضًا على الضفدع قال لها: «هيا. انهبي».

طارت على الفور. ولحظة خروجها ألقى بنفسه على الفراش دون أن يخلع ملابسه، وحدق في السقف المظلم بالإضافة لكل المشاعر البائسة التي تجتاحه فهو يشعر الآن بالذنب بسبب إزعاجه لـ «هدويج». فقد كانت صديقته الوحيدة في المنزل رقم (٤) بشارع «بريفت درايف». لكنه سيعوضها عندما تعود بالإجابات من «سيرياس» و«رون» و«هيرميون».

سيكون عليهم الرد بسرعة. لا يمكن طبعًا أن يتجاهلوا التعليق على هجوم (الديمنتورات). على الأرجح سينهض من نومه غداً ليجد ثلاث رسائل كبيرة مليئة بالتعاطف، وخطط لنقله فوراً إلى منزل «رون». وبهذه الفكرة المريحة حل عليه النوم، ليمنع أية أفكار جديدة قد تواتيه.

***

لكن «هدويج» لم تعد صباح اليوم التالي. قضى «هاري» يومه في الفراش، يفارقه عندما يذهب إلى دورة المياه فقط. ثلاث مرات على مدى ذلك اليوم دفعت الخالة «بيتونيا» بالطعام إلى حجرته وكل مرة يسمعها تقترب يحاول سؤالها عن الرسالة العاوية، لكن الأمر كان أشبه باستجواب مقبض الباب، فلم يحصل منها على أية إجابات. بخلاف ذلك ابتعد آل «دورسلي» عن حجرته. لم ير سببًا ليفرض نفسه عليهم، فشجار آخر معهم لن يفلح في شيء سوى إثارة غضبه ثانية؛ مما قد يدفعه لأداء المزيد من السحر غير القانوني.

وهكذا استمر الحال لمدة ثلاثة أيام كاملة. كان «هاري» يشعر بطاقة مقلقة

راكدة، تجعله غير قادر على الاستقرار على أي شيء، فكان يذرع حجرته جيئة وذهابًا، غاضبًا منهم جميعًا؛ لتركهم إياه تضطرم الحيرة في صدره، وبلامبالاة تامة تدفعه للاستلقاء على فراشه لساعة دون أن ينهض، محدقًا في الفراغ فوقه. فكرة محاكمة الوزارة كانت تؤلمه وترهبه.

ماذا لو أصدروا حكمًا ضده؟ ماذا لو فصلوه وكسروا عصاه السحرية إلى نصفين؟ ماذا سيفعل وقتها؟ وأين سيذهب؟ لن يمكنه العودة والعيش مع آل «دورسلي» بصفة نهائية، ليس بعد أن عرف العالم الآخر، العالم الذي ينتمي إليه. ربما يعيش في منزل «سيرياس»، كما اقترح عليه «سيرياس» نفسه قبل عام، هل سيسمحون لـ«هاري» بالعيش هناك وحده؟ علمًا بأنه لم يبلغ السن القانونية بعد؟ أم سيقررون مسألة إقامته بأنفسهم؟ وهل انتهاكه لقانون «سرية السحرة الكونفدرالي الدولي» قوي بما يكفي ليضعوه في زنزانة بسجن «أزكابان»؟ وكلما ورد هذا الخاطر على باله؛ غادر فراشه وبدأ في السير بالحجرة جيئة وذهابًا ثانية.

وفي الليلة الرابعة بعد مغادرة «هدويج»، كان «هاري» راقدًا في حالة بائسة، محدقًا في السقف، وعقله المجهد خاليًا من أية أفكار، عندما ولج زوج خالته إلى الحجرة. تطلع «هاري» ببطء إليه. كان الخال «فرنون» مرتديًا أفضل سترة لديه وعلى وجهه نظرة سمجة لا تطاق.

قال: «إننا سنخرج».

«عذرًا؟ لم أسمع».

«إننا.. أعني أنا وخالتك وددلي، سنخرج».

قال «هاري» بفتور معاوداً النظر إلى السقف: «حسنًا».

«ولن تغادر غرفتك ونحن بالخارج».

«مفهوم».

«ولا تلمس التليفزيون، ولا المذياع، ولا أي شيء من ممتلكاتنا».

«واضح».

«ولا تسرق أي شيء من الثلاجة».

«طبعًا».

«وسأقفل باب غرفتك بالمفتاح».

«كما تشاء. اقفله».

حدق الخال «فرنون» في «هاري» بريبة بسبب عدم جدال الأخير، ثم خرج وأغلق الباب خلفه. سمع «هاري» المفتاح يدور في القفل، وخطوات الخال «فرنون» تهبط السلم. وبعد دقائق سمع صوت إغلاق أبواب السيارة، وجلبة المحرك، ثم صوت السيارة وهي تسير عبر الحديقة الأمامية للمنزل.

لم يفرح لخروج آل «دورسلي». ليس ثمة فرق بين وجودهم في البيت وغيابهم عنه. لم يقدر على استجماع الطاقة الكافية للنهوض وإضاءة أنوار حجرته. عم الظلام من حوله وهو راقد ينصت لأصوات الليل عبر النافذة التي يبقيها مفتوحة دومًا، انتظارًا للحظة الفرج وعودة «هدويج».

سمع أصوات البيت الصامت، وصرير أنابيب المياه. رقد في حالة من الخدر، غارقًا في تعاسته ويأسه، وهو لا يفكر في أي شيء.

ثم سمع صوت ارتطام بنافذة المطبخ أسفله.

هب من رقاده ناهضًا، وأصغى السمع. لا يمكن أن يكون آل «دورسلي» قد عادوا بهذه السرعة، فهو لم يسمع صوت سيارتهم.

عم الصمت لثوانٍ قليلة، ثم جاءته أصوات.

قال لنفسه: إنهم لصوص. ونهض من الفراش على قدميه. لكن بعد جزء من الثانية ورد إلى خاطره أن اللصوص يحاولون دومًا خفض أصواتهم، وأيًا من كان بالمطبخ فهو لم يهتم بكتم صوته.

اختطف عصاه السحرية من على المائدة المجاورة لفراشه، ووقف في مواجهة باب الحجرة، يستمع لأقل صوت يصدر. وبعد لحظة قفز والقفل يصدر عنه صوت معدني وباب حجرته يُفتح.

وقف «هاري» جامدًا في مكانه، ناظرًا عبر الباب المفتوح إلى بداية السلم الهابط إلى أسفل من خلفه، محاولاً الإنصات للمزيد من الأصوات. لكنه لم يسمع شيئًا. تردد للحظة ثم تقدم بسرعة وبهدوء عبر الحجرة إلى السلم.

تقافز قلبه بين ضلوعه. هناك أشخاص واقفون في الصالة بالأسفل. لا يبدو منهم سوى ظلال على خلفية من أضواء الشارع القادمة من باب المنزل الزجاجي. حوالي ثمانية أو تسعة أفراد، وجميعهم يتطلعون إليه.

قال صوت هادئ خفيض: «اخفض عصاك يا ولد قبل أن تصيب عين أحدهم».

نبض «هاري» بقوة. كان يعرف هذا الصوت، لكنه لم يخفض عصاه.

قال والشك يملؤه: «الأستاذ مودي؟».

قال الصوت الهادئ: «لا أعرف إن كنت أستاذًا أم لا.. فأنا لم أدرس كثيرًا، أليس كذلك؟ تعال هنا. نريد رؤيتك عن قرب».

خفض «هاري» عصاه السحرية قليلاً، لكنه لم يرخ قبضته المحكمة حولها، ولم يتحرك. كان لديه ما يكفي من الأسباب للشك. فقد قضى ما يقرب من تسعة أشهر في صحبة من كان يعتقد أنه «ماد آي مودي»[1]، ليكتشف في النهاية أنه شخص زائف، وأنه ليس «مودي» بالمرة، لكنه شخص آخر انتحل شخصيته، بل وحاول قتل «هاري» قبل أن يكتشفوا سره. لكن قبل أن يتخذ قرارًا بشأن ما سيفعله، جاءه صوت آخر واهن من الأسفل يقول: «لا تقلق يا «هاري». لقد جئنا لنأخذك معنا».

خفق قلبه بقوة. فهو يعرف هذا الصوت، وإن لم يسمعه منذ عام.

قال بنبرة من لا يصدق: «الأسـ.. الأستاذ «لوبين»؟ هل هذا أنت؟».

قال صوت ثالث غير مألوف لـ «هاري»: «لماذا نقف في الظلام. لوموس». أضاء طرف عصا سحرية، ليغمر الضوء السحري الصالة. طرفت عينا «هاري». كان المتجمعون بالأسفل واقفين عند أول السلم، وهم يرمقونه باهتمام، وبعضهم قد أمال رأسه؛ سعيًا لرؤية أفضل.

كان «ريموس لوبين» أقربهم إليه. بالرغم من أنه لا يزال شابًا، بدا مرهقًا ومريضًا. كان الشعر الرمادي في رأسه قد زاد منذ ودعه «هاري» لآخر مرة، وعباءته أشد قدمًا ورثاثة. لكنه كان يبتسم ابتسامة عريضة لـ«هاري»، الذي حاول مبادلته الابتسام بالرغم من حالة الصدمة التي كان يعاني منها.

قالت الساحرة التي ترفع عصاها السحرية مضاءة: «يااه. إن مظهره مثلما خمنت تمامًا». بدت الأصغر، بوجهها الشبيه بشكل القلب، وعينيها السوداوين اللامعتين، وشعرها القصير المتناثر بلونه البنفسجي. «أهلاً يا هاري».

(١) أو «مودي ذو العين الجنونية» وهو ساحر قدير مخضرم من أصدقاء «هاري» و«دمبلدور». وأصل الاسم أن له عينًا سحرية تدور في محجرها بجنون طوال الوقت، وترى أمامه وخلفه وتخترق الجدران لترى ما خلفها، بل والأشياء الخفية التي لا تراها العين العادية (المترجم)

قال ساحر أصلع داكن البشرة: «أجل. أفهم ما تعنيه يا ريموس» كان صوته عميقًا وبطيئًا ويرتدي قردة حلق واحدة في أذنه. «إنه يشبه جيمس تمامًا».

قال صوت أشبه بالأزيز: «فيما عدا العينين، فهما أشبه بعيني ليلي» كان هذا ساحرًا فضي الشعر واقفًا في الخلف.

تطلع «ماد آي مودي» ذو الشعر الفضي الكثيف والطويل، والقطعة الكبيرة المفقودة من أنفه، بريبة إلى «هاري» بعينه السحرية. كانت إحدى عينيه صغيرة، وخرزية الشكل، والأخرى كبيرة ومستديرة ولونها أزرق لامعًا وهي عينه السحرية التي ترى عبر الحوائط والأبواب ومؤخرة رأسه ذاتها

هدر قائلاً: «هل أنت واثق أنه هو يا لوبين؟ سيكون أمرًا طريفًا لو عدنا ومعنا أحد أكلة الموت متنكرًا في هيئته. علينا سؤاله عن شيء لا يعرفه سوى بوتر الحقيقي. إلا إذا كنت قد أحضرت معك بعضًا من (الفيريتاثيرام)[1]».

سأله «لوبين»: «هاري، ما هو شكل الباتروناس الذي تطلقه؟».

قال «هاري» بعصبية: «أيل».

قال «لوبين»: «إنه هو يا ماد آي».

هبط «هاري» السلم وهو شاعر بجميع المحدقين فيه واضعًا عصاه السحرية في جيب بنطلونه «الجينز» الخلفي.

زأر «مودي»: «لا تضع عصاك السحرية في هذا الجيب يا ولد! ماذا لو انطلق منها الشرر؟ كم من ساحر أمهر منك فقد مؤخرته في مواقف مماثلة!».

سألت الساحرة البنفسجية الشعر «مودي» باهتمام: «ومن تعرفه فقد مؤخرته؟».

هدر «ماد آي» قائلاً: «لا تكترثي، وأبقي عصاك السحرية مشهرة وبعيدة عن جيبك الخلفي!. لم يعد أحد يهتم بقواعد أمان العصا السحرية الأساسية» ثم وهو يقترب من المطبخ: «كما أنني رأيت ما فعلت» والسيدة ترفع عينيها بعصبية نحو السقف.

مد «لوبين» يده ليصافح «هاري».

سأله وهو ينظر إليه عن قرب: «كيف حالك؟».

«بـ.. بخير».

(1) Veritaserum واضح من الاسم أنه مشروب أو سائل سحري ما يتحقق من الشخصية، فهو مكون من مقطعين بمعنى «عقار التثبت» (المترجم).

لم يصدق «هاري» نفسه. بعد أربعة أسابيع من الخواء، دون أدنى إشارة على وجود خطة لنقله من «بريفت درايف»، فجأة يجد مجموعة كبيرة من السحرة واقفين في المنزل كأن الأمر مخطط له منذ زمن. نظر إلى المحيطين بـ «لوبين»، كانوا لايزالون يحدقون فيه باهتمام. شعر بالحرج من شعره غير المصفف منذ أربعة أيام.

أخذ يغمغم: «أنا.. أنتم محظوظون فعلاً أن آل دورسلي قد غادروا..».

قالت المرأة البنفسجية الشعر: «محظوظون؟ هاه. أنا من أقنعتهم بالخروج. أرسلت لهم رسالة ببريد العامة أخبرهم فيها بأنهم قد تم اختيارهم كفائزين في مسابقة حدائق الضواحي البريطانية. وهم في طريقهم الآن لتسلم الجائزة.. أو يحسبون أنهم سيتسلمونها».

رأى «هاري» بعين الخيال وجه الخال «فرنون» بعد أن يدرك زيف المسابقة.

سألهم: «نحن سنغادر.. أليس كذلك؟ بسرعة؟».

قال «لوبين»: «على الفور. لكننا ننتظر إشارة التأمين».

تساءل «هاري» بتطلع شديد: «أين سنذهب؟ إلى الباور؟».

قال «لوبين» وهو يشير إلى «هاري» ليتجه إلى المطبخ: «لا.. ليس إلى الباور» تبعه جماعة السحرة، وعيونهم - جميعهم - لا تبتعد عن «هاري» مليئة بالفضول. أضاف قائلاً: «الإقامة هناك خطرة. لقد أقمنا مقرنا في مكان آخر لا يعرف بأمره أحد. استغرق الأمر منا زمنًا لإعداده..».

جلس «ماد آي مودي» إلى مائدة المطبخ وأخذ يشرب من قدر كبيرة، وعينه السحرية تدور في كل الاتجاهات، ليشاهد ما بمطبخ آل «دورسلي».

أضاف «لوبين» وهو يشير نحو «مودي»: «هذا ألاستور مودي يا هاري».

قال «هاري» بعدم ارتياح: «أجل.. أعرف» شعر بغرابة في تعريفه بشخص ظن أنه يعرفه لمدة عام كامل.

«وهذه نيمفادورا..».

قالت الساحرة بضيق: «لا تطلق عليّ نيمفادورا يا ريموس.. اسمي تونكس».

أنهى «لوبين» كلامه قائلاً: «نيمفادورا تونكس، وهي تحب أن تنادى عليها باسم أبيها فقط».

قالت: «كنت ستفعل مثلي لو أطلقت أمك عليك اسمًا سخيفًا كنيمفادورا».

أشار إلى الساحر الأسود الطويل وقال: «وهذا كنجسلي شاكلبولت» الذي انحنى محييًا إياه. ثم: «إلفياس دوج» فأومأ الساحر الذي كان صوته أشبه بالأزيز. ثم: «ديدالوس ديجل».

صاح «ديجل» بحماس: «لقد التقينا من قبل» وهو يرفع قبعته البنفسجية «إيميلين فانس» أومأت ساحرة مهيبة الطلعة ترتدي شالاً أخضر ياقوتيًا. ثم: «ستورجيس بودمور» فغمز ساحر مربع الفك ذو شعر كثيف كالقش. و: «هستيا جونس» فلوحت ساحرة وردية الوجنتات سوداء الشعر بيدها وهي واقفة بالقرب من المحمصة.

أحنى «هاري» رأسه باحترام لكل منهم أثناء تعريفه بهم. تمنى لو نظروا إلى شيء آخر غيره، كان الأمر كما لو أنه قد وقف فجأة على خشبة المسرح. وتساءل لماذا كانوا كثيرين هكذا؟

قال «لوبين» كأنه قرأ ما يدور بعقل «هاري» وطرفا فمه يختلجان قليلاً: «تطوع كمٌ مدهش من الناس للقدوم والعودة بك».

قال «مودي»: «أجل. كلما زاد العدد كان أفضل. نحن حراسك يا هاري».

قال «لوبين» وهو يختلس نظرة سريعة عبر نافذة المطبخ: «إننا فقط ننتظر إشارة الأمان للخروج. لدينا خمس عشرة دقيقة أخرى».

قالت «تونكس»: «يالنظافة هؤلاء العامة!» كانت تنظر حولها عبر المطبخ باهتمام بالغ. أضافت: «أبي في الأصل أحد العامة، لكنه ليس نظيفًا.. لا بد أن الأمر يختلف من شخص إلى آخر، مثلما هو الحال مع السحرة».

قال «هاري»: «آ.. أجل.. انظر» عاود النظر إلى «لوبين» وأضاف: «ماذا يجري؟ لم أسمع بأي شيء من أي أحد.. هل فول..؟».

صدر عن العديد من السحرة والساحرات الحاضرين هسيس احتجاج. أسقط «ديدالوس ديجل» قبعته ثانية، وهدر «مودي» قائلاً: «اصمت!».

قال «هاري»: «ماذا؟».

قال «مودي» وهو يدير عينه الطبيعية إلى «هاري»: «لن نناقش أي شيء هنا، فالأمر فيه مخاطرة كبيرة» ظلت عينه السحرية مركزة على السقف. أضاف بغضب: «اللعنة» ثم رفع يده إلى عينه السحرية قائلاً: «إنها كثيرة الالتصاق.. خاصة منذ ارتداها ذلك الحثالة».

وبصوت لزج مقزز، أخرج عينه من محجرها.

قالت «تونكس» بلهجة من يريد النقاش: «ألا تظن يا «ماد آي» أن ما فعلته مقزز؟».

قال «مودي» لـ «هاري»: «هلا أحضرت لي كوبًا من الماء يا هاري».

عبر «هاري» إلى الحوض، وأخرج كوبًا نظيفًا وملأه بالماء من الصنبور. وفريق السحرة ما زال يراقبه باهتمام. بدأت نظراتهم المطلقة تزعجه.

قال «مودي» عندما ناوله «هاري» الكوب: «في صحتك!». أسقط فيه العين السحرية وأخذ يغطسها في الماء فتناثر من الكوب، حدق فيهم واحداً تلو الآخر قائلاً: «يجب أن تكون رؤيتي أثناء العودة بسعة ٣٦٠ درجة».

سأل «هاري»: «وكيف سـ.. وأين سنذهب؟».

قال «لوبين»: «سنطير على المقشات السحرية. إنها الطريقة الوحيدة المركة. أنت صغير على الاختفاء السحري، ومن المؤكد أنهم يراقبون شبكة الفلو للتنقل. والمخاطرة كبيرة جداً لدرجة لا نقدر معها على فتح بوابة نقل سحرية غير مصرح بها».

قال «كنجسلي شاكلبولت» بصوته العميق: «يقول ريموس إنك راكب مقشات ماهر».

قال «لوبين» وهو ينظر إلى ساعته: «إنه ممتاز. على أية حال الأفضل أن تذهب وتجهز حقيبتك يا هاري. علينا الاستعداد للإقلاع مع وصول الإشارة».

قالت «تونكس» بنبرة مشرقة: «سآتي وأساعدك».

تبعت «هاري» إلى الصالة ثم أعلى السلم، وهي تنظر حولها باهتمام وفضول. قالت: «مكان غريب.. إنه نظيف إلى حد غير معقول. غير طبيعي في نظافته. أ.. هكذا أفضل» قالتها معلقة على حالة حجرة «هاري». وأضاء هو الأنوار.

كانت حجرته بالتأكيد أقل نظافة من باقي المنزل. ومع حبسه بها لمدة أربعة أيام في مزاج معتل، فلم يحاول تنظيفها. معظم الكتب كانت ملقاة على الأرض حيث حاول أن يشتت تركيزه عن مشكلته بقراءتها، ثم ألقى بها. وقفص «هدويج» يحتاج للتنظيف والتخلص من رائحته الكريهة، وحقيبته ملقاة مفتوحة، كاشفة عن مزيج من ملابس العامة وعباءة رماها على الأرض.

بدأ «هاري» في التقاط الكتب وإلقائها على عجلة في حقيبته. توقفت

«تونكس» عند باب خزانته المفتوحة لتنظر نظرة ناقدة فاحصة على انعكاسها في المرآة المركبة داخل باب الخزانة.

قالت مستغرقة في التفكير: «أتعرف؟ لا أحسب اللون البنفسجي لونًا مناسبًا لي» وهي تمسك بخصلة من شعرها المتناثر. أضافت: «ألا ترى أنه يجعلني أبدو حادة المظهر؟».

قال «هاري» في حيرة وهو ينظر إليها من فوق كتاب: «فرق الكويدتش في بريطانيا وأيرلندا»: «أ... لا».

قالت «تونكس» بنبرة حاسمة: «أجل...» رفعت عينيها في تعبير قلق كأنها تجاهد لتذكر شيئًا ما. وبعد ثانية تحول شعرها إلى لون وردي أشبه بلون العلك.

قالت وهي تنظر ثانية إلى انعكاسها في المرآة، ثم وهي تدير رأسها لترى شعرها من كل الجوانب: «أنا (ميتامورفماجوس)، بمعنى أنني قادرة على تغيير شكلي بإرادتي» أضافت العبارة الأخيرة بعد أن لاحظت تعجب «هاري» الواقف خلفها في المرآة. «لقد ولدت بهذه الحالة وحصلت على أعلى الدرجات في دورات الاختفاء والتنكر أثناء التدريب على قتال السحر الأسود دون أي دراسة أو استذكار، كم كان الأمر ممتعًا».

قال «هاري» مندهشًا: «هل أنت مقاتلة للسحر الأسود؟» فقد كان قتال السحر الأسود هو المستقبل المهني الوحيد الذي يتمناه بعد التخرج.

قالت «تونكس» بفخر: «أجل... وكذا كنجسلي، لكنه أعلى رتبة مني بقليل، فأنا قد تأهلت للوظيفة منذ عام فقط وكدت أفشل في اختبار التسلل والتتبع فأنا خرقاء للغاية، هل سمعت صوت تحطم ذلك الطبق عندما وصلنا؟».

سألها «هاري» وهو يستقيم في وقفته وقد نسي أمر الحقيبة تمامًا: «وهل يمكن تعلم خاصية (الميتامورفماجوس)؟».

أجابته «تونكس» ضاحكة:

«أراهن أنك ترغب في إخفاء تلك الندبة أحيانًا... أليس كذلك؟».

غمغم «هاري»: «بلى». فهو لا يحب أن يحدق الناس في ندبته.

قالت «تونكس»: «لكنك ستحتاج للتعلم بالأسلوب الصعب على ما أعتقد... فمن يقدرون على (الميتامورفماجوس) نادرو الوجود، فهم يولدون هكذا، ولا يتعلمون بالممارسة. معظم السحرة يحتاجون لعصا سحرية أو تركيبة سحرية لتغيير

مظهرهم... لكن هيا يا هاري، علينا الانتهاء من حزم الحقيبة» أضافت العبارة الأخيرة مصاحبة بإحساس بالذنب، وهي تنظر إلى الأشياء المكومة على الأرض.

قال «هاري» ملتقطًا بعض الكتب: «أجل... هيا».

صاحت «تونكس»: «لا تكن أحمق... سيكون الأمر أسهل لو حزمت أنا الحقيبة» ثم لوحت بعصاها السحرية في حركة طويلة ناعمة فوق الأرض.

طارت الكتب، والملابس، والتلسكوب، وباقي الأشياء في الهواء واستقرت بعشوائية في الحقيبة.

قالت «تونكس» وهي تسير فوقها لتنظر إلى ما كوم داخلها: «ليست مصفوفة بعناية. أمي موهوبة في رص الأشياء سحريًا... حتى إنها تصف الجوارب وحدها... لكنني لم أعرف أبدًا كيف تفعل هذا... كانت تدير عصاها بسرعة هكذا» وأدارت عصاها في حركة حادة، أملًا في محاكاة أمها.

ارتعش أحد جوارب «هاري» ارتعاشة خفيفة، وطار ليحط في الحقيبة.

قالت «تونكس» وهي تحكم غلق الحقيبة: «رائع... على الأقل دخلت كل الأشياء الحقيبة. والأفضل أن نقوم ببعض التنظيف أيضًا» وأشارت بعصاها السحرية نحو قفص «هدويج» قائلة: «سكورجيفاي». فاختفى بعض الريش والفضلات... قالت: «حسنًا... صار القفص أفضل قليلًا... فأنا لم أتمكن أبدًا من أداء تعاويذ التدبير المنزلي. طيب... هل معنا كل شيء؟ وإناء التراكيب السحرية؟ والمقشة؟ ياه! هل هذه مقشة موديل فايربولت؟».

اتسعت عيناها عند وقوعهما على مقشة «هاري» التي أمسك بها بيده اليمنى. كانت سر فخره وسروره، هدية من «سيرياس»، مقشة قوية مصنوعة بمعايير دولية.

قالت «تونكس» بحسد: «وأنا لا تزال مقشتي موديل كوميت ٢٦٠... حسنًا... هل لا تزال عصاك في جيبك ومؤخرتك سليمة؟ إذن هيا بنا... لوكوموتور ترانك»(١).

ارتفعت حقيبة «هاري» بضع بوصات في الهواء، وهي مشهرة عصاها السحرية مثل عصا محصل الحافلة، جعلت «تونكس» الحقيبة تحلق عبر

(١) أي «تنطيري يا حقيبة». بالرغم من أن معظم التعاويذ تلقى بلغة شبيهة باللاتينية فإن بعضها بالإنجليزية، لكن لتوحيد لغة إلقاء التعاويذ، لن نذكر أيًا منها بالعربية (المترجم).

الحجرة وتخرج من الباب أمامهما، وقفص «هدويج» في يدها اليسرى. تبعها «هاري» أسفل السلم حاملاً مقشته السحرية.

في المطبخ أعاد «مودي» تركيب عينه، والتي أمست تدور بسرعة أكبر بعد تنظيفها؛ مما يصيب «هاري» بالغثيان وهو ينظر إليها ويلاحق حركتها. كان «كنجسلي شاكلبولت» و«ستورجيس بودمور» يفحصان الفرن (الميكروويف) و«هستيا جونس» تضحك على آلة تقشير البطاطس التي وجدتها وهي تعبث بالأدراج. و«لوبين» يغلق خطابًا موجهًا إلى آل «دورسلي».

قال «لوبين» وهو ينظر جهة «تونكس» و«هاري» وهما يدخلان المطبخ: «ممتاز.. لدينا دقيقة واحدة باقية. يجب الخروج إلى الحديقة حتى نستعد. لقد تركت رسالة أخبر فيها خالتك وزوجها ألا يقلقا يا هاري..».

قال «هاري»: «لن يقلقا».

«.. وأنك بخير..».

«سيصيبهم هذا بالاكتئاب».

«.. وأنك ستعود إليهم الصيف القادم».

«وهل عليّ هذا؟».

ابتسم «لوبين» ولم يجبه.

قال «مودي» بفظاظة وهو يشير نحو «هاري» بعصاه السحرية ليتقدم نحوه: «تعال هنا يا ولد.. أريد إخفاءك».

قال «هاري» بعصبية: «تريد ماذا؟».

قال «مودي» رافعًا عصاه: «تعويذة الإخفاء.. يقول لوبين: إن معك عباءة إخفاء، لكنها لن تستقر عليك ونحن طائرون.. هذه التعويذة ستخفيك جيدًا.. ها هي..».

ضربه بشدة على قمة رأسه، فشعر «هاري» بإحساس طريف، كما لو أن «مودي» قد كسر بيضة على رأسه.. وأحس بسائل بارد يغلف جسده من حيث ضربه بالعصا السحرية. قالت «تونكس» بنبرة تقدير وهي تحدق في «هاري»: «أداء جيد للتعويذة يا ماد آي».

نظر «هاري» نحو جسده.. بل ما بدا أنه جسده؛ لأنه لم يبد كجسده. لم يكن خفيًا، بل قد اتخذ نفس لون وملمس المطبخ من خلفه. كأنه تحول إلى حرباء آدمية.

قال «مودي» وهو يفتح الباب الخلفي بعصاه السحرية: «هيا بنا».. خطوا جميعًا إلى حديقة الخال «فرنون» الخلفية الجميلة المشذبة.

قال «مودي» وعينه السحرية تمسح السماء: «يا لها من ليلة صافية.. تمنيت لو كان بالسماء بعض السحاب كغطاء لنا». ثم صاح في «هاري»: «وأنت.. سنطير في حلقة طائرة.. ستكون تونكس أمامك مباشرة؛ فابق قريبًا منها. ولوبين سيغطيك من الأسفل، وأنا سأطير خلفك، والباقون سيحلقون حولنا. لا نريد تغيير هذا النظام لأي سبب. مفهوم؟ إن قُتل أحدنا فسوف..».

سأله «هاري» بقلق: «وهل هذا احتمال قائم؟» لكن «مودي» تجاهله.

«.. فسوف يستمر الباقون في الطيران، ولن يتوقفوا أبدًا ولن يغيروا نظام الطيران. إن قتلونا جميعًا ونجوت أنت يا هاري، فهناك حرس احتياطي لتولي باقي المهمة.. داوم على الطيران نحو الشرق وسينضموا إليك».

قالت «تونكس» وهي تربط حقيبة «هاري» وقفص «هدويج» في حزام مربوط بمقشتها: «يا للبهجة التي تثيرها يا ماد آي، ابق مرحًا هكذا وسيظن أننا لسنا جادين».

هدر «مودي» قائلاً: «أنا أخبر الولد بالخطة فقط.. مهمتنا هي توصيله بأمان إلى المقر، حتى لو قُتلنا جميعًا أثناء المحاولة..».

قال «كنجسلي شاكلبولت» بصوته العميق الهادئ: «لن يُقتل أحد».

قال «لوبين» بحدة وهو يشير إلى السماء: «اركبوا مقشاتكم.. ها هي الإشارة الأولى!». بعيد، بعيد فوقهم لمعت شرارات حمراء بين النجوم. عرف «هاري» فورًا أنها شرارات نابعة من عصا سحرية. رفع قدمه اليمنى فوق مقشته (الفايربولت)، وأمسك بعصاها بإحكام، وشعر بها تهتز قليلاً أسفله، كأنها مثله تريد التحليق في الهواء مرة أخرى.

قال «لوبين» بصوت مرتفع مع انطلاق المزيد من الشرارات، الخضراء هذه المرة، وبعد أن تفجرت فوقهم: «الإشارة الثانية.. هيا بنا».

ركل «هاري» الأرض بقوة. تدفق هواء الليل البارد عبر خصلات شعره مع ابتعاد حدائق شارع «بريفت درايف» المربعة عنه، وهي تتضاءل سريعًا إلى ما يشبه بقعًا من اللونين الأخضر والأسود، فانسحب من عقله أي قلق بشأن محاكمة الوزارة.. كأن الهواء المندفع قد طير هذه الأفكار من رأسه. شعر كأن

قلبه سينفطر من الفرحة. كان يطير مرة أخرى، يطير مبتعداً عن «بريفت درايف» الذي انحبس فيه طوال الصيف، وسيعود إلى بيته.. وللحظات قليلة تحولت مشكلاته إلى لا شيء.. أصبحت تافهة وسط هذه السماء الشاسعة الواسعة.

صاح «مودى» من خلفه: «خذ يسارك بشدة، يوجد عامة ينظرون إلى أعلى» انحرفت «تونكس» وتبعها «هارى»، وهو يراقب حقيبته تتأرجح خلف مقشتها. أضاف «مودى»: «نحن بحاجة للارتفاع.. ارتفعوا ربع ميل آخر».

دمعت عينا «هارى» بسبب البرودة التى قابلتهم وهم يرتفعون لأعلى.. لم ير أسفله سوى أضواء صغيرة، هى مصابيح الشوارع والسيارات. قد يكون زوج من هذه الأضواء لسيارة الخال «فرنون».. لعل آل «دورسلى» فى طريقهم إلى بيتهم الخاوى، يملؤهم الغيظ من المسابقة المزيفة. ضحك «هارى» بقوة من الفكرة، فتبدد صوته وسط أصوات خفقان عباءات الآخرين، وصرير الحزام الذى يربط حقيبته والقفص، وصوت الرياح فى آذانهم وهم يحلقون فى الهواء. لم يشعر بهذه الحيوية، أو السعادة، منذ شهور.

صاح «ماد آى»: «اتجهوا جنوبًا.. فأمامنا بلدة».

داروا نحو اليمين لتفادى المرور فوق شبكة الأضواء العنكبوتية التى تلمع أسفلهم.

صاح «مودى»: «نحو الجنوب الشرقى، واستمروا فى الارتفاع، أمامنا بعض السحب المنخفضة، فهى أفضل للاختفاء».

صاحت «تونكس» بغضب: «لن نطير وسط السحب.. ستغرقنا يا ماد آى».

تنفس «هارى» الصعداء لسماع احتجاجها، فقد كانت يداه آخذتين فى التجمد على مقبض المقشة. تمنى لو كان عليه معطف، فقد بدأ يرتجف.

مضوا إلى الأمام وهم يغيرون من مسارهم بين الحين والآخر، تبعًا لتعليمات «ماد آى». أغمض «هارى» عينيه؛ ليتخلص من الرياح الباردة التى أصابت أذنيه بالألم. تذكر تلك البرودة وهو طائر على مقشة مرة واحدة أثناء مباراة «الكويدتش» ضد فريق «هافلباف» فى عامه الدراسى الثالث، والتى وقعت وسط عاصفة.. كان الحراس من حوله لا يكفون عن الارتقاء كطيور صيادة. فقد «هارى» إحساسه بالزمن، وتساءل: منذ متى وهو يطير؟ بدا كأن ساعة على الأقل مرت عليهم.

صاح «مودى»: «نحو الجنوب الغربى.. يجب تفادى الطريق السريع».

أصيب «هارى» ببرودة شديدة لدرجة أنه حن للسيارات الدافئة الجافة التى تسير أسفلهم، طار «كنجسلى شاكلبولت» حوله، وحلق أذنه وصلعته يلمعان على ضوء القمر.. وصارت «إيميلين فانس» إلى يمينه، وعصاها السحرية مشهرة، ورأسها تدور ذات اليمين وذات اليسار، ثم حلقت هى الأخرى فوقه، ليأتى مكانها «ستورجيس بودمور».

صاح «مودى»: «علينا الالتفاف والسير بالعكس لبعض الوقت، لنضمن أنه لا يتبعنا أحد».

صرخت «تونكس»: «هل جننت يا ماد آى؟ ستتجمد على مقشاتنا.. مع دوام الانحراف عن مسارنا، لن نصل قبل الأسبوع القادم.. كما أننا كدنا نصل».

جاء صوت «لوبين»: «حان وقت الهبوط.. اتبع تونكس يا هارى».

تبع «هارى» «تونكس» وهى تهبط لأسفل على مقشتها. كانوا فى طريقهم إلى أكبر تجمع ضوئى يراه.. شبكات من الأضواء المتداخلة والمتشابكة، بينها بقع من السواد والظلام. طاروا على ارتفاع أقل وأقل، حتى رأى «هارى» مصابيح الشوارع واحدة واحدة، والمداخن، وهوائيات التليفزيون. ود لو يصل إلى الأرض قريبًا، بالرغم من إحساسه بأنهم سيضطرون لفك جسده المتجمد على المقشة.

قالت «تونكس»: «ها قد وصلنا»، وبعد ثوانٍ حطت على الأرض.

لامس «هارى» الأرض خلفها، وترجل على المقشة؛ ليقف على عشب كثيف فى ميدان صغير. كانت «تونكس» قد فكت حقيبة «هارى». أخذ ينظر حوله مرتجفًا، لم تكن واجهات البيوت حولهم مرحبة أو ودودة.. بعضها له نوافذ مكسورة، وبعضها يلمع لانعكاس ضياء مصابيح الشوارع عليها، وطلاء بعض الأبواب حائل اللون، وأكوام من القمامة ملقاة أمام المداخل.

تساءل «هارى»: «أين نحن؟»، لكن «لوبين» قال بهدوء: «ستعرف بعد دقيقة».

عبث «مودى» بعباءته، ويداه ترتجفان من البرد.

غمغم قائلاً: «وجدتها»، ورفع ما يشبه قداحة سجائر فضية، وأوقدها.

انطفأت أقرب مصابيح الشارع إليهم ثم أوقد القداحة ثانية فانطفأ المصباح التالى، وأخذ يوقدها حتى انطفأ آخر مصباح فى الميدان ولم يبق سوى ضوء النوافذ المغطاة بالستائر، والقمر هلالى الشكل فوقهم.

قال «مودى»: «استعرتها من دمبلدور» وهو يضع «طفاءة الأضواء» فى

جيبه، ثم يضيف: «هذا لتفادي أن يرانا أي أحد من العامة.. والآن هيا، بسرعة».

أمسك بذراع «هاري» وقاده عبر العشب إلى الطريق ثم إلى الرصيف، تبعهما كل من «لوبين» و«تونكس»، وهما يحملان حقيبة «هاري» بينهما، وباقي الحراس - وجميعهم بعصيهم السحرية مشهرة - يتبعونهم.

جاءهم صوت مذياع مكتوم من نافذة علوية لأقرب البيوت إليهم، ثم رائحة لقمامة عفنة من كومة أكياس قمامة عبر إحدى البوابات المكسورة.

تمتم «مودي»: «هنا»، وهو يمد لفافة من الورق نحو يد «هاري» الخفية، وعصاه قريبة منها لتضيء المكتوب، قال: «اقرأ هذا بسرعة واحفظه».

نظر «هاري» إلى قطعة الورق، بدا الخط المكتوبة به مألوفًا. كان المكتوب: مقر جماعة العنقاء تجده في المنزل رقم (١٢)، جريمولد بليس، لندن.

٤ المنزل رقم (١٢) جريمولد بليس

شرع «هاري» في الكلام قائلاً: «ما هي جماعة العنـ..؟».

زجره «مودي» قائلاً: «ليس هنا يا ولد! انتظر حتى ندخل».

جذب رقعة الورق من يد «هاري»، وأحرقها بطرف عصاه السحرية. ومع انكماش الرسالة وسط ألسنة اللهب، وسقوطها إلى الأرض، نظر «هاري» حوله إلى البيوت مرة أخرى. كانوا واقفين أمام المنزل رقم (١١). نظر إلى اليسار ورأى المنزل رقم (١٠) وإلى اليمين كان المنزل رقم (١٣).

«لكن أين..؟». قال «لوبين» بهدوء: «فكر فيما قرأته منذ لحظات».

فكر «هاري» في عبارة (المنزل رقم (١٢) جريمولد بليس)، فظهر فجأة باب قديم بين المنزلين رقمي (١٣) و(١١)، وسرعان ما ظهر وراء الباب حوائط قذرة ونوافذ مغبرة. كأن منزلاً جديداً انتفخ فجأة من الأرض كالبالون، ليزيح البيوت عن جانبيه. حدق «هاري» فيه منبهراً. استمر صوت المذياع في المنزل رقم (١١)، كأن سكانه لم يشعروا بشيء.

هدر «مودي» دافعاً «هاري» من الخلف: «هيا. أسرع».

سار «هاري» على درجات السلم الصخري القديم، محدقاً في الباب الذي ظهر منذ لحظات. كان طلاؤه الأسود رثاً ومتقشراً في أماكن متفرقة، والقطعة المعدنية المستعملة في الطرق على الباب كانت على شكل أفعى ملتفة حول نفسها. لم ير فتحة للمفتاح أو صندوق للخطابات على الباب.

شهر «لوبين» عصاه وطرق الباب مرة واحدة. سمع «هاري» أصواتاً معدنية صاخبة فيما بدا كصوت سلسلة معدنية. وانفتح الباب.

همس «لوبين»: «ادخل يا هاري بسرعة. لكن لا تمش كثيراً بالداخل، ولا تلمس أي شيء». خطا «هاري» عبر المدخل إلى ظلام شبه تام. شم رائحة ترابية رطبة عفنة بها آثار لحلوى.. بدا المكان مهجوراً. نظر خلفه ليرى الآخرين يصطفون خلفه، و«لوبين» و«تونكس» يحملان حقيبته وقفص

«هدويج». كان «لوبين» واقفًا عند قاعدة السلم الخارجي بعيد إضاءة مصابيح الشوارع بالطفاءة، فتوهج الميدان بضوء برتقالي، ثم خطا «مودي» إلى الداخل وأغلق الباب خلفه، فأمسى ظلام الصالة حالكًا.

«تعال..».

طرق على رأس «هاري» بقوة بعصاه السحرية؛ فشعر كأن سائلاً ساخنًا يسيل على ظهره، فعرف أن تعويذة الإخفاء قد رُفع أثرها عنه.

همس «مودي»: «والآن ابقوا ساكنين جميعًا، بينما أضيء المكان».

أصاب صمت الآخرين «هاري» بشعور غريب.. كأنهم قد خطوا إلى منزل شخص يحتضر. سمع أصوات هسيس ثم أضاءت مصابيح زيتية قديمة بطول الجدران، لتضفي ضوءًا مرتجفًا أسطوري المذاق على ورق الحائط المهترئ والبساط الممدود في صالة طويلة مظلمة، تتناثر فيها شمعدانات عليها بيوت عنكبوت، وصور مرسومة أصابها العمر الطويل بالسواد، معلقة من غير انضباط ولا اعتدال على الحوائط. سمع «هاري» شيئًا ما يسير مسرعًا خلف الستائر وعلى المائدة القريبة منه لاحظ الثريا والشمعدانات على شكل أفاعٍ.

جاءتهم وقع أقدام تقترب وصوت والدة «رون»، السيدة «ويسلي»، التي خرجت من باب عند الطرف البعيد للصالة. ابتسمت مرحبة وهي تهرول ناحيتهم، وإن لاحظ «هاري» أنها صارت أكثر نحولاً وشحوبًا منذ رآها آخر مرة.

همست وهي تجذبه معانقة إياه عناقًا يكسر الضلوع: «آه يا هاري.. كم أسعدتني رؤيتك» ثم أبعدته على طول ذراعها وفحصته بنظرة ناقدة، وأضافت: «تبدو نحيلاً.. أنت بحاجة إلى التغذية. لكن للأسف، سيكون علينا الانتظار قليلاً حتى موعد تناول العشاء».

التفتت إلى جماعة السحرة الواقفين خلفه وهمست باهتمام: «لقد وصل منذ قليل، وبدأ الاجتماع».

بدا على السحرة من خلف «هاري» سيما الاهتمام، وشرعوا في السير من خلفه نحو الباب الذي جاءت منه السيدة «ويسلي». سار «هاري» خلف «لوبين» لكن السيدة «ويسلي» أمسكت به.

قالت بصوت هامس جاد: «لا يا هاري.. الاجتماع لأعضاء الجماعة فقط.

رون وهيرميون بالطابق العلوي، يمكنك الانتظار معهما حتى ينتهي الاجتماع، ثم تأكل طعام العشاء. وأبق صوتك منخفضًا وأنت في الصالة».

«لماذا؟!».

«لا أريد أن يستيقظ أي شيء».

«ماذا تعنين بـ..؟».

«سأشرح لك لاحقًا، عليّ الإسراع، فالمفترض أن أكون بالاجتماع. سآتي معك لأريك أين ستنام».

وهي تضغط أصبعها على شفتيها، قادته على أطراف أصابعها بطول ستارين طويلين أكلتهما العثة، وخلفهما افترض «هاري» وجود باب آخر، وبعد أن التفا حول حاملة مظلات كبيرة بدأا في صعود السلم المظلم، بجانب رءوس منكمشة معلقة على حوامل معدنية. بنظرة فاحصة عرف «هاري» أنها رءوس أقزام منزلية. جميعهم لهم نفس الأنف المتعالي.

زاد تعجب «هاري» مع كل خطوة يخطوها. ماذا عساهم يفعلون في منزل يبدو كأنه ملك لأكثر السحرة شرًّا؟ فقال: «سيدة ويسلي.. لماذا..؟».

همست السيدة «ويسلي»: «سيشرح لك رون وهيرميون كل شيء يا عزيزي، فعليّ أن أسرع.. ها نحن..» كانا قد وصلا إلى الطابق الثاني، فأضافت: «حجرتك هي تلك الحجرة إلى اليمين. سأنادي عليك عند انتهاء الاجتماع».

ثم أسرعت بالهبوط على السلم ثانية.

عبر «هاري» مدخل الطابق القذر، وأدار مقبض الحجرة الذي كان على شكل رأس أفعى، ثم فتح الباب.

رأى السقف المرتفع المظلم، والحجرة ذات السريرين، ثم جاءه صوت جلبة عالية، تلاها صوت صراخ أعلى، ثم حجب بصره كمٌّ هائل من الشعر الأشعث. ألقت «هيرميون» نفسها عليه في عناق كاد يطرحه أرضًا، بينما طار «بيجويجيون»، بومة «رون»، ليرفرف بحماس حول رأسيهما.

«هاري! رون، إنه هنا.. هاري هنا! لم نسمعك تدخل! آه، كيف حالك؟ هل أنت بخير؟ هل أنت غاضب منا؟ أراهن أنك غاضب، فرسائلنا بلا أية تفاصيل، لكننا لم نقدر على ذكر أي شيء.. جعلنا دمبلدور نقسم ألا نخبرك بشيء، يا إله..

لدينا الكثير لنخبرك به، ولديك أخبار نريد سماعها. عن (الديمنتورات) ومحاكمة الوزارة.. يا للعار! لقد بحثت في الأمر، ولا يمكنهم فصلك من المدرسة، هناك مادة في قانون حظر استعمال السحر على السحرة تحت السن القانونية عن استخدام السحر في الدفاع عن النفس..».

قال «رون» مبتسماً وهو يغلق الباب خلف «هاري»: «دعيه يتنفس يا هيرميون» زاد طوله عدة بوصات خلال الشهر الذي فارقهما فيه «هاري» ليصير أطول وأكثر نحافة مما مضى، وإن بقي الأنف الطويل، والشعر الأحمر المتوهج، والنمش كما هم.

تركت «هيرميون» «هاري»، وهي لا تزال مبتسمة ابتسامة واسعة، لكن قبل أن تنطق بكلمة جاء صوت رفرفة وهبط شيء أبيض من فوق خزانة سوداء وحط على كتف «هاري» «هدويج».

وداعبت البومة البيضاء أذن «هاري» بحب وهو يربت على ريشها.

قال «رون»: «إنها مخلصة في عملها.. كادت تهلكنا بنقرها بعد أن جلبت لنا رسائلك الأخيرة.. انظر..».

رأى «هاري» أصبعه السبابة، وفيه قطع عميق أخذ في الالتئام

قال «هاري»: «آه.. آسف.. لكنني كنت أريد إجابات كما تعرف..».

قال «رون»: «أردنا إخبارك بما تشاء يا صديقي.. كانت هيرميون ستجن، وقالت إنك قد تفعل شيئاً أحمق إن بقيت وحدك دون أي أخبار، لكن دمبلدور جعلنا..».

قال «هاري»: «..تقسمون ألا تخبروني.. أجل، قالت هيرميون هذا بالفعل».

كان الوهج الدافئ اللطيف الذي شعر به ينبعث داخله حين رأى أقرب أصدقائه إليه آخذاً في التلاشي ليحل محله شعور بارد في صدره فجأة.. وبعد التوق إلى رؤيتهما منذ شهر.. شعر كأن «رون» و«هيرميون» قد تخليا عنه.

عم صمت متوتر داعب أثناءه «هاري» ريش «هدويج»، دون النظر إليهما.

قالت «هيرميون» لاهثة: «كان يرى إخفاء الأخبار عنك أفضل.. أعني دمبلدور..».

قال «هاري»: «فعلاً» ولاحظ أن يديها بها بقايا جراح من نقر «هدويج»، فأحس بأنه غير آسف بالمرة. قال «رون»: «أخاله حسبك آمناً وسط العامة..».

قاطعه «هاري»، وهو يرفع حاجبيه: «حقاً؟ هل هاجمت (الديمنتورات) أياً منكما هذا الصيف؟».

«في الواقع لا.. لكنه لهذا السبب أمر أعضاء من جماعة العنقاء بحراستك..».

شعر «هاري» بشعور غريب في معدته، كأنه خطا على درجة سلم مخلوعة وهو يهبط السلم. إذن فالجميع يعرفون أنه تحت الحراسة والمراقبة، فيما عداه.

قال: «لكن الحراسة لم تكن جيدة.. أليس كذلك؟»، كان يحاول بقدر استطاعته الحفاظ على صوته حيادياً.. «واعتنيت بنفسي، أليس كذلك؟».

قالت «هيرميون» بصوت مندهش: «لكنه استشاط غضباً.. أعني دمبلدور.. رأيناه عندما عرف أن مندنجس تركك قبل انتهاء نوبة حراسته.. أثار فزعنا بغضبه».

قال «هاري» ببرود: «حسناً.. يسرني تركه لي.. إن لم يفعل ما كنت لأؤدي السحر، ولتركني دمبلدور طوال الصيف في بريفت درايف».

قالت «هيرميون» بهدوء: «ألست.. ألست قلقاً بشأن محاكمة وزارة السحر؟».

كذب «هاري» كذبة بينة قائلاً: «لا»، وسار مبتعداً عنهما، ناظراً حوله، و«هدويج» مستقرة برضاء على كتفه، لكن الحجرة ما كانت لترفع من معنوياته.. كانت قذرة ومظلمة، ولم يخفف من عراء جدرانها سوى بقايا لوحة قماشية قديمة خالية من أية تفاصيل معلقة على الجدار، ومع مرور «هاري» بجانبها هيأ له أنه سمع ضحكة ساخرة لشخص ما مختبئ خلفها

سأل وهو لا يزال يحاول قدر استطاعته الحفاظ على صوته عادياً: «إذن لماذا كان دمبلدور حريصاً على إبقائي في الظلام؟ هل حاولتما.. أ.. حاولتما سؤاله عن السبب؟».

رمقهما في اللحظة التي كانا يتبادلان فيها نظرة: فعرف أنهما تصرفا كما كان يخشى أن يتصرفا.. ولم يُحسّن هذا من مزاجه المضطرب.

قال «رون»: «أخبرنا دمبلدور أننا نريد إخبارك بما يجري.. فعلاً أخبرناه يا صديقي.. لكنه مشغول جداً الآن، لم نره إلا مرتين منذ جئنا إلى هنا، ولم يكن لديه الكثير من الوقت، وجعلنا نقسم ألا نخبرك بأي شيء هام في رسائلنا، قال: إن البوم قد يتم صيده».

قال «هاري» باقتضاب: «كان بإمكانه إخباري إن شاء.. لا تخبراني أنه لا يعرف وسائل لإرسال رسائل بدون البوم».

رمقت «هيرميون» «رون» بنظرة سريعة ثم قالت: «أظن هذا أيضًا. لكنه لم يشأ أن تعرف أي شيء».

قال «هاري» مراقبًا تعبيرات وجهيهما: «لعله يراني لست أهلاً للثقة».

قال «رون» وعلى وجهه علامات الانزعاج: «لا تكن أحمق».

«أو ربما لا أعرف كيف أعتني بنفسي».

قالت «هيرميون» بتوتر بالغ: «بالطبع هو لا يفكر هكذا».

قال «هاري» والكلمات تتعثر واحدة فوق الأخرى من سرعته، وصوته أخذ في الارتفاع مع كل كلمة: «إذن لماذا بقيت في منزل آل دورسلي وأنتما هنا تشاركان في كل شيء؟ كيف يُسمح لكما بمعرفة كل شيء؟».

قاطعه «رون»: «غير صحيح! أمي لا تدعنا نقترب من الاجتماعات، وتقول إننا صغيران على الـ».

لكن قبل أن يشعر بما حدث صاح «هاري» بصوت كالرعد: «إذن فأنتما لا يُسمح لكما بحضور الاجتماعات. يا للعار! لكنكما هنا. أليس كذلك؟ وتجلسان معًا وأنا؟ أنا محبوس عند آل دورسلي منذ شهر! وتعاملت مع مخاطر لا تقدران مجتمعين على مواجهتها. ودمبلدور يعرف هذا. من أنقذ حجر الفيلسوف؟ من حل طلاسم الألغاز؟ ومن أنقذكما من (الديمنتورات)؟».

كل فكرة مريرة وغاضبة فكر فيها «هاري» طوال الشهر المنقضي أخذت تتدفق إلى عروقه. إحباطه وغضبه من غياب الأخبار، وألمه لاجتماعهما من دونه، وغضبه من المراقبة والحراسة دون أن يعرف. كل المشاعر المخزية تفجرت أخيرًا. خافت «هدويج» من الجلبة وطارت لتستقر فوق الخزانة ثانية، ورفرف «بيجودجيون» مضطربًا، وحلق بسرعة أكبر فوق رءوسهم.

«من تغلب على التنانين وأبي الهول وكل الأشياء الخطرة والمخيفة التي خبرناها العام الماضي؟ من شهد عودته؟ من هرب منه؟ أنا!».

وقف «رون» وفمه نصف مفتوح، وقد بدا عليه الذهول، وغير قادر على قول أي شيء، بينما بدت «هيرميون» على وشك البكاء.

«لكن لماذا تخبراني؟ لماذا تزعجان نفسيكما بإخباري بما يحدث؟».

بدأت «هيرميون» في الكلام قائلة: «هاري. أردنا إخبارك. لكننا...».

«لكنكما لم ترغبا في إخباري أي شيء فعلاً. وإلا كنتما أرسلتما بومة إليّ. لكن دمبلدور جعلكما تقسمان على...».

«فعلاً. هذا ما فعله».

«أربعة أسابيع وأنا محبوس في بريفت درايف. أبحث عن الجرائد القديمة في صناديق القمامة. محاولاً فهم ما يجري».

«أردنا أن...».

«وضحكا قضيتما وقتًا لطيفًا. أليس كذلك؟ عالقان هنا تمزحان و...».

«لا.. بأمانة لم...».

قالت «هيرميون» بيأس وعيناها مغرورقتان بالدموع: «هاري. إننا آسفان حقًا. أنت محق تمامًا يا هاري. كنت لأستشيط غضبًا لو كنت مكانك».

نظر «هاري» إليها، وهو يتنفس بعمق، ثم أشاح بوجهه بعيدًا عنهما مرة أخرى، وأخذ يذرع الحجرة جيئة وذهابًا. نعبت «هدويج» بصوت مقبض من فوق الخزانة. مرت برهة من الصمت، لم يقطعها سوى صرير ألواح الأرضية تحت أقدام «هاري».

سأل «رون» و«هيرميون» بحدة: «وما هذا المكان؟».

قال «رون» على الفور: «مقر جماعة العنقاء».

«وهل سيزعج أيكما نفسه ويخبرني ما هي جماعة العنقاء...؟».

قالت «هيرميون» بسرعة: «إنها جمعية سرية.. ودمبلدور المسئول عنها ومؤسسها. وتضم السحرة والساحرات الذين قاتلوا من ـ تعرفه سابقًا».

قال «هاري» ويده في جيبه: «ومن أعضاؤها؟».

«القليلون...».

قال «رون»: «لقد قابلنا حوالي العشرين منهم. لكننا نعتقد أن هناك المزيد».

حدق «هاري» فيهما.

سألهما وهو ينقل بصره بينهما: «وماذا عنه؟». قال «رون»: «عـ.. عمن؟».

قال «هاري» بغضب: «فولدمورت». فأجفل كل من «رون» و«هيرميون». «ماذا يحدث؟ ما هي خططه؟ وأين هو؟ وماذا تفعلون في سبيل إيقافه؟».

قالت «هيرميون» بعصبية: «أخبرناك أن الجماعة لا تدعنا ندخل الاجتماعات؛ لذا فنحن لا نعرف التفاصيل. لكن لدينا فكرة عامة». أضافت العبارة الأخيرة بسرعة بعد أن رأت النظرة المرتسمة على وجه «هاري».

قال «رون»: «اخترع كل من فريد وجورج آذانًا قابلة للمد.. وهي مفيدة حقًا».

«آذان ماذا...»

«قابلة للمد. أجل. لكن اضطررنا للتوقف عن استعمالها مؤخرًا؛ لأن أمي وجدتها وجن جنونها. خبأها فريد وجورج؛ حتى لا تأخذها. لكننا استعملناها كثيرًا قبل أن تعرف بوجودها. ونعرف أن بعض أعضاء جماعة العنقاء يتتبعون أكلة الموت، ويراقبونهم».

قالت «هيرميون»: «بعضهم يجندون المزيد من السحرة معنا».

قال «رون»: «وبعضهم يحرسون شيئًا ما. فهم يتحدثون دومًا عن الحراسة».

قال «هاري» بسخرية: «ربما يتحدثون عني، أليس كذلك؟».

قال «رون» بنظرة من حل عليه فهم مفاجئ: «آه. فعلاً».

ضحك «هاري» ضحكة قصيرة. سار بطول الحجرة ثانية، ناظرًا إلى كل شيء فيما عدا «رون» و«هيرميون». قال: «إذن ماذا تفعلان؟ وأنتما غير مسموح لكما بحضور الاجتماعات؟ قلتما: إنكما مشغولان».

قالت «هيرميون» بسرعة: «فعلاً. إننا نطهر المنزل، فهو مهجور منذ فترة طويلة ومليء بالأشياء التي تتكاثر وتتوالد. تمكنا من تنظيف المطبخ، ومعظم الغرف، وأعتقد أننا سنقوم بتنظيف حجرة الرسم غدًا.. آآه».

وبصوت فرقعة مزدوج تجسد كل من «فريد» و«جورج»، أخوي «رون» الأكبر منه مباشرة، ليظهرا في منتصف الحجرة كأنما أتى بهما الهواء. رفرف «بيجودجيون» أكثر من ذي قبل، وارتقى ليستقر بجوار «هدويج» فوق الخزانة.

قالت «هيرميون» بوهن للتوأمين: «كفا عن فعل هذا». كان شعرهما أحمر مثل شعر «رون»، وإن كان أكثر كثافة وأقصر قليلاً.

قال «جورج» وهو يبتسم لـ «هاري»: «أهلاً يا هاري. سمعنا صوتك المغرد فجئنا». قال «فريد» مبتسمًا هو الآخر: «لا تخنق غضبك يا «هاري». صِحْ واصرخ كما شئت. يوجد شخصان على مسافة خمسين ميلاً من هنا لم يسمعاك».

همهم «هاري»: «إذن فقد نجحتما في اختبار الاختفاء السحري».

قال «فريد» وفي يده خيط لحمي طويل جدًا: «أجل. بامتياز».

قال «رون»: «كنتما بحاجة إلى ثلاثين ثانية إضافية للصعود على السلم بدلاً من الاختفاء والظهور».

قال «جورج»: «الوقت كالعصا السحرية»[١] يا أخي الصغير. المهم. أنت قاطع استقبال الآذان القابلة للمد يا هاري» وحاجبا «هاري» يرتفعان في دهشة، وأمسك بالخيط الذي رآه «هاري» يمتد ليخرج إلى بداية السلم خارج الحجرة. ثم قال موضحًا: «فنحن نحاول سماع ما بالأسفل».

قال «رون» ناظرًا إلى الأذن: «توخيا الحذر. إن رأت أمي أيًا من هذه الآذان ثانية، فسوف...». قال «فريد»: «الأمر يستحق المخاطرة، فهذا الاجتماع هام».

انفتح الباب وظهرت كومة كبيرة من الشعر الأحمر.

قالت أخت «رون» الصغيرة «جيني» بإشراق: «أهلاً يا هاري. سمعت صوتك منذ قليل».

ثم وهي تلتفت تجاه «فريد» و«جورج» قالت: «لا فائدة من الآذان الممتدة. فقد وضعت أمي تعويذة مانعة على باب المطبخ».

قال «جورج» والإحباط على وجهه: «وكيف عرفت؟».

قالت «جيني»: «أخبرتني تونكس كيف أعرف بوجود هذه التعويذة. ببساطة تلقي بالأشياء على الباب، وإن لم يلامسه، فالباب محمي بتعويذة مانعة. ولكي أتأكد ألقيت بعض (الدانجبومس)[٢] من أعلى السلم فارتدت عنه. إذن فالآذان الممتدة لن تمر من تحت الباب». أخذ «فريد» نفسًا عميقًا.

«يا للعار. كنت أريد حقًا معرفة ما ينتويه سناب».

قال «هاري» بسرعة: «سناب؟ هل هو هنا؟».

قال «جورج» مغلقًا الباب بحذر، ثم جالسًا على أحد السريرين، وقد تبعه في الجلوس كل من «فريد» و«جيني»: «أجل. فهو يقدم تقريرًا. تقريرًا سريًا».

قال «فريد» بتكاسل: «هذا السخيف».

قالت «هيرميون» باستنكار: «إنه الآن إلى جانبنا».

احتج «رون» قائلاً: «لكن هذا لا يمنع كونه سخيفًا. يا للطريقة التي ينظر بها إلينا عندما يرانا».

---

(١) يقصد جورج: الوقت كالسيف. لكن المثل تحول ليسير هكذا في عالم السحرة؛ (المترجم)

(٢) Dungbombs أو قنابل الروث. وهي ألعاب نارية سحرية كريهة الرائحة من عالم «هاري بوتر» (المترجم)

قالت «چينى» كأنها تنهى المسألة بكلامها: «بيل أيضًا لا يحبه».

لم يكن «هارى» واثقًا من انتهاء ثورة غضبه. لكن تعطشه للمعلومات صار أكبر من حاجته للصياح، فاستقر فى الفراش المواجه للآخرين.

سأل: «هل بيل هنا؟ ظننته يعمل فى مصر».

قال «فريد»: «لقد قدم طلبًا بالحصول على وظيفة مكتبية؛ حتى يعود للوطن، ويعمل فى الجماعة. يقول إنه يفتقد المقابر الفرعونية. لكن» أضاف بمكر: «هناك من يعوضه». سأله: «ماذا تعنى؟».

قال «چورچ»: «هل تذكر فلور ديلاكور؟ لقد حصلت على وظيفة فى بنك جرينجوتس (لتهسن لغتها الإنكليسية)[1]..».

قال «فريد» بسخرية: «وبيل يعطيها الكثير من الدروس الخصوصية».

قال «چورچ»: «تشارلى انضم للجماعة أيضًا. لكنه لايزال فى رومانيا. دمبلدور يريد استقطاب سحرة أجانب، وتشارلى يحاول استقطاب بعضهم فى أيام إجازته».

سأل «هارى»: «ألا يقدر بيرسى على هذا؟». فآخر ما سمعه عن الأخ «ويسلى» الثالث هو أنه يعمل فى مصلحة التعاون السحرى الدولى بوزارة السحر.

مع كلمات «هارى» تبادلوا نظرات كئيبة محملة بالمعانى.

أخبر «رون» «هارى» بصوت مضطرب: «لا تذكر أبدًا اسم بيرسى أمام أمى وأبى».

«ولم لا؟».

قال «فريد»: «لأن كل مرة يُذكر فيها اسمه، يكسر أبى ما بيده، وتبكى أمى».

قالت «چينى» بحزن: «الموضوع فظيع».

قال «چورچ» ونظرة قبيحة غير معتادة على وجهه: «واضح أنه لم يعد منا».

قال «هارى»: «ماذا حدث؟».

قال «فريد»: «تشاجر أبى مع بيرسى. لم أر أبى بهذه القسوة مع أحد من قبل؛ فى العادة أمى هى من تصيح».

قال «رون»: «كان هذا فى الأسبوع الأول بعد انتهاء الفصل الدراسى؛ كنا على وشك القدوم والانضمام للجماعة. قال بيرسى: إنه تمت ترقيته».

(1) لتحسن لغتها الإنجليزية. لكن «فلور ديلاكور» ساحرة فرنسية. و«چورچ» يقلد طريقة كلامها الرقيقة (المترجم).

قال «هارى»: «هل تمزح؟».

بالرغم من معرفته أن «بيرسى» واسع الطموح، إلا أن انطباعه عنه أنه لم ينجح فى وظيفته الأولى بوزارة السحر. فقد فات على «بيرسى» معرفة أن رئيسه فى العمل كان تحت تحكم اللورد «فولدمورت» (بالرغم من عدم تصديق الوزارة للمسألة.. فقد اعتقد جميعهم أن السيد «كراوتش» جن).

قال «چورچ»: «أجل، اندهشنا؛ لأن بيرسى وقع فى مشكلات كثيرة بسبب كراوتش، وأجرى معه تحقيق، وأشياء من هذا القبيل. قالوا: إن بيرسى كان عليه إدراك أن كراوتش قد جن، وإنه كان عليه إبلاغ رؤسائه. لكنك تعرف بيرسى، فبعد أن فوض له كراوتش كل شىء، ما كان ليشتكى من أى معاناة».

«إذن كيف حصل على ترقية؟».

قال «رون» وقد بدا عليه الحرص على إبقاء الحوار طبيعيًا بعد أن كف «هارى» عن الصياح: «هذا هو بالضبط ما تعجبنا منه. حضر إلى البيت مسرورًا ومعجبًا بنفسه.. حتى أكثر سرورًا من العادة، إن كنت تقدر على تخيل هذا. وأخبر أبى أنه قد عُرض عليه منصب فى مكتب الوزير فادج. ويا له من منصب هائل بالنسبة لمن تخرج من هوجوراتس منذ سنة: (مساعد ثانى وزير السحر). وتوقع أن يفرح أبى».

قال «فريد» بضيق: «لكن أبى لم يفرح». قال «هارى»: «ولم لا؟».

قال «چورچ»: «من الواضح أن فادج راقب جميع العاملين بالوزارة؛ بحثًا عمن يتصل بدمبلدور».

قال «فريد»: «اسم دمبلدور فى الوحل هذه الأيام. جميعهم يعتقدون أنه يثير المشكلات بقوله: إن الذى - تعرفه عاد».

قال «چورچ»: «يقول أبى: إن فادج أوضح للجميع أن أى ساحر ينضم لدمبلدور سيفقد وظيفته فى الوزارة».

«المشكلة هى أن فادج يشك فى أبى، ويعرف أنه صديق لدمبلدور. كما أنه ومنذ فترة طويلة يرى أبى غريب الأطوار بسبب هوسه بأسلوب حياة العامة».

سأل «هارى» بارتباك: «لكن ما علاقة هذا ببيرسى؟».

«أنا على وشك ذكر هذا. يرى أبى أن كل ما يريده فادج هو استغلال بيرسى كجاسوس على الأسرة.. وعلى دمبلدور».

أطلق «هارى» صوت صفير منخفضًا.

«لكن بيرسي أحب منصبه». ضحك «رون» بصوت خالٍ من المعنى.

«جن جنونه. وقال.. قال الكثير من الأشياء الفظيعة. قال: إنه يعاني من سمعة أبي السيئة منذ التحق بالوزارة، وإن أبي سيسقط.. وإنه - بيرسي - يعرف لمن يقدم ولاءه.. للوزارة. وإن كان أبي وأمي يريدان خيانة الوزارة؛ فلن يبقى عضوًا في الأسرة. ثم حزم حقائبه في نفس الليلة وغادر. وهو يعيش الآن في لندن».

أطلق «هاري» سبة احتجاج. لطالما كان حبه لـ «بيرسي» هو الأقل بين إخوة «رون»، لكنه لم يتخيل أبدًا أن يقول أشياء كهذه.

قال «رون»: «أمي في حالتها الطبيعية في مثل تلك الحالات. تبكي وأشياء من هذا القبيل. ذهبت إلى لندن وحاولت الكلام مع بيرسي لكنه أغلق الباب في وجهها. لا أعرف ماذا يفعل عندما يقابل أبي عن طريق المصادفة في العمل. بالطبع يتجاهله».

قال «هاري» ببطء: «لكن لا بد وأن بيرسي يعرف برجوع فولدمورت. فهو ليس بغبي، ويعرف أن أباه وأمه لن يخاطرا بكل شيء دون وجود دليل قاطع».

قال «رون» ناظرًا إلى «هاري» نظرة غاضبة: «قال بيرسي: إن الدليل الوحيد على عودته هو كلمتك.. وهو يراها غير كافية كدليل».

قالت «هيرميون» بسخرية لاذعة: «بيرسي يأخذ ما تذكره جريدة (الدايلي بروفيت) على محمل الجد». فأومأ الآخرون موافقين.

سأل «هاري» وهو ينظر إليهم: «عم تتحدثون؟». كانوا يراقبونه بحذر.

سألته «هيرميون» بقلق: «ألم.. ألم تقرأ (الدايلي بروفيت) مؤخرًا؟».

قال «هاري»: «بلى.. قرأتها».

سألته «هيرميون» دون أن يخبو قلقها: «ألم.. ألم تقرأها بحرص؟».

قال «هاري» بلهجة من يدافع عن نفسه: «ليس من الصفحة الأولى للأخيرة.. إن كانوا سيذكرون أي شيء عن فولدمورت، فبالتأكيد سيكون على الصفحة الأولى.. أليس كذلك؟».

أجفل الآخرون لدى ذكر الاسم. تسارع إيقاع كلام «هيرميون»: «كان عليك قراءتها كلها، إنهم.. إنهم يكتبون عنك مرتين في الأسبوع».

«لكنني كنت لأرى الـ..».

قالت «هيرميون» وهي تهز رأسها: «ليس إن كنت لا تقرأ سوى الصفحة الأولى.. أنا لا أتحدث عن مقالات كبيرة. كانوا يكتبون عنك كـ.. كمزحة عابرة».

«ماذا تقصد..؟».

قالت «هيرميون» بصوت أجبرته على أن يكون هادئًا: «في الواقع ما يكتبونه حقير. فهم يبنون على ما كتبته ريتا».

«لكنها لم تعد تكتب في تلك الجريدة.. أليس كذلك؟».

أوضحت «هيرميون»: «أه.. لا.. لقد أبقت على وعدها.. فليس لديها فرصة أصلاً. لكنها أرست الأساس لما يحاولون فعله الآن».

قال «هاري» بنفاد صبر: «وما هو؟».

«حسنًا.. أنت تعرف أنها كتبت عن سقوطك المتكرر على إثر الألم الذي كنت تعانيه من ندبتك.. أليس كذلك؟».

قال «هاري» الذي لم ينس موضوعات «ريتا سكيتر» الصحفية عنه: «أجل».

قالت «هيرميون» بسرعة كبيرة كأن المسألة ستكون أقل إزعاجًا لـ «هاري» لو سمعها بسرعة: «ما حدث أنهم يكتبون عنك كشخص عابث يسعى للحصول على الاهتمام، ويعتقد أنه بطل عظيم.. ويكتبون في موضوعات قصيرة عنك. إن طفا إلى السطح حدث غريب؛ يقولون أشياء مثل (يا لها من حكاية جديرة بهاري بوتر) وإن أصيب شخص ما في حادث غريب؛ يقولون: (نرجو ألا يصاب بندبة على جبينه ويطلب منا عبادته)».

بدأ «هاري» في الكلام بحرارة: «لا أريد من أحد أن يعبد..».

قالت «هيرميون» بسرعة وقد بدا عليها الخوف: «أعرف أنك لا تريد هذا.. أعرف يا هاري، لكن انظر ماذا يفعلون؟ يريدون تحويلك إلى شخص لا يصدقه أحد. فادج خلف هذه المسألة، أنا واثقة من هذا. يريدون لعامة السحرة والساحرات أن يروك ولدًا أحمق تثار حوله الحكايات الطريفة، يقول قصصًا سخيفة؛ لأنه يحب الشهرة ويسعى إليها».

قال «هاري» بنبرة سريعة عصبية: «أنا لا أطلب.. لا أريد.. فولدمورت قتل والديّ.. وأصبحت شهيرًا؛ لأنه قتل أسرتي لكنه لم يستطع قتلي! من يريد أن يحظى بالشهرة بطريقة مشابهة لهذه؟ ألا يرون أنني لا أريد مثل هذا الـ..».

قالت «چينى» بصدق: «نعرف يا هارى».

قالت «هيرميون»: «وبالطبع لم يكتبوا عن هجوم (الديمنتورات). أمرهم شخص ما بإبقاء الأمر سرًا. كانت لتصبح قصة إخبارية كبيرة، حتى إنهم لم يكتبوا عن انتهاكك لقانون «سرية السحرة الكونفدرالى الدولى». حسبتنا أنهم سيفعلون. كان هذا سيثبت صورتك كفتى متهور محب للشهرة. خلناهم سينتظرون حتى تفصل من المدرسة، ثم يكشفون القصة بأكملها. أعنى إن تم فصلك». أكملت الكلام بسرعة: «لكن لا يجب فصلك طبعًا. ليس إن كانوا ملتزمين بالقانون، فأنت لم تنتهك القانون».

عادوا إلى مسألة المحاكمة، ولم يشأ «هارى» التفكير فيها. كان سيحاول تغيير الموضوع، عندما وفر عليه التفكير في موضوع آخر وقع أقدام تصعد السلم.

شد «فريد» الآذان الممدودة بسرعة، وصدر عنه صوت فرقعة هو و«چورچ»، ثم اختفيا. بعد لحظات ظهرت السيدة «ويسلى» عند مدخل الحجرة.

«انتهى الاجتماع. يمكنكم النزول وتناول العشاء الآن. الجميع في شوق شديد لرؤيتك يا هارى، ومن ترك كل هذه (الدانجبومب) خارج باب المطبخ؟».

قالت «چينى» دون أن يبدو عليها احمرار وجهها المعتاد: «كروكشانكس. فهو يحب اللعب بها».

قالت السيدة «ويسلى»: «آه.. كنت أظنه كريتشر. فهو يقوم بأشياء غريبة مثل هذه. والآن لا تنسوا خفض أصواتكم في الصالة. چينى، يداك قذرتان، ماذا كنت تفعلين؟ اذهبى واغسليهما قبل العشاء من فضلك».

اختلست «چينى» نظرة إلى الآخرين وتبعت أمها خارج الحجرة، لتترك «هارى» وحده مع «رون» و«هيرميون». راقبه كلاهما بقلق، كأنهما يخافان من معاودته الصياح بعد أن خرج الجميع. كان شكلهما ـ وهما يقفان خائفين هكذا ـ يشعره بالخزى.

غمغم قائلاً: «انظرا..» لكن «رون» هز رأسه، وقالت «هيرميون» بهدوء: «نعرف كم أنت غاضب يا هارى، ونحن لا نلومك على هذا، لكن عليك فهم أننا حاولنا إقناع دمبلدور بـ...».

قال «هارى» باقتضاب: «أجل. أعرفه». بحث عن موضوع للكلام لا يرتبط بمشاعر المدرسة؛ لأن مجرد التفكير في «دمبلدور» يجعل صدره يضطرم بالغضب ثانية.

سألهما: «من هو كريتشر؟».

قال «رون»: «القزم المنزلى المقيم هنا. إنه مجنون، لم أر مثله قط».

قطبت «هيرميون» جبينها في مواجهة «رون».

«إنه ليس مجنونًا يا رون».

قال «رون» بامتعاض: «طموحه في الحياة هو أن تُقطع رأسه وتُعلق مثل رأس أمه. هل يجعله هذا قزمًا طبيعيًا يا هيرميون؟».

«كلامك واضح. لكن وإن كان غريب الأطوار قليلاً فهذا ليس ذنبه».

أدار «رون» عينيه ناحية «هارى».

«هيرميون لم تتخل بعد عن مشروع «SPEW»[1]».

قالت «هيرميون» بغضب: «ليس هذا هو اسمها.. بل هي (جمعية تحسين أوضاع الأقزام المنزلية) ولست أنا الوحيدة من ترى هذا. دمبلدور يقول إن علينا أن نكون أكثر رحمة مع كريتشر».

قال «رون»: «أجل. فعلاً.. أسرعا. فأنا أتضور جوعًا».

قاد الطريق إلى الباب وحتى بداية السلم. لكن وقبل هبوطهم.

قال «رون» بصوت خفيض وهو يرفع يده؛ ليمنع «هارى» و«هيرميون» من النزول: «انتظرا.. إنهم لا يزالون بالصالة. وقد نسمع شيئًا من كلامهم».

نظر ثلاثتهم من فوق سور السلم. كانت الصالة المظلمة أسفلهم ممتلئة بالساحرات والسحرة، ومنهم جميع حراس «هارى». كانوا يهمسون باستثارة مع بعضهم البعض. وفي المنتصف تمامًا رأى «هارى» الرأس ذات الشعر اللامع، والأنف الطويل البارز لأقل مدرسيه تفضيلاً لديه في «هوجورتس» الأستاذ «سناب». انحنى «هارى» مستندًا إلى السور. كان مهتمًا جدًا بمعرفة ما يقدمه «سناب» من خدمات لجماعة العنقاء.

هبط خيط لحمى رفيع من أمام عينى «هارى». نظر لأعلى ليرى «فريد» و«چورچ» فوقهم، وهم ينزلون بحذر الآذان القابلة للمد نحو السحرة في الظلام بالأسفل. لكن بعد لحظة ساروا نحو الباب الأمامى ليختفوا عن الأنظار.

(١) إن Society for the Promotion of Elfish Welfare واختصارها SPEW بالنسبة لرون، وهي جمعية أسستها هيرميون لحماية حقوق الأقزام المنزلية المهدورة في رأيها (المترجم)

«اللعنة» سمع «هاري» همسة «فريد» وهو يرفع الأذن الممتدة إليه ثانية. سمعوا الباب الأمامي يُفتح ثم يُغلق.

أخبر «رون» «هاري»: «سناب لا يأكل هنا أبدًا. الحمد لله. هيا بنا».

همست «هيرميون»: «ولا تنس إبقاء صوتك منخفضًا في الصالة يا هاري».

ومع عبورهم أمام صف رءوس الأقزام المنزلية المعلقة على الحائط، رأوا «لوبين» والسيدة «ويسلي» و«تونكس» عند الباب الأمامي، وهم يخفون أقفاله ومصاريعه السحرية العديدة خلف من غادروا.

همست السيدة «ويسلي» وقد قابلتهم عند مهبط السلم: «سنأكل في المطبخ. هاري، عزيزي... سر عبر الصالة بهدوء إلى ذلك الباب هنا...».

طراخ

صاحت السيدة «ويسلي» بسخط: «تونكس!» وهي تلتفت ناظرة خلفها.

قالت «تونكس» - التي كانت راقدة على الأرض - بصوت كالعويل: «آسفة... إنها حاملة المظلات الغبية هذه. إنها ثاني مرة أتعثر بها...».

لكن لم يسمع أحد باقي كلماتها؛ بسبب صرخة تقليعة تصم الآذان وتجمد الدماء في العروق.

تباعدت الستائر التي أكلتها العثة، والتي رآها «هاري» عند دخوله، لكن لم يكن هناك باب خلفها. لجزء من الثانية ظن «هاري» أنه ينظر عبر نافذة، نافذة أخذت تصرخ وتصرخ خلفها سيدة عجوز، على رأسها غطاء رأس أسود، كأنها تتعرض للتعذيب... ثم أدرك أنه ليس سوى لوحة بالمقاس الطبيعي لسيدة، لكنها واقعية جداً وغير باعثة على السرور بالمرة، أكثر من أي لوحة مسحورة رآها في حياته.

كان اللعاب يتناثر من فم السيدة العجوز، وعيناها تدوران في محجريهما، وجلد وجهها المصفر مشدوداً وهي تصرخ، وبطول الصالة خلفهم أفاقت باقي اللوحات من نومها وأخذت في الصراخ هي الأخرى، حتى إن «هاري» أغمض عينيه بقوة، ووضع يديه على أذنيه.

تقدم كل من «لوبين» والسيدة «ويسلي» للأمام، وحاولا إعادة الستائر لوضعها فوق السيدة العجوز لكن الستائر لم تنغلق، وأخذت تصرخ بصوت أعلى مما سبق، وهي تمد يديها المخلبيتين كأنها تحاول تمزيق وجهيهما.

«يا حثالة، يا زبالة، يا أنصاف السحرة، يا متحولون، يا أحقر الساحرات، غادروا هذا المكان فورًا. كيف تجرؤون على تلويث بيت آبائي وأجدادي».

أخذت «تونكس» تعتذر، وهي تجر قدم (الترول) الثقيلة حاملة المظلات، لترفعها عن الأرض. تخلت السيدة «ويسلي» عن محاولتها إغلاق الستائر، وأخذت تذرع الصالة، لترمي بتعاويذ مجمدة من عصاها على اللوحات، وجاء رجل ذو شعر أسود طويل من الباب المواجه لـ«هاري».

زأر وهو يغلق الستائر التي تخلت عنها السيدة «ويسلي»: «اصمتي أيتها العجوز المجنون، اصمتي!». شحب وجه السيدة العجوز.

أخذت تصرخ وعيناها جاحظتان شاخصتان في الرجل الواقف أمامها: «أنت! يا خائن الدم وصلة القرابة، يا بغيض، يا عار على أمك!»

زأر الرجل: «قلت لك اصمتي!» ثم وبمجهود خارق نجح هو و«لوبين» في إعادة الستائر إلى وضعها. كفت السيدة العجوز عن الصراخ، وعم سكون مدو.

وهو يلهث ويعدل وضع شعره، مبعداً إياه عن عينيه، التفت أبو «هاري» الروحي - «سيريوس» - ليواجهه. قال بتجهم: «أهلاً يا هاري... أراك قابلت أمي».



٥ جماعـــة العنقـــاء

«أمك أنـ..؟».

قال «سيرياس»: «أجل.. أمي العزيزة. منذ شهر ونحن نحاول نزعها عن الحائط لكن واضح أنها وضعت تعويذة التصاق دائم على اللوحة[1]. هيا نهبط لأسفل بسرعة، قبل أن يستيقظوا ثانية».

تساءل «هاري» متعجبًا، وهم يمرون عبر الباب من الصالة إلى درجات سلم صخرية ضيقة، والآخرون خلفه: «لكن ماذا تفعل لوحة والدتك هنا؟».

قال «سيرياس»: «ألم يخبرك أحد بعد؟ هذا منزل والديّ. لكنني آخر فرد على قيد الحياة من آل بلاك؛ لذا فهو بيتي الآن. قدمته لدمبلدور ليتخذه مقرًا للجماعة.. وهو الشيء الوحيد النافع الذي قدرت على فعله».

لاحظ «هاري» ـ الذي توقع ترحيبًا دافئًا ـ كيف بدا صوت «سيرياس» مريرًا وجافًا. تبع أباه الروحي حتى نهاية السلم وعبر باب يقود إلى المطبخ في القبو.

كان كئيبًا مثل الصالة.. مكونًا من حجرة كالكهف بجدران صخرية قاسية. معظم الضوء كان قادمًا من نيران هائلة تتوهج عند طرف الحجرة البعيد، والهواء مليء بدخان غليون عالق كغبار المعارك، وعبره رأى أشكالاً ضبابية لأوانٍ حديدية ثقيلة، وقدور معلقة من السقف المظلم، والكثير من المقاعد محشورة بالحجرة من أجل الاجتماع، ومائدة خشبية طويلة في الوسط، عليها الكثير من رقع الورق، والكئوس، وزجاجات النبيذ الفارغة، وكومة ـ مما بدا ـ كقماش قديم. كانت السيدة «ويسلي» تتحدث مع ابنها «بيل» بخفوت ورأساهما قريبان من بعضهما عند الطرف البعيد للمائدة.

سعلت السيدة «ويسلي»، واستدار زوجها النحيل ذو الرأس نصف الأصلع والشعر الأحمر والعوينات ذهبية الإطار، ثم هب واقفًا.

قال السيد «ويسلي»: «هاري!» ثم تقدم للأمام مرحبًا به. صافحه بحماس قائلاً: «تسعدني رؤيتك».

(١) إن بدت مسألة لوحة الأم التي تصرخ غريبة على من يقرأون هاري بوتر للمرة الأولى، فليعلموا أن اللوحات والصور الفوتوغرافية، بل حتى صور الجرائد، تتحرك وتتحدث في عوالم الرواية، واللوحة هنا لأم سيرياس التي توفيت منذ فترة، كما سيتضح من الأحداث. (المترجم)

ومن فوق كتفيه شاهد «هاري» «بيل»، الذي كان لايزال شعره الطويل مربوطًا على شكل ذيل حصان، وهو يلف بسرعة لفافات من الورق الممدودة على المائدة.

صاح فيه «بيل»: «هل مرت الرحلة بخير يا هاري؟»، محاولاً جمع اثنتي عشرة لفافة ورق في الوقت نفسه، وأضاف: «لم يأت بك ماد آي عن طريق جرينلاند إذن؟».

قالت «تونكس»، وهي تهرول لمساعدة «بيل»: «محاول»، لكنها أسقطت شمعة على لفافة الورق الأخيرة، وقالت: «آه.. لا.. آسفة».

قالت السيدة «ويسلي» بنبرة ساخطة: «لا تقلقي يا عزيزتي»، ثم عالجت اللفافة المحترقة الطرف بتلويحة من عصاها السحرية. وعلى ضوء اللمعان الذي صدر عن عصا السيدة «ويسلي»، لمح «هاري» ما بدا كأنه مخطط لمبنى ما.

رأته السيدة «ويسلي» وهو ينظر، اختطفت المخطط من على المائدة وألقته على ذراع «بيل» المليء بالورق بالفعل.

قالت بحدة قبل أن تسرع نحو خزانة أوانٍ قديمة أخرجت منها أطباق العشاء: «هذه الأشياء يجب إخفاؤها فور انتهاء الاجتماعات».

شهر «بيل» عصاه السحرية وغمغم «إيفانسكو»، فاختفت لفافات الورق.

قال «سيرياس»: «اجلس يا هاري.. لقد قابلت منданجس من قبل.. أليس كذلك؟».

أصدر الشيء الذي حسبه «هاري» كومة من القماش القديم صوت غطيط طويلاً، ثم أفاق من نومه. غمغم «مندنجس» ناعسًا: «هل يذكر أحد اسمي؟ أنا أوافق سيرياس في رأيه..» رفع يدًا بالغة القذارة في الهواء كأنه يقوم بالتصويت.

ضحكت «جيني»، وقال «سيرياس»، وهم يجلسون حوله على المائدة: «انتهى الاجتماع يا دانج.. وصل هاري».

قال «مندنجس»، وهو يطل بوجهه الشاحب والمغطى بشعره الأحمر على «هاري»: «هه؟ اللعنة، إذن.. آ..آ..أنت بخير يا (آري)؟». فقال «هاري»: «أجل، بخير».

عبث «مندنجس» بعصبية في جيوبه، وهو لايزال ينظر إلى «هاري»، ثم أخرج غليونًا أسود قذرًا، ووضعه في فمه، وأوقد طرفه بعصاه السحرية، ثم سحب أنفاسًا عميقة منه. انبعثت سحب كبيرة من الدخان الأخضر بعد ثوانٍ،

خرج صوت من بين سحب الدخان يقول: «أنا مدين لك باعتذار».

قالت السيدة «ويسلي»: «للمرة الأخيرة يا «مندنجس». هلا كففت عن تدخين هذا الشيء بالمطبخ؟ خاصة أننا هنا لتناول الطعام».

قال «مندنجس»: «آه.. آسف يا مولى.. آسف».

اختفت سحابة الدخان و«مندنجس» يعيد غليونه إلى جيبه، لكن ظلت رائحة جوارب محترقة عالقة في الهواء.

قالت السيدة «ويسلي» لجميع من بالحجرة: «إن كنتم تريدون تناول العشاء قبل منتصف الليل سأحتاج لمساعدتكم. لا يا عزيزي هاري، فقد مررت برحلة طويلة».

قالت «تونكس» بحماس وهي تتقدم للأمام: «ماذا بإمكاني أن أفعل يا مولي؟».

ترددت السيدة «ويسلي» والخوف في عينيها، وقالت: «آ.. لا. لا تقلقي أنت يا تونكس. ارتاحي أنت الأخرى، فقد ساعدتني بما فيه الكفاية اليوم».

قالت «تونكس» بإشراق، مسقطة مقعداً وهي تهرول ناحية الخزانة التي أخذت «جيني» تجمع منها سكاكين المائدة: «لا أريد المساعدة».

سرعان ما أخذت السكاكين الكبيرة تقطع اللحم والخضراوات وحدها، والسيد «ويسلي» يشرف عليها، بينما أخذت السيدة «ويسلي» تقلب إناء كبيراً معلقاً فوق النيران، والآخرون يخرجون الأطباق، والمزيد من الكئوس والطعام من حجرة المؤن. وتركوا «هاري» وحده جالساً إلى المائدة بجانب «سيريوس» و«مندنجس»، الذي كان ينظر إليه بندم.

سأله: «هل رأيت فيجي العجوز منذ ذلك اليوم؟».

قال «هاري»: «لا.. لم أر أحداً».

قال «مندنجس» وهو ينحني للأمام، ونبرة توسل في صوته: «لتفهم أنني ما كنت لأتركك. لكن فرصة العمل والتجارة التي..».

شعر «هاري» بشيء يتحرك عند ركبتيه، فأجفل، لكنه لم يكن سوى «كروكشانكس»، قط «هيرميون» ثقيل القدمين بني اللون، الذي تكوم حول إحدى قدمي «هاري»، وأخذ يهر، ثم قفز إلى حجر «سيريوس» وتكوم على نفسه. داعب «سيريوس» فراء القط خلف أذنيه بذهن شارد، ووجهه مازال متجهماً نحو «هاري».

«هل قضيت صيفاً ممتعاً؟»، فقال «هاري»: «لا.. كان صيفاً بشعاً».

للمرة الأولى، لاح ما يشبه الابتسامة على وجه «سيريوس».

«لا أعرف مم تشتكي بالضبط». فقال «هاري» بنبرة مرتابة: «ماذا؟».

«أنا أرحب بهجوم (الديمنتور). فصراع مميت أدافع فيه عن نفسي كان ليكسر الرتابة المملة. هل تعتقد أن ما حدث لك أمر سيئ؟ على الأقل كنت قادراً على الخروج والحركة، ومد قدميك، والشجار.. فأنا محبوس هنا منذ شهر».

قال «هاري» مقطب الجبين: «لماذا؟».

«لأن وزارة السحر مازالت تلاحقني، ومؤكد أن فولدمورت قد عرف أنني (أنيماجوس)[1]. لابد وأن وورمتيل أخبره؛ لذا فتنكري الخطير صار بلا نفع. لا يوجد الكثير مما يمكن أن أقدمه لجماعة العنقاء.. أو هكذا يشعر «دمبلدور»».

من النبرة الباردة التي نطق بها «سيريوس» اسم «دمبلدور» أحس «هاري» أن «سيريوس» أيضاً ليس راضياً عن ناظر المدرسة، فشعر فجأة بمشاعر الحب لأبيه الروحي تتصاعد بداخله. قال بنبرة متعاطفة: «على الأقل تعرف ما يجري».

قال «سيريوس» بسخرية: «فعلاً.. أستمع لتقارير سناب، وأتحمل تلميحاته السخيفة بأنه يخرج ويخاطر بحياته وأنا هنا أستمتع بوقتي.. ويسألني عن عملية التنظيف و..». فسأله «هاري»: «أي تنظيف؟».

قال «سيريوس» وهو يدور بيده مشيراً لأركان المطبخ الموحش: «نحاول جعل هذا المكان مناسباً لإقامة الآدميين. فلم يعش أحد هنا منذ عشرة أعوام، ليس منذ وفاة أمي العزيزة، إلا إن كنت تعد قزمها المنزلي شخصاً. لقد جن تماماً، ولم ينظف أي شيء منذ زمن».

قال «مندنجس»، الذي لم يبد عليه متابعة أيٍّ مما قيل، وانشغل بفحص كأس فارغة: «سيريوس.. هل هذه الكأس فضية يا صديقي؟».

قال «سيريوس» وهو ينظر إليه بنفور: «أجل.. كأس أثرية من القرن الخامس عشر مصنوعة بأيدي الجان، ومدموغة بشعار آل بلاك».

غمغم «مندنجس» وهو ينظف الكأس بكم عباءته: «لكن الشعار يمكن خلعه».

صاحت السيدة «ويسلي»: «فريد.. جورج.. لا، احملاه بأيديكما فقط».

التفت كل من «هاري» و«سيريوس» و«مندنجس» خلفهم، وفي جزء من

[1] أو متحول Animagus، والأنيماجوس هو الساحر القادر على التحول إلى حيوان معين باستخدام السحر، وهي مهارة يصعب على الكثيرين التمكن منها. (المترجم)

الثانية ابتعدوا بعيداً عن المائدة. كان «فريد» و«جورج» قد سحرا إناء كبيراً من العصيدة، وآخر من الشراب، ولوح تقطيع خبز ثقيلا ومعه سكين، وأخذت كل هذه الأشياء تطير نحوهم في الهواء. مرت العصيدة بطول المائدة، وتوقفت قبل طرفها بالضبط، تاركة حرقاً أسود طويلاً على السطح الخشبي. أما إناء الشراب فقد سقط ليتناثر محتواه في كل مكان. وسقط سكين الخبز عن لوح التقطيع وحط بطرفه مرشوقاً في الأرض، حيث كانت يد «سيرياس» اليمنى منذ لحظات

صرخت السيدة «ويزلي»: «بحق السماء، لم يكن هناك حاجة للسحر. لقد كفايتي منكما. فقط لأنه يُسمح لكما باستخدام السحر، فليس عليكما التلويح بالعصى السحرية على كل موقف تافه لا يستحق».

قال «فريد» ـ مسارعاً بإخراج السكين المرشوق من المائدة ـ: «كنا نحاول توفير الوقت. وآسف يا سيرياس يا صديقي.. لم أقصد الـ..».

كان كل من «هاري» و«سيرياس» يضحكان، و«مندنجس» ـ الذي تعثر للخلف ساقطاً من فوق مقعده ـ أخذ يغمغم بحنق وهو ينهض. أطلق «كروكشانكس» هسيس احتجاج غاضباً وجرى إلى أسفل الخزانة، ومن مكانه أخذت عيناه الصفراوان تلمعان في الظلام.

قال السيد «ويزلي» وهو يعيد العصيدة إلى منتصف المائدة: «يا أولاد. أمكما محقة، من المفترض أن يكون عندكما إحساس بالمسئولية مع بلوغكما سن الـ..».

أخذت السيدة «ويزلي» تصيح في التوأمين، وهي تلقي بإناء شراب آخر على المائدة بعصبية؛ فتناثر السائل منه حتى كاد يفرغ هو الآخر: «لم يتسبب أي من إخوتكم في مثل هذه المشكلات.. لم يكن بيل يختفي اختفاء سحرياً كل دقيقة؛ وتشارلي لم يكن يسحر كل شيء يقابله في طريقه؛ وبيرسي..».

كفت عن الكلام فجأة، والتقطت أنفاسها، وهي تنظر نظرة خائفة إلى زوجها، الذي تحول تعبير وجهه فجأة إلى تعبير جامد متخشب.

قال «بيل» بسرعة: «هيا نأكل». وقال «لوبين»، وهو يضع بعض العصيدة في طبق للسيدة «ويزلي» ويناوله لها عبر المائدة: «العصيدة رائعة يا مولي».

عم السكون لبضع دقائق، ولم تصدر أصوات سوى أصوات سكاكين المائدة والأطباق واحتكاك المقاعد بالأرض، مع استقرار الجميع في أماكنهم، ثم التفتت السيدة «ويزلي» إلى «سيرياس».

«منذ فترة وأنا أريد إخبارك يا سيرياس. هناك شيء محبوس في ذلك المكتب بحجرة الرسم، وتصدر عنه أصوات مزعجة. ربما يكون (عو)[1]. لكن الأفضل أن نطلب من أستور إلقاء نظرة عليه قبل أن نخرجه».

قال «سيرياس» بنبرة محايدة: «كما تشائين».

أضافت السيدة «ويزلي»: «والستائر بتلك الحجرة مليئة بالعفاريت النطاطة[2]. لم لا نحاول التخلص منها غداً؟».

قال «سيرياس»: «أتطلع بشغف إلى هذا». فسمع «هاري» رنة السخرية في صوته، لكنه لم يكن واثقاً من أن أحداً غيره قد لاحظها.

في المقعد المقابل لـ«هاري»، كانت «تونكس» جالسة تسلي «هيرميون» و«جيني» بتحويل أنفها إلى أشكال عديدة وهي تأكل. وكل مرة تدور عيناها بنفس التعبير المتألم الذي رآه «هاري» في حجرته عندما غيرت لون شعرها، أخذ أنفها ينتفخ حتى وصل إلى حجم أنف «سناب»، ثم انكمش ليصل إلى حجم صغير، ثم خرج كمٌّ كبير من الشعر من فتحتي أنفها. من الواضح أن ما فعلته كان من قواعد التسلية الراسخة على العشاء؛ لأنه سرعان ما طلبت كل من «هيرميون» و«جيني» شكل الأنف المفضل لهما.

«حوليه إلى شكل أنف خنزير يا تونكس». أطاعتهما «تونكس»؛ فشعر «هاري» أنه يرى المعادل الأنثوى لـ«ددلي» يبتسم له من الجانب الآخر من المائدة.

انشغل كل من السيد «ويزلي» و«بيل» في نقاش حار عن الجان.

قال «بيل»: «لم يتخلوا عن أي شيء بعد.. لكن لا أعرف إن كانوا يصدقون عودته. بالطبع ربما يفضلون البقاء على الحياد بعيداً عن الصراع».

قال السيد «ويزلي»: «أنا واثق تمام الثقة من أنهم لن ينضموا أبداً إلى جانب الذي ـ تعرفه.. فقد تكبدوا الكثير من الخسائر هم الآخرون. هل تتذكر عائلة الجان التي قتلها عن آخرها المرة السابقة بالقرب من نوتنجهام؟».

قال «لوبين»: «أرى أن المسألة تتوقف على ما سيقدمه إليهم. وأنا لا أتحدث

(١) أو Boggart، وبسبب اختيار لفظ (العو) أن الـ Boggart في الخيال الغربي الشعبي هو كائن كابوسي يختبئ في الدولاب والأطفال نيام، ويخرج في الظلام، يأكل الطفل الذي يعصي أمه. وهو ما يذكرنا بفكرة: «اسكت وإلا جاءك العو» في خيالنا الشعبي. (المترجم)

(٢) أو Doxies، ولفظ النطاطة لتفرقها عن العفاريت العادية Pixies، والمفترض أن العفاريت النطاطة كائنات سحرية ثقيلة، كما سيتضح لاحقاً. (المترجم)

عن الذهب. إن قدم لهم الحرية التي تنكرها عليهم منذ قرون سيفكرون في الانضمام إلى جانبه. ألم يحالفك الحظ مع راجنوك بعد يا بيل؟».

قال «بيل»: «إنه معارض للسحرة.. فهو غاضب من موضوع باجمان، ويظن أن الوزارة غطت على الموضوع، فالجان أخذوا ذهبهم منه كما تعلم..».

أغرقت موجة من الضحك انبعثت من منتصف المائدة باقي كلمات «بيل». كان «فريد» و«جورج» و«رون» و«مندنجس» يضحكون بقوة ومقاعدهم تهتز من فرط الضحك.

سعل «مندنجس» قائلاً، ودموع الضحك تجري على وجهه: «..ثم.. ثم.. لا لا.. لن تصدقوا. قال لي.. قال لي.. ها ها.. قال: من أين جئت بكل هذه الضفادع يا دانج؟ لأن هناك لصًا قذرًا قد سرق كل ضفادعي! فقلت له.. هل سرق كل ضفادعك؟ إذن فأنت تريد المزيد صح؟ أعرف أنكم لن تصدقوني يا أولاد، لكنه من الحين للآخر يشتري الضفادع التي أسرقها منه..».

قالت السيدة «ويزلي» بحدة و«رون» يعوي من الضحك، وهو ينحني على المائدة: «لا أحسبنا نشاء سماع المزيد عن سجل أعمالك الحافل يا مندنجس.. نشكرك».

قال «مندنجس» على الفور وهو يمسح عينيه، ويغمز لـ«هاري»: «لكن كما تعرفين سرقتهم ويل من وارتي هاريس في البداية. إذن فأنا لم أخطئ».

قالت السيدة «ويزلي» ببرود: «لا أعرف أين تعلمت معرفة الصح من الخطأ يا مندنجس، لكن يبدو أنه قد فاتك بعض الدروس المهمة في تعليمك».

دفن «فريد» و«جورج» وجهيهما في كأسي شرابهما.. وأصيب «جورج» بالفواق. ولسبب ما رمت السيدة «ويزلي» «سيرياس» بنظرة محتقرة قبل أن تنهض وتذهب لإحضار الحلوى. نظر «هاري» نحو أبيه الروحي.

قال «سيرياس» بصوت خفيض: «مولي لا توافق على انضمام مندنجس إلينا».

قال «هاري» بهدوء شديد: «وكيف انضم إلى الجماعة؟».

غمغم «سيرياس»: «إنه مفيد.. لأنه يعرف كل اللصوص، فهو واحد منهم لكنه شديد الولاء لدمبلدور، الذي ساعده من قبل في مأزق خطير. ومن المفيد الاستعانة بأمثال دانج، فهو يسمع بأشياء لا نعرفها. لكن مولي ترى دعوته لتناول العشاء مبالغًا فيها. فهي لم تغفر له إهماله في نوبة حراسته لك».

بعد ثلاثة أطباق من الحلوى شعر «هاري» ببنطلونه يضيق على خصره، وهو ما يوضح أثر الحلوى لأن البنطلون كان يومًا ملكًا لـ«ددلي». وهو يلقي بملعقته كان السيد «ويزلي» متكئًا على مقعده، وعلى وجهه علامات الاسترخاء. تثاءبت «تونكس» بقوة، وقد عاد أنفها إلى حجمه الطبيعي، أما «جيني» التي أخرجت «كروكشانكس» من تحت الخزانة، فقد جلست على الأرض، وهي تلقي بأغطية زجاجات الشراب إليه ليلاحقها.

قالت السيدة «ويزلي» وهي تتثاءب: «أرى أن وقت النوم قد حان».

قال «سيرياس» وهو يدفع طبقه الفارغ بعيدًا عنه: «ليس بعد يا مولي» ثم وهو يلتفت إلى «هاري»: «أتعرف؟ يدهشني أمرك. ظننت أن حال قدومك إلى هنا ستسأل أسئلة عن فولدمورت».

تغير جو الحجرة بسرعة شبهها «هاري» بسرعة انقلاب الحال مع اقتراب (الديمنتورات) فقبل ذكر الاسم كان الجو العام يوحي بالاسترخاء الناعس، لكن الآن تكهرب الجميع، وعم التوتر واهتزت المائدة مع ذكر اسم «فولدمورت». خفض «لوبين» كأسه الذي كان يرتشف منه النبيذ منذ لحظات، وقد بدا عليه الإرهاق.

قال «هاري» بسخط: «بل سألت! سألت رون وهيرميون لكنهما قالا: إنهما غير مسموح لهما بدخول الجماعة؛ لذا».

قالت السيدة «ويزلي»: «وهما على حق.. فأنتم صغار».

جلست منتبهة في مقعدها، وقبضتاها ملتفتان حول ذراعيها، وعلامات النعاس قد تلاشت تمامًا عن وجهها.

سأل «سيرياس»: «ومنذ متى وعلى من يريد طرح الأسئلة أن يكون عضوًا في جماعة العنقاء؟ هاري محبوس في منزل العامة منذ شهر. ومن حقه معرفة حقيقة ما يدور عن..». فقاطعه «جورج» بصوت مرتفع: «انتظر!».

قال «فريد» بغضب: «لماذا تجيبون على أسئلة هاري؟».

قال «جورج»: «نحن نحاول معرفة ما يدور منذ شهر ولم تخبرونا بشيء واحد!».

قال «فريد» بصوت مرتفع بدا مشابهًا لصوت أمه بالضبط: «أنتم صغار، ولستم أعضاء في الجماعة.. هاري ليس فوق السن القانونية!».

قال «سيرياس» بهدوء: «ليس خطئي أنه لم يتم إخبارك بما يجري من أحداث للجماعة.. هذا قرار أبويكم. أما هاري فهو..».

قالت السيدة «ويسلي» بحدة: «ليس بيدك تقرير ما هو في مصلحة هاري»، اتخذ تعبير الطيبة الطبيعية المرتسم دومًا على وجهها طابعًا قاسيًا وهي تقول: «هل نسيت ما قاله «دمبلدور»؟».

سألها «سيرياس» متأدبًا لكن بأسلوب من هو على وشك الشجار: «أي جزء من كلامه؟». قالت السيدة «ويسلي»: «الجزء الخاص بعدم إخبار هاري بأكثر مما ينبغي له معرفته» وضغطت على مخارج حروف آخر خمس كلمات.

انتقلت رءوس «رون» و«هيرميون» و«فريد» و«جورج» من «سيرياس» إلى السيدة «ويسلي» كأنهم يتابعون مباراة تنس. كانت «جيني» جالسة وسط أغطية زجاجات الشراب، تراقب الحوار وفمها مفتوح قليلاً. أما عينا «لوبين» فكانتا مركزتين على «سيرياس».

قال «سيرياس»: «لا أنوي إخباره بأكثر مما ينبغي له معرفته يا مولي. لكن باعتباره الشخص الذي شاهد بعينيه عودة ڤولدمورت (مرة أخرى عمت موجة ارتجاف عامة مع ذكر الاسم) فله الحق أكثر من أي أحد في...».

«إنه ليس عضوًا في جماعة العنقاء؛ فعمره خمسة عشر عامًا».

«لقد تعامل مع مواقف خطيرة، مثل الكثير من أعضاء الجماعة.. بل وأكثر من البعض». قالت السيدة «ويسلي» وصوتها يعلو، وقبضتاها ترتجفان على ذراعي مقعدها: «لم ينكر أحد هذا. لكنه...».

قال «سيرياس» بنفاد صبر: «إنه ليس طفلاً».

قالت السيدة «ويسلي» ووجهها آخذ في الاحتقان: «لكنه ليس بالغًا. إنه ليس جيمس يا سيرياس». قال «سيرياس» ببرود: «أنا على وعي تام بمن يكون يا مولي. أشكرك على الإيضاح».

قالت السيدة «ويسلي»: «لست واثقة من وعيك هذا. أحيانًا تتحدث عنه كأنك استعدت أقرب أصدقائك إليك». قال «هاري»: «وما الخطأ في هذا؟».

قالت السيدة «ويسلي» وعيناها مركزتان على «سيرياس»: «الخطأ يا هاري أنك لست بوالدك، وإن كنت تشبهه كثيرًا. أنت مازلت بالمدرسة ويجب على الكبار المسئولين عنك ألا ينسوا هذا».

سألها «سيرياس» وصوته يعلو: «أتعنين أنني أب روحي غير مسئول؟».

«أعني أنه معروف عنك التهور يا سيرياس، ولهذا أبقاك «دمبلدور» بالمنزل و...».

قال «سيرياس» بصوت مرتفع: «لتبعد تعليمات «دمبلدور» عن خلافنا لو سمحت!».

قالت السيدة «ويسلي» وهي تلتفت إلى زوجها: «آرثر. آرثر ساعدني».

لم يتحدث السيد «ويسلي» مرة واحدة. خلع نظارته ونظفها ببطء على عباءته، دون أن ينظر إلى زوجته. فقط عندما وضعهما ثانية بحرص على أنفه قام بالرد.

«دمبلدور يعرف بتغير الأحوال يا مولي. ويقبل بمعرفة «هاري» بعض الأمور، خاصة وهو معنا في مقر الجماعة».

«أجل. لكن هناك اختلافًا بين هذا وبين دعوته لطرح الأسئلة كما يشاء».

قال «لوبين» بهدوء وهو ينظر بعيدًا عن «سيرياس» أخيرًا والسيدة «ويسلي» تلتفت إليه بسرعة آملة في العثور على حليف: «عن نفسي أرى أن الأفضل لـ «هاري» معرفة الحقائق. ليس كل الحقائق طبعًا يا مولي، لكن الصورة العامة. يعرفها منا بدلاً من معرفتها من أحاديث مشوبة بالشائعات».

كان تعبيره مسالمًا، لكن «هاري» شعر بمعرفة «لوبين» أن بعض الآذان القابلة للمد قد أفلتت من مصادرة السيدة «ويسلي».

قالت السيدة «ويسلي» وهي تتنفس بعمق وتنظر حول المائدة: بحثًا عن دعم أقل لن يأتي: «في الواقع. أعني. أرى أنكم ستتغلبون عليَّ لكن دعوني أقل: لابد أن «دمبلدور» لديه أسبابه لحجب الحقائق عن هاري، وهو شخص يهمه كثيرًا مصلحة هاري». قال «سيرياس» بهدوء: «إنه ليس ابنك».

قالت السيدة «ويسلي» بشراسة: «لكنه مثل ابني. فمن لديه غيري؟».

«أنا!».

قالت السيدة «ويسلي»: «أجل. المشكلة أنه كان من الصعب عليك الاعتناء به وأنت حبيس سجن أزكابان.. أليس كذلك؟».

هم «سيرياس» بالنهوض عن مقعده وقال «لوبين» بحدة: «مولي. أنت لست الشخص الوحيد على هذه المائدة الذي يهمه شأن هاري. اجلس يا سيرياس».

أخذت شفة السيدة «ويزلي» السفلى ترتجف. عاود «سيريوس» الجلوس في مقعده بوجهه الشاحب. وأكمل «لوبين» كلامه قائلاً: «أرى أن من حق هاري عرض رأيه في هذا الموضوع. إنه بالغ بما يكفي ليقرر بنفسه».

قال «هاري» على الفور: «أريد معرفة ما يدور».

لم ينظر نحو السيدة «ويزلي». تأثر كثيراً بما قالته عن كونه كابنها، لكنه انزعج من حرصها الشديد عليه. «سيريوس» محق، فهو ليس طفلاً.

قالت السيدة «ويزلي» بصوت أجش: «حسناً.. جيني، رون، فريد، جورج اخرجوا من المطبخ، الآن». فجاوبتها موجة احتجاج عارمة.

صاح «فريد» و«جورج» في نفس واحد: «لكننا وصلنا للسن القانونية».

صاح «رون»: إن كان مسموح لهاري بالمعرفة، فلم لا أعرف أنا الآخر؟».

عوت «جيني»: «ماما.. أريد أن أسمع».

صاحت السيدة «ويزلي» وهي تنهض، وعيناها تلمعان: «لا.. لن أسمح أبداً بـ..».

قال السيد «ويزلي» بنفس الإرهاق السابق: «مولي، إنهما بالغان».

صار وجه السيدة «ويزلي» بالغ الاحمرار.

«أ.. طيب.. فعلاً، فريد وجورج يمكنهما البقاء، لكن رون..».

قال «رون»: «سيخبرني هاري بكل شيء يعرفه، أنا وهيرميون. أ.. أليس كذلك يا هاري؟» أضاف العبارة الأخيرة في عدم يقين وهو ينظر إلى عيني «هاري».

قال «هاري»: «بالطبع سأفعل». فأشرق وجها «رون» و«هيرميون» بالابتسام.

صاحت السيدة «ويزلي»: «رائع! جيني.. إلى الفراش».

لم تخرج «جيني» بهدوء. سمعوا صياحها واحتجاجها العارم طوال الطريق وهي تصعد السلم، وعندما وصلت إلى الصالة أضيف صراخ السيدة «بلاك» الذي يصم الآذان إلى الصخب الجاري. سارع «لوبين» بالخروج إلى اللوحة ليستعيد الهدوء. ولم يتحدث «سيريوس» إلا بعد أن عاد، وأغلق باب المطبخ من خلفه، وجلس على مقعده.

«تحدث يا هاري.. ما الذي تريد معرفته؟».

أخذ «هاري» نفسًا عميقاً وسأل السؤال الذي يشغل باله منذ شهر.

قال متجاهلاً موجة الارتجاف والإجفال مع ذكر الاسم: «أين فولدمورت؟ ماذا يفعل؟ حاولت متابعة أخبار (العامة) على التليفزيون، لكن لم أعثر على شيء عنه، لا حوادث قتل غريبة أو ما شابه».

قال «سيريوس»: «هذا لأنه لم تقع حوادث قتل غريبة بعد.. لم نعرف بأيها بعد.. ونحن نعرف الكثير». وأضاف «لوبين»: «أكثر مما يحسبنا نعرف».

سأل «هاري»: «ولم كف عن قتل الناس؟» كان يعرف أن «فولدمورت» قد قتل أكثر من شخص العام الماضي وحده.

قال «سيريوس»: «لأنه لا يريد جذب الانتباه إلى نفسه.. فهذا ليس في صالحه. عودته لم تكن هادئة كما شاء. فقد كشف نفسه».

قال «لوبين» وعلى وجهه ابتسامة راضية: «أو بالأحرى، كشفته أنت».

سأل «هاري» متعجباً: «كيف؟».

قال «سيريوس»: «لم يكن من المفترض أن تنجو من هجومه. لا أحد غير أكلة الموت كان له أن يعرف بعودته. لكنك نجوت لتصبح الشاهد الوحيد».

تساءل «هاري»: «وكيف ساعد هذا على كشفه؟».

قال «بيل» باستنكار: «هل تمزح؟ دمبلدور هو الوحيد الذي يخشاه الذي يعرفه». أضاف «سيريوس»: «وبفضلك عاود دمبلدور تشكيل جماعة العنقاء بعد ساعة من معرفته بعودة فولدمورت».

تساءل «هاري» وهو ينظر حوله إلى الآخرين: «إذن فما هو نشاط الجماعة؟».

أجابه «سيريوس»: «تحاول الجماعة إحباط خطط فولدمورت».

سأله «هاري» بسرعة: «وكيف عرفتم بخططه؟».

قال «لوبين»: «دمبلدور لديه فكرة عامة عنها.. واتضح أن الفكرة العامة التي لديه فكرة دقيقة وصحيحة».

«إذن ما هي خططه كما خمنها دمبلدور؟».

قال «سيريوس»: «أولاً، يريد بناء جيشه مرة أخرى.. في الماضي كان لديه عدد هائل تحت إمرته.. ساحرات وسحرة هددهم أو سحرهم؛ لينضموا إليه. من أكلة الموت المخلصين له، وعدد كبير من الكائنات المسحورة. سمعته يخطط لتجنيد العمالقة.. في الواقع هم جماعة واحدة من بين الكائنات التي يسعى إليها.. فهو بالطبع لن يتغلب على وزارة السحر بعشرة من أكلة الموت».

«إذن فأنتم تحاولون منعه من الحصول على المزيد من الحلفاء؟».

قال «لوبين»: «نسعى بقصارى جهدنا».

«كيف؟».

قال «بيل»: «أول شيء هو أن نحاول إقناع الناس بعودة الذى ـ تعرفه حتى يتوخوا الحذر، لكن المسألة صعبة».

«لماذا؟».

قالت «تونكس»: «بسبب تصرفات وزارة السحر. أنت رأيت ما فعله كورنلياس فادج فى أعقاب عودة الذى ـ تعرفه يا هارى. الواقع أنه لم يغير موقفه منذ ذلك الحين، فهو رافض تمامًا تصديق ما يجرى».

قال «هارى» بيأس: «لكن لماذا؟ ما سبب غبائه هذا؟ إن كان دمبلدور...».

قال السيد «ويزلى» بابتسامة مرهقة: «وضعت يدك على المشكلة.. دمبلدور».

قالت «تونكس» بحزن: «فادج خائف منه كما تعرف».

قال «هارى» غير مصدق: «خائف من دمبلدور؟!».

قالت السيدة «ويزلى»: «خائف مما يخطط له.. فهو يعتقد أن دمبلدور يريد إحداث انقلاب، أن دمبلدور يريد تولى منصب وزير السحر».

«لكن دمبلدور لا يريد...».

قال السيد «ويزلى»: «بالطبع لا يريد هذا المنصب.. فهو لم يحب أبدًا تولى وظيفة الوزير، بالرغم من أن الكثيرين أرادوا أن يتولى هو منصب الوزير بعد تقاعد الوزير السابق ميليسنت باجنولد، وتم تعيين فادج بدلاً منه، لكنه لم ينس أبدًا حجم الشعبية التى يتمتع بها دمبلدور، بالرغم من أن دمبلدور نفسه لم يرشح نفسه للمنصب».

قال «لوبين»: «يعرف فادج جيدًا أن دمبلدور ساحر أمهر وأقوى منه بكثير، وفى أيامه الأولى بالوزارة كان يسأل دمبلدور كثيرًا النصح والإرشاد.. لكن يبدو أنه صار مغرمًا بالسلطة وأكثر ثقة بنفسه، وأقنع نفسه بأنه هو الماهر ودمبلدور يسعى لإثارة المشاكل دون سبب».

قال «هارى» بغضب: «وكيف يفكر هكذا؟! كيف يفكر أن دمبلدور يصطنع المشكلات، وأننى أتخيل أشياء؟».

قال «سيريوس» بنبرة مريرة: «لأن قبول عودة فولدمورت يعنى مشكلات من نوع لم تصادفه الوزارة منذ أربعة عشر عامًا.. لا يريد فادج مواجهة الأمر.. الأكثر راحة أن يقنع نفسه بأن دمبلدور يكذب ليهز مركزه».

قال «لوبين»: «المشكلة هى أنه بينما تصر الوزارة على أن فولدمورت لم يعد،

يصعب علينا إقناع الناس بعودته، خاصة وأنهم لا يريدون تصديق عودته أصلاً، كما أن الوزارة تعتمد بقوة على جريدة الدايلى بروفيت فى إقناع الناس بأن دمبلدور مدع ويسمونه مروج الإشاعات، حتى أمسى مجتمع السحرة غير واع بالمرة بما يحدث، مما يجعلهم هدفًا سهلاً لأكلة الموت إن استخدموا لعنة الإمبرياس».

قال «هارى»: «لكنكم تخبرون الناس بالحقيقة.. أليس كذلك؟» ثم راح ينظر نحو السيد «ويزلى»، و«سيريوس»، و«بيل»، و«مندنجس»، و«لوبين»، و«تونكس»: «أنتم تطلعون الناس على ما يجرى، على أنه قد عاد.. أليس كذلك؟». فابتسموا جميعًا دون بهجة حقيقية.

قال «سيريوس» بانزعاج: «فى الواقع يظن الجميع أننى قاتل مجنون، والوزارة أعلنت عن جائزة عشرة آلاف جاليون لمن يقبض علىّ. لا يمكننى التجول فى الشوارع وتوزيع المنشورات».

قال «لوبين»: «وأنا غير محبوب وغير مرحب بى بين معظم السحرة.. فهم يخافون منى لأننى مذءوب».

قال «سيريوس»: «تونكس وآرثر قد يفقدان وظيفتيهما بالوزارة إن بدآ فى التحدث عن الأمر.. ومن المهم أن يكون لنا جواسيس داخل الوزارة؛ لأن من البديهى أن يكون لفولدمورت جواسيس بها».

قال السيد «ويزلى»: «لكننا تمكنا من إقناع اثنين.. تونكس مثلاً.. وهى صغيرة ولم تكن بجماعة العنقاء المرة السابقة، ووجود مقاتلين للسحر الأسود إلى جانبنا ميزة كبيرة.. وكنجسلى شاكلبولت إضافة حقيقية هو الآخر، فهو المسئول عن مطاردة سيريوس؛ لذا فهو يمد الوزارة بمعلومات تفيد بأن سيريوس فى بلاد التبت».

قال «هارى»: «لكن إن لم يكن أيكم ينشر خبر عودة فولدمورت...».

قال «سيريوس»: «ومن قال إننا لم ننشر الخبر؟ وما سبب المشكلات التى يتعرض لها دمبلدور فى رأيك؟». فسأله «هارى»: «ماذا تقصد؟».

قال «لوبين»: «إنهم يحاولون نزع المصداقية عنه.. ألم تقرأ الدايلى بروفيت الأسبوع الماضى؟ قالوا إنه قد عُزل من منصبه كرئيس للاتحاد الكونفدرالى الدولى للسحرة؛ بسبب سنه الكبيرة وفقدانه القدرة على التحكم فى تصرفاته، لكن الأمر ليس كذلك.. فما حدث أن أعضاء الوزارة من السحرة هم من صوتوا

بعزله بعد إلقائه خطبة عن عودة ڤولدمورت، وخلعوه من منصبه ككبير سحرة ويزنجاموت.. وهي محكمة السحرة العليا[1]، كما يتحدثون عن نزع وسام مرلين من الطبقة الأولى عنه أيضًا».

قال «بيل» مبتسمًا: «لكن دمبلدور يقول إنه لا يبالي؛ لأنهم لن ينزعوا صورته عن كروت شيكولاتة (فروج)».

قال السيد «ويسلي» بحدة: «الموضوع لا يحتمل المزاح.. إن داوم على معارضة الوزارة هكذا سينتهي به الحال في سجن أزكابان، وآخر شيء نريده هو أن يُسجن دمبلدور، بينما الذي تعرفه يعرف أن دمبلدور حر في حركته ومنتبه لما يخطط له. إن أزيح دمبلدور عن طريقه؛ فلن يقف أمامه أحد».

سأل «هاري»: «لكن إن حاول ڤولدمورت تجنيد المزيد من آكلة الموت؛ فعلى الأرجح سينتشر خبر عودته، أليس كذلك؟».

قال «سيريوس»: «ڤولدمورت لا يذهب إلى بيوت الناس ويطرق أبوابهم الأمامية يا هاري، فهو يخدعهم، ويصيبهم باللعنات، ويبتزهم. إنه شديد المهارة وسحره قوي. لكن جمعه للتابعين شيء واحد مما يفعله. فلديه خطط أخرى أيضًا، خطط بإمكانه تنفيذها بهدوء، وهو يركز على هذه الخطط الأخرى في الوقت الحالي».

سأل «هاري» بسرعة: «وما الذي يسعى إليه بخلاف جمع التابعين؟» رأى «سيريوس» يتبادل النظر مع «لوبين» بسرعة قبل أن يجيب الأول: «أشياء لا يمكنه الحصول عليها سوى بالخداع».

بينما لم تنحل نظرة التعجب عن وجه «هاري» أضاف «سيريوس»: «سلاح مثلاً. شيء لم يكن لديه المرة السابقة».

«عندما كان قويًا فيما سبق؟».

«أجل».

قال «هاري»: «سلاح من أي نوع.. شيء أسوأ من تعويذة أڤادا كيداڤرا..؟».

«هذا يكفي!».

جاء صوت السيدة «ويسلي» من الظلال بجانب الباب. لم يلحظ «هاري» عودتها. كانت ذراعاها معقودتين وعلى وجهها أمارات الغضب.

(١) لا خطأ هنا في الاسم المزدوج: ويزنجاموت، والمحكمة العليا.. ففي ألمانيا مثلاً يسمى مجلس النواب (الشعب) باسم البوندستاج. (المترجم)

أضافت وهي تنظر نحو «فريد» و«جورج» و«رون» و«هيرميون»: «أريدكم أن تذهبوا إلى الفراش فورًا جميعكم». قال «فريد»: «لا يمكنك أمرنا بـ...».

قاطعته بزمجرة قوية: «بل يمكنني». كانت تنتفض وهي تنظر نحو «سيريوس». أضافت: «لقد أعطيت هاري الكثير من المعلومات. إن ذكرت المزيد فأنت هكذا تضمه للجماعة». قال «هاري» بسرعة: «ولم لا؟ سأنضم. أريد الانضمام. أريد القتال».

«لا». لم يكن من تحدث هذه المرة هي السيدة «ويسلي»، بل «لوبين».

قال: «الجماعة مكونة من سحرة بالغين.. سحرة انتهوا من المدرسة». أضاف العبارة الأخيرة عندما فتح «فريد» و«جورج» فميهما. أضاف: «يوجد أخطار لا يعرفها أيكم.. مولي محقة يا سيريوس. قلنا ما يكفي».

هز «سيريوس» رأسه نصف هزة دون المزيد من الجدال. ألحت السيدة «ويسلي» على أبنائها، وعلى «هيرميون» بالقيام؛ فوقفوا واحدًا وراء الآخر، وبينهم «هاري»، الذي عرف أن الموضوع قد أُقفل.

٦ بيت آل بلاك النبيل والقديم

تبعتهم السيدة «ويزلي» متجهة إلى الطابق العلوي.

قالت وهم عند الطابق الأول: «أريد أن تناموا فوراً، لا تتحدثوا.. ستنشغل كثيراً غداً، أكيد جيني نامت بالفعل» وأضافت مخاطبة «هيرميون»: «لا تحاولي ألا توقظيها».

قال «فريد» بصوت هامس بعد أن ألقت عليهم «هيرميون» تحية المساء وصعدوا إلى الطابق التالي: «نائمة.. هاه.. فعلاً.. إن لم تكن جيني جالسة منتظرة عودة هيرميون؛ لتخبرها بكل ما قيل بالأسفل، فقولوا عني إنني دودة أرض».

قالت السيدة «ويزلي» عند الطابق الثاني مشيرة إلى غرفتيهما: «هيا يا رون، ويا هاري.. إلى الفراش».

قال «رون» و«هاري» للتوأمين: «تصبحان على خير».

قال «فريد» وهو يغمز بعينه: «أحكما الغطاء حولكما».

أغلقت السيدة «ويزلي» الباب خلف «هاري» بحدة. بدت حجرة النوم أكثر كآبة وإظلاماً مما سبق. كانت اللوحة الخالية المعلقة على الحائط تتنفس ببطء وبعمق، كأن شاغلها الخفي نائم. ارتدى «هاري» منامته، وخلع عويناته، ثم رقد على فراشه البارد، بينما ألقى «رون» بطعام البوم أعلى الخزانة ليهدئ «بيجودجيون» و«هدويج»، اللذين كانا يرفرفان بجناحيهما بلا توقف.

قال له «رون» وهو يرتدي منامته البنية: «لا يمكننا تركهما يخرجان للصيد كل ليلة. دمبلدور لا يريد الكثير من البوم المرفرف في سماء الميدان، ويظن أن الأمر سيبدو مثيراً للريبة.. نسيت..».

عبر نحو الباب وأغلق مصراعه. فسأله: «لم تفعل هذا؟».

قال «رون» وهو يطفئ النور: «كريتشر.. الليلة الأولى التي قدمنا فيها إلى هنا جاء ليجول بالحجرة الساعة الثالثة صباحاً. ثق بي، لن يروقك الاستيقاظ لتجده يعبث بغرفتك. ثم إن..» رقد في فراشه، واستقر تحت

الأغطية، ثم التفت لينظر إلى «هاري» في الظلام. رأى «هاري» جسده على ضوء القمر القادم من النافذة القذرة. أكمل «رون»: «ما رأيك؟».

لم يكن «هاري» بحاجة لسؤاله عن رأيه.

قال مفكراً بما حدث بالأسفل: «الواقع أنهم لم يخبرونا بما لم يكن بإمكاننا تخمينه، أليس كذلك؟ أعني أن كل ما قالوه: إن الجماعة تحاول إحباط محاولات تجنيد الناس من جانب فولد..» فشهق «رون» شهقة حادة عند ذكر الاسم.

أكمل «هاري» بحزم: «..مورت. متى ستبدأ في استخدام اسمه؟ سيرياس ولوبين يذكران اسمه». وتجاهل «رون» التعليق الأخير.

قال: «أجل، أنت محق. فنحن نعرف تقريباً كل شيء أخبرونا به، مما وصلنا من الآذان القابلة للمد. والخبر الجديد الوحيد هو..».

كراك

«آي».

«اخفض صوتك يا رون، وإلا ستصعد أمي إلى هنا».

«لقد تجسدتما على ركبتي».

«آه.. عذراً.. الأمر أصعب في الظلام».

رأى «هاري» كلاً من «فريد» و«جورج» في الظلام وهما يقفزان من فوق فراش «رون». صدر عن فراش «هاري» صرير، وهبط بضع بوصات بعد أن استقر «جورج» عليه بجوار قدميه.

قال «جورج» بنفاد صبر: «إذن هل عرفت ما هو؟».

قال «هاري»: «أتعني السلاح الذي ذكره سيرياس؟».

قال «فريد» الجالس بجوار «رون»: «طبعاً لم يذكر أي شيء عنه.. فلم نسمع به بواسطة الآذان الممتدة أبداً.. أليس كذلك؟».

قال «هاري»: «ما هو هذا السلاح في رأيك؟».

قال «فريد»: «يمكن أن يكون أي شيء».

قال «رون»: «لكنه لا يمكن أن يكون أخطر من تعويذة آفادا كيدافرا، أليس كذلك؟ ما هو الأسوأ من الموت؟».

قال «جورج»: «لعله شيء يقتل عدداً كبيراً من الناس في لحظات».

قال «رون» بخوف: «ربما هو سلاح يقتل بطريقة مؤلمة جداً».

قال «هاري»: «عنده تعويذة الكروكياتوس المسببة للألم. فهو ليس بحاجة لسلاح أكثر كفاءة منها ليؤلم الناس».

مرت فترة من الصمت. عرف «هاري» أن الآخرين مثله، يتساءلون فيها عن الأهوال التي قد يتسبب فيها هذا السلاح.

سأل «جورج»: «إذن من تظنه يملك السلاح الآن؟».

قال «رون» بنبرة عصبية قليلاً: «أتمنى أن يكون واحداً منا».

قال «فريد»: «لو كان أحدنا فهو على الأرجح «دمبلدور». ويحفظه في مكان ما».

قال «رون» بسرعة: «أين؟ في هوجورتس؟».

قال «جورج»: «أراهن أنه هناك.. حيث أخفى حجر الفيلسوف».

قال «رون»: «السلاح أكبر بالتأكيد من الحجر».

قال «فريد»: «ليس بالضرورة».

قال «جورج»: «أجل.. الحجم ليس دليلاً على القوة. انظر إلى «جيني» مثلاً».

قال «هاري»: «ماذا تعني؟».

«لم تتلقَّ أبداً واحدة من تعاويذ البات - بوجي التي تطلقها من عصاها».

قال «فريد» وهو ينهض من الفراش: «صه! أنصت».

صمتوا، وأخذت أقدام تقترب صاعدة السلم.

قال «جورج»: «أمي». ودون أن يودعاهما صدر عنهما صوت فرقعة، ثم شعر «هاري» بالوزن المستقر على فراشه يختفي. وبعد لحظات سمع ألواح الأرضية تصر خارج الحجرة. كانت السيدة «ويسلي» تتنصت؛ لتعرف إن كانا يتحدثان أم لا.

نعبت كل من «هدويج» و«بيجودجيون». صدر عن ألواح الأرضية صرير آخر، ثم سمعوها تتجه لأعلى لترى «فريد» و«جورج».

قال «رون» بتشم: «إنها لم تعد تثق بنا».

كان «هاري» واثقًا أنه لن ينام. كانت أمسيته مزدحمة بالأحداث لدرجة توقع معها الرقاد مستيقظًا لساعات يُقلِّب الموضوع في رأسه. أراد الحديث مع «رون»، لكن السيدة «ويسلي» عادت، وحالما رحلت بدأ يغوص في النوم فسمع آخرين يصعدون السلم. كان هناك الكثير من الأشخاص يصعدون ويهبطون السلم خارج حجرة نومه، و«هاجريد» أستاذ مادة رعاية المخلوقات

السحرية كان يقول: «يا لجمالهم يا هاري! (زندرنا)[1] (الأزلحة) هنا (القظل) (الدرازي)..» ورأى «هاري» مخلوقات بمدافع في رءوسها تقترب لتهاجمه، فانحنى.. وغرق في النوم الهادئ، بعد حلمه السخيف هذا.

لم يشعر بشيء حتى استيقظ ليجد نفسه متكمشًا على نفسه في الفراش، وصوت «جورج» المرتفع يملأ الحجرة.

«أمي تطالبكما بالنهوض، إفطارنا في المطبخ، وتريدكما في تنظيف حجرة الرسم، هناك عفاريت نطاطة أكثر مما تصورت، ووجدت عشًا قديماً لـ(عو أخطبوطي)[2] ميت تحت الأريكة».

بعد ساعة كان «هاري»، و«رون» - اللذان ارتديا ملابسهما وتناولا الإفطار بسرعة - قد دخلا إلى حجرة الرسم، وهي حجرة مرتفعة السقف بالطابق الأول بجوانط بلون أخضر زيتوني، مغطاة بالكثير من الرسوم واللوحات القذرة. بساطها تخرج منه سحابات صغيرة من التراب كلما خطا أحدهم عليه، وستائرها الخضراء المخملية التي أكلتها العثة ترتجف كأن خلفها نحلاً خفيًا. حول الستائر تجمع كل من السيدة «ويسلي»، و«هيرميون»، و«جيني»، و«فريد»، و«جورج». وجميعهم غريبو الشكل وعلى أنوفهم وأفواههم قطع من القماش. كان كل منهم ممسكًا بزجاجة من سائل أسود، على طرفها غطاء يضخ السائل.

قالت السيدة «ويسلي» لـ «هاري» و«رون» حالما رأتهما، مشيرة إلى زجاجتين من السائل الأسود على مائدة: «هذه مبيدات للعفاريت النطاطة. لم أر مكانًا موبوءًا بهذا الشكل من قبل.. وماذا كان يفعل ذلك القزم طوال عشرة أعوام؟».

كان وجه «هيرميون» مختفيًا لنصفه بمنشفة الشاي، لكن «هاري» رآها تنظر للسيدة «ويسلي» نظرة ضيق.

«كريتشر مسن.. وعلى الأرجح لم يعرف..».

(١) طريقة نطق «هاجريد» غريبة نوعًا. ولنقل الإحساس للقارئ بغرابة أسلوبه في الكلام، جعلناه يحول في كلامه السين والثاء إلى حرف الزاي، ويقلب الصاد ظاء. (المترجم)

(٢) أو Puffskeins، وهي كائنات سحرية عبارة عن كرات فرو خاملة تتحرك عندما تجوع، فتخرج منها ألسنة تجول بالمنزل حتى تصل لأنوف الأطفال وتدخل منها إلى الجسد وتقتل أشياء غير سارة بالمرة. (المترجم)

قال «سيرياس»: «ستندهشين عندما تعرفين ما يقدر كريتشر على فعله عندما يريد» كان قد دخل لتوه الحجرة حاملاً حقيبة مصبوغة بالدماء، فيها ما بدا كجرذان ميتة، أضاف: «كنت أطعم باكبيك» استجابة لنظرة «هاري» المتسائلة. «فأنا أبقيه في حجرة نوم أمي.. ماذا عن ذلك المكتب؟».

ألقى بحقيبة الجرذان على مقعد، ثم انحنى ليفحص المكتب المغلق الأدراج، والذي لاحظ «هاري» للمرة الأولى، أنه يهتز قليلاً.

قال «سيرياس» ناظراً عبر ثقب المفتاح: «أنا واثق أن هذا (عو) يا مولي، لكن ربما يجب دعوة ماد آي لإلقاء نظرة عليه بعينه السحرية قبل أن تخرجيه، فأنا أعرف أمي، وأعرف أنها ربما كانت تحتفظ بأشياء أسوأ من (العو)».

قالت السيدة «ويسلي»: «أنت محق يا سيرياس».

كانا يتحدثان بأصوات مهذبة خفيضة؛ مما جعل «هاري» يشعر بأن كليهما لم ينس الخلاف الذي نشب بينهما ليلة الأمس.

جاءهم صوت مرتفع مدوٍّ من الطابق السفلي، تبعه سلسلة من الصرخات والعواء الذي انطلق الليلة الماضية مع تعثر «تونكس» في حاملة المظلات.

قال «سيرياس» بسخط مغادراً الحجرة: «كم مرة قلت لهم ألا يستخدموا جرس الباب!» سمعوه يهبط السلم وصرخات السيدة «بلاك» تدوي في المنزل: «يا بقع وحثالة أسفل اللصوص، يا أنصاف السحرة، يا خائني الدم..».

قالت السيدة «ويسلي»: «أوصد هذا الباب يا هاري من فضلك».

أخذ «هاري» وقتاً طويلاً وهو يغلق باب حجرة الرسم، فقد أراد سماع ما يجري بالأسفل. كان «سيرياس» على الأرجح قد نجح في إغلاق الستائر؛ لأن اللوحة كفت عن الصراخ. سمع «سيرياس» يسير عبر الصالة، ثم صليل السلسلة بالباب الأمامي، ثم صوتاً عميقاً عرف فيه «كنجسلي شاكليولت» يقول: «تولت هستيا عني الحراسة، ومعها عباءة مودي، وأردت ترك تقرير لدمبلدور..».

أوصد «هاري» بحسرة باب حجرة الرسم شاعراً بعيني السيدة «ويسلي» على ظهره، وعاود الانضمام لفريق صيد العفاريت النطاطة.

كانت السيدة «ويسلي» منحنية تقرأ صفحة عن العفاريت النطاطة في كتاب (دليل جيلدروي لوكهارت إلى التخلص من القوارض السحرية المنزلية)، والذي كان ملقى مفتوحاً على الأريكة.

«يا جماعة.. توخوا الحذر؛ لأن عضة العفريت النطاط سامة. معي زجاجة من المصل المضاد للسم، لكن من الأفضل ألا نضطر لاستعمالها».

استقامت واقفة، وتمركزت أمام الستائر وأشارت لهم أن يتبعوها.

قالت: «عندما تسمعون الكلمة المتفق عليها ابدأوا في الرش فوراً. وسوف يطيرون إلينا طائرين، لكن المكتوب على غطاء زجاجة المبيد أن رشة واحدة جيدة قادرة على إصابتهم بالشلل. عندما يتجمدون في مكانهم ألقوا بهم في الدلو».

ابتعدت بحذر، بعيداً عن مرمى النيران، ورفعت زجاجة المبيد التي معها. «مستعدون.. رشوا».

لم يرش «هاري» سوى للحظات عندما هاجمه عفريت كامل النضج، وجناحاه الشبيهان بأجنحة الخنفساء يرفرفان، وأسنانه الحادة كالإبر مكشوفة، وجسده مغطى بشعر أسود كثيف، وأيديه الأربعة مكورة في قبضات. أصابه في وجهه بجرعة من مبيد العفاريت النطاطة. تجمد في الهواء وسقط بصوت ارتطام مسموع على البساط المهترئ. أمسكه «هاري» وألقى به في الدلو.

قالت السيدة «ويسلي» بحدة: «فريد! ماذا تفعل؟ رُشّه رشة واحدة ثم ألقه بعيداً».

نظر «هاري» حوله. كان «فريد» قابضاً على عفريت نطاط بين أصبعيه.

قال «فريد» بنبرة مشرقة، وهو يرش العفريت النطاط بسرعة على الوجه حتى فقد الوعي: «حاضر». لكن حالما أعطته السيدة «ويسلي» ظهرها لكزه بابتهاج.

قال «جورج» لـ «هاري» هامساً: «نريد تجربة مصل العفريت النطاط حتى نستخدمه في (حلوى التزويغ)[1] التي نصنعها».

تحرك «هاري» مقترباً من «جورج» وهو يرش عفريتين نطاطين هاجما أنفه فجأة، وقال من ركن فمه: «وما هي حلوى التزويغ؟».

همس «جورج» وعينه على ظهر السيدة «ويسلي»: «تركيبة من الحلوى تصيب من يتناولها بالمرض. ليس مرضاً خطيراً، لكن مرضاً كافياً للخروج

(1) أو Skiving snackboxes (المترجم)

من الفصل إن أردت ذلك. أنا وفريد نحاول صنعها منذ بداية هذا الصيف وهي مزدوجة الأطراف، ومتعددة الألوان. إن أكلت الطرف البرتقالي من (علكة التقيؤ) تتقيأ حال خروجك من الفصل إلى المستشفى تبتلع الطرف البنفسجي...».

همس «فريد» الذي تحرك حتى خرج عن نطاق بصر السيدة «ويسلي» وأخذ يجمع بعض العفاريت النطاطة الساقطة على الأرض ويضعها في جيبه: «.. فتعود إلى حالتك الطبيعية، وتختار النشاط الذي تود القيام به خلال ساعة كنت ـ لولا فضل الحلوى ـ لتقضيها في ملل لا فائدة منه. وهذا ما سنكتبه على الإعلانات المروجة للحلوى. لكن لا يزال هناك بعض التعديلات والإضافات. حاليًا يعاني من يقومون بتجربة الحلوى من استمرار التقيؤ بعد ابتلاع الطرف البنفسجي».

«يقومون بتجربة الحلوى؟».

قال «فريد»: «نحن. أنا وجورج نجرب كل أنواع (حلوى التزويغ).. حتى (نوجة نزيف الأنف)..».

قال «جورج»: «أمي تظن أننا نتنازل بعضنا البعض بالعصي السحرية».

همهم «هاري»: «هل لا تزال فكرة محل الألعاب والمقالب قائمة؟» وهو يتظاهر بتعديل وضع طرف زجاجة المبيد.

قال «فريد» خافضًا صوته والسيدة «ويسلي» تمسح جبينها بمنشفتها قبل أن تعاود مهاجمة العفاريت النطاطة: «في الواقع لم تتح لنا فرصة الحصول على مقر المحل حتى الآن؛ لذا فما لدينا الآن هو خدمة التوصيل بالبريد. ونشرنا إعلانًا في جريدة الدايلي بروفيت الأسبوع الماضي».

ابتسم «هاري». كان قد أعطى التوأمين ألف جاليون، قيمة جائزة مسابقة السحر الثلاثية؛ لمساعدتهما على تحقيق طموحهما بفتح محل المقالب. لكنه كان مسرورًا لمعرفة أن ما قدمه ساعدهما على تحقيق خططهما التي لا تعرفها أمهما. وهي لا ترى أن فتح محل للمقالب مستقبلٌ مهنيٌ مناسبٌ لأبنائها.

أخذ منهم إبادة العفاريت النطاطة معظم الصباح. كان الوقت قد تجاوز منتصف النهار عندما رفعت أخيرًا السيدة «ويسلي» الوشاح عن وجهها، وجلست على مقعد ثم أطلقت صيحة اشمئزاز عندما وجدت أنها جلست على

علبة الجرذان الميتة. لم تعد الستائر مضطربة بالحركة، صارت مبتلة من الرش الكثيف عليها. وعند طرفها السفلي كان هناك عفريتان نطاطان فاقدان الوعي بجانب مجموعة من بيضهم الأسود. والذي أخذ «كريكشانكس» يتشممه، وكل من «فريد» و«جورج» يحدجانه بنظرات طمع.

أشارت السيدة «ويسلي» إلى الدواليب المترِبة الزجاج، المنتصبة إلى جانبي المدفأة: «سننظف هذه الخزائن بعد الغداء». كانت مليئة بأشياء كثيرة غريبة، من خناجر صدئة، ومخالب، وجلود ثعابين، وعدد من الصناديق الفضية المنقوش عليها بلغات لا يعرفها «هاري»، وزجاجة كريستالية كبيرة مغلقة مليئة بما رأه كدم.

رن جرس الباب ثانية. ونظر الجميع نحو السيدة «ويسلي».

قالت بحزم وهي تقبض على حقيبة الجرذان مع بدء صراخ السيدة «بلاك»: «ابقوا هنا. سأحضر لكم بعض الشطائر».

غادرت الحجرة، وأغلقت الباب خلفها. تدافع الجميع على الفور نحو النافذة؛ لينظروا إلى الطابق السفلي. رأوا رأسًا بشعر أشعث وبعض القدور فوقه.

قالت «هيرميون»: «مندنجس؛ لماذا جلب كل هذه القدور؟».

قال «هاري»: «على الأرجح؛ بحثًا عن مكان آمن لتخزينها. أليس هذا ما كان يفعله ليلة نوبة حراستي؟ يبحث عن القدور المسروقة؟».

قال «فريد» مع انفتاح الباب الأمامي: «أجل. أنت محق»، ثم أضاف و«مندنجس» يدخل بالقدور الثقيلة من الباب ويخرج عن مرمى أبصارهم: «يا ربي. أمي لن تسمح له بـ...».

عبر هو و«جورج» إلى الباب ووقفا بجانبه؛ لينصتا بحرص. توقف صراخ السيدة «بلاك».

همهم «فريد» مقطب الجبين: «مندنجس يتحدث إلى سيرياس وكنجسلي، لا أسمع جيدًا. هل تعتقدون أن الأمر يستحق المخاطرة باستخدام الآذان الممتدة؟».

قال «جورج»: «ربما يستحق.. أستطيع التسلل إلى أعلى السلم وجلب زوج من...».

لكن في تلك اللحظة جاءهم صوت مدوٍ من الأسفل جعل استخدام الآذان الممتدة غير ضروري. تمكنوا جميعًا من سماع ما تصيح به السيدة «ويسلي» بأعلى صوتها.

«نحن لا ندير مقرًا لإخفاء البضائع المسروقة».

قال «فريد» وابتسامة راضية مرتسمة على وجهه: «أحب سماع أمى وهى تصيح فى أحد غيرى» وفتح الباب برهة أخرى ليسمح لصوت السيدة «ويسلى» بالانسلال إلى الحجرة، وأضاف: «فيا له من تغيير طيب».

«.. يا لغياب إحساسك بالمسئولية. كأن ليس لدينا ما تقلق بشأنه بجانب الغيور المسروقة فى المنزل..».

قال «جورج» وهو يهز رأسه: «الحمقى تركوها تستشيط غضبًا.. يجب حل الموقف فى بدايته وإلا تصاعد البخار فى رأسها وثارت لساعات. وهى تتوق منذ ترك «مندنجس» نوبة حراسته للصياح فيه.. وها هى أم سيرياس تصرخ ثانية..».

اختفى صوت السيدة «ويسلى» مع انطلاق صرخات ولعنات اللوحة.

هم «جورج» بغلق الباب، لكن قبل أن يفعل انسل قزم إلى الحجرة.

فيما عدا القماش القذر المربوط حول خصره، كان عاريًا تمامًا. بدا عجوزًا وجلده مترهلاً على جسده، وبالرغم من أن كل الأقزام المنزلية صلعاء، فقد كان هناك شعر أبيض نامٍ خلف أذنيه الوطواطيتين، وعيناه بلون الدم وبياضهما رمادى، وأنفه كبير وحاد. لم يلحظ القزم المنزلى وجود «هارى» والباقين بالمرة. وهو يتصرف كأنه لا يراهم، تقدم ببطء وحذر نحو الطرف البعيد للحجرة، وطوال الوقت يغمغم بصوت عميق واهن:

«.. رائحتها مثل المجارير، لكنها ليست أفضل من خائن دم أمه، والعابثين بمنزل سيدتى.. آه يا سيدتى العزيزة، إن كانت تعرف، إن كانت تعرف بأمر الحثالة الذين سيملأون بيتها، ماذا كانت ستقول وقتها لكريتشر؟ آه.. يا للعار، أنصاف سحرة ومذءوبون وخائنون ولصوص.. وكريتشر المسكين وحده.. ماذا أفعل؟».

قال «فريد» بصوت مرتفع وهو يغلق الباب بصوت بسرعة: «أهلاً يا كريتشر». تجمد القزم المنزلى فى مكانه، وكف عن الغمغمة، ثم صدرت عنه صيحة دهشة غير مقنعة بالمرة.

قال وهو يلتفت وينحنى أمام «فريد»: «كريتشر لم ير السيد الصغير» كان لا يزال مواجهًا للبساط، وأضاف بصوت مسموع واضح: «هذا الحقير خائن دم السحرة».

قال «جورج»: «عذرًا. لم أسمع العبارة الأخيرة».

قال القزم بانحناءة مماثلة لـ «جورج»: «كريتشر لم يقل شيئًا» ثم أضاف بصوت هامس: «وها هو توأمه.. يا لهما من وحشين صغيرين غريبى الأطوار».

لم يعرف «هارى» ماذا يفعل: يضحك أم لا. استقام القزم فى وقفته، ونظر إليهم بحقد وقد بدا عليه الاقتناع بأنهم لا يسمعونه وهو يستكمل غمغمته.

«.. وها هى ذات الدم الطينى، تقف بوقاحة. آه إن كانت سيدتى تعرف ما يحدث. آه.. كانت لتبكى كثيرًا، وهذا الولد، لا يعرف كريتشر اسمه. ماذا يفعل هنا؟ كريتشر لا يعرف..».

قالت «هيرميون» بتردد: «هذا هارى يا كريتشر.. هارى بوتر».

اتسعت عينا «كريتشر» الشاحبتان عن آخرهما، وغمغم بسرعة وبنبرة أكثر غضبًا مما مضى: «ذات الدم الطينى تتحدث إلى كريتشر كأنها صديقتى، إن رأتنى السيدة بلاك كريتشر مع مثل هذه الصحبة.. آه.. كانت ستقول..».

قال «رون» و«جينى» معًا بغضب شديد: «لا تنادها بذات الدم الطينى».

همست «هيرميون»: «لا يهم.. فهو ليس بحالة طبيعية، ولا يعى ما يقول».

قال «فريد» محدجًا «كريتشر» بنظرة كراهية شديدة: «لا تضحكى على نفسك يا هيرميون. فهو يعى تمامًا ما يقول».

استمر «كريتشر» فى الغمغمة، وعينه على «هارى».

«حقًا؟ هل هذا هارى بوتر؟ يرى كريتشر ندبته. لا بد أن الأمر حقيقى، إنه الولد الذى أوقف سيد الظلام. كريتشر يتعجب كيف فعل هذا..».

قال «فريد»: «وجميعنا نتعجب يا كريتشر».

سأله «جورج»: «ماذا تريد على أية حال؟».

تحولت عينا «كريتشر» الكبيرتان نحو «جورج».

قال بأسلوب مراوغ: «كريتشر ينظف» جاء صوت من خلف «هارى»: «يا لها من قصة لطيفة».

عاد «سيرياس»، وأخذ يحدق نحو القزم من موقفه عند مدخل الباب. تراجعت الأصوات الصاخبة بالصالة.. فربما ذهب كل من السيدة «ويسلى» و«مندنجس» إلى المطبخ. أما «كريتشر»، فعند مرآه لـ«سيرياس» فقد انحنى بطريقة سخيفة ليلامس أنفه الطويل الأرض.

قال «سيرياس» بنفاد صبر: «انهض وقف.. ماذا تفعل الآن؟».

كرر القزم المنزلي كلامه: «كريتشر ينظف.. كريتشر يعيش لخدمة منزل آل بلاك النبيل والـ...».

قال «سيرياس»: «والآخذ في الإظلام أكثر وأكثر كل يوم(١)، إنه نجس».

قال «كريتشر» وهو ينحني ثانية: «سيدي دائمًا ما يحب المزاح»، ثم وبصوت خفيض: «سيدي خائن قذر غير حافظ للجميل، حطم قلب أمه..».

قال «سيرياس» بحدة: «أمي لم يكن لها قلب يا كريتشر. كانت تعيش وتتغذى على الكراهية والحقد».

انحنى «كريتشر» ثانية وهو يتحدث.

غمغم بغضب: «أيًا كان ما يقوله سيدي، فهو لا يستحق شرف مسح الوسخ عن حذاء أمه، آه يا سيدتي المسكينة، ماذا كانت ستقول لو رأت كريتشر يخدمه؟! كانت ستكرهه، يا للحسرة التي...».

قال «سيرياس» ببرود: «سألتك ماذا تفعل الآن. كل مرة تأتي متظاهرًا بالتنظيف تسرق شيئًا ما وتأخذه إلى غرفتك؛ حتى لا نلقي به».

قال القزم بكلمات خفيضة النبرة متسارعة الإيقاع: «كريتشر لا ينقل شيئًا أبدًا من مكانه الصحيح ببيت سيدي. سيدتي لا تغفر أبدًا لكريتشر إذا ألقى بلوحة ما، مملوكة للأسرة منذ سبعة قرون، يجب على كريتشر أن ينقذها، يجب عليه ألا يدع السيد وخونة الدم، والحمقى الصغار، يدمرونها...».

قال «سيرياس» ملقيًا بنظرة ازدراء على الحائط المقابل: «أه، هذا ما ظننت أنك تفعل. بالطبع عالجت اللوحة بتعويذة التصاق، لكن إن تمكنت من التخلص منها سأفعل بلا تردد. اذهب الآن يا كريتشر».

بدا كأن «كريتشر» لا يجرؤ على تحدي الأوامر المباشرة، لكن النظرة التي رمى «سيرياس» بها وهو يخرج كانت مفعمة بأعمق مشاعر الكراهية، وأخذ يغمغم بحنق خلال خروجه من الحجرة.

«.. يعود من أزكابان ليأمر كريتشر، أه يا سيدتي المسكينة، ماذا كنت ستقولين لو رأيت البيت الآن؟ والحثالة الذين يعيشون فيه! وكنوزك رُميت إلى الخارج، أقسمت أن ليس لها ابن! ولن تسمح بعودته! ويقولون إنه قاتل أيضًا..».

(١) كلمة Black تعني أسود. فتعليق «سيرياس» على كلمات كريتشر سخرية من أسرته. (المترجم)

قال «سيرياس» باستعاض وهو يغلق الباب خلف القزم: «نأوم على نفسك وتذمرك هنا وسأصبح قاتلًا».

قالت «هيرميون»: «رجاءً يا سيرياس، إن عقله لا يعمل كما يجب، لا أحسبه مدركًا لما يقوله».

قال «سيرياس»: «لقد بقي هنا طويلًا، وكانت لوحة أمي تعطيه أوامر مجنونة ويتحدث إلى نفسه، لكن ومنذ عرفته وهو قزم أحمق صـ...».

قالت «هيرميون» بنبرة أمل: «لو أعطيته حريته ربما...».

قال «سيرياس» باقتضاب: «لا يمكن منحه الحرية، فهو يعرف الكثير عن الجماعة. كما أن صدمة الحصول على الحرية قد تقتله. اقترحي عليه مغادرة هذا المنزل وسترين حجم الفاجعة على وجهه».

سار «سيرياس» بطول الحجرة إلى اللوحة التي حاول «كريتشر» حمايتها. كانت معلقة بطول الحائط تبعه «هاري» والآخرون.

بدت اللوحة بالغة القدم.. كانت مهترئة وكأن العفاريت النطاطة أكلت أجزاء منها، لكن الخيط الذهبي المتخلل اللوحة أخذ يلمع ببريق كاف ليريهم شجرة عائلة متفرعة تعود بتاريخها - كما رأى «هاري» - إلى العصور الوسطى. ومكتوب عند الطرف العلوي من اللوحة:

بيت آل بلاك النبيل والقديم

قال «هاري» بعد أن فحص طرف شجرة العائلة السفلي: «اسمك ليس هنا».

قال «سيرياس» مشيرًا إلى حفرة صغيرة مستديرة على اللوحة بدت مثل حرق سيجارة: «كنت هنا.. لكن أمي الحبيبة أزالتني بعد أن هربت من البيت. وكريتشر يحب تلاوة هذه القصة بصوته الهامس».

«هل هربت من البيت؟».

قال «سيرياس»: «عندما بلغت السادسة عشر. كنت قد نلت كفايتي».

سأله «هاري» محدقًا فيه: «وإلى أين ذهبت؟».

قال «سيرياس»: «إلى بيت أبيك.. واعتنى بي جدك وجدتك كأنني ابن ثان لهما. أجل، كنت أقيم في بيت أبيك أيام الإجازات المدرسية، وعندما بلغت السابعة عشرة أقمت في مكان خاص بي. ترك لي عمي «ألفارد» تركة معقولة

من الذهب. وقد مسحوا اسمه عن هذه اللوحة هو الآخر، وهذا هو سبب مسحه على الأرجح. المهم، بعدها اعتنيت بنفسي، وكنت دائمًا أجد الترحيب من السيد والسيدة بوتر على الغداء يوم الأحد».

«لكن.. لماذا قمت بـ...؟».

ابتسم «سيريباس» وعلى وجهه نظرة مريرة: «لماذا قمت بالمغادرة؟» ثم وهو يمرر أصابعه عبر شعره الطويل غير المصفف: «لأنني كرهتهم جميعًا: أبوي، وهوسهم بنقاء سلالة السحرة، واقتناعهم بأن كون المرء من عائلة بلاك يجعله كأنه من عائلة ملكية.. وأخي الأبله، الذي صدقهم.. ها هو اسمه».

أشار «سيريباس» بإصبعه إلى طرف الشجرة السفلي، على اسم «ريجولوس بلاك»، وبجانبه تاريخ وفاته (منذ خمسة عشر عامًا) ومعه تاريخ الميلاد.

قال «سيريباس»: «كان أصغر مني، وابنًا بارًا كما كانوا يذكرونني دائمًا».

قال «هاري»: «لكنه مات».

قال «سيريباس»: «أجل.. هذا الأبله الغبي.. انضم لأكلة الموت».

«هل تمزح؟».

قال «سيريباس»: «هاري.. ألم تر في هذا البيت ما يكفي لتعرف نوع السحرة الذي تنتمي إليه عائلتي؟».

«هل.. هل كان أبواك من أكلة الموت هما الآخران؟».

«لا، لا.. لكن صدقني، كانوا يرون أن فولدمورت هو الجانب الأفضل في الصراع، كانوا يؤمنون بفكرة نقاء سلالات السحرة، والتخلص من السحرة المولودين للعامة، وتولي السحرة ذوي الدم النقي القيادة. ولم يكونوا وحدهم في هذا الاعتقاد. كان هناك بعض الناس - قبل أن يظهر فولدمورت على حقيقته - يرونه يفعل الصواب.. ثم خافوا وترددوا عندما رأوا ما كان يفعله ليحصل على المزيد من القوة والسلطة. لكني أعتقد أن أسرتي كانت ترى ريجولوس بطلاً صغيرًا مع انضمامه إلى فريق فولدمورت في البداية».

سأله «هاري» بتردد: «هل كان من صرعه مقاتلاً للسحر الأسود؟».

قال «سيريباس»: «لا، لا.. قتله «فولدمورت».. أو قُتل بناء على أوامر «فولدمورت» على الأرجح. أشك أن أهمية ريجولوس كانت كبيرة لدرجة أن يقتله «فولدمورت» بنفسه. ومما عرفته بعد موته كان قد تمادى كثيرًا في

علاقته بأكلة الموت، ثم ذُعر مما طلبوه منه، وحاول التراجع لكن لا أحد يقدم استقالة لـ «فولدمورت». إنها خدمة أبدية أو فمصيرك الموت».

جاء صوت السيدة «ويسلي» قائلة: «هيا لتناول الغداء».

كانت عصاها السحرية مشهرة مرفوعة أمامها، وعند طرفها صينية هائلة الحجم من الشطائر والكعك. كان وجهها شديد الاحمرار، والغضب ما زال يتملكها. تقدم الآخرون نحوها، يدفعهم الشعور بالجوع، لكن «هاري» بقي مع «سيريباس»، الذي انحنى مقتربًا أكثر من اللوحة: «لم أفحصها منذ سنوات. ها هو فينياس نيجالوس.. جد جدي الأكبر.. أترى اسمه؟.. الأقل شعبية بين نظار هوجورتس.. حاول استصدار مشروع قانون من وزارة السحر يجعل صيد العامة قانونيًا.. وعزيزتي العمة إيلادورا.. سنّت تقليدًا في العائلة يقضي بقطع رقاب الأقزام المنزلية عندما تهرم ولا تقدر على حمل صينيات الشاي.. وكما ترى فكلما جاء شخص أمين أو طيب يخلعونه من العائلة.. اسم تونكس ليس هنا. ربما لهذا السبب لا يتلقى منها كريتشر أي أوامر.. فمن المفترض أن يطيع أي أمر من أي فرد في العائلة».

سأله «هاري» مندهشًا: «هل تربطك بتونكس صلة قرابة؟».

قال «سيريباس» وهو يفحص اللوحة عن قرب: «أجل، أمها أندروميدا كانت ابنة عمي الأحب إلى قلبي.. لكن أندروميدا ليست هنا أيضًا، انظر».

أشار إلى حرق آخر صغير بين اسمين: «بيلاتريكس» و«نرسيسا».

«ما زالت أسماء أخوات أندروميدا باللوحة؛ لأنهن قد تزوجن زيجات من سحرة من سلالات نقية، لكن أندروميدا تزوجت ساحرًا أبواه من العامة، وهو أبو تونكس؛ لذا...».

قلد «سيريباس» حركة حرق اسم من على اللوحة بعصا سحرية بسخرية، وضحك ضحكة مريرة، لكن «هاري» لم يضحك. كان مشغولاً بالنظر إلى الأسماء التي إلى يمين اسم «أندروميدا» المحترق. كان هناك خط مزدوج من النسيج الذهبي يربط اسم «نرسيسا بلاك» بـ «لوكياس مالفوي»، وخط رأسي واحد من اسميهما يقود إلى اسم «دراكو».

«هل تربطك بآل مالفوي صلة قرابة؟».

قال «سيريباس»: «كل العائلات نقية الدماء تربطها صلات قرابة.. فإن كنت

لن تزوج بناتك وأبناءك إلا من سلالات نقية؛ فستجد خياراتك محدودة للغا حيث لم يعد هناك الكثيرون منا. أنا ومولي تربطنا قرابة نسب، وآرثر ابن لي من بعيد. لكن لا فائدة من البحث عنهم هنا. فلو كان هناك أسرة خائ للدم فهم آل ويزلي».

لكن «هاري» كان ينظر إلى يسار اسم «أندروميداء» المحترق.. «بيلاتريكس بلاك»، والذي كان متصلاً بخط مزدوج باسم «رودولفاس ليسترانج».

قال «هاري»: «ليسترانج..» أثار الاسم ذكرى ما، كان يعرف الاسم، لكن يعرف من أين عرفه، وإن أصابه بإحساس مقبض كئيب.

قال «سيرياس» باقتضاب: «إنهما في سجن أزكابان».

تطلع «هاري» إليه بفضول.

قال «سيرياس» بنفس الصوت الجاف: «بيلاتريكس وزوجها رودولفاس وق مع بارتي كراوتش الابن.. شقيق رودولفاس راباستان كان معهم هو الآخر».

تذكر «هاري» رأى «بيلاتريكس ليسترانج» في مفكرة «دمبلدور» السحر وهي جهاز غريب يخزن الأفكار والذكريات.. كانت سيدة طويلة داكنة البشر بعيون ذات جفون ثقيلة، كانت واقفة في محاكمتها وأعلنت استمرارها ف الولاء للورد «فولدمورت»، أملاً في مكافأتها يوماً ما على إخلاصها ب عودته إلى قوته.

«لم تقل أبداً إنها قريبتـ...».

قال «سيرياس» بحدة: «وهل هناك فرق إن كانت ابنة عمي؟ إنها ليست م أسرتي. قطعاً ليست من أسرتي. وأنا لم أرها منذ أن كنت في مثل عمرك، إلا إ كنت تعد نظرة عابرة إليها وهي تلج إلى سجن أزكابان لقاءً بها. هل تعتق أنني فخور بكونها قريبة لي؟».

قال «هاري» بسرعة: «آسف.. لم أقصد.. كنت فقط مندهشاً، هذا كل ما في..

غمغم «سيرياس»: «لا يهم.. لا تعتذر» ثم التفت مبتعداً عن اللوحة، ويده ف جيبه. أضاف: «لا أحب عودتي إلى هنا» ثم وهو يتأمل فراغ حجرة الرسم: «ل أتخيل أبداً أنني سأعلق بهذا البيت ثانية».

فهم «هاري» تماماً ما يعنيه. فهو نفسه - بعد أن كبر وظن أنه قد تحرر م المكان الذي يكرهه، عاد ليعيش بالمنزل رقم (٤) بشارع «بريفت درايف».

قال «سيرياس»: «بالطبع هو مكان مثالي كمقر للجماعة؛ فقد حصنه أبي بكل إجراءات الأمان التي يعرفها جنس السحرة حال حياته. إنه غير مرئي أو موضوع على خريطة الشارع.. فلا يمكن للعامة التطفل عليه.. كأنهم قد يودون يوماً التطفل على مثل هذا المكان» ثم أضاف «دمبلدور تأميناً وحماية.. حتى صار من الصعب العثور على منزل أكثر أمناً من هذا. دمبلدور هو الأمين السري للجماعة.. ولا يمكن لأحد العثور على المقر إلا لو أخبره هو شخصياً بمكانه.. تلك الورقة التي ناولها لك مودي الليلة الماضية كانت من دمبلدور..» ضحك «سيرياس» ضحكة قصيرة شبيهة بالنباح وأضاف: «لو عرف والداي كيف يُستغل بيتهما الآن. أعني، ربما تعطيك لوحة أمي فكرة عما كانا ليفعلانه».

عبس للحظة، ثم تنهد.

«لا أمانع في الخروج وفعل شيء مفيد.. طلبت من دمبلدور أن أرافقك إلى المحاكمة.. بشخصية سنافلس كما تعرف.. حتى أدعمك معنوياً.. ما رأيك؟».

شعر «هاري» وكأن معدته قد غاصت تحت البساط المترب. لم يفكر في المحاكمة منذ عشاء الليلة الماضية.. فوسط التحمس للعودة والإقامة بين الناس الذين يحبهم، ومع السماع بكل ما يجري، طار الموضوع من عقله تماماً. لكن مع كلمات «سيرياس»، عاوده إحساس الرهبة الكاسح. حدق في «هيرميون» والإخوة «ويزلي» المنهمكين في أكل شطائرهم، وفكر في شعوره لو عادوا إلى «هوجورتس» من دونه.

قال «سيرياس»: «لا تقلق». نظر «هاري» لأعلى وأدرك أن «سيرياس» يراقبه. أضاف: «أنا واثق من أنهم سيبقون براءتك. بالتأكيد هناك فقرة ما في قانون سرية السحرة الكونفدرالي الدولي عن السماح باستخدام السحر في الدفاع عن النفس».

قال «هاري» بهدوء: «لكن لو فصلوني.. هل يمكنني العودة والإقامة معك؟».

ابتسم «سيرياس» بحزن.

«سنرى وقتها».

أضاف «هاري»: «سيخف قلقي بشأن المحاكمة إن عرفت أن لدي مكاناً أذهب إليه بخلاف منزل آل دورسلي».

قال «سيرياس» بتجهم: «لابد أنهم سيئون فعلاً إن كنت تفضل هذا المكان».

نادتهما السيدة «ويزلي»: «أسرعا أنتما الاثنان، وإلا لن يبقى لكما أي طعام».

تنهد «سيرياس» تنهيدة أخرى عميقة، وألقى بنظرة عابسة على اللوحة، ثم انضم هو و«هاري» إلى الآخرين.

حاول «هاري» ألا يفكر في المحاكمة وهم يفرغون الخزائن بعد ظهر ذلك اليوم. ومن حسن حظه أنها كانت مهمة تتطلب الكثير من التركيز، مع رغبة الكثير من الأشياء على مغادرة أرففها الملوثة بالتراب. عانى «سيرياس» من عضة جاءته من داخل صندوق نشوق فضي، وخلال ثوانٍ نمت قشرة بغيضة الشكل على يده، فبدت كأنها مغطاة بقفاز بني خشن.

قال وهو يفحص يده باهتمام قبل أن يطرقها بخفة بعصاه السحرية ويستعيد جلده حالته الطبيعية: «لا بأس.. لا بد أن بالخزانة بودرة (وارت ـ كاب)».

ألقى بالصندوق في الكيس حيث كانوا يتخلصون من القمامة التي يخرجونها من الخزائن. رأى «هاري» «جورج» يلف يده بحرص في قطعة قماش وبعد لحظات يلقي بالصندوق الصغير في جيبه المليء بالعفاريت النطاطة.

وجدوا أداة فضية غريبة الشكل، خرج منها شيء تشبه أقدامه أقدام العنكبوت، ومشى على ذراع «هاري» عندما التقطه، وحاول اختراق جلده بأهدابه، فأمسكه «سيرياس» وسحقه بالكتاب الثقيل بعنوان: (نبل الطبيعة دليل إلى أنساب السحرة). كان هناك صندوق موسيقى تنبعث منه موسيقى كئيبة واهنة، فشعروا جميعًا بالنعاس والضعف، حتى أدركت «جيني» السبب وأغلقت الصندوق.. ووجدوا خزانة ثقيلة لم يقدروا على فتحها. وبعض الأختام القديمة في صندوق مترب، ووسام «مرلين» من الدرجة الأولى، وحصل عليه جد «سيرياس».. وحيثيات الحصول عليه أنه (خدم الوزارة).

قال «سيرياس» بازدراء وهو يلقي بالميدالية في كيس القمامة: «مما يعني أنه قد أعطاهم الكثير من الذهب».

دخل «كريتشر» إلى الحجرة عدة مرات وحاول سرقة أشياء بإخفائها أسفل قطعة القماش المربوطة حول خصره، ثم يلقي بلعنات بشعة كلما أمسكوه. عندما أخذ منه «سيرياس» خاتمًا ذهبيًا كبيرًا عليه شعار آل «بلاك»، تفجرت دموع الغضب في عيني «كريتشر» وغادر الحجرة وهو يسب «سيرياس» ناعتًا إياه بصفات لم يسمع بها «هاري» من قبل قط.

قال «سيرياس» ملقيًا بالخاتم في الكيس: «كان ملكًا لأبي. لم يكن كريتشر

مخلصًا له مثل إخلاصه لأمي، لكنني رأيته يسرق سروالين من سراويل أبي القديمة الأسبوع الماضي».

***

جعلتهم السيدة «ويسلي» يعملون كثيرًا على مدى الأيام القليلة التالية. استغرق تنظيف حجرة الرسم ثلاثة أيام. أخيرًا لم يعد بها من شيء بغيض سوى لوحة شجرة عائلة آل «بلاك»، والتي قاومت كل محاولات إزالتها عن الجدار، وكذا المكتب. لم يمر «مودي» على المقر بعد؛ فلم يعرفوا ما بداخله.

انتقلوا من حجرة الرسم إلى حجرة الطعام بالطابق الأرضي حيث وجدوا عناكب كبيرة بحجم أطباق فناجين الشاي تزحف في الخزانة (غادر «رون» الحجرة بسرعة لإعداد فنجان من الشاي، ولم يعد طوال ساعة ونصف الساعة). أما الأطباق الصينية التي كان عليها شعار آل «بلاك» فقد ألقيت في غير اهتمام داخل كيس «سيرياس»، ولاقت الصور الفوتوغرافية القديمة ذات الأُطر الفضية نفس المصير، وأخذ جميع شاغليها يصرخون مع تحطم واجهاتها الزجاجية.

ربما يرى «سناب» هذا العمل على أنه (تنظيف)، لكن في رأي «هاري» كانوا يشنون حربًا شعواء على المنزل، الذي قاومهم بشدة، يساعده ويدعمه «كريتشر». دأب القزم المنزلي على الظهور حيثما يتجمعون، لتصير همهمته أكثر وقاحة وهو يحاول إزالة أي شيء يراه من أكياس القمامة التي تجمعت. تمادى «سيرياس» في تهديده حتى أنه هدده بتحريره، لكن «كريتشر» كان يحدجه بعين لا تطرف ويقول: «فليفعل السيد ما يشاء»، ثم يلتفت ويقول بصوت مرتفع: «لكن السيد لن يتخلص من كريتشر. لا؛ لأن كريتشر يعرف ما يريده السيد. أجل.. إنه يخطط لإيذاء سيد الظلام، أجل، ومعه كل أنصاف السحرة هؤلاء، والخونة، والحثالة..».

ومع تجاهله لاحتجاجات «هيرميون»، قبض «سيرياس» على «كريتشر» من قماش خصره من الخلف وألقى به بعنف خارج الحجرة.

كان جرس الباب يرن عدة مرات يوميًا، وهي الإشارة التي تنتظرها لوحة أم «سيرياس» حتى تشرع في الصياح والصراخ ثانية، ويشرع «هاري» والباقون في التنصت على الزوار، بالرغم من أنهم لم يعرفوا سوى القليل مما يسمعونه، فقد كانوا يتسللون للتنصت قبل أن تعيدهم السيدة «ويسلي» إلى واجباتهم ومهامهم. جاء «سناب» إلى المنزل عدة مرات، ومما يبعث على الراحة

أنه لم ير «هارى» وجهاً لوجه. كما رأى «هارى» أستاذة مادة التحول السحرى الأستاذة «مكجونجال» التى بدت غريبة الشكل فى ثوب ومعطف العامة. كما بدت مشغولة لدرجة تمنعها من البقاء طويلاً بالمنزل. لكن أحياناً كان الزوار يبقون ليقدموا العون. انضمت إليهم «تونكس» بعد ظهر يوم لا يُنسى، وجدوا خلاله غولاً عجوزاً فى دورة مياه الطابق العلوى. كما ساعدهم «لوبين» ـ الذى بقى بالمنزل مع «سيرياس»، لكنه كان يخرج لفترات طويلة فى مهام غامضة لصالح الجماعة ـ فى إصلاح ساعة كبيرة قديمة صار من عاداتها السيئة إطلاق أسهم قصيرة على من يمرون بجوارها. حسن «مندنجس» من صورته قليلاً فى عينى السيدة «ويسلى» بإنقاذه «رون» من مجموعة من العباءات البنفسجية حاولت خنقه عندما حاول إخراجها من الخزانة.

بالرغم من أنه مازال يعانى من النوم المضطرب، ومازالت تزوره أحلام عن ردهات وأبواب مغلقة تتألم معها ندبته، فقد نجح «هارى» فى الاستمتاع بوقته للمرة الأولى منذ بداية الصيف. مادام مشغولاً فهو سعيد. لكن عندما يهدأ النشاط، وحالما يهدأ أو يستلقى متعباً فى الفراش يراقب الظلال التى تمر عبر السقف، وتداهمه فكرة محاكمة الوزارة. كان الخوف يتسلل إليه وهو يتساءل عما سيحدث له إن فصلوه. كانت الفكرة رهيبة لدرجة أنه لم يجرؤ على النطق بها بصوت مسموع، ولا حتى لـ «رون» أو «هيرميون»، اللذين ـ بالرغم من رؤيته لهما ـ يتهامسان ويتبادلان تحديجه بنظرات قلقة، فعلا مثله ولم يذكرا شيئاً عن الموضوع. أحياناً كان لا يقدر على منع خياله من رسم صورة لوجه بلا تفاصيل لمسئول الوزارة الذى سيكسر عصاه السحرية إلى قطعتين ويأمره بالعودة والإقامة مع آل «دورسلى»... لكنه لن يذهب وقتها! كان عاقد العزم على هذا. سيعود إلى «جريمولد بليس» ويعيش مع «سيرياس».

شعر كأن حجراً سقط فى معدته عندما التفتت إليه السيدة «ويسلى» خلال العشاء يوم الأربعاء وقالت بهدوء: «أعددت لك أفضل ملابسك من أجل زيارة صباح الغد يا هارى، وأريدك أن تغسل شعرك أيضاً. فالانطباع الأول الجيد قد يفعل العجائب».

كف «رون» و«هيرميون» و«فريد» و«جورج» و«جينى» عن الحديث ونظروا إليه. أومأ «هارى» برأسه وحاول الاستمرار فى الأكل، لكن فمه صار جافاً فلم يستطع البلع.

سأل السيدة «ويسلى» محاولاً أن تبدو عليه اللامبالاة: «كيف سأذهب؟».

قالت السيدة «ويسلى» برفق: «سيأخذك آرثر معه إلى العمل».

ابتسم السيد «ويسلى» لـ «هارى» ابتسامة مشجعة عبر المائدة.

قال: «يمكنك الانتظار فى مكتبى حتى موعد المحاكمة».

نظر «هارى» إلى «سيرياس»، لكن قبل أن يسأله، أجابته السيدة «ويسلى»: «الأستاذ دمبلدور لا يرى قدوم سيرياس معك فكرة جيدة. وعلىّ أن أقول...».

قال «سيرياس» من بين أسنانه: «.. إنك ترينه محقاً تماماً».

زمت السيدة «ويسلى» شفتيها بامتعاض.

قال «هارى» محدقاً فى «سيرياس»: «متى أخبرك دمبلدور بهذا؟».

قال السيد «ويسلى»: «حضر ليلة أمس، عندما كنتم نائمين».

داعب «سيرياس» «البطاطس» فى طبقه بشوكته. خفض «هارى» عينيه إلى طبقه.. ألقته فكرة حضور «دمبلدور» إلى البيت دون أن يطلب مقابلته.



٧ وزارة السحر

أفاق «هاري» من نومه الساعة الخامسة والنصف صباح اليوم التالي فجأة، كأن هناك من صرخ في أذنه. للحظات قليلة رقد بلا حراك وفكرة المحاكمة تملأ جنبات عقله، ثم وبعد أن صار غير قادر على التحمل، هب من الفراش وارتدى عويناته. أحضرت له السيدة «ويسلي» بنطلونه (الجينز) والـ(تي - شيرت) المغسولين عند طرف فراشه. ارتداهما بسرعة.. وسمع اللوحة الخالية على الجدار تضحك بسخرية.

كان «رون» راقدًا على ظهره وفمه مفتوحًا عن آخره، غارقًا في النوم، لا يتقلب، و«هاري» يمشي عبر الحجرة، ثم وهو يخطو عبر الباب إلى السلم ويغلق الباب خلفه بهدوء، محاولاً ألا يفكر في المرة القادمة التي قد يرى فيها «رون»، واحتمال ألا يستمرا في كونهما زملاء دراسة في «هوجورتس». هبط «هاري» السلم بهدوء، وبجوار رءوس أجداد «كريتشر»، ثم إلى المطبخ.

توقع أن يجده خاليًا، لكن عندما وصل إلى الباب سمع أصواتًا منخفضة. دفع الباب ورأى السيد والسيدة «ويسلي»، و«سيرياس»، و«لوبين»، و«تونكس»، جالسين كأنهم بانتظاره. كانوا جميعًا مرتدين ثياب الخروج إلا السيدة «ويسلي»، المرتدية ثوبًا بنفسجيًا والتي نهضت لحظة دخوله.

قالت مشهرة عصاها السحرية وهي تسارع إلى النيران: «حان موعد الإفطار».

تثاءبت «تونكس» قائلة: «صـ.. صباح الخير يا هاري». كان شعرها أشقر ومجعدًا ذلك الصباح. أضافت: «هل نمت جيدًا؟». أجاب: «أجل».

قالت وهي تتثاءب ثانية: «أ..أ.. أنا لم أنم. تعال واجلس..». وجذبت مقعدًا لتسقط المقعد المجاور له.

قالت السيدة «ويسلي»: «ماذا تريد يا هاري؟ عصيدة؟ كعكًا؟ رنجة؟ بيضًا باللحم؟ خبزًا محمصًا؟».

قال «هاري»: «خـ.. خبزًا محمصًا فقط من فضلك».

نظر «لوبين» إلى «هاري»، ثم قال لـ «تونكس»: «ماذا كنت تقولين عن سكريمجيور؟».

شعر «هاري» ببعض الامتنان عندما لم يُطلب منه الانضمام للنقاش. كانت أمعاؤه مضطربة. وضعت السيدة «ويسلي» قطعتين من الخبز المحمص والمربى أمامه. حاول الأكل، لكن الأمر كان أشبه بمضغ بساط قديم. جلست السيدة «ويسلي» إلى جانبه الآخر وانشغلت بالـ(تي - شيرت) الذي يرتديه، وأخذت تعدل من وضعه وتزيل انكماشه عند الكتفين. تمنى لو كفت عما تفعله.

أكملت «تونكس» كلامها: «.. وسيكون عليَّ إخبار «دمبلدور» بأنني لا أقدر على تولي نوبة الحراسة غدًا.. فأنا مر.. مرهقة جدًا». وأخذت تتثاءب بقوة.

لم يكن السيد «ويسلي» مرتديًا عباءات السحرة العادية، لكن سروالاً مخططًا، ومعطفًا قديمًا. التفت إلى «تونكس» و«هاري» قائلاً: «ما شعورك؟».

هز «هاري» رأسه.

قال السيد «ويسلي» بحنان: «سينتهي الأمر سريعًا.. بعد ساعات سيبرئون ساحتك». فلم يقل «هاري» شيئًا.

وأضاف: «ستكون الجلسة في الطابق الذي أعمل به، في مكتب أميليا بونز، فهي مديرة مصلحة الداخلية بوزارة السحر، وهي من ستستجوبك».

قالت «تونكس»: «بونز لا بأس بها يا هاري؛ فهي عادلة، وستسمعك».

أومأ «هاري» برأسه غير قادر على التفكير في أي مما يقال.

قال «سيرياس» بسرعة: «لا تفقد أعصابك. حافظ على تأدبك وكن صادقًا».

أومأ «هاري» برأسه ثانية.

قال «لوبين» بهدوء: «القانون في صالحك. حتى السحرة تحت السن القانونية مسموح لهم باستخدام السحر في الدفاع عن النفس عند تعرضهم لخطر الموت».

انساب شيء ما شديد البرودة على عنق «هاري» من الخلف، وللحظة ظن أن أحدهم يرميه بتعويذة الإخفاء، لكنه أدرك أن السيدة «ويسلي» قد هاجمته بمشط مبتل، وضغطته بقوة على قمة رأسه.

قالت بحيرة: «ألا يستقر شعرك هذا أبدًا؟». فهز «هاري» رأسه.

نظر السيد «ويسلي» إلى ساعته ثم إلى «هاري»، وقال: «حان وقت الذهاب. إننا مبكران قليلاً لكن من الأفضل الذهاب للوزارة بدلاً من البقاء هنا لبعض الوقت».

قال «هاري»، وهو يلقي بالخبز المحمص على المائدة وينهض: «حسنًا».

قالت «تونكس» وهي تربت على ذراعه: «ستكون بخير يا هاري».

قال «لوبين»: «حظًا سعيدًا.. أنا واثق من أنك ستكون بخير».

قال «سيرياس» بتجهم: «وإن لم يمر يومك بخير سترى بونز أيامًا سوداء..».

ابتسم «هاري» بوهن، فاحتضنته السيدة «ويسلي» وقالت: «قلوبنا معك يا هاري». فقال «هاري»: «آ.. طيب.. أراكم لاحقًا».

تبع السيد «ويسلي» إلى الصالة. سمع لوحة أم «سيرياس» تغط في نومها. فتح السيد «ويسلي» مصاريع الباب وخطى إلى الفجر البارد الرمادي الوليد.

سأله «هاري» وهما يدوران بسرعة حول الميدان: «هل تمشي إلى عملك في العادة؟».

قال السيد «ويسلي»: «كلا.. فأنا أنتقل آنيًا بالسحر.. لكن الواضح أنك لن تقدر على هذا، والأفضل أن تصل بطريقة غير سحرية؛ لتعطي انطباعًا جيدًا..».

حافظ السيد «ويسلي» على يده داخل جيب معطفه وهما سائران. كان «هاري» يعرف أنها ملفوفة بحرص حول عصاه. كانت الشوارع خالية، لكن عندما وصلوا إلى محطة مترو تحت الأرض وجدوها مليئة بروّاد الصباح الباكر، وكعادته كلما وجد نفسه على مقربة من دنيا (العامة) وهم يروحون ويغدون في شئونهم اليومية، لم يتمكن السيد «ويسلي» من إخفاء حماسه.

همس مشيرًا إلى ماكينة التذاكر الآلية: «يالها من آلة خارقة.. عبقرية!».

قال «هاري» مشيرًا إلى اللافتة المعلقة عليها: «إنها معطلة».

قال السيد «ويسلي» وهو يبتسم لها بحب: «فعلاً.. لكن حتى ولو معطلة..».

ابتاعا تذاكرهما من حارس ناعس (قام «هاري» بالتعامل المالي؛ لأن السيد «ويسلي» لم يكن ماهرًا في حساب نقود العامة)، وبعدها بخمس دقائق صاروا على متن قطار متجه إلى وسط مدينة لندن. داوم السيد «ويسلي» على النظر بقلق إلى خريطة المترو التي فحصها أمام النوافذ وأخذ يقول:

«باقٍ أربع محطات يا هاري.. ثلاث محطات يا هاري.. محطتان يا هاري..».

خرجوا من القطار في محطة بقلب لندن، وأزاحهم عن عربة القطار طوفان من الرجال والنساء حاملي الحقائب بالملابس الرسمية. صعدوا على السلم الكهربي، وعبر حاجز التذاكر (وسرور السيد «ويسلي» بالغ بالطريقة التي

تلتهم بها الماكينة التذكرة)، خرجوا إلى شارع واسع على جانبيه مبانٍ مهيبة المظهر، وتملؤه الحركة المرورية.

قال السيد «ويسلي» بذهن شارد: «أين نحن؟»، وللحظة توقف فيها قلب «هاري» عن النبض ظن أنهما قد خرجا من محطة أخرى بطريق الخطأ بالرغم من رجوع السيد «ويسلي» المتكرر إلى الخريطة. لكنه قال بعد لحظة: «آه.. أجل.. من هنا يا هاري» وقاده عبر طريق جانبي.

قال: «آسف.. لكنني لم أذهب للعمل عن طريق المترو أبدًا، والطريق يبدو مختلفًا جدًا من منظور العامة. وفي الواقع، فأنا لم أدخل من مدخل الزوار أبدًا». مع تقدمهما؛ أمست المباني أصغر، حتى وصلوا إلى شارع به عدد من المكاتب المتواضعة، وحانة. توقع «هاري» وجود وزارة السحر بموقع أفضل من هذا.

قال السيد «ويسلي» بابتهاج: «ها قد وصلنا» مشيرًا إلى كابينة تليفون حمراء وقديمة، مخلوع منها العديد من ألواح الزجاج، منصوبة في مواجهة الحائط. أضاف: «تفضل وأنا خلفك يا هاري». وفتح باب كابينة التليفون.

خطا «هاري» إلى الداخل، متسائلاً عما ينوي السيد «ويسلي» فعله. وقف الأخير إلى جوار «هاري» وأغلق الباب خلفه. كان المكان ضيقًا.. كان جسد «هاري» مضغوطًا على التليفون، المعلق باعوجاج على جدار الكابينة، كأن لصًا حاول خلعه. مد السيد «ويسلي» يده بجانب «هاري» سعيًا للوصول إلى السماعة.

قال «هاري»: «سيد ويسلي.. يبدو أن هذه السماعة لا تعمل هي الأخرى».

قال السيد «ويسلي» وهو قابض على السماعة فوق رأسه: «لا.. لا، أنا واثق من أنها بحالة جيدة» ثم وهو يحدق في قرص الاتصال: «دعنا نرى.. أجل.. ستة..» طلب الرقم، ثم: «اثنان.. أربعة.. أربعة أخرى.. ثم اثنان مرة أخرى..».

ومع دوران قرص الاتصال للخلف مرة أخرى بنعومة جاءهم صوت أنثوي من داخل كابينة التليفون.. وليس من السماعة التي في يد السيد «ويسلي». كان الصوت مرتفعًا وواضحًا كأنه لامرأة خفية تقف بجوارهما.

«مرحبًا بكما في وزارة السحر. برجاء ذكر الاسم وسبب الزيارة».

قال السيد «ويسلي» وهو لا يعرف إن كان عليه التحدث في السماعة أم لا: «آ..» اختار الحل الوسط وهو يرفع السماعة إلى أذنه: «آرثر ويسلي.. موظف

بمصلحة إساءة استخدام أدوات العامة، ومعي هاري بوتر، المطلوب لحضور محاكمة».

قال الصوت الأنثوي: «شكراً. من فضلك خذ الشارة والصقها أعلى عباءتك».

سمعوا صوتًا معدنيًا ثم رأى «هاري» شيئًا ما ينسل من الفتحة المعدنية الخاصة باسترجاع العملات النقدية الزائدة من التليفون. التقطها. كانت شارة فضية مربعة مكتوب عليها: محاكمة هاري بوتر. شبكها على صدره والصوت الأنثوي يتحدث ثانية:

«يا زائر الوزارة.. يرجى التعاون أثناء تفتيشك، وتقديم عصاك السحرية للفحص عند مكتب الأمن، وهو عند الطرف البعيد من قاعة الاستقبال».

اهتزت أرضية كابينة التليفون. أخذ يغطس ببطء تحت الأرض. راقبه «هاري» بتوجس والرصيف قد بدا كأنه يرتفع أمام النوافذ الزجاجية لكابينة التليفون حتى انعقد الظلام من فوق رأسيهما. ثم لم يعد قادراً على رؤية أي شيء.. لم يسمع غير أصوات آلية والكابينة تشق الأرض لأسفل. بعد حوالي دقيقة، وإن بدت أطول لـ «هاري»، جاء ضوء ذهبي من تحت قدميه، واتسعت بقعة الضوء، وتمددت على جسده، حتى ضربته على وجهه واضطر أن يطرف بعينيه حتى لا تغرورق مقلتاه بالدموع.

قال صوت المرأة: «نتمنى لكم وزارة السحر يوماً سعيداً».

انفتح الباب وخرج السيد «ويسلي» و«هاري» خلفه وقد فغر فاه من الدهشة.

وقفا عند طرف قاعة استقبال طويلة ومدهشة ذات أرضية خشبية داكنة لامعة. والسقف ذو اللون الأزرق الطاووسي مزخرف برموز ذهبية لا تكف عن الحركة وتغيير الأشكال. الجدران على الجانبين مغطاة بألواح من الخشب الداكن اللامع، وعليها مدافئ عديدة. وكل بضع ثوان يخرج ساحر أو ساحرة من واحدة من المدافئ على الجانب الأيسر. وعند مدافئ الجانب الأيمن اصطف السحرة والساحرات في طوابير قصيرة في انتظار المغادرة.

عند منتصف القاعة كان هناك نافورة مكونة من مجموعة من التماثيل الذهبية الأكبر من الحجم الطبيعي، منتصبة في منتصف بركة دائرية. كان

الأطول بينها ساحر على ملامحه النبل وفي يده عصا سحرية مشرعة في الهواء أمامه. وحوله ساحرة جميلة، وقنطور، وجني، وقزم منزلي. آخر ثلاثة تماثيل تنظر بحب إلى الساحرة والساحر. أخذت دفقات من الماء تتناثر من طرفي عصويهما السحرية، ومن طرف سهم القنطور، ومن طرف قبعة الجني، ومن كل من أذني القزم المنزلي؛ ليضيف الماء المتناثر صوتًا جديدًا لمجموعة أصوات من يظهرون ويختفون سحريًا، وطرقات أحذية مئات الساحرات والسحرة، ومعظمهم على وجهه أمارات التجهم الصباحية المعتادة، يهرولون نحو مجموعة من البوابات الذهبية عند الطرف البعيد من القاعة.

قال السيد «ويسلي»: «تعال من هنا».

انضما للسائرين، وكان بعضهم يحمل لفافات من ورق، وبعضهم الآخر يحمل حقائب جلدية، والبعض ما زال يقرأ جريدة «دايلي بروفيت» وهم سائرون. وعند النافورة رأى «هاري» (سيكلات) فضية و(نوتات)[1] برونزية تلمع من قاع البركة، ولافتة صغيرة بجانبها، عليها:

كل ما يُلقى من نقود ببركة نافورة الإخاء السحري يُمنح لمستشفى الأمراض والإصابات السحرية.

فكر «هاري» بيأس: إن لم أفصل من هوجورتس سألقي بعشرة جاليونات هنا.

قال السيد «ويسلي»، وهما يخطوان خارج مسار أسراب موظفي الوزارة المتجهين نحو البوابات الذهبية: «من هنا يا هاري». وإلى اليسار على مكتب كان هناك لافتة عليها كلمة: الأمن. وقد جلس على المكتب ساحر تصفيفة شعره بشعة ويرتدي عباءة لونها أزرق. وتطلع إليهما وهما يقتربان، ثم خفض جريدة «دايلي بروفيت» عن عينيه.

قال السيد «ويسلي» مشيراً إلى «هاري»: «جئت برفقة زائر».

قال الساحر بصوت ملول: «تعال هنا».

سار «هاري» للأمام نحوه وبيد الساحر عصا ذهبية طويلة رفيعة ومرنة مثل هوائي السيارة، ثم مررها على جسد «هاري» من الأمام ومن الخلف.

(١) جمع (سيكل) و(نوت) وهما فئتان قليلتا القيمة من عملات السحرة (المترجم)

قال الساحر لـ «هاري» وهو يخفض الآلة الذهبية ويمد يده: «هات عصاك».

قدم له «هاري» عصاه، أسقطها الساحر في جهاز نحاسي غريب. أخذ في الاهتزاز، خرجت قطعة رفيعة من الورق بسرعة من فتحة عند قاعدته. مزقها الساحر من طرفها وقرأ ما بها.

«إحدى عشرة بوصة، بها ريشة عنقاء، وتستخدم منذ أربع سنوات.. صح؟».

قال «هاري» بعصبية: «أجل».

قال الساحر وهو يدفع بالورقة ليرشقها في إبرة نحاسية طويلة: «سأحتفظ بهذه.. وخذ أنت عصاك» ثم دفع بها نحو «هاري».

«أشكرك». فقال الساحر ببطء: «انتظر..» وانتقلت عيناه من شارة الزائر على صدر «هاري» إلى جبينه.

قال السيد «ويسلي» وهو يقبض على كتف «هاري» ويوجهه بعيداً عن المكتب إلى طوفان السحرة والساحرات الذين يمرون عبر البوابات الذهبية «شكراً يا إريك».

وهو يدافع الجموع بالمناكب تبع «هاري» السيد «ويسلي» عبر البوابات إلى قاعة صغيرة وراءها، حيث كان هناك على الأقل عشرون مصعداً خلف شبكات ذهبية. انضم «هاري» والسيد «ويسلي» إلى الجمع الواقف أمام أحد المصاعد. بالقرب وقف ساحر ضخم ملتح حاملاً صندوقًا كرتونيًا تنبعث منه جلبة.

قال الساحر وهو يومئ للسيد «ويسلي»: «كله تمام يا آرثر؟».

سأله السيد «ويسلي» ناظراً إلى الصندوق: «ماذا تحمل معك يا بوب؟».

قال الساحر بجدية: «لا نعرف على وجه الدقة.. حسبناه دجاجًا عاديًا حتى وجدناه ينفث النيران من منقاره. يبدو كانتهاك خطير لقانون تحريم تربية المخلوقات السحرية الخطيرة».

وبجلبة شديدة هبط مصعد أمامهم.. انزلقت الشبكة الذهبية لتفسح الطريق للسيد «ويسلي» و«هاري» اللذين دخلا مع باقي الجمع، فوجد «هاري» نفسه محشوراً وخلفه جدار المصعد. نظر إليه عدد من الساحرات والسحرة بفضول.. حدق في قدميه لتفادي نظرات الآخرين، وعدل أطراف ملابسه بيده. انزلقت الشباك الذهبية منغلقة بصوت مرتفع، وارتفع المصعد ببطء، يرافقه صليل السلاسل، ونفس الصوت الأنثوي البارد الذي سمعه «هاري» بكابينة التليفون

يقول: «الطابق السابع، مصلحة الألعاب والرياضات السحرية، وبه مقر اتحاد دوري (الكويدتش) البريطاني - الأيرلندي المشترك، والمقر الرسمي لنادي (جوبستون) وقسم براءات الاختراعات السخيفة».

انفتحت أبواب المصعد، لمح «هاري» ردهة غير نظيفة، معلق على جدرانها العديد من الملصقات المعوجة لفرق (الكويدتش). خرج أحد السحرة المكتظ بهم المصعد بصعوبة وفي يده بعض المقشات السحرية، ثم اختفى في الردهة. أغلقت الأبواب، واستمر المصعد في طريقه لأعلى ثانية، ليعلن صوت المرأة بعدها:

«الطابق السادس.. مصلحة النقل السحري، وفيه إدارة شبكة بودرة (الفلو)، وهيئة رقابة وتنظيم شئون الطيران على المقشات السحرية، ومكتب الانتقال بالبوابات السحرية، ومركز اختبارات الانتقال السحري الآني».

مرة أخرى انفتحت الأبواب ليخرج أربعة أو خمسة سحرة وساحرات، وفي نفس الوقت حلقت بضع طائرات ورقية إلى داخل المصعد. نظر «هاري» لأعلى إليها ترفرف بهدوء فوق رأسه.. كانت ذات لون بنفسجي شاحب، وأمكنه رؤية ختم «وزارة السحر» على أطراف أجنحتها.

غمغم السيد «ويسلي» مفسراً: «إنها مجرد مذكرات داخلية بين الأقسام.. كنا نستخدم البوم، لكن الجلبة التي تحدثها لا تصدق، وفضلاتها التي تتساقط على المكاتب..».

وهم يعاودون الصعود ثانية حلقت المذكرات حول المصباح المعلق من سقف المصعد.

«الطابق الخامس.. مصلحة التعاون السحري الدولي، وفيه هيئة التبادل التجاري السحري الدولي، والمكتب الاستشاري السحري القانوني الدولي، ومقر المفوضية البريطانية لاتحاد السحرة الكونفدرالي الدولي».

عندما انفتحت الأبواب، طارت مذكرتان إلى الخارج مع بعض الساحرات والسحرة، لكن بعض المذكرات الجديدة دخلت، حتى أخذ ضوء المصباح في الارتجاف والاهتزاز وهي تطير حوله.

«الطابق الرابع.. مصلحة الرعاية والرقابة على الكائنات السحرية، وفيه أقسام الوحوش، والأشباح والأرواح، ومكتب تراخيص الجان، والمكتب الاستشاري لشئون الكائنات السحرية المنزلية».

قال الساحر الذي يحمل الدجاجة التي تنفث نارًا: «عذرًا» وغادر المصعد وخلفه باقة من المذكرات. أغلقت الأبواب خلفه ثانية.

«الطابق الثالث، مصلحة الحوادث والكوارث السحرية، وفيه فرقة نسيان الحوادث السحرية، ومقر لجنة ترقية العامة المهرقة».

غادر الجميع المصعد في ذلك الطابق، فيما عدا السيد «ويسلي» و«هاري» وساحرة كانت تقرأ من رقعة ورق بالغة الطول، حتى إنها كانت تجرجرها خلفها على الأرض. استمرت بقية المذكرات في الطيران حول المصباح والمصعد يسير ثانية، ثم انفتحت الأبواب وأعلن الصوت الأنثوي:

«الطابق الثاني، مصلحة الداخلية السحرية، وفيه قسم إساءة استخدام السحر، ومقر مقاتلي السحر الأسود، وإدارة خدمات الويزنجاموت».

قال السيد «ويسلي» وهو يتبع الساحرة إلى خارج المصعد، وإلى الردهة المصطفة الأبواب على جانبيها: «سننزل هنا يا هاري، مكتبي على الجانب الآخر من الطابق».

قال «هاري» وهما يمران بجوار نافذة رأى من خلفها الشمس تلمع: «سيد ويسلي، هل مازلنا تحت الأرض؟».

قال السيد «ويسلي»: «أجل.. هذه نوافذ مسحورة، فإدارة الصيانة السحرية تختار نوع الطقس الخارجي كل يوم، مر علينا شهران من الأعاصير آخر مرة طالب هذا القسم فيه بزيادة في الرواتب.. من هنا يا هاري».

دارا مع دوران الردهة، وسارا بجوار بابين من خشب البلوط الثقيل، ثم وصلا إلى مكان فسيح مقسم إلى مكاتب تفصل بينها جدران لا تصل إلى السقف، كان ممتلئًا بالضحك والحديث، والمذكرات الطائرة تدور بين المكاتب مثل صواريخ صغيرة، وعلى أقرب مكتب كانت لافتة عليها: مقر مقاتلي السحر الأسود.

نظر «هاري» بريبة عبر الأبواب وهما يمران. كانت جدران مكاتب مقاتلي السحر الأسود مغطاة بكل شيء.. من صور لسحرة مطلوب القبض عليهم، إلى صور فوتوغرافية لأسرهم، إلى ملصقات لفرق (الكويدتش) التي يشجعونها، إلى مقالات من جريدة (دايلي بروفيت). كان هناك رجل يرتدي عباءة حمراء وشعره الطويل المنتهي بذيل حصان أطول من شعر «بيل»، وحذاؤه ذو الرقبة مرفوع على مكتبه، وهو يملي تقريرًا لريشة كتابته المسحورة. بعده بقليل شاهدا ساحرة برقعة جلدية على إحدى عينيها، وتتحدث من فوق جدار مكتبها المنخفض إلى «كنجسلي شاكلبولت».

قال «كنجسلي» باستهتار وهما يقتربان: «صباح الخير يا ويسلي.. أريدك في كلمة، هل تسمح بدقيقة من وقتك؟».

قال السيد «ويسلي»: «حاضر، إن كانت دقيقة واحدة.. فأنا في عجلة من أمري».

تحدثا كأنهما بالكاد يعرفان أحدهما الآخر، وعندما فتح «هاري» فمه ليحيي «كنجسلي»، وقف السيد «ويسلي» على قدمه. تبعا «كنجسلي» بطول صف من المكاتب وإلى المكتب الأخير.

تلقى «هاري» صدمة خفيفة.. ففي كل مكان بالمكتب كان يرى صورة معلقة لوجه «سيرياس»، من قصاصات جرائد، وصور فوتوغرافية.. حتى صورة فوتوغرافية «سيرياس» في دور الإشبين يوم زفاف والديّ «هاري».. المساحة الوحيدة الخالية من وجه «سيرياس» كان عليها خريطة العالم ودبابيس حمراء صغيرة مغروسة في أجزاء منها تلمع كالمجوهرات.

قال «كنجسلي» للسيد «ويسلي» وهو يشير برقعة من الورق في يده: «انظر، أحتاج ما تقدر عليه من معلومات عن مركبات العامة الطائرة التي شوهدت خلال الاثني عشر شهرًا المنقضية، فقد تلقينا معلومات أن «بلاك» ما زال يستخدم دراجته البخارية القديمة».

غمز «كنجسلي» لـ«هاري» غمزة كبيرة وأضاف بهمسة: «أعطه المجلة، ربما يجد فيها ما يهمه»، ثم أضاف بنبرة طبيعية: «ولا تأخذ وقتًا طويلاً يا ويسلي، التأخير في تقديم تقرير (الأسلحة والقطائش) كان سببًا في تعطيل تحقيقاتنا لمدة شهر».

قال السيد «ويسلي» وقد ارتسمت على وجهه ملامح الجدية والاحتراف: «إن كنت قد قرأت تقريري، كنت لتعرف أن المصطلح الصحيح هو (الأسلحة والدفائن)، وواضح أن عليك انتظار قدوم معلومات عن الدراجات البخارية.. نحن مشغولون للغاية حاليًا»، وخفض صوته ثم أكمل: «إن كنت تقدر على الخروج قبل الساعة السابعة؛ فإن مولي ستطبخ كرات اللحم».

أشار لـ«هاري» وقاده خارجًا من مكتب «كنجسلي»، ثم عبروا بابًا آخر من البلوط، وإلى ممر آخر، والتفتوا إلى اليسار، وساروا في ممر آخر، ثم إلى اليمين، وإلى ممر قليل الإضاءة وغير نظيف، ثم أخيرًا إلى نهاية الممر، حيث انتصب باب إلى اليسار مفتوحًا، كاشفًا عن خزانة مقشات سحرية، وباب إلى اليمين عليه لافتة نحاسية مكتوب عليها: «إساءة استخدام أدوات العامة».

بدا مكتب السيد «ويسلي» القليل الإضاءة أصغر بقليل من خزانة المقشات السحرية. كان محشوراً فيه مكتبان، وما يكفي بالكاد من الفراغ للحركة حولهما؛ بسبب الخزانات الكثيرة المليئة بالملفات، والموضوعة بطول الحائط، وفوقها أكوام من الملفات. أما مساحة الحائط الخالية من الخزانات فكانت شاهداً على ولع السيد «ويسلي» بأدوات وأشياء العامة. فعليها علق الأخير ملصقات لسيارات، منها ملصق إعلاني لمحرك سيارة منفصل، ورسمان لصندوقي بريد، بدا أنه قد قطعهما من كتاب أطفال للعامة، ورسم توضيحي يشرح كيفية توصيل الأسلاك إلى الكهرباء.

وعلى المائدة الصغيرة الملحقة بمكتب السيد «ويسلي» كان هناك محمصة خبز قديمة تنتحب بطريقة غريبة، وزوج من القفازات الجلدية تتراقص أصابعها، بالإضافة لصورة جامعة لعائلة «ويسلي» بجوار المائدة. لاحظ «هاري» أن «بيرسي» قد اختفى من الصورة.

قال السيد «ويسلي» بلهجة المعتذر: «ليس لدينا نافذة» وهو يخلع معطفه ويضعه على مقعده.. ثم أضاف: «طلبنا نافذة، لكنهم يرون أننا لسنا بحاجة إليها. اجلس يا هاري، يبدو أن بركينس لم يصل بعد».

جلس «هاري» بصعوبة على المقعد الواقع خلف مكتب «بركينس»، بينما أخذ السيد «ويسلي» يقلب في لفافة الورق التي أعطاها له «شاكلبولت» منذ قليل.

قال مبتسماً وهو يخرج نسخة من مجلة «كويبلر»[1] من بين الأوراق: «آه.. جميل» ثم وهو يقلب صفحاتها: «أجل، إنه محق. أنا واثق من أن سيرياس سيجد هذه الأخبار مدهشة.. آه يا ربي.. ما هذا؟».

جاءته مذكرة طائرة عبر الباب المفتوح، واستقرت على المحمصة المتجشئة. فضها السيد «ويسلي»، وقرأها بصوت مرتفع: «ثالث مرحاض عام متقيئ في منطقة «بيثنال جرين» يصل إلينا خبره، برجاء التحقيق في الأمر فوراً» انتهى من الرسالة وقال: «المسألة أصبحت سخيفة فعلاً».

«مرحاض متقيئ؟».

قال السيد «ويسلي» مقطباً جبينه: «محبو المزاح من مضطهدي العامة. لقد وقع حادثان الأسبوع الماضي، واحد في «ويمبلدون» والآخر في إليفنت آند كاسل.

(١) أي Quibbler يمعنى «المراوغ»، وهي مجلة. (المترجم)

عندما يشدون (السيفون)، وبدلا من اختفاء الفضلات، يعني.. أنت تعرف.. يحدث العكس. ويتصل المساكين بالـ(سباكين)، أليس هذا اسمهم؟ هؤلاء الذين يصلحون أنابيب المياه وهذه الأشياء؟».

«تعني السباكين؟».

«بالضبط. أجل، لكن المشكلة أن المراحيض مسحورة. أتمنى أن نقبض على من يفعل هذا».

«وهل سيطارده مقاتلو السحر الأسود؟».

«لا.. فهذه مسألة بسيطة لا تليق بمقاتلي السحر الأسود. ستتولاها دورية عادية من دوريات مصلحة الداخلية السحرية.. آه هاري، ها هو بركينس».

دخل ساحر عجوز خجول محني الظهر بشعر أبيض أشعث إلى الحجرة لاهثاً. قال بإجهاد دون أن ينظر إلى «هاري»: «آرثر! حمداً لله. لم أكن أعرف ماذا أفعل، أنتظر هنا أم لا. أرسلت بومة إلى بيتك منذ قليل، لكن من الواضح أنك لم تتسلمها.. رسالة عاجلة أرسلتها منذ عشر دقائق».

قال السيد «ويسلي»: «عرفت بشأن المرحاض المتقيئ».

«لا لا.. لا أعني المرحاض. إنها محاكمة الولد بوتر.. لقد غيروا موعدها ومكانها.. تبدأ الساعة الثامنة صباحاً، وتُعقد في حجرة المحاكمة القديمة رقم عشرة..».

«في حجرة محاكمة الـ.. لكنهم أخبروني.. بحق لحية مرلين!».

نظر السيد «ويسلي» إلى ساعته، ثم أطلق صيحة قلقة وهب ناهضاً من مقعده. «أسرع يا هاري، كان علينا أن نكون هناك منذ خمس دقائق مضت!».

التصق «بركينس» جسده بخزانة الملفات والسيد «ويسلي» يغادر المكتب جرياً، و«هاري» خلفه.

قال «هاري» مبهور الأنفاس وهما يهرولان بجانب مكاتب مقاتلي السحر الأسود: «لماذا غيروا الموعد؟» أخذ السحرة والساحرات يرمقونهم بالنظرات وهما يعبران بسرعة بجانبهم.

شعر «هاري» كأنه قد ترك قلبه في مكتب «بركينس».

«ليس لدي أدنى فكرة، لكن الحمد لله أننا قد وصلنا إلى هنا مبكراً، إن لم تكن قد وصلت في موعدك، كانت لتحل كارثة!».

توقف السيد «ويسلي» بجانب المصاعد وأخذ يضرب زر «أسفل» بصبر نافد.

«هيا!»

ظهر المصعد، وتوقف أمامهما قولجاه. وكل مرة يتوقف يلعنه السيد «ويسلى» بسخط ويضرب مفتاح الطابق التاسع.

قال السيد «ويسلى» بغضب: «قاعات المحاكمة هذه لم تستعمل منذ سنوات. لا أعرف ماذا يفعلون بالأسفل. إلا إذا.. لكن لا.. صعب...».

فى تلك اللحظة استقلت المصعد ساحرة ممتلئة الجسم وفى يدها كأس يتصاعد منها الدخان، فلم يوسع لها السيد «ويسلى».

قال الصوت الأنثوى البارد: «الاستقبال»، فانفتحت الأبواب الذهبية؛ ليرى «هارى» التماثيل الذهبية مستقرة على مسافة بعيدة عند النافورة. خرجت الساحرة البدينة، ودخل ساحر شاحب الجلد وعلى وجهه نظرة حزينة.

قال بصوت منقبض كئيب والمصعد يهبط: «صباح الخير يا آرثر. لا أراك بالأسفل كثيرًا».

قال السيد «ويسلى» وهو يتقافز على أطراف أصابع قدميه ملقيًا بنظرات قلقة نحو «هارى»: «مسألة مهمة يا بود».

قال «بود» وهو ينظر نحو «هارى» دون أن تطرف عيناه: «آه، واضح.. بالطبع».

لم يكن لدى «هارى» أى مشاعر ليخصصها لـ «بود»، لكن نظرته الثابتة لم تشعره بالراحة أبدًا.

قال الصوت الأنثوى البارد: «مصلحة الألغاز والغوامض» ولم يذكر المزيد.

قال السيد «ويسلى» وأبواب المصعد تفتح ببطء: «أسرع يا هارى». ثم انطلقا عبر ممر بدا مختلفًا عن الممرات التى رأياها بالأعلى. كانت الجدران عارية، ولا توجد نوافذ ولا أبواب غير باب أسود عند نهاية الممر. توقع «هارى» أن يلجاه، لكن بدلاً من هذا، قبض السيد «ويسلى» على ذراعه وجره خلفه نحو اليسار، حيث وجدا درجات سلم.

قال السيد «ويسلى» لاهثًا وهو يهبط درجتى سلم فى الخطوة الواحدة: «لأسفل.. لأسفل.. المصعد لا يهبط إلى هذا الطابق.. لماذا اجتمعوا بالأسفل؟ لا أعرف الـ...».

وصلا إلى آخر درجات السلم، وأخذا يعدوان بطول ممر آخر يشبه كثيرًا نفق «سناب» فى «هوجورتس». كانت الأبواب التى يعبرون أمامها من الخشب الثقيل، وعليها مصاريع وثقاب مفاتيح حديدية.

«قاعة المحكمة.. رقم.. عشرة.. كما أعتقد.. اقتربنا.. أجل».

توقف السيد «ويسلى» خارج باب داكن كئيب عليه مصراع حديدى هائل الحجم، واصطدم بالحائط ممسكًا بصدره.

قال لاهثًا: «ادخل»، ثم وهو يشير بيده إلى الباب: «ادخل هذه الحجرة».

«ألن.. ألن تأتى معى؟».

«لا.. لا.. غير مسموح لى بالدخول.. حظ سعيد».

أخذ قلب «هارى» يخفق بقوة، وكأنه ينبض عند حلقه. بلع ريقه بصعوبة شديدة، والتفت إلى مقبض الباب الحديدى الثقيل، وخطا إلى داخل قاعة المحكمة.



٨ المحاكمة

شهق «هارى».. لم يقدر على التحكم فى نفسه. كانت القاعة التى دخلها مألوفة جداً، فهو لم يرها فقط مرة واحدة من قبل، بل دخلها أيضًا. كانت هذه القاعة هى المكان الذى رآه فى مفكرة «دمبلدور» السحرية، المكان الذى شهد فيه الحكم على «ليسترانج» بالسجن مدى الحياة فى «أزكابان».

كانت الجدران مصنوعة من أحجار داكنة، والمكان مضاء بالمشاعل، وعلى الجانبين صفوف من المقاعد الخالية. لكن أمامه، وفى صدر القاعة، رأى ظلالاً لعدد من الأشخاص جالسين على المنصة. كانوا يتحدثون بصوت منخفض، لكن مع صوت إقفال الباب الثقيل من خلف «هارى» حل سكون تام.

رن صوت رجولى بارد عبر قاعة المحكمة.

«تأخرت».

قال «هارى» بقلق: «آسف.. أنـ أنا لم أعرف بتغير الموعد».

قال الصوت: «هذا ليس خطأ مجلس الويزنجاموت. أرسلنا بومة إلى بيتك هذا الصباح. اجلس».

ألقى «هارى» نظرة على المقعد الواقع فى منتصف الحجرة، والذى بدا أن مسنديه مغطيان بالسلاسل. رأى هذه السلاسل تدب فيها الحياة وتسلسل من يجلس على المقعد. صدر صدى صوت عال لخطوات أقدامه وهو يسير عبر الأرض الحجرية، عندما جلس على حافة المقعد انتفضت السلاسل، لكنها لم تقيده، وهو يشعر بالغثيان رفع بصره نحو الجالسين على المنصة أمامه.

كان هناك حوالى الخمسين منهم - أو هكذا قدر عددهم - يرتدون عباءات بلون الخوخ عليها حرف W لاتينى فضى جميل على الجانب الأيسر من منطقة الصدر، وجميعهم يحدقون فيه، وبعضهم على وجهه تعبيرات صارمة، والبعض الآخر لا يبدو عليه سوى الفضول الصريح.

وفى وسطهم جلس «كورنلياس فادج»، وزير السحر. كان «فادج» رجلاً بدينًا يرتدى دومًا قبعة ليمونية خضراء، لكنه اليوم استغنى عنها. كما

استغنى - أيضًا - عن الابتسامة المتسامحة التى ارتسمت على وجهه يومًا وهو يتحدث إلى «هارى». وإلى يسار «فادج» جلست ساحرة عريضة الجسد، مربعة الفكين، وشعرها الرمادى قصير جداً. كانت ترتدى نظارة على عين واحدة، وملامحها شديدة القسوة. وإلى يمين «فادج» جلست ساحرة أخرى، لكنها كانت مسترخية فى جلستها على المقعد، لدرجة أن وجهها كان مختفيًا فى الظلام.

قال «فادج»: «رائع.. مع حضور المتهم.. أخيرًا.. دعونا نبدأ، ثم نادى على شخص ما جالس بالأسفل تحت المنصة: «جاهز؟».

قال صوت يعرفه «هارى» جيداً: «أجل يا سيدى». كان «بيرسى» شقيق «رون» جالسًا عند الطرف البعيد من الصف الأمامى للمنصة. نظر «هارى» نحوه، متوقعًا علامات الترحيب، لكن لم يصدر عنه أى شىء من هذا القبيل. كانت عينا «بيرسى» المختفيتان خلف عوينات، مثبتة على لفافات الورق، وريشة كتابة فى يده.

قال «فادج» بصوت رنان و«بيرسى» يكتب من خلفه: «جلسة محاكمة الثانى عشر من أغسطس التأديبية بشأن مخالفة قانون حظر استعمال السحر على السحرة تحت السن القانونية، وقانون سرية السحرة الكونفدرالى الدولى، من جانب المتهم هارى جيمس بوتر، المقيم فى المنزل رقم (٤) بشارع بريفت درايف، ليتل وينتج، بسوراى».

«المستجوبون هم: كورنلياس أوزولد فادج وزير السحر. أميليا سوزان بونز مديرة مصلحة الداخلية السحرية.. دولوريس جان أمبريدج وكيل أول وزارة السحر. وكاتب المحكمة بيرسى إجناتيوس ويزلى».

«وحاضر كشاهد دفاع عن المتهم: ألبوس برسيفال ولفريك بريان دمبلدور» جاء الصوت الأخير الهادئ من خلف «هارى»، الذى أدار رأسه بسرعة صدر معها صوت طقطقة عن رقبته.

تقدم «دمبلدور» عبر القاعة مرتديًا عباءته الزرقاء بلون الليل، وعلى وجهه هدوء شديد. أخذ شعره ولحيته الطويلان والفضيان يلمعان مع انعكاس أضواء المشاعل عليهما، وهو يقترب من «هارى» وينظر إلى «فادج» من خلف نظارته هلالية الشكل، التى استقرت على أنفه الطويل.

أخذ أعضاء مجلس «الويزنجاموت» يغمغمون. وعيونهم مركزة على «دمبلدور». بدا بعضهم منزعجًا، وبعضهم خائف، لكن ساحرتين من الجالسات فى الصف الأخير من المنصة لوحتا بأيديهما بترحاب.

تصاعدت دفقة قوية من المشاعر في صدر «هاري» مع رؤياه لـ«دمبلدور». شعور بالأمل يشبه شعوره عندما تغني العنقاء. أراد النظر إلى عيني «دمبلدور» لكن الأخير لم ينظر نحوه. أخذ يحدق في «فادج» الذي ظهر عليه - بوضوح - الارتباك.

قال «فادج» بقلق بالغ: «آه.. دمبلدور.. أجل أجل.. آ.. آ.. هل.. هل وصلتك رسالتنا بتغيير موعد ومكان انعقاد الجلسة إذن؟».

قال «دمبلدور» بإشراق: «يبدو أنها لم تصلني بعد.. لكن - والفضل لمصادفة ما - ورب مصادفة خير من ألف ميعاد - وصلت إلى الوزارة قبل ثلاث ساعات من الموعد المقرر مسبقًا للمحاكمة.. إذن فكما ترى فكل شيء على ما يرام».

«آه نحن بحاجة لمقعد آخر.. أ.. ويسلي.. من فضلك..».

قال «دمبلدور» بحبور: «لا تقلق ولا تحتار». ثم شهر عصاه السحرية، وبتلويحة خفيفة منها تجسد في الهواء مقعد مريح بجوار «هاري». جلس عليه «دمبلدور» وشبك أطراف أصابع يديه، وأخذ ينظر لـ«فادج» باهتمام مهذب. استمر أعضاء مجلس «الويزنجاموت» في الهمهمة بلا توقف.. فقط عندما تحدث «فادج» ثانية هدأوا تمامًا.

قال وهو يقلب في أوراقه: «آه.. نعم.. أقصد آه.. التهم هي.. أجل».

أخرج ورقة من بين كومة أوراق أمامه، وتنهد، ثم أخذ يقرأ ما بها: «التهم الموجهة للمتهم هي كما يلي:

قام المتهم - في كامل قواه العقلية، وعن عمد ووعي تام بأفعاله، وبالرغم من تلقيه إنذارًا مكتوبًا من وزارة السحر استجابة لتهمة سابقة مماثلة - بأداء تعويذة البتروناس في منطقة يسكنها العامة، وفي وجود أحد العامة، يوم الثاني من أغسطس، في الساعة التاسعة وثلاث وعشرين دقيقة، وهي التهمة التي تعاقب عليها الفقرة ج، من قانون حظر استعمال السحر على السحرة تحت السن القانونية لسنة ١٨٧٥، وكذا المادة ١٣ من قانون سرية السحرة الكونفدرالي الدولي».

أنهى «فادج» كلامه بسؤال «هاري»: «هل أنت هاري جيمس بوتر، المقيم بالمنزل رقم (٤) بشارع بريفت درايف، ليتل وينجنج، بسوراي؟» وهو يحدق فيه من فوق لفافات ورقه.

قال «هاري»: «أجل».

«وهل تلقيت إنذارًا رسميًا من الوزارة إثر استعمالك السحر غير القانوني منذ ثلاث سنوات؟».

«أجل، لكن..».

«وبالرغم من هذا قمت بأداء تعويذة البتروناس ليلة الثاني من أغسطس؟».

«أجل، لكن..».

«وتعرف أنه ليس مصرحًا لك باستعمال السحر خارج أسوار المدرسة طالما أنك تحت سن السابعة عشرة».

«أجل، لكن..».

«وتعرف أنك كنت وقتها في منطقة مليئة بالعامة؟».

«أجل، لكن..».

«وتعي أنك كنت بالقرب من أحد العامة في ذلك الحين؟».

قال «هاري» بغضب: «أجل.. لكنني أديت التعويذة فقط لأننا كنا..».

قاطعته الساحرة ذات النظارة الأحادية العدسة بصوت مدوٍّ قائلة: «هل أديت تعويذة بتروناس كاملة؟».

قال «هاري»: «أجل؛ لأن..».

«تعويذة بتروناس متجسدة؟».

قال «هاري»: «تعويذة ماذا؟».

«هل كان البتروناس الذي صنعته له شكل محدد؟ أعني هل كان أكثر من مجرد بخار أو دخان؟».

قال «هاري» وهو يشعر بنفاد الصبر وبقليل من الإحباط: «أجل.. كان أيلًا.. دائمًا ما يكون أيلًا».

صاحت السيدة «بونز»: «دائمًا؟ هل أديت تعويذة البتروناس من قبل؟».

قال «هاري»: «أجل.. أنا أؤديها منذ ما يزيد عن العام».

«وهل عمرك خمسة عشر عامًا؟».

«أجل، و..».

«هل تعلمتها في المدرسة؟».

«أجل.. علمني أن أؤديها الأستاذ لوبين في عامي الدراسي الثالث؛ بسبب الـ..».

قالت السيدة «بونز» وهي تحدق فيه: «شيء مذهل. تعويذة بتروناس في هذه السن! شيء مدهش بالتأكيد».

عاود بعض السحرة والساحرات الهمهمة من حولها، وأومأ بعضهم موافقًا، لكن بعضهم الآخر عبسوا وأخذوا يهزون رءوسهم.

قال «فادج»: «المسألة ليست مسألة مدى قوة السحر الذي أداه. في الواقع، كلما كان قويًا، كان العقاب أقسى، بجانب أداء السحر أمام عيني أحد العامة».

أخذ العابثون في الغمغمة موافقين، لكن رؤية «هاري» لإيماءة «بيرسي» الناقدة، هي ما دفعته للكلام.

قال بصوت مرتفع قبل أن يتمكن أحد من مقاطعته ثانية: «أديت التعويذة بسبب (الديمنتورات)».

توقع المزيد من الغمغمة، لكن سكونًا عميقًا حل على الجميع، وبصورة أكثر كثافة وأشد وطأة مما سبق.

قالت السيدة «بونز» بعد لحظة: «ديمنتورات؟» وحاجباها الثقيلان يرتفعان حتى بدا أن عويناتها ستقع. ثم أضافت: «ماذا تعني يا ولد؟».

«أعني كان هناك (ديمنتوران) في ذلك الزقاق وهاجماني أنا وابن خالتي».

قال «فادج» ثانية وعلى وجهه نظرة ظافرة وهو ينظر حوله إلى أعضاء «الويزنجاموت»، كأنه يدعوهم لمشاركته المزحة: «آها.. أجل أجل.. كنت أتوقع سماع شيء من هذا القبيل».

قالت السيدة «بونز» بنبرة اندهاش بالغ: «(ديمنتورات) في ليتل وينجنج؟ لا أفهم الـ..».

قال «فادج» بسخرية: «حقًا يا أميليا؟ دعيني أشرح لك الموضوع. لقد أخذ يفكر في مخرج، وتوصل إلى قرار بأن يقدم لنا حكاية (الديمنتورات) لنصدقها ونعفيه، فالعامة لا يرون (الديمنتورات)، أليس كذلك يا ولد؟ يا لها من قصة مقنعة.. إذن فلا توجد غير كلمتك، ولا يوجد شهود ولا..».

قال «هاري» بصوت مرتفع اندلع على أثره موجة غمغمة احتجاجية أخرى في القاعة: «أنا لا أكذب.. كان هناك اثنان منهم، جاءا نحوي من جانبي الزقاق، وأظلم كل شيء، وشعرت ببرودة رهيبة، وشعر ابن خالتي بالخطر وحاول الهرب و..».

قال «فادج»: «كفى.. كفى» ونظرة متكبرة على وجهه، وأكمل: «يؤسفني مقاطعة ما أنا واثق أنه قصة محفوظة عن ظهر قلب لـ..».

سعل «دمبلدور» فحل السكون على مجلس «الويزنجاموت» ثانية.

قال: «في الواقع معنا شاهدة على تواجد (ديمنتورين) في ذلك الزقاق، وأعني شاهدة غير دادلي دورسلي».

بدا وجه «فادج» المنتفخ كأنه يفرغ من الهواء. حدق في «دمبلدور» لحظة، ثم وكأنه يستجمع أفكاره قال: «ليس لدينا وقت لسماع ترهات يا دمبلدور. أريد التعامل مع الموضوع بسرعة و..».

قال «دمبلدور» بلطف: «قد أكون مخطئًا، لكنني واثق من أنه ـ وعلى أساس إعلان الويزنجاموت لحقوق السحرة والساحرات ـ فمن حق المتهم تقديم الشهود تعضيدًا لقضيته أو قضيتها. أليست هذه هي سياسة مصلحة الداخلية السحرية يا سيدة بونز؟» أضاف السؤال الأخير مخاطبًا الساحرة ذات العوينات أحادية العدسة.

قالت السيدة «بونز»: «بلى.. بالضبط».

قال «فادج» بعصبية: «أه.. حسنًا.. حسنًا.. وأين هذه الشاهدة؟».

قال «دمبلدور»: «جاءت معي، وهي بالخارج. هل تسمح لها بالد..؟».

قال «فادج»: «لا».. ثم صاح في «بيرسي» قائلاً: «ويزلي، اذهب أنت». فانطلق بحماس، وأخذ يجري على أرضية القاعة الصخرية، من أسفل منصة القضاة، وعبر إلى جوار «دمبلدور»، و«هاري» دون أن ينظر إليهما.

بعد لحظة عاد، تتبعه السيدة «فيج». بدت خائفة وأكثر شبهًا بالوطاويط من أي وقت مضى. تمنى «هاري» لو كانت قد غيرت حذاءها ذا الصوت الرنان.

وقف «دمبلدور» وأعطى السيدة «فيج» مقعده، ثم أحضر لنفسه مقعدًا آخر بنفس طريقة إحضاره الأول.

قال «فادج» بصوت مرتفع: «الاسم بالكامل؟» والسيدة «فيج» جالسة على طرف مقعدها بارتباك شديد.

قالت بصوت مرتجف: «أرابيلا دورين فيج».

قال السيد «فادج» بصوت ملول متكبر: «وماذا تكونين بالضبط؟».

قالت السيدة «فيج»: «أنا أسكن في ليتل وينجنج، بالقرب من مكان إقامة هاري بوتر».

قالت السيدة «بونز» فورًا: «ليس في سجلاتنا أية ساحرة أو ساحر يعيشون في ليتل وينِنج، بخلاف هاري بوتر. أخذًا في الاعتبار أن المكان مراقب دومًا عن قرب، منذ.. منذ.. الأحداث التي وقعت سابقًا».

قالت السيدة «فيج»: «أنا مساعدة ساحرة؛ لذا فلن تجدوني في السجلات. أليس كذلك؟».

قال «فادج»، وهو يفحصها بنظره بارتياب: «مساعدة؟ هه؟ سنتأكد من قولك هذا. ولتتركي تفاصيل عن أبويك وأسرتك لمساعدي ويسلي. لكن هل يمكن للمساعدات رؤية (الديمنتورات)؟» أضاف السؤال الأخير ناظرًا إلى يساره ويمينه بطول المنصة.

قالت السيدة «فيج» بكبرياء: «أجل. يمكننا رؤيتها».

عاود «فادج» النظر إليها وحاجبه مرفوع، وقال غير مبدٍ أي اهتمام: «حسنًا. ما هي قصتك؟».

قالت السيدة «فيج» فورًا وكأنها تحفظ ما ستقوله عن ظهر قلب: «خرجت لشراء طعام للقطط من عند البقالة الواقعة في ركن وستريا ووك، حوالي الساعة التاسعة، مساء الثاني من أغسطس.. عندما سمعت جلبة قادمة من الزقاق الواقع بين ماجنوليا كريسنت، ووستريا ووك. ومع اقترابي من أول الزقاق رأيت (ديمنتورين) يجريان».

قالت السيدة «بونز» بحدة: «تجري - (الديمنتورات) لا تجري، إنها تسري فوق الأرض».

قالت السيدة «فيج» بسرعة وبقع من اللون الوردي قد بدأت تظهر على وجنتيها الذابلتين: «هذا ما أقصده. تسري فوق أرض الزقاق متجهة نحو ما بدا لي كولدين».

قالت السيدة «بونز» مضيقة ما بين عينيها حتى اختفى حد العوينات تمامًا في ثنايا جلدها: «ماذا كان شكلهما؟».

«كان أحدهما بدينًا جدًا، والآخر نحيفًا..».

قالت السيدة «بونز» بصبر نافد: «لا لا.. أعني ماذا كان شكل (الديمنتورين)؟ لتصفيهما لنا».

قالت السيدة «فيج» واللون الوردي يزحف إلى رقبتها: «كانا كبيرين. كبيرين ويرتديان العباءات».

أحس «هاري» بإحساس مقبض في صدره. أيًا كان ما تقوله السيدة «فيج»، فقد بدا له على الأكثر وصفًا لصورة (ديمنتور)، والصورة لا تنقل أبدًا طبيعة هذه المخلوقات.. الطريقة المخيفة التي تتحرك بها، والسريان فوق سطح الأرض على ارتفاع بضع بوصات، أو الرائحة العفنة المنبعثة منهم، أو الأصوات المفزعة التي تصدر عنها، وتجمد الهواء من حولها..

في الصف الثاني، انحنى ساحر ذو شارب أسود كبير إلى الأمام وهمس في أذن جارته، وهي ساحرة ذات شعر أشعث؛ فابتسمت ابتسامة ساخرة وأومأت برأسها.

كررت السيدة «بونز» ببرود: «كبيرة وترتدي العباءات». بينما قال «فادج» باستهزاء: «واضح.. هل ستضيفين شيئًا آخر؟».

قالت السيدة «فيج»: «أجل.. شعرت بهما. صار كل شيء من حولي باردًا، وكانت تلك أكثر ليالي الصيف دفئًا كما تعرفون.. وشعرت.. شعرت كأن السعادة تنسحب من العالم.. وأتذكر.. أتذكر أشياء رهيبة..».

ارتجف صوتها ثم سكتت تمامًا.

اتسعت عينا السيدة «بونز» قليلاً. رأى «هاري» بقعًا حمراء تحت حاجبيها، حيث انغرس طرف العوينات.

سألت: «وماذا فعل الديمنتوران؟». فأحس «هاري» بموجة من الأمل.

قالت السيدة «فيج» وصوتها أقوى وأكثر ثقة، وقد تراجع الاحمرار عن وجهها: «اقتربا من الولدين. أحد الولدين سقط أرضًا، والآخر تراجع، محاولاً صد (الديمنتور). كان هذا هو هاري. حاول مرتين لكن لم يخرج من عصاه السحرية سوى بخار فضي واهن. وفي المحاولة الثالثة صدر عن طرف عصاه السحرية بتروناس هاجم (الديمنتور) الأول، ثم وبعد أن تشجع، طارد الثاني مبعداً إياه عن ابن خالته. وهذا.. هذا ما حدث..».

نظرت السيدة «بونز» إلى السيدة «فيج» في صمت. لم ينظر إليها «فادج» بالمرة، وأخذ يعبث في أوراقه. أخيرًا رفع عينيه وقال بطريقة عدوانية: «هل هذا ما رأيته؟».

كررت السيدة «فيج»: «هذا ما حدث».

قال «فادج»: «حسنًا.. يمكنك الخروج».

ألقت السيدة «فيج» بنظرة خائفة على «فادج» ثم «دمبلدور»، ونهضت مهرولة تجاه الباب.

سمعه «هاري» يوصد من خلفها.

قال «فادج»: «ليست بالشاهدة المقنعة».

قالت السيدة «بونز» بصوتها الجهوري: «لا أعرف. لقد وصفت تأثير (الديمنتورات) عندما تهاجم بالضبط. ولا أعرف لماذا قد تكذب وتقول: إنها رأتهم في حين أنها لم ترهم».

قال «فادج» بحدة: «لكن هل تتجول (الديمنتورات) في ضواحي العامة وتقابل ساحرًا بالمصادفة؟ يالها من قصة غريبة. حتى باجمان ما كان ليصدقها».

قال «دمبلدور» متأنيًا: «آه.. لا أعتقد أن أيًا منا يحسب أن (الديمنتورات) كانت هناك بالمصادفة».

تحركت الساحرة الجالسة إلى يمين «فادج» قليلاً للأمام، لكن وجهها الغارق في الظلال ظل خفيًا. في حين ظل الباقون صامتين تمامًا.

سأل «فادج» ببرود شديد: «وما معنى هذا؟».

قال «دمبلدور»: «معناه اعتقادي بأنها قد أمرت بالذهاب إلى هناك».

صاح «فادج» قائلاً: «أظن أنه سيصلنا خبر لو أمر أحدهم زوجًا من (الديمنتورات) بالخروج للمشي في ليتل وينغ».

قال «دمبلدور» بهدوء: «ليس إذا كانت (الديمنتورات) قد تلقت أوامر من شخص ليس في وزارة السحر هذه الأيام. لقد أعلمتك بآرائي في هذا الموضوع بالفعل يا كورنيليوس».

قال «فادج» بقوة: «أجل فعلت. وليس عندي سبب لتصديق أن آراءك تتعدى كونها هراء يا دمبلدور. (الديمنتورات) مقيمة في أزكابان، وتفعل كل ما تؤمر به».

قال «دمبلدور» بهدوء لكن بوضوح: «إذن.. لا بد أن نسأل أنفسنا لماذا قد يطلب شخص ما من داخل الوزارة من زوج من (الديمنتورات) الذهاب إلى ذلك الزقاق في الثاني من أغسطس».

وأثناء الصمت التام الذي لاقته هذه الكلمات، انحنت الساحرة الجالسة إلى يمين «فادج» للأمام حتى رآها «هاري» للمرة الأولى.

حسب أنه رأى ضفدعًا كبيرًا شاحبًا. كانت تشبه الضفدع بوجهها المتغضن العريض، ورقبتها الصغيرة كرقبة الخال «فرنون»، وفمها شديد الاتساع. كانت عيناها كبيرتين، ومستديرتين، وجاحظتين. حتى عقدة شعرها

المخملية السوداء على قمة شعرها القصير المجعد، فأعطته الانطباع بأنها ضفدع على وشك الانقضاض على ذبابة كبيرة بلسانها الطويل اللزج.

قال «فادج»: «نقدم لعدالة المحكمة دولوريس جان أمبريدج، وكيل أول وزارة السحر».

تكلمت الساحرة بصوت حاد النبرة، مرتفع، كأنه صوت بنت صغيرة، مما أصاب «هاري» بالدهشة، حيث كان يتوقع صوتًا أجشًا.

قالت بابتسامة صفراء جعلت عينيها تبدوان أكثر بروزًا مما سبق: «أنا واثقة من سوء فهمي لك يا أستاذ دمبلدور، وبالغباء، لكنني حسبتك، للحظة عابرة، تقول: إن الوزارة قد أمرت بشن هجوم على هذا الولد».

ضحكت ضحكة لاذعة البرودة جعلت الشعر على مؤخرة رقبة «هاري» ينتصب. ضحك معها بعض أعضاء «الويزنجاموت». وبدا واضحًا أن أيهم لم يكن أبدًا مسرورًا بما قالته.

قال «دمبلدور» بدماثة خلق: «إن كانت (الديمنتورات) حقًا لا تأخذ أوامرها سوى من وزارة السحر، وإن كان حقًا أن زوجًا منها قد هاجم هاري وابن خالته الأسبوع الماضي، فإن التفسير المنطقي هو أن شخصًا ما داخل الوزارة قد أمر بشن هذه الهجمة. وبالطبع ربما تكون بعض (الديمنتورات) خارج نطاق نفوذ الوزارة..».

قاطعه «فادج» قائلاً بحدة ووجهه بلون الطوب الأحمر: «لا يوجد (ديمنتورات) خارج نطاق نفوذ الوزارة».

أحنى «دمبلدور» رأسه قليلاً في إيماءة مهذبة، وقال: «إذن فلا شك أن الوزارة تقوم بإجراء تحقيق شامل في مسألة تواجد زوج من (الديمنتورات) بعيدًا عن أزكابان، وستحاول معرفة سبب هجومها دون تصريح».

قال «فادج» بحدة، ووجهه محتقن بلون ينافس أصعب حالات غضب الخال «فرنون»: «ليس من حقك تقرير ما تفعله وما لا تفعله وزارة السحر يا دمبلدور».

قال «دمبلدور» باتزان: «بالطبع ليس من حقي. كنت فقط أعبر عن كامل ثقتي في أن الموضوع لن يمر بدون تحقيق».

نظر نحو السيدة «بونز»، التي عدلت من وضع عويناتها وبادلته النظر، مقطبة الجبين قليلاً.

قال «فادج»: «أود تذكير الجميع بأن سلوك (الديمنتورات) - إن لم يكن حتى مجرد أضغاث أحلام هذا الولد - ليس موضوع المحاكمة. نحن هنا للتحقيق في مخالفة هاري بوتر لقانون حظر استعمال السحر على السحرة تحت السن القانونية».

قال «دمبلدور»: «بالطبع. لكن وجود (الديمنتورات) في ذلك الزقاق شديد الارتباط بموضوع المحاكمة. والفقرة السابعة من القانون ذكرت أن من حق الساحر أداء السحر أمام العامة في ظروف معينة، وينص القانون على أن هذه الظروف المعينة تتضمن المواقف المهددة لحياة الساحر أو الساحرة نفسه أو نفسها، أو المهددة لحياة السحرة والساحرات، أو العامة المتواجدين في موقع الـ..».

قال «فادج» بحدة بالغة: «نحن نعرف الفقرة السابعة جيداً.. شكراً لك».

قال «دمبلدور» بأدب: «بالطبع تعرفونها.. إذن فنحن متفقون على أن استخدام هاري لتعويذة البتروناس في تلك الظروف يعتبر استخداماً شرعياً للسحر بموجب هذه الفقرة من القانون؟».

«هذا لو كان هناك بالفعل (ديمنتورات) في الموضوع، وهو ما أشك فيه».

قاطعه «دمبلدور»: «لكنك سمعت بنفسك الشاهدة تؤكد هذا.. إن كنت لاتزال تشك في صدقها فاستدعها وسلها ثانية.. أنا واثق من أنها لن تمانع».

تعثر «فادج» في الكلام وهو يعبث بالأوراق أمامه: «أ.. هذا.. لا.. المسألة.. أريد الانتهاء من الموضوع اليوم يا دمبلدور».

قال «دمبلدور»: «لكنك طبعاً لن تمانع في سماع الشاهدة، إن كان البديل هو ظلماً بيّناً يقع على المتهم».

قال «فادج» بأعلى صوته: «أتقول ظلماً بيّناً؟ هه.. هل سألت نفسك أبداً عن كمّ الحكايات الخرافية السخيفة التي اخترعها هذا الولد يا دمبلدور؟ بينما أنت تحاول التغطية على أخطائه واستخدامه للسحر في المدرسة؟ أفترض أنك قد سمعت بأدائه تعويذة الطفو منذ ثلاثة أعوام..».

قال «هاري»: «لم يكن أنا من فعلها.. كان قزماً منزلياً».

زأر «فادج» قائلاً: «هل رأيت؟» مشيراً باتجاه «هاري». وأكمل: «قزم منزلي! في بيت من بيوت العامة! أرأيت؟».

قال «دمبلدور»: «القزم المنزلي المعني يعمل موظفاً في مدرسة هوجورتس، ويمكنني استدعاؤه فوراً ليقدم شهادته إن شئت».

صاح «فادج»: «أ.. لا.. ليس لدي الوقت لسماع الأقزام المنزلية! وهذا ليس كل ما أعني.. بحق السماء لقد نفخ قريبته باستخدام السحر» وضرب بقبضته على منصة القضاة فسقطت قنينة حبر.

قال «دمبلدور» بهدوء و«فادج» يحاول إزالة الحبر عن أوراقه: «وأنت بكرم بالغ منك لم تتهمه بأية تهم وقتها، قابلاً - على ما أعتقد - فكرة أن أفضل السحرة لا يمكنهم دوماً التحكم في مشاعرهم».

«ولم أبدأ بعد في الحديث عما يفعله بالمدرسة».

قال «دمبلدور» بخلقه المعهود، لكن بشيء من البرود خلف كلماته: «لكن الوزارة ليس لديها سلطة معاقبة تلاميذ هوجورتس على أخطائهم بالمدرسة، وسلوك هاري داخلها ليس متعلقاً بهذه المحاكمة».

قال «فادج»: «هاه؟ ليس من شأننا ما يفعله بالمدرسة؟ أتظن هذا حقاً؟».

قال «دمبلدور»: «ليس للوزارة سلطة فصل تلاميذ هوجورتس يا كورنيلياس، كما ذكرتك ليلة الثاني من أغسطس.. وليس لها الحق في مصادرة العصى السحرية حتى تثبت التهمة على المتهمين.. كما ذكرتك ليلة الثاني من أغسطس. وأثناء تسرعك الشديد على ضمان إقامة العدل يبدو أنك - عن دون قصد.. قد نسيت بعض الأشياء».

قال «فادج» بوقاحة: «يمكن تغيير القوانين».

قال «دمبلدور» وهو يومئ برأسه: «بالطبع يمكن تغييرها.. وأنت بالطبع قد قمت بالعديد من التغييرات يا كورنلياس. فمثلاً منذ خروجي من مجلس الويزنجاموت أضحى من الطبيعي عقد محاكمات جنائية على أمور بسيطة لا تستحق الاهتمام، مثل مناقشة موضوع أداء السحر من جانب ساحر تحت السن القانونية».

تحرك بعض السحرة في مقاعدهم بقلق. تحول لون وجه «فادج» إلى درجة أكثر احمراراً، لكن الساحرة الشبيهة بالضفدع إلى يمناه أخذت تحدق في «دمبلدور»، ووجهها خالٍ من أي تعبير.

أكمل «دمبلدور» كلامه قائلاً: «على حد علمي، لا يوجد قانون بعد يجيز معاقبة هاري على كل انتهاك صغير لقانون حظر استعمال السحر على السحرة تحت السن القانونية قام به في حياته. لقد تم اتهامه بتهمة محددة، وأنا حاضر للدفاع عنه بشأنها، وكل ما علىّ أنا وهو الآن هو انتظار حكمكم».

عاود «دمبلدور» تشبيك أطراف أصابعه ثانية ولم ينطق بالمزيد. حدق فيه «فادج» بغضب. نظر «هاري» إلى «دمبلدور» نظرة مختلسة؛ بحثًا عن إحساس بالأمان. لم يعد واثقًا من صحة ما قاله لمجلس «الويزنجاموت»، فيما يتعلق بانتظارهما لقرار. لكن مرة أخرى هرب «دمبلدور» من عيني «هاري». استمر في النظر إلى المنصة التي يشغلها أعضاء «الويزنجاموت»، الذين انهمكوا في نقاشات هامسة حادة.

نظر «هاري» إلى قدميه. أخذ قلبه يدق بقوة، وقد بدا كأنه قد تضخم إلى حجم غير طبيعي، مختلجًا بين ضلوعه. توقع أن تستمر جلسة المحاكمة أكثر من هذا. لم يكن واثقًا من كونه قد ترك انطباعًا جيدًا أم لا. فهو لم يقل الكثير. كان عليه شرح موقفه باستفاضة أكثر عن (الديمنتورات)، وكيف سقط، وكيف كاد أحدهما يقبل «ددلي»...

نظر مرتين إلى «فادج» وفغر فاه ليتحدث، لكن قلبه المتضخم منع مرور الهواء إلى حلقه، حتى إنه عاود النظر بعمق إلى حذائه.

ثم توقف الهمس. أراد «هاري» النظر إلى القضاة، لكنه وجد أن من الأسهل بكثير فحص رباط فردتي حذائه.

قالت السيدة «بونز» بصوتها المدوي: «من يرى إسقاط جميع التهم عن المتهم فليرفع يده».

ارتفع رأس «هاري» لأعلى. كان هناك أيدٍ في الهواء، الكثير منها.. أكثر من النصف! وهو يتنفس بسرعة حاول أن يحصيها، لكن قبل أن ينتهي قالت السيدة «بونز»: «ومن يرى إدانة المتهم؟».

رفع «فادج» يده، وكذا فعل ستة سحرة وساحرات آخرون، منهم الساحرة إلى يمين الساحر كثّ الشارب، والساحرة ذات الشعر الأشعث الجالسة في الصف الثاني.

نظر «فادج» حوله، وكأن حلقه مسدود بشيء ما، ثم أنزل يده. أخذ نفسين عميقين وقال بصوت شوهه الغضب: «حسنًا.. حسنًا.. أسقطنا جميع التهم».

قال «دمبلدور» بانتعاش: «ممتاز» ثم هب على قدميه، وشهر عصاه السحرية ليخفي المقعدين. «رائع. لا بد من أن أغادر فورًا. أتمنى لكم جميعًا يومًا سعيدًا».

ودون أن ينظر إلى «هاري» مرة واحدة، غادر قاعة المحكمة.

٩ أحزان السيدة ويسلي

أصاب خروج «دمبلدور» المفاجئ «هاري» بدهشة كبيرة. ظل جالسًا على المقعد؛ بحثًا عن التوازن بين مشاعر الصدمة والارتياح. نهض أعضاء «الويزنجاموت»، وأخذوا يتحدثون، ويجمعون أوراقهم، ويخرجون. نهض «هاري». بدا أن أحدًا لم يعره انتباهًا، إلا الساحرة الشبيهة بالضفدع الجالسة إلى يمين «فادج»، والتي أخذت تحدق فيه بدلاً من تحديقها في «دمبلدور». وهو يتجاهلها، حاول ملاقاة «فادج»، أو السيدة «بونز»؛ رغبة في سؤالهما إن كان يمكنه الخروج. لكن «فادج» كان مصرًا على تجاهله، وكانت السيدة «بونز» مشغولة في حقيبتها؛ لذا فقد أخذ عدة خطوات حذرة نحو باب الخروج، وعندما لم يناده أحد، أخذ يسير في خطوات سريعة واسعة.

قطع آخر خطواته عدوًا، ثم فتح الباب وكاد يصطدم بالسيد «ويسلي»، الذي كان واقفًا إلى اليمين بالخارج، ووجهه شاحب وعليه علامات القلق.

«لم يقل دمبلدور أي...».

قال «هاري»: «أُسقطت عني جميع التهم»، وهو يوصد الباب خلفه.

قبض السيد «ويسلي»، على كتفي «هاري» وعلى وجهه نظرة مشرقة.

«هاري.. هذه أخبار مدهشة! طبعًا.. ما كانوا ليجدوك مذنبًا أبدًا، ليس في وجود دليل، لكن، لا يمكن.. لم أكن...».

لكن السيد «ويسلي» كف عن حديثه المرتبك؛ لأن باب القاعة انفتح ثانية، وأخذ أعضاء مجلس «الويزنجاموت» في الخروج تباعًا.

قال السيد «ويسلي» متعجبًا وهو يجذب «هاري» إلى الجانب مفسحًا لهم طريقًا للخروج: «بحق لحية مرلين! لقد تمت محاكمتك في وجود مجلس قضاة كامل».

قال «هاري» بهدوء: «أظن هذا».

أومأ بعض السحرة لـ «هاري» في تحية مقتضبة وهم يخرجون، ومنهم السيدة «بونز» التي قالت: «صباح الخير يا أرثر» للسيد «ويسلي». لكن

معظمهم حولوا عيونهم بعيداً، وكان آخر من غادر القاعة «كورنلياس فادج» والساحرة الشبيهة بالضفدع. تصرف «فادج» كأن السيد «ويسلي» و«هاري» جزء من الحائط. لكن مرة أخرى، نظرت الساحرة نحو «هاري» وهي تمر بجانبه. وآخر من خرج كان «بيرسي». ومثل «فادج»، فقد تجاهل أباه و«هاري» تماماً. وسار وفي يده لفة كبيرة من الورق، وبعض ريشات الكتابة، وظهره متصلب وأنفه في الهواء. رأى «هاري» التجاعيد حول فم السيد «ويسلي» تضطرب.

قال وهو يدفع بـ «هاري» للأمام بعد أن اختفى «بيرسي» تماماً من الممر: «سأعود بك مباشرة إلى البيت؛ لتخبر الآخرين بالأخبار السارة.. سأوصلك إلى البيت وأنا في طريقي إلى ذلك المرحاض في بيثنال جرين. هيا معي..».

سأله «هاري» مبتسماً: «إذن، كيف ستتعامل مع موضوع المراحيض هذا؟» وقد بدا فجأة أن كل شيء يقابله أكثر طرافة خمسة أضعاف عن حاله الطبيعي، وبدأ في فهم ما حدث. لقد أخلى طرفه. إنه بريء، وسيعود إلى مدرسة «هوجورتس».

قال السيد «ويسلي» وهما يصعدان السلم: «المسألة بسيطة، سأستخدم تعويذة مضادة للتقيؤ. لكن الموضوع ليس موضوع علاج الضرر، ما يهمني هو معرفة سبب هذا السلوك التخريبي يا هاري. قد يرى بعض السحرة أن الاستهزاء بالعامة طريف، لكنه تعبير عن شيء أكثر عمقاً وأشد شراً، وبالنسبة لي...».

قطع السيد «ويسلي» جملته فجأة. كانا قد وصلا إلى ممر الطابق التاسع، و«كورنلياس فادج» واقف على مسافة بعض الأقدام منهما، وهو يتحدث إلى رجل طويل القامة ذي شعر أشقر ناعم ووجه شاحب حاد.

التفت الرجل الآخر مع سماعه لصوت أقدامهما. هو الآخر صمت فجأة أثناء حديثه، وضاقت عيناه الرماديتان الباردتان وهو يثبتهما على «هاري».

قال «لوكياس مالفوي» ببرود: «يا سلام يا سلام.. بوتر ذو البتروناس».

شعر «هاري» بصدمة شبيهة بحاله عندما يصطدم فجأة بشيء صلب. لم ير هاتين العينين منذ رآهما من خلف قناع آكلة الموت، وآخر مرة سمع فيها هذا الصوت كان في المقابر المظلمة واللورد «فولدمورت» يعذبه. لم يصدق «هاري» أن «لوكياس مالفوي» قد جرؤ على مخاطبته وجهاً لوجه.. لم يصدق أنه هنا، في وزارة السحر، أو أن «كورنلياس فادج» يتحدث إليه، بينما أخبر هو «فادج» منذ بضعة أسابيع أن «مالفوي» من آكلة الموت.

قال السيد «مالفوي» بصوت أجش: «كان سيادة الوزير يخبرني لتوه بشأن إفلاتك من العدالة يا بوتر. يا للطريقة المدهشة التي تنجح بها في الهروب من المآزق كل مرة.. مراوغ كالثعابين!».

أمسك السيد «ويسلي» بكتف «هاري» محذراً إياه من أي تصرف أحمق.

قال «هاري»: «أجل.. فعلاً، أنا أجيد الهروب».

رفع «لوكياس مالفوي» عينيه إلى وجه السيد «ويسلي».

«وآرثر ويسلي أيضاً! ماذا تفعل هنا يا آرثر؟».

قال السيد «ويسلي»: «أنا أعمل هنا».

قال السيد «مالفوي» وهو يرفع حاجبيه وينظر نحو الباب من خلف كتف السيد «ويسلي»: «ليس هنا طبعاً.. حسبتك تعمل في الطابق الثاني.. ألم تهو سرقة أدوات العامة وسحرها في بيتك؟».

قال السيد «ويسلي» بحدة وأصابعه مغروسة في كتف «هاري»: «لا».

سأل «هاري» «لوكياس مالفوي»: «ماذا تفعل أنت هنا؟».

قال «مالفوي» وهو يضبط ثنايا عباءته: «لا أظن أن الأمور الخاصة التي أناقشها مع وزير السحر تعنيك يا بوتر». سمع «هاري» وهو يداعب ثنايا ثوبه ما يشبه رنين جيب مليء بالذهب. أضاف: «أجل.. فقط لأنك فتى دمبلدور؟ لا تتوقع منا نفس التسيب.. هلا ذهبنا إلى مكتبك يا سيادة الوزير؟».

قال «فادج» وهو يدير ظهره للسيد «ويسلي» و«هاري»: «من هنا يا لوكياس» ساراً معاً وهما يتحدثان بصوت منخفض. لم يترك السيد «ويسلي» كتف «هاري» حتى اختفيا في المصعد.

سأله «هاري» بفضول شديد: «لماذا لم ينتظر أمام مكتب فادج إن كان يناقش معه أموراً خاصة؟ ما الذي جعله ينزل إلى هنا؟».

قال السيد «ويسلي» وعلى وجهه علامات امتعاض شديد: «في رأيي، يحاول التسلل إلى قاعة المحاكمة، ثم وهو ينظر من فوق كتفه كأنه يريد التأكد من عدم تنصت أحد: «يحاول معرفة إن كنت قد فصلت أم لا. سأترك رسالة لدمبلدور في البيت وأنا أوصلك. فعليه أن يعرف بكلام مالفوي مع فادج للمرة الثانية».

«وما الأمور الخاصة بينهما في رأيك؟».

قال السيد «ويسلي» بغضب: «الذهب على ما أعتقد.. منذ سنوات ومالفوي

يمنح الهدايا بسخاء؛ فيصل من خلالها إلى من يحققون له مصالحه، ثم يسأل خدمات مقابل الهدايا، ويؤخر مشروعات القوانين التي لا يريدها أن تصدر، إن له صلات قوية بذوي النفوذ».

وصل المصعد، وكان خاليًا فيما عدا سرب من المذكرات الداخلية التي أخذت ترفرف حول رأس السيد «ويسلي»، وهو يضغط زر قاعة الاستقبال، وانغلقت الأبواب. أخذ يبعدها عنه بيده في عصبية.

قال «هاري» ببطء: «سيد ويسلي.. إن كان فادج يقابل أكلة الموت من أمثال مالفوي وحده، فكيف نعرف إن كانوا أصابوه بلعنة الأميرياس أم لا؟».

قال السيد «ويسلي» بهدوء: «فكرنا في هذا قبلك يا هاري.. لكن دمبلدور يرى أن فادج يتصرف بناء على إرادته الحرة.. وكما يقول دمبلدور، فهو ليس بالأمر السار والأفضل ألا نتحدث في هذا الموضوع الآن يا هاري».

انفتحت الأبواب، ومشيا إلى قاعة الاستقبال شبه الخالية. كان «إريك» الحارس مختبئًا خلف جريدة «دايلي بروفيت».. سارا مباشرة بجوار النافورة الذهبية، قبل أن يتذكر «هاري».

قال السيد «ويسلي»: «انتظر» وهو يخرج كيس نقوده من جيبه، ثم يتلفت إلى النافورة.

نظر إلى وجه الساحر الوسيم، لكن بالقرب منه شعر «هاري» بأنه ضعيف وغبي. كانت على وجه تمثال الساحرة ابتسامة مشرقة كأنها في مسابقة ملكات جمال، ومما يعرفه «هاري» عن الجان، و«القناطير»، لم يكن من المتوقع رؤيتهما ينظران بدفء إلى أي بشر من أي نوع. فقط سلوك القزم المنزلي الخدمي بدا واقعيًا على وجه تمثال القزم المنزلي، وبابتسامة تذكر ما كانت ستقوله «هيرميون» لو رأت تمثال القزم المنزلي، قلب «هاري» كيس نقوده؛ ليفرغ محتواه كله في البركة، وليس فقط عشرة «جاليونات».

***

صاح «رون» وهو يلكم بيده الهواء: «كنت أعرف! أنت دائم الهروب من المشكلات المشابهة».

قالت «هيرميون» وقد بدا عليها أنها ستفقد الوعي من القلق عندما دخل

«هاري» إلى المطبخ: «كان عليهم إخلاء ساحتك.. لا توجد قضية قوية ضدك منذ البداية، ولا أي سبب لمحاكمتك».

قال «هاري» مبتسمًا: «لكن بالرغم من هذا فالجميع يشعرون بالراحة بعد قلق طويل، وأنت تقولين إن هذا كان متوقعًا!».

كانت السيدة «ويسلي» تنتحب، وقد أخفت وجهها في مئزرها، بينما «فريد» و«جورج» و«جيني» يتقافزون في رقصة أشبه برقصة الهنود الحمر، وهم يغمون على حرب.. ويغنون بنفس طريقتهم القوية وهم يرقصون: «هاري بريء يا رجال.. هاري بريء يا رجال..».

صاح السيد «ويسلي»: «كفاكم» وإن كان هو الآخر يبتسم.. «اسمع يا سيرياس.. كان لوكياس مالفوي في الوزارة..».

قال «سيرياس» بحدة: «ماذا؟».

«هاري بريء يا رجال.. هاري بريء يا رجال..».

«اصمتوا أنتم الثلاثة! أجل، رأيناه يتحدث إلى فادج في الطابق التاسع، ثم ذهبا إلى مكتب الأخير معًا. يجب أن يعرف دمبلدور».

قال «سيرياس»: «بالطبع.. سنخبره، فلا تقلق».

«طيب.. من الأفضل أن أذهب، هناك مرحاض متقيئ ينتظرني في بيثنال جرين، ولي.. سأتأخر، سأتولى عمل تونكس الليلة، لكن كنجسلي قد يحضر على العشاء..».

«هاري بريء يا رجال.. هاري بريء يا رجال..».

قالت السيدة «ويسلي» والسيد «ويسلي» يغادر المطبخ: «كفى يا أولاد.. هاري يا عزيزي، تعال واجلس، ولتأكل طعامك، فأنت لم تأكل جيدًا على الإفطار».

جلس «رون» و«هيرميون» في مواجهته، وعلى وجهيهما علامات السعادة، حتى أكثر من سعادتهما بعودة «هاري» إليهما، وشعر «هاري» براحة مضطربة، سببها رؤيته لـ«لوكياس مالفوي». بدا المنزل المظلم أكثر دفئًا وترحيبًا فجأة.. حتى «كريتشر» بدا أقل قبحًا وهو يدخل بأنفه الطويل إلى المطبخ بحثًا عن مصدر كل هذه الجلبة.

قال «رون» بسعادة وهو يلقي بأكوام هائلة من البطاطس المهروسة في أطباق الجميع: «بالطبع، حالما ظهر دمبلدور لم يقدر أحد على إدانتك».

قال «هارى»: «أجل، لقد ساعدنى كثيراً»، ولم يذكر عبارة ودّ إضافتها، عندما أحس أنها طفولية، وهى: «أتمنى لو كان قد تحدث معى، فهو لم ينظر نحوى حتى» وهو يفكر فى هذا ألمته ندبة جبينه بشدة، حتى إنه اضطر إلى وضع يده عليها

قالت «هيرميون» باديًا عليها القلق: «ما الأمر؟».

غمغم «هارى» قائلاً: «إنها الندبة، لكن لا تخافى، فهذا يحدث طوال الوقت...».

لم يلحظ أى من الآخرين أى شىء.. كانوا جميعًا يأكلون بحبور فرحة بنجاة «هارى».. لم يكف كل من «فريد» و«جورج» و«جينى» عن الغناء. بدت «هيرميون» قلقة جداً، لكن قبل أن تقول أى شىء قال «رون» بسعادة: «أراهن أن دمبلدور سيأتى الليلة؛ ليحتفل معنا».

قالت السيدة «ويسلى» وهى تضع طبقًا هائلاً من الدجاج المحمر أمام «هارى»: «لا أعتقد أنه سيقدر على الحضور يا رون.. فلديه الكثير من العمل».

«هارى برىء يا رجال.. هارى برىء يا رجال...».

صاحت السيدة «ويسلى»: «اصمتوا».

***

لم يقدر «هارى» طوال الأيام القليلة التالية على تفادى التفكير فى أن هناك شخصًا واحداً بالمنزل ليس سعيداً بعودته إلى «هوجورتس».. تصنع «سيرياس» السعادة عندما سمع أخبار المحاكمة، وصافح «هارى» بفرحة مثل الآخرين. لكن وبسرعة بات أكثر عبوسًا وحزنًا عن ذى قبل.. وأصبح كلامه أقل، حتى مع «هارى»، ويقضى وقتًا طويلاً فى حجرة أمه مع «باكبيك».

قالت «هيرميون» بجدية بعد أن أفضى «هارى» ببعض مشاعره إليها هى و«رون»، وهم ينظفون خزانة متسخة بالطابق الثالث بعد ثلاثة أيام: «لا تدع الشعور بالذنب يحاصرك.. أنت تنتمى إلى هوجورتس وسيرياس يعرف هذا.. عن نفسى أراه يتصرف بأنانية».

قال «رون» مقطبًا جبينه وهو يزيل بقعة من الوسخ التصقت بأصبعه: «لا تكونى قاسية يا هيرميون، فأنت ما كنت لتحبين الانعزال فى هذا البيت دون أية صحبة».

قالت «هيرميون»: «لكن معه صحبة.. إنه مقر جماعة العنقاء، أليس كذلك؟ لكنه يتمنى أن يبقى هارى ويعيش معه هنا».

قال «هارى» وهو ينفض ملابسه: «لا أرى ما تقولينه حقيقيًا.. كان ليجيبنى إجابة مباشرة عندما طلبت منه العيش هنا».

قالت «هيرميون» بحكمة: «لم يرغب فى تضخيم آماله.. كما أنه على الأرجح يشعر بالذنب؛ فجزء منه كان يتمنى أن يفصلوك من المدرسة؛ لتصبحا هاربين مبعدين عن المجتمع مع أحدكما الآخر».

قال «هارى» و«رون» معًا: «لا تبالغى»، لكنها هزت كتفها معترضة.

«كما تشاءان، لكنى أحيانًا أرى والدة رون محقة لقلقها من كون سيرياس أباك الروحى يا هارى».

قال «هارى» بعصبية: «إذن فأنت ترين أن عقله ممسوس؟».

قالت «هيرميون» ببساطة: «لا.. فقط هو معزول وحده منذ فترة طويلة».

عندها دخلت السيدة «ويسلى» الحجرة من خلفهم

قالت وهى تدفع برأسها إلى داخل الخزانة: «ألم تنتهوا بعد؟».

قال «رون» بمرارة: «حسبتك ستأتين لتخبرينا بأن الإفطار جاهز.. هل تعرفين كمّ القذارة التى تخلصنا منها منذ جئنا هنا؟».

قالت السيدة «ويسلى»: «كنتم حريصين جداً على مساعدة الجماعة.. يمكنكم الآن إنهاك أنفسكم فى تنظيف مقر الجماعة».

قال «رون» متذمراً: «أشعر بأننى قزم منزلى».

قالت «هيرميون»: «رائع، والآن وقد عرفت شكل حياة الأقزام المساكين، فربما تود زيادة مجهودك ونشاطك فى (إس. بى. إى. دبليو)»، ثم والسيدة «ويسلى» تغادرهم أضافت: «أتعرف؟ لن تكون فكرة سيئة إن جعلنا الناس يرون كمّ المعاناة والجهد المبذولين فى التنظيف طوال الوقت.. أرى أن نرعى حفل تنظيف جماعيًا لحجرة الطلبة ببرج جريفندور؛ بهدف إثارة الوعى بمعاناة الأقزام، وكذا الحصول على تمويل لأنشطتنا».

غمغم رون بامتعاض: «أفضل أن أكون الراعى الرسمى لكفك عن الكلام عن (إس. بى. إى. دبليو)»، لكن لم يسمعه غير «هارى».

***

وجد «هارى» نفسه يحلم أحلام اليقظة عن «هوجورتس» أكثر وأكثر مع اقتراب الإجازة من نهايتها.. لم يصبر على انتظار العودة إلى «هاجريد»

ثانية، ولعب «الكويدتش»، والتعثر في النباتات الغريبة بالصوبات الزجاجية، وقت حصة «علم الأعشاب».. يا لها من متعة، مجرد مغادرة هذا البيت المترب الكئيب، حيث تجد نصف الخزانات موصدة و«كريتشر» يلقي بالإهانات من بين الظلال وأنت تمر بجانبه. لكن «هاري» كان حريصًا على ألا يذكر أيًا من هذا بالقرب من «سيريوس».

الحقيقة أن العيش في مقر حركة مناهضة لـ «فولدمورت» لم يكن مثيرًا أو جميلاً كما توقع «هاري»، رغم حضور الكثير من أعضاء جماعة العنقاء، ويبقون لتناول الطعام، وفي بعض الأحيان لا يبقون سوى دقائق قليلة، متبادلين همسات قليلة، وتحرص السيدة «ويسلي» وقتها على أن يكون «هاري» والآخرون بعيدين عن مرمى السمع - سواء بالآذان الممتدة أو الطبيعية - ولم يكن أحد ولا حتى «سيريوس» يشعر بأن «هاري» يحتاج لمعرفة أكثر مما عرفه ليلة حضوره إلى البيت.

وفي اليوم الأخير من الإجازة كان «هاري» يزيل فضلات بومته «هدويج» من فوق الخزانة، عندما دخل «رون» حجرتهما حاملاً خطابين.

قال وهو يلقي بأحدهما نحو «هاري»، الذي كان واقفًا على مقعد: «وصلت قوائم الكتب المطلوبة للعام الدراسي الجديد.. في وقتها المناسب، ظننتهم نسوا إرسالها، فهم في العادة يرسلونها قبل هذا بكثير..».

مسح «هاري» آخر الفضلات وألقاها في كيس القمامة، ثم ألقى بها من فوق رأس «رون» لتستقر داخل سلة القمامة في ركن الحجرة، والتي ابتلعت الكيس وتجشأت بصوت مسموع. فض رسالته.. كان بها لفافتان من الورق: واحدة تذكره بالحضور في الأول من سبتمبر، والثانية تخبره بالكتب المطلوب شراؤها للعام الدراسي القادم.

أخذ يقرأ: «لا يوجد سوى كتابين جديدين هما (كتاب التعاويذ المدرسي، الصف الخامس) تأليف «ميراندا جوشاوك»، و(نظرية السحر الدفاعي) تأليف «ويلبرت لينكهارد».

كراك

تجسد كل من «فريد»، و«جورج» بجانب «هاري». كان قد تعود على تجسدهما السحري المتكرر حتى إنه لم يسقط عن مقعده بسبب المفاجأة.

قال «فريد» بلهجة الراغب في النقاش: كنت أنا و«جورج» نتحدث منذ قليل ونتساءل عمن أضاف كتاب «لينكهارد».

قال «جورج»: «لأن هذا يعني أن دمبلدور وجد مُدرسًا لمادة السحر الأسود»[1]. فأضاف «فريد»: «وفي الوقت المناسب».

سأل «هاري» ناهضًا عن مقعده: «ماذا تعني؟».

قال «فريد» لـ «هاري»: «الواقع، سمعنا أمي وأبي بالآذان الممتدة يتحدثان منذ بضعة أسابيع.. وطبقًا لما قالاه، فإن دمبلدور يواجه صعوبة في العثور على مدرس لهذه المادة هذا العام».

قال «جورج»: «هذا متوقع، مع ما حدث لآخر أربعة أساتذة يتولون تدريس المادة».

قال «هاري» وهو يحصيهم على أصابعه: «أحدهم ذهب عقله، والآخر مات، والثالث فقد الذاكرة، والأخير حُبس في حقيبة الملابس لمدة تسعة أشهر.. أجل، أفهم ما تقصده».

سأل «فريد»: «ماذا تفعل يا رون؟».

لم يجبه «رون». نظر «هاري» حوله. كان «رون» واقفًا جامدًا في مكانه، وفمه مفتوح، وهو يحدق في رسالته القادمة من «هوجورتس».

قال «فريد» بنفاد صبر وهو يدور حول «رون»؛ ليرى المكتوب بالورقة من فوق كتفه: «ما الأمر؟».. وانفتح فم «فريد» في ذهول مماثل.

قال محدقًا بلا تصديق في الرسالة: «رائد الفصل؟ رائد الفصل؟».

قفز «جورج» للأمام، وقبض على الرسالة الأخرى من يد «رون» الأخرى، وقلبها رأسًا على عقب. رأى «هاري» شيئًا أحمر ذهبيًا يسقط إلى راحة يد «جورج».

قال «فريد» وهو يختطف الرسالة من يد «رون» ويرفعها لتواجه الضوء كأنه يتحقق من علامة مائية على عملة نقدية: «بالتأكيد في الأمر خطأ ما.. لا أحد عاقل بما فيه الكفاية يُنصِّب رون رائدًا للفصل».

قال «جورج» بنبرة هامسة كمن ألمت به مصيبة: «لا يمكن».

[1] يقول «جورج» مادة السحر الأسود على سبيل الاختصار؛ لأن اسم المادة طويل، وهو الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود. (المترجم)

دار رأسا التوأمين في وقت واحد وحدقا في «هاري».

قال «فريد» بنبرة كأن «هاري» قد خدعهما: «حسبناك المرشح الأول للمنصب».

قال «جورج» كأنه قد تلقى إهانة: «حسبنا «دمبلدور» سيختارك».

قال «فريد»: «بعد أن فزت بجائزة مسابقة السحر الثلاثية وبعد كل ما فعلته».

قال «جورج» لـ«فريد»: «لابد أن المشاكل التي تسبب فيها لم تكن في صالحه».

قال «فريد» ببطء: «أجل. فعلاً.. فقد تسببت في الكثير من المشكلات يا صاحبي. على الأقل واحد منكما نفع نفسه وفعل الصواب».

سار بجوار «هاري» وربت على كتفه بتقدير، ثم ألقى نظرة محتقرة على «رون» وهو يقول: «رائد الفصل؟ (رونى الصغنونة) رائد الفصل؟».

قال «جورج» متألماً، وهو يلقي بشارة رائد الفصل إلى «رون» كأنها ستلوثه: «يااه.. ستفرح أمي كثيراً».

أخذ «رون» الشارة دون أن ينطق بكلمة، وحدق فيها للحظة، ثم رفعها لـ«هاري» كأنه يسأله بلا كلام أن يؤكد له حقيقة ما يحدث. أخذها «هاري». كان عليها حرف «P»(١) كبيراً مرسوماً فوق شعار أسد «جريفندور». رأى شارة مثل هذه من قبل على صدر «بيرسي» في يومه الأول بمدرسة «هوجورتس».

انفتح الباب ودخلت «هيرميون» إلى الحجرة، ووجنتها محمرة وشعرها يتطاير من خلفها. كان هناك رسالة في يدها.

«هل.. هل وصلك الـ..؟».

لمحت الشارة في يد «هاري» فصاحت صيحة فرحة.

قالت بحماس وهي تلوح برسالتها: «كنت أعرف.. أنا أيضاً يا هاري، أنا أيضاً».

قال «هاري» بسرعة، وهو يدفع بالشارة إلى يد «رون»: «لا.. إنها شارة رون، ليست شارتي».

«إنها ماذا؟!».

قال «هاري»: «رون هو رائد الفصل، ولست أنا».

قالت «هيرميون» بدهشة: «رون؟! لكن.. هل أنت واثق من.. أعني هل..».

صار لون وجهها أحمر، و«رون» يلتفت إليها وعلى وجهه أمارات التحدي.

قال: «إن اسمي هو المكتوب في الرسالة».

---

(١) حرف P اللاتيني اختصار لفظ Prefect بمعنى رائد الفصل (المترجم).

قالت «هيرميون» بارتباك: «أنا.. أنا.. أ.. رائع يا رون. أحسنت فعلاً».

قال «رون» وهو يومئ برأسه: «غير متوقع؟».

قالت «هيرميون» ووجهها أحمر أكثر مما سبق: «لا.. لا أقصد هذا.. لقد قام رون بالكثير من.. إنه حقاً..».

انفتح الباب أكثر من خلفهما، ودخلت السيدة «ويسلي» إلى الحجرة ومعها عباءات مدرسية مغسولة ونظيفة.

قالت وهي تنظر حولها إلى كل الرسائل التي معهم، وهي تتقدم إلى الفراش رتبياً في صف العباءات في صفين: «جيني تقول إن قوائم أسماء الكتب قد وصلت أخيراً. إن أعطيتموني القوائم سأحضرها لكم من زقاق «دياجون» عصر اليوم بينما تحزمون أنتم حقائبكم. رون، سأحضر لك المزيد من المنامات، فقد زاد طولك ست بوصات على الأقل. لا أصدق السرعة التي تنمو بها.. ما اللون الذي تريده؟».

قال «جورج» بسخرية: «أحضري له منامات باللون الأحمر والذهبي لتليق على شارته».

قالت السيدة «ويسلي» بذهن شارد وهي تكوم بعض الجوارب البنية وتضعها فوق كومة ملابس «رون»: «تليق على ماذا؟».

قال «فريد» بنبرة من يبغي الانتهاء من المسألة سريعاً: «شارته.. شارة رائد فصل جميلة ولامعة».

فكرت السيدة «ويسلي» قليلاً في كلمات «فريد»، حتى وصل إليها المعنى وسط انشغالها بالمنامات.

«شار.. لكن.. رون، هل أنت فعلاً..؟».

رفع «رون» شارته.

أطلقت السيدة «ويسلي» صيحة مماثلة لصيحة «هيرميون».

«لا أصدق! لا أصدق! ياه.. يا رون، يالروعة! رائد الفصل! هذا يعني أن كل من بالأسرة..».

قال «جورج» بكبرياء وشمم، وأمه تدفعه جانباً وتحيط بيدها رقبة أخيه الأصغر: «وماذا نكون أنا وفريد؟ جيرانكم؟!».

«انتظر حتى يعرف أبوك يا رون! أنا فخورة بك جداً، يالها من أخبار مدهشة، قد تصبح الطالب الأول، تماماً مثل «بل» و«بيرسي». كونك رائداً للفصل هو الخطوة الأولى! آه يا لسعادتي وسط كل هذا القلق، أنا سعيدة يا رون».

كان كل من «فريد» و«جورج» يصدران أصواتًا ساخرة من خلفها، لكنها لم تعرهما انتباهًا.. وذراعها ممدودة حول عنق «رون»، أخذت تقبله في وجهه، الذي صار أكثر احمرارًا من شاربه.

غمغم محاولاً الفكاك منها: «أمي.. لا.. أمي، تماسكي..».

تركته وقالت لاهثة: «حسنًا.. وماذا سأمنحك كجائزة؟ أعطيت بيرسي بومة، لكنك معك واحدة بالفعل».

قال «رون» وقد بدا كأنه لا يصدق أذنيه: «مـ... ماذا تعنين؟».

قالت السيدة «ويسلي» بحب: «يجب أن تحصل على مكافأة لما حصلت عليه من تقدير في المدرسة.. ما رأيك في عباءة مدرسية جديدة؟». - قال «فريد» بحسرة وبنبرة النادم على كرمه: «لقد أحضرنا له عباءات جديدة بالفعل».

«أو قدر سحرية جديدة.. قدر تشارلي أصابها الصدأ، أو جرذ جديد، لطالما أحببت سكابرس جرذك القديم..».

قال «رون» متطلعًا: «أمي.. هلا أحضرت لي مقشة سحرية جديدة؟».

انسحبت السعادة قليلاً عن وجه السيدة «ويسلي»، فالمقشات السحرية باهظة الثمن.

سارع «رون» بإضافة: «لا أريد مقشة ممتازة.. أريد... أريد فقط واحدة جديدة على سبيل التغيير..».

ترددت السيدة «ويسلي»، ثم ابتسمت.

«بالطبع سأحضرها لك.. في الواقع عليّ الذهاب إن كنت سأشتري مقشة أيضًا. أراك لاحقًا يا صغيري روني يا رائد الفصل يا رافع رأس ماما! ولا تنس حزم حقائبك.. يا رائد الفصل، ياه، يالسعادتي!».

قبلت «رون» قبلة أخرى على وجنته، وغادرت الحجرة وهي تكتم دموع الفرح.

تبادل كل من «فريد» و«جورج» النظرات.

قال «فريد» في لهفة زائفة: «هل تمانع إن قبلتك أنا الآخر يا رون؟».

قال «جورج»: «يمكننا الانحناء لجلالتك إن شئت».

قال «رون» بنبرة توبيخ: «اصمتا».

قال «فريد» وابتسامة شريرة ترتسم على وجهه: «وإلا ماذا؟! هل ستعاقبنا؟».

قال «جورج» بضحكة مكبوتة: «لكمْ أود رؤيته يحاول».

قالت «هيرميون» بغضب: «سيفعل إن لم تصمتا».

انفجرت ضحكات «فريد» و«جورج»، وغمغم «رون»: «تجاهليهما يا هيرميون».

قال «فريد» متظاهرًا بالارتجاف: «علينا الحذر يا جورج، بعد أن تولى هذان الرقابة على تصرفاتنا بالمدرسة..».

قال «جورج» وهو يهز رأسه: «أجل.. يبدو أن أيام مخالفة القواعد والقوانين قد ولت». وبصوت فرقعة آخر اختفى التوأمان.

قالت «هيرميون» بغضب وهي تحدق في السقف، الذي سمعوا من خلاله «فريد» و«جورج» يضحكان بأعلى صوت في الحجرة العلوية: «لا تعرهما انتباهًا يا رون، إنهما غيوران».

قال «رون» بريبة، ناظرًا إلى السقف هو الآخر: «لا أظن.. دائمًا يقولان إن الحمقى فقط هم من يصيرون روادًا للفصول». ثم أضاف بنبرة أكثر سرورًا: «لكن لن يحصلا على مقشات جديدة! أتمنى الذهاب مع أمي والاختيار بنفسي.. لن تقدر أبدًا على شراء مقشة موديل نيمباس، لكن هناك موديل كلين سويب جديد، سيكون رائعًا لو أحضرتها لي! الأفضل أن أذهب وأطلب منها إحضار الكلين - سويب، حتى تعرف..».

غادر الحجرة بسرعة، تاركًا «هاري» و«هيرميون» خلفه.

لسبب ما وجد «هاري» نفسه لا يريد النظر إلى «هيرميون». التفت ليواجه فراشه، والتقط كومة العباءات النظيفة التي وضعتها السيدة «ويسلي» عليه، وعبر الحجرة إلى حقيبته. قالت «هيرميون» بحذر: «هاري؟».

قال «هاري» بصدق، من إفراطه بدا صوته مختلفًا، وهو لا ينظر إليها: «أحسنت يا هيرميون.. ممتاز، رائدة الفصل.. شيء مفرح فعلاً».

قالت «هيرميون»: «شكرًا.. أ.. هاري.. هل يمكنني استعارة هدويج حتى أخبر أمي وأبي؟ سيسرهم هذا الخبر كثيرًا.. أعني أن رائد الفصل شيء يفهمانه وسط تفاصيل حياتنا السحرية التي لا يعرفانها».

قال «هاري» بصوته المبتهج الغريب الذي شعر أنه ليس صوته: «أجل، تفضلي.. خذيها».

مال على حقيبته، وألقى بالعباءات في قاعها، ثم تظاهر بالبحث عن شيء ما، بينما عبرت «هيرميون» الحجرة إلى الخزانة ونادت على «هدويج» حتى تنزل. بعد مرور لحظات سمع «هاري» الباب ينفتح، لكنه ظل منحنيًا على

الحقيبة كما هى، وأنصت. الصوت الوحيد الذى وصله كان صوت اللوحة المعلقة على الحائط وهى تضحك ضحكات مكتومة، وسلة القمامة فى ركن الحجرة وهى تتجشأ بعد التهام فضلات البومة.

استقام فى وقفته، ونظر خلفه. كانت «هيرميون» قد غادرت، واختفت «هدويج»، هرول «هارى» بطول الحجرة، وأغلق الباب، ثم عاد ببطء إلى فراشه وغاص فيه محدقاً بعيون لا ترى فى أرجل الخزانة.

نسى تماماً أن رواد الفصول يتم اختيارهم فى الصف الخامس. كان قلقه الشديد بشأن احتمال فصله من المدرسة قد غطى تماماً على تفكيره فى أن الشارات ستأخذ طريقها إلى بعض التلاميذ. لكنه لو تذكر الموضوع كان سيفكر فيه. إن كان فكر فيه.. ماذا كان يتوقع؟

طبعاً لا تتوقع هذا. جاءه صوت واهن وصادق من داخل رأسه.

قلب «هارى» وجهه واحتضنه بين يديه. لا يمكنه الكذب على نفسه.. لو كان يعرف أن شارات رواد الفصول فى طريقها إلى تلاميذ بعينهم، كان سيتوقع أن تأتيه واحدة، وليس «رون». هل هذا يجعله مغروراً مثل «دراكو مالفوى»؟ هل يرى نفسه أفضل من الآخرين أجمعين؟ هل فعلاً يرى نفسه أفضل من رون؟

قال له صوته الداخلى بلهجة قاطعة: لا.

تساءل «هارى» مقلباً فى مشاعره المضطربة: هل هذه هى الحقيقة؟

أنا أفضل منه فى «الكويدتش». لكن ليس فى أى شىء آخر.

هذا حق.. لم يكن أفضل من «رون» فى المواد الدراسية. لكن ماذا عنهما خارج الفصل؟ ماذا عن المغامرات التى خاضها مع «رون» و«هيرميون» منذ بداية التحاقهم بـ«هوجورتس»، وفى العادة مخاطرتهم معاً بالفصل من المدرسة.

فى الواقع كان «رون» و«هيرميون» معى طوال الوقت.

ليس طوال الوقت يا «هارى». لم يقاتلا «كويرل» معى. لم يحلا الألغاز، ولم يقابلا الأفعى العملاقة[1]، ولم يتخلصا من (الديمنتورات) الكثيرة التى جاءت

(١) قاتل «هارى» الأفعى العملاقة Basilisk فى الجزء الثانى: «هارى بوتر وحجرة الأسرار». وهى ملكة الأفاعى، وتعيش مئات السنوات ومن ينظر إلى عينيها طويلاً يهلك. (المترجم)

ليلة هروب «سيريـاس». ولم يدخلا المقابر معى، ولا شهدا ليلة عودة «فولدمورت»..

عاوده إحساسه بالمعاملة السيئة، والذى كان يشعر به ليلة حضر للمرة الأولى إلى البيت. لقد فعلتُ بالطبع أكثر منهما.. فعلت أكثر مما فعلا مجتمعين!

ربما.. وربما يختار «دمبلدور» رواد الفصول ممن لا يتورطون فى مغامرات ومشكلات.. ربما يختارهم على أسس أخرى.. لابد أن «رون» لديه شىء ليس لدىّ..

فتح «هارى» عينيه، وحدق من خلال أصابعه فى أرجل الخزانة، متذكراً ما قاله «فريد»: «لا أحد عاقل بما فيه الكفاية ينصب رون رائداً للفصل..».

ضحك «هارى» ضحكة قصيرة، وبعد لحظة شعر بالغثيان والضيق من نفسه.

لم يطلب «رون» من «دمبلدور» منحه شارة رائد الفصل. لم يكن هذا خطأ «رون». وهل سيغضب هو - «هارى» - أفضل أصدقاء «رون» بسبب شارة؟ يضحك مع التوأمين من خلف ظهره؟ ويفسد فرحته بعد أن تفوق على «هارى» للمرة الأولى فى شىء ما؟

لحظتها سمع صوت خطوات «رون» وهو يقترب صاعداً السلم. وقف، وعدل من وضع عويناته، ورسم ابتسامة على وجهه، والأخير يلج من الباب.

قال بسعادة: «لحقت بها! لحقت بها، وقالت إنها ستحضر لى مفشة الكلين - سويب إن استطاعت».

قال «هارى»: «ممتاز». وقد استراح لسماع صوته بعد أن عاد لطبيعته. «اسمع يا رون. ما حصلت عليه مدهش فعلاً».

تلاشت الابتسامة من على وجه «رون».

قال وهو يهز رأسه: «لم أتخيل أبداً أن يختاروني أنا.. كنت أحسب أنك من سيصبح رائد الفصل».

قال «هارى» مقلداً «جورج»: «لا.. لقد تسببت فى الكثير من المشكلات».

قال «رون»: «أجل.. لكن أعتقد.. من الأفضل أن نسرع بحزم حقائبنا.. أليس كذلك؟».

بدا غريباً كيف تناثرت أشياؤهما منذ وصلا إلى البيت. استغرقا فترة ما بعد الظهر فى حزم كتبهما وأغراضهما وجمعهما من كافة أنحاء المنزل وحشرها فى الحقائب. لاحظ «هارى» أن «رون» يعدل وضع شارته بكثرة، أولاً يضعها بجانب

المائدة في حجرتهما، ثم في جيب بنطلونه «الجينز». ثم يخرجها ويلقيها فوق عباءاته المطوية، كأنه يحاول رؤية كيف يتسق اللون الأحمر مع الأسود. عندما حضر «فريد» و«جورج» وعرضا عليه لصقها على جبينه بتعويذة الالتصاق الدائم، قام بوضعها بإهمال في فردة جوربه البنية وأغلق عليها الحقيبة.

عادت السيدة «ويسلي» من زقاق «دياجون» حوالي الساعة السادسة مساءً، محملة بالكتب، ومعها لفافة كبيرة مربوطة بالورق البني، أخذها منها باشتياق.

قالت: «لا تفضها الآن، فهناك ضيوف قادمون على العشاء، وأريدكم جميعاً بالأسفل معنا». لكن لحظة أبعدت عينيها عن «رون» قام بتمزيق الورق بسرعة ليفحص كل بوصة من مكنسته الجديدة، وعلى وجهه تعبير سعادة لا توصف.

وفي القبو قامت السيدة «ويسلي» بتعليق لافتة كبيرة فوق مائدة العشاء الثقيلة مكتوب عليها:

تهنئة قلبية حارة

لرون وهيرميون

رائدي الفصل الجديدين

بدت في حالة مزاجية أفضل من حالها من أي وقت رآها فيه «هاري» في أية إجازة سابقة.

قالت لـ«هاري» و«رون» و«هيرميون»: «قلت لنفسي لمَ لا نقيم حفلاً صغيراً، وليس مجرد عشاء عادي.. سيأتي أبوك ومعه بيل بعد قليل يا رون. أرسلت إليهما بومتين بالخبر وهما سعيدان للغاية». أضافت الجملة الأخيرة وابتسامة مشرقة مرتسمة على وجهها.

طرف «فريد» بعينيه بسخرية كأنه سيختنق من السعادة.

كان كل من «سيرياس» و«لوبين» و«تونكس» و«كنجسلي شاكلبولت» قد حضروا بالفعل، ودخل «ماد آي مودي» بعد أن أحضر «هاري» لنفسه شراباً.

قالت السيدة «ويسلي» بإشراق بينما «ماد آي» يخلع معطفه: «اه يا أليستور.. كم أنا سعيدة بحضورك.. نريد إخبارك منذ فترة بأمر المكتب في حجرة الرسم، ونريد أن نعرف منك ما بداخله، فنحن لم نشأ فتحه، فقد يكون بداخله شيء خطير».

«ليست مشكلة يا مولي..».

دارت عين «مودي» الزرقاء لأعلى وحدقت بثبات عبر سقف المطبخ قال بصوته الأجش وحدقة عينه تضيق: «حجرة الرسم.. أجل.. المكتب في الركن؟ أم.. أراه الآن.. إنه (عو).. هل تحبين أن أصعد وأتخلص منه يا مولي؟».

قالت السيدة «ويسلي» بلا اكتراث: «لا.. المسألة لا تستحق.. سأتخلص منه بنفسي فيما بعد.. واشرب أنت شرابك. نحن الليلة نحتفل احتفالاً صغيراً». ثم أضافت بحب وهي تشير إلى اللافتة الحمراء: «رابع رائد فصل في الأسرة». ثم داعبت شعر «رون».

قال «مودي» وعينه الطبيعية مثبتة على «رون» والأخرى تدور إلى جانب رأسه: «فعلاً؟ رائد الفصل؟». شعر «هاري» بالاضطراب لإحساسه بأن العين السحرية تنظر إليه، فتحرك مقترباً من «سيرياس» و«لوبين».

قال «مودي» وهو لا يزال يحدق في «رون» بعينه الطبيعية: «رائع.. تهانئي.. وأعرف أن من يتولى المسئولية تطارده المشكلات. لكن من الواضح أن «دمبلدور» يثق في قدرتك على الصمود أمام محاولات لعنك وإلقاء التعاويذ عليك، وإلا ما كان منحك هذا المنصب..».

بدا «رون» مفزوعاً عندما رأى هذا البعد الجديد من الموضوع، لكن أنقذه وصول أبيه وأخيه الأكبر. كان مزاج السيدة «ويسلي» معتدلاً جداً، حتى إنها لم تعترض على إحضارهما لـ«مندنجس» معهما.. كان يرتدي معطفاً طويلاً غريب المظهر، ولم يخلعه بعد دخوله، ورفض عرضها بتعليقه إلى جوار معطف «مودي».

قال السيد «ويسلي» عندما شرب الجميع: «لنشرب نخباً». وهو يرفع كأسه: «نخب رون وهيرميون، رائدي فصل جريفندور الجديدين».

حيا «رون» و«هيرميون» الجميع وهما يشربان معهم.

قالت «تونكس» بإشراق من خلف «هاري» والجميع يتحركون نحو المائدة لتناول الطعام: «لم أكن أبداً رائدة فصل». كان شعرها بلون الطماطم، ويصل إلى خصرها، فبدت أشبه بأخت كبرى لـ«جيني». أضافت: «قال المعلم رئيس فرقتي إنه يعوزني بعض المزايا».

سألتها «جيني» التي كانت تعرف لنفسها بعض البطاطس: «مثل ماذا؟».

قالت «تونكس»: «مثل عدم القدرة على الحفاظ على تصرفاتي مهذبة».

ضحكت «جيني».. وبدا كأن «هيرميون» لا تعرف هل تبتسم أم لا، فتفادت الوصول إلى قرار بارتشافها رشفة كبيرة من شرابها، سعلت بعدها.

قالت «جيني» وهي تضرب «هيرميون» على ظهرها: «وماذا عنك يا سيرياس؟».

ضحك «سيرياس» الجالس إلى جوار «هاري» ضحكته القصيرة المعتادة، وقال: «ما كان أحد لينصبني رائدًا للفصل أبدًا. كنت أقضي الكثير من الوقت في الاحتجاز والعقاب مع جيمس. وكان لوبين هو الولد المهذب بيننا، فأعطوه الشارة».

قال «لوبين»: «أعتقد أن دمبلدور تمنى أن أقدر على ممارسة بعض الرقابة على أصدقائي. ولا حاجة بي للقول بأنني قد فشلت فشلاً ذريعًا في تحقيق هدفه».

تحسن مزاج «هاري» على الفور. لم يكن أبوه رائدًا للفصل هو الآخر. فجأة بدا الحفل أفضل في عينيه. ملأ طبقه بالطعام، شاعرًا بالحب بصورة مضاعفة لكل الجالسين بالحجرة معه.

أخذ «رون» يثرثر عن مزايا مقشته الجديدة لكل من يعطيه أذنًا صاغية.

«.. تصل سرعتها إلى السبعين في عشر ثوانٍ. ليست سيئة. أليس كذلك؟ عندما تقارنها بالمقشة موديل كوميت ـ ٢٩ التي تصل إلى سرعة ستين فقط، هذا إن استطعت أن توجهها كما ذكر كتاب (لا تتعب ولا تحتار. أي المقشات تختار)».

كانت «هيرميون» تتحدث بحماس مع «لوبين» عن رأيها في حقوق الأقزام المنزلية. «أعني أن التفرقة العنصرية ضد الأقزام المنزلية مماثلة للتفرقة العنصرية ضد المذءوبين.. أليس كذلك؟ المسألة كلها نابعة من أسلوب تفكير السحرة الخاطئ، وإحساسهم بدونية كل الأجناس المختلفة عنهم..».

دخلت السيدة «ويزلي» في نقاشها المعتاد مع «بيل» بشأن شعره الطويل.

«.. لقد نما شعرك كثيرًا، وأنت وسيم به أو بدونه، لم لا تقصره قليلاً. ما رأيك يا هاري؟».

قال «هاري» وقد اضطرب قليلاً عند سؤاله عن رأيه: «هه؟ لا أعرف».. ابتعد قليلاً باتجاه «فريد» و«جورج» اللذين كانا جالسين في ركن قصي مع «مندنجس».

كف «مندنجس» عن الكلام عندما رأى «هاري»، لكن «فريد» غمز له وأشار لـ«هاري» أن يقترب.

قال لـ «مندنجس»: «لا تخف. نحن نثق بهاري، إنه ممولنا المالي».

قال «جورج» وهو يرفع يده ليراها «هاري»: «انظر ماذا أحضر لنا مندنجس؟» كانت يده مليئة بما يشبه شرانق سوداء، ومنها تنبعث جلبة، لكن بخلاف هذا كانت ساكنة تمامًا.

قال «جورج»: «بذور تنتاكولا سامة. نحن بحاجة إليها في تركيبة (حلوى التزويغ)، لكنها من المواد الخطرة المحظور الاتجار فيها من الفئة (ج)؛ لذا فقد عانينا من بعض الصعوبات حتى أحضرناها».

قال «فريد»: «عشرة جاليونات كثير يا دانج».

قال «مندنجس» وعيناه المتعبتان الحمراوان أوسع من ذي قبل: «مع كل المتاعب التي مررت بها ليس مبلغًا كبيرًا بالمرة.. آسف يا أولاد، لكني لن أرضى أقل من عشرة جاليونات بـ(نات) واحد».

قال «فريد» لـ«هاري»: «دانج يحب المزاح».

قال «جورج»: «أجل. وأفضل مزحاته كانت عندما طلب ستة سيكلات مقابل حقيبة من ريشات الكتابة المراوغة».

قال «هاري» محذرًا بهدوء: «احذرا».

قال «فريد»: «ماذا؟ أمي مشغولة بالتفاخر برائدنا الجديد رون، ونحن بخير».

أوضح لهما «هاري» مقصده قائلاً: «لكن مودي عينه عليكم».

قال «مندنجس»: «نقطة جيدة. حسنًا يا أولاد، سآخذ عشرة جاليونات فقط، واحضروها بسرعة».

قال «فريد» بسرور عندما أفرغ «مندنجس» جيوبه في أيدي التوأمين الممدودة وهو يقف: «مرحى يا هاري. من الأفضل أن نصعد بهذه الأشياء إلى أعلى».

راقبهما «هاري» وهما يمضيان، شاعرًا ببعض الاضطراب. خطر له أن السيد والسيدة «ويزلي» قد يحاولان معرفة مصدر تمويل «فريد» و«جورج»، وقتها سيعرفون بأمره. كان إعطاؤه جائزة مسابقة السحر الثلاثية شيئًا بسيطًا وقتها، لكن ماذا لو أدى إلى انشقاق آخر في الأسرة مثل انشقاق «بيرسي»؟ هل سيظل شعور السيدة «ويزلي» ثابتًا نحو «هاري» كابن لها إن عرفت بدوره في امتهان «فريد» و«جورج» لمهنة لا ترضى عنها ولا تراها مناسبة لهما بالمرة؟ وهو واقف في المكان الذي كان يحتله التوأمان، ولا يشعر سوى بثقل إحساسه بالذنب يؤرق ضميره، سمع «هاري» اسمه. كان صوت «كنجسلي شاكلبولت» العميق مسموعًا حتى بالرغم من الجلبة التي تملأ الحجرة.

قال «كنجسلي»: «.. لماذا لم يختر دمبلدور بوتر رائدًا للفصل؟».

ردَّ عليه «لوبين»: «لديه أسبابه..».

قال «كنجسلى» بإصرار: «لكن كان هذا اليظهر ثقته به. لو كنت مكانه لاخترته رائداً للفصل، خاصة مع ما تذكره جريدة دايلى بروفيت كل بضعة أيام».

لم يلتفت إليه «هارى». لم يشأ أن يعرف «لوبين» و«كنجسلى» بما سمعه ومع تزايد إحساسه بالجوع تبع «مندنجس» إلى المائدة ثانية. تبخرت فرحته بالحفل بسرعة كما جاءت بسرعة، وتمنى لو كان بالأعلى فى فراشه.

تشمم «ماد آى» ساق دجاجة بالجزء الباقى من أنفه، واتضح أنه لم يجد أى سم؛ لأنه مزق قطعة منها بأسنانه.

«... المقبض مصنوع من خشب بلوط إسبانى، وهناك طلاء لامع ضد التعاويذ فى صندوق امتصاص الصدمات...» كان هذا «رون» يتحدث عن مقشته الجديدة إلى «تونكس».

تثاءبت السيدة «ويسلى» وقالت: «الأفضل أن أنتهى من هذا (العو) قبل أن أنام يا أرثر. لا أريد للأولاد أن يظلوا مستيقظين إلى وقت متأخر. فهمت؟ تصبح على خير يا عزيزى هارى».

غادرت المطبخ. أبعد «هارى» طبقه عنه وتساءل: إن كان عليه أن يتبعها دون أن يجذب الانتباه.

قال «مودى»: «هل أنت بخير يا بوتر؟».

كذب عليه «هارى» قائلاً: «أجل، بخير».

أخذ «مودى» رشفة من كأسه، وعينه السحرية الزرقاء تنظر إلى «هارى».

من جيب عباءته الداخلى أخرج «مودى» صورة فوتوغرافية سحرية قديمة للغاية، وقال بصوته الأجش: «ها هى جماعة العنقاء الأصلية الأولى.. وجدتها ليلة أمس أثناء بحثى عن عباءة الاختفاء الإضافية التى أملكها، فبودمور لم يرجع إلىّ عباءتى الأساسية المفضلة لدىّ. وظننت أنكم قد تودون رؤية هذه الصورة».

أخذ «هارى» الصورة. كان بها تجمع قليل من الناس، بعضهم يلوحون له، وبعضهم يعدلون من وضع عويناتهم وينظرون إليه.

قال «مودى» مشيراً - بلا داع - إلى نفسه فى الصورة: «هذا أنا». كان «مودى» فى الصورة لا يمكن أن تخطئه العين، بالرغم من أن شعره كان أكثر سواداً، وأنفه سليم. أضاف: «وها هو دمبلدور إلى جوارى، وديدالوس ديجل إلى الجانب الآخر.. وتلك مارلين ماكينون، التى قتلت بعد أسبوعين من تاريخ التقاط هذه الصورة، كما تمكنوا من كل أفراد أسرتها.. هذان هما فرانك وأليس لونجبوتم...».

شعر «هارى» بالدهشة عند رؤيته لـ «أليس لونجبوتم»، وتعرف على وجهها الباش الودود، بالرغم من أنه لم يقابلها من قبل قط، فهى صورة من ابنها «نيفيل».

أكمل «مودى»: «... مسكينان. كان الموت أفضل لهما مما ألم بهما.. وتلك إيميلين فانس، لقد قابلتها، وهذا لوبين كما ترى.. وهذا بينجى فنويك، الذى هاجموه، ولم نعثر سوى على بقايا قليلة من جسده»، ثم قال للواقفين فى الصورة: «تحركوا قليلاً إلى هذا الجانب»، فتحرك الواقفون بالصورة إلى الجانب الذى أشار إليه؛ ليظهر من كانوا مختفين فى خلفية الصورة، وعلى الجانب البعيد منها.

«... هذا إدجار بونز.. شقيق أميليا بونز. نالوا منه هو وأسرته. كان ساحراً عظيماً.. وهذا ستورجيس بودمور. عليه اللعنة، يبدو شاباً هنا.. وهذا كاداروك ديربورن، اختفى بعد ستة أشهر من التقاط الصورة، ولم نعثر على جسده أبداً. وهذا إلفياس دوج، وأنت قابلته.. نسيت أنه يرتدى تلك القبعة الغبية.. وهذا جديون بروفيت، قاتل هو وأخوه فابيان قتال الأبطال، ولم يقدر على قتله إلا خمسة أفراد من أكلة الموت.. تحركوا، تحركوا...».

تحرك الواقفون بالصورة فظهر من كانوا مختفين فى الطرف الأيمن منها.

«هذا شقيق دمبلدور، اسمه أبيرفورث، لم أقابله سوى وقت التقاط تلك الصورة، وهو شخص غريب الأطوار. هذه هى دوركاس ميدوز، قتلها فولدمورت بنفسه.. وهذا سيرياس، عندما كان شعره لا يزال قصيراً.. انظر هنا، سيعجبك رؤية هذين الشخصين!».

خفق قلب «هارى» بقوة. كان كل من أبيه وأمه يبتسمان نحوه، وهما يجلسان إلى يسار ويمين رجل تعرف فيه «هارى» على «وورمتيل»، الذى خان أبويه، وأدلى بمعلومات عن مكانهما إلى فولدمورت وساعد على هلاكهما.

قال «مودى»: «ما رأيك؟».

نظر «هارى» إلى وجه «مودى» الملىء بالندوب، كان على الأرجح يشعر بأنه قد صنع معروفاً فى «هارى».

قال «هارى»: «أجل.. آ.. اسمع. تذكرت فجأة أننى لم أضع فى حقائبى الـ...».

أنقذه عن التفكير فى شىء ما لم يضعه فى حقيبته قول «سيرياس»: «ماذا معك يا ماد آى؟»، فالتفت «مودى» إليه. عبر «هارى» المطبخ، وخرج من الباب، وطلع السلم قبل أن يناديه أحد.

لم يعرف لماذا شعر بهذه الصدمة. فقد رأى صوراً لأبويه قبل ذلك، كما أن قابل «وورمتيل». لكن أن يتطلعا إليه هكذا دون توقع منه.. فكر بغضب أن لا أحد يحب هذا.

لم كل تلك الصحبة السعيدة التي كانت معهما؛ بيتجي قتويك الذي وجدوا بقايا من جسده، وجديون بريفيت الذي مات ميتة الأبطال، وآل لونجبوتم، اللذان تعرضا للتعذيب حتى الجنون.. جميعهم يلوحون له بسعادة من الصورة، يلوحون بسعادة إلى الأبد، ولا يعرفون مصيرهم.. ربما يجد «مودي» الصورة مثيرة للاهتمام، لكنه يراها حزينة.

سار على أطراف أصابع قدميه صاعداً السلم، بجانب رءوس الأقزام المنزلية المحنطة، وقد سره أن يصير وحده ثانية، لكن مع اقترابه من الطابق الثاني سمع أصواتاً. كان هناك من يبكي في حجرة الرسم.

قال «هاري»: «من هناك؟».

وعندما لم يجبه أحد واستمر البكاء صعد باقي درجات السلم بسرعة، وسار نحو باب حجرة الرسم وفتحه.

كانت هناك جالسة عند الجدار المظلم للحجرة، وعصاها السحرية في يدها، وجسدها كله يرتجف وينتفض. وعلى البساط القديم المترب، وعلى ضوء القمر، رأى «هاري» جسد «رون»، وواضح تماماً أنه ميت.

بدا كأن كل الهواء قد انسحب من رئتي «هاري».. شعر كأنه سيقع على الأرض، وعقله يصاب بالتبلد.. «رون» مات؟ لا.. لا يمكن.

لكن انتظر لحظة، لا يمكن.. كان «رون» بالطابق السفلي.

قال «هاري»: «السيدة ويسلي؟».

قالت باكية وهي تشير بعصاها السحرية المستقرة في يد مرتجفة إلى جسد «رون»: «ر.. ر.. ريديكولوس!».

كراك.

تحول جسد «رون» إلى جسد «بيل»، راقداً مباعداً ما بين ساقيه على ظهره، وعيناه واسعتان وخاليتان من الحياة. أخذت السيدة «ويسلي» تبكي أكثر من ذي قبل.

«ر.. ريديكولوس!»

كراك.

استبدل جسد «بيل» بالسيد «ويسلي»، وعويناته معوجة، وخط من الدم يسيل على وجهه.

تأوهت السيدة «ويسلي» قائلة: «لا.. لا.. ريديكولوس! ريديكولوس! ريديكولوس!».

كراك. التوأمان موتى. كراك.. «بيرسي» ميت. كراك.. «هاري» ميت.

صاح «هاري» محدقاً في جسده الميت على الأرض: «سيدة ويسلي، اخرجي من هنا بسرعة! دعي شخصاً آخر يـ..».

«ماذا يجري؟».

جاء «لوبين» راكضاً إلى الحجرة، يتبعه «سيرياس»، و«مودي» يعرج خلفهما. نظر «لوبين» إلى السيدة «ويسلي» ثم إلى «هاري» الميت على الأرض وفهم الموضوع في لحظة. شهر عصاه السحرية وقال بصرامة ووضوح شديدين: «ريديكولوس!».

اختفى جسد «هاري»، وبقي هلال فضي صغير معلق في الهواء فوق المكان الذي كان يرقد فيه. حرك «لوبين» عصاه السحرية ثانية فاختفى الهلال وسط سحابة من الدخان.

قالت السيدة «ويسلي» منتحبة: «أه.. أه.. أه» وانفجرت في عاصفة من البكاء، ووجهها بين يديها.

قال «لوبين»: «مولي.. مولي، لا..» وهو يسير نحوها.

بعد ثانية أخذت تبكي على كتفه.

قال مخففاً عنها، وهو يربت على رأسها: «مولي.. لم يكن سوى (عو).. مجرد (عو) غبي..».

قالت السيدة «ويسلي» بصعوبة وسط بكائها: «أراهم ـ ـ مـ.. موتى طوال الوقت.. طوال الوقت. أحلم.. أحلم بهذا..».

أخذ «سيرياس» يحدق في طرف البساط حيث رقد (العو) متظاهراً بأنه جسد «هاري».

أخذ «مودي» ينظر إلى «هاري»، الذي تفادى مبادلته النظرات. شعر بأن عين «مودي» السحرية قد تبعته طوال الوقت منذ مغادرته المطبخ.

أخذت السيدة «ويسلي» تشهق باكية: «لـ.. لا تخبروا آرثر» ثم وهي تجفف عينيها على أكمامها: «لـ.. لا أريده أن يعرف أن.. أنني حمقاء هكذا..».

ناولها «لوبين» منديلاً فتمخطت فيه.

قالت: «أنا آسفة يا هاري. ترى ماذا تقول عني الآن؟ غير قادرة حتى على التخلص من (عو)..».

قال «هاري» محاولاً الابتسام: «لا تبالغي».

قالت والدموع تتدفق من عينيها ثانية: «أ.. أ.. أنا فقط قلقة جداً. نصف الأسرة.. فـ.. في الجماعة.. ستكون معجزة إن خرجنا منها جميعاً على خير. و.. بيرسي لا يتحدث معنا.. ماذا لو.. لو ألم به خطر داهم ونحن لا نعرف.. وماذا سيحدث إن قتلوا آرثر.. من سيعتني برون وجيني؟».

قال «لوبين» بصرامة: «كفاك يا مولي.. الموضوع هذه المرة مختلف عن المرة السابقة. الجماعة مجهزة ومستعدة جيداً، وبدأنا بداية جيدة، وتعرف أن فولدمورت سوف..».

أجفلت السيدة «ويسلي» خائفة عند سماع اسمه.

«مولي عزيزتي، كفاك.. حان وقت سماع اسمه دون خوف منه.. انظري، لا أعدك بألا يتأذى أحد، لا أحد يقدر على وعدك بهذا، لكننا أفضل كثيراً هذه المرة عن المرة السابقة. لم تكوني في الجماعة وقتها، ولا تفهمين الفرق. المرة السابقة كان أكلة الموت أكثر منا عدداً بعشرين ضعفاً.. وأخذوا يصطادوننا واحداً بعد الآخر..».

فكر «هاري» في الصورة ثانية، وفي وجهي أبويه المبتسمين. كان يعرف أن «مودي» لا يزال يراقبه.

قال «سيرياس» فجأة: «لا تقلقي بشأن بيرسي.. سيتعقل ويعود. المسألة مسألة وقت، حتى يظهر فولدمورت إلى السطح ويعلن عن نفسه.. وحالما يفعل سترجونا وزارة السحر بأكملها أن نغفر لها.. ولست واثقاً من أنني سأقبل بالاعتذار» أضاف العبارة الأخيرة بمرار.

قال «لوبين» مبتسماً: «وفيما يخص رون وجيني إن مت أنت وآرثر.. هل تعتقدين أننا سنتركهما ليموتا من الجوع؟».

ابتسمت السيدة «ويسلي» ابتسامة واهنة.

غمغمت ثانية وهي تمسح عينيها: «أنا حمقاء».

لكن «هاري»، وهو يوصد باب الحجرة خلفه بعد عشر دقائق، لم ير أن

السيدة «ويسلي» حمقاء أبداً. كانت صورة أبويه - في تلك الصورة القديمة - لا تزال في رأسه، وصورة (العو) وهو يتحول متخذاً شكل أعضاء أسرة «ويسلي».

فجأة آلمته ندبته ألماً شديداً، فشعر بقلق بالغ.

قال بصرامة مخاطباً ندبته والألم يتراجع: «كفى».

قال صوت من اللوحة الخالية على الحائط: «أول علامات الجنون هي الحديث مع رأسك».

تجاهله «هاري». شعر بأن سنه أكبر من أي وقت مضى، وبدا من الغريب عليه أنه منذ ساعة كان قلقاً بشأن محل المقالب، وبشأن من حصل على شارة رائد الفصل.



١٠ لونا لوفجود

كان نوم «هاري» مضطربًا تلك الليلة. حلم بوالديه كثيرًا، لكن دون أن يقولا أي شيء في الحلم. حلم بالسيدة «ويسلي» وهي تبكي على جثة «كريتشر»، و«رون» و«هيرميون» يراقبانها، وعلى رأسيهما تاجان، ثم وجد نفسه يمشي في ممر ينتهي بباب موصد. استيقظ فجأة بسبب ألم الندبة، ليجد «رون» مرتديًا ثيابه ويتحدث إليه:

«.. أسرع، أمي غاضبة، وتقول: إن القطار سيفوتنا..».

كان هناك الكثير من الحركة بالمنزل، وبسبب ما سمعه «هاري» فقد ارتدى ثيابه بأسرع ما يمكن. خمن مما سمعه أن سبب الجلبة هو أن «فريد» و«جورج» قد سحرا حقائبهما لتنزل السلم أسرع بدلاً من إجهاد نفسيهما في حملها، فطارت الحقائب وارتطمت بـ«جيني» لتسقط على السلم إلى الصالة؛ فأخذ كل من السيدة «ويسلي» والسيدة «بلاك» تصرخان بأعلى ما تملكان من صوت:

«يا بلهاء، كان يمكن أن تصاب إصابة خطيرة..».

«أنصاف سحرة حثالة، يدنسون بيت الأجداد..».

جاءت «هيرميون» مسرعة إلى الحجرة و«هاري» يرتدي سترته. كانت «هدويج» تتأرجح على كتفها، و«كروكشانكس» بين ذراعيها.

قالت والبومة ترفرف على كتفها، وتطير لتحط على قفصها: «أعاد أبي وأمي هدويج، هل أنت جاهز؟».

قال «هاري» وهو يرتدي عويناته: «تقريبًا.. هل جيني بخير؟».

قالت «هيرميون»: «ضمدت جرحها السيدة ويسلي. لكن ماد آي لا يريدنا أن نخرج دون وجود ستورجيس بودمور، وإلا سيكون عدد الحراس أقل».

قال «هاري»: «حراس؟ هل سنذهب إلى محطة قطار كينجز كروس ومعنا حراسة؟».

قالت «هيرميون» مصححة: «بل ستذهب أنت إلى كينجز كروس ومعك حراسة».

قال «هاري» بسخط: «لماذا؟ أليس فولدمورت مختبئًا؟ أم تراه سيقفز علينا من خلف سلة القمامة ويحاول قتلي؟».

قالت «هيرميون» بلا تركيز وهي تنظر إلى ساعتها: «لا أعرف، هذا ما يريده ماد آي. لكن إن لم نذهب بسرعة سيفوتنا القطار فعلاً..».

صاحت السيدة «ويسلي»: «يا جماعة.. انزلوا من عندكم بسرعة». فهبت «هيرميون» ملسوعة وسارعت بالخروج من الحجرة. قبض «هاري» على «هدويج»، وحشرها بسرعة في قفصها، ونزل إلى أسفل خلف «هيرميون» وهو يجر حقيبته خلفه.

أفاقت لوحة السيدة «بلاك» تعوي غاضبة دون أن يفكر أحد في إعادة الستائر إلى مكانها. فكل الجلبة الدائرة بالصالة كانت ستوقظها ثانية إن نامت.

صاحت السيدة «ويسلي»: «هاري، ستأتي معي أنا وتونكس» وصوتها يصل بالكاد من بين الصرخات: «.. يا أنصاف السحرة، يا أقذر البشر، يا أبناء الطين..» وأكملت قائلة: «اترك حقيبتك ومعها البومة، سيعتني ألستور بالمتاع. بحق السماء يا سيرياس، منعك دمبلدور من هذا».

ظهر كلب هائل الحجم أسود اللون إلى جانب «هاري» وهو يتعثر من فوق الحقائب الكثيرة المكومة في الصالة في طريقه إلى السيدة «ويسلي».

قالت بيأس: «بصراحة لا أعرف.. حسنًا، لكن لتتحمل النتائج».

فتحت الباب الأمامي وخطت للخارج إلى شمس سبتمبر الواهنة. تبعها «هاري» والكلب. أغلق الباب خلفهم فانقطعت صرخات السيدة «بلاك» على الفور.

قال «هاري» ناظرًا حوله وهم يهبطون الدرجات الحجرية للمنزل رقم (١٢) الذي اختفى لحظة خطوا خارجه: «أين تونكس؟».

قالت السيدة «ويسلي» بجمود وهي تشيح بعينيها عن الكلب الأسود الواقف بجوار «هاري»: «إنها تنتظرنا هناك».

رحبت بهم سيدة عجوز عند أول الشارع. شعرها رمادي مجعد، وترتدي قبعة بنفسجية على رأسها.

قالت وهي تغمز: «كيف حالك يا هاري؟ أسرعوا، مولي»، ثم نظرت إلى ساعتها.

قالت السيدة «ويسلي» متأوهة: «أعرف أعرف» وهي توسع خطواتها لتلحق: «لكن ماد آي أراد أن ننتظر ستورجيس.. فقط لو أن آرثر لا يزال قادرًا على استخدام السيارات ثانية.. لكن فادج لا يسمح له باستعارة قنينة حبر فارغة حتى.. لا أعرف كيف يتحمل العامة عناء السفر دون استخدام السحر..».

لكن الكلب الأسود الكبير نبح نبحة راضية وهو يجرى إلى جوارهم، مطاردًا الحمام، ومطاردًا ذيله. لم يقدر «هارى» على منع نفسه من الضحك. كان «سيرياس» محبوسًا بالبيت منذ فترة طويلة جدًا. زمت السيدة «ويسلى» شفتيها بامتعاض بطريقة شديدة الشبه بطريقة الخالة «بيتونيا».

أخذ الأمر منهم عشرين دقيقة حتى وصلوا إلى محطة «كينجز كروس»، ودون أن يحدث شيء ذو بال طوال مشيهم سوى مطاردة «سيرياس» لقطتين في الطريق؛ حتى يثير ضحكات «هارى». وحالما دخلوا إلى المحطة، ساروا بهدوء نحو الحاجز القائم بين الرصيفين رقم تسعة وعشرة؛ ليلجوا بسهولة إلى الرصيف تسعة وثلاثة أرباع، حيث وقف قطار «هوجورتس» متنفسًا البخار على رصيف مزدحم بالطلبة المستعدين للسفر وعائلاتهم. تنفس «هارى» بعمق هواء عالمه المألوف، وشعر بروحه تحلق في السماء، فهو حقًا في طريقه للعودة.

قالت السيدة «ويسلى» بقلق وهي تنظر خلفها نحو القوس الحديدى الذى يلف المكان، والذى يأتى منه كل من يدخل إلى الرصيف: «أتمنى أن يأتى الآخرون في الوقت المناسب».

قال ولد طويل: «كلب لطيف يا هارى».

قال «هارى» مبتسمًا و«سيرياس» يهز ذيله بسرعة: «شكرًا يا لى».

قالت السيدة «ويسلى» شاعرة بالارتياح: «آه.. الحمد لله.. ها هو ألستور ومعه الحقائب، انظرا».

جاء «مودى» بقدمه العرجاء وقبعة بواب صغيرة على رأسه مخبئة عينه السحرية، وكان معه عربة يد صغيرة عليها الحقائب.

غمغم للسيدة «ويسلى» و«تونكس»: «كله تمام؛ لا أعتقد أن هناك من يراقبنا».

بعد لحظات جاء السيد «ويسلى» ومعه «رون» و«هيرميون». كانوا على وشك الانتهاء من رفع الحقائب عن عربة يد «مودى» عندما حضر «فريد» و«جورج» و«جينى» مع «لوبين».

قال «مودى» بصوت أجش: «هل واجهتم مشكلات؟».

قال «لوبين»: «لا».

قال «مودى»: «سأخبر دمبلدور بشأن ستورجيس. إنها ثانى مرة لا يحضر فيها خلال أسبوع. أصبح لا يُعتمد عليه مثل مندنجس».

قال «لوبين» مصافحًا الجميع: «احترسوا جميعًا» ثم وهو يصافح «هارى» أخيرًا وربت على كتفه: «وأنت أيضًا يا هارى.. احترس».

قال «مودى» وهو يصافح «هارى» هو الآخر: «أجل.. حافظ على نفسك وأبق عينيك مفتوحتين.. ولا تنسوا جميعًا الحرص فيما تكتبونه في الرسائل. وإن كنتم ترتابون في شيء؛ فلا تكتبوه في الرسالة بالمرة».

قالت «تونكس» وهي تحتضن «هيرميون» و«جينى»: «قضينا وقتًا جميلاً معًا.. أتوقع رؤيتكما قريبًا».

صفر القطار صفارته التحذيرية، فسارع التلاميذ المجتمعون على الرصيف بالدخول إلى القطار.

قالت السيدة «ويسلى» وهي تحتضن من تقع عليه عيناها منهم: «بسرعة.. بسرعة» ثم وهي تحتضن «هارى» للمرة الثانية دون أن تعرف أن هذه ثانى مرة: «اكتب لى.. وحافظ على نفسك. إن نسيت شيئًا سنرسله إليك.. إلى القطار بسرعة».

للحظة وقف الكلب الأسود الكبير على قدميه الخلفيتين ووضع مخالبه الأمامية على كتفى «هارى»، لكن السيدة «ويسلى» دفعت «هارى» بسرعة تجاه باب القطار وهي تهمس بغضب: «بحق الله، تصرف ككلب يا سيرياس».

صاح «هارى»: «إلى اللقاء» من نافذة القطار المفتوحة بعد أن تحرك، بينما أخذ «رون» و«هيرميون» و«جينى» يلوحون بأيديهم إلى جانبه. وفي عيونهم ينكمش «لوبين» و«مودى» و«تونكس» والسيد والسيدة «ويسلى» بسرعة والقطار يبتعد عنهم، لكن الكلب الأسود أخذ يجرى بجوار النافذة، وهو يهز ذيله. والناس على الرصيف يضحكون لرؤيته يطارد القطار، ثم داروا مع انحناءة الطريق فاختفى «سيرياس».

قالت «هيرميون» بصوت قلق: «ما كان يجب أن يأتى معنا».

قال «رون»: «لا تقلقى.. فهو لم ير ضوء النهار منذ شهور، ياله من مسكين».

قال «فريد» وهو يصفق بيديه: «أف! لا أطيق الجلوس والثرثرة طوال النهار، لدينا أمور نريد نقاشها مع لى. نراكم لاحقًا» ثم اختفى هو و«جورج» في الممر إلى جانبهم الأيمن.

أخذت سرعة القطار تزيد، حتى أمست البيوت خارج النوافذ تسرى سريانًا سريعًا إلى جوارهم، وأخذوا يتأرجحون وهم واقفون.

تساءل «هاري»: «أليس علينا البحث عن مقصورة للجلوس؟».

تبادل «رون» و«هيرميون» النظرات.

قال «رون»: «آ.. آ..».

قالت «هيرميون» بارتباك: «من المفترض أن.. أن أجلس أنا ورون في مقصورة رواد الفصول».

لم ينظر «رون» إلى «هاري»، بدا فجأة مهتمًا بالنظر إلى أطراف أصابع يده اليسرى.

قال «هاري»: «حسنًا.. جيد.. اذهبا».

قالت «هيرميون» بسرعة: «لا أظن أننا سنبقى هناك طوال الرحلة.. رسائلنا تقول: إن علينا فقط سماع التعليمات من الطالب الأول والطالبة الأولى، ثم حراسة الممرات من الحين للآخر».

قال «هاري» ثانية: «جيد.. أ.. أراكما لاحقًا إذن إن أمكن».

قال «رون» وهو ينظر إلى «هاري» نظرة سريعة متوترة: «أجل، بالطبع بالرغم من أنني لا أريد الذهاب، أود.. أعني.. أفضل أن.. أنا لا أحب هذه المسألة، أنا لست بيرسي».

قال «هاري» مبتسمًا: «أعرف أنك لست هو» لكنْ ومع جر «هيرميون» و«رون» لحقائبهما إلى الخارج، ومعهما «كروكشانكس» وقفص «بيجويجون» متجهين نحو مؤخرة القطار، شعر «هاري» بشعور غريب بالخسارة. لم يسافر أبدًا إلى «هوجورتس» من دون «رون».

قالت له «جيني»: «تعال.. إن تحركنا بسرعة فقد نحجز لهما مكانين».

قال «هاري»: «حسنًا»، والتقط قفص «هدويج» في يد، وفي الأخرى مقبض حقيبته. سارا بصعوبة بطول الممر، وهما ينظران إلى المقصورات عبر الأبواب الزجاجية، ليجدوها جميعًا ممتلئة. لاحظ «هاري» أن كثيرًا من الناس أخذوا يحدقون فيه باهتمام كبير، ولكن بعضهم الجالس إلى جواره وهم يشيرون نحوه بعد أن أصبح يتعامل مع هذا السلوك من الآخرين بطريقة عادية. تذكر ما قالته جريدة «الدايلي بروفيت» عنه للقراء طوال الصيف، وعن حبه للظهور والشهرة. تساءل ببلادة إن كان من يحدقون فيه الآن ويتهامسون عنه يصدقون هذه الحكايات.

قابلا عند آخر مقصورات القطار «نيفيل لونجبوتم»، صديق «هاري»

زميله في الدراسة بفرقة «جريفندور» بالصف الدراسي الخامس. كان وجهه المستدير يلمع مع مجهوده الخارق في جر حقيبته وراءه والحفاظ في نفس الوقت على ضفدعه «تريفور» في يده الأخرى.

قال لاهثًا: «أهلاً يا هاري. أهلاً يا جيني.. كل المقصورات مشغولة.. لا أستطيع العثور على مكان للجلوس..».

قالت «جيني» التي مرت من جوار «نيفيل» لتنظر داخل المقصورة من خلفه: «عم تتحدث؟ هناك مكان في هذه المقصورة، ليس بها سوى لونا لوفجود..».

غمغم «نيفيل» بشيء عن أنه لا يريد إزعاج أحد.

قالت «جيني» ضاحكة: «لا تكن سخيفًا.. إنها طيبة».

فتحت الباب وجرت حقيبتها إلى داخل المقصورة، وخلفها «هاري» و«نيفيل».

قالت «جيني»: «أهلاً يا لونا.. هل تسمحين لنا بالجلوس؟».

نظرت البنت الجالسة إلى جوار النافذة لأعلى. كان شعرها طويلاً يصل إلى خصرها، وبلون أشقر داكن، وحاجباها الشاحبان، وعيناها الجاحظتان يعطيانها نظرة دهشة دائمة. عرف «هاري» على الفور لماذا تجاهل «نيفيل» هذه المقصورة. فمظهر البنت يوحي بأنها مخرفة. ربما لأنها تضع عصاها السحرية خلف أذنها أحيانًا، أو لأنها ترتدي قلادة من أغطية زجاجات الشراب، أو لأنها تقرأ المجلات مقلوبة. أخذت عيناها تفحصان «نيفيل»، ثم استقرتا على «هاري»، وأومأت برأسها موافقةً.

قالت «جيني» وهي تبتسم لها: «شكرًا».

وضع «هاري» و«نيفيل» الحقائب الثلاث وقفص «هدويج» على أرفف الحقائب، وجلسا. راقبتهم «لونا» من فوق مجلتها المقلوبة. كان اسمها «كويبلر». بدا أنها لا تطرف بعينيها مثل أي بشر عاديين. أخذت تحدق وتحدق في «هاري»، الذي جلس في المقعد المقابل لها، فتمنى إن كان لم يفعل.

سألتها «جيني»: «هل قضيت صيفًا لطيفًا يا لونا؟».

قالت «لونا» بلهجة حالمة دون أن ترفع عينيها عن «هاري»: «أجل.. أجل، كان صيفًا ممتعًا للغاية»، ثم أضافت: «أنت هاري بوتر».

قال «هاري»: «أعرف أنني هو».

ضحك «نيفيل» فحولت «لونا» عينيها الشاحبتين تجاهه.

«لكن لا أعرف من تكون».

قال «نيفيل» بسرعة: «أنا لا أحد».

قالت «جيني» بحدة: «لا.. لست لا أحد. إنه نيفيل لونجبوتم.. وهذه لونا لوفجود. لونا معي في صفي الدراسي، لكنها في فرقة رافنكلو».

قالت «لونا» بنبرة أشبه بالغناء: «أغلى كنوز الإنسان.. الذكاء والحكمة الشديدان».

رفعت مجلتها المقلوبة بما يكفي لحجب وجهها عنهم وسكتت. تبادل «هاري» و«نيفيل» النظرات بحواجب مرفوعة، وكتمت «جيني» ضحكتها.

مضى القطار للأمام، وسرعته في ازدياد بعد أن دخل إلى منطقة ريفية. كان يوماً غريباً غير مريح، في لحظة تجد المقصورة مغمورة بأشعة الشمس، واللحظة التالية تغطي سحابة رمادية القطار.

قال «نيفيل»: «خمن ما حصلت عليه في عيد ميلادي».

قال «هاري»: «جهاز تذكر آخر؟» متذكراً الجهاز الشبيه بالبلية الذي أرسلته جدة «نيفيل» إليه محاولة تحسين ذاكرته شديدة الضعف.

قال «نيفيل»: «لا.. يكفيني واحدة.. وإن كنت قد فقدت الأولى منذ زمن.. لا.. انظر». أدخل يده التي كانت قابضة على «تريفور» في حقيبته المدرسية، وبعد فترة من البحث جذب ما بدا أشبه بصبار رمادي في إناء فخاري، لكنه كان مغطى بالبثور بدلاً من الشوك.

قال بفخر وخيلاء: «ميمبولوس ميمبلتونيا».

نظر «هاري» إلى الشيء. كان ينبض قليلاً، مما أعطاه مظهراً مخيفاً، وكأنه عضو داخلي مريض في جسم إنسان.

قال «نيفيل» مبتسماً بإشراق: «إنه نادر جداً جداً.. لا أعرف إن كان هناك واحد مثله في الصوبة الزجاجية في هوجورتس.. لا أطيق انتظار أن أريه للأستاذة سبروت. حصل عليه خالي الكبير ألجي من آسيريا، وسأرى إن كنت سأقدر على جعله يتوالد».

كان «هاري» يعرف أن مادة «نيفيل» المفضلة هي علم الأعشاب، لكنه لم يفهم أبداً ما الذي يجده مثيراً وخطيراً في نبات صغير.

سأله: «هل.. أ.. هل يفعل أي شيء؟».

قال «نيفيل» بفخر: «يفعل الكثير من الأشياء.. فله آلية دفاعية غريبة جداً.. أمسك تريفور من فضلك..».

ألقى الضفدع في حجر «هاري»، وأخرج ريشة الكتابة من حقيبته المدرسية. نظرت «لونا لوفجود» إليهما من فوق مجلتها المقلوبة ثانية، لترى ماذا سيفعل «نيفيل». رفع الـميمبولوس ميمبلتونيا إلى عينيه، ولسانه بين أسنانه، اختار نقطة ما، وخز النبات بطرف ريشته.

تدفق السائل من كل بثرة من بثور النبات.. سائل سميك، لاذع بلون أخضر داكن. ضرب السقف، والنوافذ، وغلاف مجلة «لونا لوفجود»، و«جيني» التي رفعت ذراعيها أمامها في الوقت المناسب، فلم يصبها السائل سوى في ذراعيها، فبدت كأنها ترتدي قبعة خضراء لزجة، أما «هاري» ـ الذي كانت يده مشغولة في محاولة لمنع «تريفور» من الهروب ـ فقد تلقى السائل في وجهه. له رائحته التي بدت أشبه بسماد متعفن.

هز «نيفيل» رأسه ليُبعد السائل عن عينيه، وإن كان وجهه وجذعه كله مغطيان بالسائل الأخضر.

شهق قائلاً: «آ.. آسف.. لم أحاول فعل هذا من قبل.. لم أكن أعرف أنه سيكون بهذه.. لكن لا تقلقوا، ستينك ـ ساب ليس سامًا» أضاف العبارة الأخيرة بعصبية و«هاري» يبصق السائل من فمه على الأرض.

في تلك اللحظة بالضبط انفتح باب مقصورتهم.

قال صوت متوتر: «آه.. أهلاً يا «هاري».. أمم.. هل جئت في وقت غير مناسب؟».

مسح «هاري» عدستي نظارته بيده الخالية من «تريفور». كان هناك فتاة جميلة للغاية، ذات شعر أسود لامع طويل، تقف عند مدخل الباب وتبتسم إليه: «تشو تشانج»، لاعبة فريق «رافنكلو» للكويدتش.

قال «هاري» بذهن غائب: «آ.. أهلا».

قالت «تشو»: «أممم.. فقط رغبت في إلقاء التحية.. إلى اللقاء إذن».

وهي محمرة الوجه من الخجل، أغلقت الباب خلفها وغادرت. تراجع «هاري» في مقعده وتأوه. كان ليود أن تراه «تشو» جالسًا وسط صحبة من الطلبة المتأنقين يضحكون على مزحة ألقاها.. ما كان ليختار الجلوس مع «نيفيل» و«لونا لوفجود» ممسكًا بضفدع وعلى وجهه سائل «ستينك ـ ساب».

قالت «جيني» بنبرة آسفة: «لا يهمك.. سنتخلص من كل هذه الفوضى حالاً» ثم شهرت عصاها السحرية وقالت: «سكورجيفاي».

اختفى السائل الأخضر.

قال «نيفيل» ثانية بصوت واهن: «آسف».

لم يعد «رون» و«هيرميون» حتى بعد مرور ساعة، لكن مع مرور عربة الطعام، وانتهاء «هارى» و«نيفيل» و«جينى» من تناول فطائر القرع، وانشغالهم بتبادل كروت شيكولاتة (فروج)، انفتح باب المقصورة وخطوا إلى الداخل ومعهما «كروكشانكس» و«بيجودجيون» الذى ينعب بصوت حاد من داخل قفصه.

قال «رون» وهو يلقى بـ «بيجودجيون» إلى جوار «هدويج»: «أنا أتضور جوعًا»، ثم التقط شيكولاتة (فروج) من «هارى» وجلس على المقعد المجاور إليه، فض عبوة الشيكولاتة، وقضم قطعة منها، من الجزء المكون على شكل رأس ضفدع، ثم استلقى مسترخيًا فى جلسته وعينه مغمضة، كأنه قد مر بصباح مجهد للغاية.

قالت «هيرميون» وهى تجلس: «هناك رائدا فصل لكل فرقة من فرق المدرسة الأربع.. ولد وبنت من كل فرقة».

قال «رون» وعينه ما زالت مغمضة: «وخمن من رائد فصل سليذرين؟».

قال «هارى» على الفور، وهو واثق من أن أبشع مخاوفه قد تحققت: «مالفوى».

قال «رون» بمرارة وهو يلقى بباقى الضفدع الشيكولاتة إلى فمه، ويمد يده ليأخذ أخرى: «بالطبع».

قالت «هيرميون» بوحشية: «وبانسى باركنسون.. كيف وصلت إلى منصب رائدة الفصل وهى أغبى من ترول أبله؟».

تساءل «هارى»: «ومن هما رائدا فصل فرقة هافلباف؟».

قال «رون»: «إرنى ماكميلان وهانا أبوت».

قالت «هيرميون»: «وأنطونى جولدشتاين وبادما باتيل من رافنكلو».

قال صوت غائب: «أنت اصطحبت بادما باتيل فى حفل العام الماضى».

التفت الجميع ناظرين إلى «لونا لوفجود»، التى جلست تحدق بعين لا تطرف فى «رون» من فوق طرف مجلتها ـ الكويبلر، الذى ابتلع ما فى فمه من شيكولاتة.

قال بدهشة: «أجل.. أعرف».

أخبرته «لونا»: «إنها لم تحب صحبتك كثيرًا.. لا تظن أنك عاملتها جيدًا لأنك لم تراقصها، ما كنت أنا لأمانع»، ثم بذهن صافٍ وتركيز شديد: «أنا لا أحب الرقص كثيرًا».

عادت إلى مجلة «كويبلر» ثانية. حدق «رون» فى الغلاف المقلوب بفم مفتوح لبضع ثوانٍ، ثم نظر حوله إلى «جينى» بحثًا عن تفسير ما، لكن «جينى» كورت يدها ووضعتها فى فمها لتمنع نفسها عن الضحك. هز «رون» رأسه متعجبًا، ثم نظر إلى ساعته.

قال لـ«هارى» و«نيفيل»: «من المفترض أن نجوب الممرات من الحين للآخر، ونعاقب من يسيئون التصرف. لا أطيق انتظار معاقبة كراب وجويل على شىء ما..».

قالت «هيرميون» بحدة: «لا يجوز إساءة استغلال منصبك يا رون».

قال «رون» بسخرية: «أجل، فعلاً.. لأن مالفوى لن يسىء استغلال منصبه فى الآخر».

«وهل تهبط إلى مستواه؟».

«لا، لكنى سأعمل على ألا يؤذى أصدقائى، وإلا آذيت أصدقاءه».

«بحق السماء يا رون..».

قال «رون» بسعادة: «سأجعل جويل يقوم بتمارين كتابة كعقاب، سأقتله قتلاً، فهو يكره الكتابة»، خفض صوته مقلدًا همهمة «جويل» الخرقاء، وهو يعقد حاجبيه فى تركيز: «لا.. يجب.. أن.. أبدو.. أبدًا.. شبيهًا.. بمؤخرة.. قرد بابون».

ضحك الجميع، لكن لم يضحك أحد أكثر من «لونا لوفجود».. صدر عنها صرخة طروب من بين ضحكاتها جعلت «هدويج» تستيقظ وترفرف بجناحيها بكبرياء، وجعلت «كروكشانكس» يقفز هاربًا إلى أرفف الحقائب، وهو يهس. ضحكت «لونا» بطريقة فظيعة حتى إن مجلتها سقطت منها، لتقع على قدميها، وإلى الأرض.

«كان هذا مضحكًا».

اغرورقت عيناها بالدموع وهى تشهق لاهثة، محدقة فى «رون»، ودون أن يبدو عليه أى تأثر، نظر إلى الآخرين، الذين أخذوا يضحكون مع رؤية تعبير وجه «رون»، ومع الضحكة الطويلة الغريبة التى صدرت عن «لونا لوفجود»، والتى أخذت تتأرجح للخلف وللأمام، ممسكة بجانبيها.

قال «رون» ووجهه عابس فى مواجهتها: «هل أنت مريضة؟».

سعلت ضاحكة وهى ممسكة بضلوعها: «مؤخرة.. قرد بابون».

أخذ الجميع يراقبون «لونا» وهى تضحك، لكن «هارى» نظر إلى المجلة الساقطة على الأرض فوجد شيئًا بها جعله يمد يده إليها ليلتقطها، مع إمساكها بالمجلة مقلوبة فى يدها كان من الصعب معرفة صورة الغلاف.. لكن عندما رآها فى وضعها الصحيح تعرف «هارى» فى الغلاف على صورة كارتونية هزيلة لـ«كورنلياس فادج».. تعرف «هارى» عليه عندما رأى القبعة الخضراء الليمونية التى يرتديها دومًا. كانت إحدى يدى «فادج» قابضة على حقيبة من الذهب، والأخرى تخنق جنيًا. وعنوان الكارتون: خطة فادج للاستيلاء على بنك جرينجوتس.

وتحت العنوان الرئيسى كان هناك بعض العناوين لمقالات وتحقيقات بالمجلة:

الفساد يصل إلى دورى الكويدتش: كيف يتحكم فريق تورنادوز فى الدورى؟

اكتشاف أسرار الأحاجى الأثرية القديمة انفراد للمجلة

سيرياس بلاك: جعلونى مجرمًا!

سأل «هارى» «لونا» بلهفة: «هل تسمحين لى بقراءة المجلة؟».

أومأت برأسها موافقة، وهى لا تزال تحدق فى «رون»، لاهثة بسبب ضحكها.

فتح «هارى» المجلة ونظر إلى الفهرس. حتى تلك اللحظة كان ناسيًا تمامًا أمر المجلة التى ناولها «كنجسلى» للسيد «ويزلى» حتى يعطيها لـ«سيرياس» لكن لا بد أنها كانت نفس العدد من «الكويبلر».

وجد الصفحة التى يبحث عنها، وأخذ يقلب فى التحقيق بسرعة.

كان بهذه الصفحة أيضًا رسم كارتونى سيئ. فى الواقع ما كان «هارى» ليتعرف فى الرسوم على «سيرياس» لولا أنهم ذكروا هذا. كان «سيرياس» واقفًا فوق كومة من العظام الآدمية وعصاه السحرية مشهرة، وعنوان التحقيق يقول:

سيرياس: هل هو فعلاً مجرم؟

هل هو قاتل ومجرم، أم طائر مغرد؟

قرأ «هارى» السطر الأول عدة مرات حتى اقتنع أنه لم يخطئ قراءته. فمنذ متى و«سيرياس» طائر مغرد؟

منذ أربعة عشر عامًا وسيرياس بلاك متهم بقتل اثنى عشر شخصًا بريئًا من العامة وساحر واحد.. وبعد هروبه الغريب من أزكابان منذ عامين، وهناك عملية صيد منظمة واسعة النطاق تشنها وزارة السحر عليه. لا أحد منا تساءل أبدًا إن كان يستحق القبض عليه، وأن يعيدونه إلى الديمنتورات.

لم هو لا يستحق؟ فى مفاجأة غريبة جديدة غير مسبوقة وصل إلى المجلة دليل يؤكد أن سيرياس بلاك لم يرتكب الجرائم التى دخل بسببها سجن أزكابان. فكما تؤكد دوريس بوركيس، الساكنة فى المنزل رقم ١٨ بشارع أكانثيا، ليتل نورتن، أن بلاك لم يكن موجودًا وقت ارتكاب الجريمة. وتقول: ربما لا يعرفه الناس أن سيرياس بلاك هو اسم زائف أصلاً. الرجل الذى يعتقد الناس أنه سيرياس بلاك هو فى الحقيقة ستوبى بوردمان، مغنى فريق (الجنى الرشيق)، الذى اعتزل الحياة العامة بعد أن أصيب فى أذنه فى واحدة من حفلاته الموسيقية بكنيسة ليتل نورتن، منذ خمسة عشر عامًا تقريبًا. أنا تعرفت عليه لحظة رأيت صورته فى الجريدة. لكن طبعًا لا يمكن أن يكون «ستوبى» قد ارتكب تلك الجرائم؛ لأنه ليلة الحادث كان فى عشاء رومانسى فى ضوء الشموع معى. لقد كتبت إلى وزارة السحر، وأنتظر منها أن تسقط قريبًا التهم عن «ستوبى»، الذى ينتحل اسم «سيرياس».

انتهى «هارى» من القراءة وحدق فى الصفحة غير مصدق. لعلها مزحة، أو ربما تنشر هذه المجلة الكثير من الأخبار الصفراء. قلب عدة صفحات، فوجد الخبر المنشور عن «فادج»:

أنكر كورنلياس فادج وزير السحر وجود أية خطط أو تدبيرات للاستيلاء على بنك السحرة جرينجوتس، عندما انتخب وزيرًا للسحر منذ خمسة أعوام. وطوال الوقت وفادج يؤكد أنه لا يريد سوى «التعاون السلمى مع حراس ذهبنا المخزون بالبنك».

لكن هل هذا هدفه فعلاً؟

كشفت مؤخرًا مصادرنا السرية بالوزارة أن طموح فادج الأول هو التحكم فى ذهب الجان، وأنه لن يتردد لحظة فى سبيل إجبارهم على إعطائه له.

وقال مصدرنا داخل الوزارة: «ولن تكون هذه هي المرة الأولى. كورنلياس فادج محطم الجان، كما يطلق عليه أصدقاؤه. إن سمعته وهو يتحدث معتقدًا ألا أحد يسمعه، يا ربي، يتحدث ويتفاخر بشأن الجان الذين تخلص منهم، والذين أغرقهم، والذين أوقعهم من فوق المباني العالية، والذين سممهم، والذين طهاهم وأكلهم في فطائر».

لم يقرأ «هاري» المزيد. ربما يكون «فادج» مخطئًا في الكثير من الأشياء، لكن يصعب تصديق أنه يطهو الجان في فطائر. قلب باقي المجلة، متوقفًا كل بضعة صفحات، وقرأ فريق «توتشيل تورنادوز» متهم بكسب دوري «الكويدتش» بمزيج من الابتزاز، والتعذيب، والتلاعب بالمقشات.. ثم حوارًا مع ساحر يدعي الذهاب إلى القمر على مقشة موديل «كلين - سويب ٦»، وأحضر معه من هناك حقيبة مليئة بالضفادع القمرية ليثبت هذا.. ثم مقالاً عن الأحاجي الأثرية القديمة التي عرف معها «هاري» لماذا كانت «لونا» تقرأ المجلة مقلوبة. فطبقًا لما تذكره المجلة، إن قلبت الأحاجي رأسًا على عقب ستكتشف طريقة تسحر بها أذن عدوك. وفي الواقع، بالمقارنة مع باقي موضوعات وتحقيقات المجلة، فإن فكرة أن «سيرياس» قد يكون مغنيًا من فريق (الجني الرشيق) كانت منطقية تمامًا.

تساءل «رون» و«هاري» يقفل المجلة: «هل بها شيء مفيد؟».

قالت «هيرميون» قبل أن يجيب «هاري»: «بالطبع لا.. الكويبلر مجلة حقيرة، والجميع يعرفون هذا».

قالت «لونا» وصوتها قد فقد فجأة نبرته الحالمة: «عفوًا. لكن والدي هو رئيس التحرير».

قالت «هيرميون» بحرج: «آ.. أم.. أعني، بها بعض الموضوعات الشائقة أعني، لكنها مختلفة و...».

قالت «لونا» ببرود: «أعدها لي.. شكرًا لك». ومالت للأمام لتختطفها من يدي «هاري». أخذت تقلبها حتى وصلت إلى صفحة سبع وخمسين، وقلبتها ثانية لتختفي خلفها، مع انفتاح باب المقصورة للمرة الثالثة.

التفت «هاري» ناظرًا. توقع هذا. لكن لم يرض عن توقعه - رؤية وجه «دراكو مالفوي» الساخر، وهو واقف بين «كراب» و«جويل» - مرحبًا بالمرة.

قال بعدوانية قبل أن ينطق «مالفوي»: «ماذا تريد؟».

قال «مالفوي»: «حافظ على أدبك يا بوتر وإلا عاقبتك». كان شعره الأشقر الناعم وذقنه المدببة الطرف مثلهما مثل شعر وذقن والده. أضاف: «ترى أنني - بخلافك - أصبحت رائدًا للفصل، وعندي القدرة على العقاب».

قال «هاري»: «أجل.. لكنك - بخلافي - حقير. لذا اخرج من هنا ودعنا وشأننا».

ضحك «رون» و«هيرميون» و«جيني» و«نيفيل». وزم «مالفوي» شفتيه وقال: «قل لي يا بوتر، بم تشعر وقد فضلوا «ويسلي» عليك؟».

قالت «هيرميون» بحدة: «اصمت يا مالفوي».

قال «مالفوي» بسخرية: «يبدو أنني قد طرقت موضوعًا حساسًا. المهم، احترس يا بوتر؛ لأنني سأراقبك كالكلب البوليسي وإن ارتكبت خطأ سأعاقبك».

قالت «هيرميون» وقد هبت على قدميها: «اخرج!».

نظر «مالفوي» إلى «هاري» نظرة أخيرة كاتمًا ضحكته ثم غادر، ومن خلفه «كراب» و«جويل». أغلقت «هيرميون» الباب من خلفهم، ثم التفتت ناظرة إلى «هاري»، الذي عرف فورًا أنها مثله فهمت ما يقصده «مالفوي» بكلامه وأصابها بالغضب.

قال «رون» الذي لم يلحظ شيئًا: «ناولنا قطعة شيكولاتة (فروج) أخرى».

لم يقدر «هاري» على الكلام بحرية أمام «نيفيل» و«لونا». تبادل النظرات القلقة مع «هيرميون» التي نظرت خارج النافذة.

حسب أن ذهاب «سيرياس» معه إلى المحطة كان نوعًا من المزاح، لكن فجأة بدا له ما فعله أمرًا خطيرًا ومتهورًا، إن لم يكن خطرًا محدقًا.. كانت «هيرميون» على حق.. ما كان على «سيرياس» الخروج. ماذا لو كان السيد «مالفوي» قد رأى الكلب الأسود وأخبر «دراكو»؟ ماذا لو كان قد استنتج أن آل «ويسلي» و«لوبين» و«تونكس» و«مودي» يعرفون بمكان اختباء «سيرياس»؟ أو ربما كان استخدام «مالفوي» لكلمة الكلب محض مصادفة؟

ظل الطقس متقلبًا وهم يوغلون أكثر وأكثر إلى الشمال. يسقط المطر على النوافذ، ثم تظهر الشمس ضعيفة قبل أن تغطيها السحب ثانية. عندما حل الظلام أخيرًا وأوقدت المصابيح داخل عربات القطار، لفت «لونا» مجلة «الكويبلر» ووضعتها بحرص في حقيبتها، ثم أخذت تنظر إلى جميع الجلوس بالمقصورة.

جلس «هاري» ورأسه مضغوط إلى نافذة القطار، محاولاً رؤية «هوجورتس» من بعيد، لكن الليل كان حالكاً، النوافذ المغلفة بمياه الأمطار قاتمة لا يظهر منها شيء.

قالت «هيرميون» أخيراً: «الأفضل أن نغير ملابسنا». شبكت هي و«رون» شارتي رواد الفصل بحرص على صدريهما، ورأى «هاري» «رون» ينظر لانعكاس صورته في زجاج النافذة المظلم.

أخيراً بدأت سرعة القطار في الانخفاض، وسمعوا الجلبة المعهودة المصاحبة للوصول إلى المدرسة، مع تجهيز الجميع أنفسهم، وحقائبهم، وحيواناتهم الأليفة، للنزول من القطار. ولأن «رون» و«هيرميون» كان عليهما أن يشرفا على عملية نزول الطلبة من القطار، فقد اختفيا من عربة القطار ثانية، ليتركا «كروكشانكس» و«بيجويدجيون» في عناية «هاري» والآخرين.

قالت «لونا» لـ«هاري»، وهي تمد يدها إلى «بيجويدجيون»: «سأحمل أنا البومة إن شئت»، بينما ألقى «نيفيل» بـ«تريفور» بحرص داخل جيبه.

قال «هاري» مناولاً إياها القفص، ليمسك بإحكام أكثر بقفص «هدويج»: «آ.. أشكرك». خرجوا من المقصورة شاعرين بلسعة برودة الليل الأولى على وجوههم، وهم ينضمون إلى الجمع في الممر ببطء. تحركوا تجاه الأبواب. شم «هاري» أشجار الصنوبر المصطفة بطول الطريق إلى البحيرة. نزل من القطار إلى الرصيف ونزل التلاميذ من حوله، منتظراً الاستماع للنداء المألوف: «ليأتي إلى هنا تلاميذ (الظفف) الأول.. تلاميذ (الظفف) الأول..».

لكن النداء لم يأت. سمع بدلاً منه صوتاً مختلفاً، صوتاً أنثوياً رشيقاً ينادي: «ليصطف تلاميذ الصف الأول هنا من فضلكم كل تلاميذ الصف الأول يأتون إليّ».

اقترب مصباح زيتي من «هاري» وعلى ضوئه رأى الذقن البارزة، والشعر القصير للأستاذة «جروبلي ـ بلانك»، الساحرة التي حلت محل «هاجريد» في تدريس مادة رعاية المخلوقات السحرية طوال العام الماضي.

قال بصوت جهوري: «أين هاجريد؟».

قالت «جيني»: «لا أعرف.. لكن من الأفضل أن نخرج من هنا، فنحن نقف في طريق الجميع».

«آه.. حسناً..».

افترق «هاري» و«جيني» وهما يسيران بطول الرصيف وإلى خارج المحطة. أخذ «هاري» ينظر حوله في الظلام؛ بحثاً عن «هاجريد».. عليه أن يكون هنا، «هاري» يعتمد عليه.. رؤية «هاجريد» ثانية، من الأشياء التي يتطلع إليها كل مرة يعود إلى المدرسة. لكنه لم يجد له أثراً.

قال لنفسه: إنه لا يمكن أن يكون قد غادر، وهو يمر من الباب مع الجميع، لا بد أنه قد أصيب بالبرد أو شيء من هذا القبيل.

نظر «هاري» حوله؛ بحثاً عن «رون» أو «هيرميون»؛ رغبة في معرفة رأيهما في استمرار الأستاذة «جروبلي ـ بلانك» في التدريس، لكنه لم يجد أيهما بقربه؛ لذا فقد سمح لنفسه بالاندفاع للأمام مع الجمع في الطريق المغسول بالأمطار خارج محطة قطار «هوجورتس».

طالما كان يجد هنا عربات من التي تجرها الجياد، لكن دون جياد مربوطة إليها، تأخذ التلاميذ فوق الصف الأول إلى القلعة. نظر حوله سريعاً بحثاً عنهما، ثم عاود النظر إلى الطريق الذي يتوقع رؤية «رون» و«هيرميون» قادمين منه، ثم عاد للعربات.

لم تعد العربات بلا جياد. كان هناك مخلوقات واقفة أمام العربات، مربوطة إليها. إن كان عليه إعطاؤها اسماً، كان ليسميها جياداً، بالرغم من المظهر الشبيه بالزواحف الذي تتمتع به. كانت بلا أي لحم عليها، وسروجها تضرب هيكلها العظمي وهي واقفة. كانت رءوسها أشبه برءوس التنانين، وعيونها عديمة الحدقات بيضاء وواسعة. ولكل منها جناحان كبيران أسودان جلديان أشبه بأجنحة الوطاويط. وهي واقفة في الظلمة ساكنة وهادئة، بدت تلك المخلوقات مخيفة ومشئومة. لم يفهم «هاري» لماذا تجر هذه المخلوقات الغريبة العربات بينما تقدر العربات ـ دون عون من أحد ـ أن تتحرك وحدها.

قال «رون» من خلف «هاري»: «أين بيج؟».

قال «هاري» ملتفتاً بسرعة، متلهفاً لسؤال «رون» عن رأيه في موضوع «هاجريد»: «مع لونا لوفجود تلك.. أين تظن..».

قال «رون» مقاطعاً إياه: «.. هاجريد؟ لا أعرف.. عساه بخير..».

على مسافة قريبة، كان «دراكو مالفوي»، وخلفه عصبة من الأصدقاء منهم «كراب» و«جويل» و«بانسي باركنسون»، يدفع من أمامه ولداً خجولاً بالصف

الثاني ليبعده عن طريقه؛ حتى يأخذ هو وأصدقاؤه عربة وحدهم. بعد لحظات، ظهرت «هيرميون» من بين الجموع وهي تلهث.

«مالفوى يعامل تلاميذ الصف الأول أسوأ معاملة. أقسم أنني سأبلغ عنه. معه شارته منذ ثلاث دقائق فقط، ويستخدمها في الاعتداء على الناس.. أين كروكشانكس؟».

قال «هاري»: «مع جيني.. ها هي».

ظهرت «جيني» هي الأخرى، ومعها «كروكشانكس» الذي لا يهدأ.

قالت «هيرميون» وهي تأخذ «كروكشانكس» من «جيني»: «تعالوا.. هيا نركب عربة معًا قبل أن تمتلئ جميعها».

قال «رون»: «بيج ليس معي بعد» لكن «هيرميون» كانت قد اتجهت بالفعل نحو أقرب العربات غير المشغولة. ظل «هاري» واقفًا إلى جانب «رون».

سأل «رون» وهو يشير برأسه نحو الجياد المخيفة المظهر، والطلبة الآخرون يمرون إلى جوارهما: «ما هذه الأشياء؟».

«أي أشياء؟».

«هذه الجياد..».

ظهرت «لونا» ومعها قفص «بيجويجيون». وذكر البومة الصغير يرفرف بجناحيه بحماس لا يوصف.

قالت: «ها هو ذا.. حيوان لطيف.. أليس كذلك؟».

قال «رون» بفظاظة: «أ.. أجل، إنه لطيف.. هيا بنا.. علينا الذهاب.. ماذا قلت يا هاري؟».

قال «هاري» وهو يتجه مع «رون» و«لونا» إلى العربة التي جلست فيها «هيرميون» ومعها «جيني»: «كنت أقول ما هذه الجياد الغريبة؟».

«أي جياد تقصد؟».

قال «هاري» بنفاد صبر: «هذه الجياد الغريبة التي تجر العربات» كانت قريبة، أقربها إليهم على مسافة ثلاثة أقدام.. وقد وقف يتأملهم بعينيه البيضاء الخالية من التعبير. لكن «رون» نظر إلى «هاري» نظرة تعجب.

«عم تتحدث؟».

«أتحدث عن هذا.. انظر»

أمسك «هاري» بذراع «رون»، ووجهه حتى أصبح وجهًا لوجه مع الحصان المجنح. حدق «رون» فيه لثانية، ثم نظر ثانية إلى «هاري».

«الام عساني أنظر؟».

«إلى هذا.. هناك، أمام العربة؛ مربوط إلى العربة؛ إنه أمام عينيك..».

لكن مع استمرار «رون» في النظر بتعجب أمامه، ورد إلى خاطر «هاري» خاطر غريب.

«ألا تـ.. لا تراها؟».

«أرى ماذا؟».

«ألا ترى الكائنات المربوطة إلى العربات؟».

بدا الانزعاج الشديد على وجه «رون».

«هل أنت بخير يا هاري؟».

«أنا.. أجل..».

شعر «هاري» بالتعجب؛ كانت الجياد أمامه، ينعكس الضوء القادم من النوافذ على أجسادها فتلمع، والبخار يتصاعد من أنوفها في برد الليل. لكن، وفي حالة ما إذا كان «رون» لا يكذب، وما لم تكن هذه مزحة منه.. فإنه لا يراها.

قال «رون» بارتباك ناظرًا إلى «هاري» كأنه خائف عليه: «هلا ركبنا؟ ما رأيك؟».

قال «هاري»: «أجل.. هيا بنا».

قال صوت حالم بجانب «هاري» و«رون»، وهما يختفيان داخل العربة: «أنت لست مجنونًا، ولا أي شيء. أنا أيضًا أراهم».

قال «هاري» ملتفتًا إلى «لونا»: «فعلًا؟» ورأى جناحًا من أجنحة أحد الجياد منعكسًا على عينيها الواسعة الفضية.

قالت «لونا»: «أجل.. فأنا أراها منذ جئت إلى هنا لأول مرة. إنها تجر الجياد دومًا. لا تقلق، فأنت عاقل مثلي تمامًا».

وابتسامة واهنة ركبت العربة خلف «رون». وبدون أن يطمئنه تمامًا ما قالته، استقل «هاري» العربة من خلفها.



١١ أغنية قبعة الاختيار الجديدة

لم يرغب «هاري» في إخبار الآخرين بأنه و«لونا» يعانيان من هلوسة - إن كان هذا هو الحال فعلاً - لذا فلم يذكر المزيد عن الجياد، وجلس داخل العربة موصداً الباب. لكنه لم يقدر على مقاومة إغراء النظر للجياد من خلف النافذة.

تساءلت «جيني»: «هل رأيتم جميعًا جروبلي - بلانك؟ لماذا عادت؟ لا يمكن أن يكون هاجريد قد غادر، أليس كذلك؟».

قالت «لونا»: «هذا مما يبعث على السرور. فهو ليس بالمدرس القدير، أليس كذلك؟».

قال «هاري» و«رون» و«جيني» بغضب: «بل هو كذلك».

حدق «هاري» غاضبًا في «هيرميون».. سعلت وقالت بسرعة: «أ.. أ.. أجل أجل. إنه مدرس جيد».

قالت «لونا»: «في الواقع نحن في رافنكلو نرى أنه مثير للضحك».

قال «رون» بحدة شديدة والعجلات تصر من تحتهم: «واضح أن إحساسكم بالأشياء المضحكة مختل جدًا».

لم يبد على «لونا» الانزعاج من وقاحة «رون» معها.. على النقيض، راقبته لبعض الوقت كأنه برنامج تليفزيوني مثير للاهتمام.

سارت العربات متمايلة في قافلة طويلة على الطريق. عندما مروا بين الشواهد الحجرية الطويلة الواقف عليها خنازير مجنحة على طرفي البوابة المفضية إلى المدرسة، مال «هاري» للأمام محاولاً رؤية إن كان هناك أي أضواء موقدة في كوخ «هاجريد» المنتصب إلى جوار الغابة المحرمة، لكنه وجد الأرض يسودها الظلام. أما قلعة «هوجورتس» فقد وقفت منتصبة مهيبة المنظر، بأبراجها المشرعة في السماء، وثمة نافذة هنا وهناك تلمع بالضوء المرقد داخلها.

توقفت العربات بالقرب من الدرجات الحجرية المفضية إلى الأبواب الأمامية البلوطية، ونزل «هاري» أولاً من العربة. التفت ثانية: بحثًا عن نوافذ مضاءة قرب الغابة، لكن لم يجد أية علامة دالة على وجود حياة عند كوخ

«هاجريد». ومن دون رغبة منه - وكأنه يتمنى أن تكون قد اختفت - التفت إلى المخلوقات الغريبة العظمية الأجساد الواقفة بهدوء في هواء الليل البارد، وعيونها البيضاء الخالية من التعبير تلمع.

مر «هاري» من قبل بتجربة واحدة رأى فيها شيئًا لم يره «رون»، وكان هذا انعكاسًا في المرآة، شيئًا أقل غموضًا بكثير من مائة حصان، أقوياء بما يكفي لجر أسطول من العربات. إن كان له تصديق «لونا»، فهذه الكائنات موجودة طوال الوقت لكنها غير مرئية. فما الذي جعله يراها فجأة؟ ولماذا لا يراها «رون»؟

قال «رون» الواقف إلى جواره: «هل ستدخل أم ماذا؟».

قال «هاري» بسرعة وهم ينضمون إلى الجمع المتجه نحو الدرجات الحجرية المفضية للقلعة: «آه.. أجل».

كانت القاعة الأمامية متقدة الأضواء بالمشاعل، ومليئة بجلبة أصوات أقدام التلاميذ العابرين على الأرضية الحجرية إلى الأبواب المزدوجة إلى اليمين، والتي تقود إلى القاعة الكبرى ومعها مأدبة بداية الفصل الدراسي.

كانت الموائد الطويلة الخاصة بالفرق المدرسية الأربعة بالقاعة الكبرى مصطفة تحت سقف بلا نجوم، مثل السماء التي رأوها بالخارج عبر النوافذ العالية الطويلة. كان الشمع معلقًا في الهواء بطول كل الموائد، ملقيًا الضوء على الأشباح الفضية التي تطفو هنا وهناك بالقاعة، وكذا على وجوه التلاميذ الذين أخذوا يتحدثون بحماس ولهفة متبادلين أخبار الصيف، وصائحين ترحيبًا بالأصدقاء من الفرق الأخرى، ومتفحصين عباءات وقصات شعر بعضهم البعض. مرة أخرى لاحظ «هاري» أن الأولاد يقاربون رءوسهم ويتهامسون مع مروره إلى جوارهم، فحاول ألا يبدو عليه الاهتمام أو حتى ملاحظة أنهم يتطلعون إليه.

ابتعدت «لونا» عنهم لتنضم إلى مائدة «رافنكلو». ولحظة وصولهم إلى مائدة «جريفندور» رحب بعض تلاميذ الصف الرابع بـ«جيني» فجلست معهم. أما «هاري» و«رون» و«هيرميون» و«نيفيل» فقد وجدوا مقاعد وجلسوا معًا عند منتصف المائدة، بين «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا» شبح فرقة «جريفندور» من جانب، و«بارفاتي باتيل» و«لافندر براون» من جانب

آخر، واللتين رحبتا بـ«هاري» ترحيبًا وديًا مبالغًا فيه جعله واثقًا تمام الثقة أنهما قد توقفتا عن الحديث عنه قبل ثانية من قدومه. كان لديه أشياء أكثر أهمية يقلق بشأنها.. وأخذ ينظر من فوق رءوس الطلبة إلى مائدة المدرسين المنتصبة عند الجدار الأمامي للقاعة.

«إنه ليس هنا».

مسح «رون» و«هيرميون» مائدة المدرسين بعيونهما هما الأخريان، بالرغم من عدم وجود حاجة حقيقية لهذا؛ فحجم «هاجريد» يجعله مرئيًا في أي مكان.

قال «رون» بقلق طفيف: «لا يمكن أن يكون قد رحل».

قال «هاري» بحزم: «بالطبع لا».

قالت «هيرميون»: «هل تحسبه.. جُرح؟ أو شيئًا من هذا القبيل؟».

قال «هاري» فورًا: «لا».

«إذن فأين هو؟».

مرت فترة صمت، ثم قال «هاري» بهدوء بالغ لا يقدر «نيفيل» أو «بارفاتي» أو «لافندر» على سماعه: «ربما لم يرجع بعد. تعرفون أنه خرج في مهمة.. المهمة التي كلفه بها «دمبلدور» في الصيف».

قال «رون» والثقة تعود إلى صوته: «أجل.. أجل. لا بد أن هذا هو ما حدث». لكن «هيرميون» عضت على شفتها، ونظرت إلى مائدة المدرسين كأنه تأمل في تفسير ما لاختفاء «هاجريد».

قالت بحدة مشيرة إلى منتصف مائدة المدرسين: «من تلك؟».

تبعت عينا «هاري» أصبع «هيرميون»، فوقعتا على «دمبلدور» الجالس في مقعده الذهبي الظهر عند منتصف المائدة بالضبط، مرتديًا عباءة ذات لون بنفسجي داكن وعليها نجوم فضية، وقبعة من نفس اللون. كان رأس «دمبلدور» مائلاً على السيدة الجالسة إلى جواره، والتي أخذت تتحدث إليه في أذنه. بدت لـ«هاري» مثل خالة عانس: ممتلئة الجسد، وشعرها بني مجعد قصير، وضعت فيه شريطًا ورديًا على سبيل الزينة، بنفس لون السترة الصوفية التي ترتديها فوق عباءتها. أدارت وجهها لتأخذ رشفة من كأسها فتعرف «هاري» - شاعرًا بالصدمة - على الوجه الضفدعي، وزوج من العيون الجاحظة.

«إنها تلك المرأة.. أمبريدج».

قالت «هيرميون»: «من؟».

«كانت حاضرة في جلسة محاكمتي.. إنها تعمل مع فادج».

قال «رون» ساخرًا: «سترة صوفية جميلة».

كررت «هيرميون» كلمات «هاري» مقطبة الجبين: «تعمل مع فادج! وماذا بحق السماء تفعل هنا إذن؟».

«لا أعرف...».

مسحت «هيرميون» مائدة المدرسين بعينيها مضيقة ما بينهما.

تمتمت: «لا.. لا، بالطبع لا..».

لم يفهم «هاري» عم تتحدث، لكنه لم يسأل.. كان انتباهه قد تحول إلى الأستاذة «جروبلى بلانك» التي ظهرت عند مائدة المدرسين.. سارت حتى الطرف البعيد وجلست مكان «هاجريد». معنى هذا أن تلاميذ الصف الأول عبروا البحيرة إلى القلعة، وبعد لحظات بالفعل انفتحت أبواب القاعة الأمامية، ودخل صف طويل من تلاميذ الصف الأول الخائفين، تقودهم الأستاذة «ماكجونجال»، وفي يدها مقعد قصير استقرت فوقه قبعة ساحر قديمة، مليئة بالرقع وعند طرفها العلوي قطع كبير.

خفتت أصوات الثرثرة من القاعة حتى تلاشت. اصطف تلاميذ السنة الأولى أمام مائدة المدرسين في مواجهة باقي التلاميذ، ووضعت الأستاذة «ماكجونجال» المقعد أمامهم ثم تراجعت للخلف.

انعكس ضوء شاحب صادر عن الشموع على وجوه تلاميذ الصف الأول. بدا ولد صغير واقف في منتصف الصف كأنه يرتجف. تذكر «هاري» كيف شعر بالرهبة والخوف وهو واقف مكانه، بانتظار الاختبار المجهول الذي سيحدد إلى أية فرقة سينتمي.

انتظرت المدرسة بأجمعها محبوسة الأنفاس. ثم انفتح القطع القريب من طرف القبعة العلوي مثل فم، وأخذت القبعة في الغناء:

أيام زمان زمان، وأنا شابةٌ وجديدة
وهوجورتس تبدأ حياتها الجديدة
أراد مؤسسو مدرستنا النبيلة
ألا تفرقهم الأيام كثيرة أو قليلة

وهدف واحد يجمعهم
ورغبة واحدة تسيطر على شعورهم
هي تأسيس أفضل مدرسة للسحر في العالم
ويعلمون الأولاد فيها سحرًا واضح المعالم
قالوا: «معًا سنبني وسيتعلم الكثيرون»
فبنى الأصدقاء الأربعة الطيبون
ولم يخطر على بالهم
أن الأيام ستفرقهم
فرقت سليذرين وجريفندور
ومن بعدهما جاء عليه الدور؟
طبعًا هافلباف ورافنكلو
فكيف حدث هذا يا خلق يا (هو)؟
كنت موجودة أشاهد
لا أقدر على حكي الحكاية لشخص واحد
وقال سليذرين: «سنعلم بهمة كبيرة
أولاد الأسر النبيلة الأصيلة»
وقال رافنكلو «سنعلم من جاء
ووجدناه شديد الذكاء»
وقال جريفندور: «سنعلم قدر المستطاعْ
كل من نجده شجاعْ»
قال هافلباف: «سنعلم كل الأولاد
أصول السحر بجد واجتهاد»
تسببت هذه الفروق في بعض الاختلافات
عندما ظهرت الفرق الأربعة وبدأت في تعليم السحرة والساحرات
لأن كلاً من مؤسسي الفرق الأربع الجميلات
أراد أن يضم لفرقته
من يجد فيه أمله وغايته
مثلاً سليذرين

أخذ أولاد السحرة العريقين المتمكنين
المكرة مثله
ومن يباري عقلهم عقله
أما ذوو العقول الذكية
فقد علمهم رافنكلو بكل جدية
أما الأولاد الشجعان
فقد انضموا لجريفندور الذي بالجرأة ملآن
أما هافلباف المليئة بالطيبة والتقوى
فقد أخذت من تبقى
وعلمتهم كل ما تعرفه أكانوا أذكياء أم ذوي عقول (طلقة)
وهكذا حافظ مؤسسو الفرق الأربعة
على صداقتهم الحقيقية من دون مصلحة أو منفعة
وعملت هوجورتس في تعاون
لمدة سنوات سعيدة، ومن دون تهاون
لكن تسللت الفرقة والاختلاف بينهم
ليغذي المخاوف ويحشى الهمم
الفرق الأربعة، التي كانت مثل أربعة قوائم
ترفع المدرسة من غير عمد أو قائم
أصبحت متفرقة ومختلفة الاتجاهات
وسعت كل منها للسيطرة وفرض السلطات
ولفترة بدا وكأن المدرسة
ستلاقي نهاية مبكرة ولن تصبح مؤسسة
مع انتشار القتال والشجار الذي للدماء يريق
والصدام بين الصديق والصديق
حتى وفي يوم أوله حزن وآخره ضيق
رحل سليذرين العجوز بسرعة
وبالرغم من توقف القتال والشجار
تركنا شاعرين بالحزن وهو يرحل من بين الأشجار

ومنذ أصبح عدد المؤسسين ثلاثة
لم تتحد المدرسة ولم تعد الأمور تسير بسلاسة
كما كان من المفترض أن تكون عليه الأحوال
والآن وقبعة الاختيار قريبة من الزوال
وكما تعرفون جميعًا مهمتي التي تستلزم الجهد والعرق
فأنا أختار الطلبة وأضمهم للفرق
لكن هذه المرة سأقول المزيد بدافع القلق
اسمعوني وافهموا أغنية قبعتكم:
بالرغم من حزني على تفريقكم
وأعرف أن ليس عليّ بث الخلافات بينكم
لكن يجب أن أؤدي الواجب
وأقسمكم إلى أربع فرق وقد يخسر الصاحب الصاحب
لكن هذه السنة أود أن أشير
إلى أن التقسيم ليس بالأمر الخطير
الذي سيصل بنا للنهاية التي أخشاها
لا، فهناك أخطار وعلامات يراها
كل من يقرأ التاريخ ويعتبر
فمدرستنا هوجورتس في خطر
من عدو خارجي تخاف منه القلوب وتنفطر
وعلينا الاتحاد من الداخل
وإلا ستصيبنا المصائب من كل المداخل
أنا قلت وأنا حذرت..
ودعونا نبدأ الاختيار ونعرف من سيذهب إلى مكانه بالضبط.

رجعت القبعة إلى ثباتها ثانية، فأخذ الجميع في التصفيق، مع الكثير من الغمغمة والهمسات، في اهتمام بأغنية القبعة لم يشهده «هاري» من قبل. وبطول القاعة الكبرى أخذ الطلبة يتبادلون التعليقات، و«هاري» - الذي صفق مع الجميع - كان يعرف عم يتحدثون. قال «رون»: «تمادت قليلاً هذا العام. أليس كذلك؟».

قال «هاري»: «فعلاً.. تمادت كثيراً».

كانت قبعة الاختيار في العادة يقتصر كلامها على ذكر الاختلافات بين فرق «هوجورتس» الأربع، ودورها في توزيع التلاميذ الجدد عليها. لم يتذكر «هاري» أنها حاولت من قبل تقديم النصائح.

قالت «هيرميون» بادية القلق: «أتساءل إن كانت قد ألقت بمثل هذه التحذيرات من قبل قط؟».

قال «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا» بخبرة العالم ببواطن الأمور وهو يميل عبر «نيفيل» - مما جعل «نيفيل» يجفل، فمرور شبح خلال جسدك ليس بالأمر المريح - مفضيًا بحديثه إلى «هيرميون»: «القبعة تشعر دومًا بواجبها الأخلاقي نحو المدرسة، فتطلق التحذيرات كلما كان هذا ضروريًا..».

لكن الأستاذة «مكجونجال» التي جلست تقرأ قائمة أسماء تلاميذ الصف الأول حدجت الطلبة الهامسين بنظرة زاجرة. وضع «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا» أصبعه شبه الشفاف على فمه وجلس مستقيم الظهر بتهذيب ثانية، والهمهمة من حوله تتبخر. خفضت الأستاذة «مكجونجال» عينيها إلى رقعة الورق الكبيرة بيدها ونادت على أول اسم:

«أبيركرومبي إيوان».

تعثر الولد المرتجف الذي رآه «هاري» من قبل إلى الأمام ووضع القبعة على رأسه - لم تسقط على كتفه، فقط بسبب أذنيه الكبيرتين. فكرت القبعة لحظة، ثم انفتح القطع القريب من قمتها وصاحت: «جريفندور».

صفق «هاري» مع باقي أفراد فرقة «جريفندور» و«إيوان أبيركرومبي»[1] ينضم إلى مائدتهم ويجلس معهم، وقد بدت على وجهه الرغبة في أن تنشق الأرض وتبتلعه، حتى يكفوا عن النظر إليه.

ببطء أخذ صف تلاميذ الصف الأول في الانكماش، وفي فترات التوقف بين نداء الأسماء وصدور قرارات قبعة الاختيار، كان «هاري» يسمع معدة «رون» تصدر أصواتًا غريبة. أخيرًا جاء اسم «زيلر روز» التي أدخلتها القبعة فرقة

(1) ليس هناك خطأ في اسم إيوان. فالأستاذة «مكجونجال» تنادي بالترتيب الأبجدي لاسم الأب والولد اسمه «إيوان أبيركرومبي» - ونذكر كيف نادت الأستاذة «مكجونجال» «هاري» عندما كان في مكانه باسم «بوتر هاري». (المترجم)

«هافلباف». ورفعت الأستاذة «مكجونجال» القبعة والمقعد وابتعدت، بينما الأستاذ «دمبلدور» يهب على قدميه.

بغض النظر عن كمّ المشاعر المريرة التي يحس بها تجاه ناظر المدرسة، فإن «هاري» قد أراحه رؤية «دمبلدور» واقفًا أمامهم جميعًا. بين غياب «هاجريد» ورؤية الجياد التنينية شعر بأن عودته إلى «هوجورتس»، والتي انتظرها طويلاً وتاق إليها، كانت مليئة بالمفاجآت غير السارة، مثل غناء أغنية جميلة بلحن مشوه. لكن ما يحدث حاليًا كان هو المفروض أن يحدث، أن ينهض ناظر المدرسة ليحييهم قبل بداية مأدبة الفصل الدراسي.

قال «دمبلدور» بصوت رنان وذراعاه ممدودتان على آخرهما، وابتسامة مشرقة مرتسمة على شفتيه: «للقادمين الجدد أقول مرحبًا. ولأولادنا الكبار أقول تسعدني عودتكم! وهناك وقت للخطب، لكن هذا ليس وقته. كلوا بالهناء والشفاء».

انبعثت ضحكة جماعية من بين الجموع وصفق الجميع، و«دمبلدور» يجلس ثانية برشاقة، ويلقي بلحيته الطويلة من فوق كتفه حتى يبعدها عن طبقه، فقد ظهر الطعام من الهواء، فأنّت الموائد الخمس تحت أحمال الفطائر والأطباق والفاكهة، والخبز، والصلصة، وعصير القرع اللذيذ.

قال «رون» بنبرة المشتاق الولهان: «ممتاز». ثم قبض على أقرب طبق لحم وبدأ في تحويل قطع اللحم إلى طبقه، و«نيك مقصوف الرقبة تقريبًا» يراقبه بحسرة.

سألت «هيرميون» الشبح: «ماذا كنت تقول قبل عملية الاختيار؟ بشأن تقديم القبعة للتحذيرات؟».

قال «نيك» وقد أسعده وفرح ما يحول تركيزه بعيدًا عن «رون» الذي أخذ يأكل البطاطس بحماس بالغ «آه. أجل. سمعت القبعة تعطي بعض التحذيرات من قبل ودائمًا في الأوقات التي تعرضت فيها المدرسة بخطر عظيم. وطبعًا دائمًا ما تكون النصيحة واحدة. وهي الاتحاد ومساعدة بعضنا البعض».

قال «رون»: «(وكف) (ترف) إن (قانت) (المدرسة) في خطر وهي قبعة؟».

كان فمه مليئًا بالطعام لدرجة لم يفهم معها «هاري» كلمة واحدة منه.

قال «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا» بتهذيب: «عذرًا؟» بينما نظرت «هيرميون» بنفور إليه. ابتلع «رون» ما بفمه من طعام بصعوبة بالغة، وقال: «وكيف تعرف إن كانت المدرسة في خطر وهي قبعة؟».

قال «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا»: «ليس لدي فكرة. بالطبع هي تعيش في مكتب «دمبلدور» مما يعني أنها تسمع أشياء كثيرة».

قال «هاري»، ناظرًا نحو مائدة «سليذرين» حيث جلس «دراكو مالفوي»: «وتريد أن تتحد الفرق ويصبح أفرادها أصدقاء؟ لا يمكن!».

قال «نيك» بنبرة الناصح الواعظ: «لا يجب أن تتصرف هكذا. التعاون السلمي هو الحل. نحن معشر الأشباح بالرغم من أن كل واحد منا ينتمي إلى فرقة مختلفة، فإن بيننا صداقة قوية. بالرغم من التنافس بين جريفندور وسليذرين، فإنني لا أحلم أبدًا ولا أرغب في الدخول في نقاش أو خلاف مع البارون الدموي».

قال «رون»: «هذا لأنك تخافه كثيرًا».

بدت الإهانة على وجه «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا».

«أخافه؟ ما كان السير نيكولاس دي ميمسي «بوربينجتون»[1] جبانًا هيابًا في حياته أبدًا. الدم الأزرق النبيل الذي يسري في عروقي...».

قال «رون»: «أي دم هذا؟ بالطبع لا تعني أنه ما زال عندك د...».

قال «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا» باديًا عليه الانزعاج ورأسه شبه المقطوع يهتز: «على سبيل المجاز. أم أنك ستمنعني من الاستمتاع باستعمال الكلمات التي أريدها؟ بالإضافة لحرماني من متعة الأكل والشرب! لكني اعتدت على مزاح التلاميذ معي حول موتي، لا تبال».

قالت «هيرميون» ناظرة بغضب إلى «رون»: «نيك، لكنه لم يسخر منك».

لسوء حظ «رون»، كان فمه مليئًا بالطعام، وعلى وشك الانفجار إن تحدث، فقال: لم (أقصد) (الآن) أضايقك» والتي لم يعتبرها «نيك» اعتذارًا مناسبًا، ارتقى في الهواء، وعدل من وضع قبعته القديمة، وابتعد عنهم ذاهبًا إلى الطرف الآخر من المائدة، حيث جلس الإخوة «كريفي»، و«كولين»، و«دينيس».

قالت «هيرميون» بحدة: «أحسنت يا رون».

قال «رون» شاعرًا بالظلم وقد نجح أخيرًا في ابتلاع الطعام: «ماذا؟ أليس مسموحًا لي بطرح سؤال؟».

(١) هذا هو اسم «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا» قبل أن يموت ويصبح شبحًا، واسمه «نيك» اختصار لاسم «نيكولاس»، ويطلقون عليه لقب «مقصوف الرقبة تقريبًا» لأن رقبته شبه مقطوعة عن جذعه. (المترجم)

قالت «هيرميون» بامتعاض: «أف.. انس الأمر» وقضى كلاهما باقي وقتهما على المائدة في صمت.

كان «هاري» قد اعتاد شجارهما حتى إنه لم يتدخل. شعر بأن الأفضل أن يأكل قطعة اللحم التي أمامه، وفطيرة الكبد، وطبقًا كبيرًا من الكعك المحلى.

عندما انتهى جميع التلاميذ من الأكل وأخذ صوت الثرثرة في الارتفاع، وقف «دمبلدور» على قدميه ثانية. توقفت الهمهمة فورًا، والتفتوا محدقين في ناظرهم. شعر «هاري» بالنعاس. كان فراشه ذو الأربعة أعمدة ينتظره بالأعلى، ينادي عليه بدفئه ونعومته.

قال «دمبلدور» «حسنًا، والآن بعد أن انتهينا من هذه المأدبة الرائعة، أطلب منكم أن تتكرموا بالانتباه والاستماع إلى تعليمات بداية الفصل الدراسي. يجب على تلاميذ السنة الأولى معرفة أن الغابة القريبة من المدرسة محرمة على الطلبة.. وعلى بعض تلاميذنا الأكبر معرفة هذا أيضًا» فتبادل «هاري» و«رون» و«هيرميون» النظرات الضاحكة.

«طلب مني السيد فيلش، فراش المدرسة، للمرة الأربعمائة والاثنين وستين أن أذكركم جميعًا بأنه ليس مسموحًا بالسحر في الطرقات بين الفصول، بالإضافة للعديد من التحذيرات الأخرى، التي يمكنكم قراءتها عند مكتب السيد فيلش».

«معنا هذا العام مدرسان جديدان. نرحب بالأستاذة «جروبلي بلانك» التي ستُدرس مادة رعاية المخلوقات السحرية.. كما يسرنا تقديم الأستاذة «أمبريدج» أستاذة مادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود».

علت موجة تصفيق مهذب غير متحمس، خلالها تبادل «هاري» و«رون» و«هيرميون» نظرات قلقة.. لم يذكر «دمبلدور» شيئًا عن مدة تدريس الأستاذة «جروبلي بلانك».

أكمل «دمبلدور» كلامه: «ستقام اختبارات اختيار لاعبي فرق الكويدتش يوم الـ...

سكت عن الكلام، ناظرًا نظرة متسائلة نحو الأستاذة «أمبريدج». وهي على حالها قصيرة هكذا، فعندما وقفت لم تكن أطول منها وهي جالسة.. مرت لحظة حيرة قبل أن يفهم أحد لماذا سكت «دمبلدور»؛ لكن مع نحنحة الأستاذة «أمبريدج»: «إحم.. إحم» أدرك الجميع أنها وقفت، وتريد إلقاء خطبة.

لاحت الدهشة على وجه «دمبلدور» للحظة، ثم جلس برشاقة ونظر باهتمام نحو الأستاذة «أمبريدج» كأنه لا يبغي شيئًا في الدنيا قدر رغبته في سماعها وهي تتحدث. لم يتمكن باقي المدرسين من إخفاء دهشتهم مثله. اختفى حاجبا الأستاذة «سبروت» في شعرها، وصار فم الأستاذة «ماكجونجال» رفيعًا بطريقة لم يرها «هاري» من قبل. أخذ العديد من التلاميذ يتهامسون ساخرين منها.. ولسان حالهم يقول: هذه السيدة لا تعرف كيف تسير الأمور في «هوجورتس».

قالت الأستاذة «أمبريدج»: «أشكرك يا سيدي الناظر على كلمات الترحيب الرقيقة هذه».

كان صوتها مرتفع النبرة، وأشبه بصوت بنت صغيرة، ومرة أخرى شعر «هاري» بجرعة هائلة من الكراهية تتدفق داخله نحوها، دون أن يجد لها سببًا. كل ما يعرفه هو أنه لا يحب أي شيء فيها، من صوتها السخيف، إلى سترتها الصوفية الغريبة. تنحنحت ثانية (إحم، إحم)، وأكملت كلامها.

قالت مبتسمة كاشفة عن أسنان حادة جدًا: «واه، ما أجمل العودة إلى هوجورتس! لكم تسعدني رؤية هذه الوجوه الصغيرة تتطلع إليّ».

أدار «هاري» بصره حوله. لم تظهر السعادة على أي من الوجوه المحيطة على النقيض، بدوا مأخوذين من مخاطبتهم كأنهم في الخامسة من عمرهم.

«أنا أتطلع إلى التعرف عليكم جميعًا، وواثقة من أننا سنصبح أصدقاء».

تبادل التلاميذ النظرات مع العبارة الأخيرة، وبعضهم يخفي ضحكاته.

همست «بارفاتي» قائلة لـ«لافندر»: «يسعدني أن أكون صديقتها، مادمت لن أضطر لاستعارة تلك السترة الصوفية»، فأخذتا تضحكان بحماس.

تنحنحت الأستاذة «أمبريدج» ثانية: «إحم.. إحم»، لكن عندما أكملت كلامها، تلاشت بعض البسمات عن الوجوه.. صار صوتها أكثر عملية، وقالت كلامًا يحفظونه جميعًا عن ظهر قلب.

«لطالما اعتبرت وزارة السحر تعليم الساحرات والسحرة الصغار مسألة هامة. إن الهبات النادرة التي ولدتم بها لن تكون ذات بال إن لم تتم رعايتها وصقلها تحت إشراف جيد. كما يجب تمرير الخبرات السحرية التي نتوارثها أبًا عن جد عبر الأجيال، حتى لا تضيع منا للأبد. إن كنز المعرفة السحرية الذي

تراكم على أيدي أجدادنا يجب أن نحرسه، ونزيده، ونصقله، وهذا على أيدي من أخذوا على عاتقهم مهنة التدريس الجليلة النبيلة».

سكتت الأستاذة «أمبريدج» للحظة، وانحنت احترامًا لأعضاء هيئة التدريس، الذين لم ينحن أيهم لها ردًا للتحية. ضاقت عينا الأستاذة «ماكجونجال» البنيتان الداكنتان، حتى بدت كعيون الصقر، ولمحها «هاري» تتبادل النظرات المحملة بالمعاني مع الأستاذة «سبروت»، و«أمبريدج» تتنحنح ثانية «إحم.. إحم»، ثم تكمل خطبتها.

«كل ناظر وناظرة عملوا في هوجورتس قدَّموا لمهمة قيادة هذه المدرسة التاريخية الجديد، وهذا هو ما يجب أن يكون عليه الحال؛ لأن بدون التقدم ستلاقي الجمود والتراجع والتحلل. وأود ذكر أن التقدم من أجل التقدم ليس بالأمر الذي يجب تشجيعه؛ لأن طرق التدريس المجربة والمعروفة لا يجب أن نؤخرها بالتجربة. إذن فلابد من التوازن بين الأصالة والمعاصرة، وبين الثابت والمتغير، وبين التقاليد والتقاليع..».

وجد «هاري» انتباهه ينسحب منه، كأن عقله ينعس. انقطع الصمت الذي كان يعم القاعة أثناء حديث «دمبلدور» بثرثرة وضحكات الأولاد الهامسة وهم يتحدثون معًا. وعلى مائدة «رافنكلو»، أخذت «تشو تشانج» تتحدث مع صديقاتها. وعلى مسافة عدة مقاعد من «تشو تشانج» أخرجت «لونا لوفجود» مجلتها «الكويبلر» ثانية. وعلى مائدة «هافلباف»، كان «إرني ماكميلان» من القليلين الذين لم تنزل عيونهم عن الأستاذة «أمبريدج» وهي تتكلم، لكن نظرته كانت زجاجية خالية من التعبير، وكان «هاري» واثقًا أنه - «إرني ماكميلان» - يتظاهر بالاستماع في محاولة لأن يكون على مستوى مسئولية شارة رائد الفصل المربوطة إلى صدره.

لم تلحظ الأستاذة «أمبريدج» الجلبة الصادرة عن جمهورها. شعر «هاري» بأن عصيانًا مدنيًا كاملاً قد يندلع تحت أنفها دون أن تكف عن تلاوة خطبتها. لكن المدرسين كانوا لا يزالون منصتين باهتمام بالغ، وبدا على «هيرميون» أنها تركز مع كل كلمة تقولها الأستاذة، بالرغم من أن كلامها بدا مخالفًا لذوق «هيرميون»، وهو ما ظهر على وجهها.

«.. لأن بعض التغييرات ستكون للأفضل، وبعضها الآخر سترى مع الوقت

أنها مجرد أخطاء في أحكامنا على الأشياء. وفي نفس الوقت، بعض العادات القديمة تعتبر جيدة، لكن بعضها الآخر سنجده قديمًا، وباليًا، وهي ما يجب التخلي عنها. دعونا نتقدم للأمام في مسيرة التقدم، لنصل إلى عصر جديد من الشفافية، والكفاءة، والمساءلة، ولنصبح حريصين على حفظ ما يجب حفظه، وإتقان ما يجب إتقانه، ومنع الممارسات التي يتوجب منعها».

جلست أخيرًا. صفق «دمبلدور»، فتبعه باقي المدرسين. لكن «هاري» لاحظ أن العديد منهم صفقوا بأيديهم لمدة قصيرة جدًا وبلا أي حماس. انضم القليل من الطلبة إليهم، لكن معظم الباقين لم ينتبهوا إلى أن الخطبة قد انتهت، ولا سمعوا أكثر من بعض كلماتها، وقبل أن يبدأوا في التصفيق والتهليل كما يجب، وقف «دمبلدور» ثانية.

قال منحنيًا في تحية احترام: «شكرًا جزيلاً لك يا أستاذة أمبريدج. يالها من خطبة جالية للأمور. والآن، عليّ ذكر أن اختبارات اختيار لاعبي فرق الكويدتش ستُعقد يوم..».

قالت «هيرميون» بصوت خفيض: «فعلاً.. خطبة جالية للأمور».

قال «رون» بهدوء ملتفتًا بنظرة اهتمام بالغ نحو «هيرميون»: «لا تخبريني بأنك قد استمتعت بها. كانت تلك أكثر الخطب مللاً سمعتها في حياتي، بالرغم من أنني قد نشأت في بيت واحد مع «بيرسي»».

قالت «هيرميون»: «قلت خطبة جالية للأمور، وليست ممتعة؛ فقد فسرت الكثير».

قال «هاري» مندهشًا: «فعلاً؟ كانت أشبه بطبق بطاطس بالنسبة لي».

قالت «هيرميون» بتجهم: «طبق بطاطس مخبأ به بعض الأشياء».

قال «رون»: «أشياء مثل ماذا؟».

«ما رأيكما في كلامها عن أن التقدم من أجل التقدم فقط ليس بالأمر الذي يجب تشجيعه؟ وتركيزها على التفرقة بين التغييرات الجيدة، والتغييرات التي يجب إحباطها؟».

قال «رون» بصبر نافد: «وماذا يعني كل هذا؟».

قالت «هيرميون» بغيظ: «سأخبرك ماذا يعني.. يعني أن الوزارة تريد التدخل في شئون هوجورتس».

تصاعدت الجلبة من حولهم، فأدركوا أن «دمبلدور» قد صرف التلاميذ؛ لأن الجميع

وقفوا استعداداً لمغادرة القاعة، هبت «هيرميون» ناهضة وعلى وجهها الارتباك وقالت: «رون، من المفترض أن توجه تلاميذ الصف الأول إلى أجنحة نومهم!».

قال «رون» الذي بدا عليه النسيان: «أجل.. أنتم.. يا عيال.. أيها الأقزام..».

«رون!».

«طيب، إنهم، إنهم قصار القامة.. أعني..».

«أعرف.. لكن لا يمكن أن تطلق عليهم أقزامًا». ثم صاحت بصوت آمر: «تلاميذ الصف الأول.. من هنا من فضلكم».

سارت مجموعة من الطلاب الخجلين إليها، وجميعهم يحاولون - بكل حرص - ألا يكونوا في الصف الأول. كانوا بالطبع قصيرين وصغارًا. وكان «هاري» واثقًا أنه لم يكن قصيرًا هكذا عندما حضر إلى «هوجوورتس» للمرة الأولى. ابتسم لهم. بدت الدهشة والخوف الشديدان على وجه الطالب المجاور لـ «إيوان أبيركرومبي»، لكن «إيوان» همس بشيء في أذنه. لاحت دهشة وخوف مماثلان على الأخير الذي ألقى بنظرة فزع على «هاري»، فانحسرت الابتسامة من على وجهه.

قال بتبلد لـ «رون» و«هيرميون»: «أراكما لاحقًا»، وهو يسير عبر القاعة الكبرى وحده، فاعلاً ما يقدر عليه ليتجاهل الهمسات، والنظرات، والأصابع المشيرة نحوه. أبقى عينيه مثبتتين أمامه وهو يسير في الزحام إلى القاعة الأمامية، ثم سارع بصعود السلم الرخامي، ومر بطريقين مختصرين أثناء صعوده حتى صار وحيداً بعيداً عن الجموع التي تتقدم من خلفه.

كان غبيًا لأنه لم يتوقع سلوكهم هذا معه، هكذا فكر غاضبًا وهو يسير عبر الممرات الخالية بالطوابق الأعلى. بالطبع كان الجميع يحدقون فيه.. ألم يخرج من المتاهة مع نهاية مسابقة السحر الثلاثية منذ شهرين قابضًا على جثة زميله، مدعيًا أن اللورد «فولدمورت» قد عاد وبقوة إلى عالمنا. لم يجد الوقت الكافي مع نهاية الفصل الدراسي السابق للدفاع عن نفسه أمام الجميع، قبل أن يذهبوا جميعًا إلى بيوتهم.. دعك من أنه كان ليقدر على قص ما حدث بالضبط من أحداث رهيبة في تلك المقابر.

وصل «هاري» إلى نهاية الممر الموصل إلى جناح فرقة «جريفندور» المدرسية وتوقف أمام لوحة السيدة البدينة قبل أن يدرك جهله بكلمة السر الجديدة.

تلعثم مرتبكًا أمام السيدة البدينة، التي عدلت من وضع ثوبها الوردي الساتان، ونظرت إليه بصرامة.

قالت بكبرياء: «لن تمر بدون ذكر كلمة السر».

«هاري.. أنا أعرفها» جاء أحدهم من خلفه لاهثًا. فالتفت ليرى من القادم فوجد «نيفيل» يهرول مقتربًا منه، ثم أضاف: «خمن كلمة السر.. للمرة الأولى في حياتي لا أنسى كلمة السر..» ثم وهو يشير إلى نبات الصبار السحري الذي أراه له في القطار: «... ميمبولوس ميمبلتونيا».

قالت السيدة البدينة: «صح»، ثم انفتحت اللوحة متراجعة للوراء لتكشف عن فتحة في الحائط أشبه بالباب، فمر عبرها «هاري» و«نيفيل».

بدت حجرة الطلبة بجناح «جريفندور» مرحبة أكثر من أي وقت مضى، وهي حجرة دائرية مريحة تشغل أحد أبراج القلعة، مليئة بالمقاعد الوثيرة والموائد القديمة. كانت نيران المدفأة مستعرة يطقطق الخشب فيها دافئًا مرحبًا، وبعض الناس جالسون حولها يدفئون أيديهم قبل أن يصعدوا إلى ممرات النوم. وعلى الجانب الآخر من الحجرة كان «فريد» و«جورج» يعلقان إعلانًا ما على لوحة الإعلانات. لوح لهما «هاري» ملقيًا تحية المساء، ثم اتجه على الفور إلى حجرات نوم الأولاد.. ولم يكن في حالة مزاجية تسمح له بالحديث، وتبعه «نيفيل».

كان كل من «دين توماس» و«سيماس فينيجان» قد وصلا إلى حجرة النوم قبله، واستغرقا في عملية تغطية الحوائط المجاورة لفراشيهما بالملصقات والصور الفوتوغرافية السحرية. كانا يتحدثان و«هاري» يدفع الباب، لكنهما كفا عن الكلام عندما رأياه. فتساءل إن كانا يتحدثان عنه، أم أن توجسه بلا سبب.

قال عابرًا إلى حقيبته ليفتحها: «أهلاً».

قال «دين» الذي كان يرتدي منامة بألوان فريق «وستهام»: «أهلاً يا هاري، هل قضيت إجازة سعيدة؟».

غمغم «هاري»: «ليست سيئة»، فقص ما مر به في إجازته يحتاج لمعظم الليل. وأضاف: «وأنت؟».

قال «دين»: «آه.. كانت على ما يرام. أفضل من إجازة سيماس التي يخبرني بشأنها الآن».

تساءل «نيفيل» واضعًا نبتة «الميمبولوس ميمبلتونيا» على المائدة المجاورة لفراشه: «لماذا؟! ماذا حدث لسيماس؟».

لم يجبه «سيماس» على الفور.. كان مشغولاً بتثبيت ملصق فريقه المفضل

في «الكويدتش»، فريق «كينمار كستريلس» على الحائط ثم قال وظهره مازال لـ «هاري»: «لم تكن أمي تريد أن أعود إلى المدرسة».

قال «هاري» ويده متجمدة على عباءته التي أخذ يخلعها عنه: «ماذا؟».

«لم تشأ أن أعود إلى هوجورتس».

التفت «سيماس» مبتعداً عن ملصقه، وأخرج منامته من حقيبته، متفادياً النظر نحو «هاري».

قال «هاري» مذهولاً: «لكن.. لماذا؟» كان يعرف أن أم «سيماس» ساحرة، فلم يفهم لماذا تتصرف بطريقة شبيهة بتصرفات آل «دورسلي».

لم يجبه «سيماس» حتى انتهى من ارتداء منامته.. قال بعدها بصوت حذر: «في الواقع.. أعني.. بسببك».

قال «هاري» بسرعة: «ماذا تعني؟».

أخذ قلبه ينبض سريعًا. شعر كأن أحدهم يحاصره.

قال «سيماس» ثانية، وهو مازال يتفادى عيني «هاري»: «في الواقع، إنها.. إنها، الموضوع ليس متعلقًا بك فقط، بل بدمبلدور أيضًا..».

قال «هاري»: «تراها تصدق ما تنشره جريدة الدايلي بروفيت؟ هل تحسبني كاذبًا ودمبلدور عجوزًا مخرفًا؟».

رفع «سيماس» بصره إليه قائلاً: «أجل.. شيء من هذا القبيل».

لم ينطق «هاري» بكلمة. ألقى بعصاه السحرية على المائدة المجاورة لفراشه، وخلع عباءته راميًا إياها بعصبية في حقيبته، ثم ارتدى منامته. شعر بالتعب.. التعب من كونه من يحدق فيه الجميع، ويتحدث عنه الجميع طوال الوقت. فكر أن أيًا منهم لا يعرف سوى أقل القليل عما يعانيه، وعما يحدث له من مشكلات.. وأنه ليس لدى السيدة «فينيجان» أية فكرة، تلك المرأة الغبية؟

رقد في فراشه وشرع في جذب الستائر من حوله، لكن وقبل أن يفعل قال «سيماس»: «انظر.. ماذا فعلت تلك الليلة.. عندما.. عندما.. عندما كنت مع سيدريك ديجوري؟».

شعر بالعصبية واللهفة في صوت «سيماس». أما «دين» الذي كان منحنيًا على حقيبته يحاول استرجاع فردة حذائه التي وقعت، فقد تجمد في مكانه، فعرف «هاري» أنه ينصت باهتمام.

قال «هاري» بسرعة: «ماذا تريد؟ تراك تقرأ الدايلي بروفيت مثل أمك؟ أليس كذلك؟ أخبرني بما تريد معرفته».

احتدّ عليه «سيماس» قائلاً: «لا شأن لك بأمي».

قال «هاري»: «لي شأن بأي شيء يتعلق بنعتي بالكاذب».

«لا تحدثني هكذا».

قال «هاري» وأعصابه تشتعل بسرعة حتى إنه أمسك بعصاه السحرية من على المائدة ثانية: «سأتحدث كيفما أشاء.. إن كان لديك مشكلة في مشاركتي الحجرة، فاذهب واطلب من مكجونجال أن تنقلك من هنا.. حتى لا تقلق أمك عليك..».

«لا شأن لك بأمي يا بوتر».

«ما الأمر؟».

ظهر «رون» عند مدخل الحجرة. عيناه واسعتان تتنقلان بين «هاري» الذي انحنى على فراشه وعصاه السحرية مصوبة نحو «سيماس»، وبين الأخير الذي وقف وقبضته مرفوعة.

صاح «سيماس»: «إنه يتعدى بالكلام على أمي».

قال «رون»: «ماذا؟ هاري لا يفعل مثل هذه الأشياء أبدًا.. لقد قابلنا أمك، وأحببناها..».

قال «هاري» بأعلى صوته: «كان هذا قبل أن تصدق كل كلمة تقولها تلك الجريدة الحقيرة عني!».

قال «رون» وعلامات الفهم ترتسم على وجهه المليء بالنمش: «آه.. فهمت.. هكذا».

قال «سيماس» بحرارة، ملقيًا نظرة سامة على «هاري»: «أتعرف؟ إنه محق، ولا أريد مشاركة الحجرة معه.. إنه مجنون».

قال «رون» وأذناه تتوهجان بلون أحمر.. وهي علامة على الخطر في العادة: «لا تخرج عن النظام يا سيماس».

صاح «سيماس» بوجه شاحب على النقيض من «رون»: «أنا أخرج عن النظام؟ هل تصدق كل الهراء الذي خرج لنا به عن الذي - تعرفه؟ هل تصدق أنه يقول الحقيقة؟».

قال «رون» بغضب: «أجل.. أصدقه».

قال «سيماس» بقرف: «إذن فأنت أيضًا مجنون».

قال «رون» مشيرًا إلى صدره بأصبعه: «حقًا؟ من سوء حظك يا صاحبي أنني بجانب كوني مجنونًا فأنا رائد للفصل.. وإن كنت لا تريد العقاب فأغلق فمك هذا».

شعر «سيماس» بالتعقل عندما وازن لمن العقاب بالاحتجاز مقابل قول ما يشاء؛ فأشاح بوجهه مبتعداً صادراً عنه أصوات احتجاج، ورقد في فراشه مقفلاً الستائر بعنف كادت معه تتمزق، وتساقط التراب على الأرض منها. حدق «رون» فيه، ثم نظر إلى «دين» و«نيفيل».

قال بعدوانية: «هل لأبوى أيكما احتجاج ما على هارى؟».

قال «دين» وهو يهز كتفيه: «أبواى من العامة يا صاحبى. إنهما لا يعرفان أى شيء عن حوادث الموت فى هوجورتس؛ لأننى لست غبيًا بما يكفى لإخبارهما».

صاح فيه «سيماس»: «أنت لا تعرف أمى.. كانت لتعرف بطريقتها الخاصة! على أية حال أبواك لا يقرآن جريدة الدايلى بروفيت. ولا يعرفان أن ناظرنا قد عُزل من الويزنجاموت، ومن الاتحاد الكونفدرالى الدولى للسحرة؛ لأن عقله طار..».

قال «نيفيل»: «جدتى تقول إن هذا هراء. وتقول إن الدايلى بروفيت تتصدع وتنهار، وليس دمبلدور بمجنون. لقد ألغت اشتراكنا بها، ونحن نؤمن ببراءة هارى» قال «نيفيل» كلامه ببساطة وصعد إلى فراشه رافعًا الأغطية إلى ذقنه، ناظراً نحو «سيماس»، ثم أضاف: «لطالما قالت جدتى إن الذى - تعرفه سيعود ذات يوم. وتقول إنه عندما يقول دمبلدور إنه قد عاد.. فهو قد عاد».

شعر «هارى» بالكثير من الامتنان نحو «نيفيل». لم يقل أحد بعده شيئًا. شهر «سيماس» عصاه السحرية، وأصلح بها ستائر الفراش، ثم اختفى خلفها. رقد «دين» هو الآخر فى فراشه، والتفت معطيًا ظهره لهم فى صمت. أما «نيفيل» - الذى لم يعد لديه المزيد ليقوله - فقد أخذ يحدق فى نبتته السحرية بافتتان وضوء القمر ينعكس عليها.

رقد «هارى» على وسادته، بينما «رون» يشغل الفراش المجاور له، محدثاً جلبة أثناء ترتيبه لحاجياته. شعر بالاهتزاز من الجدال الذى دار مع «سيماس»، والذى كان يحبه كثيراً. كم من الناس غيره يا ترى يرونه كاذبًا أو مجنونًا؟

هل عانى «دمبلدور» هكذا مثله طوال الصيف؟ بداية من عزله من «الويزنجاموت»، ثم من الاتحاد الكونفدرالى الدولى للسحرة؟ تراه غاضبًا من

«هارى»؟ ربما لهذا السبب كف عن الاتصال به لشهور عدة؟ كلاهما على نفس المركب.. «دمبلدور» صدق «هارى» وأعلن ما سرده عليه من أحداث للمدرسة كلها، ثم عرض الأمر على مجتمع السحرة الواسع. أىٌّ ممن يرون «هارى» كاذبًا لا بد وأنهم يرون «دمبلدور» كاذبًا أيضًا، أو أنه قد خدع الأخير.

فكر «هارى» بتعاسة أنهم سيعرفون أن قوله حق فى نهاية الأمر، بينما «رون» يصعد إلى فراشه ويطفئ آخر شمعة فى الحجرة. لكنه تساءل: كم من الهجمات مثل هجمة «سيماس» هذه سيتعرض لها قبل أن يعرفوا الحقيقة؟



١٢ الأستاذة أمبريدج

ارتدى «سيماس» ثيابه بأقصى سرعة الصباح التالي، وغادر الحجرة قبل أن ينهض «هاري» من فراشه حتى قال «هاري» بصوت جهوري وطرف عباءة «سيماس» يختفي عن ناظريه خلف الباب: «هل يظن أنه سيجن إن بقي في الحجرة قليلاً معي؟».

غمغم «دين» رافعًا حقيبته المدرسية على ظهره: «لا تقلق بشأنه.. إنه فقط..».

لكن من الواضح أنه لم يعرف ماذا يقول بعدها، ولا يعرف حال «سيماس»، فبعد برهة من الصمت تبعه خارجًا من الحجرة.

نظر كل من «نيفيل» و«رون» نحو «هاري» نظرة من نوع إنها ـ مشكلته ـ وليست ـ مشكلتك ـ أنت. لكن نظرتهما لم ترحه. إلى متى سيتحمل سوء الفهم هذا؟

سألته «هيرميون» بعد خمس دقائق وقد لحقت به وبـ«رون» في حجرة الطلبة، وهما في طريقهما إلى القاعة لتناول الإفطار: «ما المشكلة؟ تبدو.. تبدو.. يا ربي».

أدارت بصرها في حجرة الطلبة، فلاحظت وجود لافتة كبيرة معلقة مكتوب عليها:

جالونات من الجاليونات

نقودك لا تسعفك؛ لأنك تخرج كثيرًا

هل تود كسب ذهب إضافي؟

اتصل بفريد وجورج ويسلي في حجرة طلبة جريفندور

إن كنت تبحث عن وظيفة بسيطة، بلا ألم

(يؤسفنا قول: إن المخاطر التي يتعرض لها الموظفون على مسئوليتهم الخاصة)

قالت «هيرميون» عابسة: «لقد تعدوا حدودهما» وهي تزيل اللافتة التي وضعها «فريد» و«جورج» فوق لافتة أخرى تعلن عن موعد أول إجازة يُسمح فيها للطلبة بالذهاب إلى بلدة «هوجزميد»، والتي ستكون في شهر أكتوبر، وأضافت مخاطبة «رون»: «علينا إزالتها».

لاح قلق حقيقي على وجه «رون» وقال: «لماذا؟».

قالت «هيرميون» وهم يخرجون من كوة لوحة السيدة البدينة: «لأننا رائدا فصل! ومن واجبنا أن نفعل هذا».

لم ينطق «رون».. وفهم «هاري» من نظرته العابسة أن فكرة التدخل فيما يفعله «فريد» و«جورج» ليست بالفكرة الجيدة في رأيه.

قالت «هيرميون» وهم ينزلون سلمًا مصطفة على جانبيه مجموعة من لوحات الساحرات والسحرة القديمة، وجميعهم يتجاهلونهم، مشغولين بحواراتهم الخاصة بهم: «كيف الحال يا هاري؟ تبدو غاضبًا من شيء ما».

قال «رون» بدلاً من «هاري» عندما لم يتكلم الأخير: «يظن سيماس أن هاري يكذب بشأن من ـ تعرفينه».

تنهدت «هيرميون» وإن كان «هاري» يتوقع أن تغضب.. وقالت متجهمة: «أجل.. لافندر تظن هذا هي الأخرى».

قال «هاري» بصوت مرتفع: «تراك وجدت الثرثرة بشأن الولد الأحمق الباحث عن الشهرة مسلية؟».

قالت «هيرميون» بهدوء: «لا.. قلت لها اصمتي وأبقِ فمك الحقير مغلقًا. ورجاء لا تهاجمنا هكذا يا هاري. فإن كنت لا تعرف ـ فأنا ورون إلى جانبك».

سادت فترة صمت قصيرة.

قال «هاري» أخيرًا بصوت خفيض: «آسف».

قالت «هيرميون» بكبرياء: «لا تبالي» ثم هزت رأسها قائلة: «ألا تتذكر ما قاله دمبلدور عند نهاية الفصل الدراسي السابق؟».

تبادل «هاري» و«رون» نظرات من لا يتذكر، فتنهدت «هيرميون» ثانية، وقالت: «تحدث عن الذي ـ تعرفه. قال إن قدرته على بث الفرقة والكراهية كبيرة، وإن علينا التماسك والتعاون والسعي لبث الثقة المتبادلة بيننا، وإلا..».

سألها «رون» ناظرًا إليها بإعجاب: «كيف تتذكرين مثل هذه الأشياء؟».

قالت «هيرميون» بلمسة خشونة: «أنا أنصت جيدًا يا رون».

«كذلك أنا.. لكنني لا أعرف ماذا قال بالضبط..».

قاطعته «هيرميون» متممة كلامها بصوت مرتفع: «الفكرة أن هذا بالضبط هو ما تحدث عنه دمبلدور. الذي ـ تعرفه عاد منذ شهرين فقط، وها نحن نتشاجر مع بعضنا البعض.. وهذا ما أكدته قبعة الاختيار: لنقف معًا متحدين..».

قال «رون»: «قالها هاري ليلة أمس. إن كان اتحادنا يعني التعاون والصداقة مع أولاد فرقة سليذرين فلن يحدث أبداً».

قالت «هيرميون»: «يؤسفني أننا لا نحاول خلق الوحدة بين الفرق المدرسية».

وصلوا إلى نهاية السلم الرخامي. كان هناك مجموعة من تلاميذ فرقة «رافنكلو» بالصف الرابع يعبرون عبر القاعة الأمامية، فشاهدوا «هاري» وسارعوا بالاقتراب من بعضهم البعض، كأنهم خائفون من مهاجمته لهم.

قال «هاري» بسخرية: «أجل. علينا الاتحاد ومصادقة أمثال هؤلاء».

تبعوا تلاميذ «رافنكلو» إلى القاعة الكبرى، وجميعهم ينظرون بتوجس إلى مائدة هيئة التدريس. كانت الأستاذة «جروبلي بلانك» تتحدث إلى الأستاذة «سينسترا» أستاذة مادة علم الفلك.

ومرة أخرى أحسوا بالانزعاج لغياب «هاجريد». كان السقف المسحور فوقهم يشبه حالة «هاري» المزاجية.. بلون رمادي مطير.

قال وهم يسيرون نحو مائدة «جريفندور»: «لم يذكر دمبلدور شيئاً عن بقاء جروبلي - بلانك هذه».

قالت «هيرميون» متفكرة: «ربما..».

قال كل من «هاري» و«رون» في نفس واحد: «ربما ماذا؟».

«ربما.. ربما يريد ألا يجذب الانتباه لغياب هاجريد».

قال «رون» ضاحكاً: «ماذا تعنين بعدم جذب الانتباه؟ كيف لا نلاحظ غيابه؟».

«أهلاً أنجيلينا».

قالت الأخيرة بسرعة: «أهلاً.. ما أخبار الإجازة؟». وبدون أن تتوقف لتلقي الإجابة أضافت: «اسمعوا. لقد أصبحت كابتن فريق جريفندور للكويدتش».

قال «هاري» مبتسماً: «هذا رائع». وهو يقارن بين أسلوب «أنجيلينا» السريع الحاد، وأسلوب «أوليفر وود» الفظ، وهو ما اعتبره تحسناً.

«أشكرك. المهم أننا نبحث عن حارس مرمى جديد بعد أن غادر أوليفر المدرسة. ستُعقد الاختبارات يوم الجمعة، الساعة الخامسة. وأريد الفريق بأكمله مجتمعاً. مفهوم؟ لنرى من سينضم إلينا».

قال «هاري»: «حسناً».

ابتسمت «أنجيلينا» له وفارقتهم.

قالت «هيرميون» وهي تجلس إلى جوار «رون» وتقرب طبق الخبز المحمص منها: «نسيت أن أوليفر قد غادر. أظن يشكل هذا فرقاً بالنسبة لمستوى لعب الفريق؟».

قال «هاري» وهو يجلس على المقعد المقابل لها: «أعتقد هذا. فقد كان حارس مرمى جيد».

قال «رون»: «لكن لن يضر أن يبثوا دماء جديدة إلى الفريق. أليس كذلك؟».

وبصوت رفرفة عال دخل مئات البوم عبر النوافذ العلوية. هبطوا على القاعة، ومعهم رسائل وطرود لتسليمها، ليغرقوا المفطرين بقطرات الماء.. فقد كان صباحاً مطيراً. لم تأت «هدويج». لكن هذا لم يدهش «هاري». كان مراسله الوحيد هو «سيرياس». ولم يتوقع أن يكتب له بعد أربع وعشرين ساعة من مفارقته. لكن «هيرميون» أزاحت عصير البرتقال الذي أمامها بسرعة لتفسح المجال لبومة كبيرة تحمل عدداً من جريدة «دايلي بروفيت» في منقارها.

قال «هاري» باستياء: «لماذا تريدين هذه الجريدة؟». مفكراً في «سيماس». و«هيرميون» تضع عملة «نات» في جراب البومة الجلدي الملفوف حول قدمها، لتطير ثانية. ثم أضاف: «إنها لا تعنيني في شيء، ليس بها سوى الأكاذيب».

قالت «هيرميون» بتجهم وهي تفتح الجريدة وتخفي رأسها خلفها: «من الأفضل معرفة ما يقوله العدو». وأخذت تقرأ حتى أكل «هاري» و«رون».

قالت ببساطة وهي تلف الجريدة وتلقيها بجانب طبقها: «ليس بها شيء. لا عن دمبلدور، ولا أي شيء».

تحركت الأستاذة «ماكجونجال» بطول المائدة موزعة جداول الحصص.

قال «رون» متشكياً: «انظروا ما لدينا اليوم! حصة تاريخ السحر، وحصتا وصفات سحرية، وحصتنا دفاع عن النفس ضد السحر الأسود.. بينز، وسناب، وأمبريدج.. وتلك المرأة أمبريدج في يوم واحد! لكم أتمنى أن يسارع فريد وجورج بالانتهاء من إعداد حلوى (التزويغ)..».

قال «فريد» الذي وصل مع «جورج» وجلسا على المقعد المجاور لـ «هاري»: «هل تخدعني أذناي؟ أم أن رواد فصول هوجوورتس يتمنون (التزويغ) من الحصص؟».

قال «رون» عابساً وهو يلقي بجدول حصصه تحت أنف «فريد»: «انظر ما لدينا اليوم من حصص: هذا أسوأ يوم اثنين رأيته في حياتي».

قال «فريد» ناظراً للجدول: «عندك حق يا أخي الصغير. يمكنك الحصول على توجة تزيف الأنف الرخيصة إن شئت».

سأله «رون» بارتياب: «ولماذا هي رخيصة؟».

قال «جورج» وهو يلتهم سمكة رنجة: «لأنك ستنزف حتى تنشف، وليس لدينا مصل مضاد حتى الآن».

قال «رون» بضيق ملتقطًا جدول الحصص: «يا فرحتي؛ أشكرك، لكنني أفضل حضور الحصص».

قالت «هيرميون» ناظرة إلى «فريد» و«جورج» مضيقة ما بين عينيها «بمناسبة حلوى (التزويغ)، ليس من حقكما الإعلان عن طلب تواقين على لوحة إعلانات جناح جريفندور».

قال «فريد» مذهولاً: «ومن قال هذا؟». فقالت «هيرميون»: «أنا.. ومعي رون».

قال «رون» بسرعة: «أخرجيني من هذا الموضوع».

قال «فريد» وهو يأكل: «سرعان ما ستغيرين لحنك هذا يا هيرميون.. فأنت في بداية صفك الخامس، وسترجيننا للحصول على حلوى (التزويغ) بعد قليل».

سألته «هيرميون»: «وما علاقة الصف الخامس بالرغبة في حلوى (التزويغ)؟».

قال «جورج»: «الصف الخامس هو العام الذي تحصلين فيه على شهادة (أو. دبليو. إل)»[1]. قالت: «ماذا تعني؟».

قال «فريد» بنبرة الراضي عن الحياة: «يعني أن الامتحانات قريبة. أليس كذلك؟ وستُطحنون من الدروس والحصص والمذاكرة حتى الانهيار».

قال «جورج» بسعادة: «نصف دفعتنا انهارت خلال سنة الحصول على هذه الشهادة.. بالدموع والدماء والابتسامات.. وباتريشيا ستيمبسون التي كانت تفقد الوعي كثيراً..».

قال «فريد» متذكراً: «أصيب كينيث تاولر بالبثور مع نهاية العام.. أتتذكر؟».

قال «جورج»: «هذا لأنك وضعت بودرة العفريت في منامته».

(١) OWL أو Ordinary Wizarding Level ولاحظوا الشبه بين الاختصار وكلمة بومة بالإنجليزية (owl) والاختصار يعني «مستوى السحر العادي»، وهي شهادة مدرسية مهمة أشبه بالمرحلة الأولى من الثانوية العامة عندنا، أما المرحلة الثانية فهي في الصف السابع، وتسمى NEWT (المترجم)

قال «فريد» مبتسماً: «فعلاً.. نسيت.. يصعب تذكر بعض مقالبنا أحياناً. أليس كذلك؟».

قال «جورج»: «الصف الخامس كابوس للجميع.. هذا إن كنت مهتمًا بنتائج الامتحانات. لكن تمكنت أنا وفريد من الانتهاء من الامتحانات على خير».

قال «رون»: «فعلاً؟ وصلتما للمستوى الثالث في الشهادة.. أليس كذلك؟».

قال «فريد» بلا مبالاة: «أجل.. لكننا نشعر بأن مستقبلنا ليس في الإنجازات العلمية».

قال «جورج» بإشراق: «بيننا جدال حول ما إن كنا سنعود لحضور عامنا الدراسي السابع أم لا.. بعد أن حصلنا على..».

كف عن الكلام بعد أن تلقى نظرة تحذير من «هاري»، الذي عرف أن «جورج» على وشك الحديث عن جائزة السحر الثلاثية المالية التي أعطاهما إياها.

قال «جورج» بسرعة: «.. بعد أن حصلنا على درجات الـ(أو. دبليو. إل).. أعني.. هل نحتاج فعلاً إلى شهادة الـ(إن. إي. دبليو. تي)؟[1] لكن لا أعتقد أن أمي ستدعنا نترك المدرسة مبكراً، ليس بعد أن أصبح بيرسي أغبى شخص في العالم».

قال «فريد» جائلاً ببصره بحب واشتياق في أرجاء القاعة الكبرى: «ولكننا لن نضيع عامنا الأخير هنا هدراً.. سنستغله في إجراء أبحاث تسويق، وفي معرفة ما يريده طلبة هوجورتس بالضبط من متجر لبيع أدوات عمل المقالب، وفي تقدير نتائج أبحاثنا، ثم سننتج منتجات تناسب الطلب».

سألته «هيرميون» بشك: «لكن من أين ستأتون بالذهب اللازم لإقامة متجر المقالب؟ ستحتاجون إلى مكونات، ومواد.. ومكان للمتجر أيضاً..».

لم ينظر «هاري» جهة التوأمين. شعر بوجهه حاراً.. فأسقط شوكته متعمداً وانحنى خلفها ليستعيدها. سمع «فريد» يقول فوقه: «لا تسألينا أي أسئلة، حتى لا نكذب عليك يا هيرميون. هيا يا جورج، إن كنت تريد بيع بعض الآذان الممتدة قبل حصة علم الأعشاب».

صعد «هاري» ليرى «فريد» و«جورج» يبتعدان، معهما كومة من الخبز المحمص.

قالت «هيرميون» ناقلة بصرها بين «هاري» و«رون»: «ماذا يعني بقوله لا أسئلة؟ هل يعني هذا أنهما قد حصلا على الذهب فعلاً ويجهزان لمتجر المقالب؟».

(١) NEWT أو Nastily Exhausting Wizarding Tests. ولاحظ المعنى المزدوج، فالاختصار يشير إلى الشهادة ويعني - كلمة سمندل الماء. واسم الشهادة بالتفصيل هو امتحانات السحر شديدة الإرهاق (المترجم)

قال «رون» مضيقًا ما بين عينيه: «أتعرفين؟ أنا محتار بشأنهما. لقد ابتاعا عباءات جديدة هذا الصيف، ولا أفهم من أين جاءا بالجاليونات...».

قرر «هاري» أن الوقت قد حان لتوجيه النقاش بعيدًا عن الخطر..

«هل تريان أن هذا العام سيكون صعبًا فعلاً؟ بسبب الامتحانات؟».

قال «رون»: «أجل.. على الأرجح. امتحانات الـ(أوه. دبليو. إل) هامة جدًا، وتؤثر على مستقبلك الوظيفي وعلى كل شيء. كما سيقدمون لنا هذا العام جلسات استشارية بشأن وظيفة المستقبل، كما أخبرني «بيل»، حتى نختار التخصص في شهادة الـ(إن. إي. دبليو. تي) التي نريدها العام التالي».

سألهما «هاري» وهم يغادرون القاعة الكبرى في طريقهما إلى فصل مادة تاريخ السحر: «هل تعرفان ماذا تريدان أن تعملا بعد مغادرة هوجورتس؟».

قال «رون» ببطء: «بـ.. يعني.. لا أعرف.. لكن.. ربما...» وبدا عليه الخجل.

قال «هاري» ليحثه على الكلام: «ربما ماذا؟».

قال «رون» بصوت خفيض: «ربما العمل كمقاتل للسحر الأسود وظيفة جيدة».

قال «هاري» بحماس: «أجل.. بالطبع».

قال «رون»: «لكن، لا أعرف.. إنها مهنة النخبة.. عليك أن تكون ماهرًا جدًا في السحر لتحصل عليها. ماذا عنك يا هيرميون؟».

قالت: «لا أعرف.. لكني واثقة من أنني سأعمل في مهنة تستحق».

قال «هاري»: «لكن مهنة قتال السحر الأسود مهنة تستحق».

قالت «هيرميون» متفكرة: «أجل، إنها كذلك، لكنها ليست بالشيء الوحيد الذي يستحق التقدير.. أعني، ربما لو اعتنيت أكثر بالـ(إس. بي. إي. دبليو)..».

تفادى «هاري» و«رون» النظر إلى أحدهما الآخر.

كانت مادة تاريخ السحر - بإجماع - أكثر المواد الدراسية مللاً يخترعها جنس السحرة. كان للأستاذ «بينز» مدرسهم الشبح، صوت منوم يضمن لهم نومًا حتى نعاس خلال عشر دقائق من بداية الحصة، وخلال خمس دقائق إن كان الطقس دافئًا. لم يغير أبدًا موضوع دروسه، لكنه كان يلقيها دون التوقف لمعرفة من يكتب وراءه، ومن يحدق ناعسًا في الفضاء المحيط. حتى هذا العام، تمكن «هاري» و«رون» من النجاح بالكاد في هذه المادة، بنسخ مذكرات «هيرميون» قبل الامتحانات، فهي وحدها القادرة على مقاومة القوى المنومة لصوت «بينز».

اليوم، عانوا لمدة ساعة من النعاس المتقطع أثناء مناقشة موضوع حروب العمالقة. سمع «هاري» ما يكفيه من الموضوع خلال الدقائق العشر الأولى، على يفكر في أن فكرة نقل هذه المادة لمدرس آخر ليست بالفكرة السيئة، لكن بعدما ابتعد عقله عن الموضوع، وقضى الساعة والدقائق العشرين الباقية يلعب لعبة «المشنقة» على طرف ورقة مع «رون»، بينما نظرت «هيرميون» إليهما شزرًا في استنكار حاد.

سألتهما ببرود وهم يغادرون الفصل خارجين في راحة ما بين الحصص، بعد أن سرى «بينز» خارجًا من الفصل من خلال السبورة: «ترى ماذا يحدث لو رفضت مد يد المساعدة إليكما بمذكراتي هذا العام؟».

قال «رون»: «سنفشل في اجتياز اختبارات الـ(أوه. دبليو. إل). فهل يتحمل ضميرك هذا يا هيرميون؟».

قاطعته بحدة قائلة: «هذا ما تستحقانه.. أنتما لا تنصتان إليه أبدًا، أليس كذلك؟».

قال «رون»: «لكننا نحاول.. لكن ليس لدينا عقول أو ذاكرة مثل عقلك أو ذاكرتك.. إنك أشطر منا.. أفلا تريدين مساعدتنا قليلاً؟».

قالت «هيرميون»: «أرجوك لا أريد هذا الإطراء السخيف» لكنها بدت مسرورة وهي تتقدمهما إلى الفناء الرطب.

كانت السماء تمطر رذاذًا خفيفًا، حتى إن الطلاب الواقفين عند أطراف الفناء البعيدة بدوا غير واضحين للعيان. اختار «هاري» و«رون» و«هيرميون» ركنًا منعزلاً تحت شرفة تحجب عنهم الماء، ورفعوا ياقات عباءاتهم اتقاء لهواء سبتمبر البارد، وأخذوا يتحدثون عما يمكن أن يدرسه «سناب» في حصته التالية، وأنه غالبًا سيكون شيئًا صعبًا جدًا، لمجرد أن يفاجئهم بعد إجازة الشهرين، وعندها اقترب منهم شخص ما.

«أهلاً يا هاري».

كانت المتحدثة هي «تشو تشانج»، وكانت وحدها للمرة الثانية، وهو أمر غريب، ففي العادة تسير «تشو» محاطة بسرب من الفتيات الضاحكات. تذكر «هاري» العناء الذي تحمله محاولاً فصلها عن أصحابها ليطلب منها اصطحابه إلى الحفل المدرسي.

قال «هاري»: «أهلاً» شاعراً بوجهه يستعر بالحرارة، وقال لنفسه إنه على الأقل ليس مغطى بالسائل الأخضر هذه المرة. ولاح على وجه «تشو» أنها تفكر في نفس الفكرة، وهي تقول: «إذن فقد تخلصت من ذلك السائل».

قال «هاري» محاولاً الابتسام كأن ذكرى لقائهما الأخير كانت طريفة، وليست مخزية: «أجل.. إذن.. هل.. أ.. أ.. هل قضيت صيفاً ممتعاً؟».

تمنى لو لم يطرح هذا السؤال فقد كان «سيدريك» صديق «تشو» ولا بد أن ذكرى موته قد عكرت عليها صفو الإجازة مثلما حدث مع «هاري». أحس بوجهها يتوتر، لكنها قالت: «أه.. أجل، كانت إجازة جيدة».

قال لها «رون» فجأة مشيراً إلى صدر عباءتها: «هل هذه شارة فريق التورنادوز؟» كان عليها شارة بلون أزرق سماوي عليها حرف (T) لاتيني نعبي.. وأضاف: «هل تشجعينهم؟» قالت «تشو»: «أجل.. أشجعهم».

قال «رون» بصوت فيه اتهام لم يجده «هاري» لائقاً بالمرة: «وهل تشجعينهم منذ فترة؟ أم منذ بدأوا في كسب الدوري؟».

قالت «تشو» ببرود: «أنا أشجعهم منذ كنت في السادسة من عمري.. المهم. أراك لاحقاً يا هاري..».

سارت مبتعدة. انتظرت «هيرميون» حتى صارت عند منتصف الفناء ثم التفتت إلى «رون» قائلة: «أنت لا تفهم بالمرة».

«ماذا؟ أنا سألتها فقط عن..».

«ألم تفهم أنها تريد الحديث مع هاري وحدهما؟».

«وما المشكلة؟ ماذا فعلت أنا؟ لم أمنعها من الـ..».

«لماذا بحق السماء هاجمت فريق الكويدتش الذي تشجعه هي؟».

«أهاجم؟ أنا لم أهاجمها، أنا فقط كنت..».

«ومن يهتم بتشجيعها لفريق التورنادوز؟».

«بربك.. نصف من يرتدون شارات التورنادوز لم يضعوها على صدورهم إلا منذ دوري العام الماضي..».

«وما أهمية هذا؟».

«هذا يعني أنهم ليسوا مشجعين مخلصين، فقد ربطوا أنفسهم بالفريق عندما بدأ في المكسب..».

قال «هاري»: «هذا صوت الجرس» لأن «رون» و«هيرميون» كانا يتشاجران بصوت أعلى من أن يسمعاه. لم يكفا عن الجدال طوال الطريق إلى نفق «سناب» تحت الأرض؛ مما أعطى «هاري» الوقت ليتأمل أنه بين «رون» ومن قبله «نيفيل» سيكون محظوظاً لو حظي بدقيقتين من الكلام مع «تشو» دون أن يرغب بعدها في مغادرة البلاد؛ خجلاً مما يفعله أصدقاؤه وهي حاضرة.

لم فكر وهم ينضمون إلى صف الطلاب الواقف أمام فصل «سناب» أنها اختارت الكلام إليه. كانت صديقة «سيدريك» وكان من السهل أن تكره «هاري» بعد أن خرج من متاهة مسابقة السحر الثلاثية حياً و«سيدريك» ميتاً. لكنها كلمته بأسلوب وود، ليس كأنها تراه مجنوناً، أو كاذباً، أو مسئولاً عن موت «سيدريك».. أجل. اختارت القدوم والحديث إليه، للمرة الثانية في يومين.. وعند الوصول لهذه الفكرة ارتفعت روح «هاري» المعنوية. حتى صوت باب فصل «سناب» الكئيب وهو يفتح لم يبعد عن خاطره هذه الفكرة التي ملأت صدره حبوراً. دلف إلى الفصل خلف «رون» و«هيرميون» وتبعهما إلى مائدتهم المعتادة في الخلف، حيث جلس بينهما متجاهلاً الجلبة المزعجة الصادرة منهما.

قال «سناب» ببرود موصداً الباب خلفه: «اجلسوا».

لم يكن ثمة حاجة حقيقية لكلمته هذه، فعندما سمع التلاميذ الباب وهو يوصد، ساد الهدوء وكفوا عن الحديث.

قال «سناب» ساتراً إلى مكتبه وناظراً إليهم جميعاً: «قبل أن نبدأ درس اليوم. أرى من المناسب تذكيركم بأن في شهر يونيو القادم ستمرون بامتحان شديد الأهمية، وفيه ستثبتون قدر ما تعلمتموه عن الوصفات والتركيبات السحرية. وبالرغم من أن بعض أفراد هذا الفصل حمقى، فإنني أتوقع لهم الحصول على تقدير (مقبول) في شهادة الـ(أو. دبليو. إل)، أو فليعانوا من.. ويلات ضيقي منهم».

استقرت عينه على «نيفيل» الذي ازدرد بصعوبة.

أكمل «سناب»: «بعد هذا العام بالطبع، لن يدرس معي بعضكم ثانية.. فأنا لا آخذ في شهادة الـ(إن. إي. دبليو. تي.) معي في مادة الوصفات السحرية سوى أفضل الطلاب، مما يعني أن بعضكم سيودعني».

استقرت عيناه على «هاري» وقلب شفتيه، فبادله النظر شاعراً بالسرور عند تفكيره في أنه لن يأخذ مادة الوصفات السحرية بعد الصف الخامس.

قال «سناب» بنعومة: «لكن لدينا عام آخر قبل أن نصل لهذا الوداع السعيد. لذا سواء أكنتم تبغون دخول مادة الوصفات السحرية في شهادة الـ(إن. إي. دبليو. تي) أم لا، أنصحكم جميعاً بتركيز جهودكم في الحفاظ على مستوى دراسي متفوق، وهو ما أتوقعه وأريده من طلبة شهادة الـ(أو. دبليو. إل) الذين يدرسون معي.

«اليوم ستدرس الوصفة التي تأتي في العادة في امتحان مستوى السحر العادي (أو. دبليو. إل)، وهي محلول السلام، الوصفة التي تهدئ من القلق والغضب. أحذركم إن كنتم ممن لا يفهمون في تركيب مقادير الوصفات فقد تصيبون من يشرب الوصفة بالنوم الثقيل، وفي بعض الأحيان قد ينام ولا يصحو؛ لذا أنصحكم بالانتباه لما تفعلونه» إلى يسار «هاري» استقامت «هيرميون» في جلستها وعلى وجهها انتباه شديد. أكمل «سناب» قائلاً: «بالنسبة للمقادير - أشار بعصاه - فهي على السبورة (ظهرت على السبورة)، وستجدون المقادير والمواد التي تحتاجونها - وهو يشيح بعصاه السحرية ثانية - في الخزانة (انفتح باب الخزانة) - ومعكم من الوقت ساعة ونصف لتحضير الوصفة.. ابدأوا».

وكما توقع «هاري» و«رون» و«هيرميون»، ما كان «سناب» ليقدر على تكليفهم بعمل وصفة أكثر صعوبة من هذه. كان يجب إضافة المقادير بترتيب معين، وبكميات دقيقة، ويجب تقليب الخليط على النار عدداً معيناً من المرات، أولاً مع اتجاه الساعة، ثم عكس اتجاه الساعة، وهكذا.. ثم خفض درجة حرارة الشعلة الموضوعة عليها القدور لعدد من الدقائق قبل إضافة المكون الأخير.

صاح «سناب» عندما لم يتبق أمامهم سوى عشر دقائق على انتهاء الوقت: «لابد وأن بخاراً فضياً خفيفاً يتصاعد من قدوركم الآن دليلاً على أن الوصفة صحيحة».

أجال «هاري» بصره في أرجاء الحجرة - وعرقه يتصبب في ارتباك. كان يتصاعد من قدره كميات مهولة من الدخان الرمادي الداكن. ومن قدر «رون» أخذت شرارات خضراء تنبعث، بينما «سيماس» يزيل بارتباك شرارات اللهب المتصاعدة من قاع قدره بطرف عصاه السحرية. أما قدر «هيرميون» فكان يتصاعد منه بخار فضي خفيف، وبينما «سناب» يمر فاحصاً وصفاتهم اتجه

بأنفه الكبير المعقوف إلى قدرها بلا تعليق، مما يعني أنه لم يجد فيه ما يمكنه انتقاده لكن عند قدر «هاري» توقف ونظر إليه وابتسامة سخرية قطيعة على وجهه. قال: «بوتر.. ترى ما هذا؟».

نظر طلاب فرقة «سليذرين» الواقفين في الصفوف الأولى من الفصل إليهما بلهفة، فقد كانوا يحبون رؤية «سناب» وهو يكدر «هاري».

قال «هاري» بتوتر: «محلول السلام».

قال «سناب» بنعومة: «أخبرني يا بوتر.. هل تستطيع القراءة؟».

ضحك «دراكو مالفوي».

قال «هاري» وأصابعه تتوتر حول عصاه السحرية: «أجل أستطيع».

«إذن اقرأ السطر الثالث من التعليمات من فضلك يا بوتر».

نظر «هاري» إلى السبورة، لم يكن من السهل القراءة وسط سحب البخار متعددة الألوان المتصاعدة من القدور لتملأ الفصل. لكنه قال: «أضف بعضاً من مسحوق حجر القمر، وقلب ثلاث مرات عكس اتجاه الساعة، ثم دع الخليط على النار سبع دقائق بلا تقليب، بعدها أضف نقطتين من شراب الكُندس..».

هوى قلبه بين ضلوعه، فهو لم يضف شراب الكُندس، وأضاف المكتوب بالسطر الرابع من التعليمات دون أن يترك الخليط على النار سبع دقائق بلا تقليب.

«هل فعلت المكتوب على السبورة بالضبط يا بوتر؟».

قال «هاري» بهدوء: «لا».

«عفواً؟».

قال «هاري» بصوت أعلى: «لا.. نسيت إضافة شراب الكُندس».

«أعرف أنك نسيت يا بوتر، وهو ما يعني أن هذا الخليط لا قيمة له. إيفانسكو».

اختفت محتويات قدر «هاري». فوقف بجانب قدره الخالي شاعراً بالبلاهة.

قال «سناب»: «من تمكن منكم من قراءة التعليمات، فليملأ قنينة بعينة من وصفته، ويكتب عليها اسمه بخط واضح، وليجلبها إلى مكتبي؛ حتى أختبرها. أما الواجب فهو كتابة مقال من اثني عشرة ورقة عن خصائص حجر القمر، واستعمالاته في عمل الوصفات السحرية، وسأتسلمه منكم يوم الخميس».

بينما الجميع ينفذون ما طلبه، أمسك «هاري» بحاجياته. لم تكن وصفته أسوأ من وصفة «رون»، والتي يتصاعد منها الآن رائحة بيض فاسد. أو وصفة

«نيفيل» التي بدت جامدة كالأسمنت المخلوط، مما اضطر الأخير لإخلاء قدره بيده. لكنه هو - «هاري» - من تلقى درجة الصفر على عمله اليوم. وضع عصاه السحرية في حقيبته المدرسية وجلس على مقعده، مراقبًا الجميع وهم يتقدمون من مكتب «سناب»، كلٌّ بقنينته المغلقة. وعندما ضرب الجرس أخيرًا، كان هو أول من خرج من الفصل والنفق، وبدأ في تناول غدائه في القاعة الكبرى، وعندما انضم إليه «رون» و«هيرميون»، كانت السماء ذات لون رمادي أكثر كآبة من الصباح، وأخذ المطر يتساقط على النوافذ العالية.

قالت «هيرميون» متعاطفة معه، وهي تجلس إلى جواره لتبدأ في أكل فطيرتها: «كان هذا ظلمًا بينًا.. وصفتك كانت في مثل سوء وصفة «جويل» عندما وضع قنينته على المكتب انفجرت متحطمة وتناثر السائل منها على عباءته فاشتعلت».

قال «هاري» محدقًا في طبقه: «أه.. أجل.. ومنذ متى و«سناب» عادل معي؟!». لم يجبه أيهما. كان ثلاثتهم يعرفون أن بين «سناب» و«هاري» عداوة متبادلة بدأت لحظة وطأت قدما «هاري» مدرسة «هوجورتس».

قالت «هيرميون» بصوت مليء بالحسرة: «حسبته سيكون أفضل معك هذا العام.. أعني.. أنت تعرف»، نظرت حولها بحذر فوجدت ستة مقاعد خالية إلى الجانبين فأضافت: «أعني بعد انضمامه للجماعة».

قال «رون» بحكمة: «على رأي المثل، الضفادع السامة لا تغير أبدًا من مواطن لدغاتها»[1]. كما أنني أرى «دمبلدور» مخطئًا؛ لأنه يثق في «سناب». ما هو الدليل على كفه عن التعاون مع الذي - تعرفه؟».

احتدت عليه «هيرميون» قائلة: «أعتقد أن لدى «دمبلدور» الكثير من الأدلة، حتى وإن لم يطلعك عليها يا «رون»».

فتح «رون» فمه ليجادلها، عندما قال «هاري»: «اصمتا»، صمتا وعلى وجهيهما علامات الغضب والإهانة. أضاف «هاري»: «ألا تقدران على الجلوس بهدوء قليلاً؟ أنتما دائما الشجار، وهذا سيودي بي إلى الجنون»، ثم وهو يبعد طبقه عنه رفع حقيبته المدرسية على ظهره وتركهما جالسين.

صعد السلم الرخامي، درجتين في الخطوة الواحدة، بجوار التلاميذ الذاهبين

(١) واضح أنه أحد أمثال السحرة في عالم هاري بوتر، وباعتبار رون من عائلة عريقة في السحر فهو يعرفه. والمقابل له في عاميتنا (ديل الكلب عمره ما يتعدل ولو علقوا فيه قالب). (المترجمة)

لتناول الغداء. شعر بالغضب الذي تدفق منه منذ لحظات ملتهبًا بداخله، ورؤية وجهي «رون» و«هيرميون» المندهشة المصدومة جعلته يشعر بإحساس عميق بالرضا. وقال لنفسه: هكذا.. هذا ما يستحقانه، لماذا لا يريحان نفسيهما قليلاً. وشجارهما هذا طوال الوقت لا يحتمل.. يجعل أي أحد يجأر طالبًا الرحمة.

عبر إلى جوار لوحة سير «كادوجان» الفارس عند منتصف السلم. شهر السير «كادوجان» سيفه وأخذ يلوح به بشراسة مواجهًا «هاري»، الذي تجاهله تمامًا.

صاح إليه سير «كادوجان» بصوت مكتوم من خلف خوذته التي تغطي وجهه: «عد أيها الكلب الرعديد! واجه مصيرك وحارب بشرف». لكن «هاري» ظل يسير، وعندما حاول سير «كادوجان» مطاردته عبر اللوحة المجاورة له، أرجعه ساكنها إلى لوحته، وهو ذئب عملاق غاضب دومًا.

قضى «هاري» باقي ساعة الغداء جالسًا وحده تحت نافذة البرج الشمالي، مما جعله أول الصاعدين على السلم الفضي المؤدي إلى فصل/برج «سيبيل تريلاوني» عندما ضرب الجرس.

بعد مادة الوصفات السحرية، كانت مادة التنجيم هي الأقل تفضيلاً عند «هاري»، والتي كانت كثيرًا ما تتنبأ خلالها الأستاذة «تريلاوني» بموته كل أسبوع تقريبًا. كانت امرأة نحيلة، ترتدي الكثير من الشالات، وحبات الخرز اللامعة، ولطالما رآها «هاري» أشبه بحشرة عملاقة، بعويناتها التي تضخم عينيها كثيرًا. كانت مشغولة بوضع نسخ من كتابها المجلد بالجلد القديم المهترئ على كل مائدة صغيرة في حجرتها عندما دخل «هاري» عليها.. لكن الضوء المنبعث خفيضًا واهنًا من المصابيح المغطاة بالقماش كان لا يكفي لاكتشافها قدومه، وهو يجلس في الظلال. وصل باقي الفصل خلال الدقائق الخمس التالية. صعد «رون» من الفتحة أعلى السلم التي تقود إلى الفصل البرجي، ونظر حوله بحذر حتى وجد «هاري» وتوجه إليه مباشرة، أو في مسار مباشر بقدر ما يسمح السير بين الموائد، والمقاعد، والطنافس الثقيلة.

قال جالسًا إلى جوار «هاري»: «كففت أنا و«هيرميون» عن الجدال».

قال «هاري»: «جيد».

قال «رون»: «لكن «هيرميون» تقول إنه من الأفضل لك ألا تنفس غضبك فينا». «أنا لا..».

قال «رون» مقاطعًا إياه: «أنا فقط أنقل لك رسالتها. لكني أراها محقة. ليس خطؤنا طريقة معاملة سيماس وسناب لك».

«أنا لم أقل أبدًا أ...».

قالت الأستاذة «تريلاوني» بصوتها الحالم الضبابي المعتاد: «يوم سعيد لكم» فصمت «هاري» شاعرًا بالانزعاج والخجل من نفسه. أضافت: «ومرحبًا بكم في مادة التنجيم. لقد تتبعت ما تذكره النجوم عنكم طوال الصيف، ويسرني عودتكم جميعًا إلى هوجورتس بسلام. وإن كنت أعرف بالطبع أنكم ستعودون بسلام من استشارتي للنجوم».

«ستجدون على الموائد نسخًا من كتاب (فصل الكلام في تفسير الأحلام) تأليف ابن إنيجو إيماجو. إن تفسير الأحلام من أهم أدوات استشراف المستقبل، وواحد من أهم اختباراتكم في شهادة الـ(أوه. دبليو. إل.). علمًا - بالطبع - بأن النجاح أو الفشل في الامتحانات ليست له أية أهمية عندما يتعلق الأمر بفن التنجيم المقدس. إن كان عندكم البصيرة، ومكشوف عنكم الحجاب. فالشهادات والدرجات لا تهم أبدًا أبدًا. لكن الناظر يريد أن تخضعوا لامتحان، لذا...».

سكتت عن الكلام، فشعر الطلاب بأن الأستاذة «تريلاوني»، وعن يقين، تعتبر مادتها أعلى من الأمور المادية، مثل الامتحانات.

«اقلبوا الصفحة من فضلكم إلى المقدمة، واقرأوا ما ذكره ابن إيماجو بشأن تفسير الأحلام. ثم انقسموا إلى مجموعات من اثنين، واستخدموا كتاب (فصل الكلام في تفسير الأحلام) في تفسير أحلامكم.. هيا».

الشيء الوحيد الجيد في هذا الدرس أنه لم يكن حصتين. مع انتهائهم من قراءة مقدمة الكتاب، لم يعد أمامهم سوى عشر دقائق لتفسير الأحلام. وعلى المائدة المجاورة لـ«هاري» و«رون» جلس «دين» مع «نيفيل»، الذي أخذ يتلو كابوسًا مخيفًا عن مقص عملاق يرتدي قبعة جدته. لكن «هاري» و«رون» لم يفعلا أكثر من التحديق في أحدهما الآخر.

قال «رون»: «لا أتذكر أحلامي أبدًا. اذكر أنت حلمك».

قال «هاري» بنفاد صبر: «لابد وأنك تذكر أحدها».

ما كان ليشارك أحلامه مع أحد. كان يعرف تمام المعرفة معنى كابوسه المتكرر حول المقابر. ولم يكن بحاجة إلى «رون» أو «تريلاوني» أو كتاب (فصل الكلام في تفسير الأحلام) الغبي ليخبره.

قال «رون» ناظرًا للسقف كأنه يتذكر: «حسنًا. حلمت بأنني ألعب الكويدتش.. ماذا يعني هذا في رأيك؟».

قال «هاري» مقلبًا في صفحات (فصل الكلام في تفسير الأحلام) في غير اهتمام: «على الأرجح ستأكلك وحوش البحر أو شيء من هذا القبيل». كان مجهود البحث في الكتاب عن أجزاء من الأحلام مجهودًا مضنيًا. ولم يشعر «هاري» بالسرور عندما طالبتهم الأستاذة «تريلاوني» بكتابة سجل بأحلامهم لمدة شهر كواجب. عندما ضرب الجرس كان هو و«رون» أول من يهبط السلم. و«رون» يقول متذمرًا: «هل تدرك حجم الواجب الذي كلفنا به إلى الآن؟ بينز طالبنا بكتابة مقال بطول قدم ونصف القدم عن حروب العمالقة، وسناب يريد رقعة ورق بطول القدم عن خصائص واستعمالات حجر القمر. والآن تريدنا تريلاوني أن نكتب سجلاً لأحلامنا لمدة شهر! فريد وجورج لم يكونا مخطئين بشأن سنة الـ(أوه. دبليو. إل.). أرجو ألا تعطينا تلك المرأة أمبريدج أي واجب».

عندما دخلا فصل مادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود وجدا الأستاذة «أمبريدج» جالسة إلى مكتب الأستاذ، مرتدية سترة الليلة الماضية الصوفية، وغطاء رأس أسود مخمليًا على رأسها. فتذكر «هاري» ثانية - وبقوة - صورة لحشرة عملاقة جالسة - وبالتهور - فوق رأس ضفدع عملاق.

دخل التلاميذ بهدوء إلى الفصل. فالأستاذة «أمبريدج» ما زالت مجهولة بالنسبة إليهم، ولا يعرف أحد مدى صرامتها أو تساهلها في الفصل.

قالت عندما دخل جميع الطلاب: «مساء الخير».

غمغم البعض: «مساء الخير» ردًا عليها.

قالت الأستاذة «أمبريدج»: «(تز تز). هذا الرد لا ينفع. أليس كذلك؟ أرجوكم كرروا «مساء الخير» ثانية يا أولاد».

قال الفصل في صوت موسيقي واحد: «مساء الخير يا أستاذة أمبريدج».

قالت الأستاذة «أمبريدج» باستمتاع: «آه.. جميل. لم يكن هذا صعبًا، أليس كذلك؟ أبعدوا العصي السحرية، وأخرجوا قناني الحبر وريشات الكتابة من فضلكم».

تبادل بعض التلاميذ نظرات متجهمة. فأمر «أبعدوا العصي السحرية» لم يصدر أبدًا في مادة من المفترض أنها مثيرة ومسلية. أعاد «هاري» عصاه إلى حقيبته وأخرج ريشة الكتابة، والحبر ورقعة ورق. فتحت الأستاذة «أمبريدج»

حقيبتها، وأخرجت منها عصاها، وكانت قصيرة على غير عادة العصى السحرية، وطرقت بها ثلاث طرقات، فظهرت كلمات على السبورة:

فنون الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود

مدخل إلى المبادئ الأساسية

قالت الأستاذة وهي تلتفت لتواجه الفصل وعصاها مرفوعة برشاقة في يدها، مشهرة أمام وجهها: «كان تدريس هذه المادة على مر الأعوام الماضية غير جيد بالمرة، لما لاقته من تفكك وتغير في المدرسين. أليس كذلك؟ التغير الدائم في المدرسين، ومنهم من لم يتبعوا المناهج المدرسية التي وضعتها الوزارة، نتج عنه تأخركم في المادة، وهو ما سيظهر في نتائج اختبارات الـ(أوه. دبليو. إل) هذا العام.

«لكن سيسركم معرفة أن هذه المشكلات قيد العلاج. فنحن الآن نتبع التعليمات بحرص، مستندين في التدريس على الجانب النظري، وعلى منهج الوزارة الخاص بالسحر الدفاعي. من فضلكم اكتبوا هذا».

طرقت السبورة ثانية، فاختفت الكلمة الأولى واستبدلت بكلمة: «أهداف المنهج الدراسي»:

١. فهم *المبادئ الحاكمة للسحر الدفاعي*.

٢. معرفة *المواقف التي يكون السحر الدفاعي فيها قانونيًا*.

٣. فهم كيف يمكن استخدام *مبادئ السحر الدفاعي استخدامًا عمليًا*.

امتلأت الحجرة لدقيقتين بأصوات احتكاك ريشات الكتابة برقع الورق. عندما انتهى الجميع من نسخ أهداف الأستاذة «أمبريدج» الثلاثة، سألتهم: «هل مع الجميع نسخة من كتاب (نظرية السحر الدفاعي) لويلبورت سلينكهارد؟».

تصاعدت غمغمة جماعية موافقة من الفصل.

قالت الأستاذة «أمبريدج»: «سأقولها ثانية.. عندما أسأل سؤالاً أحب تلقي إجابة: أجل يا أستاذة أمبريدج، أو: لا يا أستاذة أمبريدج.. لذا: هل مع الجميع نسخة من كتاب (نظرية السحر الدفاعي) لويلبورت سلينكهارد؟».

رنت كلمات: «أجل يا أستاذة أمبريدج» عبر الحجرة.

قالت الأستاذة «أمبريدج»: «جيد.. أريدكم أن تفتحوا الكتاب على الصفحة الخامسة.. الفصل الأول.. المبادئ للمبتدئين.. ولا حاجة بنا للثرثرة».

ابتعدت الأستاذة «أمبريدج» عن السبورة واستقرت في مقعدها خلف مكتب المدرسين، لتراقبهم بحرص بعينيها الضفدعيتين. فتح «هاري» نسخته من كتاب (نظرية السحر الدفاعي) على الصفحة الخامسة، وشرع في القراءة.

كان الكتاب شديد الإثارة للملل، مثل الاستماع للأستاذ «بينز». شعر بتركيزه ينسحب منه، وكان قد قرأ نفس السطر ستة مرات دون أن يفهم أكثر من أول بضع كلمات. بعد مرور دقائق من الصمت شعر بـ«رون» إلى جواره يهز ريشته بذهن غائب، محدقًا في نفس الجزء من الصفحة. نظر «هاري» إلى يمناه، ليتلقى مفاجأة أخرجته من حالة تبلده: لم تفتح «هيرميون» الصفحة الخامسة حتى، وكانت تنظر بثبات إلى الأستاذة «أمبريدج» ويدها مرفوعة في الهواء.

لم يتذكر «هاري» أبدًا سابقة تجاهل «هيرميون» لأمر بالقراءة عندما تؤمر، أو مقاومة إغراء فتح أي كتاب يقع تحت يديها. نظر إليها نظرة متسائلة، لكنها هزت رأسها دليلاً على أنها لن تجيب على أي أسئلة، واستمرت في النظر إلى الأستاذة «أمبريدج»، التي كانت تنظر في اتجاه آخر بنفس الثبات.

بعد مرور بضع دقائق لم يكن «هاري» هو الوحيد الذي يراقب «هيرميون». كان الفصل الذي طلبت منهم قراءته مملاً حتى إن عددًا أكبر وأكبر من الطلاب اختار مشاهدة محاولة «هيرميون» الصامتة لجذب انتباه الأستاذة «أمبريدج»، بدلاً من المجاهدة وحمل النفس على فهم فصل (المبادئ للمبتدئين).

عندما أصبح نصف الفصل ينظر إلى «هيرميون» بدلاً من قراءة كتبهم، بدا أن الأستاذة «أمبريدج» قد قررت عدم تجاهل الموقف أكثر من هذا. سألت «هيرميون» كأنها قد لاحظت رفعها ليدها لتوها: «هل تريدين الاستفسار عن شيء ما في هذا الفصل من الكتاب يا عزيزتي؟».

قالت «هيرميون»: «ليس في هذا الفصل».

قالت الأستاذة «أمبريدج» كاشفة عن أسنانها الصغيرة الحادة: «لكننا بدأنا في قراءته منذ قليل. إن كان لديك أسئلة عن أشياء أخرى فانتظري لنهاية الحصة».

قالت «هيرميون»: «بل استفساري عن أهداف المنهج».

رفعت الأستاذة «أمبريدج» حاجبيها، وقالت: «واسمك هو؟».

قالت «هيرميون»: «هيرميون جرانجر».

قالت الأستاذة «أمبريدج» بصوت تعمدت أن يكون حلوًا: «حسنًا يا آنسة جرانجر، أعتقد أن أهداف المنهج واضحة تمامًا لمن يقرأها بانتباه».

قالت «هيرميون»: «لكنها غير واضحة لي، ليس بالأهداف أي ذكر لاستعمال تعاويذ سحرية دفاعية».

سادت برهة من الصمت حول فيها بعض التلاميذ رءوسهم ناظرين لأهداف المنهج الثلاثة المكتوبة على السبورة.

كررت الأستاذة «أمبريدج» الكلمات الأخيرة وضحكة قصيرة تتردد مع كلماتها: «استعمال تعاويذ سحرية دفاعية؟ لماذا؟ لا أتوقع أن يحدث موقف ما في فصلي يدفعك لاستعمال تعويذة دفاعية يا آنسة جرانجر، بالطبع لا تتوقعي وقوع هجوم علينا أثناء الدرس».

تساءل «رون» بصوت مرتفع: «ألن نستخدم السحر؟».

«التلاميذ في فصلي يرفعون أيديهم أولاً قبل الكلام يا سيد...؟».

قال «رون» رافعًا يده في الهواء: «ويزلي».

أعطته الأستاذة «أمبريدج» ظهرها وابتسامتها تتسع. رفع كل من «هاري» و«هيرميون» أيديهما هما الآخرين على الفور. تعلقت عينا الأستاذة «أمبريدج» للحظة على «هاري» قبل أن تخاطب «هيرميون» قائلة: «أجل يا آنسة جرانجر. هل تريدين الاستفسار عن شيء آخر؟».

قالت «هيرميون»: «أجل. بالطبع فكرة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود هي التدريب على التعاويذ الدفاعية. أليس كذلك؟».

سألتها الأستاذة «أمبريدج» بصوتها الحلو الزائف: «وهل أنت خبيرة تعليم من الوزارة يا آنسة جرانجر؟».

«لا، لكن...».

«حسنًا إذن. أراك غير مؤهلة لتقرير فكرة أي درس من الدروس لأي مادة مدرسية. هناك سحرة أكبر منك سنًا وأكثر منك مهارة وخبرة يضعون البرامج الدراسية للطلاب. ستتعلمين التعاويذ الدفاعية بطريقة آمنة، بلا مخاطر...».

قال «هاري» بصوت مرتفع: «وما الفائدة إن تعرضنا للهجوم، لن يكون هذا...».

قالت الأستاذة «أمبريدج» بنبرة كالغناء: «ارفع يدك يا سيد بوتر».

رفع «هاري» قبضته في الهواء، ومرة أخرى التفتت الأستاذة «أمبريدج» بعيدًا عنه، لكن هذه المرة رفع البعض أيديهم هم الآخرون

سألت الأستاذة «أمبريدج» «دين»: «وما اسمك؟».

«دين توماس».

«وما سؤالك يا سيد توماس؟».

قال «دين»: «كما قال هاري، إن تعرضنا للهجوم، فلن نكون في مأمن من شيء».

قالت الأستاذة «أمبريدج» مبتسمة بطريقة بغيضة لـ «دين»: «أكرر على مسامعك، هل تتوقع هجومًا خلال تدريسي لهذه المادة؟».

«لا، لكن...».

قاطعته الأستاذة «أمبريدج» قائلة: «لا أريد انتقاد أسلوب إدارة المدرسة» وابتسامة غير مقتنعة بالمرة ترتسم على وجهها. أضافت: «لكنكم تعرضتم لتدريس بعض السحرة غير المسئولين في هذه المادة، غير مسئولين بالمرة، دعك من أن بعضهم من المتحولين الخطرين» أضافت العبارة الأخيرة بضحكة قصيرة كريهة.

قال «دين» بغضب: «هل تعنين الأستاذ لوبين؟ كان أفضل مدرس لـ...».

«ارفع يدك يا سيد توماس! كنت أقول إنكم قد تعرفتم على التعاويذ المعقدة الصعبة على سنكم، كما أنها مميتة. أخافوكم وجعلوكم تصدقون أنكم قد تتعرضون لهجمات من السحر الأسود كل بضعة أيام».

قالت «هيرميون»: «لا لم يحدث، فقط لم...».

أشاحت الأستاذة «أمبريدج» عنها قائلة: «يدك ليست مرفوعة يا آنسة جرانجر» ثم أضافت: «ما فهمته هو أن المدرسين السابقين عليّ لم يؤدوا تعاويذ خطرة فقط أمامكم، بل أيضًا جعلوكم تجربونها بأنفسكم في الصف الثاني».

قال «دين» بحرارة: «فعلاً لكن اتضح بعدها أنه مجنون. أليس كذلك؟ لكننا تعلمنا منه الكثير».

قالت الأستاذة «أمبريدج»: «يدك ليست مرفوعة يا سيد توماس. والآن، عرفوا رأي الوزارة، وهو يتلخص في أن المعرفة النظرية أكثر من كافية حتى تنجحوا في الامتحانات، وهذا هو الغرض من المدرسة في نهاية الأمر. وما اسمك؟» أضافت السؤال الأخير مخاطبة «بارفاتي» التي رفعت يدها منذ لحظة.

«بارفاتي باتيل. أليس الجزء العملي من مادة الدفاع مطلوب لاجتياز

امتحان الـ(أوه دبليو إل)؟ أليس من المفترض أن يتم اختبارنا فى كيفية أداء التعاويذ المضادة لهذه الأشياء؟».

قالت الأستاذة «أمبريدج» بغرض إنهاء الموضوع: «إن درست المادة نظريًا بصورة جيدة، فلم لن تكوني قادرة على أداء التعاويذ فى قاعة الامتحانات المؤمَّنة جيدًا؟».

سألت «بارفاتي» بدهشة: «بدون أي تدريب سابق؟ هل تقولين أن المرة الأولى التى نؤدى فيها التعاويذ ستكون أثناء الامتحان؟».

«أكرر لك، مع دراستك النظرية الجيدة ستكونـ..».

قال «هارى» بصوت مرتفع ويده فى الهواء ثانية: «وما فائدة النظرية فى العالم الواقعي؟».

نظرت الأستاذة «أمبريدج» لأعلى، وقالت بنعومة: «هذه مدرسة يا سيد بوتر، وليست العالم الواقعي».

«إذن أليس علينا التجهيز لما سنجده بالعالم عندما نتخرج من هنا؟».

«لن تجد شيئًا ذا بال بالخارج يا سيد بوتر».

قال «هارى» وحالته المزاجية تسوء، بعد توتره المُستمر طوال اليوم، كأن أعصابه تغلى وعلى وشك الانفجار: «حقًا؟».

سألته الأستاذة «أمبريدج» بصوت مدهون مصطنع الحلاوة: «ومن تظنه يهاجم أطفالاً ظرفاء مثلك؟».

قال «هارى» بعمق كأنه يفكر، ساخرًا منها: «إمم.. دعيني أفكر.. ربما.. لورد فولدمورت؟».

شهق «رون»، وصدر عن «لافندر براون» صرخة قصيرة، وسقط «نيفيل» من مقعده، لكن الأستاذة «أمبريدج» لم تطرف. أخذت تحدق فى «هارى» وتعبير راضٍ مرتسم على وجهها، وقالت: «خصم عشر نقاط لفرقة جريفندور يا سيد بوتر».

ساد الصمت الفصل. كان الجميع إما ينظر إلى «أمبريدج» أو إلى «هارى».

قالت الأستاذة «أمبريدج» وهى تقف مائلة عليهم ويداها ذات الأصابع القصيرة ثابتة على مكتبها: «والآن دعوني أوضح بعض الأمور.. لقد أخبروكم أن ساحرًا ما قد عاد من الموت..».

قال «هارى» بغضب: «لم يكن ميتًا.. لكنه عاد فعلاً».

قالت الأستاذة «أمبريدج» على نفس واحد دون النظر إليه: «سيد - بوتر - لقد - تسببت - بالفعل - فى - خسارة - فرقتك - عشر - نقاط - فلا - تسبب - لنفسك - مشكلات - أخرى» ثم أضافت: «كما كنت أقول.. لقد أخبروكم أن ساحرًا ما قد عاد قويًا ثانية، وهذه كذبة».

قال «هارى»: «بل ليست كذبة.. أنا رأيته، وقاتلته».

قالت الأستاذة «أمبريدج» بنبرة ظافرة: «عقاب بالاحتجاز لك يا سيد بوتر. احضر إلى مكتبي مساء الغد الساعة الخامسة. وأكرر إنها كذبة. وزارة السحر تضمن لكم أنكم لستم فى خطر من أى ساحر أسود. إن كنتم لا تزالون قلقين، تعالوا وزوروني فى مكتبي فى أى وقت. وأى أحد ينشر إشاعات عن بعث سحرة سود، فأخبروني فورًا. أنا هنا لمساعدتكم. أنا صديقتكم. والآن.. هيا نكمل القراءة.. الصفحة الخامسة، فصل (المبادئ للمبتدئين)».

جلست الأستاذة «أمبريدج» خلف مكتبها لكن «هارى» وقف. نظر الجميع إليه، ونظرة «سيماس» بين الخوف والدهشة.

همست «هيرميون» بنبرة تحذيرية وهى تشده من أكمامه: «لا يا هارى» لكن «هارى» تخلص من قبضتها مبعداً يده عنها. وتساءل وصوته يرتجف: «إذن طبقًا لكلامك سقط سيدريك ديجورى ميتًا دون أن يمسسه أحد.. أليس كذلك؟».

صدر عن الفصل شهقة جماعية؛ حيث لم يسمع أي منهم - بخلاف «رون» و«هيرميون» - «هارى» وهو يتحدث عما حدث ليلة قتل «سيدريك». حدقوا فيه بشدة وفى الأستاذة «أمبريدج»، التى رفعت عينيها، ورمقته ببصرها وعلى وجهها بقايا من ابتسامتها الزائفة. وقالت ببرود: «كان موت سيدريك ديجورى حادثًا مؤسفًا».

قال «هارى»: «بل كان جريمة قتل» شعر بنفسه يرتجف. لم يتحدث فى هذا الموضوع سوى قليل، ولم يسمعه الأشخاص الثلاثون الموجودون بالحجرة أبدًا يذكره. أضاف: «قتله فولدمورت وأنت تعرفين هذا».

انسحب أى تعبير عن وجه الأستاذة «أمبريدج». وللحظة، حسبها «هارى» ستنفجر بالصراخ فى وجهه. ثم قالت بأنعم صوت لديها وأكثره شبهًا بأصوات البنات الصغيرات: «تعال هنا يا عزيزى بوتر».

ركل مقعده بعيداً عنه، وتقدم من خلف «رون» و«هيرميون» ووقف عند

مكتبها. شعر بباقي الفصل محبوس الأنفاس وراءه. أحس بالغضب حتى إنه لم يكترث لما قد يحدث بعدها.

أخرجت الأستاذة «أمبريدج» رقعة ورق وردية من حقيبتها، وفضتها على المكتب، ثم دبت سن ريشتها في قنينة الحبر وأخذت تكتب، وهي مائلة على الورقة حتى لا يرى «هاري» ما تكتبه. لم ينطق أحد. بعد دقيقة لفت الورقة وطرقتها بعصاها السحرية فأغلقت الورقة نفسها بإحكام حتى لا يفتحها

قالت وهي ترفع الورقة إليه: «خذ هذه إلى الأستاذة مكجونجال يا عزيزي».

أخذها منها دون أن ينطق، ودار على عقبيه مغادراً الحجرة، دون حتى أن يلتفت إلى «رون» و«هيرميون»، وأوصد الباب خلفه. سار بسرعة عبر الممر، والورقة الموجهة للأستاذة «مكجونجال» في يده قابضاً عليها بإحكام، وعندما انحرف عند ركن في الممر وجد الشبح «بيفيس البولترجايشت»[1]، وهو شبح لرجل قصير واسع الفم - يسري في الهواء نائماً على ظهره وهو يلعب ببعض قناني الحبر ملقياً بها في الهواء كلاعب (الأكروبات).

قال «بيفيس» سامحاً لقنينتي حبر بالسقوط على الأرض لتتحطما بصوت مسموع ويتناثر الحبر على الجدران: «ياه! معقول؟ بوتر حبيبتي؟» فقفز «هاري» مبتعداً عن الحبر المتناثر، وقال زاجراً إياه: «ابتعد عني يا بيفيس».

قال «بيفيس» مطارداً «هاري» عبر الممر، ناظراً إليه بطرف عينه وهو يسري إلى جانبه: «ياه! هاري المجنونة جاءها الحالة. ما المشكلة هذه المرة يا صديقي وحبيبي بوتر؟ هل تسمع أصواتاً؟ هل ترى رؤى؟ هل تتحدث بلغات غريبة دون أن تشعر؟».

صاح «هاري» وهو يهبط على أقرب سلم إليه: «قلت لك ابتعد عني»، لكن «بيفيس» انزلق على درابزين السلم على ظهره إلى جوار «هاري»، وهو يغني:

«بوتر حبيبتي تصرخ (غضبانة)

لكن من يعرفها - حبيبتي - يعرف أنها (زعلانة)

لكن بيفيس يعرف أنها فعلاً ويجد مجنونة أكثر من البانجانة..».

(١) بولترجايشت: هي صفة لنوع من الأشباح المفترض فيها القدرة على تحريك الأشياء، وأن لها وجوداً مادياً، على عكس الأشباح العادية التي لا تقدر على لمس أي شيء، وكذلك تشير الكلمة إلى خاصية ميتافيزيقية هي التحريك اللا إرادي للأشياء عن بعد. (المترجم)

«اصمت».

انفتح باب إلى يسراه وخرجت الأستاذة «مكجونجال» وعلى وجهها العبوس والضيق.

قالت بحدة و«بيفيس» يطير مبتعداً مسروراً ضاحكاً: «لماذا تصيح يا بوتر؟ لماذا لست في فصلك؟».

قال «هاري» بجمود: «أرسلت إليك».

«أُرسلت؟ ماذا تقصد بأرسلت؟».

مدّ يده بورقة الأستاذة «أمبريدج». أخذتها منه الأستاذة «مكجونجال» مقطبة الجبين، وفتحتها بطرقة من عصاها السحرية، ثم فضتها وبدأت في قراءتها. أخذت عيناها تمران من جانب إلى الآخر من خلف عويناتها المربعة وهي تقرأ ما كتبته «أمبريدج»، ومع كل سطر يضيق ما بين عينيها أكثر وأكثر.

«ادخل يا بوتر».

تبعها إلى داخل فصلها الخالي. أغلق الباب وحده خلفه.

قالت ملتفتة إليه: «هل هذا حق؟».

سألها بعدوانية أكثر مما انتوى: «ماذا تقصدين؟»، ثم بنبرة أرأفها أكثر نهاية «يا أستاذة؟».

«هل حقاً أنك قد صحت في الأستاذة أمبريدج؟».

قال «هاري»: «أجل».

«هل قلت إنها كاذبة؟».

«أجل».

«هل قلت لها إن - من - لا - يجب - ذكر - اسمه قد عاد؟».

«أجل».

جلست الأستاذة «مكجونجال» خلف مكتبها، وأخذت تراقبه. ثم قالت: «خذ (بسكوتة) يا هاري».

«آخذ ماذا؟».

كررت كلامها بنفاد صبر مشيرة إلى علبة على مكتبها مستقرة فوق كومة من الأوراق: «خذ (بسكوتة)، واجلس».

تذكر «هاري» سابقة واحدة، بدلاً من أن تعاقبه فيها الأستاذة

«مكجونجال» جعلته لاعبًا فى فريق «جريفندور» للكويدتش». جلس فى المقعد المقابل لها وأكل بسكوتة على شكل سحلية حمراء، شاعرًا بالارتباك.

جلست الأستاذة «مكجونجال» وورقة الأستاذة «أمبريدج» أمامها، ناظرة إلى «هارى» بجدية شديدة.

«بوتر.. عليك بالحذر».

ابتلع «هارى» ما بفمه من حلوى وحدق فيها. كانت نبرة صوتها غير التى يعرفها بالمرة.. لم تكن سريعة، وحادة، وصارمة.. كان صوتها منخفضًا وقلقًا، وأكثر إنسانية مما اعتاده.

«سوء السلوك فى حصة دولوريس أمبريدج قد يكلفك ما هو أكثر من خصم النقاط والعقاب بالاحتجاز».

«ماذا تعنين؟».

قالت الأستاذة «مكجونجال» بحدة وقد عادت إلى أسلوبها المعتاد: «بوتر! فكر بعقلك.. أنت تعرف من أين جاءت، ولا بد أنك تعرف من هو رئيسها الذى تبلغه بما يحدث».

ضُرب الجرس معلنًا نهاية الحصة. ومن فوقهم ومن كل مكان جاءتهم أصوات مئات الطلبة وهم يتحركون.

قالت الأستاذة «مكجونجال» ناظرة إلى ورقة «أمبريدج» ثانية: «تقول إنها ستعاقبك بالاحتجاز كل أمسيات هذا الأسبوع، بداية من الغد».

كرر «هارى» ما ذكرته برعب: «كل أمسيات هذا الأسبوع؟ لكن يا أستاذة.. ألا يمكنك..؟».

قالت الأستاذة «مكجونجال» بصوت رتيب: «لا.. لا يمكننى».

«لكن..».

«إنها معلمتك، ولها الحق فى عقابك. ستذهب إلى حجرتها غدًا فى تمام الساعة الخامسة للمرة الأولى، وتذكر: تصرف بحرص مع دولوريس أمبريدج».

قال «هارى» غاضبًا: «لكننى كنت أقول الحقيقة.. فولدمورت عاد، وأنت تعرفين هذا.. والأستاذ دمبلدور يعرف..».

عدلت الأستاذة «مكجونجال» من وضع عويناتها بغضب بعد أن أجفلت من ذكر الاسم: «بحق السماء يا بوتر.. هل حقًا ترى الموضوع متعلقًا بالكذب والصدق؟ إننى أطالبك بالحرص، والحفاظ على هدوء أعصابك».

وقفت وفمها المزموم ليس أكثر من خط رفيع، ثم وقف «هارى» هو الآخر. قالت باستعاض ملقية بالعلبة إليه: «خذ (بسكوتة) أخرى».

قال «هارى» ببرود: «لا.. أشكرك».

قالت بحدة: «لا تكن سخيفًا».

قال متذمرًا: «شكرًا».

«ألم تسمع خطبة دولوريس أمبريدج فى مأدبة بداية الفصل يا بوتر؟».

قال «هارى»: «بلى.. قالت.. قالت إن التقدم يجب إيقافه.. أعنى.. معنى هذا أن وزارة السحر تحاول التدخل فى هوجورتس».

تفحصته الأستاذة «مكجونجال» ببصرها للحظة، ثم دارت حول مكتبها وفتحت الباب قائلة: «جيد.. يسرنى أنك تسمع ما تقوله هيرميون جرانجر» وهى تشير إليه ليخرج من الحجرة.



١٢ عقاب دولوريس

لم يكن العشاء تلك الليلة في القاعة الكبرى ساراً بالنسبة لـ«هاري». تناقلت أخبار صياحه في وجه «أمبريدج» بسرعة فائقة، حتى مقارنة بمعايير سرعة نقل الأخبار في «هوجورتس». سمع الهمسات من حوله وهو و«رون» و«هيرميون» جلوس يأكلون. والمدهش أن أياً من الهامسين لم يهتم بإخفاء صوته، ولم يمانعوا جميعاً في أن يسمع «هاري» ما يقولونه عنه. على النقيض، بدا كأنهم يأملون أن يثور ويصيح ثانية، ليسمعوا القصة منه.

«يقول إنه رأى سيدريك ديجوري وهو يُقتل..»

«يتخيل أنه قاتل الذي - تعرفه..»

«هراء..»

«هل يظن أنه سيخدعنا؟»

«كلام غريب..»

قال «هاري» بغيظ: «ما لا أفهمه هو لماذا صدقوا القصة منذ شهرين عندما تلاها دمبلدور..» وهو يلقي بشوكته، ويده ترتجف.

قالت «هيرميون» بعبوس: «المشكلة يا هاري أنني لست واثقة من تصديقهم للقصة.. دعنا نخرج من هنا».

ألقت شوكتها وسكينتها. نظر «رون» بحسرة إلى نصف فطيرة التفاح الباقية أمامه، لكنه فعل مثلها. نظر إليهم التلاميذ وهم سائرون إلى خارج القاعة.

سأل «هاري» «هيرميون» عندما وصلوا إلى الطابق الأول: «ماذا تقصدين بأنك لست واثقة أنهم صدقوا قصة دمبلدور؟»

قالت «هيرميون» بهدوء: «أنت لا تفهم كيف كان الحال وقتها.. ظهرت في منتصف الفناء حاملاً جثة «سيدريك».. لم نر ما حدث في المتاهة.. لم يكن أمامنا سوى كلمة دمبلدور بأن الذي - تعرفه قد عاد وقتل سيدريك وأنك قاتلته».

قال «هاري» بصوت مرتفع: «وهذه هي الحقيقة».

قالت «هيرميون» متعبة: «أعرف يا هاري. هلا كففت عن مهاجمتي هكذا؟ المسألة أنه وقبل استقرار الحقيقة في نفوس الناس، عاد الجميع إلى البيوت، حيث أمضوا شهرين في الإجازة الصيفية يقرأون عن جنونك وعن شيخوخة «دمبلدور»».

ظل «رون» يضرب بيده أطر النوافذ وهم في طريقهم عبر الممرات الخالية إلى برج «جريفندور». شعر «هاري» كأن يومه الأول بدأ منذ أسبوع ولم ينته، ولكن كان أمامه أحمال من الواجب قبل أن ينام. شعر بألم مزعج فوق عينه اليمنى. حدق من النافذة المغسولة بالأمطار نحو الظلام الخارجي، وهم ينعطفون إلى ممر السيدة البدينة. لم يكن هناك أي ضوء في كابينة «هاجريد».

قالت «هيرميون» قبل أن تتكلم السيدة البدينة: «ميمبولوس ميمبليتونيا» وانفتحت اللوحة كاشفة عن الكوة من خلفها، فدخل ثلاثتهم عبرها.

كانت حجرة الطلبة شبه خالية.. فالجميع مازالوا يتناولون العشاء بالأسفل. نزل «كروكشانكس» عن مقعده وقابلهم، وعندما جلس ثلاثتهم على مقاعدهم المفضلة إلى جوار المدفأة قفز بخفة إلى حجر «هيرميون» ونام. نظر «هاري» إلى ألسنة اللهب، شاعراً بالتعب والإرهاق

صاحت «هيرميون» فجأة: «كيف يدع «دمبلدور» كل هذا يحدث؟» بانزعاجهما، وقفز «كروكشانكس» مبتعداً عنها. ضربت مسندي مقعدها بغضب، حتى إن قطعاً صغيرة من حشو المقعد طارت من الثقوب في قماش التنجيد. «كيف يسمح لهذه المرأة الكريهة بالتدريس؟ وفي سنة شهادة الـ(أو. دبليو. إل.) أيضاً؟»

قال «هاري»: «الواقع أننا لم نحظ أبداً بمعلمين جيدين لمادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود.. أليس كذلك؟ أنت تعرفين حال هذه المادة، كما أخبرنا «هاجريد»، فلا أحد يريد هذه الوظيفة. يقولون إنها منحوسة بفعل فاعل».

«أجل.. لكن كيف يُوظف من يرفض تعليمنا السحر العملي؟ إلام يرمي «دمبلدور»؟»

قال «رون» بتجهم: «وتحاول جعل الطلاب يتجسسون لصالحها.. هل تذكران عندما قالت إنها تريدنا أن نخبرها بما نسمعه إن قال أحد إن من - تعرفانه قد عاد؟»

قالت «هيرميون» بحدة: «بالطبع هي هنا لتتجسس علينا. هذا واضح. وإلا لماذا أراد لها فادج الحضور؟».

قال «هاري» بتعب و«رون» يفتح فمه ليرد عليها: «لا تبدأا في الجدال ثانية. لم لا. لم لا تعمل الواجب ونرفع عبئه عن كاهلنا؟».

أحضروا حقائبهم المدرسية من ركن الحجرة وعادوا إلى المقاعد المجاورة للمدفأة. أخذ الطلاب يتوافدون بعد انتهاء العشاء. أبقى «هاري» وجهه بعيداً عن كوة اللوحة، لكنه شعر بالنظرات التي يجذبها إليه.

قال «رون» وهو يضع طرف ريشته في قنينة الحبر: «هلا بدأنا بواجب سناب أولاً؟ خصائص حجر القمر واستخداماته في عمل الوصفات السحرية»، أضاف العبارة الأخيرة مغمغماً وهو يكتب الكلمات التي ينطقها عند طرف ورقته العلوي. وبعد أن انتهى من العنوان قال: «ها نحن» ناظراً إلى «هيرميون».

«إذن فما هي خصائص حجر القمر واستخداماته في عمل الوصفات السحرية؟».

لكن «هيرميون» لم تعره انتباهاً. كانت تحدق في الركن البعيد من الحجرة حيث جلس «فريد» و«جورج» و«لي جوردن» وسط مجموعة من تلاميذ الصف الأول الأبرياء، الذين يمضغون شيئاً أخرجه «فريد» من حقيبة ورقية كبيرة بيده.

قالت واقفة والغضب يملأ ملامحها: «لا. آسفة. هذا كثير. تعال يا رون».

قال «رون» وهو يحاول استنفاد الوقت بصورة مفضوحة: «أ.. ماذا؟ لا. اهدئي يا هيرميون. لا يمكن ألا نمنعهم من أخذ الحلوى منهم».

«أنت تعرف تمام المعرفة أن هذه قطع نوجة نزيف الأنف، أو علكة التقيؤ أو...».

اقترح عليها «هاري» بهدوء: «حلوى الإغماء؟».

واحداً وراء الآخر، كأن هناك شخصاً خفياً يضربهم بمطرقة على الرأس، أخذ تلاميذ الصف الأول يتساقطون مغشياً عليهم في مقاعدهم. بعضهم انزلق من مقعده، وبعضهم علق ذراعيه بالمقعد. راقب معظم الحضور ما حدث وهم يضحكون. لكن «هيرميون» تقدمت بخطى ثابتة شجاعة إلى حيث وقف «فريد» و«جورج» يراقبان الأولاد الغائبين عن الوعي. قام «رون» من مقعده، ثم تردد، ثم قال لـ«هاري»: «الموقف تحت سيطرتها» قبل أن يجلس محاولاً الاختفاء بقدر ما يسمح له جسده الطويل النحيل.

قالت «هيرميون» بغلظة لكل من «فريد» و«جورج» اللذان اندهشا: «هذا يكفي».

قال «جورج» وهو يومئ برأسه: «أجل، أنت محقة. هذه الجرعة قوية جداً».

«قلت لكما هذا الصباح إنه ليس بإمكانكما اختبار هذه الألعاب السخيفة على التلاميذ».

قال «فريد» بكبرياء: «لكننا ندفع لهم أجرهم».

«لا يهمني، الأمر خطير». فقال «فريد»: «ليس خطيراً. كلامك هراء».

قال «لي» مهدئاً إياها، محاولاً حملها على الثقة في تجاربهم: «اهدئي يا هيرميون». وهو ينتقل من تلميذ إلى تلميذ من أولاد الصف الأول، واضعاً حلوى بنفسجية في أفواههم.

قال «جورج»: «أجل، انظري، إنهم يفيقون».

أخذ بعض أولاد الصف الأول في استعادة الوعي. بعضهم بدا مصدوماً عندما وجد نفسه على الأرض، أو معلقاً من مقعده، فعرف «هاري» أن «فريد» و«جورج» لم يحذروهم مما ستفعله الحلوى بهم.

قال «جورج» بتعاطف لبنت قصيرة سوداء الشعر راقدة عند قدمه: «هل أنت بخير؟».

قالت مرتجفة: «أ.. أعتقد هذا».

قال «فريد» بسعادة: «ممتاز» لكن بعد لحظة قبضت «هيرميون» على ما بيده من حلوى الإغماء.

«ليس ممتازاً».

قال «فريد» بغضب: «بل هو كذلك. إنهم أحياء، أليس كذلك؟».

«ليس لك أن تفعل هذا بهم. ماذا لو مرض أحدهم حقاً؟».

«لن ندعهم يمرضون، لقد اختبرنا كل الحلوى على أنفسنا بالفعل، وما نفعله هو محاولة معرفة رد فعل الآخرين. وإن كان مماثلاً لردود أفعالنا».

«إن لم تكفا سأقوم بـ...». قال «فريد» بنبرة تحدٍّ: «باحتجازنا؟».

قال «جورج» بابتسامة ساخرة: «أم ستجعليننا نكتب كعقاب لنا؟».

أخذ المراقبون للموقف في الضحك. استقامت «هيرميون» بالرغم من تعبها

فى وقفتها، وهى تضيق ما بين عينيها، وشعرها الأشعث كأنه يضطرم بشرارات كهربية. قالت وصوتها يرتجف من الغضب «لا.. لكننى سأخبر أمكما».

قال «چورج» خائفًا «لا.. لن تفعلى»، ثم تراجع عنها خطوة.

قالت «هيرميون» بعبوس: «بل سأفعل.. لا أقدر على منعكما من أكل هذه الحلوى الغبية بأنفسكما، لكن لا يمكنكما تجربتها على أولاد الصف الأول».

بدا واضحًا من دهشتهما وانزعاجهما الشديدين، أن ضربة «هيرميون» جاءت تحت الحزام. ومنظرة تهديد أخيرة عليهما، أعادت إلى «فريد» حقيبة الحلوى التى أخذتها منه وسارت مبتعدة عائدة إلى مقعدها بجوار المدفأة.

هبط «رون» قدر استطاعته فى مقعده حتى صار رأسه عند مستوى ركبتيه.

قالت «هيرميون» ببرود لاذع: «شكرًا على مساعدتك يا رون».

غمغم «رون»: «لكنك تعاملت مع الموقف بنفسك».

حدقت «هيرميون» فى قطعة الورق الفارغة أمامها للحظات، ثم قالت بحدة: «لا فائدة.. لا أقدر على التركيز. سأذهب لأنام».

فتحت حقيبتها، وأخرجت كومتين مشوهتين من الصوف، ووضعتهما إلى جوار المائدة القريبة من المدفأة بحرص، وغطتهما بقطع ممزقة من الورق ووريشات الكتابة المكسورة، ثم وقفت لتنظر بإعجاب لنتيجة عملها.

قال «رون» مراقبًا إياها كأنه خائف على سلامة عقلها: «ماذا تفعلين بحق مرلين؟».

قالت بسرعة وهى تعيد كتبها إلى الحقيبة: «إنها من أجل الأقزام المنزلية. عملت عليها طوال الصيف، فأنا أحيك ببطء شديد بدون السحر، لكن الآن وقد عدت إلى المدرسة فسوف أقدر على حياكة المزيد».

قال «رون» ببطء: «هل ستتركين هذه القبعات للأقزام المنزلية؟ وتغطينها بالقمامة أولاً؟».

قالت «هيرميون» بلهجة لا تحتمل النقاش: «أجل» ثم رفعت حقيبتها إلى ظهرها.

قال «رون» بغضب: «هذا لا يصح. أنت تحاولين خداعهم ليلتقطوا القبعات. هكذا تحررينهم وهم لا يريدون الحرية».

قالت «هيرميون» على الفور: «بالطبع يريدون أن يكونوا أحرارًا»، واحتقن وجهها غضبًا وهى تقول: «إياك ولمس هذه القبعات يا رون».

غادرتهما، وانتظر «رون» حتى اختفت، ثم أزال القمامة من فوق القبعتين

قال بجدية: «على الأقل من حقهم رؤية ما يلتقطونه». لف رقعة الورق التى كتب عليها عنوان مقال «سناب» ثم قال: «المهم. لم يعد هناك رجاء من محاولة الانتهاء من هذا الآن، ليس من دون هيرميون.. فأنا ليس عندى أدنى فكرة عن خصائص حجر القمر أو ماذا يفعل.. هل تعرف أنت؟».

هز «هارى» رأسه، ملاحظًا أن ألم صدغه الأيمن أصبح أسوأ. فكر فى المقال الطويل عن حروب العمالقة، والألم يطعنه مجددًا بحدة، وهو يعرف أن مع يوم الصباح سيندم على عدم إنهاء الواجب ليلاً، لملم كتبه وأعادها إلى حقيبته.

«أنا أيضًا سأنام».

مر إلى جوار «سيماس» فى طريقه إلى باب جناح نوم الأولاد، لكنه لم ينظر إليه. شعر بأن «سيماس» فتح فمه ليتكلم، لكنه سارع بالمرور إلى جواره، ليصل إلى بداية السلم الصاعد لجناح النوم، وهو غير قادر على تحمل أية إثارة لغضبه.

•••

جاء اليوم التالى محملاً بالأمطار والضباب مثل اليوم السابق عليه، ومازال «هاجريد» غائبًا عن مائدة المدرسين على الإفطار.

قال «رون» بحرارة: «.. لكن على الجانب المشرق، فليس لدينا حصة لسناب اليوم».

تثاءبت «هيرميون» وصبت لنفسها بعض القهوة. بدت مسرورة لسبب ما، وعندما سألها «رون» عما يسرها قالت: «اختفت القبعات. يبدو أن الأقزام تريد الحرية».

قال «رون» بحدة: «لا أصدق.. ربما لا يعتبرونها ثيابًا. فهى لم تبد كقبعات بل ليست أكثر من مثانات صوفية».

لم تكلمه «هيرميون» طوال فترة الصباح.

تلت حصتى التعاويذ حصتا مادة التحويل. قضى كل من الأستاذ «فليتويك» والأستاذة «مكجونجال» أول خمس عشرة دقيقة من درسيهما فى محاضرة الفصل عن أهمية شهادة الـ(أوه. دبليو. إل).

قال الأستاذ «فليتويك» قصير القامة بصوته الرفيع جالسًا فوق كومة من

الكتب: «عليكم تذكر أن هذه الامتحانات ستؤثر في مستقبلكم لسنوات قادمة إن كنتم لم تفكروا بعد في مستقبلكم المهني، فالوقت قد حان للتفكير. كذا عليكم أن تعملوا وتستذكروا أكثر من أي وقت، لضمان النجاح بتفوق وحتى لا تظلموا أنفسكم».

لم قضوا ما يزيد على الساعة في مراجعة تعاويذ الاستدعاء، والتي - كما قال الأستاذ «فليتويك» - ستأتي في الامتحانات، وأنهى الدرس بتكليفهم بأكبر واجب مدرسي كُلفوا به في حياتهم بمادة التعاويذ.

كان الأمر مماثلاً - إن لم يكن أسوأ - في درس مادة التحويل.

قالت الأستاذة «مكجونجال» عابسة: «لا يمكنكم النجاح في اختبارات الـ(أوه. دبليو. إل.) دون التدريب العملي الشاق، التدريب والمذاكرة. لا أرى سببًا يمنع أيًا من الحضور بهذا الفصل من النجاح في امتحان التحويل بتفوق مادام عمل بجد واجتهاد» عند الجملة الأخيرة تذمر «نيفيل».. وأكملت: «لا يعيبكم سوى نقص الثقة بالنفس؛ لذا.. سنبدأ اليوم بتعاويذ الإخفاء. هذه التعاويذ أسهل من تعاويذ الاستحضار، والتي لن تتقدموا عليها قبل شهادة الـ(إن. إي. دبليو. تي.).. لكن اعلموا أن تعاويذ الإخفاء من أصعب أنواع السحر الذي ستؤدونه في امتحانات الـ(أوه. دبليو. إل.)».

كانت محقة.. اكتشف «هاري» أن تعاويذ الإخفاء شديدة الصعوبة. ومع نهاية الحصتين لم يتمكن هو أو «رون» من إخفاء صدفات كانا يتمرنان عليها، بالرغم من أن «رون» قال بأمل إن صدفته تبدو شاحبة عن حالها عندما بدأ التمرين. لكن «هيرميون» أخفت صدفتها في محاولتها الثالثة، لتكسب عشر نقاط لصالح فرقة «جريفندور» من الأستاذة «مكجونجال». وكانت الوحيدة التي لم تُكلف بواجب، أما الباقون فقد أمرتهم بالتدريب على التعويذة طوال الليل، والاستعداد للتمرين على صدفاتهم بعد ظهر اليوم التالي.

الآن وقد ذعرا من كم الواجب الهائل الملقى على عاتقهما، فقد قضى «هاري» و«رون» طيلة فترة الغداء في المكتبة يبحثان عن استخدامات حجر القمر في واجب مادة الوصفات السحرية.

وهي لا تزال غاضبة من سخرية «رون» من قبعاتها الصوفية، لم تنضم

«هيرميون» إليهما، ومع الوصول لحصة رعاية الكائنات السحرية بعد الظهر، أخذ رأس «هاري» يؤلمه ثانية.

أصبح الطقس باردًا، ومع سيرهما عبر الممشى العشبي المنحدر نحو كابينة «هاجريد» عند حافة الغابة المحرمة، شعرا بتساقط رذاذ المطر الخفيف على وجهيهما. كانت الأستاذة «جروبلي بلانك» واقفة في انتظار الفصل قرب باب «هاجريد» الأمامي، وأمامها مائدة طويلة عليها أغصان أشجار ومع اقتراب «هاري» و«رون» منها سمعا صوت ضحكات صاخبة خلفهما. التفتا فوجدا «دراكو مالفوي» يقترب، وحوله عصابته من تلاميذ «سليذرين» الحمقى. كان واضحًا أنه قال شيئًا طريفًا؛ لأن «كراب» و«جويل» و«بانسي باركنسون»، والباقين ضحكوا من قلوبهم وهم يتجمعون حول المائدة، وبدا من طريقة نظرتهم نحو «هاري» أنه كان موضوع المزحة.

صاحت الأستاذة «جروبلي بلانك» فور وصول جميع تلاميذ «سليذرين» و«جريفندور»: «هل حضر الجميع؟ دعونا نبدأ على الفور. من يعرف هذه الأشياء؟».

أشارت إلى كومة الأغصان الموضوعة أمامها. انطلقت يد «هيرميون» مشهرة في الهواء خلفها، قلدها «مالفوي» بطريقة أشبه بالقرود، فلقفز في الهواء متلهفًا على الإجابة. ضحكت «بانسي باركنسون»، وسرعان ما تحولت إلى صرخة مع قفز الأغصان في الهواء، لتظهر على حقيقتها ككائنات (عفريتية) صغيرة من الخشب، وكل منها له ذراعان بنيتان حادتا المفاصل، وأقدام مماثلة، وأصبعان غصنيان عند طرف كل يد، ووجه مسطح غريب فيه عينان بنيتان خنفسيتان.

قالت كل من «بارفاتي» و«لافندر» ليثيرا حفيظة «هاري»: «يا ماما!!!!» كأن «هاجريد» لم يُرهم من قبل كائنات سحرية مدهشة.

قالت الأستاذة «جروبلي بلانك» بحدة: «اخفضن أصواتكن يا بنات» وهي تفرق حفنة مما بدا كأرز بني اللون بين المخلوقات الغصنية، والتي سرعان ما انقضت على الطعام. وأضافت: «إذن.. هل يقدر أيكم على معرفة هذه الكائنات؟ هل تعرفين يا آنسة جرانجر؟».

قالت «هيرميون»: «إنها بوتروكليتات، والمفرد بوتروكل، وهي حارسة الأشجار، وفي العادة تجدها في الأشجار التي يُصنع منها العصي السحرية».

قالت الأستاذة «جروبلي بلانك»: «خمس نقاط لصالح جريفندور. أجل، إنها بوتروكليتات، كما قالت الآنسة جرانجر، وهي عادة ما تعيش في الأشجار التي تأخذ منها الخشب الصالح للعصي السحرية. هل يعرف أيكم ماذا تأكل؟».

قالت «هيرميون» على الفور: «قمل الأشجار. لكنها تأكل أيضًا بيضات الجنيات الصغيرات إن وجدتها»، وهو ما يفسر لماذا رأى «هاري» الطعام على أنه حبات أرز بنية متحركة.

«جيد! خمس نقاط أخرى لجريفندور؛ لذا، عند الحاجة إلى أوراق أو خشب من شجرة تحرسها البوتروكليتات، يجب إهداء حفنة من قمل الأشجار لها، حتى تتشتت وتبتعد. قد تبدو خطيرة، لكن إن غضبت فهي تصوب أصابعها نحو أعين البشر، وهي كما ترونها حادة جداً وخطيرة. إن رغبتم في الاقتراب، خذوا حفنة من القمل، معي منه ما يكفي للكل. واقتربوا منها. أريد رسمًا توضيحيًا من كل منكم لأجزاء الجسد، عليه بيانات بَاسم كل جزء، مع نهاية الحصة».

تقدم التلاميذ للأمام ليتجمعوا حول المائدة. دار هاري - متعمداً - حول طرف المائدة البعيد لينتهي به الحال إلى جانب الأستاذة «جروبلي بلانك».

سألها والجميع مشغولون بفحص «البوتروكليتات»: «أين هاجريد؟».

قالت الأستاذة «جروبلي بلانك» بلهجة من لا تريد منح أية تفاصيل: «لا تهتم». وهو يبتسم أكثر ابتساماته سماجةً من وجهه الحاد الرفيع، اقترب «دراكو مالفوي» من «هاري» مائلاً عليه ومعه أكبر «بوتروكل». وقال بصوت خفيض لا يسمعه سوى «هاري»: «ربما جرح ذلك العملاق الغبي نفسه دون أن يقصد».

قال «هاري» بطرف فمه: «ربما ستُجرح أنت إن لم تصمت».

«ربما داعب كائنات أكبر منه بكثير، إن كنت تفهم ما أعنيه».

سار «مالفوي» مبتعداً، وهو يبتسم لـ«هاري» بسماجة، فشعر «هاري» فجأة بالغثيان. هل قصد «مالفوي» شيئًا محدداً؟ فوالده من أكلة الموت. ماذا لو كان أخبره بمعلومات عن مصير «هاجريد» والجماعة لا تعرف عنه شيئًا؟ سارع بالعودة إلى صاحبيه.. اللذين كانا مائلين على العشب يحاولان إقناع أحد كائنات «البوتروكل» بالاقتراب منهما. أخرج «هاري» رقعة ورق وريشة كتابة، وجلس إلى جوارهما، وفي همسات قليلة أعاد عليهما ما قاله «مالفوي».

قالت «هيرميون» على الفور: «كان دمبلدور ليعرف لو وقع لهاجريد مكروه.. والواضح أن مالفوي قلق، وكلامه هذا يعني أنه لا يعرف بالضبط ما يجري. علينا تجاهله يا هاري. تعال.. أمسك البوتروكل لدقيقة، حتى أمسك بوجهه..».

جاءهم صوت «مالفوي» الواضح وهو واقف وسط عصابته: «أجل. تحدث أبي إلى الوزير منذ يومين، ويبدو أن الوزارة عاقدة العزم على إنهاء حالة التدريس منخفض المستوى في هذا المكان؛ لذا، وحتى إن ظهر هذا المجنون ثانية، سيجعلوه يحزم حقائبه ويغادر على الفور».

«آي».

كان «هاري» قابضًا على «البوتروكل» بقوة حتى إنه كاد ينكسر، فرفع الكائن جسده إلى يد «هاري» وجرحها بأصابعه الحادة، ليترك جرحين عميقين عليها. أسقطه الأخير وضحك «كراب» و«جويل» - مع انطلاق الكائن نحو الغابة، وسرعان ما اختفى بين جذوع الأشجار. عندما ضرب الجرس من بعيد مشى «هاري» في طريقه إلى حصة علم الأعشاب وقد ضمد يده المجروحة بمنديل «هيرميون»، وضحكات «مالفوي» السمجة ما زالت ترن في أذنيه.

قال بغيظ شديد: «إن نعت هاجريد بالمجنون ثانية فسوف..».

«هاري، لا تحاول الشجار مع مالفوي، ولا تنس أنه رائد فصل الآن، ويمكنه أن يجعل حياتك صعبة..».

قال «هاري» بسخرية: «رائع.. وأنا أتساءل عن شكل الحياة الصعبة تلك التي بانتظاري». ضحك «رون».. لكن «هيرميون» قطبت جبينها. عبروا حقل الخضراوات معًا. لم تكن السماء قد قررت بعد: إن كانت تريد الإمطار أم لا.

قال «هاري» بصوت منخفض: «أتمنى أن يسارع هاجريد بالعودة، هذا كل

ما يهمني» وصلوا وقتها إلى الصوبات الزجاجية فأضاف بلهجة تهديد: «ولا تقولا إن تلك المرأة جروبلي بلانك أفضل في التدريس من هاجريد».

قالت «هيرميون» بهدوء: «لم أقصد قول هذا».

قال «هاري» بجدية وهو على وعي تام بأنه قد قضى حصة فظيعة في مادة رعاية الكائنات السحرية: «لأنها لن تكون أبداً في مهارة هاجريد».

انفتح أقرب باب لصوبة زجاجية وخرج بعض أولاد الصف الرابع، وبينهم «جيني».

قالت بسرور وهي تقترب منهم: «أهلاً» وبعد لحظات خرجت «لونا لوفجود» خلف باقي الفصل، وعلى أنفها بقعة طينية من الأرض، وشعرها معقود فوق رأسها. عندما رأت «هاري» اتسعت عيناها بحماس وأشارت نحوه، توقف بعض زملائه من الفصل ليشاهدوا ما يجري. قالت «لونا» على الفور: «أنا مؤمنة بأن من - لا - يجب - ذكر - اسمه عاد، وأنك قاتلته وهربت منه».

قال «هاري» بارتباك: «آ.. أجل» كانت «لونا» مرتدية ما بدا أشبه بقرط لونه برتقالي محمر، وهو ما لاحظه كل من «بارفاتي» و«لافندر»، عندما ضحكتا ضحكة كبيرة وهما تشيران إلى أذنيها.

قالت «لونا» وصوتها في ارتفاع، وهي تظن أن «بارفاتي» و«لافندر» تضحكان على ما قالته وليس على ما ترتديه: «اضحكا. لكن الناس كانوا لا يؤمنون بكائنات مثل الهمديتجر أو السنوركاك الكسيح».

قالت «هيرميون» بصبر نافد: «وكانوا محقين».

نظرت إليها «لونا» نظرة ترفع وكبرياء، وأشاحت بوجهها، والقرط يتأرجح بجنون على أذنيها. ولم تكن «بارفاتي» أو «لافندر» هما الوحيدتين اللتين تضحكان.

سأل «هاري» «هيرميون» وهما يسيران نحو الفصل: «هلا كففت عن مهاجمة من يصدقونني؟».

قالت «هيرميون»: «بربك يا هاري. أنت لست بحاجة إليها. أخبرتني جيني بشأنها. إنها الوحيدة التي تؤمن بأشياء لا أساس لها من الصحة. وهذا ما يجب عليك توقعه من بنت أبوها هو رئيس تحرير مجلة صفراء مثل الكويبلر».

فكر «هاري» في الجياد التي رآها ليلة وصولهم، وما قالته «لونا» عن أنها

تراها هي الأخرى. شعر بالضيق. تراها كانت تكذب؟ لكن وقبل أن يكرس لهذه الفكرة المزيد من الوقت، اقترب منه «إرني ماكميلان»، وقال بصوت جهوري: «لتعرف يا بوتر أن ليس المجانين فقط هم من يصدقونك. أنا أيضاً أصدق كل كلمة قلتها. أسرتي تقف خلف دمبلدور بكامل قوتها. وأنا مثلها».

قال «هاري» مأخوذاً لكن مسروراً: «آ.. أشكرك كثيراً يا إرني» «إرني» أخرق في حالات مثل هذه، لكن «هاري» شعر بامتنان عميق للثقة شخص ما به لا يتدلى قرط أحمر من أذنيه. أذهبت كلمات «إرني» الابتسامة عن وجه «لافندر براون». وعندما التفت ليتكلم مع صاحبيه لمح تعبير وجه «سيماس» المرتبك.

ومن غير أن يندهش أحد بدأت الأستاذة «سبروت» الدرس بمحاضرة عن أهمية شهادة ودرجات الـ(أوه دبليو إل). فتمنى «هاري» أن يكف كل المعلمين عن هذا، والشعور بالقلق يراوده كلما تذكر الواجب المكوم عليه، وهو الشعور الذي تأكد مع طلب الأستاذة «سبروت» مقالاً آخر كواجب مع نهاية الحصة. وهم متعبون ورائحتهم تزكم الأنوف من سماد الأستاذة «سبروت» عاد طلبة «جريفندور» إلى القلعة، ولا أحد منهم يتحدث. كان يوماً طويلاً آخر.

مع جوع «هاري» الشديد، وانتظاره لأول فترة عقاب مع «أمبريدج» في الساعة الخامسة، اتجه إلى العشاء دون إعادة حقيبته إلى برج «جريفندور»، حتى يأكل ما يعينه على تحمل عقابها الذي لا يعرف طبيعته إلى الآن. لكن ما كاد يصل إلى القاعة الكبرى حتى جاءه صوت مرتفع غاضب ينادي: «يا بوتر!».

فغمغم بإرهاق ملتفتاً لمواجهة «أنجيلينا جونسون» التي بدت في حالة مزاجية شديدة السوء: «ما الأمر؟».

قالت وهي تسير نحوه مباشرة وتلكزه بأصبعها بشدة في صدره: «سأقول لك ما الأمر. كيف أوقعت نفسك في عقاب بالاحتجاز الساعة الخامسة يوم الجمعة؟».

قال «هاري»: «مـ.. ماذا؟ أجل.. نسيت.. يوم اختيار حارس المرمى».

قالت «أنجيلينا» بصوت غاضب: «والآن يتذكر.. ألم أخبرك بأنني أريد حضورك يوم الاختبارات مع باقي الفريق؟ حتى نضم إلينا لاعباً جديداً يحبه

جميع أفراد الفريق؟ ألم أخبرك بأنني قد حجزت ملعب الكويدتش لهذه المناسبة؟ والآن تقرر أنك لا تريد الحضور».

قال «هاري» وقد أزعجه ظلمها له: «أنا لم أقرر الغياب.. لقد عاقبتني هذه المرأة أمبريدج بالاحتجاز؛ لأنني أخبرتها بحقيقة الذي - تعرفينه».

قالت «أنجيلينا» بشراسة: «إذن فلأذهب مباشرة إليها وسلها أن تعفيك من عقاب يوم الجمعة.. ولا يهمني كيف تطلب منها هذا. قل لها إن الذي - تعرفه - وهم في خيالك، لكن فلتحضر يوم الجمعة».. ثم ابتعدت غاضبة.

قال «هاري» لـ «رون» و«هيرميون» وهم يلجون إلى القاعة الكبرى: «أتعرفان؟ علينا أن نسأل على أحوال أوليفر وود في فريقه بودلمير يونايتد؛ فأنا خائف عليه بعد أن رأيت كيف تعلمت منه أنجيلينا الصرامة في اللعب».

قال «رون» بشك وهم يجلسون إلى مائدة «جريفندور»: «وما هو احتمال أن تتركك أمبريدج وتعفو عنك يوم الجمعة لتحضر التدريب؟».

قال «هاري» بتجهم ناقلاً شرائح اللحم إلى طبقه وهو يشرع في الأكل: «أقل من الصفر. لكن الأفضل أن أحاول. أليس كذلك؟ أو أعرض عليها مضاعفة العقاب على أن يكون فيما بعد..» ازدرد بعض البطاطس وأضاف: «أتمنى ألا تبقيني كثيراً الليلة. فأنتما تعرفان كمّ الواجب: من ثلاث مقالات، والتدريب على تعويذة الإخفاء للأستاذة مكجونجال، والتعاويذ المضادة التي يريدها الأستاذ فليتويك، والانتهاء من رسم البوتروكل مذكرات الأحلام الغبية لتريلاوني».

تأوه «رون» ولسبب ما نظر إلى السقف.

«ويبدو أن السماء ستمطر».

قالت «هيرميون» وهي ترفع حاجبيها: «وما علاقة هذا بواجبنا المدرسي؟».

قال «رون» فوراً وأذناه تحتقنان من الخجل: «لا علاقة».

في تمام الساعة الخامسة إلا خمس دقائق ودع «هاري» صديقيه وتوجه إلى مكتب «أمبريدج» في الطابق الثالث. عندما طرق الباب نادته قائلة: «ادخل» بصوت عذب. دخل بحذر ناظراً حوله.

عرف هذا المكتب عندما شغله ثلاثة معلمين من قبلها. أيام «جيلدروي

لوكهارت» كان مليئاً بملصقات وصور له. عندما شغله «لوبين» كنت لتقابل غالباً سحرياً مخيفاً موضوعاً في قفص أو في وعاء ما إن دخلت بحثاً عن «لوبين». أيام «مودي» الزائف، كان مليئاً بكافة أنواع الأدوات والمعدات السحرية الخاصة بالتحري والأعمال السحرية البوليسية وأدوات التخفي والإخفاء.

لكنه الآن، بدا غير معروف بالمرة مقارنة بحاله سابقاً.. كانت الأسطح مغطاة بكافة أنواع المفارش والأغطية القماشية المنزلية، والعديد من المزهريات المليئة بالزهور المجففة، وعلى واحد من الحوائط كان معلقاً مجموعة من بعض الأطباق الخزفية الشرقية الطابع، وكل منها محلى بقطة كبيرة متعددة الألوان ترتدي على كل طبق شريطاً مختلفاً عن لون الشريط على غيرها من الأطباق. كانت غريبة الشكل حتى إن «هاري» حدق فيها بجمود، حتى تكلمت الأستاذة «أمبريدج» ثانية. قائلة: «مساء الخير يا سيد بوتر».

أجفل «هاري» ونظر خلفه. لم يلحظ وجودها حال دخوله؛ لأنها كانت ترتدي عباءة مطرزة بأشكال الزهور الممزوجة مع الزهور المنقوشة على المفرش من خلفها.. قال لها بجمود: «مساء الخير يا أستاذة أمبريدج».

قالت مشيرة إلى مائدة صغيرة مغطاة بقماش ناعم جذبت من خلفها مقعداً مرتفع الظهر: «اجلس». وكان على المائدة رقعة ورق خالية. على الأغلب تنتظره.

قال «هاري» دون أن يتحرك: «أ.. أستاذة أمبريدج.. أ.. قبل أن نبدأ.. أ.. أريد أن أسأل.. معروفاً».

ضيقت ما بين عينيها الجاحظتين وقالت: «حقاً؟».

«في الواقع.. أ.. أنا لاعب بفريق جريفندور، ومن المفترض أن أحضر الاختبارات لحارس المرمى الجديد الساعة الخامسة يوم الجمعة. وأتساءل إن كان بإمكاني.. أ.. بإمكاني الغياب عن الاحتجاز تلك الأمسية.. و.. وحضور ليلة أخرى بدلاً منها..».

كان يعرف قبل أن يقول كل هذا أنه لا فائدة من طلبه.

قالت وابتسامتها تتسع حتى بدت كأنها قد ابتلعت لتوها ذبابة لذيذة: «لا.. لا لا. هذا عقابك على الترويج لإشاعات شريرة تسعى بها لجذب الانتباه يا

سيد بوتر، والعقاب لا يمكن تعديله ليتناسب مع ظروف المدان. لا.. ستأتي إلى هنا غدًا، واليوم التالي عليه، ويوم الجمعة أيضًا، وستقضي فترات الاحتجاز المفروضة عليك كما هو مخطط لها، وأرى أن افتقادك لشيء تحبه يزيد من جمال العقاب.. فهذا هو ما سيجعلك تتقدم وتتعلم الدرس الذي أريد تعليمك إياه».

شعر «هاري» بالدم يتدفق إلى رأسه، وسمع صوت الدم النابض في أذنيه إذن فهو قد روج لإشاعات شريرة يسعى بها لجذب الانتباه.

أخذت تراقبه ورأسها مائل قليلاً، وابتسامتها واسعة، كأنها تعرف ما يفكر فيه، وتنتظر بدء في الصياح ثانية. بمجهود خارق تمكن من النظر بعيدًا عنها، ملقيًا بحقيبته المدرسية إلى جانب المقعد، وهو يجلس عليه.

قالت «أمبريدج» بصوتها الحلو الزائف: «رائع. تحسنت قدرتك على التحكم في نفسك. أليس كذلك؟ والآن، ستقوم بكتابة بعض السطور من أجلي يا سيد بوتر. لا، ليس بريشة كتابتك»، أضافت الجملة الأخيرة و«هاري» يميل على حقيبته ليفتحها. وأكملت: «ستكتب بريشة كتابة خاصة معي. تفضل».

ناولته ريشة كتابة طويلة ورفيعة وسوداء ذات سن حاد جدًا.

سألها «هاري» بصوت حاول أن يجعله مهذبًا: «كم مرة سأكتب؟».

قالت «أمبريدج» بصوت عذب: «ما يكفي من مرات لتثبت الرسالة.. فلتبدأ».

انتقلت إلى مكتبها، وجلست منحنية على كومة من الأوراق بدت أشبه بواجب ستقوم بتصحيحه. رفع «هاري» الريشة السوداء الحادة، ثم أدرك ما ينقصه، فقال: «لكنك لم تعطني أي حبر» قالت الأستاذة «أمبريدج» بما يشبه الضحكة على وجهها: «آه.. لست بحاجة إلى الحبر».

وضع «هاري» طرف الريشة على الورق وكتب: يجب أن أكف عن الكذب.

شهق متألمًا. ظهرت الكلمات على الورقة بلون أحمر لامع، وفي نفس الوقت ظهرت على ظهر يده اليمنى، وقد انحفرت على جلده كأنها بفعل مبضع جراحي.. لكن وهو ينظر إلى الجرح وجده يلتئم ثانية، تاركًا وراءه أثرًا أحمر طفيفًا.

التفت «هاري» إلى «أمبريدج». كانت تراقبه وفمها الواسع الشبيه بفم الضفادع متسع في ابتسامة.. وقالت: «هل هناك ما يسوء؟».

قال بهدوء: «لا».

عاود النظر إلى الورقة، ووضع الريشة عليها ثانية، وكتب: يجب أن أكف عن الكذب، وشعر بألم يمزق ظهر يده للمرة الثانية، ومرة أخرى وجد الكلمات محفورة في جلده، ومرة ثانية التأم الجرح في لحظات.

وهكذا استمر على هذه الحالة مرة بعد مرة يكتب الكلمات على الورقة.. ثم سرعان ما أدرك أن هذا ليس حبرًا بل هو دمه.. ومرة بعد مرة يرى الكلمات تنغرس أكثر في يده، ويلتئم جرحه، ثم يظهر ثانية عندما يكتب بالريشة على الورقة.

حل الظلام خارج مكتب «أمبريدج». لم يسألها متى ستسمح له بالمغادرة. لم ينظر حتى إلى ساعته. كان يعرف أنها تراقبه منقبة عن أمارات الضعف والتعب، لكنه ما كان ليظهر لها أي تعب، حتى ولو جلس طوال الليل والريشة تقطع في يده.

قالت بعدما بدا له الوقت كأنه ساعات: «تعال هنا».

وقف.. كانت يده تؤلمه بشدة. عندما نظر إليها وجد أن الجرح التأم، لكن الجلد كان بلون أحمر. قالت له: «أرني يدك».

مد يده إليها. أمسكت بها في يدها. حبس «هاري» ارتجافة كادت تفر منه عندما لامست يده بأصابعها البدينة، القصيرة المزينة بعدد من الخواتم القديمة القبيحة.

قالت مبتسمة: «تش، تش. يبدو أنني لم أترك فيك انطباعًا جيدًا بعد.. ستحاول مساء الغد.. أليس كذلك؟ يمكنك الذهاب الآن».

غادر «هاري» مكتبها دون أن ينبس بكلمة أخرى. كانت المدرسة هادئة وخالية من التلاميذ.. وبدا من الواضح أن الوقت هو منتصف الليل. سار ببطء عبر الممر، ثم وعندما انحرف مع انحناءة الطريق، وأدرك أنها لن تراه.. انطلق يجري.

***

لم يكن لديه وقت للتمرين على تعويذة الإخفاء، ولم يدون حلمًا واحدًا من أحلامه، ولم ينته من رسم «البوتروكل»، ولا كتب باقي الواجب. لم يحضر الإفطار صباح اليوم التالي ليكتب حلمين زائفين من أجل حصة التنجيم، وهي حصتهم الأولى، واندهش عندما وجد «رون» المتذمر يصحبه.

سأله «هاري» و«رون» يحدق في أركان حجرة الطلبة؛ بحثًا عن مصدر للإلهام: «كيف لم تكتبه الليلة الماضية؟». غمغم «رون» الذي كان غارقًا في

النوم عندما وصل «هاري» إلى جناح النوم: «كنت مشغولاً بأمور أخرى». وجلس على ورقته وأخذ يكتب بعض الكلمات.

قال مغلقاً دفتر مذكراته: «هذا يكفي. قلت إنني حلمت بأنني كنت أشتري حذاء. لا يمكنها استنتاج شيء غريب من هذا الحلم. أليس كذلك؟».

هرولا نحو البرج الشمالي معاً.

«كيف كان الاحتجاز مع أمبريدج؟ بم كلفتك؟».

تردد «هاري» للحظة ثم قال: «جعلتني أكتب».

قال «رون»: «ليس بالعقاب السيئ. أليس كذلك؟».

قال «هاري»: «بلى».

«بالمناسبة. نسيت. هل ستعفو عنك يوم الجمعة؟».

«لا». فتذمر «رون» بصوت احتجاج متعاطفاً مع «هاري».

كان يوماً آخر سيئاً بالنسبة إلى «هاري». كان هو الأسوأ بين الطلبة في حصة التحويل؛ لأنه لم يتدرب على تعويذة الإخفاء. كان عليه التخلي عن ساعة الغداء ليكمل صورة «البوتروكل» في حين كلفهم الأساتذة «مكجونجال» و«جروبلي بلانك» و«سينسترا» بالمزيد من الواجب. وهو ما كان لديه أية فكرة عن كيف ينتهي منه ذلك المساء بسبب جلسة الاحتجاز الثانية مع «أمبريدج». وليصبح الموقف أكثر سوءاً. حاصرته «أنجيلينا جونسون» على العشاء. وعندما عرفت أنه لن يحضر اختبارات يوم الجمعة لحارس المرمى أخبرته أنها ليست مندهشة من تصرفاته وسلوكه. وأنها تتوقع من اللاعبين الذين يتمنون البقاء للعب في الفريق وضع التدريب قبل أي اعتبار أو التزام آخر نصب أعينهم.

صاح «هاري» وقد أعطته ظهرها وابتعدت: «أنا مُعاقب بالاحتجاز. هل تحسبين أنني أفضل الاحتجاز في حجرة مع تلك الضفدع العجوز على لعب الكويدتش؟».

قالت «هيرميون» محاولة التخفيف عنه: «على الأقل عقابك ليس أكثر من الكتابة». بينما «هاري» يعاود الجلوس في مقعده وينظر إلى اللحم، وفطيرة الكبد، التي لم يعد يرغب في أكلها. وأنّت «هيرميون» كلامها قائلة: «العقاب ليس بهذه الفظاعة. بصراحة...».

فتح «هاري» فمه، ثم أغلقه ثانية وأومأ برأسه موافقاً إياها. لم يكن واثقاً لماذا لم يقص على «رون» و«هيرميون» تفاصيل ما يحدث داخل حجرة «أمبريدج». لم يكن يريد أن ترتسم نظرات الذعر على وجهيهما، فهذا يزيد الأمر سوءاً ويجعل العقاب أصعب عليه في تقبله. كما أنه شعر بأن هذه المسألة معلقة بينه وبين «أمبريدج» فقط، معركة للإرادات، ولا يريد أن يمنحها الإحساس بالظفر عندما تسمع بأنه يشتكي من العقاب.

قال «رون» بتعاسة: «لا أصدق كمّ الواجب الذي يطلبونه منا».

سألته «هيرميون»: «وإذن لماذا لم تؤدِ أياً منه ليلة أمس؟ وبالمناسبة، أين كنت؟».

قال «رون» بارتباك: «أ.. كنت.. خرجت للتمشية».

شعر «هاري» بأنه ليس وحده من يخفي أموراً تخصه.

***

مرت فترة الاحتجاز الثانية سيئة مثل الأولى تماماً. احتقن جلد ظهر يد «هاري» أسرع، وأصبح أكثر احمراراً والتهاباً. وفكر «هاري» أنه على الأرجح لن يداوم على الالتئام بسرعة مثل ليلة أمس. سرعان ما سينفتح الجرح ويبقى مفتوحاً يؤلمه، وربما ستشعر «أمبريدج» بالظفر. لم يصرخ ولم يشهق، ومنذ دخوله إلى الحجرة وحتى مغادرته لها - عند منتصف الليل - لم ينطق بأكثر من مساء الخير. وليلة سعيدة.

لكن موقفه من الواجب المتراكم عليه صار أسوأ، وعندما وصل إلى حجرة طلبة «جريفندور» لم يذهب إلى الفراش رغم تعبه الشديد، بل فتح كتبه وشرع في كتابة مقال «سناب» عن حجر القمر. كانت الساعة قد تعدت الثانية والنصف صباحاً عندما انتهى منه. كان يعرف أن ما كتبه سيئ، لكن ما باليد حيلة. وإن لم يكتبه كان «سناب» ليعاقبه بالاحتجاز هو الآخر. بعدها انتهى من واجب الأستاذة «مكجونجال»، ورسم بسرعة رسماً توضيحياً للبوتروكل؛ لتقديمه إلى الأستاذة «جروبلي بلانك». ثم تقدم مترنحاً إلى فراشه، حيث رقد بكامل ثيابه فوق الأغطية وغاب في النوم على الفور.

***

مر يوم الخميس كأنه سحابة من التعب. كان «رون» تاعساً جداً هو الآخر، بالرغم من أن «هاري» لم يعرف السبب. مر احتجازه الثالث على نفس

المنوال، فيما عدا أنه بعد ساعتين من كتابة: يجب أن أكف عن الكذب، لم تختف الكلمات من على ظهر يده، بل ظلت محفورة تنزف منها قطرات الدماء. وعندما توقف صوت الكتابة بالريشة لحظة رفعت «أمبريدج» بصرها إليه.

قالت بنعومة وهي تدور حول مكتبها لتفحص يده: «آه.. جيد.. هكذا ستتذكر الدرس، أليس كذلك؟ يمكنك المغادرة الآن».

قال «هاري» ملتقطًا حقيبته المدرسية بيسراه بدلاً من يمناه المجروحة: «وهل عليّ الحضور غدًا أيضًا؟».

قالت الأستاذة «أمبريدج» وابتسامتها تتسع كسابق عهدها: «أجل.. من الأفضل ترسيخ الرسالة وتثبيتها أكثر بالكتابة لليلة أخرى».

لم يفكر «هاري» للحظة أن هناك مدرِّسة يمكنه أن يكرهها أكثر من كراهيته لـ«سناب»، لكن وهو يسير نحو برج «جريفندور» كان عليه الاعتراف بأنه قد وجد منافسًا له في الكراهية. قال لنفسه إنها شريرة، وهو يصعد إلى الطابق السابع، إنها شريرة، ومجنونة، وعجوز منحرفة..

«رون؟».

وصل إلى نهاية السلم، وانحرف إلى اليمين، وكاد يصطدم بـ«رون» الذي كان مختفيًا خلف تمثال «لاكلان المُتلكِّك» ممسكًا بمقشته. قفز من الدهشة عندما رأى «هاري» وحاول إخفاء مقشته موديل «الكلين - سويب ١١» الجديدة خلف ظهره.

«ماذا تفعل؟».

«آ.. لا شيء.. ماذا تفعل أنت؟».

عبس «هاري» في وجهه.

«هلم، أخبرني، لماذا تختبئ هنا؟».

قال «رون»: «آ.. أنا.. أنا مختبئ من فريد وجورج إن كنت مصرًا على المعرفة. لقد مرا لتوهما ومعهما مجموعة من طلاب الصف الأول، وأراهن أنهما يختبران عليهم الحلوى ثانية. أعني، لا يمكن لهما أداء الاختبارات في حجرة الطلبة، أليس كذلك؟ بعدما فعلته هيرميون معهما».

كان يتحدث بسرعة شديدة، وبطريقة محمومة.

سأله «هاري»: «لكن لماذا تحمل مقشتك معك؟ فهناك لم تكن تطير».

قال «رون» بطريقة المدافع عن نفسه ووجهه يحتقن أكثر وأكثر مع كل

لحظة تمر: «آ.. في الواقع.. أعني.. سأخبرك لكن لا تضحك.. موافق؟ أ.. أنا أفكر في حضور اختبارات حارس المرمى لفريق جريفندور، الآن وبعد أن أصبح معي مقشة محترمة. هيا.. اضحك».

قال «هاري»: «لن أضحك» فطرفت عين «رون».. وأكمل «هاري»: «يالها من فكرة عبقرية.. سيكون أمرًا جميلاً فعلاً لو انضممت للفريق.. لكنني لم أرك من قبل وأنت تلعب كحارس مرمى.. هل أنت جيد في هذا الموقع؟».

قال «رون» وقد بدا عليه الارتياح الشديد لرد فعل «هاري»: «لست سيئًا.. لطالما جعلني تشارلي، وفريد، وجورج حارسًا للمرمى وهم يتمرنون أثناء الإجازات».

«إذن فأنت تتمرن الليلة؟».

«كل ليلة منذ يوم الثلاثاء.. وحدي. فأنا أحاول سحر كرات الكوافل حتى تطير نحوي، لكنها ليست بالمهمة السهلة، ولا أعرف فائدة هذه الفكرة» كان «رون» يتحدث بعصبية وقلق.. وصمت للحظة ليضيف: «فريد وجورج سيضحكان عندما أتقدم للاختبارات. لم يكفا أبدًا عن السخرية مني منذ أصبحت رائدًا للفصل».

قال «هاري» بمرارة: «أتمنى الحضور» وهما يسيران معًا نحو حجرة الطلبة.

«أجل، وأنا أيضًا.. هاري.. ما هذا على ظهر يدك؟».

حاول «هاري» إخفاء يده، فقد كان يمسح أنفه بيده عندما رآها «رون».. لكنه لم ينجح في إخفائها كما لم ينجح «رون» في إخفاء المقشة.

«إنها.. مجرد خدش.. ليس ذا بال.. حقيقة.. إنها..».

لكن «رون» أمسك بذراع «هاري» ورفع يده إلى مستوى عينيه. صمت لبرهة، وهو ينظر إلى الكلمات المحفورة على الجلد، ثم وقد بدا عليه الغثيان تركها.

«ظننتك قلت إنها تعاقبك بالكتابة».

تردد «هاري».. لكن «رون» كان صادقًا معه؛ لذا فقد أخبر «رون» بحقيقة ما دار طوال ساعات الاحتجاز التي قضاها في مكتب «أمبريدج».

قال «رون» بهمسة غاضبة وهما يتوقفان أمام لوحة السيدة البدينة التي كانت نائمة ورأسها مستندة بسلام إلى إطار اللوحة: «تلك الحيزبون العجوز.. إنها مريضة.. اذهب إلى مكجوناجال، وقل لها شيئًا».

قال «هاري» على الفور: «لا.. لن أمنحها فرحة الإحساس بأنني أتألم. ولن أدعها تعرف أنها قد نالت مني».

«نالت منك؟ لا يمكنك تركها تفلت بهذه الفعلة الشنيعة».

قال «هاري»: «أنا لا أعرف كمّ القوة التي تتمتع بها وتمارسها عليها «دمبلدور إذن.. أخبر دمبلدور».

قال «هاري» بنبرة مسطحة: «لا».

«ولم لا؟».

قال «هاري»: «لأن لديه ما يكفيه من المشكلات ليفكر فيها» لكن لم يكن هذا هو السبب الحقيقي. لم يكن ليطلب مساعدة «دمبلدور»، بينما الأخير لم يتحدث إليه منذ شهر يونيو الماضي.

شرع «رون» في الكلام: «الواقع أرى أن عليك الـ..» لكن قاطعته السيدة البدينة، والتي أخذت تراقبهما بنظرة ناعسة ثم انفجرت قائلة: «هل ستخبراني بكلمة السر أم سأنتظر طوال الليل أستمع إليكما حتى تنتهيا من النقاش؟».

***

جاء يوم الجمعة مطيرًا كئيبًا مثل باقي أيام الأسبوع. ورغم أن «هاري» فحص مائدة المدرسين ببصره فور دخوله القاعة الكبرى، فإنه يأمل كثيرًا في رؤية «هاجريد»، وسرعان ما حول تفكيره إلى مشكلاته الأخطر، مثل كم الواجب الهائل الذي ينتظره، هذا في وجود جلسة عقاب أخرى مع «أمبريدج». شيئان اثنان هما ما عزيا «هاري» ذلك اليوم. الأول هو معرفته أن عطلة نهاية الأسبوع تقترب، والآخر هو تنبيه - بالرغم من أنه سيكون في جلسة الاحتجاز الرهيبة مع «أمبريدج» - رؤية ملعب «الكويدتش» من نافذة مكتبها، وربما ببعض الحظ يمكنه رؤية اختبار «رون». كانت هذه أشبه بدفقات نور ضعيفة تشع في الظلام، لكن «هاري» كان ممتنًا لوجود أي شيء يضيء له ظلامه الحالك. فلم يقض في حياته في «هوجوورتس» أسبوعًا أسوأ من هذا.

في تمام الساعة الخامسة طرق باب مكتب الأستاذة «أمبريدج» آملاً في الانتهاء من جلسة الاحتجاز الأخيرة، فسمحت له بالدخول. كانت الورقة الخالية ملقاة على المائدة المغطاة بالأقمشة الناعمة، والريشة السوداء الحادة إلى جانبها.

قالت «أمبريدج» بصوتها العذب وابتسامتها الصفراء: «تعرف ما عليك عمله يا سيد بوتر».

التقط «هاري» الريشة ونظر عبر النافذة. إن تمكن من تحريك مقعده مسافة بوصة إلى اليمين.. وحاول فعلاً وتمكن من هذا. أصبح بإمكانه رؤية فريق «جريفندور» محلقًا في الملعب، بينما ما يقرب من ستة أشخاص واقفين عند قواعد المرمى الثلاثي، على الأغلب في انتظار دورهم في الاختبار. كان من المستحيل معرفة من فيهم «رون» من هذه المسافة.

كتب «هاري»: يجب أن أكف عن الكذب. انفتح الجرح في يمناه ثانية وبدأ في نزف الدماء ثانية.

يجب أن أكف عن الكذب.. صار الجرح أعمق، وهو يلسعه ويؤلمه.

يجب أن أكف عن الكذب.. الدم ينزف على رسغه.

خاطر بإلقاء نظرة أخرى عبر النافذة. أيًا كان من يحرس المرمى حاليًا كان أداؤه ضعيفًا. أحرزت فيه «كاتي بيل» هدفين خلال الثواني القليلة التي خاطر «هاري» خلالها بالنظر متمنيًا ألا يكون هذا الحارس هو «رون». أعاد عينيه إلى الورقة الملطخة بالدماء الطازجة.

يجب أن أكف عن الكذب

يجب أن أكف عن الكذب

أخذ يختلس النظرات كلما شعر بألا مخاطرة في النظر، عندما يسمع صوت ريشة كتابة «أمبريدج» تتحرك على الورق، أو فتحها لدرج من أدراج المكتب. كان الشخص الثالث في الاختبارات جيدًا، والرابع فظيعًا، والخامس تفادى كرة «بلادجر» برشاقة لكنه لم يتمكن من صد هجمة سهلة أطلقت السماء، وتساءل «هاري» إن كان سيتمكن من مشاهدة الشخص السادس، والسابع.

يجب أن أكف عن الكذب.

يجب أن أكف عن الكذب.

تلوثت الورقة بدماء منسابة من ظهر يده، التي كانت تؤلمه بشدة. عندما نظر لأعلى ثانية، كان الليل قد حل على ملعب «الكويدتش» ولم يتبين منه شيئًا.

جاءه صوت «أمبريدج» المعسول بعد ساعة ونصف: «انظر إن كانت الرسالة قد وصلتك».

تقدمت منه، ومدت له أصابع يدها المليئة بالخواتم. ثم، وهي تمسك به لترى الكلمات المحفورة في يده بالجروح، تدفق إليه الألم شديدًا، ليس في ظهر يده، لكن عند ندبة جبينه. وفي نفس الوقت أحس بإحساس غريب عند خصره.

أبعد يده عنها وهب على قدميه، محدقًا فيها. بادلته النظر، وابتسامتها تتسع. قالت بنعومة: «أجل، إنها تؤلم، أليس كذلك؟».

لم يجبها. أخذ قلبه يختلج في صدره بسرعة وقوة. هل كانت تتحدث عن يده، أم عن ألم جبينه؟

«حسنًا. واضح أن هدفي قد تحقق يا سيد بوتر. يمكنك الانصراف».

أمسك بحقيبته المدرسية، وغادر الحجرة بأسرع ما يستطيع.

قال لنفسه: ابق هادئًا. اهدأ. لا يعني هذا بالضرورة ما تراه... وهو يصعد السلم في قفزات واسعة.

شهق قائلاً: «ميمبولوس ميمبليتونيا» عندما وصل للسيدة البدينة التي انفتحت كاشفة ما خلفها.

قابلته عاصفة من الترحيب. تقدم منه «رون» مسرعًا، وابتسامته واسعة وشرابه يتساقط من الكأس الذي يحمله. وقال: «هاري. لقد نجحت. أصبحت حارس المرمى».

قال «هاري» محاولاً الابتسام بصورة طبيعية وقلبه ما زال يخفق بشدة في صدره، ويده تنزف وتؤلمه: «ماذا؟ ممتاز».

رمى «رون» بزجاجة شراب إليه قائلاً: «اشرب يا هاري.. لا أصدق.. وأين ذهبت هيرميون؟».

قال «فريد» الذي أشار إلى مقعد إلى جوار المدفأة: «إنها هناك». كانت «هيرميون» جالسة شبه نائمة، والشراب مائل في يدها على وشك الانسكاب.

قال «رون» ممتعضًا: «قالت إنها مسرورة عندما أخبرتها».

قال «جورج» بسرعة «دعها نائمة» وبعد لحظات لاحظ «هاري» تجمع عدد من تلاميذ الصف الأول حولهم، وعليهم علامات من كانت أنفه تنزف منذ قليل.

صاحت «كاتي بيل»: «تعال يا رون، وانظر إن كانت عباءة لعب أوليفر القديمة على مقاسك.. يمكننا نزع اسمه عنها ووضع اسمك بدلاً منه..».

ومع ابتعاد «رون» عن «هاري»، اقتربت منه «أنجلينا». قالت بسرعة: «آسفة. كنت متعكرة المزاج يا بوتر. إدارة الفريق صعبة ومثيرة للقلق. وأنا بدأت أفهم لماذا كان وود قاسيًا علينا أحيانًا». وكانت تراقب «رون» ونظرة عابسة على وجهها. ثم قالت: «انظر. أعرف أنه أفضل أصدقائك، لكنه ليس رائعًا. أرى أن بعض التدريب سيجعله جيدًا. فهو من أسرة عريقة في الكويدتش. وأنا أعتمد عليه وعلى الموهبة التي أظهرها اليوم لأكون صريحة معك. كلٌ من فيكي فروبيشر وجيفري هوبر كانا يلعبان أفضل منه. لكن هوبر يشتكي كثيرًا، وفيكي عضوة في جمعيات وجماعات كثيرة. وقالت إن تعارض لعبها مع نادي التعاويذ التي هي عضوة فيه، فسترجح كفة النادي. المهم، عندنا غدًا تدريب في الساعة الثانية، فأضمن أن تحضر هذه المرة. وبرجاء، أسد لي معروفًا وساعد رون.. اتفقنا؟».

أومأ برأسه موافقًا فابتعدت «أنجلينا» عائدة إلى «أليشيا سبينيت». اقترب «هاري» من «هيرميون» ليجلس إلى جوارها، فاستيقظت فجأة وهو يضع حقيبته على الأرض، وقالت: «هاري، إنه أنت.. أرأيت ما فعل رون؟ جميل، أليس كذلك؟ أنا فقط. متعبة» تثاءبت وقالت: «ظللت مستيقظة حتى الواحدة صباحًا أصنع المزيد من القبعات. إنها تختفي بسرعة رهيبة».

كان ما تقوله واضحًا، فعندما نظر «هاري» حوله، وجد قبعات صوفية مخبأة في أركان الحجرة، حيث يمكن للأقزام أن تأخذها دون أن تشعر بأنها السبيل إلى تحريرها.

قال شاعرًا بأنه إن لم يخبر أحدًا فسوف ينفجر: «رائع.. اسمعيني يا هيرميون.. كنت في مكتب أمبريدج منذ قليل ولامست ذراعي...».

أنصتت إليه «هيرميون».. عندما انتهى، قالت ببطء: «هل تقلقك فكرة أن يكون الذي - تعرفه يتحكم بها مثلما كان يتحكم في كويرل؟».

قال «هاري»: «أجل.. إنه احتمال قائم، أليس كذلك؟».

قالت «هيرميون» بالرغم من عدم الاقتناع الواضح في صوتها: «أعتقد هذا.. لكن لا أظن أنه يتحكم بها مثلما كان يستحوذ على كويرل، أعني أنه قد عاد إلى قوته، أليس كذلك؟ ولديه جسده، ولا يرغب في مشاركة أحد غيره في جسده. ربما لعنها بلعنة الإمبرياس...».

راقب «هارى» كلاً من «فريد» و«جورج» و«لى جوردن» وهم يلعبون بالزجاجات الفارغة. ثم قالت «هيرميون»: «لكن العام الماضى آلمتك الندبة دون أن يمسك أحد، كما ذكر دمبلدور أن للألم علاقة بما يشعر به الذى تعرفه.. أعنى، ربما ليس لهذا علاقة بأمبريدج بالمرة، ربما هى مصادفة وقعت وأنت فى مكتبها».

قال «هارى» بنبرة مسطحة: «إنها شريرة.. عقلها مريض».

«إنها فظيعة. لكن.. هارى، ربما من الأفضل إخبار دمبلدور بشأن ألم الندبة».

كانت هذه هى المرة الثانية خلال يومين التى ينصحه فيها أحد بزيارة «دمبلدور»، وكانت إجابته على «هيرميون» هى نفس إجابته على «رون».

«أنا لن أزعجه بسبب ما حدث. فكما قلت منذ قليل، المسألة ليست خطيرة. الألم يأتى ويذهب طوال الصيف.. لكنه كان أسوأ الليلة.. ليس أكثر..».

«هارى.. أنا واثقة من أن دمبلدور سيحب معرفة هذا الموضوع..».

قال «هارى» غير قادر على التحكم فى نفسه: «أجل.. الشىء الوحيد الذى يهتم به دمبلدور بشأنى.. ندبتى».

«لا تقل هذا.. هذه ليست الحقيقة».

«الأفضل أن أكتب لسيرياس أخبره بالموضوع، وأعرف رأيه..».

قالت «هيرميون» والانزعاج يملأ ملامحها: «هارى.. لا يمكنك كتابة شىء مثل هذا فى رسالة.. ألا تذكر؟ قال لنا مودى أن نأخذ حذرنا فى مراسلاتنا، فقد يقبض أحد على البوم ويعرف بما نكتب».

قال «هارى» بامتعاض وهو ينهض: «حسنًا حسنًا.. لن أخبره إذن.. أنا ذاهب للفراش.. أخبرى رون بهذا.. ممكن؟».

قالت «هيرميون» وقد بدا عليها الارتياح: «لا.. إن كنت ستنام فأنا أيضًا سأنام دون أن يشعر رون بأننى غير مهذبة. أنا متعبة جدًا وأريد عمل بعض القبعات غدًا. اسمع.. يمكنك مساعدتى إن شئت، فالأمر مسلٍ، وأنا أتحسن، يمكننى عمل أشكال وموديلات مختلفة».

نظر «هارى» إلى وجهها، الذى كان يشع سعادة، وحاول أن يبدو على وجهه الاهتمام بعرضها، وقال: «... لا أعرف.. لا.. أشكرك.. ليس غدًا.. فأنا عندى الكثير من الواجب لعمله..».

ثم اتجه نحو جناح نوم الأولاد، وتركها خلفه شاعرة بقليل من خيبة الرجاء.

١٤ بيرسى وبادفوت

كان «هارى» أول من استيقظ فى الحجرة صباح اليوم التالى. رقد للحظة يراقب ذرات الغبار تدور على خلفية أشعة الشمس القادمة من فتحة فى ستائر الفراش ذى الأعمدة الأربعة، مستمتعًا بفكرة قدوم يوم الأحد. بدا له أول أسبوع فى الفصل الدراسى كأنه استمر للأبد، كأنه حصة تاريخ سحر عملاقة.

ومن السكون الناعس وشعاع الشمس الطازج، بدا واضحًا أن اليوم فى بدايته. لملم الستائر من حول فراشه، ونهض وبدأ فى ارتداء ملابسه. الصوت الوحيد الذى سمعه بخلاف صوت العصافير كان صوت أنفاس زملائه الثقيل وهم نيام. فتح حقيبته المدرسية بحرص، وجذب منها رقعة ورق وريشة كتابة، وخرج من جناح النوم إلى حجرة الطلبة.

اتجه إلى مقعده الوثير إلى جانب المدفأة، وجلس، ثم فض رقعة الورق مجيلاً طرفه فى الحجرة. كانت قصاصات الورق، والزجاجات الخالية، وعلب الحلوى الفارغة، وغيرها مما يغطى حجرة الطلبة مع نهاية اليوم، قد اختفت، ومعها قبعات «هيرميون»، متسائلاً إن كانت الأقزام تأخذها أم لا، فتح «هارى» قنينة الحبر، وغمس فيها ريشة الكتابة، ثم رفعها فوق السطح الأبيض المصفر لرقعة الورق، مفكرًا متأملاً.. لكن بعد دقيقة وجد نفسه يحدق فى المدفأة الخالية، وليس عنده أى شىء ليقوله أو يكتبه.

أدرك فجأة كم الصعوبة التى كان كل من «رون» و«هيرميون» يلقيانها فى كتابة رسائل إليه وقت الصيف. كيف يخبر «سيرياس» بشأن ما حدث طوال الأسبوع الماضى، ويطرح عليه أسئلة يتحرق لمعرفة إجاباتها، دون أن يعطى المتلصصين على الرسائل أية معلومات لا يريد لهم معرفتها؟

جلس فى جمود لبعض الوقت، محدقًا فى المدفأة، ثم أخيرًا، اتخذ قرارًا. غمس الريشة فى قنينة الحبر ثانية، وبدأ فى الكتابة.

عزيزي سنافلس،

لعلك بخير. مر الأسبوع الأول بشعًا، وأنا مسرور حقًا بقدوم الإجازة. جاءتنا معلمة جديدة لمادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود، وهي الأستاذة أمبريدج. إنها في لطف وظرف أمك. أنا أكتب إليك بشأن الموضوع الخاص بالصيف الماضي، لأقول إنه قد وقع ثانية ليلة أمس وأنا في جلسة عقاب مع أمبريدج.

جميعنا نفتقد صديقنا الأكبر، ونتمنى عودته سريعًا.

برجاء الرد بسرعة.

تحياتي

هاري

عاود «هاري» قراءة الرسالة مرارًا، محاولاً معرفة ما يمكن أن يفهمه شخص غريب منها لم يَرَ أيًا مما كتبه سهل التفسير.. تمنى لو يفهم «سيرياس» الإشارة الخفية إلى «هاجريد» ويخبره بموعد رجوعه. لم يرد طرح السؤال بصورة مباشرة، حتى لا يجذب الانتباه إلى غياب «هاجريد» عن «هوجورتس».

وبالرغم من كونه خطابًا قصيرًا، إلا أنه أخذ الكثير من الوقت ليكتبه، وكانت الشمس قد تسللت إلى منتصف الحجرة عندما انتهى. أغلق لفافة الورق بحرص شديد، ثم خرج عبر فتحة اللوحة متجهًا إلى برج البوم.

قال «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا»، وقد خرج من خلف جدار أمام «هاري»: «ما كنت لأذهب إلى حيث ستذهب إن كنت مكانك.. بيفيس يخطط لمقلب كبير على أول من يصل إلى منتصف هذا الممر».

سأله «هاري»: «وهل سيسقط شيء ما على رأس من يمر في مقلبه هذا؟».

قال «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا» بصوت ملول: «أجل.. فهذه الطريقة في المزاح هي نقطة قوة بيفيس. سأذهب لأبحث عن البارون الدموي، ربما يساعدني في وضع حد لهذه المهزلة الأرضية.. إلى اللقاء يا هاري».

قال «هاري»: «طيب.. وداعًا» وبدلاً من المضي إلى الأمام، انحرف إلى اليمين، ثم إلى اليسار، متخذًا المسار الأطول إلى برج البوم. ارتفعت معنوياته

عندما مر إلى جوار نافذة تظهر منها السماء زرقاء زاهية.. سيحضر التدريب فيما بعد، سيعود إلى ملعب «الكويدتش» أخيرًا.

مس شيء ما كاحله. نظر لأسفل فرأى قطة فراش المدرسة: الآنسة «نوريس»، وهي تحتك به عابرة إلى جواره. رفعت عينيها الصفراوين إليه لحظة قبل أن تختفي خلف تمثال الساحر العظيم «ولفريد ألفريد».

قال لها «هاري»: «أنا لا أقوم بأي شيء خطأ». كان شكلها يوحي بأنها ستذهب لتخبر صاحبها بما رأته.. لكن «هاري» لم يعرف السبب. كان مُصرحًا له بالصعود إلى برج البوم صباح يوم الأحد مثل كل الطلاب.

أصبحت الشمس في كبد السماء، عندما دخل «هاري» البرج، فبهر الضياء الشديد القادم من النوافذ عينيه.. أشعة الشمس الفضية تتقاطع عبر الحجرة، التي يرقد فيها مئات البوم، وبعضها عاد من الصيد. كانت الأرض المغطاة بالقش تصدر أصواتًا وهو يخطو فوق عظام الحيوانات التي أكلها البوم، مديرًا رأسه بحثًا عن «هدويج».

قال بعد أن رآها قريبة من السقف المقبب: «ها أنت ذا.. انزلي.. معي رسالة لك».

بصوت خافت فردت جناحيها الأبيضين الكبيرين، وحطت على كتفه.

قال: «اسمعي.. أعلم أن هذه الرسالة مكتوب عليها من الخارج أنها موجهة لسنافلس، لكنها لسيرياس.. اتفقنا؟» وأعطاها الرسالة فأمسكتها بمنقارها. غمزت بعينيها العنبريتين لتخبره أنها قد فهمت.

قال «هاري» وهو يحملها إلى واحدة من النوافذ: «رحلة آمنة» وبعد أن هبطت على ذراعه لحظة، طارت لترفرف في السماء الزرقاء اللامعة. راقبها حتى صارت نقطة سوداء على بعد واختفت، ثم نقل بصره إلى كوخ «هاجريد»، الذي رآه غير مسكون، ومدخنته لا يتصاعد منها الدخان، والستائر مفرودة.

أخذت قمم أشجار الغابة المحرمة تتمايل مع النسيم الخفيف. راقبها «هاري» مستمتعًا بالهواء المنعش على وجهه، مفكرًا في تدريب «الكويدتش».. ثم رآه: حصانًا مجنحًا أشبه بالزواحف، مثل الجياد التي رآها مربوطة إلى عربات «هوجورتس»، وجناحاه الجلديان الأسودان مفرودان مثل حيوان خرافي، محلقًا فوق الأشجار. طار في دائرة واسعة، ثم عاد إلى

الأشجار. حدث ما حدث بسرعة، حتى إن «هاري» كاد لا يصدق ما رآه.

انفتح باب برج البوم من خلفه. قفز مرعوبًا، ثم وهو يلتفت بسرعة، رأى «تشو تشانج» واقفة وفي يدها رسالة وعبوة سترسلها كطرد.

قال لها «هاري» بصورة آلية: «أهلاً».

قالت مأخوذة: «آه.. أهلاً.. لم أتخيل أن أجد أحداً هنا في هذا الوقت من الصباح. تذكرت منذ خمس دقائق أن اليوم هو عيد ميلاد والدتي».

رفعت العبوة لتريها إياه.

قال «هاري» مرتبكًا: «واضح». أراد أن يقول شيئًا طريفًا وهامًا، لكن رؤيته للجواد الطائر كانت لا تزال طازجة في ذاكرته.

قال مشيراً إلى النوافذ: «صباح جميل» وهو يشعر بالحرج. الطقس؟ هل أتحدث عن الطقس؟

قالت «تشو» ناظرة حولها في أركان البرج: «أجل.. جو مناسب للعب الكويدتش. لم أخرج طوال الأسبوع. هل خرجت أنت؟».

قال «هاري»: «لا».

اختارت بومة من البوم المدرسي، ورفعتها إلى يدها. فمدت البومة قدمها بانتظار ربط العبوة.

سألت «هاري» قائلة: «هل انضم إلى فريق جريفندور حارس مرمى جديد؟».

قال «هاري»: «أجل، إنه صديقي رون ويسلي. هل تعرفينه؟».

قالت «تشو» ببرود: «كاره فريق التورنادوز؟ هل هو ماهر؟».

قال «هاري»: «أجل.. أعتقد هذا. لم أشهد اختباراته. فقد كنت في الاحتجاز».

نظرت «تشو» إلى أعلى، والطرد نصف مربوط إلى قدم البومة.. قالت بصوت خفيض: «أمبريدج هذه قاسية.. هل احتجزتك لأنك تقول الحقيقة عن.. عن كيف مات؟ الجميع يعرفون، وانتشر الخبر في المدرسة. أنت شجاع لمواجهتك لها».

امتلأ صدر «هاري» فرحة بسرعة، حتى إنه شعر بأنه على وشك الطيران بضع بوصات لأعلى من يهتم بالجواد الطائر الغبي.. «تشو» تراه شجاعًا. للحظة فكر في أن يريها متعمداً جرح يده وهو يساعدها في ربط الطرد إلى قدم البومة. لكن لحظة ورد إلى خاطره هذا الخاطر السعيد انفتح باب البرج ثانية.

دخل «فيلش» فراش المدرسة إلى البرج. كانت هناك بقع بنفسجية على وجنتيه، وشعره الرمادي الخفيف أشعث. بدا من الواضح أنه قطع الطريق إلى البرج جريًا. جاءت من خلفه الآنسة «نوريس»، وأخذت تنظر إلى البوم فوقها بجوع. رفرفت بعض الأجنحة القلقة وكشفت بومة بنية عن منقارها مهددة القطة.

«آهاه.. كان هذا صوت «فيلش»، وهو يتقدم خطوة من «هاري» ووجنتاه المرتخيتان ترتجفان من الغضب.. قال: «سمعت أنك أرسلت منذ لحظات رسالة تطلب فيها شحنة كبيرة من الدانجبومب».

عقد «هاري» ذراعيه ونظر إلى الفراش قائلاً: «ومن قال لك هذا؟».

نقلت «تشو» بصرها بينهما، مقطبة الجبين هي الأخرى. والبومة على ذراعها، متعبة من مدها لقدمها، فأطلقت نعيبًا احتجاجيًا، لكن «تشو» تجاهلتها.

قال «فيلش» بثقة بالغة: «عندي مصادري.. والآن ناولني رسالتك».

قال «هاري» شاعراً بقدر هائل من الراحة؛ لأنه قد أرسل الرسالة بالفعل: «لا أقدر.. لقد طارت».

قال «فيلش»: «طارت؟» ووجهه قد شوهه الغضب.

قال «هاري» بهدوء: «طارت».

فتح «فيلش» فمه وهو في ثورة من الغضب، وحاول نطق بعض الكلمات التي لم تخرج، ثم نظر لعباءة «هاري» كأنه سيقطعها بعينه.

«وكيف أعرف أن رسالة الطلبية ليست في جيبك؟».

«لأن..».

قالت «تشو» بغضب: «رأيته وهو يرسلها». فالتفت «فيلش» إليها.

«رأيته وهو..؟».

قالت بغيظ: «أجل.. رأيته».

مرت لحظة من الصمت حدق خلالها «فيلش» في «تشو» وبادلته «تشو» النظر، ثم عاد من حيث جاء. توقف ويده على مقبض الباب، والتفت إلى «هاري» وقال: «إن عرفت بوجود أقل القليل من الدانجبومب فسوف..».

نزل السلم، وألقت الآنسة «نوريس» نظرة اشتياق أخيرة على البوم، وتبعته. تبادل «هاري» و«تشو» النظر. قال «هاري»: «أشكرك».

قالت «تشو»، وهي تثبت الطرد أخيراً إلى قدم البومة ووجهها محتقن قليلاً «العفو، أنت لم تكن ترسل رسالة طلباً للدانجبومب، أليس كذلك؟».

قال «هاري»: «بلى».

قالت وهي تحمل البومة بحرص إلى النافذة: «أتساءل لماذا ظن فيك ما ظنه».

هز «هاري» رأسه. كان متعجباً من الموضوع مثلها تماماً، بالرغم من أن الأمر لم يزعجه كثيراً في تلك اللحظة.

غادرا البرج معاً، وعند مدخل الممر المؤدي إلى الجناح الغربي من القلعة قالت «تشو»: «سأذهب من هنا.. أ.. أراك قريباً».

«حسناً.. إلى اللقاء».

ابتسمت وانصرفت. مضى «هاري» في طريقه شاعراً بالابتهاج. تمكن أخيراً من الكلام معها دون أن يحرج نفسه. قالت «تشو» إنه شجاع. لم تكن تكرهه بالطبع كانت تفضل «سيدريك» عليه. لكن لو كان طلب منها حضور الحفل معه قبل أن يفعل «سيدريك» كانت ستتغير الأمور. بدا عليها الأسف الشديد عندما طلب منها «هاري» الذهاب إلى الحفل معه بعد «سيدريك».

قال «هاري» بتألق لكل من «رون» و«هيرميون» وهو ينضم إليهما على مائدة «جريفندور» بالقاعة الكبرى لتناول الإفطار «صباح الخير».

قال «رون» ناظراً إليه بدهشة: «ما سبب كل هذه الفرحة؟».

قال «هاري» بسعادة وهو يجتذب طبق بيض كبيراً نحوه: «إحم.. تدريب الكويدتش اليوم».

قال «رون»: «آه.. واضح». وضع قطعة كبيرة من الخبز المحمص أمامه وأخذ رشفة كبيرة من العصير ثم قال: «اسمع.. ما رأيك في أن نبدأ أنا وأنت التدريب مبكراً عن الآخرين؟ حتى.. حتى.. أ.. أتدرب قليلاً قبل التمرين.. حتى كما تعرف، أركز في التمرين».

قال «هاري»: «طبعاً».

قالت «هيرميون» بجدية: «انظرا. لا أظن أن ما تفعلانه صحيح. لديكما الكثير من الواجب المتأخر و..».

لكنها صمتت. وصل بريد الصباح، وكالعادة، هبطت إليها البومة حاملة جريدة «الدايلي بروفيت»، وحطت بالقرب من طبق السكر ومدت قدمها

أخرجت «هيرميون» عملة «نات» من حقيبتها ووضعتها في كيس البومة المربوط بقدمها، وأخذت منها الجريدة، ونظرت نظرة فاحصة إلى الصفحة الأولى، قبل أن تطير البومة مبتعدة.

قال «رون»: «هل وجدت شيئاً مهماً؟». ابتسم «هاري»، وهو يعرف أن «رون» حريص على الابتعاد عن موضوع الواجب.

تنهدت قائلة: «لا أخبار عن عازف جيتار فريق الإخوة الغرباء، سيتزوج قريباً».

فتحت «هيرميون» الجريدة واختفت خلفها. انتبه «هاري» لطعامه، بينما أخذ «رون» ينظر إلى خارج النوافذ العالية، وعلى وجهه علامات الانشغال.

قالت «هيرميون» فجأة: «ما هذا؟ لا.. سيرياس!».

قال «هاري» وهو يختطف الجريدة بعنف تمزقت معه من منتصفها، فأصبح معه نصفها ومع «هيرميون» النصف الآخر: «ماذا حدث؟».

قرأت «هيرميون» النصف الذي بيدها: «تلقت وزارة السحر خبراً من مصدر موثوق به، يفيد بأن سيرياس بلاك.. المجرم الخطير.. إلخ إلخ إلخ.. في لندن».

قال «هاري» بصوت خفيض غاضب: «لوكياس مالفوي. أراهن على أي شيء أنه هو من فعلها، بعد أن تعرف على سيرياس على رصيف المحطة..».

قال «رون» والانزعاج يملأ وجهه: «ماذا؟ لم تقل إن..».

«صه» جاءه تحذير الاثنين.

ثم أكملت «هيرميون» قراءتها: «.. تحذر الوزارة مجتمع السحرة من أن بلاك خطير، وأنه قد سبق له قتل ثلاثة عشر شخصاً.. وهرب من أزكابان..» ثم أنهت كلامها قائلة: «الكلام السائج المعتاد» وهي تلقي بنصف الجريدة على المائدة، وتنظر بخوف إلى «هاري» و«رون».. ثم همست: «لن يكون قادراً على مغادرة المنزل ثانية.. هذا كل ما في الأمر. لقد حذره دمبلدور من الخروج».

نظر «هاري» بتجهم إلى نصف الجريدة الذي معه. كانت بعض الصفحات ليس بها إلا إعلانات عن «عباءة مدام مالكين لكل الأغراض»، والتي يقول الإعلان إن عليها خصماً.

قال مشيراً إلى الجريدة وهو يميل بها ليقرأ معه «رون» و«هيرميون»: «انظرا.. انظرا إلى هذا!».

انحنى «رون» و«هيرميون» مقتربين ليقرآ معه. كان الخبر لا يزيد عن البوصة في الركن الأيمن من الصفحة.

حادث تسلل إلى الوزارة

تمت محاكمة ستورجيس بودمور، *البالغ من العمر ٣٨ عامًا، والساكن بالمنزل رقم ٢، حدائق لابورنوم، بكلافام، بتهمة التسلل إلى الوزارة ومحاولة سرقتها ليلة ٣١ أغسطس، وهذا في محكمة الويزنجاموت. تم إلقاء القبض على بودمور من جانب حارس الوزارة إريك مونش، الذي وجده يحاول التسلل عبر باب سري حوالي الساعة الواحدة صباحًا. وتمت محاكمة المتهم ـ الذي رفض الاعتراف بالتهمة الموجهة إليه ـ وحكم ضده بالسجن لمدة ستة أشهر في أزكابان.*

قال «رون» ببطء: «ستورجيس بودمور؟ إنه هذا الساحر الذي.. أليس عضوًا في جماعة الـ..؟».

قالت «هيرميون» ملقية بنظرة مرتاعة حولها: «رون.. اصمت».

همس «هاري» مصدومًا: «ستة أشهر في أزكابان؟ فقط لمحاولته اقتحام باب؟».

قالت «هيرميون»: « لا تكن أحمق. لم يكن أي باب عادي. ماذا بربك كان يفعل في الوزارة الساعة الواحدة صباحًا؟».

غمغم «رون»: «هل تعتقدان أن للأمر علاقة بالجماعة؟».

قال «هاري» ببطء: «لحظة. كان من المفترض أن يأتي ستورجيس ويحرسنا في الطريق إلى المحطة. هل تتذكران؟». فنظر الآخران إليه.

«أجل. كان من المفترض أن يكون من الذاهبين إلى كينجس كروس، أتذكران؟ وكان مودي منزعجًا عندما لم يأت؛ لذا فهو لم يكن في مهمة من أجل الجماعة. أليس كذلك؟».

قالت «هيرميون»: «ربما لم يتوقعوا اعتقاله».

قال «رون» بحماس: «لعله كمين. لا، اسمعا» استرسل في الكلام وصوته ينخفض بصورة درامية تفاعلاً مع نظرة الرهبة على وجه «هيرميون».

«الوزارة تشك في أنه واحد من حلفاء «دمبلدور». ربما خدعوه ليدخل الوزارة، ولكن يحاول الدخول عبر الباب.. ربما اختلقوا الموضوع ليوقعوا به».

مرت فترة من الصمت، بينما «هاري» و«هيرميون» يفكران فيما قاله. بدا هذا الفرض بعيدًا لـ «هاري». لكن «هيرميون» ـ على الجانب الآخر ـ بدت مندهشة، وقالت: «أتعلم؟ لن أندهش إن كان ما تقوله صحيحًا».

طوت نصف الجريدة الذي بيدها بعناية، و«هاري» يضع شوكته وسكينه في الطبق، بدت كأنها تخرج من حالة سبات.

«المهم. أعتقد أن علينا كتابة ذلك المقال للأستاذة سبروت عن الشجيرات التي تُسمِّد نفسها بنفسها.. وسنكون محظوظين لو بدأنا في تمرين الأستاذة مكجونجال للتحويل قبل الغداء..».

شعر «هاري» بالذنب متذكرًا كومة الواجب المكوم فوق رأسه، لكن السماء كانت صافية، بلون أزرق صاف، وهو لم يركب مقشته منذ أسبوع.

قال «رون» ومعه «هاري» يسيران في طريقهما عبر الممشى إلى ملعب «الكويدتش»: «أعني.. لم لا نعمل الواجب الليلة؟». كانت مقشاتهما على كتفيهما، وتحذير «هيرميون» لهما من إمكانية السقوط في سنة شهادة (م.أ.ر.م، دبليو إل) يرن في آذانهما. أضاف: «كما أن لدينا الغد. أنت تعرف كيف تخاف من الواجب، وهذه مشكلتها». مرت برهة من الصمت ثم أضاف: «تراها كانت جادة عندما قالت إنها لن تدعنا ننقل الواجب منها؟».

قال «هاري»: «أجل. لكن ما نفعله مهم.. علينا التدريب قبل بداية التمرين الجماعي للفريق».

قال «رون» بحماس: «فعلاً.. أنت محق. ولدينا الكثير من الوقت لعمل كل الواجب».

مع اقترابهما من ملعب «الكويدتش» نظر «هاري» إلى يمينه حيث تتمايل أشجار الغابة المحرمة. لم يخرج من بينها أي شيء طائر، والسماء خالية ليس بها سوى البوم المحلق حول برجه. لديه ما يكفيه ليقلق بشأنه، والجياد الطائرة لا ضرر منها.. فأخرجها من نطاق تفكيره.

أحضرا الكرات من خزانة حجرة تغيير الملابس، وشرعا في التدريب.. وقف «رون» حارسًا على المرمى الثلاثي الكبير، وقام «هاري» بدور المهاجم محاولاً تمرير كرة «الكوافل» من جانب «رون».. لكنه وجده حارس مرمى جيدًا، فقد صد ثلاثة أرباع الكرات التي صوبها نحوه، وكلما لعب أكثر، تحسن

مستواه. وبعد ساعتين عادا إلى القلعة لتناول الغداء. وأثناءه أوضح «هيرميون» أنها تراهما غير مسئولين. ثم عادا إلى ملعب «الكويدتش» للمشاركة فى تمرين الفريق. كان جميع أعضاء الفريق فى حجرة تبديل الملابس بالفعل، عدا «أنجيلينا».

قال «جورج» وهو يغمز بعينه لأخيه: «هل أنت بخير يا رون؟».

قال «رون»، وهو يهدأ أكثر وأكثر مع اقترابه من الملعب: «أجل».

قال «فريد» وهو يمرر رأسه من عنق عباءة اللعب الضيق، وشعره أشعث وابتساما شريرة على وجهه: «هل أنت مستعدة لتريهم مهارتك يا رونى الصغيرة؟».

قال «رون» بوجه جامد كالصخر: «اصمت» وهو يجذب عباءة الفريق ليرتديها للمرة الأولى. وجد العباءة على مقاسه تماماً. لكن ولأنها كانت عباءة «أوليفر ستون»، فقد كانت فضفاضة قليلاً عند الكتف.

قالت «أنجيلينا»، وهى تخرج إليهم من مكتب كابتن الفريق وقد غيرت ثيابها: «هيا نبدأ. أليشيا وفريد، من فضلكما أحضرا الكرات من صندوق الكرات. أه. هناك بعض الأشخاص بالخارج، لكن تجاهلوهم.. مفهوم؟».

شىء ما فى صوتها اللامبالى جعل «هارى» يخمن هوية المشجعين المنتظرين بالخارج، وبالطبع، عندما خرجوا من حجرة الملابس إلى الشمس الساطعة بالملعب قوبلوا بعاصفة من السخرية والضحكات من فريق «سليذرين» للـ«كويدتش»، ومعهم بعض أصدقائهم، ممن تجمعوا عند مدرجات المشاهدين وأصواتهم تدوى فى ملعب الاستاد الخالى.

صاح «مالفوى» ساخراً: «ما هذا الذى يركبه ويسلى؟ ترى هل تنجح حيلته هذه، بوضع تعويذة طيران على لوح خشب قديم مثل هذا؟!».

تفجرت ضحكات «كراب» و«جويل» و«بانسى باركنسون». امتطى «رون» مقشته وركل الأرض، وتبعه «هارى»، وهو يراقب أذنيه تتحولان للون الأحمر.

قال له وهو يسارع ليلحق به: «تجاهلهم.. سنرى من سيضحك عندما نلاعبهم..».

قالت «أنجيلينا» باستحسان: «هذه هى الروح التى أريدها»، وهى تطير حولهما وكرة «الكوافل» تحت إبطها، ثم أبطأت أمام فريقها الطائر لتقول: «حسناً. اسمعونى جميعاً، سنبدأ بالتدريب على التمريرات على سبيل التسخين، كل الفريق من فضلكم..».

صاحت «بانسى باركنسون»: «أنت.. يا جونسون.. ما تصفيفة شعرك هذه؟ لا أفهم سر رغبتك فى هذه التصفيفة المضحكة».

أبعدت «أنجيلينا» شعرها الطويل عن وجهها، وقالت بهدوء: «هيا. العبوا».

عكس «هارى» اتجاهه بعيداً عن الآخرين، متجهاً إلى الطرف البعيد من الملعب. تراجع «رون» نحو المرمى. رفعت «أنجيلينا» الكرة بيدها ورمتها بقوة إلى «فريد»، الذى مررها إلى «جورج»، الذى مررها بدوره إلى «هارى»، الذى مررها إلى «رون»، الذى أسقطها.

أخذ أعضاء فريق «سليذرين» يضحكون، وقبلهم «مالفوى». أما «رون» الذى اقترب من الأرض ليمسك بالكرة قبل أن تحط على العشب، فقد صعد بطريقة غير رشيقة، حتى إنه انزلق من على مقشته، ثم ارتفع فى الهواء إلى مستوى لعب الباقين، ووجهه محمر من الخجل. رأى «هارى» «فريد» و«جورج» يتبادلان النظر، لكن لم ينطقا أى شىء، وهو ما شعر بالامتنان لهما بسببه.

صاحت «أنجيلينا»، كأن شيئاً لم يحدث: «مرر الكرة يا رون».

ألقى «رون» بالكرة نحو «أليشيا»، التى مررتها بدورها إلى «هارى»، الذى مررها إلى «جورج».

صاح «مالفوى»: «يا بوتر.. هل تؤلمك ندبتك؟ ألست بحاجة للاستلقاء والراحة قليلاً؟ مر أسبوع وأنت لم تزر المستشفى، يا له من رقم قياسى خطير..».

مرر «جورج» الكرة إلى «أنجيلينا»، التى أعادتها إلى «هارى»، الذى لم يكن يتوقعها، لكنه أمسكها بأطراف أصابعه، ومررها بسرعة إلى «رون»، الذى اقترب منها، لكنه لم يمسكها وأصابعه على بعد بضع بوصات منها.

قالت «أنجيلينا» بغضب لـ«رون» وهو يطير مقترباً من الأرض ثانية مطارداً كرة «الكوافل»: «رون.. انتبه من فضلك».

صار من الصعب معرفة أيهما أكثر احمراراً: أذن «رون» أم الكرة، التى كان لونها أحمر قانياً، وهو يعود إلى ارتفاع مستوى اللاعبين ثانية. أخذ «مالفوى» ومعه باقى أعضاء الفريق يضحكون بشدة.

وفى المحاولة الثالثة أمسك «رون» بالكرة.. وربما بسبب فرحته طار بحماس نحو يد «كاتى» الممدودة إليه وضربها بالكرة على وجهها.

قال «رون» خجلاً: «آسف» وهو يطير للأمام لرؤية حجم الإصابة.

صاحت إليه «أنجيلينا»: «عد إلى موقعك، فهي بخير. لكن وأنت تمرر الكرة لعضو في فريقك لا تحاول إسقاطه من فوق مقشته، مفهوم؟ معنا كرتا البلادجر لهذا الغرض».

أخذت أنف «كاتي» تنزف، وبالأسفل تقافز أعضاء فريق «سليذرين» على أقدامهم وهم يضحكون ويسخرون مما يجري. واقترب «فريد» و«جورج» من «كاتي».

قال لها «فريد» وهو يناولها شيئًا صغيرًا بلون بنفسجي أخرجه من جيبه: «خذي هذه. ستمنع النزيف في وقت قصير».

صاحت «أنجيلينا»: «فريد.. جورج، أحضرا مضربيكما وكرة بلادجر. رون، قف أمام المرمى. هاري، اخرج كرة السنيتش عندما أطلب منك. علينا تدريب رون».

حلق «هاري» مبتعدًا متتبعًا التوأمين ليحضر كرة «السنيتش».

تمتم «جورج» وثلاثتهم يهبطون عند الصندوق الذي يحتوي على الكرات: «رون يهاب اللعب. أليس كذلك؟».

قال «هاري»: «إنه قلق فقط. لكن مستواه كان جيدًا عندما تدربنا صباحًا».

قال «فريد» بعبوس: «طيب. أتمنى ألا يكون مستواه قد هبط بهذه السرعة».

عادوا إلى الطيران. عندما أطلقت «أنجيلينا» صافرة بداية التمرين أطلق «هاري» كرة «السنيتش»، وترك «فريد» و«جورج» كرة «البلادجر» تطير. ومن تلك اللحظة و«هاري» غير واعٍ بما يقوم به الآخرون. كانت مهمته هي القبض على الكرة الذهبية الصغيرة التي ترفرف بجناحيها سعيًا للحصول على المائة وخمسين نقطة لصالح فريقه، وهو ما يتطلب الكثير من السرعة والمهارة. زاد سرعته، وأخذ يدور ويتفادى المهاجمين، وهواء الخريف الباقي يداعب وجهه، وصيحات أعضاء فريق «سليذرين» قد صارت بلا أي معنى. لكن وبعد قليل، انطلقت الصفارة ثانية لتوقفه.

صرخت «أنجيلينا»: «توقفوا. توقفوا. رون.. أنت لا تقف أمام المرمى الأوسط».

نظر «هاري» إلى «رون»، الذي كان معلقًا في الهواء أمام المرمى الأيسر، تاركًا الاثنين الآخرين خاليين بلا حماية.

«أه.. آسف».

قالت «أنجيلينا» موجهة إياه: «داوم على الحركة بين أرجاء المرمى الثلاثي أنت تراقب المهاجمين بعينيك. وإلا فلتبق أمام المرمى الأوسط حتى تتحرك بعد كرة موجهة إلى أحد مرميي الطرفين، أو لتدر في دائرة ضيقة. لكن لا تقف بعيدًا هكذا أمام المرمى الطرفي، فهكذا دخلت آخر ثلاثة أهداف فيك» كرر «رون» كلامه: «آسف..» ووجهه الأحمر يكاد يكون بنفس درجة لمعان السماء.

«وأنت يا كاتي.. ألا يمكنك فعل شيء حيال أنفك هذا الذي ينزف؟».

قالت «كاتي»، محاولةً إيقاف النزيف بضغط كمها على أنفها: «النزيف يسوء!».

نظر «هاري» إلى «فريد»، الذي بدا قلقًا، وهو يتحقق مما في جيبه. رآه يخرج شيئًا بنفسجيًا ويفحصه، ثم ينظر لـ«كاتي» وعلى وجهه أمارات الرعب.

قالت «أنجيلينا»: «حسنًا.. هيا نحاول ثانية». كانت قد تجاهلت صيحات فريق «سليذرين» تمامًا، والذين أخذوا يغنون: «جريفندور يا (محتاس) لا دوري ولا كاس.. جريفندور يا (محتاس) لا دوري ولا كاس» لكن طريقة جلوسها الجامدة على المقشة أظهرت توترها.

هذه المرة ما كادوا يطيرون لمدة ثلاث دقائق، حتى أنهت صفارة «أنجيلينا» اللعب.. فشعر «هاري» بالضيق وكان قد لمح كرة «السنيتش» عند المرمى البعيد. قال بصبر نافد لـ«أليشيا»، وهي الأقرب إليه: «ما الأمر؟».

قالت بإيجاز: «كاتي».

التفت «هاري» ناظرًا إلى «أنجيلينا» و«فريد» و«جورج» الذين طاروا بسرعة نحو «كاتي». سارع «هاري» و«أليشيا» نحوها هما الآخران. كان من الواضح أن «أنجيلينا» قد أوقفت التمرين في الوقت المناسب. فقد تحول لون وجه «كاتي» إلى اللون الأبيض الطباشيري، ووجهها مغطى بالدماء.

قالت «أنجيلينا»: «إنها بحاجة للذهاب إلى المستشفى».

قال «فريد»: «سنصطحبها نحن.. فهي.. أ.. ابتلعت حلوى النزيف عن طريق الخطأ».

قالت «أنجيلينا» بحسرة مع ابتعاد «فريد» و«جورج» نحو القلعة وبينهما «كاتي»: «لا فائدة من إكمال التمرين دون حاملي المضارب، والمهاجمة.. هيا نعود ونغير ملابسنا».

استمر غناء أعضاء فريق «سليذرين» وهم في طريق العودة إلى حجرة تغيير الملابس. بعد نصف الساعة تساءلت «هيرميون» ببرود، و«هاري» ومعه «رون»

يلجان عبر كوة اللوحة إلى حجرة طلبة «جريفندور»: «كيف كان التمرين؟».

شرع «هارى» فى الكلام قائلاً «كان..».

قال «رون» بصوت خاوٍ: «فى غاية السوء» وهو يغوص فى المقعد المجاور لمقعد «هيرميون»، التى نظرت إليه وبرودها أخذ فى التلاشى.

قالت بنبرة مجاملة: «لن تجيد اللعب من التمرين الأول.. الطبيعى أن تأخذ بعض الوقت لـ..».

قاطعها «رون» بحدة قائلاً: «ومن قال إننى أنا من جعل التمرين سيئًا».

قالت «هيرميون» مأخوذة من هجومه: «لا أحد.. ظننت..».

«ظننت أن أدائى فى اللعب كان فى غاية السوء؟».

«لا.. بالطبع لا. انظر، قلت: إن التمرين فى غاية السوء فظننت..».

قال «رون» بغضب وهو يسارع بصعود السلم المؤدى إلى جناح نوم الأولاد: «سأبدأ فى عمل الواجب» واختفى عن ناظرهما. فالتفتت «هيرميون» لتواجه «هارى».

«هل كان أداؤه سيئًا؟». فقال «هارى» مدافعًا عن صديقه: «لا».

رفعت «هيرميون» حاجبيها.

غمغم «هارى»: «أعتقد أنه كان بإمكانه اللعب أفضل من هذا. لكن المشكلة أن هذا هو التدريب الأول فى الموسم، مثلما قلت أنت..».

لم ينجز «هارى» أو «رون» الكثير من الواجب المتراكم عليهما فى تلك الليلة. كان «هارى» يعرف أن «رون» مشغول بأدائه السيئ فى تمرين «الكويدتش» وهو نفسه كان غاضبًا وقلقًا من هتاف: «جريفندور يا (محتاس) لا دورى ولا كاس».. الذى أخذ يدور فى رأسه.

قضيا يوم الأحد بأكمله فى حجرة الطلبة، مدفونين تحت أكوام الكتب، والحجرة من حولهما تمتلئ ثم تفرغ. كان يومًا صافيًا جميلاً آخر، ومعظم زملائهما من «جريفندور» قضوه فى الفناء والحدائق الخارجية مستمتعين بأشعة الشمس. ومع حلول المساء شعر «هارى» كأن هناك من يتشاجر فى رأسه داخل جمجمته.

غمغم مخاطبًا «رون» وهما يزيحان مقال الأستاذة «ماكجونجال» الطويل عن تعويذة الاستحضار «إنانيماتوس كونجوروس»، بعد أن كتباه: «أتعلم؟ علينا عمل الواجب أثناء الأسبوع ولا ندعه يتراكم حتى الإجازة». ثم بدأ شاعرين بالتعاسة فى مقال الأستاذة «سينسترا» الطويل الصعب عن أقمار كوكب المشترى العديدة.

قال «رون» وهو يحك عينيه المحمرتين من التعب ويلقى بخامس ورقة غير راضٍ عن مستوى الكتابة فيها إلى النار: «أجل.. اسمع.. هلا سألنا هيرميون أن تدعنا نلق نظرة على واجبها؟».

نظر «هارى» نحوها. كانت جالسة و«كروكشانكس» على حجرها وهى تتكلم بسعادة مع «جينى» وزوج من إبر الحياكة تتلاعب أمامهما فى الهواء، وهى تحيك جوربًا بلا معالم من جوارب الأقزام.

قال بضيق: «لا.. أنت تعرف أنها لن تخبرنا بشىء».

وهكذا أخذوا يعملون والسماء تتحول من النوافذ إلى لون أزرق داكن. ببطء، بدأ الزحام فى حجرة الطلبة فى الانحسار ثانية. وفى تمام الساعة الحادية عشرة والنصف، عادت «هيرميون» إليهما وهى تتثاءب. وقالت: «هل أوشكتما على الانتهاء؟».

قال «رون» باقتضاب: «لا».

قالت مشيرة من فوق كتف «رون» إلى المكتوب فى مقاله عن التنجيم: «أكبر أقمار المشترى هو قمر جانيميد، وليس كاليستو، وقمر إيو هو الذى فيه براكين».

قال «رون» غاضبًا وهو يزيل الجُمل الخطأ بقلمه: «أشكرك».

«آسفة.. كنت فقط أ..».

«أجل، إن كنت قد جئت لتنتقدى..».

«رون..».

«ليس لدى وقت للاستماع لكلامك يا هيرميون.. أنا غارق حتى أذنىّ فى..».

«لا.. انظر».

كانت «هيرميون» تشير إلى أقرب النوافذ. نظر «هارى» و«رون» إليها. كان هناك بومة جميلة واقفة على إطار النافذة، تحدق عبر الحجرة فى «رون».

قالت «هيرميون» مندهشة: «أليست هذه هرميس؟».

قال «رون» ملقيًا بريشة كتابته وهو يهب على قدميه: «اللعنة.. إنها هى.. ترى لماذا يكتب بيرسى إلىّ؟».

عبر إلى النافذة وفتحها.. طارت «هرميس» إلى الداخل، وحطت على ورق «رون»، وهى تمد قدمها بالرسالة المربوطة فيها. أخذ «رون» الرسالة فغادرت البومة على الفور، تاركة آثار أقدام من الحبر عند الجزء الخاص بقمر «إيو» من

مقال «رون»، الذى قال وهو يعاود الجلوس فى مقعده: «إنه خط بيرسى» ثم وهو يقرأ الكلمات المكتوبة على الغلاف:

«رونالد ويسلى، برج جريفندور، هوجورتس». نظر إلى صديقيه وقال: «ترى ماذا به؟».

قالت «هيرميون» بلهفة: «افتحه» فأومأ «هارى» برأسه موافقًا.

فض «رون» لفافة الورق وبدأ فى القراءة، وكلما تمر عينه على المزيد من السطور، ازداد صوته غضبًا، وعندما انتهى من القراءة بدا عليه الغثيان. ألقى بالرسالة إلى «هارى» و«هيرميون»، اللذين مالا على أحدهما الآخر، وأخذا فى القراءة:

عزيزى رون،

سمعت لتوى (من السيد وزير السحر نفسه، الذى عرف بالأمر من الأستاذة أمبريدج معلمتك) أنك قد صرت رائد فصل فى هوجورتس.

لكم سرنى هذا الخبر، وشعرت بالدهشة منه، فتهانىَّ. علىَّ الاعتراف بأننى كنت أخاف اتباعك طريق «فريد» و«جورج» الضال، بدلاً من اتباع هديى والسير على خطاى؛ لذا، فلك أن تتخيل كم فخرى وسعادتى بسماع هذا الخبر، ومعرفتى بأنك قد كففت عن مخالفة معلميك والنظام المدرسى، وقررت أخيرًا أن تتحمل بعض المسئوليات.

لكن لك عندى أكثر من التهانى يا رون، أريد أن أسديك بعض النصائح، وهذا هو سبب إرسالى للرسالة ليلاً بدلاً من بريد الصباح المعتاد، متمنيًا أن تكون وحدك، وتقرأه بعيدًا عن أعين المتطفلين.

من شىء آخر عرفته من السيد الوزير عندما أخبرنى بمنصبك الجديد، فقد استنتجت أنك تلازم هارى بوتر كثيرًا. علىَّ إخبارك يا رون بأن لا شىء أخطر ولا أكثر مدعاة لخسارتك لشارتك من ملازمة هذا الولد. أجل، أنا واثق أن سماع هذا سيدهشك. لا شك أنك ستقول إن هارى هو فتى دمبلدور الأثير إلى قلبه. لكننى أشعر بالالتزام بإخبارك بأن دمبلدور ربما لن يستمر فى تحمل مسئولية إدارة هوجورتس، وأن الناس المهمين لديهم آراء مختلفة - أكثر جدية وأهمية - فى سلوك هارى الغريب. لن أقول لك المزيد، لكن إن قرأت جريدة الدايلى بروفيت

غدًا، فستعرف عما أتحدث، وستعرف اتجاه الرياح، وترى بنفسك إن كنت تقف موقفًا صحيحًا أو لا.

بصراحة يا رون، إن كنت لا تريد أن يروك بالطريقة التى يروا بها بوتر وهو الأمر الخطير على مستقبلك، وأنا أتحدث هنا عن مستقبلك بعد التخرج، فعليك الإنصات لما أقول. كما تعرف، فإن بوتر قد حوكم الصيف الماضى فى محكمة الويزنجاموت، ولم يخرج من المحاكمة تام البراءة. فقد نجح فى الإفلات من العقاب لأسباب شكلية لا علاقة لها بالأسباب الموضوعية، وإن سألتنى سأقول لك إن الكثيرين يعتبرونه مذنبًا ويستحق العقاب.

ربما تكون خائفًا من قطع أواصر صداقتك مع بوتر. فاعلم أنه غير متزن، وقد يكون خطيرًا أحيانًا. لكن إن كنت قلقًا بشأنه أو لاحظت شيئًا غريبًا عليه، ووجدته يؤرقك، فأرجوك. تحدث إلى دولوريس أمبريدج، فهى سيدة فاضلة عذبة طيبة أعرف أنه سيسرها كثيرًا سماع أى أخبار منك.

هنا يؤدى بى إلى إسداء نصيحة أخرى إليك، كما ألمحت إليك أعلاه، فإن عهد دمبلدور فى هوجورتس يقترب من نهايته. ولاؤك يا رون لا يجب أن يكون له، لكن للمدرسة والوزارة. يؤسفنى سماع أن الأستاذة أمبريدج قد لاقت أقل القليل من العون من هيئة التدريس بالمدرسة، وهى مقدمة على تغييرات ضرورية داخل هوجورتس، وهو ما ترغب فيه الوزارة أيضًا. علىَّ أن أقول لك إن الطالب الذى يظهر التعاون الكامل مع الأستاذة أمبريدج قد يحظى بمنصب الطالب الأول فيما لا يزيد عن العامين!

يؤسفنى عدم رؤيتى لك الصيف الماضى. ويؤلمنى أشد الألم انتقادى لوالدينا، لكننى لا أتحمل العيش معهما تحت سقف واحد، والأمر مختلط عليهما بشأن التعاون مع دمبلدور وخطورته. إن كنت تراسل أمى فأخبرها بأن ستورجيس بودمور صديق دمبلدور الصدوق قد ألقى القبض عليه مؤخرًا وأرسل إلى أزكابان بتهمة التسلل إلى الوزارة بقصد السرقة. ربما يجعلها هذا ترى الحقيقة ويكشف لها ما استغلق عليها، وتعرف حقيقة المجرمين الذين تساندهم. أعتبر نفسى محظوظًا لنجاحى

في الإقلال من ارتباط اسمي بهؤلاء الناس. والسيد الوزير يعاملني أفضل المعاملة. وأتمنى يا رون، ألا تسمح للعلاقات الأسرية بالاختلاط مع طبيعة معتقدات أبوى وتصرفاتهما الخطأ. آمل أن يعرفا - مع الوقت - الطريق الخطأ الذي يسلكانه. وأنا جاهز ومستعد لقبول اعتذارهما في أي وقت يميزان فيه الصواب من الخطأ ويعودان إلى صوابهما.

برجاء التفكير فيما قلت بإمعان، خاصة ما قلته بشأن هاري بوتر وتهانئ مرة أخرى على منصب رائد الفصل.

أخوك،

بيرسي

نظر «هاري» نحو «رون».

قال محاولاً أن يبدو الأمر كمزحة: «أرى أن.. إن شئت.. أعني.. آه..» نظر ثانية إلى خطاب «بيرسي» فاحصًا الجزء الخاص به منه. وقال: «أقصد ما قاله عن قطع أواصر الصداقة معي، أقسم لك إنني لن أصبح عنيفًا معك أبدًا».

قال «رون» وهو يمد إليه يده: «أعده إليّ. إنه..» ثم وهو يمزق الرسالة إلى نصفين: «أكثر..» ثم وهو يقطعها إلى أرباع: «.. وأكبر..» وهو يلقي بها إلى النيران: «حمار رأيته في حياتي».

قال بسرعة لـ«هاري»: «تعال. لدينا ما نريد الانتهاء منه قبل حلول الليل» وهو يجذب مقال الأستاذة «سينسترا» ثانية إليه.

نظرت «هيرميون» إلى «رون» بتعبير غريب على وجهها وقالت: «تعال، أعطني الورق». فقال: «ماذا؟».

قالت: «أعطني الورق.. سأفحصه وأصحح الأخطاء التي أجدها».

قال «رون»: «هل أنت جادة؟ هيرميون.. أنت جميلة.. كيف يمكنني شكرك..»

قالت: «قل إنك تعدني بألا تترك الواجب يتراكم عليك ثانية هكذا» وهي تمد يديها لتأخذ منهما ورقهما.

قال «هاري» بوهن: «ألف شكر يا هيرميون» وهو يمرر إليها مقاله ويعاود الغوص في مقعده، وهو يحك عينيه.

كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل وأصبحت حجرة الطلبة خالية إلا من ثلاثتهم ومعهم «كروكشانكس»، والصوت الوحيد من حولهم هو احتكاك ريشة

«هيرميون» بالورق وهي تعيد كتابة الجمل هنا وهناك بين الصفحات، وعلى الكتب لتتحقق من صحة بعض المعلومات في المراجع المرصوصة أمامها على المائدة. كان «هاري» متعبًا، ولشعوره بالغثيان والقلق في معدته، أحس أنه ليس أمامه سوى التعب، والقلق مما ذُكر في الرسالة التي اسودت في النيران.

كان يعرف أن نصف الأشخاص داخل «هوجورتس» يرونه غريب الأطوار، بل ومجنونًا. كان يعرف أن المكتوب بجريدة «الدايلي بروفيت» قد غير من رأيهم فيه على مدى شهور الصيف، لكن ما رآه مكتوبًا في رسالة «بيرسي»، ومعرفته أن الأخير ينصح «رون» بإنهاء صداقته معه والوشاية به إلى «أمبريدج»، جعل هذا موقفه شديد السوء بالنسبة إليه. كان يعرف «بيرسي» منذ أربعة أعوام، وقضى معه إجازات الصيف، وشاركه الخيمة أثناء حضورهم نهائيات كأس العالم لـ«الكويدتش» بل حتى أخذ منه الدرجات النهائية في مسابقة السحر الثلاثية العام الماضي، لكن الآن، «بيرسي» يراه مختلاً، بل وربما عنيفًا.

وبإحساس بالتعاطف نحو أبيه الروحي قال «هاري» في نفسه إن «سيرياس» هو الوحيد الذي يعرف إحساسه ويفهمه في هذه اللحظة؛ لأنه معه في موقف مشابه. تقريبًا كل عالم السحرة يرونه مجرمًا خطيرًا، ومساندًا كبيرًا للورد «فولدمورت»، وهو الاعتقاد الذي عاش في ظله لمدة أربعة عشر عامًا.

طرفت عين «هاري». رأى شيئًا في النار لا يمكن أن يكون بها ومض ظاهر لعينيه ثم اختفى على الفور. لا.. لا يمكن.. لقد تخيله.. فهو يفكر كثيراً في «سيرياس».

قالت «هيرميون» مخاطبة «رون» وهي تعيد مقاله إليه بعد أن أضافت إليه الكثير بخطها: «حسنًا.. اكتب هذا بخطك.. ثم أضف إليه الاستنتاج الذي كتبته لك».

قال «رون» بوهن: «هيرميون.. أنت أروع إنسانة عرفتها في حياتي.. وإن وجدتني وقحًا معك ثانية قد..».

قالت «هيرميون»: «أعرف أنك ستعود إلى طبيعتك بسرعة.. هاري، مقالك جيد فيما عدا الجزء الأخير منه، أعتقد أنك لم تسمع الأستاذة سينسترا جيدًا، فالقمر أوروبا مغطى بالجليد، وليس بالجلود.. هاري؟».

انزلق «هاري» عن مقعده وجلس على ركبتيه قرب المدفأة، محدقًا في اللهب.

قال «رون» بتردد: «.. هاري؟ لماذا أنت جالس هكذا؟».

قال «هاري»: «لأنني رأيت رأس سيرياس في نيران المدفأة منذ لحظات».

كان يتحدث بهدوء تام. فبعد كل شيء؛ ظهر رأس «سيرياس» في هذه المدفأة دون غيره العام الماضي، وتحدث إليه. لكنه لم يكن واثقًا من صدق ما رآه هذه المرة.. فقد اختفى الرأس بسرعة.

كررت «هيرميون» كلامه قائلة: «رأس سيرياس؟ هل تعني مثلما كلمنا أثناء مسابقة السحر الثلاثية؟ لكن لا يمكنه الإقدام على هذا الآن، فالوضع خطير.. سيرياس؟».

شهقت وهي تحدق في النيران. أسقط «رون» ريشة الكتابة. ففي وسط النيران وألسنة اللهب المتراقصة استقر رأس «سيرياس» بشعره الطويل الأسود المتهدل حول وجهه المبتسم.

قال: «بدأت أظن أنكم قد ذهبتم للنوم قبل أن يختفي الجميع. فأنا أتفحص الحجرة بنظري كل ساعة».

قال «هاري» وهو يضحك ضحكة خفيفة: «هل تطل برأسك كل ساعة؟».

«فقط للحظات قليلة لأرى إن كانت الحجرة خالية وآمنة».

قالت «هيرميون» بقلق: «لكن ماذا لو أن أحدًا رآك؟».

قال «سيرياس» بسرعة: «أعتقد أن فتاة قد لمحتني، فقد بدا على وجهها الذهول. وشكلها في الصف الأول، لكن لا تقلقي» فرفعت «هيرميون» يديها وأحاطت بهما فمها من الفزع «حدت برأسي وهي تعاود النظر للمدفأة، وأراهن أنها حسبتني لوح خشب غريب الشكل أو شيئًا من هذا القبيل».

قالت «هيرميون»: «لكن يا سيرياس هذه مخاطرة كبيرة..».

قال «سيرياس»: «أنت تتحدثين مثل مولي.. هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها الإجابة على أسئلة هاري في رسالته من دون اللجوء إلى الكلام بالشفرات، فالشفرات سهلة الفك». عند ذكر رسالة «هاري» التفت «رون» و«هيرميون» ناظرين إليه.

قالت «هيرميون» بنبرة اتهام: «لم تقل لنا إنك كتبت رسالة إلى سيرياس».

قال «هاري»: «نسيت» وهو ما حدث فعلاً. فبعد لقائه مع «تشو» في برج البوم

نسي كل شيء حدث قبلها. «لا تنظري إليَّ هكذا يا هيرميون، ليس بالرسالة ما يمكن أن يقود لمعرفة أية معلومات سرية منها. أليس كذلك يا سيرياس؟».

قال «سيرياس» مبتسمًا: «بلى.. كانت شفرة جيدة. المهم أن ننتهي بسرعة قبل أن يقاطعنا أحد.. بالنسبة لندبتك».

بدأ «رون» في الكلام: «ماذا عن...؟» قبل أن تقاطعه «هيرميون»:

«سنخبرك فيما بعد.. تكلم يا سيرياس».

«لا يمكن أن يكون الأمر خيرًا عندما تؤلمك الندبة، لكن ليس علينا القلق منها، فهي تؤلمك منذ نهاية العام الماضي.. أليس كذلك؟».

قال «هاري»: «بلى، ودمبلدور يقول إن هذا يحدث كلما شعر فولدمورت بمشاعر القوة والبأس» متجاهلاً إجفال «رون» و«هيرميون» المعتاد مع ذكر الاسم، وأكمل: «لكن ربما هذا هو ما يشعر به، لا أعرف. لعله كان غاضبًا ليلة احتجازي تلك».

قال «سيرياس»: «ربما، وبعد عودته إلى سابق قوته، ستؤلمك رأسك كثيرًا».

سأله «هاري»: «إذن فأنت لا ترى أن لمس أمبريدج لي له أية علاقة بالألم؟».

قال «سيرياس»: «لا أظن.. فأنا أعرف سمعتها وتاريخها وواثق من أنها ليست من آكلة الموت».

قال «هاري» بتجهم: «إنها شريرة بما يكفي لأن تكون واحدة منهم» فوافقه «رون» و«هيرميون» بإيماءة متحمسة منهما.

قال «سيرياس» بابتسامة متعبة: «أجل، لكن العالم ليس مقسمًا بين الناس الطيبين وآكلة الموت فقط.. أعرف أنها مزعجة وشريرة.. لكن عليك سماع ريموس وهو يتحدث عنها».

قال «هاري» بسرعة متذكرًا تعليقات «أمبريدج» عن السحرة المهجنين والمختلفين أثناء حصتها الأولى معهم: «هل يعرفها لوبين؟».

قال «سيرياس»: «لا.. لكنها ومنذ عامين قدمت مشروع قانون معاديًا للمذءوبين جعل من شبه المستحيل أن يحصل على وظيفة».

تذكر «هاري» كيف بدا «لوبين» في حال أكثر رثاثة عما سبق عندما رآه منذ أيام، فازدادت كراهيته لـ«أمبريدج» أكثر وأكثر.

قالت «هيرميون» بغضب: «وما مشكلتها مع المذءوبين؟».

قال «سيرياس» مبتسمًا لرؤيته غضبتها: «خائفة منهم على ما أعتقد. فهي

كما هو واضح تكره أنصاف البشر، وقد نظمت حملة تهدف إلى حصار عرائس البحر العام الماضي. تصوري تضييع وقتك وطاقتك على عرائس البحر، بينما هناك حثالة مثل كريتشر مطلق السراح».

ضحك «رون»، لكن «هيرميون» تضايقت، وقالت: «سيرياس، بأمانة إن حاولت الاقتراب من كريتشر، فأنا واثقة من استجابته. فبعد كل شيء أنت الشخص الوحيد الباقي من أسرته، والأستاذ دمبلدور يقول إن...».

قاطعها «سيرياس» قائلاً: «وكيف تجدين حصص أمبريدج؟ هل تدربكم على قتل كل أنصاف السحرة؟».

قال «هاري» متجاهلاً نظرة «هيرميون» الغاضبة مع مقاطعتها أثناء دفاعها عن «كريتشر»: «لا.. إنها لا تسمح لنا باستخدام السحر بالمرة».

قال «رون»: «كل ما نفعله هو قراءة ذلك الكتاب المدرسي السخيف».

قال «سيرياس»: «آه.. هكذا يتضح الأمر. معلوماتنا من داخل الوزارة تقول إن فادج لا يريد لكم التدريب على القتال».

كرر «هاري» غير مصدق: «التدريب على القتال؟ ماذا يحسبنا نفعل هنا؟ نُشكل جيشًا من السحرة؟».

قال «سيرياس»: «هذا بالضبط ما يراه.. أو لنقل إنه يخاف أن يكون ما يخطط له دمبلدور. تكوينه لجيش يقوم بانقلاب على الوزارة ويخلعه من منصبه».

مرت فترة من الصمت، ثم قال «رون»: «هذه أغبى فكرة سمعتها في حياتي، بل وأغبى مما تقوله لونا لوفجود».

قالت «هيرميون» بغيظ: «إذن فهم يمنعوننا من استخدام السحر في مادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود؛ لأن فادج خائف من استخدامنا التعاويذ السحرية ضد الوزارة».

قال «سيرياس»: «أجل. فادج يظن أن دمبلدور لن يمنعه شيء حتى يصل إلى السلطة، وهو خائف طوال الوقت منه ويظن أن المسألة مسألة وقت، حتى يقوم دمبلدور بانقلابه».

تذكر «هاري» في هذه اللحظة رسالة «بيرسي».. وقال: «هل تعتقد أن هناك ما سوف يُنشر غداً عن دمبلدور في جريدة الدايلي بروفيت؟ يقول بيرسي إن غداً سوف...».

قال «سيرياس»: «لا أعرف.. لم أر أحداً من الجماعة طوال عطلة نهاية الأسبوع، فهم مشغولون. لا يوجد في المنزل سواي وكريتشر...».

كان هناك إحساس أكيد بالمرار في صوت «سيرياس».

«إذن فلم تتلق أي أنباء عن هاجريد؟».

قال «سيرياس»: «آه.. الواقع.. المفترض أن يكون قد عاد، ولا أحد واثق من موعد عودته». ثم أضاف بسرعة وقد رأى الخوف على وجوههم: «لكن دمبلدور ليس قلقًا، فلا تقلقوا.. أنا واثق أن هاجريد بخير».

قالت «هيرميون» بصوت خفيض قلق: «لكن المفترض أن يكون قد عاد...».

«مدام ماكسيم معه، فنحن على اتصال بها، وهي تقول إنهما قد انفصلا في طريق العودة إلى الوطن.. لكن ليس هناك ما يؤكد لنا إصابته بضرر أو.. أعني، لا يوجد ما يمنع كونه بخير».

تبادل «هاري» و«رون» و«هيرميون» نظرات الشك وعدم الاقتناع.

قال «سيرياس» بسرعة: «اسمعوا.. لا تسألوا الكثير من الأسئلة عن هاجريد، فهذا لن يفعل سوى جذب المزيد من الانتباه إلى غيابه، وأنا أعرف أن دمبلدور لا يريد هذا الاهتمام. هاجريد قوي، وسيكون بخير». ثم وعندما لم يغير هذا من نظراتهم أضاف: «المهم.. متى ستنزلون في الإجازة إلى هوجزميد؟ فأنا أفكر، ربما أقابلكم متخفيًا في صورة الكلب.. ما رأيكم؟ أعتقد أن...».

قال «هاري» و«هيرميون» في وقت واحد وبصوت مرتفع: «لا».

قالت «هيرميون» بقلق: «سيرياس.. ألا تمسك جريدة الدايلي بروفيت؟».

قال «سيرياس» مبتسمًا: «آه.. إنهم دائمًا ما يناقشون أمري، ولا أعرف لماذا...».

قال «هاري»: «فعلاً.. لكن هذه المرة الأمر مختلف. قال مالفوي شيئًا في القطار جعلنا واثقين من أنه قد تعرف عليك؛ لذا لا تأتي هنا ثانية، أيًا كان السبب. إن تعرف عليك مالفوي ثانية...».

قال «سيرياس» بحزن: «حسنًا حسنًا، فهمت. كانت مجرد فكرة، إن كنتم تودون أن نلتقي».

قال «هاري»: «أنا أود لقاءك.. لكن لا أريد لك دخول أزكابان».

مرت فترة صمت نظر خلالها «سيرياس» إلى «هاري» من بين ألسنة اللهب،

مضيقاً ما بين عينيه، ثم قال أخيراً وشيء من البرود في صوته: «أنت لست مثل أبيك، ليس كما كنت أظن. كانت المخاطرة لتجعل الأمر مثيراً لجيمس» «انظر..»

قال «سيريوس»: «المهم، من الأفضل أن أغادر، أسمع كريتشر يقترب صاعداً السلم. سأكتب إليك لأخبرك بالموعد الذي أقدر أن آتي فيه عبر النيران. أراك وقتها. إن كنت قادراً على تحمل المخاطرة!».

سمعوا صوت طقطقة خفيض، ثم اختفى رأس «سيريوس» وأخذت ألسنة اللهب تتراقص في المكان الذي كان يشغله منذ لحظات.

١٥ مفتشة هوجورتس العليا

توقعوا فحص نسخة «هيرميون» من جريدة «دايلي بروفيت» صباح اليوم التالي؛ حتى يعثروا على ما ذكره «بيرسي» في رسالته. لكن ما كادت تبتعد البومة الموصلة للجريدة، حتى شهقت «هيرميون» بقوة وأمسكت بالجريدة أمامهما لتكشف عن صورة كبيرة للأستاذة «دولوريس أمبريدج»، وهي تبتسم ابتسامة واسعة وتغمز بهدوء ورصانة تحت العنوان الكبير بالجريدة.

الوزارة تعلن عن حركة لإصلاح التعليم
تعيين دولوريس أمبريدج
أول مفتشة عليا

قال «هاري» بعبوس: «أمبريدج؟ مفتشة عليا؟» وقطعة الخبز المحمص في يده تنزلق من بين أصابعه.. «ما معنى هذا الكلام؟».

أخذت «هيرميون» تقرأ بصوت مرتفع:

في مفاجأة فجرتها أمس وزارة السحر، تم إصدار قانون تسيطر الوزارة بمقتضاه سيطرة غير مسبوقة على مدرسة هوجورتس لتعليم الساحرات والسحرة.

وصرح السيد بيرسي ويسلي المساعد الثاني للسيد وزير السحر: «منذ فترة والسيد الوزير يراقب بقلق ما يجري في هوجورتس، وهو بهذا القانون يستجيب لشكوى الآباء، الذين يشعرون بأن المدرسة تسير على نهج لا يرضونه».

هذه ليست المرة الأولى التي يستخدم فيها السيد الوزير كورنيلياس فادج قوانين جديدة لتحسين الأوضاع في مدرسة السحر. ففي الثلاثين من أغسطس الماضي أصدر الفرمان التعليمي رقم ٢٢؛ لضمان أنه في حالة عدم

تمكن السيد ناظر المدرسة من ترشيح معلم لوظيفة تعليمية شاغرة بالمدرسة فمن حق الوزارة اختيار الشخص المناسب لها.

«وهكذا جاءت الأستاذة الفاضلة دولوريس أمبريدج وحصلت على منصبها في هوجورتس بين أفراد طاقم التدريس. فدمبلدور لم يجد من يشغل الوظيفة فقامت الوزارة بتعيين أمبريدج، وبالطبع فقد حققت نجاحًا فوريًا...».

قال «هاري» بصوت مرتفع: «حققت ماذا؟».

قالت «هيرميون» بتجهم: «انتظر. هناك المزيد».

«.. نجاحًا فوريًا؛ مما أدى لإحداث ثورة في تعليم مادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود بعد أن عرفت الوزارة بما يجري في هوجورتس من مهازل بشأن هذه المادة وقامت بإصلاح المعوج.

«وآخر ما تقدمه الوزارة من إصلاح في التعليم بالمدرسة هو إصدار الفرمان التعليمي رقم ٢٣، والذي تم بمقتضاه إنشاء منصب جديد، وهو مفتشة هوجورتس العليا.

«هذه مرحلة هامة من خطة الوزارة التحكم فيما يسميه البعض بانهيار مستوى التعليم بمدرسة هوجورتس» والكلام للسيّد ويسلي: «سيكون لدى السيدة المفتشة القدرة على التحقيق مع زملائها من المعلمين، وضمان سلامة العملية التعليمية. وقد عرضت الوظيفة على الأستاذة أمبريدج بالإضافة إلى وظيفتها الأولى بالمدرسة، ولكم يسرنا الإعلان عن نجاحها.

ويكمل السيد ويسلي كلامه قائلاً: «إن تحركات الوزارة الجديدة ورائها حماس آباء الطلبة بالمدرسة الشديد للتغيير ورغبتهم في الإصلاح.

ويقول السيد لوكياس مالفوي، متحدثًا من ضيعته في ويلتشاير: «أشعر بالراحة بعد أن عرفت أن السيد دمبلدور سيكون عرضة للتقييم الموضوعي. الكثيرون منا يخافون على أولادهم من قرارات دمبلدور الغريبة على مدى السنوات الماضية، ويسرني معرفة أن الوزارة مهتمة بالموضوع. ومن بين القرارات الغريبة لدمبلدور هيئة التدريس الغريبة التي تحدثت عنها الجريدة من قبل، ومن أفرادها المذءوب ريموس لوبين، ونصف العملاق روبيوس هاجريد، ومقاتل السحر الأسود السابق، والمختل ماد آي مودي. ويدعم من موقفي هذا كون ألبوس دمبلدور قد تم عزله من الاتحاد الكونفدرالي الدولي

السحرة، وعزله من منصبه كرئيس للويزنجاموت.. وتعرف جميعًا أن بعد كل ذا لم يعد تحمله لمهام ناظر مدرسة هوجورتس بالأمر المعقول أو المرغوب.

وقد صرح السيد الوزير ليلة أمس بأن تعيين المفتشة العليا يعتبر خطوة أولى نحو تعيين ناظر لهوجورتس نثق فيه جميعًا.

ومن ناحية أخرى فقد استقالت كل من جريسلدا مارشبانكس، وتايبيرياس أوجدين من الويزنجاموت؛ احتجاجًا على إنشاء منصب المفتشة العليا في هوجورتس.

وتقول السيدة مارشبانكس: «إن هوجورتس مدرسة، وليست امتدادًا لمكتب كورنيلياس فادج. وما حدث محاولة قذرة لنزع الثقة من ألبوس دمبلدور».

(لتعرف تفاصيل ضلوع السيدة مارشبانكس ومشاركتها في جماعات سرية للعفاريت انظر صفحة ١٧).

انتهت «هيرميون» من القراءة ونظرت عبر المائدة إليهما وقالت: «إذن فهكذا انتهى بنا الحال مع أمبريدج. فادج أصدر ذلك الفرمان التعليمي، وأجبرنا على قبولها. والآن أعطاها صلاحيات التفتيش على باقي المدرسين» ثم وهي تتحدث بسرعة وعيناها تلمعان: «لا أصدق هذا.. هذا كثير».

قال «هاري» ناظرًا إلى يده اليمنى القابضة على المائدة: «أعرف أنه كثير» ورأى خطًا أبيض باهتًا باقيًا من كلمات «أمبريدج» ما زال محفورًا على جلد يده. لكن «رون» كان يبتسم.

قال «هاري» و«هيرميون» في الوقت نفسه وهما يرمقانه بدهشة: «ما الأمر؟».

قال «رون» بسعادة: «لا أطيق انتظار رؤية مكجونجال وهي تخضع للتفتيش. أمبريدج لن تقدر على الصد أو الرد».

قالت «هيرميون» وهي تهب على قدميها: «حسنًا.. هيا بنا، علينا المضي، إن كانت ستقوم بالتفتيش على حصة بينز فعلينا بالإسراع حتى لا تفوتنا المشاهدة».

لكن الأستاذة «أمبريدج» لم تفتش على حصة تاريخ السحر، والتي كانت مملة مثل الحصة السابقة، ولم تكن في فصل «سناب» تحت الأرض، عندما مضوا إليه لحضور حصتي الوصفات السحرية، وحيث أعيد لـ«هاري» مقاله عن حجر القمر وعليه علامة «ض» كبيرة على الطرف الأيمن العلوي من الصفحة.

قال «سناب» ساخرًا وهو يمر بينهم: «لقد أعطيتكم الدرجات التي يستحقها

عملكم، كما سيتم تقييمكم فى امتحانات الـ(أوه. دبليو. إل.)، وهو ما يعطيـ[كم] فكرة واقعية عما تتوقعونه من أسلوب التصحيح وصرامته».

وصل «سناب» إلى أول الفصل ودار على عقبيه ليواجههم.

«كان التقييم العام لهذا الواجب سيئًا. معظمكم كان ليرسب لو كان هذا امتحانـ[ـًا]. أتوقع منكم بذل المزيد من الجهد فى مقال الأسبوع المقبل عن أنواع الأمصا[ل] المضادة للسم، وإلا سأبدأ فى عقاب من يحصلون على درجة (س) بالاحتجاز».

ابتسم إلى «مالفوى» الذى بادله الابتسام وسأله هامسًا: «وهل حصل بعض الطلاب على سيئ جدًا؟ هاه».

أدرك «هارى» أن «هيرميون» كانت تنظر إليه بطرف عينها لتعرف درجته، فأدخل مقاله عن حجر القمر إلى حقيبته بسرعة، شاعرًا برغبته فى الحفاظ على درجته سرًا.

أخذ «هارى» يقرأ كل سطر من تعليمات الوصفة المكتوبة على السبورة ثلاث مرات قبل أن يبدأ التطبيق، وقد قرر ألا يتيح الفرصة لـ «سناب» لعقابه هذه الحصة. لم تكن التركيبة النهائية التى وصل إليها باللون الأزرق الخفيف الظاهر من قدر «هيرميون»، لكنه كان على الأقل أزرق، وليس ورديًا مثل وصفة «نيفيل»، فقام بوضع مقدار قنينة منه على مكتب «سناب» مع نهاية الدرس، شاعرًا بمزيج من الجرأة والراحة.

قالت «هيرميون» وهم يصعدون السلم خارجين من الممر المؤدى لفصل «سناب» فى طريقهم إلى القاعة الكبرى لتناول الغداء: «يكفى أن الحصة لم تكن سيئة مثل حصة الأسبوع الماضى. أليس كذلك؟ كما أن الواجب ليس ثقيلاً. أليس كذلك؟».

عندما لم يجبها «هارى» أو «رون» ضغطت عليهما بمزيد من الأسئلة: «أعنى. أنا لم أتوقع الحصول على أعلى درجة، ليس إن كان يقوم بالتصحيح بطريقة تصحيح امتحانات الـ(أوه. دبليو. إل.)، لكن درجة المقبول جيدة فى هذه المرحلة من العام الدراسى. أليس كذلك؟».

وافقها «هارى» بصوت بلا معنى صدر عن حنجرته.

«.. وبالطبع يمكن أن يحدث الكثير من الآن وإلى الامتحانات، فلدينا وقت كثير للاستذكار، لكن الدرجات التى حصلنا عليها منذ قليل تعتبر هى الحد الأدنى الذى نقدر على تحقيقه. أليست كذلك؟ تعتبر شيئًا أوليًا يمكن البناء عليه..».

جلسوا معًا على مائدة «جريفندور» على الغداء.

«طبعًا كنت سأفرح كثيرًا لو حصلت على درجة (أ)..».

قال «رون» بحدة: «هيرميون.. إن كنت تودين معرفة درجاتنا فكل ما عليك هو أن تسألى».

«لا.. الأمر ليس هكذا.. أعنى، إن شئتما أن تخبرانى فلا بأس..».

قال «رون»: «حصلت على درجة (ض).. هل ارتحت؟» وهو يصب الحساء فى طبقه.

قال «فريد» الذى وصل لتوه إلى المائدة معه «جورج» و«لى جوردن» وجلسوا إلى يمين «هارى»: «هذا ليس مدعاة للخجل.. لا يوجد ما يسوء درجة (ض)».

قالت «هيرميون»: «لكن ض تعنى..».

قال «لى جوردن»: «أجل.. تعنى (ضعيف).. لكنها أفضل من (س).. أليس كذلك؟ تعنى (سيئ جدًا)».

شعر «هارى» بوجهه يحمر من الخجل، وافتعل السعال، وعندما انتهى من سعاله انزعج لما وجد «هيرميون» فى نقاش موسع عن درجات الـ(أوه. دبليو. إل.) كانت تقول: «وأعلى درجة هى (أ) وتعنى (امتياز)، ثم الأعلى منها درجة (م) وتعنى..».

صحح لها «جورج» قائلاً: «لا.. تقصدين (ص) وتعنى (صعب يتكرر)، ولطالما رأيت أننى وفريد نستحق درجة (ص) فى كل ما نفعله؛ لأننا نفوق التوقعات وندهش الجميع بمجرد نجاحنا بأى درجة فى الامتحانات».

ضحكوا جميعًا عدا «هيرميون» التى أضافت: «وغير درجة (ص) هناك (م) وتعنى (مقبول) وهى أقل درجة للنجاح فى الامتحانات. أليس كذلك؟».

قال «فريد» وهو يشرب ما بطبقه من حساء على مرة واحدة: «بلى».

رفع «رون» يده على سبيل الدعابة وقال: «وهناك (ض) وتعنى (ضعيف)، ثم (س) وتعنى (سيئ جدًا)». فقال «جورج» مذكرًا إياه: «وهناك درجة (ت)».

سألته «هيرميون»: «(ت)؟ هل هى أقل من (س)؟ وماذا تعنى (ت)؟».

قال «جورج» على الفور: «ترول».

ضحك «هارى» ثانية، بالرغم من أنه لم يكن واثقًا إن كان «جورج» يمزح أم أن كلامه صحيح. تخيل محاولته إخفاء درجة (ت) عن أعين «هيرميون» على اختبارات الـ(أوه. دبليو. إل.) فعزم على الاستذكار باجتهاد أكبر.

سألهم «فريد»: «هل مررتم بحصة حضرتها المفتشة يا جماعة؟».

قالت «هيرميون» على الفور: «لا.. وأنتم؟».
قال «جورج»: «حصة واحدة قبل الغداء.. مادة التعاويذ».
قال «هاري» و«هيرميون» معًا: «وكيف كانت؟».
هز «فريد» رأسه وقال: «ليست سيئة. جلست أمبريدج في الركن وأخذت تكتب ملاحظاتها على ورقة في يدها. أنت تعرف حال فليتويك، فهو يعاملها كأنها ضيف، ولا يزعجه وجودها بالمرة. وهي لم تقل الكثير. سألت أليشيا بعض الأسئلة عن الحصص وكيف حالها في العادة، وقالت لها أليشيا إنها جيدة.. كان هذا كل شيء».
قال «جورج»: «لا أعتقد أن بإمكانها النيل من فليتويك، فهو معلم ماهر وينجح جميع طلبته في مادته».
سأل «فريد» «هاري»: «وما الحصص التالية لديكم بعد الظهر؟».
«تريلاوني..».
«لا تستحق سوى درجة (ت)».
«.. وأمبريدج بعدها».
قال «جورج»: «لتكن ولدًا مطيعًا ولا تثُرْ على أمبريدج اليوم.. ستجن أنجلينا إن لم تجدك معنا في تمرين الكويدتش القادم».
لكن «هاري» لم يكن عليه الانتظار حتى حصة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود حتى يقابل الأستاذة «أمبريدج». كان يخرج مذكراته عن الأحلام وهو جالس في الظلال بآخر صف في فصل مادة التنجيم، عندما لكزه «رون» بمرفقه في ضلوعه، فرأى الأستاذة «أمبريدج» عندما نظر حوله، وهي تدخل من الباب الأرضي. صمت التلاميذ فجأة، بعد أن كانوا يتحدثون. جعل الانخفاض المفاجئ في مستوى الجلبة الأستاذة «تريلاوني» ترفع رأسها وهي تعبث بما معها من نسخ كتاب (فصل الكلام في تفسير الأحلام).
قالت الأستاذة «أمبريدج» وعلى وجهها ابتسامتها الواسعة المعهودة: «مساء الخير يا أستاذة تريلاوني.. وصلتك ورقتي على ما أعتقد، ومعها تاريخ الحصة التي سأفتش فيها عليك».
أومأت الأستاذة «تريلاوني» رأسها باحترام، وتجاهلتها تمامًا وهي تناول الطلبة نسخًا من الكتاب، ومن دون أن تغادر الابتسامة وجهها، جلست الأستاذة «أمبريدج» على أقرب مقعد، بحيث صارت على مسافة بوصات قليلة

خلف مقعد الأستاذة «تريلاوني»، ثم أخرجت ورقها من حقيبتها المزينة بالزهور، وجلست متأهبة في انتظار بداية الدرس.
شدت الأستاذة «تريلاوني» الوشاح المحيط بوجهها بقوة حولها، ويدها ترتجف قليلاً، ثم مسحت الفصل بنظرة متأنية من خلف عويناتها الكبيرة.
قالت في محاولة شجاعة منها للكلام بصوتها الحالم الغامض المعهود: «سنبدأ درسنا اليوم باستكمال ما قلناه عن الأحلام التنبؤية». لكن صوتها خانها واهتز قليلاً وهي تقول: «انقسموا إلى مجموعات من اثنين من فضلكم، وفسروا أحلام بعضكم بعضًا بالاستعانة بكتاب فصل الكلام».
كانت تعود للاسترخاء في مقعدها، لكنها رأت الأستاذة «أمبريدج» بطرف عينها جالسة خلفها، وبسرعة نهضت متوجهة إلى اليسار نحو «بارفاتي» و«لافندر» اللتين كانتا غارقتين في نقاش عميق عن آخر أحلام «بارفاتي».
فتح «هاري» نسخته من كتابه، وهو يراقب الأستاذة «أمبريدج» بنظرات مختلسة. كانت قد بدأت في كتابة الملحوظات في ورقها. بعد بضع دقائق نهضت وسارت بطول الحجرة، وهي تستمع لكلام التلاميذ وتسألهم بين الحين والآخر. مال «هاري» برأسه بسرعة ليختفي خلف كتابه.
قال مخاطبًا «رون»: «فكر في حلم بسرعة.. فقد تقف الضفدع العجوز عندنا».
قال «رون» محتجًا: «لكنني أنا من فكرت في حلم المرة الماضية.. دورك الآن.. هيا فكر بسرعة».
قال «هاري» بيأس: «لا أعرف». فهو لا يتذكر أي أحلام حلمها طوال الأيام القليلة الماضية. وأضاف: «لنقل إنني حلمت بـ.. بـ.. بأنني أغرق سناب في إناء الوصفات السحرية.. نعم.. هذا حلم جيد».
ضحك «رون» ضحكة صغيرة وهو يفتح نسخته من (فصل الكلام)، وقال: «حسنًا.. تاريخ ميلادك، ثم تاريخ الحلم، والمعادل الرقمي لحروف الموضوع.. تراها (الغرق) أم (الإناء) أم (سناب)؟».
قال «هاري»: «لا يهم.. اختر أيًا منها». وهو يلقي بنظرة مختلسة خلفه. كانت الأستاذة «أمبريدج» واقفة خلف كتف الأستاذة «تريلاوني» وهي تدون ملاحظاتها، بينما الأخيرة تلقي على «نيفيل» بعض الأسئلة عن مذكرات أحلامه.
قال «رون» وهو غارق في حساباته: «في أي ليلة حلمت بذلك الحلم؟».

قال «هاري» محاولاً سماع ما تقوله «أمبريدج» للأستاذة «تريلاوني»: «لا أعرف.. الليلة الماضية.. الليلة التي تعجبك».. كانا قد جلسا إلى مائدة بعيدة عنه وعن «رون»، والأستاذة «أمبريدج» تكتب ملحوظة أخرى في ورقها، بينما الأستاذة «تريلاوني» منزعجة للغاية.

قالت «أمبريدج» ناظرة إلى «تريلاوني»: «هل تشغلين هذه الوظيفة منذ فترة طويلة؟».

نظرت إليها الأستاذة «تريلاوني» بامتعاض، وذراعاها معقودان وكتفاها عاليان كأنها تحمي نفسها قدر ما تستطيع من إهانة فكرة أن يفتش عليها أحد. بعد برهة من الصمت بدا كأنها تفكر هل تجيب على السؤال أم لا، قررت أخيراً أن السؤال ليس عدوانياً بما يكفي لتتجاهله: «منذ ستة عشر عاماً تقريباً».

قالت الأستاذة «أمبريدج» وهي تكتب ما قيل في ورقها: «فترة طويلة.. إذن فالأستاذ «دمبلدور» هو من قام بتعيينك؟».

قالت الأستاذة «تريلاوني» باقتضاب: «هذا صحيح».

كتبت الأستاذة «أمبريدج» ملحوظة أخرى.

«وهل جدتك الكبرى هي العرّافة العظيمة كاسندرا تريلاوني؟».

قالت الأستاذة «تريلاوني» وهي ترفع رأسها قليلاً: «أجل».

دونت ملحوظة أخرى على الورق.

«لكنني أعتقد - وصححي لي إن كنت مخطئة - أنك أول فرد في عائلتك يمتلك موهبة التنجيم منذ وفاة كاسندرا.. أليس كذلك؟».

قالت الأستاذة «تريلاوني»: «في العادة لا تُمنح هذه الموهبة إلا لـ.. آ.. للحفيدة التي تأتي بعد ثلاثة أجيال».

اتسعت ابتسامة الأستاذة «أمبريدج» الضفدعية الطابع.

قالت بصوتها العذب وهي تكتب: «بالطبع.. حسناً.. هلا تنبأت بشيء من أجلي إذن؟» ثم نظرت إليها نظرة متسائلة دون أن تختفي ابتسامتها.

تجمدت الأستاذة «تريلاوني» كأنها لا تصدق أذنيها وقالت وهي قابضة بعنف على الوشاح المحيط برقبتها: «أنا لا أفهمك».

قالت الأستاذة «أمبريدج» بهدوء بالغ: «أنا أطلب منك أن تتنبئي بشيء من أجلي».

لم يكن «هاري» و«رون» هما الوحيدين اللذين أخذا ينصتان وينظران إلى ما يحدث من خلف كتبهم. أخذ معظم التلاميذ في الفصل يحدقون بثبات في

الأستاذة «تريلاوني» وهي تنتصب بشموخ، ومسبحتها في يدها تتحرك بعصبية ولا تكف حباتها عن الاصطدام ببعضها البعض محدثة صوت رنين.

قالت أخيراً بنبرة استنكار شديد: «عين البصيرة لا ترى تحت الطلب يا أستاذة».

قالت الأستاذة «أمبريدج» بنعومة وهي تكتب ملحوظة أخرى: «واضح».

قالت الأستاذة «تريلاوني» فجأة محاولة استعادة صوتها الحالم الغامض: «انتظري لحظة» لكن التأثير الدرامي للصوت فسد بسبب إحساسها بالغضب: «أ.. أ.. أعتقد أنني أرى شيئاً.. شيئاً قد يهمك.. آه.. أشعر بشيء.. شيء مظلم.. مؤلم.. خطر عظيم وخطب جلل..».

أشارت الأستاذة «تريلاوني» بأصبع مهتز إلى الأستاذة «أمبريدج» التي لم تكف عن الابتسام وحاجبها مرفوع

أنهت الأستاذة «تريلاوني» كلامها بأسلوب تمثيلي قائلة: «أخشى أن.. أن.. أنك في خطر عظيم».

مرت فترة صمت، فحصت الأستاذة «أمبريدج» خلالها الأستاذة «تريلاوني» بنظرها

قالت بنعومة وهي تكتب المزيد في ورقها: «إن كان هذا هو أفضل ما عندك..».

ابتعدت تاركة الأستاذة «تريلاوني» مضطربة. نظر «هاري» إلى عين «رون» فعرف أنه يفكر في نفس الشيء، كلاهما يعرف أن الأستاذة «تريلاوني» محتالة عجوز لكن على الجانب الآخر، فهما يكرهان «أمبريدج» إلى درجة شعرا معها أنهما إلى جانب «تريلاوني».. حتى ضايقتهم بعدها بلحظات.

قالت بحدة وأصابعها الطويلة تحت أنف «هاري»: «ماذا تفعلان؟ دعوني أرى ما فعلتماه في واجب كتابة الأحلام».

ومع انتهائها من تفسير أحلام «هاري» بأعلى صوت لديها، جاء تفسيرها لها جميعها - ومنها حلم كان يأكل فيه العصيدة - حول موته وهلاكه المؤكد في سن صغيرة، فشعر بتعاطف أقل نحوها. وطوال الوقت والأستاذة «أمبريدج» واقفة على مسافة بضعة أقدام، تدون ملاحظات في ورقها، وعندما ضرب الجرس هبطت السلم الفضي قبلهم، وجلست تنتظرهم عندما دخلوا فصل الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود بعد عشر دقائق.

كانت تهمهم وتبتسم سعيدة بنفسها عندما دخلوا الحجرة. أخبر «هاري» و«رون» «هيرميون» - التي كانت في حصة الرياضيات السحرية[1] - بكل ما حدث بالحرف في حصة التنجيم وهم جميعًا يخرجون نسخهم من كتاب (نظرية السحر الدفاعي)، لكن وقبل أن تسألهما «هيرميون» أي أسئلة، أمرت الأستاذة «أمبريدج» الفصل بالتزام الصمت فحل السكون.

قالت لهم بابتسامتها المشرقة: «ضعوا العصي السحرية جانبًا». فأعادها المتفائلون الذين أخرجوها إلى الحقائب. أكملت: «مع انتهائنا من الفصل الأول في الدرس السابق، أريدكم أن تقفوا عند الصفحة التاسعة عشرة وتبدأوا في الفصل الثاني بعنوان: النظريات العامة للدفاع ومشتقاتها. ولا حاجة بكم للكلام».

ودون أن تفارقها ابتسامتها الواسعة، جلست إلى مكتبها. تنهد الطلبة بصوت مسموع وقلبوا الصفحات إلى الصفحة التاسعة عشرة. تساءل «هاري» بتبلد إن كان بالكتاب ما يكفي من الفصول ليقرأوها إلى نهاية العام، وكان على وشك التحقق من صفحة الفهرست عندما لاحظ يد «هيرميون» المرفوعة في الهواء ثانية.

يبدو أن الأستاذة «أمبريدج» قد لاحظتها هي الأخرى، ويبدو أيضًا أنها قد فكرت في استراتيجية لتتبعها في مثل هذه المواقف، فبدلاً من محاولة التظاهر بعدم ملاحظة «هيرميون»، نهضت على قدميها وسارت أمام صفوف الطلبة حتى وصلت إلى «هيرميون» وهمست لها حتى لا يسمع باقي الفصل قائلة: «ما الأمر هذه المرة يا آنسة جرانجر؟».

قالت «هيرميون»: «لقد قرأت الفصل الثاني بالفعل».

«إذن انتقلي إلى الفصل الثالث».

«قرأته هو الآخر. لقد قرأت الكتاب بأكمله».

طرفت عينا الأستاذة «أمبريدج»، لكنها استعادت اتزانها بسرعة وقالت: «إذن هل يمكنك إخباري بما يقوله سليكهارد عن تعاويذ النحس المضادة في الفصل الخامس عشر؟».

(١) الشائع لهاري بوتر منذ البداية يعرف أن هيرميون لم تحب أبدًا مادة التنجيم؛ واختارت مادة الرياضيات السحرية بدلاً منها لو كانت «هيرميون» في الثانوية العامة، كانت ستختار لنفسها «علمي رياضة»، بينما «هاري» و«رون» في الشعبة الأدبية. (المترجم)

قالت «هيرميون» على الفور: «يقول إن (تعاويذ النحس المضادة) كلمة ليست منضبطة مفاهيميًا، وإن تعاويذ النحس المضادة ليست أكثر من اسم يطلقه الناس على تعاويذ النحس التي يؤدونها عندما يريدون أن يقبلها الآخرون».

رفعت الأستاذة «أمبريدج» حاجبيها وعرف «هاري» أنها مندهشة وإن لم ترغب في إظهار دهشتها. أردفت «هيرميون»: «لكنني لا أوافقه الرأي».

ارتفع حاجبا الأستاذة «أمبريدج» أكثر، وأصبحت نظرتها على الفور أكثر برودًا.

«لا توافقينه الرأي؟».

قالت «هيرميون» والتي - على النقيض من «أمبريدج» - لم تكن تهمس، لكن تحدثت بوضوح ليلفت صوتها انتباه باقي الفصل: «نعم، لا أوافقه. إن السيد سليكهارد لا يحب تعاويذ النحس. أليس كذلك؟ لكنني أراها مفيدة للغاية عند استخدامها في الدفاع عن النفس».

قالت الأستاذة «أمبريدج» وقد نسيت أن تهمس هذه المرة واستقامت في وقفتها: «حقًا؟ أترين هذا؟ يؤسفني قول: إن الرأي هنا للسيد سليكهارد، وليس لك، وهذا ما يهمني في هذا الفصل يا آنسة جرانجر».

بدأت «هيرميون» في الكلام قائلة: «ولكن...».

قاطعتها الأستاذة «أمبريدج» قائلة: «كفاك» وسارت عائدة إلى مكتبها ووقفت أمامه، وقد اختفى كل المرح والخفة التي حرصت على إظهارهما منذ بداية الحصة، وقالت: «الآنسة جرانجر، سأخصم خمس نقاط من فرقة جريفندور».

تعالت غمغمات الطلاب الاحتجاجية على ما قالته.

قال «هاري» بغضب: «لماذا؟».

همست «هيرميون» له برجاء: «لا تتدخل».

قالت الأستاذة «أمبريدج» بنعومة: «لأنها أزعجت الطلاب في حصتي بمقاطعاتها المتكررة. أنا هنا للتدريس على النهج الذي أقرته وزارة السحر، وهذا النهج لا يدخل فيه دعوة الطلاب للإدلاء برأيهم في أمور لا يفهمونها. ربما أن مدرسي هذه المادة السابقين سمحوا لكم بالكثير، لكن ما كان أي منهم

- باستثناء الأستاذ كويرل الذي التزم بتدريس ما يناسب سنكم - لينجح في اختبارات وتفتيش الوزارة...».

قال «هاري» بصوت مرتفع: «أجل.. كان كويرل مدرسًا ممتازًا، لكن عيبه الوحيد أن اللورد فولدمورت كان ملتصقًا بمؤخرة رأسه».

ساد صمت رهيب بعد نطق «هاري» للاسم، ثم...

قالت «أمبريدج»: «أعتقد أن عقابك بالاحتجاز لأسبوع آخر سيفيدك يا سيد بوتر».

***

ما كاد الجرح على ظهر يد «هاري» يلتئم، حتى نزف الصباح التالي. لم يظهر ألمه خلال فترة الاحتجاز المسائية.. كان عازمًا على ألا يرضي «أمبريدج»، وأخذ يكتب: يجب أن أكف عن الكذب.. مرارًا وتكرارًا دون أن يصدر عنه أدنى صوت، بالرغم من حال الجرح الذي أخذ يسوء مع كل مرة يكتب فيها الجملة.

كان أسوأ ما في أسبوع الاحتجاز - وكما تنبأ «جورج» - هو رد فعل «أنجلينا» التي حاصرته وهو جالس على مائدة «جريفندور» أثناء الإفطار يوم الثلاثاء، وصاحت فيه، حتى إن الأستاذة «مكجونجال» جاءت إليهما بسرعة من مائدة المدرسين!

«آنسة جونسون، كيف تجرئين على الصياح هكذا في القاعة الكبرى؟ خصم خمس نقاط من فرقة جريفندور».

«لكن يا أستاذة.. لقد ورط نفسه في الاحتجاز ثانية...».

قالت الأستاذة «مكجونجال» بحدة وهي تلتفت إلى «هاري»: «ماذا؟ عقاب مرة أخرى يا بوتر؟ ممن هذه المرة؟».

غمغم «هاري» مبعدًا بصره عن عيني الأستاذة «مكجونجال» الصغيرتين: «من الأستاذة أمبريدج».

قالت وقد خفضت صوتها؛ حتى لا يسمعها تلاميذ «رافنكلو» الفضوليون: «هل تعني أنه وبعد تحذيري إياك الإثنين الماضي فقدت أعصابك ثانية في فصل الأستاذة أمبريدج؟». غمغم «هاري» ووجهه إلى الأرض: «أجل».

«بوتر، تماسك يا ولد، تحكم في نفسك.. ستعرض نفسك لمشكلة خطيرة. خصم خمس نقاط أخرى من جريفندور».

قال «هاري» غاضبًا من هذا الظلم: «لكن.. ماذا؟ لا يا أستاذة.. لقد تلقيت عقابي منها بالفعل، لماذا تخصمين مني النقاط؟».

قالت الأستاذة «مكجونجال» بنبرة لاذعة: «لأنه من الواضح أن العقاب بالاحتجاز ليس له تأثير عليك.. لا، لا تنطق بكلمة أخرى يا بوتر، وأنت يا آنسة جونسون، ادخري صياحك لمباريات الكويدتش، وإلا فقدت منصبك ككابتن الفريق».

عادت الأستاذة «مكجونجال» مسرعة إلى مائدة هيئة التدريس. نظرت «أنجلينا» إلى «هاري» نظرة احتقار عميقة، ثم ابتعدت، فركن إلى مقعده الخشبي وقد تمكن منه الغيظ.

«لقد خصمت خمس نقاط من جريفندور لأن يدي نزفت ثانية بالأمس، بالعدل؟».

قال «رون» بتعاطف وهو يلقي بالبيض في طبق «هاري»: «أعرف يا صاحبي.. أنت تعرف أنها غير متزنة».

لكن «هيرميون» لم تقل شيئًا، وأخذت تقلب في صفحات جريدة «دايلي بروفيت».

قال «هاري» لها بغضب وهي متوقفة عند صفحة من الجريدة فيها صورة «كورنيلياس فادج»: «هل ترين ما فعلته مكجونجال صحيحًا؟».

قالت «هيرميون»: «لم يعجبني خصمها للنقاط، وأرى أنها محقة في تحذيرك من فقدانك أعصابك مع أمبريدج» بينما صورة «فادج» تلوح بيدها وكأنه يلقي بخطبة ما.

لم يتحدث «هاري» إلى «هيرميون» طوال حصة التعاويذ، لكن عندما دخلوا إلى فصل التحويل نسي غضبه منها. كانت الأستاذة «أمبريدج» ومعها لوح كتابتها في ركن الحجرة، ومع رؤيته لها تلاشى من ذاكرته ما حدث وقت الإفطار.

همس «رون» وهم يجلسون على مقاعدهم التي يجلسون عليها عادة: «ممتاز.. لنر أمبريدج وهي تنال ما تستحقه».

دخلت الأستاذة «مكجونجال» إلى الحجرة دون أن يظهر عليها ملاحظتها وجود الأستاذة «أمبريدج».

قالت والصمت يسود من حولها: «سيد فينيجان، تعال هنا من فضلك وخذ مني الواجب الذي صححته، وزعه على زملائك.. آنسة براون، خذي صندوق الفئران هنا.. لا تكوني حمقاء يا فتاة، لن تؤذيك.. أعطي كل طالب فأرًا...».

«إحم إحم»، كانت هذه الأستاذة «أمبريدج» التي طبقت نفس أسلوب السعال

المعتاد الذي قاطعت به «دمبلدور» في أول ليلة من الفصل الدراسي. لكن الأستاذة «مكجونجال» تجاهلتها. ناول «سيماس» أوراق «هاري» إليه فأخذها دون أن ينظر نحوه، ورأى أنه قد حصل على درجة (م).

«رائع، اسمعوني جميعًا. دين توماس، إن فعلت ما فعلته هذا بالفأر ثانية سأعاقبك بالاحتجاز. معظمكم نجح في إخفاء صدفته، حتى من لم يخفها تمامًا منكم فقد بدأ في فهم التعويذة. اليوم سنتدرب على...».

قالت الأستاذة «أمبريدج»: «إحم إحم».

قالت الأستاذة «مكجونجال» وهي تلتفت إليها وحاجباها معقودان حتى صارا على خط واحد طويل: «ماذا؟».

«أريد سؤالك يا أستاذة إن كنت قد تلقيت ورقتي بشأن تدريس اليوم للتفتيش».

قالت الأستاذة «مكجونجال» وهي تشيح برأسها بعيدًا عنها: «من الواضح أنها قد وصلتني، وإلا كنت سألتك عما تفعلينه في فصلي»، ثم أضافت والكثير من التلاميذ يتبادلون نظرات جذلى: «كما كنت أقول، اليوم سنتدرب على مستوى أصعب من ممارسة تعويذة الإخفاء، على الفئران. والآن، لتعرفوا أن...».

«إحم إحم».

التفتت الأستاذة «مكجونجال» إلى الأستاذة «أمبريدج» وهي تقول ببرود شديد: «أتعجب كيف ستفهمين أساليبي المعتادة في التدريس إن كنت لا تكفين عن مقاطعتي هكذا؟ ترين أنني لا أسمح لأحد بالكلام وأنا أتكلم».

بدا كأن الأستاذة «أمبريدج» قد تلقت صفعة على وجهها. لم تتكلم، لكنها رفعت لوح الكتابة الملصقة إليه أوراقها إلى وجهها وأخذت تكتب بسرعة وغضب.

التفتت الأستاذة «مكجونجال» مخاطبةً الفصل ثانية، وقد لاح على وجهها لا مبالاة تامة.

«كما كنت أقول، فإن تعويذة الإخفاء تصبح أصعب عند ممارستها على الحيوانات معقدة التركيب. الصدفة من اللافقاريات، وهي تعتبر أسهل بكثير في إخفائها. أما بالنسبة للفئران، فهي كحيوان من الثدييات صعبة بعض الشيء؛ لذا فهذا النوع من السحر لا يمكن ممارسته وأنتم تفكرون فيما ستأكلونه على العشاء. ركزوا، ودعونا نرى ما ستفعلونه...».

غمغم «هاري» مخاطبًا «رون» بصوت خفيض: «كيف تحاضرنا هكذا وهي

بائسة من أمبريدج إلى هذه الدرجة؟»، لكنه كان يبتسم، وقد تلاشى غضبه من «مكجونجال».

لم تتبع الأستاذة «أمبريدج» الأستاذة «مكجونجال» في أرجاء الفصل كما فعلت مع الأستاذة «تريلاوني». لعلها أدركت أن «مكجونجال» لن تسمح لها بهذا. لكنها كتبت المزيد من الملحوظات وهي جالسة في الركن، وعندما أمرت الأستاذة «مكجونجال» الطلبة أخيرًا أن يستعدوا للخروج من الفصل، نهضت وتعبير متجهم على وجهها.

قال «رون» رافعًا فأرًا طويلاً من ذيله معيدًا إياه إلى الصندوق الذي تمر به «لاڤندر» على الطلبة: «بداية جيدة».

ومع خروجهم من الفصل، رأى «هاري» الأستاذة «أمبريدج» وهي تقترب من مكتب المعلمة، فلكز «رون»، الذي لكز «هيرميون» بدوره، ووقف ثلاثتهم ينصتون لما يُقال.

قالت الأستاذة «أمبريدج»: «منذ متى وأنت تقومين بالتدريس في هوجوورتس؟».

قالت الأستاذة «مكجونجال»: «مع حلول شهر ديسمبر القادم يكون قد مضى عليَّ تسعة وثلاثون عامًا» وهي تغلق حقيبتها بعصبية.

كتبت الأستاذة «أمبريدج» المزيد في ورقها، وقالت: «جيد.. ستتلقين نتيجة التفتيش عليك في غضون عشرة أيام».

قالت الأستاذة «مكجونجال»: «لا أطيق الانتظار» بنبرة باردة لا مبالية، ثم وهي تتجه إلى الباب: «بسرعة، أنتم الثلاثة» وهي تدفع «هاري» و«رون» و«هيرميون» أمامها.

لم يستطع «هاري» منع نفسه من أن يبتسم لها ابتسامة واهنة، وكاد يقسم أنها قد بادلته الابتسام.

ظن أن رؤيته لـ«أمبريدج» المرة القادمة ستكون في حجرتها وقت الاحتجاز، لكنه كان مخطئًا. عندما ساروا عبر المماشي العشبية إلى الغابة في طريقهم إلى حصة رعاية الكائنات السحرية، وجدوها ومعها لوح كتابتها وأوراقها واقفة إلى جانب الأستاذة «جروبلي بلانك».

سمعها «هاري» تسأل وهم يقفون بجانب المائدة التي تتجمع حولها

المجموعة، وحيث أخذت «البوتروكلات» تتحرك كأنها مجموعة كبيرة من الأغصان المتحركة: «أنت في العادة لا تقومين بتدريس هذه المادة. أليس كذلك؟».

قالت الأستاذة «جروبلي بلانك» ويداها خلف ظهرها: «صحيح. أنا المعلمة البديلة للأستاذ هاجريد».

تبادل «هاري» نظرات قلقة مع «رون» و«هيرميون». أخذ «مالفوي» يتهامس مع «كراب» و«جويل». بالطبع جاءته فرصة ليحكي ما لديه من حكايات عن «هاجريد» لأحد أعضاء الوزارة.

قالت الأستاذة «أمبريدج» وهي تخفض صوتها: «أه.. لكن «هاري» تمكن من سماع صوتها وهي تقول: «يبدو أن الناظر متردد في منحي بعض المعلومات عن.. بصراحة، هل تستطيعين إخباري بسبب غياب الأستاذ هاجريد الطويل هذا؟».

رأى «هاري» «مالفوي» وهو ينظر بلهفة إلى أعلى.

قالت الأستاذة «جروبلي بلانك» ببساطة: «في الواقع لا أعرف.. لا أعرف أي شيء. وصلتني بومة من دمبلدور تحمل رسالة تقول إنني سأقوم بالتدريس لمدة أسبوعين، فقبلت. هذا كل ما أعرفه.. هلا بدأنا؟».

قالت الأستاذة «أمبريدج»: «أجل.. من فضلك» وهي تكتب شيئًا ما على ورقتها. استعملت «أمبريدج» أسلوبًا مختلفًا هذه المرة، وأخذت تسير بين الطلبة، وهي تسألهم أسئلة عن المخلوقات السحرية. معظم الطلبة أجابوها إجابات صحيحة، فتحسنت حالة «هاري» المعنوية. على الأقل لم يخذل التلاميذ معلمهم «هاجريد».

قالت الأستاذة «أمبريدج» وقد عادت إلى الأستاذة «جروبلي بلانك» بعد استجوابها الطويل لـ«دين توماس»: «إجمالاً، باعتبارك ضيفة على هيئة تدريس المدرسة، ولن تقضي هنا سوى فترة قليلة، كيف تجدين هوجورتس؟ هل تشعرين بدعم كافٍ لك من إدارة المدرسة؟».

قالت الأستاذة «جروبلي بلانك» بحرارة وصدق: «أجل.. دمبلدور ممتاز. أنا سعيدة بالطريقة التي تسير بها الأمور، سعيدة للغاية».

وقد بدا عليها الضيق، كتبت «أمبريدج» المزيد في ورقتها وقالت: «وما خطتك التعليمية في هذه المادة لهذا العام الدراسي إن لم يعد الأستاذ هاجريد؟».

قالت الأستاذة «جروبلي بلانك»: «سأعرفهم بالمخلوقات التي تأتي في

امتحانات الـ(أوه. دبليو. إل) ولم يعد أمامهم الكثير ليتعلموه، فقد درسوا بالفعل على الحصان وحيد القرن، وعلى النيفلر، يبقى أمامي تعريفهم بالبورلوك والنيزل، وأراجع معهم الكروب والنارل كما تعرفين..».

قالت الأستاذة «أمبريدج» وهي تؤشر بعلامة (صح) واضحة على ورقتها: «يبدو أنك تفهمين ما تفعلينه» لم يعجب «هاري» بالطريقة التي قالت بها «تفهمين» ولم يعجبه أكثر توجهها بالسؤال التالي إلى «جويل» حين قالت: «الآن، سمعت أنه قد وقعت بعض الإصابات أثناء تدريس هذه المادة».

ابتسم «جويل» ابتسامة حمقاء، فسارع «مالفوي» بالإجابة على السؤال: «أنا.. أنا من أصيبت يا أستاذة.. جرحني حيوان هيبوجريف».

قالت الأستاذة «أمبريدج» وهي تكتب بأسرع ما تستطيع: «هيبوجريف؟».

قال «هاري» بغضب: «فقط لأنه كان أغبى من أن ينصت لهاجريد وهو يعرفنا بالحيوان».

أن كل من «رون» و«هيرميون». التفتت الأستاذة «أمبريدج» إليه ببطء، وقالت بنعومة: «ليلة أخرى من الاحتجاز. وأشكرك يا أستاذة جروبلي بلانك، أعتقد أن ما رأيته يكفي. ستتلقين نتائج تفتيشي خلال عشرة أيام».

قالت الأستاذة «جروبلي بلانك»: «رائع» ومشت الأستاذة «أمبريدج» على العشب مبتعدة.

***

كان الوقت منتصف الليل تقريبًا عندما غادر «هاري» مكتب «أمبريدج» تلك الليلة. كانت يده تنزف بغزارة، حتى إن الجرح جعل الضمادة التي لفها حول يده حمراء من الدم. توقع أن تكون حجرة الطلبة خالية عندما عاد، لكن «رون» و«هيرميون» كانا جالسين بانتظاره. سره رؤيتهما، خاصة وأن «هيرميون» كانت متعاطفة معه أكثر منها منتقدة لسلوكه.

قالت بقلق: «خذ» وهي تناوله طبقًا من السائل الأصفر. «اغمس يدك في هذا، إنه محلول أهداب حيوان المورتلاب المخللة، سيساعد جرحك على الالتئام».

وضع «هاري» يده النازفة المتألمة في الطبق، فأحس على الفور براحة جميلة. استلقى «كروكشانكس» عند قدميه وهو يهر بصوت مسموع، ثم قفز إلى حجره وجلس

قال «هارى» بامتنان وهو يحك ما خلف أذن «كروكشانكس» بيده اليسرى: «أشكرك».

قال «رون» بصوت خفيض: «ما زلت أعتقد أن عليك الشكوى بشأن ما يحدث هذا».

قال «هارى»: «لا».

«سيجن جنون مكجونجال إن عرفت...».

قال «هارى» بفتور: «أجل، على الأغلب. وكم من الوقت تعتقد أنه سيمر قبل إصدار أمبريدج فرمانًا آخر يقول: إن من يشتكى من المفتشة العليا سوف يُطرد على الفور؟».

فتح «رون» فمه ليجيب لكن لم يصدر عنه صوت، وبعد لحظة، أغلق فمه ثانية شاعرًا بالهزيمة.

قالت «هيرميون» بصوت هامس: «إنها امرأة فظيعة.. فظيعة. أتعرف؟ كنت أقول منذ قليل لـ «رون»: إنك لو جئت ونحن جالسان فعلينا نقاش ما نفعله بشأنها».

قال «رون» بعبوس: «أقترح التخلص منها بالسم».

قالت «هيرميون»: «لا! أعنى فعل شىء حيال تدريسها الفظيع، وكيف أننا لا نتعلم أى دفاع عن النفس ضد السحر الأسود منها».

قال «رون» متثائبًا: «وماذا بإمكاننا فعله؟ تأخرنا جدًا.. أليس كذلك؟ فقد حصلت على الوظيفة، وستبقى. فادج يريد لها هذا».

قالت «هيرميون» بتردد: «الواقع.. كما تعرف، فكرت اليوم..» ثم حدجت «هارى» بنظرة عصبية وأكملت كلامها قائلة: «.. ربما حان الوقت لفعل شىء.. اعتمادًا على أنفسنا».

قال «هارى» بارتياب ويده لا تزال مغمورة فى محلول أهداب حيوان «المورتلاب»: «نعتمد على أنفسنا؟».

قالت «هيرميون»: «أجل.. نتعلم الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود بأنفسنا».

تأوه «رون» محتجًا وقال: «اعقلى يا هيرميون.. هل تريدين المزيد من التعب فى الدراسة؟ هل تدركين أننى وهارى تأخرنا فى عمل الواجب ثانية، وأننا ما زلنا فى الأسبوع الدراسى الثانى؟».

قالت «هيرميون»: «لكن هذا أهم بكثير من الواجب».

تبادل «هارى» و«رون» النظرات بدهشة.

قال «رون»: «لا أظن أن هناك شيئًا فى الكون أهم من عمل الواجب».

قالت «هيرميون»: «لا تكن سخيفًا، بالطبع هناك ما هو أهم» فرأى «هارى» فى وجهها تعبيرًا غريبًا، أحس بالشبه بين هذه النظرة ونظرة الاهتمام التى تلازمها كلما تكلمت عن جمعية (إس. بى. إى. دبليو)، وأضافت: «الأهم أن نحضر أنفسنا ـ كما قال هارى فى الحصة الأولى لأمبريدج ـ لمواجهة ما ينتظرنا من مخاطر. يجب أن نضمن قدرتنا على الدفاع عن أنفسنا. إن لم نتعلم لمدة عام كامل فمتى...».

قال «رون» بصوت مهزوم: «لا نقدر على فعل الكثير بأنفسنا.. أعنى، طيب، يمكننا الذهاب والتدريب على تعاويذ التحس فى المكتبة...».

قالت «هيرميون»: «أنا معك، لقد تجاوزنا مرحلة التعلم من الكتب فقط. نحن بحاجة لمعلم، معلم متميز، يمكنه أن يرينا كيفية عمل التعاويذ ويصحح لنا عندما نخطئ».

قال «هارى»: «إن تحدثتنا إلى لوبين...».

قالت «هيرميون»: «لا لا.. أنا لا أتحدث عن لوبين، إنه مشغول كثيرًا فى عمله بالجماعة، كما أن معظمنا لا يراه إلا فى إجازات هوجزميد، وهى ليست كافية بالمرة». قال «هارى» مقطبًا جبينه: «من إذن؟».

تنهدت «هيرميون» تنهيدة عميقة وقالت: «أليس الأمر واضحًا؟ أنا أتحدث عنك يا هارى» مرت لحظة صمت، وهزت نسمات الليل الخفيفة الستائر من خلف «رون»، وطقطقت ألواح الخشب فى النار.

قال «هارى» أخيرًا: «تتحدثين عنى بشأن ماذا؟».

«أتحدث عن تدريسك لنا الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود».

حدق «هارى» فيها ثم التفت إلى «رون» متأهبًا لتبادل نظرات الحيرة المشتركة معه، كعادتهما كلما فاجأتهما «هيرميون» بأمر غريب مثل جمعية (إس. بى. إى. دبليو) التى أنشأتها، لكن ولدهشته، وجد «رون» لا يشاركه الحيرة والدهشة.

كان مقطب الجبين، وعلى وجهه علامات التفكير ثم قال: «فكرة جيدة».

قال «هارى»: «أية فكرة؟».

قال «رون»: «أنت.. أنت تكون معلمنا».

«لكن..».

ابتسم «هاري»، واضح أنهما يوقعان به في مقلب ما:

«لكنني لست بمعلم، لا يمكنني الـ..».

قالت «هيرميون»: «هاري، أنت أمهر طالب في دفعتنا في مادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود».

قال «هاري» وابتسامته أعرض مما سبق: «أنا؟ لا لست كذلك، لقد تفوقت عليّ في كل الامتحانات يا هرمـ..».

قالت «هيرميون» ببساطة: «في الواقع لم أفعل. أنت تفوقت عليّ في الصف الثالث، السنة الوحيدة التي درس لنا فيها المادة أستاذ يفهم المنهج الدراسي لكنني لا أتحدث عن نتائج الامتحانات، أنا أتحدث عما فعلته عمليًا».

«ماذا تقصدين؟».

قال «رون» مخاطبًا «هيرميون» بسخرية طفيفة: «أتعرفين؟ لا أريد التعلم من شخص بهذا الغباء» ثم التفت إلى «هاري» وقال: «لنفكر معًا، ثم قال «جوول» عندما ترتسم على وجهه ابتسامة بلهاء: «أم.. في الصف الأول، أنقذت حجر الفيلسوف ممن - تعرفه».

قال «هاري»: «لكن كان هذا بالحظ. لم يكن في المسألة أية مهارة..».

قاطعه «رون» قائلاً بنفس طريقته الطريفة: «وفي الصف الثاني قتلت أفعى الباسيليسك».

«أجل، لكن إن لم تكن فاوكس قد ظهر كنت..».

قاطعه «رون» بصوت أعلى: «وفي الصف الثالث حاربت مائة (ديمنتور) وحدك».

«أنت تعرف أن الفضل لم يكن لمهارتي وحدها، لولا التغير في مجرى الزمن لما..».

قال «رون» وصوته أقرب للصياح: «والعام الماضي قاتلت بنفسك الذي - تعرفه مرة أخرى..».

قال «هاري» وهو أقرب إلى الغضب بسبب ابتسامات «رون» و«هيرميون» الضاحكة: «اسمعا.. اسمعا.. اتفقنا؟ المسألة تبدو جميلة عندما تحكونها هكذا، لكن هذه الأشياء لم تكن أكثر من حسن حظ. لم أكن أعرف كيف أتصرف نصف الوقت، ولم أخطط لأي مما حدث، ولم أفكر فيه، وطوال الوقت وأنا أتلقى المساعدة..».

لم تتلاش ابتسامات «رون» و«هيرميون»، فشعر «هاري» بغيظه يزيد، لكنه لم يكن حتى واثقًا من سبب غضبه. قال أخيرًا بغضب: «لا تجلسا مبتسمين هكذا. أنتما تعرفان تفاصيل ما مر بي.. أليس كذلك؟ أعرف ما جرى، ولم أنج في أي من تلك المغامرات لأنني عبقري في الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود، طوال الوقت وهناك من يساعدني، ومن يتدخل في الوقت المناسب.. ولا أعرف لماذا.. كفا عن الضحك».

سقط طبق أعشاب حيوان «المورتلاب» إلى الأرض وتحطم. هب على قدميه دون أن يشعر. تراجع «كروكشانكس» إلى أسفل الأريكة، وتلاشت ابتسامات «رون» و«هيرميون».

«أنتما لا تعرفان كيف كان حالي طوال الوقت.. ولا أي واحد منكما.. لم تضطرا أبدًا لمواجهة ما واجهته أنا.. أليس كذلك؟ أتحسبان أن حفظ بعض التعاويذ وأداءها عليه كافية؟ مثلما نفعل في الفصل؟ ترى كيف تشعران وأنتما تعرفان أن بينكما وبين الموت شعرة؟ هل تقدران على التفكير في جزء من الثانية وتتخذان قرارًا هو الفارق بين الموت والحياة؟ قبل أن يقتلكما؟ أو يعذبكما؟ أو يجعلكما تريان أصحابكما وهم يموتون؟ لم أتعلم أيًا من هذا في الفصل. ترى كيف ستشعران إن اضطررتما للتعامل مع أشياء مثل هذه؟ ها أنتما جالسان تعتقدان كأنني ولد صغير ماهر، استطاع البقاء على قيد الحياة، بينما «ديجوري» الغبي لم يقدر، كأنه أخطأ في لعبة ما فانتهت حياته. كان من السهل أن أموت أنا وليس هو، كان هذا ليحدث لو لم يكن فولدمورت بحاجة إلي..».

قال «رون» مندهشًا: «لم نقل أيًا من هذا يا صديقي.. ولم نتحدث عن ديجوري كما قلت أنت.. لقد فهمتنا فهمًا خاطئًا..».

نظر بحيرة إلى «هيرميون» فوجد وجهها مفزوعًا. قالت بخجل: «هاري.. ألا ترى أن هذا بالضبط هو ما تريد معرفته؟ أن نفهم كيف يشعر المرء في مواجهته.. في مواجهة.. مواجهة فولدمورت».

كانت هذه هي المرة الأولى التي تنطق فيها اسم «فولدمورت»، وكان هذا - أكثر من أي شيء آخر - هو ما جعل «هاري» يهدأ. وهو ما زال يتنفس بصعوبة، عاود الجلوس في مقعده، وشعر وهو يجلس بيده تؤلمه بشدة. تمنى لو لم يحطم طبق أعشاب «المورتلاب».

قالت «هيرميون» بهدوء: «فـ.. فكر في الأمر يا هاري.. من فضلك».

لم يعرف «هاري» ماذا يقول. كان يشعر بالخجل لغضبته هذه. أومأ برأسه دون وعي منه بما يوافق عليه بإيماءته.

وقفت «هيرميون» وقالت: «حسنًا. أنا ذاهبة للنوم» بصوت حاولت أن تبقيه طبيعيًا. «مم.. تصبحان على خير».

نهض «رون» هو الآخر وقال بتردد مخاطبًا «هاري»: «هل ستأتي معي؟»

قال: «سآتي خلفك بعد دقيقة.. بعد أن أنظف المكان».

أشار إلى الطبق المحطم على الأرض فأومأ له «رون» برأسه وغادره.

غمغم «هاري» مشيرًا بعصاه السحرية إلى أجزاء الخزف المكسورة «ريبارو» فطارت وتجمعت والتصقت بعضها ببعض فصار الطبق كأنه جديد. لكن لم يعد محلول أهداب «المورتلاب» إلى الطبق.

شعر بإرهاق مفاجئ أغراه بمعاودة الجلوس في المقعد الوثير والنوم فيه. لكن بدلاً من هذا حمل نفسه على النهوض على قدميه، واتباع «رون» إلى جناح النوم. ومرة أخرى قاطع نومه أحلام عن ممرات طويلة وأبواب حجرية موصدة، ونهض صباح اليوم التالي من نومه وندبة جبينه تؤلمه.



١٦ فى رأس الخنزير

لم تتكلم «هيرميون» عن موضوع تدريس «هاري» لهم لمدة أسبوعين بعد اقتراحها. انتهى أخيرًا عقابه بالاحتجاز مع «أمبريدج» ـ وأخذ يتساءل إن كانت الكلمات المحفورة على ظهر يده ستتلاشى في يوم من الأيام ـ وتدرب «رون» على «الكويدتش» أربع مرات، ولم يصيحوا فيه موبخين في آخر مرتين، وتمكن ثلاثتهم من إخفاء فئرانهم في حصة التحويل. وإن كانت «هيرميون» قد سبقتهم في التحصيل الدراسي إلى حد إخفائها للقطط الصغيرة. قبل أن يطفو الموضوع إلى السطح ثانية ذات مساء بارد كثير الرياح في نهاية شهر سبتمبر، عندما كان ثلاثتهم جلوسًا في المكتبة، يبحثون في الكتب عن مقادير وصفة سحرية طلبها «سناب».

قالت «هيرميون» بغتة: «ترى هل فكرت في موضوع دروس الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود يا هاري؟».

قال «هاري» متذمرًا: «بالطبع فكرت. فلا يمكنني النسيان وتلك الحيزبون هي المسئولة عن تدريس المادة..».

«أعني أن فكرتي أنا ورون..» ـ حدجها «رون» بنظرة فيها شبهة تهديد، فقطبت جبينها وأكملت: «.. أه، أعني فكرتي.. بشأن تعليمك لنا». لم يجبها «هاري» فورًا. تظاهر بالانهماك في قراءة صفحة من كتاب (الأمصال الأسيوية المضادة للسموم) لأنه لم يرغب في قول ما يفكر فيه.

فكر في الأمر مليًا طوال الليلة الماضية. أحيانًا كانت تبدو فكرة مجنونة، كما في الليلة عرضتها عليه «هيرميون»، لكن في أحيان أخرى يجد نفسه يفكر في التعاويذ التي ساعدته في لقاءاته المتعددة مع مخلوقات الظلام وآكلة الموت.. ووجد نفسه ـ دون أن يشعر ـ يخطط للدروس التي سيلقيها.

قال بتروٍ بعد أن وجد نفسه غير قادر على التظاهر باهتمامه بكتاب (الأمصال الأسيوية المضادة للسموم): «في الواقع.. أجل.. فكرت في الموضوع».

قالت «هيرميون» بلهفة: «ثم؟».

قال «هاري» محاولاً كسب الوقت وهو ينظر إلى «رون»: «لا أعرف».

قال «رون» الذي بدا أكثر حرصًا على الانضمام للمحادثة وقد ضمن أن «هاري» لن يبدأ في الصياح ثانية: «أنا وجدتها فكرة مدهشة منذ البداية».

تحرك «هاري» في مقعده بقلق، وقال: «تراك أنصت لحديثي المطول عن حظي الحسن؟».

قالت «هيرميون» بهدوء: «أجل يا هاري. لكن في نفس الوقت ليس ثمة فائدة من التظاهر بأنك لست ماهرًا في الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود لأنك كذلك. كنت الشخص الوحيد الذي تمكن العام الماضي من التخلص من لعنة الإمبريوس، وتستطيع إطلاق بتروناس، وتؤدي الكثير من السحر الصعب الذي لا يقدر عليه سوى السحرة البالغين. لطالما قال فيكتور إن...».

التفت «رون» إليها بسرعة حتى بدا كأن رقبته ستنتكس، فقال وهو يحكها ملطفًا أثر الالتفاتة المفاجئة: «حقًا؟ ماذا قال فيكتور؟».

قالت «هيرميون» بصوت ملول: «بوه! قال إن هاري يعرف أشكالاً من السحر لا يعرفها هو، بالرغم من كونه في الصف الأخير بمدرسة دورمسترانج للسحر».

نظر «رون» إلى «هيرميون» بارتياب.

«تراك لست على اتصال به؟».

قالت «هيرميون» ببرود وإن كان وجهها محمرًا قليلاً من الخجل: «وما الخطأ في هذا؟ أليس لي الحق في صديق يراسلني إن كنت...».

قال «رون» بنبرة اتهام: «إنه لا يريدك كصديقة للمراسلة فقط».

هزت «هيرميون» رأسها متجاهلة «رون» الذي استمر في مراقبتها، وقالت مخاطبة «هاري»: «المهم.. ما رأيك؟ هل ستعلمنا؟».

«أنت ورون فقط».

قالت «هيرميون» وقد تملكها القلق ثانية: «في الواقع.. أعني.. أرجوك يا هاري لا تثور ثانية. أرى أن عليك تعليم أي شخص راغب في التعلم. أعني أن الموضوع متعلق بالدفاع عن أنفسنا ضد.. ضد.. فـ.. فولدمورت. لا تكن جبانًا هكذا يا رون. ليس من العدل ألا توفر الفرصة للآخرين».

فكر «هاري» في رأيها لحظة، ثم قال: «عندك حق. لكنني أشك في رغبة أي شخص آخر غيركما في أن أعلمه. أنا مجنون كما تذكرين».

قالت «هيرميون» بجدية: «في الواقع، ستندهش عندما تعرف عدد

الأشخاص المهتمين بسماع ما ستقوله.. انظر..» ثم وهي تميل عليه -«رون» الذي كان ما زال مقطب الجبين مال هو الآخر للأمام- أضافت: «.. أنت تعرف أن أول إجازة يسمح لنا فيها بزيارة هوجزميد في أول أكتوبر. ما رأيك في إخبار المهتمين بالأمر بمقابلتنا في القرية ونتحدث عن الموضوع وقتها؟».

قال «رون»: «ولماذا علينا الكلام في الموضوع خارج المدرسة؟».

قالت «هيرميون» وقد عاودت رسم نبتة الكرنب الصينية التي كانت تنقلها من كتاب أمامها إلى ورقتها: «لأن أمبريدج لن تفرح بالموضوع إن عرفت به».

***

تطلع «هاري» إلى عطلة نهاية الأسبوع وذهابهم إلى «هوجزميد»، لكن كان هناك شيء واحد يقلقه.

لم يجد من «سيريوس» إلا الصمت المطبق منذ ظهر في النار في أول سبتمبر، والآن يعرف أنه قد غضب لقوله له إنه لا يريده أن يأتي ثانية. لكنه كان ما زال خائفًا من احتمال أن يضرب «سيريوس» بالحذر عرض الحائط ويظهر في أي وقت أمامهم. ماذا عساهم يفعلون إذا قابلهم كلب أسود ضخم وهم في شارع «هوجزميد»، وربما تحت أنف «دراكو مالفوي»؟

قال «رون»: «لا يمكنك لومه على رغبته في الخروج» عندما ناقش «هاري» الأمر معه هو و«هيرميون»، وأفضى إليهما بمخاوفه. وأضاف: «أعني أنه هارب منذ عامين. أليس كذلك؟ وأعرف أن حياته ليست سعيدة، لكنه على الأقل حر. أليس كذلك؟ والآن عاد للسجن الاختياري في بيت الأقزام المنزلية المرعبة هذا».

نظرت «هيرميون» إلى «رون» بغضب، لكن لم تعلق على ذكره للقزم «كريتشر»، وقالت لـ«هاري»: «المشكلة أنه وحتى يخرج فـ.. فولدمورت -بحق السماء يا رون لا ترتجف هكذا- حتى يخرج ويظهر على الساحة فعلى سيريوس البقاء مختبئًا. أليس كذلك؟ أعني أن الوزارة الغبية لن تدرك براءة سيريوس حتى تقبل فكرة أن دمبلدور يخبرها بالحقيقة. وحالما يقبض هؤلاء الحمقى على أكلة الموت، سيعرفون أن سيريوس ليس منهم».

قال «رون» باهتمام: «لا أعتقد أنه غبي بما يكفي للظهور بين الناس ثانية. سيجن جنون دمبلدور إن وجد سيريوس لا ينصت إليه بعد ما حدث».

وعندما وجدا قلق «هاري» مستمرًا قالت «هيرميون»: «اسمع. أنا ورون سنخبر

الطلبة الذين تراهم حريصين على تعلم الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود، وهناك القليل من المهتمين بالفعل ممن أخبرناهم باجتماعنا في هوجزميد».

قال «هاري» شارد الذهن وهو ما زال يفكر في «سيريوس»: «حسنًا».

قالت «هيرميون» بهدوء: «لا تقلق يا هاري. لديك ما يكفيك من أعباء».

كانت على حق بالطبع، فهو لم يكن لديه أي وقت لعمل الواجب المتأخر، وإن كان قد تحسن أداؤه بعد أن انتهت جلسات العقاب مع «أمبريدج». وإن كان «رون» متأخرًا أكثر من «هاري»؛ بسبب تمرينات «الكويدتش» التي يحضرها مرتين في الأسبوع. لكن «هيرميون» - التي تأخذ مواد دراسية أكثر منهما - لم تكن قد انتهت من واجبها فقط بل أيضًا وجدت الوقت لحياكة المزيد من الملابس للأقزام. كان على «هاري» الاعتراف بأن أداءها يتحسن، بعد أن أمسى من الممكن التمييز بين القبعات والجوارب التي تصنعها.

جاء صباح زيارة «هوجزميد» صافيًا لكن كثير الرياح. بعد الإفطار اصطفوا أمام «فيلش» وهو ينادي أسماءهم من قائمة التلاميذ المسموح لهم من جانب آبائهم أو أولياء أمورهم بزيارة القرية. فتذكر «هاري» أن لولا «سيريوس» ما كان ليذهب.

عندما وصل «هاري» إلى «فيلش» اشتمه الفرّاش كأنه يحاول معرفة ما يخبئه. ثم أومأ له فهبط «هاري» درجات السلم خارجًا إلى النهار المشمس البارد.

تساءل «رون» وهو يسير مع «هاري» و«هيرميون» بخطوات واسعة سريعة عبر ممشى الفناء إلى البوابات المفتوحة: «أ.. ما الذي يشمه فيلش؟».

قال «هاري» بضحكة قصيرة: «أعتقد أنه يحاول كشف الدانجبومب الذي يفترض أنه معي. نسيت إخباركما بالموضوع..».

وقص عليهما ما حدث عندما صعد لإرسال رسالة إلى «سيريوس» ودخل «فيلش» بعد لحظات من إرسالها، محاولاً رؤيتها. ولدهشته وجدت «هيرميون» الموضوع مثيرًا للاهتمام، أكثر بكثير من اهتمامه به.. وقالت: «هل قال إنه حصل على معلومات عن إرسالك طلبية دانجبومب؟ لكن ترى من أخبره؟!».

قال «هاري» وهو يهز كتفيه: «لا أعرف.. ربما مالفوي، أكيد يرى الموضوع مزحة طريفة».

ساروا بين القوائم الحجرية الطويلة المنتصبة فوقها الخنازير المجنحة، وانحرفوا إلى اليسار مع الطريق الذاهب إلى القرية، والرياح تداعب شعرهم وجفونهم.

قالت «هيرميون» بارتياب: «مالفوي؟ أعني.. ربما.. فعلاً..».

وأخذت تفكر بعمق في الموضوع وهم في طريقهم إلى «هوجزميد».

سألها «هاري»: «إلى أين سنذهب؟ إلى مقهى المقشات الثلاث؟».

قالت «هيرميون» وقد انتشلها سؤاله من تركيزها العميق: «لا.. فهي دائمة الزحام وصاخبة. قلت للآخرين أن يقابلونا في مقهى رأس الخنزير[1] المقهى الآخر بالقرية، الواقع على الشارع الرئيسي. ستجده مختلفًا قليلاً.. لكن الطلبة لا يدخلونه عادة؛ لذا فلا أعتقد أن هناك من سيسمعنا ونحن نتكلم».

ساروا عبر الشارع الرئيسي إلى جوار متجر «زونكو» للمقالب السحرية، حيث رأوا «فريد» و«جورج» و«لي جوردن» فلم يندهشوا، ثم من جوار مكتب البريد، الذي أخذ البوم يخرج منه ويدخل إليه على فترات منتظمة، ثم انحرفوا إلى ناصية شارع جانبي قائم عند تقاطعه مع الشارع الرئيسي مقهى صغير. كان على بابه لافتة خشبية قديمة رثة الحال مرسوم عليها لوحة لرأس خنزير مقطوعة، والدم ينزف منها على القماش الأبيض المحيط بها. أحدثت اللافتة صوت صرير مع هبوب الرياح وهم يقتربون، ثم تردد ثلاثتهم أمام الباب.

قالت «هيرميون» بعصبية: «هيا، ادخلا». فقاد هاري الطريق إلى الداخل.

لم يكن المقهى مثل «المقشات الثلاث»، والذي يعطي اتساعه ورحابته إحساسًا بالدفء والنظافة. كان حجرة صغيرة، كريهة الرائحة، وشديدة القذارة، ورائحتها تشبه رائحة الماعز، والنوافذ المطلة على الطريق ملطخة بالأوساخ حتى إن أقل القليل من ضوء النهار هو ما ينفذ منها. فتولت بقايا الشموع المنتصبة على حواف الموائد الخشبية إضاءة المكان. بدت الأرضية للوهلة الأولى طينية، لكن مع خطو «هاري» فوقها عرف هناك أوساخًا متراكمة على البلاط منذ قرون.

تذكر «هاري» عندما ذكر «هاجريد» اسم هذا المقهى في أول عام لهم بالمدرسة، وقال وقتها «في رأس الخنزير تجدون الكثير من الأشخاص غريبي الأطوار» شارحًا لهم كيف ربح بيضة التنين من شخص غريب ملثم وقتها

(١) الرأس Head، والكلمة Hog معناها: الخنزير والفحل. وهو الاسم الذي ستتضح دلالته بعد قليل، كما أن كلمة Hogshead - ككلمة واحدة - تعني البرميل بما يوحي به الاسم من عدم رحابة المكان. (المترجم)

تساءل «هاري» لماذا لم يتعجب «هاجريد» من إخفاء الغريب لوجهه، لكنه الآن وجد تغطية الوجه مسألة أشبه بالموضة في «رأس الخنزير». كان هناك رجل جالس إلى منصة الساقي ورأسه مغطى بالكامل في ضمادات رمادية قذرة، ويحتسي الكثير من أكواب شراب غريب، يتصاعد منه الدخان، من فتحة في الضمادات قريبة من الفم. وبالقرب من إحدى النوافذ رأى شخصين جالسين إلى مائدة، ربما كان يحسبهما (ديمنتورين) إن لم يكونا يتحدثان بلهجة ريفية معًا. وفي ركن مظلم إلى جوار المدفأة ساحرة متشحة بالسواد من قمة رأسها حتى أخمص قدميها. رأوا طرف أنفها؛ لأنه كان بارزًا قليلاً من أسفل الثوب.

غمغم «هاري» وهم يعبرون إلى منصة الساقي ناظرًا إلى الساحرة المتشحة بالسواد: «هيرميون.. هل خطر لك أن هذه هي أمبريدج؟».

فحصت «هيرميون» الساحرة ببصرها، وقالت: «أمبريدج أقصر من هذه المرأة. وعلى أية حال، وإن جاءت أمبريدج إلى هنا فلا يوجد ما تقدر على فعله يا هاري؛ فأنا قد تحققت من قواعد وقوانين المدرسة، ووجدت أننا لم نتعدَّ حدودنا. وسألت الأستاذ «فليتويك» وقال: أجل يمكنك الذهاب، لكنه نصحني باصطحاب كوبي معي. لقد تحققت من كل قواعد التجمعات المدرسية، ومجموعات المذاكرة الجماعية، وجماعات عمل الواجب جماعيًا، ووجدت أن ما سنفعله مسموح به، لكنني لا أجدها فكرة صائبة أن نعلن عن أنفسنا وعما نفعله للجميع».

قال «هاري»: «فعلاً.. خاصة وأن ما تخططين له ليست جماعة لعمل الواجب.. صح؟».

خرج الساقي إليهم من الحجرة الخلفية. كان رجلاً عجوزًا رثَّ الهيئة، شعر رأسه ولحيته طويل ورمادي. كان طويلاً ونحيفًا وبدا مألوفًا لناظري «هاري».

قال لهم بصوت أجش: «ماذا تريدون؟».

قالت «هيرميون»: «ثلاث زجاجات عصير لو سمحت».

مد الرجل يده إلى أسفل المائدة الطويلة، وأخرج ثلاث زجاجات متربة شديدة القذارة، وألقى بها على المائدة أمامه، قائلاً: «ستة سيكلات».

قال «هاري» بسرعة معطيًا إياه العملات الفضية: «سأدفع أنا». انتقلت عينا الساقي إلى «هاري»، واستقرت لجزء من الثانية على ندبته، ثم أبعد عينيه واضعًا نقود «هاري» في خزانة خشبية قديمة انفتح درجها آليًا لتلقي النقود. تراجع «هاري» و«رون» و«هيرميون» إلى أبعد مائدة عن منصة الساقي

وجلسوا ناظرين حولهم متفحصين المكان. ضرب الرجل الملفوف بالضمادات المنصة أمامه بقوة، ليتلقى كوبًا مدخنًا آخر من الساقي.

غمغم «رون» ناظرًا إلى مائدة الساقي بحماس: «أتعرفان؟ يمكننا طلب أي مشروب هنا.. أراهن أن هذا (الجردل) سيبيعنا أي شيء، ولن يهتم. لطالما أردت شرب الويسكي الـ..».

زجرته «هيرميون» قائلة: «رون! أنت رائد فصل».

قال «رون» وابتسامته تتلاشى من على وجهه: «آه.. أجل.. فعلاً..».

تساءل «هاري»: «إذن فمَن سيحضر اليوم لمقابلتنا؟» وهو يفتح غطاء زجاجته الصدئ ويأخذ رشفة منها.

قالت «هيرميون» ناظرة إلى ساعتها ثم إلى الباب بقلق: «القليل من الأشخاص. أخبرتهم أننا سنكون هنا، وأنا واثقة من أنهم سيحضرون.. ها هم. انظر».

انفتح الباب فدخل شعاع الشمس كثيفًا مغبرًا للحظة قبل أن يتلاشى، ودخل مجموعة كبيرة من الأشخاص.

في البداية جاء «نيفيل»، ومعه «دين» و«لافندر»، تبعتهما «بارفاتي» و«بادما باتيل»، ثم - وربما أثار توتر «هاري» - «تشو» ومعها واحدة من صاحباتها الضاحكات، ثم - وعلى وجهها تلك النظرة الحالمة، وكأنها قد دخلت بالمصادفة - «لونا لوفجود».. ثم «كاتي بيل» و«أليشيا سبينيت» و«أنجيلينا جونسون»، والأخوان «كولين» و«دينيس كريفي»، و«إرني ماكميلان» و«جوستين فينش - فليتشلي» و«هانا أبوت»، ثم فتاة من «هافلباف» بضفيرة طويلة على ظهرها لا يعرف «هاري» اسمها.. وثلاثة أولاد من «رافنكلو» كان واثقًا أن أسماءهم هي «أنتوني جولدشتاين» و«مايكل كورنر» و«تيري بوت»، ثم «جيني» التي دخلت يتبعها ولد أشقر نحيل بأنف معقوف تعرف فيه «هاري» على أحد أعضاء فريق «هافلباف» للكويدتش، وفي النهاية الأخوان «فريد» و«جورج ويسلي» ومعهما «لي جوردن»، ومع ثلاثتهم حقيبة كبيرة مليئة بأغراض من «زونكو».

قال «هاري» بصوت غاضب مخاطبًا «هيرميون»: «القليل من الأشخاص؟ القليل من الأشخاص؟».

قالت «هيرميون» بسعادة: «أجل.. في الواقع يبدو أن الفكرة قد لاقت نجاحًا.. رون، هلا جلبت بعض المقاعد».

تجمد الساقي وسط مسحه لكوب بقطعة قماش قذرة تبدو كأنها لم تُغسل من قبل قط لعله لم يجد مقهاه مزدحماً عن آخره هكذا من قبل.

قال «فريد» وقد وصل إلى مائدة الساقي أولاً وبعد أن أحصى الحضور «أهلاً.. عشرين زجاجة عصير من فضلك».

حدجه الساقي ببصره للحظة، ثم ألقى بقطعة القماش بعصبية كأنه قد تمت مقاطعته عن عمل بالغ الأهمية، ثم أخرج زجاجات العصير من تحت المائدة.

قال «فريد» متناولاً إياهم الزجاجات: «أخرجوا نقودكم جميعاً.. ليس معي ذهب كافٍ ثمناً لكل هذه الزجاجات..».

راقب «هاري» المجموعة الكبيرة وهي تأخذ الزجاجات من «فريد» ويعبثون بعباءاتهم بحثاً عن العملات النقدية. لم يجد فكرة حضور كل هؤلاء الناس مرعبة إلا عندما خطر على باله أنهم ينتظرون خطبة منه، وهو ما جعله يلتفت إلى «هيرميون» بسرعة قائلاً: «ماذا قلت لهم جميعاً؟ وماذا يتوقعون مني؟».

قالت «هيرميون» مخافتة عنه: «قلت إنك.. يريدون سماع ما تنوي عمله» لكن «هاري» لم يبعد عينه عنها ناظراً إليها بغضب، حتى أضافت: «ليس عليك فعل شيء بعد.. سأتحدث أنا إليهم في البداية».

قال «نيفيل» مبتسماً «أهلاً يا هاري» وهو يجلس على المقعد المقابل له.

حاول «هاري» مبادلته الابتسام، لكنه لم يتكلم، فقد صار فمه شديد الجفاف. ابتسمت له «تشو» وجلست إلى يمين «رون». أما صديقتها ذات الشعر الأشقر المحمر المجعد فلم تبتسم، بل نظرت إلى «هاري» نظرة فاحصة مفعمة بعدم الثقة، مما جعله يفكر أنها لو كان لها الخيار لما حضرت بالمرة.

تجمع الحضور الجدد في جماعات من فردين وثلاثة أفراد حول «هاري» و«رون» و«هيرميون»، وبعضهم على وجهه علامات الحماس، والبعض ينظر بفضول، و«لونا لوفجود» تحدق بطريقتها الحالمة في الفراغ. عندما جلس الجميع وتلاشت الجلبة انتقلت كل العيون لتستقر على «هاري».

قالت «هيرميون» وصوتها القلق أعلى قليلاً من المعتاد: «أ.. آ.. أهلاً».

ركزت المجموعة انتباهها عليها بدلاً من «هاري»، وإن كانت أعينهم تعاود النظر إليه من حين لآخر وبانتظام.

«الواقع.. إحم.. أعني.. أنتم تعرفون سبب تجمعنا هنا.. إحم.. فقد خطر على بال هاري فكرة.. (حدجها هاري بنظرة شذراً).. أعني خطر على بالي فكرة أنه سيكون من المفيد لنا دراسة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود.. أعني، أن ندرسها بحق، فأنتم تعرفون الهراء الذي تدرسه لنا أمبريدج.. (فجأة صار صوت «هيرميون» أكثر قوة وثباتاً وثقة). فلا أحد يمكن أن يسمي ما تدرسه دفاعاً عن النفس ضد السحر الأسود..(قال أنتوني جولدشتاين: فعلاً فعلاً). أعني.. سيكون من المفيد لو، لو تولينا بأنفسنا دراسة المادة».

سكتت، ونظرت إلى «هاري»، وأضافت: «وأعني بهذا أن نتعلم بأنفسنا السحر الدفاعي بصورة ملائمة، ليس بدراسة النظريات، بل بأداء تعاويذ حقيقية..».

قال «مايكل كورنر»: «كما أنك تريدين النجاح في مادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود في اختبارات الـ(أوه. دبليو إل) أليس كذلك؟».

قالت «هيرميون» على الفور: «بلى، بالطبع. لكن وأكثر من أي شيء، فأنا أريد التدرب جيداً على السحر الدفاعي، لأن.. لأن»، أخذت نفساً عميقاً ثم قالت: «لأن لورد فولدمورت قد عاد».

كان رد الفعل فورياً ومتوقعاً. صرخت صديقة «تشو» وسكبت العصير على نفسها. أجفل «تيري بوت» رغماً عنه، وارتجفت «بادما باتيل»، وتنح «نيفيل» نحنحة غريبة تمكن من تحويلها إلى سعلة. لكن جميعهم نظروا بثبات إلى «هاري».

قالت «هيرميون»: «إذن.. فإن كنتم ستنضمون إلينا، فعلينا التفكير كيف سـ..».

قال لاعب «هافلباف» الأشقر بغلظة: «ما الدليل على عودة الذي - تعرفينه؟».

قالت «هيرميون»: «في الواقع دمبلدور يرى أن..».

قال الولد الأشقر مشيراً برأسه إلى «هاري»: «أتعنين أن دمبلدور يصدقه؟».

قال «رون» بوقاحة: «من أنت؟».

قال الولد: «زكارياس سميث.. وأرى أن لدينا كل الحق في معرفة سبب تصديقه لعودة الذي - تعرفه».

تدخلت «هيرميون» بسرعة قائلة: «انظر.. ليس هذا هو سبب اجتماعنا هنا».

قال «هاري»: «لا عليك يا هيرميون».

فهم فجأة سبب تجمع كل هؤلاء الأشخاص هنا، وقال لنفسه: إن

«هيرميون» كان عليها فهم السبب هى الأخرى. بعض هؤلاء الأشخاص، وربما معظمهم - جاءوا أملاً فى سماع القصة من «هارى» نفسه.

كرر سؤال «زكارياس» ناظراً إليه: «ما الدليل على عودة الذى - تعرفينه. أنا رأيته. لكن دمبلدور أخبر المدرسة كلها بما حدث العام الماضى، وإن كنت لا تصدقه فلن تصدقنى، وأنا لن أضيع جلستنا هنا على محاولتى إقناعك».

انحبست أنفاس كل الجلوس و«هارى» يتكلم، وقد شعر بأن الساقى هو الآخر كان ينصت إليه باهتمام، وهو يمسح نفس الكوب بنفس قطعة القماش القذرة، ليجعله أكثر قذارة مما هو عليه.

قال «زكارياس»: «كل ما قاله دمبلدور العام الماضى أن سيدريك ديجورى مات على يد الذى - نعرفه. وأنه جلب معه جثمان ديجورى إلى هوجورتس. إنه لم يطلعنا على أى تفاصيل، ولم يقل كيف قتل ديجورى، ومن حقنا..».

قال «هارى» وأعصابه الملتهبة دوماً هذه الأيام آخذة فى التوتر: «إن كنت قد حضرت لتسمع بم يشعر المرء وفولدمورت يقتله فلن أقدر على مساعدتك».

لم يبعد عينيه عن وجه «زكارياس» المتحفز، وقرر ألا ينظر نحو «تشو». أضاف: «لا أريد الحديث عن سيدريك ديجورى، هل فهمتم؟ لذا إن كان هذا هو سبب مجيئكم فربما من الأفضل أن ترحلوا».

حدج «هيرميون» بنظرة غاضبة. شعر بأن الخطأ خطؤها. فما كان عليها أن تظهره بهذا المظهر. بالطبع جاءوا جميعاً لسماع قصته. لكن لم ينهض أى منهم، ولا حتى «زكارياس سميث»، الذى استمر فى التحديق فى «هارى».

قالت «هيرميون» وقد ارتفع صوتها ثانية: «كنت أقول.. إذا كنتم تريدون تعلم بعض السحر الدفاعى، فنحن بحاجة لتقرير كيف سنرتب للأمر، وكم مرة سنلتقى أسبوعياً، وأين سنلتقى..».

قاطعتها الفتاة ذات الضفيرة الطويلة على ظهرها ناظرة إلى «هارى»: «هل من الصحيح أنك قادر على إطلاق بتروناس؟».

صدر عن المجموعة همهمة، كأنهم يناقشون الموضوع.

قال «هارى» بلهجة دفاعية: «أجل».

«بتروناس متجسدة؟». ذكّر السؤال «هارى» بشىء ما.

سألها: «آ.. هل تعرفين السيدة بونز؟».

ابتسمت الفتاة وقالت: «إنها عمتى.. أنا سوزان بونز. لقد أخبرتنى بشأن

محاكمتك. إذن فهل الأمر حقيقى؟ هل تقدر على عمل بتروناس على شكل أيل؟».

قال «هارى»: «أجل».

قال «لى» وعلى وجهه أمارات الذهول الشديد: «يا خبر يا هارى! لم أعرف هذا من قبل قط».

قال «فريد» وهو يبتسم مواجهاً «هارى»: «أمرت أمى رون بألا ينشر الخبر. فهى تقول: إنه قد حصل على شهرة كافية ولن يتحمل المزيد».

غمغم «هارى»: «إنها ليست مخطئة»، فضحك بعض الحضور.

تحركت الساحرة المتشحة بالسواد فى مقعدها قليلاً.

سأله «تيرى بوت»: «وهل قتلت أفعى الباسيليسك بالسيف المعلق فى مكتب دمبلدور؟ هذا ما قاله لى أحد الأشخاص الموجودين فى أحد اللوحات بالمكتب عندما دخلت إليه العام الماضى..». فقال «هارى»: «آ.. أجل».

أطلق «جوستين فينش - فليتشلى» صفيراً، وتبادل الأخوان «كريفى» نظرات الذهول، وقالت «لافندر براون» بخفوت: «واو». شعر «هارى» بحرارة عند ياقته، وصمم على تفادى النظر نحو «تشو».

قال «نيفيل» للمجموعة: «وفى عامنا الأول أنقذ حجر الفلسوف..».

همست «هيرميون» بغيظ: «الفيلسوف»[1].

قال «نيفيل»: «أجل.. كما قلت.. أنقذه من يد الذى - تعرفونه».

صارت عينا «هانا أبوت» مستديرتين مثل عملات «الجاليون» النقدية.

قالت «تشو»: «هذا إلى جانب نجاحه فى كل مهام مسابقة السحر الثلاثية العام الماضى.. من نزاله للتنانين، وعرائس البحر، والأكرومانتولا، وغيرها من الأشياء». نظر إليها «هارى» فخفق قلبه عندما وجدها تبتسم.

صدر عن الجمع همهمة جماعية مذهولة، ولكنها مؤيدة لما ذكرته. اضطرم صدر «هارى» بالتوتر، وحاول أن يبدو غير مسرور بنفسه، لكن مع إطراء «تشو» عليه منذ لحظات صار من الصعب عليه قول الشىء الذى أقسم أنه سيقوله.

(1) قال «نيفيل» بالإنجليزية Philological stone وكان يقصد قول Philosopher's stone، وعالم الفيلولوجى هو عالم فقه اللغة، ويتضح الازدواج فى المفارقة، وكان من الممكن القول - على لسان «نيفيل»: «حجر الفقيه» فتصححه «هرميون» قائلة: حجر الفيلسوف، لكن فضل المترجم تقديم المفارقة اللفظية: الفلسوف (المترجم).

قال والصمت يعم ثانية: «انظروا. أ.. أنا لا أريد أن أبدو متكلفًا التواضع لكنني تلقيت الكثير من المساعدة في هذه المواقف...».

قال «مايكل كورنر» على الفور: «ليس في مواجهة التنين.. أتذكر كيف طرت بمهارة وتفاديته..».

قال «هاري» شاعرًا أن احتجاجه سيكون فظًا: «أجل.. أقصد..».

قاطعته «سوزان بونز»: «ولم يساعدك أحد في مواجهة (الديمنتورات) هذا الصيف».

قال «هاري»: «فعلاً.. أعرف أن بعض الأشياء مررت بها بلا مساعدة، لكن المهم أنني أحاول..».

قال «زكارياس سميث»: «تحاول أن تهرب من تعليمنا أيًا من هذه الأشياء؟».

قال «رون» بصوت مرتفع قبل أن يتمكن «هاري» من إسكاته: «يا لها من فكرة.. لماذا لا تغلق فمك هذا؟» وأخذ ينظر نحو «زكارياس» بغضب شديد، الذي قال: «المهم.. لقد جئنا جميعًا لنتعلم منه، والآن يقول لنا إنه لم يفعل شيئًا».

قال «فريد» بحدة: «ليس هذا ما قاله».

قال له «جورج» وهو يجذب أداة معدنية مخيفة من حقيبة «زونكو» التي معه: «هل ترغب في تنظيف أذنيك؟».

قال «فريد»: «أو تنظيف أي جزء من جسدك، فنحن لا نهتم في أي مكان نود وضع هذه».

قالت «هيرميون» بسرعة: «لنعد إلى موضوعنا.. هل نحن موافقون على إعطاء هاري دروسًا لنا؟».

صدر عن الجمع صوت موافقة جماعية. عقد «زكارياس» ذراعيه ولم يقل شيئًا، والأرجح أن السبب كان انشغاله بمتابعة الأداة الغريبة التي يمسك بها «فريد».

قالت «هيرميون» وقد بدا عليها الارتياح لإنجاز شيء ما أخيرًا: «رائع.. السؤال التالي هو: كم مرة سنلتقي؟ أعتقد أنه لا يجب الالتقاء أقل من مرة في الأسبوع..».

قالت «أنجيلينا»: «لحظة.. نحن بحاجة لضمان أن هذا لن يتعارض مع تمرين الكويدتش».

قالت «تشو»: «لا.. ليس مع تمريننا». أضاف «زكارياس سميث»: «ولا مع تمريننا».

قالت «هيرميون» بصبر نافد: «أنا واثقة من قدرتنا على العثور على ليلة تناسب الجميع.. لكن كما تعرفون فالموضوع مهم، فنحن سنتعلم الدفاع عن أنفسنا ضد فولدمورت وضد آكلة الموت..».

قال «إرني ماكميلان»: «كلامك صحيح.. أنا شخصيًا أرى أن الموضوع مهم، ولعله أهم من أي شيء سنتعلمه هذا العام، حتى مع اقتراب امتحانات المستوى «أوه. دبليو. إل.)».

نظر حوله بتوجس، كأنه ينتظر صياح الآخرين: «كلامك خاطئ» لكن عندما لم يحتج أحد.. أضاف: «أنا شخصيًا حائر مما تفعله الوزارة، وكيف توفر لنا معلمة غير ذات نفع ونحن في هذه المرحلة الحرجة من تعليمنا؟ من الواضح أنهم لا يصدقون عودة الذي - تعرفونه. لكن أن يوفروا لنا معلمة تحاول تعطيلنا عن تعلم التعاويذ الدفاعية..».

قالت «هيرميون»: «نحن نرى سبب رغبة أمبريدج في تفادي تعلمنا الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود، هو اعتقادها بأن دمبلدور يجند تلاميذ المدرسة في جيش سري ما. وتظن أنه سيقوم بانقلاب - بالاستعانة بهذا الجيش - ضد الوزارة».

بدا الجميع مذهولين من قولها.. الجميع فيما عدا «لونا لوفجود» التي قالت بصوتها الرفيع: «أه.. قولك معقول، فكورنلياس فادج عنده جيشه السري هو الآخر».

قال «هاري» مندهشًا من قولها: «ماذا؟».

قالت «لونا» بوقار: «أجل.. عنده جيش من الهليوباس».

قالت «هيرميون» بحدة: «لا ليس عنده». قالت «لونا»: «بل عنده».

سألها «نيفيل»: «وما هو الهليوباس؟».

قالت «لونا» وعيناها الجاحظتان تتسعان حتى بدت أشد جنونًا من أي وقت مضى: «إنها أرواح النيران.. مخلوقات طويلة هائلة من اللهب تسير على الأرض لتحرق كل ما تقابله في طريقها..».

قالت «هيرميون» بحدة: «إنها غير حقيقية يا نيفيل».

قالت «لونا» بغضب: «بل هي موجودة».

قالت «هيرميون»: «آسفة.. لكن ما هو دليلك؟».

«هناك الكثير من شهود العيان.. ولأنك ضيقة الأفق فأنت بحاجة لأن تأتي هذه المخلوقات لتجلس تحت أنفك لتصدق..».

قالت «جيني» مقلدة الأستاذة «أمبريدج» تقليداً جيداً، حتى إن البعض نظروا إليها بفزع قبل أن يضحكوا: «إحم إحم.. أليست جلستنا هنا لتقرير كم مرة سنتلقى وأين سنتلقى لدراسة السحر الدفاعي؟».

قالت «هيرميون» على الفور: «أجل، أجل، أنت محقة يا جيني».

قال «لي جوردن»: «مرة في الأسبوع مناسبة جداً».

قالت «أنجلينا»: «طالما الموعد لا يتعارض مع...».

قاطعتها «هيرميون» بصوت متوتر: «أجل أجل. نعرف موضوع الكويدتش. حسناً، بقي أن نقرر أين سنلتقي...».

كان هذا هو السؤال الأصعب، فعم الصمت المجموعة.

بعد لحظات اقترحت «كاتي بيل» المكتبة.

قالت «هيرميون»: «أعتقد أن السيدة «بنس» لن تحب كثيراً رؤيتنا ونحن نؤدي تعاويذ في المكتبة».

قال «دين»: «ربما في فصل خالٍ؟».

قال «رون»: «أجل. ربما تدعنا مكجونجال نستعمل فصلها، فعلت هذا وهاري يتمرن قبل مسابقة السحر الثلاثية».

لكن «هاري» كان واثقاً من أن «مكجونجال» لن تسمح بذلك في هذا الموضوع. فمع كل ما قالته «هيرميون» عن شرعية جماعات المذاكرة وعمل الواجب جماعياً، فقد كان يشعر بأنهم بصدد شيء أكثر ثورية من المعتاد.

قالت «هيرميون»: «المهم يا جماعة أن نجد مكاناً.. سنبلغ الجميع بمكان وموعد اللقاء الأول عندما نجد مكاناً صالحاً للقاء».

عبثت في حقيبتها وأخرجت ريشة كتابة وقنينة حبر، ثم وبتردد كأنها تحمل نفسها على الكلام: «أ... أعتقد أن على الجميع كتابة أسمائهم هنا لنعرف من حضر. لكن أيضاً...» وهي تأخذ نفساً عميقاً.. «علينا أن نتفق على عدم إفشاء السر. إذا وقعتم هنا فأنتم توافقون على عدم إخبار أمبريدج أو غيرها بما نخطط له».

مد «فريد» يده للريشة بسرور ووقع، لكن «هاري» لاحظ أن بعض الناس بدوا أقل سعادة وهم يوقعون بأسمائهم على القائمة.

قال «زكارياس» ببطء دون أن يأخذ رقعة الورق من «جورج» الذي مررها إليه: «أ... أنا واثق من أن إرني سيخبرني بموعد انعقاد الاجتماع الأول».

لكن «إرني» تردد هو الآخر عند التوقيع، فرفعت «هيرميون» حاجبيها متسائلة.

انطلق «إرني» في الكلام قائلاً: «نحن رواد فصول، وإن تم العثور على هذه القائمة سوف... أعني.. كما قلت بنفسك.. إن عرفت أمبريدج...».

ذكره «هاري» بقوله: «قلت لتوك إن هذه الجماعة هي أهم شيء هذا العام».

قال «إرني»: «أ... أجل. أعتقد هذا.. لكن...».

قالت «هيرميون»: «هل تعتقد أنني سأترك هذه القائمة مكشوفة للجميع ليروها؟».

قال «إرني» والقلق ينحسر عن ملامحه: «لا.. لا. أعني.. بالطبع سأوقع».

لم يعترض أحد بعد «إرني»، بالرغم من رؤية «هاري» لصديقة «تشو» تنظر نظرة قلقة على الورقة قبل أن تضيف اسمها. عندما وقع الشخص الأخير - «زكارياس» - أخذت «هيرميون» الورقة وأعادتها بحرص إلى حقيبتها. عم شعور جماعي غريب وسط المجموعة. كأنهم وقعوا على عقد ما.

قال «فريد» بسرعة وهو ينهض: «المهم.. الوقت يمر، وأنا وجورج ولي وراءنا أشياء هامة نريد شراءها.. نراكم لاحقاً».

أخذت الجماعة في التحلل إلى جماعات من فردين وثلاثة أفراد، وتصنعت «تشو» إغلاقها لحقيبتها قبل أن تغادر، وشعرها الأسود الطويل يغطي وجهها، لكن صديقتها وقفت إلى جوارها وذراعاها معقودتان، فلم يعد أمام «تشو» غير أن تغادر معها. وصديقتها تدفعها إلى الباب نظرت «تشو» إلى «هاري» ولوحت له بيدها.

قالت «هيرميون» بسعادة وهي تخرج مع «هاري» و«رون» - اللذين أمسكا بزجاجتي العصير وخرجا بهما - من «رأس الخنزير» إلى ضوء الشمس الساطع بعد لحظات: «رائع. أرى أن الاجتماع قد دار كما يجب».

قال «رون» بغضب ناظراً إلى «سميث» السائر على مسافة بعيدة منهم: «زكارياس دودة القطن هذا».

قالت «هيرميون»: «أنا لا أحبه كثيراً، لكنه سمعني وأنا أكلم إرني وهانا على مائدة هافلباف، وبدا مهتماً جداً بالحضور، فلم يعد أمامي مفر من دعوته. لكن كلما ازداد العدد كان أفضل.. أعني أن مايكل كورنر وصديقه ما كانا ليأتيا إن لم تدفعهما جيني للحضور».

نظر إليها «رون» فاغراً فاه - الذي كان يرشف آخر قطرات من العصير في زجاجته - فتناثر السائل على وجهه.

قال أخيراً متلعثماً شاعراً بالغضب وأذناه بلون أحمر متوهج: «ماذا؟ هل تخرج مع هذا.. هل أختي تخرج مع هذا.. مع مايكل كورنر؟».

«من أجلها جاء هو وصديقه، كما أعتقد.. إنهما مهتمان بالسحر الدفاعي كما هو واضح، لكن إن كانت چيني لم تدع مايكل الحضور فما كان ليأت...».

«متى حدث.. متى قابلته؟».

قالت «هيرميون»: «لقد تقابلا في حفل العام الماضي المدرسي» وصلوا إلى متجر «سكريفنشافت» لبيع ريشات الكتابة، فرأت «هيرميون» مجموعة من ريشات الكتابة الجميلة المعروضة في واجهة العرض وقالت: «آه.. أريد شراء ريشات جديدة».

دلفت إلى المتجر، ومن خلفها «هاري» و«رون».

سألها «رون» بغيظ: «من منهما كان مايكل كورنر؟».

قالت «هيرميون»: «الأسمر». قال على الفور: «لا يعجبني».

قالت «هيرميون» بصوت خفيض مغتاظ: «يا للغرابة».

قال «رون» متتبعاً «هيرميون» بطول صف ريشات الكتابة المعروضة «لكن.. حسبت چيني معجبة بهاري».

نظرت «هيرميون» إليه بإشفاق وهزت رأسها. قالت: «كانت معجبة بهاري، لكنها تخلت عن الفكرة منذ شهور، لا يعني هذا أنها لا تحبه» أضافت الجملة الأخيرة وهي تفحص ريشة كتابة طويلة باللونين الأسود والذهبي.

لم يجد «هاري» - الذي كانت رأسه مشغولة بتلويحة «تشو» وهي تغادرهم - الموضوع مثيراً مثل «رون»، الذي ارتجف من الغضب، لكنه فهم شيئاً لم يفهمه من قبل.

سأل «هيرميون»: «إذن فلهذا السبب أصبحت تتحدث؟ إنها لم تتحدث أمامي من قبل».

قالت «هيرميون»: «بالضبط.. أجل.. هذه الريشة جميلة...».

سارت إلى منضدة البائع وناولته خمسة عشر «سيكل» وعملتي «نات»، و«رون» خلفها قريب حتى إنها تشعر بأنفاسه على رقبتها.

قالت بانزعاج وهي تلتفت إليه وتقف على قدمه: «رون.. لهذا السبب لم

تخبرك چيني بخروجها مع مايكل، فهي تعرف أنك لن تتقبل بالأمر، من فضلك لا تعنّ كثيراً حول الموضوع هكذا».

استمر «رون» في الكلام بغضب وهم في طريقهم بطول الشارع: «ماذا تعنين؟ من الذي لا يتقبل الأمر؟ أنا لا أعترض على أي شيء...».

نظرت «هيرميون» إلى «هاري»، ثم قالت بصوت خفيض، و«رون» مستمر في الكلام عن «مايكل كورنر»: «بمناسبة مايكل وچيني.. كيف حالك مع تشو؟».

قال «هاري» بسرعة: «ماذا تقصدين؟».

كأن ماء مغلياً تفجر داخله.. شعر بإحساس حارق على وجهه في جو الخريف البارد.. هل فضحه وجهه؟

قالت «هيرميون» مبتسمة: «لم تنزل عينيها عنك.. ألم تر بنفسك؟».

في حياته لم يشعر «هاري» بجمال قرية «هوجزميد» مثلما شعر به ذلك اليوم.



١٧ الفرمان التعليمى رقم (٢٤)

شعر «هارى» بسعادة غامرة فى عطلة نهاية الأسبوع تلك، تفوق ما شعر به طوال ما مر من الفصل الدراسى. قضى يوم الأحد هو و«رون» فى عمل الواجب المتأخر، ورغم أن هذا ليس مما يسر النفس، إلا أن آخر أشعة الشمس الخريفية جعلته ممتعًا. فبدلاً من الجلوس على مقعديهما منحنيين على الموائد فى حجرة الطلبة، أخذا حاجياتهما إلى الخارج واستلقيا فى ظل شجرة زان كبيرة على شاطئ البحيرة. جلبت «هيرميون» معها خيوط الصوف وسحرت إبر الحياكة لتعمل بسرعة فى الهواء وهى جالسة إلى جوارها تراقبها تغزل القبعات والجوارب، خالية البال صافية الذهن بعد أن أنهت واجبها.

ومع علمه بأنهم يقومون بشىء ضد إرادة «أمبريدج» والوزارة، فقد شعر «هارى» بالكثير من الرضا عن النفس. أخذ يتذكر ما جرى فى اجتماع يوم السبت.. كل هؤلاء الأشخاص الذين جاءوا ليعلمهم الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود.. ونظرات عيونهم وهم يسمعون ببعض المغامرات التى خاضها، ثم إطراء «تشو» عليه وعلى أدائه فى مسابقة السحر الثلاثية.. مع معرفته بأن كل هؤلاء لم يروه شخصًا مجنونًا، لكن شخصًا مستحقًا للإعجاب والتقدير، فقد شعر بسعادة كبيرة تزايدت مع صباح يوم الإثنين، بالرغم من أنه اليوم المشغول بأقل المواد الدراسية قربًا إلى قلبه.

اتجه هو و«رون» إلى جناح النوم، وهما يتجاذبان أطراف الحديث حول حركة «أنجيلينا» الجديدة فى «الكويدتش»، التى أطلقت عليها: «طر - امسك - لف».. واقترحتها عليهم فى تمرين الليلة الماضية، وعندما دخلا لاحظا الإضافة الجديدة للحجرة، والتى جذبت انتباه بعض الطلبة ممن تحلّقوا حولها.

كان هناك لافتة كبيرة مثبتة على لوحة إعلانات «جريفندور».. كبيرة بما يكفى لتغطية كل ما خلفها.. من قوائم كتب التعاويذ المستعملة المعروضة للبيع، وقوائم المحاذير التى يعلقها «فيلش» دومًا، وجدول تمرين فريق

«الكويدتش»، وطلبات تبادل كروت شيكولاتة «فروج»، وإعلان الإخوة «ويسلى» الذى يطلبون فيه أشخاصًا للعمل، ومواعيد زيارات «هوجزميد»، وإعلانات عن الأشياء المفقودة من بعض الطلبة، وتلك الخاصة بالأشياء التى عثر أحدهم عليها. كانت اللافتة الجديدة مكتوبة بحروف سوداء كبيرة، وعليها خاتم رسمى للغاية عند الطرف السفلى منها، وإلى جواره توقيع أنيق رشيق:

باسم مفتشة هوجورتس *العليا*.. *قررنا ما يلى:*

يتم حل جميع تنظيمات، وجمعيات، وفرق، وجماعات، ومنتديات الطلبة.
أى منظمة، أو جمعية، أو فريق، أو منتدى قائم لا يجب أن يتجاوز عدد أعضائه ثلاثة طلاب.
على من يرغب فى إعادة تشكيل أى من المذكور أعلاه من منظمات، وجمعيات وغيرها فعليه التقدم بطلب للمفتشة العليا،
(الأستاذة أمبريدج)
غير مسموح لأى تنظيم، أو جمعية، أو فريق، أو منتدى بالتواجد دون علم وموافقة المفتشة العليا.
أى طالب يُكتشف تأسيسه، أو انتمائه لتنظيم، أو جمعية، أو فريق، أو منتدى لم توافق عليه المفتشة العليا؛ سيتم فصله من المدرسة.
المذكور أعلاه يتفق والفرمان التعليمى رقم (٢٤).
توقيع: دولوريس جان أمبريدج، المفتشة العليا.

قرأ «هارى» و«رون» الورقة من فوق رءوس بعض طلاب الصف الثانى البادى عليهم القلق.

سأل أحدهم صديقه: «هل تسرى هذه القواعد على منتدى مشجعى نادى جوبستون؟».

قال «رون» واجمًا: «لا أعتقد أن منتدى جوبستون سيتأثر» فأجفل طالب الصف الثانى، ثم أكمل مخاطبًا «هارى»: «لا أعتقد أننا سنكون محظوظين مثل هذا المنتدى.. ما رأيك؟»، بينما طلبة الصف الثانى يبتعدون.

قرأ «هارى» اللافتة ثانية. تلاشت السعادة التى يشعر بها منذ يوم السبت، وجاش صدره بالغضب.

قال ويده مكورة في قبضة مشدودة: «هذه ليست بالمصادفة. إنها تعرف».

قال «رون» فوراً: «لا يمكن».

«هناك من سمعوا ما قلناه في المقهى. دعنا نواجه الحقيقة. نحن لا نعرف عدد الذين جاءوا ونقدر على الثقة بهم. قد يكون أي منهم قد ذهب وأخبر أمبريدج.. وهو الذي حسبهم صدقوه، بل وأعجبوا به».

قال «رون» بسرعة وهو يضرب قبضته على يده الأخرى: «زكارياس سميث أو.. ربما هو مايكل كورنر هذا. فنظرة عينه تكشف طبيعته المخادعة..».

قال «هاري» ناظراً نحو جناح نوم البنات: «ألم تر هيرميون هذا الإعلان بعد؟».

قال «رون» وهو يتقدم إلى الأمام ليفتح باب الجناح ويشرع في صعود درجات السلم: «هيا نذهب ونخبرها».

وصل إلى الدرجة السادسة عندما سمع صوت عواء مرتفع، مثل بوق السيارة، وذابت درجات السلم لتتحول إلى منحدر ناعم. مرت لحظة و«رون» يحاول الجري، وذراعاه تدوران مثل طاحونة الهواء، ثم سقط على ظهره وانحدر على السلم ليستقر عند قدمي «هاري».

قال «هاري» وهو يرفع «رون» على قدميه ويحاول ألا يضحك في نفس الوقت: «آ.. لا أعتقد أنه مسموح لنا دخول جناح نوم البنات».

انزلقت بنتان من الصف الرابع على السلم بعد أن تحول، وقالتا وهما تضحكان بسعادة، بعد أن وقفتا تنظران إلى «هاري» و«رون»: «من حاول الصعود؟».

قال «رون»: «أنا.. لم أدرك أن هذا سيحدث. هذا ليس عدلاً»، أضاف الجملة الأخيرة مخاطبًا «هاري» والبنتان تتجهان إلى فتحة الجدار وراء اللوحة، وهما تضحكان بهستيرية، وأضاف: «مسموح لهرميون بدخول جناحنا. فلم لا يسمحون لنا بـ..».

قالت «هيرميون» التي انزلقت هي الأخرى على السلم لتستقر عند البساط الصغير الممدود أمامهما وتنهض على قدميها: «إنها قاعدة قديمة. مذكور في كتاب (تاريخ هوجورتس) أن مؤسسي المدرسة كانوا لا يثقون في الأولاد ثقتهم في البنات. المهم، لماذا أردت الدخول؟».

قال «رون» وهو يجرها إلى لوحة الإعلانات: «لرؤيتك. انظري إلى هذه».

جرت عينا «هيرميون» على اللافتة، وتعبير وجهها جامد.

قال «رون» بغضب: «وشى بنا أحدهم».

قالت «هيرميون» بصوت خفيض: «لا يمكن».

قال «رون»: «يالك من ساذجة. هل تعتقدين أنهم جميعاً شرفاء ومحل ثقة؟».

قالت «هيرميون» بتجهم: «لا، لا يمكن؛ لأنني سحرت رقعة الورق التي وقعوا عليها. صدقني، إن أخبر أحد أمبريدج ستعرف من هو، وسيندم كثيراً بعدها».

قال «رون» بلهفة: «ماذا سيحدث له؟».

«سيصاب ببثور كبيرة لم يصب أحد بها من قبل. هيا، لنذهب لتناول الإفطار، ولنعرف رأي الآخرين. هل وضعوا هذه اللافتة في كل أجنحة الفرق؟».

بدا واضحاً فور ولوجهم القاعة الكبرى أن لافتة «أمبريدج» لم تعلق في برج «جريفندور» فقط. كان هناك الكثير من الثرثرة، والجميع في القاعة يتنقلون بين الموائد يتحدثون عما قرأوه. ما كاد «هاري» و«رون» و«هيرميون» يجلسون، حتى جاءهم «نيفيل» و«دين» و«فريد» و«جورج» و«جيني».

«هل رأيتم اللافتة؟».

«تراها تعرف؟».

«ماذا سنفعل؟».

نظروا جميعًا إلى «هاري». نظر حوله ليطمئن إلى غياب المدرسين من حولهم، وقال بهدوء: «سنفعل ما خططنا له بالطبع».

قال «جورج» مبتسماً وهو يضرب «هاري» بإعزاز على ذراعه: «كنت أعرف أنك ستقول هذا».

قال «فريد» ناظراً في حيرة نحو «رون» و«هيرميون»: «وهل سيسمح لنا رواد الفصول؟». فقالت «هيرميون» ببساطة: «بالطبع».

قال «رون» ناظراً من فوق كتفه: «ها هو إرني وهانا أبوت. وها هم أولاد رافنكلو، وسميث. ليس على وجه أيهم بثور».

انزعجت «هيرميون» بشدة، وقالت: «دعك من البثور، لا يمكن لهؤلاء الحمقى التجمع حولنا، سيبدو المنظر مريباً.. اجلسا» وأشارت إلى «إرني» و«هانا» أن يعودا إلى مائدة «هافلباف». وقالت: «فيما بعد.. سنتحدث فيما بعد».

قالت «جيني» بصبر نافد وهي تنهض من مقعدها: «سأخبر مايكل. هذا الأحمق..»، مروات تجاه مائدة «رافنكلو». راقبها «هاري» وهي تذهب. كانت «تشو»

جالسة على مسافة قريبة منها، تتحدث إلى صديقتها مجعدة الشعر التي دعتها إلى الحضور في «رأس الخنزير». ترى هل أخافتها لافتة «أمبريدج» بما يكفي للتغيب عن الاجتماعات؟

لم يشعروا بكامل تداعيات اللافتة إلا عندما غادروا القاعة الكبرى في طريقهم إلى فصل تاريخ السحر.

«هاري، رون».

كانت تلك «أنجيلينا» التي هرولت تجاههما باديًا عليها اليأس التام.

قال «هاري» بهدوء عندما اقتربت بما يكفي لتسمعه: «لا يهمك.. سنجهز لاجتماعاتنا كما خططنا و...».

قاطعته «أنجيلينا» قائلة: «هل أدركتما أن الفرمان يتضمن الكويدتش؟ علينا الذهاب وطلب الإذن بإعادة تشكيل فريق جريفندور للكويدتش».

قال «هاري»: «ماذا؟». وقال «رون» مذهولاً: «لا يمكن».

«لقد قرأت اللافتة يا هاري، وهي تذكر فيها الفرق أيضًا.. اسمع يا هاري، سأقول لك هذا للمرة الأخيرة.. من فضلك، من فضلك لا تثر في حصة أمبريدج ثانية، وإلا لن تسمح لك باللعب ثانية».

عندما رأى «أنجيلينا» على وشك البكاء، قال «هاري»: «حاضر حاضر. لا تقلقي، سأتصرف بحكمة...».

قال «رون» عابسًا وهم يسيرون نحو فصل «بينز»: «أراهنك أن أمبريدج في فصل تاريخ السحر.. فهي لم تفتش على بينز بعد.. أراهنك أنها بالداخل الآن...».

لكنه كان مخطئًا، فالمعلم الوحيد الذي وجدوه مع دخولهم هو «بينز»، الذي أخذ يسري على ارتفاع بوصة عن مقعده كعادته، وهو يحضر لبدء في كلامه الممل عن حروب العمالقة. لم يحاول «هاري» حتى متابعة ما يقوله اليوم، واستلقى كعادته على أوراقه متجاهلاً نظرات «هيرميون» ولكزاتها، حتى جعلته لكزة مؤلمة في ضلوعه ينظر إليها غاضبًا، ويقول: «ما الأمر؟».

أشارت إلى النافذة. نظر «هاري» إلى حيث أشارت، كانت «هدويج» جالسة على إفريز النافذة الضيق، تحدق فيه عبر الزجاج، ورسالة مربوطة في قدمها. لم يفهم «هاري».. انتهوا من الإفطار منذ قليل، فلماذا لم تسلمه الرسالة حينها كعادتها؟ ووجد العديد من زملائه يشيرون إلى «هدويج» هم الآخرون.

سمع «هاري» «لافندر» تقول مخاطبة «بارفاتي» متنهدة: «أوه.. لطالما أردت أن يكون عندي بومة مثل هذه.. بالجمالها».

نظر إلى الأستاذ «بينز» الذي استرسل في قراءة مذكراته، غير واعٍ بالمرة لانسحاب انتباه الفصل بعيداً عنه أكثر من العادة. تحرك «هاري» بهدوء، وهرول ناحية النافذة وهو منحنٍ على الأرض، وفتحها ببطء شديد.

توقع أن تمد له «هدويج» قدمها حتى يخلص منها الرسالة وتطير إلى برج البوم، لكن لحظة انفتحت النافذة بما يكفي لمرورها، دخلت وهي تنعب بصوت مرتفع. أغلق النافذة وهو يلقي بنظرة قلقة على الأستاذ «بينز»، ثم انحنى وسارع إلى مقعده ثانية و«هدويج» على كتفه. عاود الجلوس ناقلاً «هدويج» إلى حجره، وهمَّ بفك الرسالة من قدمها.

حينها فقط أدرك أن ريش «هدويج» أشعث، وبعضه محني بطريقة غريبة، ووجد أحد جناحيها مرفوعًا بطريقة غريبة.

همس مقتربًا برأسه منها: «إنها مصابة». مال عليه «رون» و«هيرميون»، من قلقها تخلت «هيرميون» عن ريشة الكتابة، وأضاف هو: «انظرا. هناك مشكلة في جناحها...».

ثم قال بصوت مرتفع: «أستاذ بينز» فالتفت إليه الجميع وهو يقول: «أنا مريض».

رفع الأستاذ «بينز» بصره عن أوراقه، وعلى وجهه نظرة مندهشة كالعادة، من رؤيته الحجرة أمامه مليئة بالناس.

كرر الكلام بذهن شارد: «أنت مريض؟».

قال «هاري» وهو ينهض على قدميه ومعه «هدويج» مخبأة خلف ظهره: «مريض جداً.. أعتقد من الأفضل أن أذهب إلى جناح المستشفى».

قال الأستاذ «بينز» متلعثمًا: «أجل. أجل. جناح المستشفى.. اذهب إذن يا بيركنز...».

حالما خرج من الفصل أعاد «هاري» «هدويج» إلى كتفه وهرول عبر الممر، ولم يتوقف ليفكر إلا عندما خرج عن نطاق فصل «بينز». كان يختار «هاجريد» لعلاج «هدويج» إن كان موجوداً، ولأنه لا يعرف أين «هاجريد» فلم يعد أمامه سوى الأستاذة «جروبلي بلانك»، وتمنى لو تقدر على مساعدته.

نظر من نافذة تطل على الفناء، لم يرها عند كوخ «هاجريد»، إن لم تكن في حصة، فهي في حجرة المعلمين. نزل السلم بسرعة و«هدويج» تنعب بوهن

على كتفه.

وجد تمثالين للجرجوانات أمام حجرة المعلمين. ومع اقترابه صاحت واحدة منهما: «المفروض أن تكون في الفصل يا ولد».

قال «هاري» باقتضاب: «الأمر عاجل».

قالت الجرجوانة الأخرى بصوت مرتفع: «عاجل؟ حقًا؟ فعلاً أخفتنا...».

طرق «هاري» الباب، سمع خطوات أقدام تقترب، ثم انفتح الباب ووجد نفسه في مواجهة الأستاذة «مكجونجال».

قالت وعويناتها المربعة تلمع بشدة: «هل عوقبت باحتجاز آخر؟».

قال «هاري» بسرعة: «لا يا أستاذة».

«إذن لماذا خرجت من الفصل؟».

قالت الجرجوانة الثانية بسخرية: «لأن الأمر عاجل على ما يبدو».

قال «هاري»: «أنا أبحث عن الأستاذة جروبلي بلانك. إنها بومتي. لقد أصيبت».

«بومة مصابة؟ حقًا؟».

ظهرت الأستاذة «جروبلي بلانك» من خلف كتف الأستاذة «مكجونجال» وفي فمها غليون ومعها نسخة من جريدة «دايلي بروفيت».

قال «هاري» رافعاً «هدويج» بحرص من على كتفه: «أجل. لقد جاءت بعد موعد تسليم الرسائل وقت الإفطار، ووجدت جناحها معوجاً هكذا.. انظري».

وضعت الأستاذة «جروبلي بلانك» الغليون بين أسنانها وأمسكت «هدويج» بينما وقفت الأستاذة «مكجونجال» تراقب ما يجري.

قالت الأستاذة «جروبلي بلانك» وغليونها يهتز في فمها مع الكلام: «أم.. يبدو أن هناك ما هاجمها لا أعرف ما هو. ربما الثسترال.. لكن هاجريد روض ثسترالات هوجورتس على عدم لمس البوم».

لم يكن «هاري» يعرف ما هو الـ«ثسترال»، ولا اهتم بمعرفة طبيعته. فقط أراد معرفة إن كانت «هدويج» ستكون بخير. لكن الأستاذة «مكجونجال» نظرت إليه بحدة وقالت: «هل تعرف من أين جاءت هذه البومة يا بوتر؟».

قال «هاري»: «أ.. ربما من لندن».

بادلها النظر، وعرف من تقطيبة وجهها فهمها أن «لندن» تعني «المنزل رقم (١٢) جريمولد بليس».

أخرجت الأستاذة «جروبلي بلانك» نظارة أحادية العدسة من ثنايا

عباءتها، ووضعتها على عينها لتفحص جناح «هدويج»، وقالت: «سأعرف المشكلة يا بوتر إن تركتها معي. وعلى أية حال ستتمكن من الطيران لمسافات طويلة في غضون بضعة أيام».

قال «هاري» وجرس فترة الراحة يرن: «أ.. حسنًا.. أشكرك».

قالت الأستاذة «جروبلي بلانك» وهي تعود إلى حجرة المدرسين: «العفو».

قالت الأستاذة «مكجونجال»: «دقيقة يا فلهلمينا(١) ناوليني رسالة بوتر».

قال «هاري» الذي نسي الورقة الملفوفة على قدم هدويج: «أه.. أجل». ناولته «جروبلي بلانك» الورقة واختفت داخل حجرة المدرسين ومعها «هدويج»، التي ظلت تنظر مؤنبة إلى «هاري» غير مصدقة أنه يتخلى عنها. ومع إحساسه ببعض الذنب التفت ليغادر، لكن الأستاذة «مكجونجال» نادته: «بوتر».

«نعم يا أستاذة».

فحصت الممر ببصرها، لتجد طلبة قادمين ورائحين من الاتجاهين.

قالت بسرعة وبهدوء وعينها على الرسالة في يده: «لتعرف أن قنوات الاتصال إلى داخل هوجورتس ومنها قد تكون مراقبة.. مفهوم؟».

قال «هاري» وفيضان الطلبة المتدفق بطول الممر يكاد يداهمه: «أنا..» أومأت له الأستاذة «مكجونجال» بسرعة وعادت إلى حجرة المدرسين، تاركة إياه يصحبه تيار الطلبة معه. رأى «رون» و«هيرميون» واقفين في ركن منعزل. فض لفافة الورق وهو في طريقه إليهما فوجد خمس كلمات بخط يد «سيرياس»:

اليوم، نفس المكان، نفس الوقت.

سألته «هيرميون» بقلق لحظة صار على مرمى السمع: «هل هدويج بخير؟».

سأله «رون»: «إلى أين أخذتها؟».

قال «هاري»: «إلى جروبلي بلانك.. وقابلت مكجونجال.. اسمعا».

وأخبرهما بما قالته الأستاذة «مكجونجال». ولدهشته لم يبد الذهول على أيهما. على النقيض، تبادلا نظرات ذات مغزى.

قال «هاري» ناقلاً بصره بين «رون» و«هيرميون»: «ما الأمر؟».

«منذ قليل كنت أقول لرون: ماذا لو حاول شخص ما القبض على هدويج؟ أعني أنها لم تتأذى في واحدة من رحلاتها من قبل.. أليس كذلك؟».

(١) الأستاذة «جروبلي بلانك» اسمها الأول: «فلهلمينا»، أي هو «فلهلمينا جروبلي بلانك» فلا خلط هناك في الأسماء. (المترجم)

سأله «رون» آخذاً الورقة من يده: «ومن الراسل على أية حال؟».

قال «هاري» بهدوء: «سناقلس».

«نفس الوقت، ونفس المكان؟ هل يعني هذا حجرة الطلبة؟».

قالت «هيرميون» وهي تقرأ الورقة هي الأخرى بقلق: «هذا واضح. لكن أتمنى ألا يكون هناك من قرأ هذه غيرنا..».

قال «هاري» محاولاً إقناع نفسه وإقناعها: «لكن الرسالة مختومة وليس بها ما يريب. ومن سيفهم ما بها إن لم نكن قد أخبرناه بما حدث؟».

قالت «هيرميون» بتوتر وهي ترفع حقيبتها على ظهرها مع رنين الجرس ثانية: «لا أعرف.. ليس من الصعب إعادة ختم الرسالة ولفها بالسحر. وإذا كان هناك من يراقب شبكة بودرة الفلوف.. لكن لا أعرف كيف يمكننا تحذيره، وتحذيره من المجيء دون أن يكتشف من يراقبنا تحذيرنا له».

هبطوا إلى الممر الذي يقع فيه فصل الوصفات السحرية تحت الأرض، وثلاثتهم غارقون في التفكير، لكن مع وصولهم إلى نهاية الدرج أعادهم للواقع صوت «دراكو مالفوي»، الذي كان واقفاً أمام فصل «سناب» ملوحاً بورقة رسمية في يده ويتكلم بصوت مرتفع أكثر مما يلزم.

«أجل، أعطت أمبريدج فريق سليذرين الإذن بالاستمرار في اللعب.. ذهبت أطلب إذنها صباح اليوم. العملية بسيطة فعلاً. أعني أنها تعرف أبي جيداً، فهو يزور الوزارة كثيراً.. لكن ترى هل ستسمح لجريفندور باللعب أيضاً؟».

همست «هيرميون» لكل من «هاري» و«رون» اللذين كانا يراقبان «مالفوي» ووجهاهما غاضبان: «لا تنهضا.. إن هذا هو ما يريده».

قال «مالفوي» وهو يرفع صوته أكثر وأكثر، وعيناه الرماديتان تلمعان بحقد، وهو ينظر تجاه «هاري» و«رون»: «أعني إن كانت المسألة مسألة من له نفوذ في الوزارة، فليس لديهم أدنى فرصة.. فمما أسمعه من أبي، فإن آرثر ويسلي عرضة للطرد من الوزارة منذ سنوات.. وبالنسبة لبوتر فأبي يقول: إن المسألة مسألة وقت، قبل أن تضعه الوزارة في مستشفى سانت مونجو.. فمن الواضح أن عندهم جناحاً خاصاً لهؤلاء الذين تلفت عقولهم بفعل السحر».

قلب «مالفوي» وجهه متشنجاً، وفمه مفتوح، وعيناه تدوران في

مصيريهما. ضحك «كراب» و«جويل» ضحكتيهما المعتادة، وأخذت «بانسي باركنسون» تضحك جذلى هي الأخرى.

اصطدم شيء ما بقوة بكتف «هاري»، فسقط أرضاً. وبعد جزء من الثانية عرف أنه «نيفيل» الذي ركض إلى جواره، مهاجماً «مالفوي» مباشرة.

«نيفيل.. لا!».

قفز «هاري» وجذب عباءة «نيفيل» من الخلف، لكنه قاومه بعنف، وقبضتاه ترمحان في الهواء، محاولاً الوصول إلى «مالفوي» الذي بدا للحظة مصدوماً بشدة.

صاح «هاري» في «رون»: «ساعدني» وقد تمكن من إحاطة رقبة «نيفيل» وسحبه إلى الخلف، بعيداً عن تلاميذ «سليذرين». لوح «كراب» و«جويل» ذراعيهما وهما يتقدمان أمام «مالفوي»، للذود عنه. أمسك «رون» بذراع «نيفيل»، وتمكن هو و«هاري» من سحبه إلى مكان تجمع أولاد «جريفندور». كان وجه «نيفيل» أحمر اللون، والضغط الذي يبذله «هاري» على رقبته جعل كلامه التالي غير متوقع، لكن أخذت كلمات غريبة تتناثر من فيه.

«لست.. ظريفاً.. لا.. تتحدث.. عن.. مونجو.. سأريك..».

انفتح باب الفصل، ودخل «سناب». انتقلت عيناه إلى تلاميذ «جريفندور» إلى حيث يقف «هاري» و«رون» ممسكين بـ«نيفيل».

قال «سناب» بصوته البارد الساخر: «هل تتشاجرون يا بوتر ويا ويسلي ويا لونجبوتم؟ مخصوم عشر نقاط من جريفندور. اترك لونجبوتم يا بوتر، وإلا عاقبتك بالاحتجاز. إلى الداخل جميعكم».

ترك «هاري» رقبة «نيفيل»، الذي وقف يلهث وهو ينظر إليه.

قال «هاري» لاهثاً وهو يرفع حقيبته: «كان عليّ إيقافك.. كراب وجويل كانا سيفتكان بك».

لم ينطق «نيفيل» بكلمة.. رفع حقيبته وسار إلى داخل الفصل.

قال «رون» ببطء وهما يتبعان «نيفيل»: «لماذا ثار هكذا بحق مرلين؟».

لم يجبه «هاري». كان يعرف بموضوع مستشفى «سانت مونجو» للأمراض السحرية، والتي يُحتجز بها من فقدوا عقولهم بسبب إصابتهم بتعاويذ سحرية ضارة.. موضوع مقلق لـ«نيفيل». لكنه أقسم أمام «دمبلدور» أنه لن يخبر أحداً أبداً بسر «نيفيل». حتى «نيفيل» نفسه لم يكن يعرف أن «هاري» يعرف.

جلس «هاري» و«رون» و«هيرميون» في مقاعدهم المعتادة بآخر الفصل،

وأخرجوا أوراقهم وريشات الكتابة ونسخهم من كتاب (ألف عشب وطحلب سحري) أخذ التلاميذ من حولهم يتهامسون حول ما فعله «نيفيل» منذ قليل، وعندما أوصد «سناب» باب الفصل من خلفه بصوتٍ مدوٍ صمت الجميع على الفور.

قال «سناب» بصوته المنخفض المستفز: «ستلاحظون أن معنا اليوم ضيوفًا».

أشار إلى ركن مظلم من الفصل، فرأى «هارى» «أمبريدج» جالسة، وعلى حجرها لوح الكتابة الذى تسند إليه أوراقها. اختلس نظرة جانبية إلى «رون» و«هيرميون». «سناب» و«أمبريدج». أكثر معلمين يكرههما فى المدرسة. كان من الصعب عليه تقرير أيهما يريد له الانتصار على الآخر.

«ستستكمل اليوم المحلول المقوى، ستجدون القنانى كما تركتموها الحصة الماضية. إن كانت مُحضرة جيدًا ستجدونها قد نضجت.. والتعليمات..» وهو يشير بعصاه ثانية. «ستجدونها على السبورة. هيا ابدأوا».

قضت الأستاذة «أمبريدج» نصف الساعة الأولى من الدرس تكتب ملاحظات فى ورقها. كان «هارى» متلهفًا لسماع أسئلتها التى ستوجهها إلى «سناب»، متلهفًا لدرجة أنه لم يهتم بتركيبة الوصفة.

قالت «هيرميون»: «دم السمندر يا هارى وليس عصير الرمان» وهى تمسك بيده لتمنعه من إضافة المقادير الخطأ للمرة الثالثة.

قال «هارى» بذهن شارد: «صحيح» وهو يضع الزجاجة على المائدة ويراقب ركن الفصل. كانت «أمبريدج» قد نهضت. سارت حتى وصلت إلى «سناب»، المائل على قدر «دين توماس» يفحصه.

قالت بخفة مواجهة ظهر «سناب»: «يبدو أن الأولاد فى الفصل متقدمون كثيرًا على مستواهم. لكن ترى هل من الحكمة أن تعلمهم محلولاً مثل المحلول المقوى؟ أعتقد أن الوزارة قد تفضل حذفه من المقرر الدراسى».

استقام «سناب» ببطء والتفت ناظرًا إليها.

سألته وريشة الكتابة مرفوعة على ورقها: «والآن.. منذ متى وأنت تقوم بالتدريس فى هوجورتس؟».

أجابها قائلاً: «منذ أربعة عشر عامًا». كان من الصعب فهم تعبيرات وجهه. أضاف «هارى» - وهو يراقبه عن قرب - بعض القطرات إلى محلوله، الذى أخذ يهس بصوت مرتفع وتحول لونه من الفيروزى إلى البرتقالى.

سألت «أمبريدج» «سناب»: «فى البداية تقدمت لوظيفة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود.. أليس كذلك؟». قال «سناب» بهدوء: «بلى».

«لكن لم تنجح فى الاختبارات؟». زم «سناب» شفتيه وقال: «هذا واضح». كتبت «أمبريدج» المزيد فى ورقها.

«ومنذ انضمامك للمدرسة وأنت تتقدم بطلب لشغل وظيفة معلم الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود كل عام.. أليس كذلك؟».

قال «سناب» بهدوء وهو لا يكاد يحرك شفتيه وقد بدا عليه الغضب الشديد: «بلى».

سألته «أمبريدج»: «وهل تعرف لماذا يرفض «دمبلدور» تعيينك فى هذا المنصب؟». فقال «سناب» بحدة: «أقترح عليك سؤاله هو».

قالت الأستاذة «أمبريدج» بابتسامة عذبة: «بالطبع سأفعل».

سألها «سناب» وعيناه السوداوان تضيقان: «وهل لهذا علاقة بالتفتيش؟».

قالت الأستاذة «أمبريدج»: «أجل بالطبع.. فالوزارة تريد فهم طبيعة المعلمين.. أقصد فهم خلفياتهم وتاريخهم الوظيفى».

التفتت مبتعدة، وسارت نحو «بانسى باركنسون» وبدأت فى سؤالها فى دروسها. نظر «سناب» إلى «هارى» والتقت عيونهما للحظة. أبعد «هارى» عينيه بسرعة ليركز فى تركيبته السحرية، والتى تجمدت بطريقة غريبة وصارت رائحتها مثل المطاط المحترق.

قال «سناب» مفرغًا قدر «هارى» بتلويحة من عصاه السحرية: «فشلت ثانية يا بوتر ولم تحصل على أية درجة.. عليك كتابة مقال عن التركيبة الصحيحة لهذه الوصفة السحرية، مشيرًا فيها إلى كيف ولماذا أخطأت فى التركيبة، وتسلمها لى الحصة القادمة، هل تفهم؟».

قال «هارى» بغيظ: «أجل». كان «سناب» قد كلفهم بواجب بالفعل، وكان لديه تمرين «الكويدتش» ذلك المساء.. وهذا يعنى أن يقضى ليلتين أخريين من دون نوم. لم يبد له منطقيًا تذكر أنه قد أفاق من نومه ذلك الصباح شاعرًا بالسعادة. كل ما أصبح يشعر به هو الرغبة الشديدة فى انتهاء اليوم.

قال بتجهم وهم واقفون فى الفناء بعد الغداء: «ربما أهرب من حصة التنجيم» كانت الرياح تهب على أطراف العباءات والقبعات، وهو يقول: «سأتظاهر بالمرض وأكتب مقال سناب وقت الحصة، وأنام الليل بدلاً من القيام لكتابة المقال».

قالت «هيرميون» بتوتر: «لا يمكنك الهروب من التنجيم».

قال «رون» مستنكرًا: «انظروا من تتحدث.. أنت هربت من التنجيم إلى الأبد؛ لأنك تكرهين تريلاوني».

قالت «هيرميون» بشمم: «لا أكرهها.. فقط أراها معلمة ضعيفة ونصابة لكن هارى لم يحضر حصة تاريخ السحر، وعليه حضور باقي الحصص اليوم».

كان فيما تقوله الكثير من الصحة؛ مما جعل تجاهلها غير ممكن؛ لذا فبعد نصف ساعة جلس «هارى» في الجو الخانق المعطر لفصل التنجيم، شاعرًا بالغضب من الجميع. وزعت عليهم الأستاذة «تريلاوني» نسخًا من كتاب (فصل الكلام في تفسير الأحلام)، وقال لنفسه: إنه كان من الأفضل كتابة مقال «سناب» بدلاً من الجلوس محاولاً فك طلاسم الأحلام المزيفة.

لكن يبدو أنه لم يكن الشخص الوحيد في حصة التنجيم ذا المزاج المعتل. ألقت الأستاذة «تريلاوني» بنسخة من (فصل الكلام) بين «هارى» و«رون» على المائدة التي يجلسان عليها، ثم ابتعدت في طريقها إلى مائدة «سيماس» و«دين»، وقد تفادت بالكاد ضرب رأس «سيماس» بالكتاب الثقيل، ثم ضربت بالنسخة الأخيرة - دون تعمد منها - صدر «نيفيل» فتأوه متألمًا.

قالت الأستاذة «تريلاوني» بصوت مرتفع هستيري نوعًا: «استمروا في التفسير.. أنتم تعرفون ما عليكم فعله أم أنني معلمة ضعيفة المستوى لدرجة أنني لم أعلمكم كيف تفتحون الكتاب؟».

حدق فيها الفصل متعجبًا، ثم نظروا إلى بعضهم البعض. لكن «هارى» ظن أنه يعرف سبب غضبها. مع عودة الأستاذة «تريلاوني» إلى مقعد المعلمين المرتفع، اغرورقت عيناها اللتان كبرتهما العوينات بالدموع الغاضبة، فمال على «رون» وغمغم: «أعتقد أن نتيجة التفتيش قد وصلتها».

قالت «بارفاتي باتيل» بصوت هامس: «يا أستاذة.. فهي و«لافندر» معجبتان بالأستاذة «تريلاوني».. «يا أستاذة.. هل هناك ما يغضب..؟».

صاحت الأستاذة «تريلاوني» بصوت متألم ومفعم بالمشاعر: «يغضبني؟! بالطبع لا.. أنا أهنت إهانات موجهة ضدي.. اتهامات بلا أساس من الصحة. لكن لا.. لست غاضبة».

أخذت نفسًا عميقًا مرتجفًا، ونظرت بعيدًا عن «بارفاتي» ودموع الغضب تنهمر من تحت عويناتها.

قالت مختنقة: «ولا أي شيء.. ستة عشر عامًا من الخدمة المخلصة والأمانة في العمل بلا فائدة.. لم يرها أحد.. لكنني لن أسمح لنفسي بالشعور بالإهانة. لا أبدًا».

سألتها «بارفاتي» بخجل: «لكن يا أستاذة.. من أهانك؟».

قالت الأستاذة «تريلاوني» بصوت مأساوي متهدج عميق: «المؤسسة.. أي هؤلاء ذوو العيون الغائمة بالحقد من بصيرتي الكاشفة.. فلطالما رهب الناس العرافين المهرة، إنهم يخافوننا، ومنذ قديم الزمان وهم يقتلوننا.. يا إلهي.. إنه قدرنا المحتوم».

شهقت وهي تمسح وجنتها المبتلة بطرف وشاحها، ثم أخرجت منديلاً مطرزًا من عباءتها ومسحت فيه أنفها بصوت يشبه أصوات «بيفيس» الطريفة.

ضحك «رون» ضحكة قصيرة ساخرة فحدجته «لافندر» بنظرة احتقار.

قالت «بارفاتي»: «يا أستاذة.. هل تعنين.. هل الأستاذة أمبريدج هي السبب؟».

صاحت الأستاذة «تريلاوني» وهي تهب على قدميها وعويناتها تلمع في الضوء الخافت: «لا تحدثيني عن تلك المرأة.. واستمري في عملك من فضلك».

وهكذا قضت باقي الحصة تتحرك بينهم، والدموع تنهمر من تحت عويناتها، وهي تنطق بما بدا كتهديد ووعيد من تحت أسنانها.

«ربما قدري أن أغادر بالعار تضعني في فترة اختبار؛ سأريها. كيف تجرؤ؟».

أخبر «هارى» «هيرميون» بهدوء عندما تقابلا في حصة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود: «أنت وأمبريدج بينكما صفة مشتركة.. فهي مثلك ترى تريلاوني نصابة عجوز.. يبدو أنها قد أمرت بوضعها في فترة اختبار».

دخلت «أمبريدج» الفصل وهو يتحدث، مرتدية غطاء رأس مخمليًا أسود وعلى وجهها تعبير شديد السماجة.

«مساء الخير يا أولاد».

ردوا عليها بنبرة منغمة: «مساء الخير يا أستاذة أمبريدج».

«أبعدوا العصي السحرية من فضلكم».

لكن لم تجبها أصوات الجلبة المعتادة المصاحبة لإعادة العصي إلى الحقائب؛ فلم يتعب أحد نفسه بمحاولة إخراج عصاه أصلاً.

«من فضلكم افتحوا الكتاب على الصفحة رقم (٣٤)، واقرأوا الفصل الثالث "الدفاع اللاعدواني عن النفس ضد الهجوم السحري" ولا حاجة بنا..».

قال «هاري» و«رون» و«هيرميون» في الوقت نفسه بصوت هامس: «.. إلى الكلام».

***

قالت «أنجيلينا» بنبرة حزينة عندما وصل «هاري» و«رون» و«هيرميون» إلى القاعة الكبرى للعشاء تلك الليلة «تم إلغاء تمرين الكويدتش».

قال «هاري» بصوت خائف «لكنني حافظت على أعصابي.. لم أنطق بكلمة يا أنجيلينا.. صدقيني، أنا..».

قالت «أنجيلينا» بتعاسة: «أعرف أعرف.. قالت إنها تريد وقتًا للتفكير في موضوع التمرين».

قال «رون» بغضب: «للتفكير في ماذا؟ لقد أعطت فريق سليذرين إذنًا بالتمرين، لماذا تمنعنا؟».

لكن «هاري» كان بإمكانه تخيل سرور «أمبريدج» بمنع فريق «جريفندور» من التمرين، وفهم لماذا تتلاعب بهم ولا تريد منعهم من التمرين بالمرة بسرعة.

قالت «هيرميون»: «انظر إلى الجانب المشرق.. على الأقل ستتمكن الآن من كتابة مقال سناب».

قال «هاري» بحدة: «وهل هذا هو الجانب المشرق؟» بينما حدق «رون» باستنكار بالغ في «هيرميون» و«هاري» يضيف: «إلغاء تمرين الكويدتش مع واجب وصفات سحرية إضافي؟».

رمى «هاري» بنفسه على مقعد، وأخرج مقاله عن الوصفات السحرية بتردد من حقيبته وبدأ في العمل. وجد التركيز صعبًا، ورغم معرفته أن «سيريوس» لن يأتي إليه عن طريق المدفأة إلا فيما بعد، فإنه لم يقاوم النظر إلى اللهب المستعر كل بضع دقائق متوقعًا رؤيته. كان هناك أيضًا جلبة هائلة في الحجرة. واضح أن «فريد» و«جورج» تمكنا أخيرًا من إتقان صنع صنف (حلوى التزويغ)، وأخذا يعلنان عنه للجمهور المحتشد الذي أخذ يهلل ويتصايح.

في البداية يأخذ «فريد» قضمة من الجانب البرتقالي من قطعة الحلوى

ويمضغه، فيبدأ في التقيؤ في دلو موضوع أمامه. ثم يقضم من الجانب البنفسجي فيتوقف عن التقيؤ فورًا. أما «لي جوردن» الذي كان يساعدهما في العرض، فقد أخذ يخفي القيء بالسحر على فترات منتظمة بتعويذة الإخفاء التي كان «سناب» يستعملها على وصفات «هاري» السحرية.

ومع أصوات التهليل والصياح التي تنطلق تأثرًا بعروض «فريد» و«جورج» المدهشة، مع استغلالهما لتوافر التجمع الكبير من الطلاب في الإعلان عن منتجاتهما، وجد «هاري» التركيز في الكتابة صعبًا. لم تساعده «هيرميون». لقد تقاطعت أصوات التهليل وتقيؤ «فريد» و«جورج» في الدلو مع أصوات الاستنكار والقرف التي تصدرها، والتي وجدها «هاري» أكثر تشتيتًا له من أي شيء.

قال باستعاض بعد شطبه للرقم الخطأ من مقادير مخالب «الجريفين» للمرة الرابعة: «اذهبي وامنعيهم إذن».

قالت «هيرميون» بغيظ: «لا يمكنني. فهم رسميًا لا يفعلون أي شيء خطأ. لهم الحق في أكل أشياء معطوبة، ولا توجد قاعدة تنص على منع البلهاء من شرائها منهم، كيف وهي أطعمة غير مدرجة ضمن الأطعمة الخطرة، ولا تبدو خطيرة؟».

أخذت ومعها «هاري» و«رون» يراقبون «جورج» وهو يؤدي عرض التقيؤ الإعلاني، بداية من أكل الحلوى، ثم التقيؤ في الدلو، ثم أكل الجانب الآخر والوقوف منتصبًا فاتحًا ذراعيه بطريقة استعراضية متلقيًا التهليل والتهاني.

قال «هاري» بينما «فريد» و«جورج» و«لي» يجمعون الذهب من الجمع الملتهف على الحلوى: «أتعرفان؟ لا أفهم كيف حصل فريد وجورج على درجات متواضعة في امتحانات الـ(أوه دبليو إل)، فهما ماهران فيما يفعلانه».

قالت «هيرميون» معترضة: «إنهما ماهران في الأشياء المقرفة فقط والتي لا نفع منها لأحد».

قال «رون» بصوت متوتر: «لا نفع منها؟ هيرميون.. لقد جمعا ستاً وعشرين جاليونًا بالفعل».

مرت فترة طويلة قبل أن يخف الزحام حول التوأمين «ويسلي»، ثم جلس «فريد» و«لي» و«جورج» يحصون النقود.. وكان الليل قد انتصف عندما خلت الحجرة أخيرًا لكل من «هاري» و«هيرميون» و«رون». أخيرًا أوصد «فريد» باب جناح نوم الأولاد من خلفه، ومعه صندوق «لي» بالجاليونات يرن

بصوت مرتفع قرر «هارى» ـ الذى كان يكتب مقال الوصفات ـ أن يكف عن الكتابة الليلة وهو يلملم كتبه. تأوه «رون» ـ الذى كان شبه نائم فى مقعده الوثير ـ وأفاق من نومه، ونظر إلى النيران.

قال: «سيرياس».

نظر «هارى» حوله. كان رأس «سيرياس» غير الحليق فى النيران ثانية.

قال مبتسمًا: «أهلاً».

قال «هارى» و«رون» و«هيرميون» فى وقت واحد: «أهلاً»، وثلاثتهم يتحنون على أقدامهم على البساط القريب من المدفأة. أخذ «كروكشانكس» يهر بصوت مرتفع، وهو يقترب من النيران، محاولاً ـ بالرغم من الحرارة ـ أن يقرب وجهه من وجه «سيرياس»، الذى قال: «كيف الأحوال؟».

قال «هارى»: «ليست جيدة»، بينما «هيرميون» تجذب «كروكشانكس» بعيداً محاولة منعه من حرق شاربه. «فرضت الوزارة فرمانًا آخر، وبمقتضاه تم حل فريق الكويدتش..».

قال «سيرياس»: «وجماعات دراسة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود؟».

مرت برهة من الصمت. ثم سأله «هارى»: «كيف عرفت بها؟».

قال «سيرياس» وابتسامته ما زالت واسعة: «يجب أن تتوخى الحرص فى اختيارك لمكان الاجتماعات. وليس فى مقهى رأس الخنزير».

قالت «هيرميون» بنبرة دفاعية: «إنه أفضل من المقشات الثلاث.. فهو دائم الازدحام..».

قال «سيرياس»: «هذا يعنى أن التنصت عليكم سيكون أصعب. أمامك الكثير لتتعلمينه يا هيرميون». سأله «هارى»: «ومن سمعنا؟».

قال «سيرياس»: «مندنجس بالطبع» وعندما نظروا إليه متعجبين ضحك وقال: «كان هو الساحرة ذات الثوب الأسود».

قال «هارى» متعجلاً: «هل كان هذا مندنجس؟ وماذا كان يفعل فى رأس الخنزير؟».

قال «سيرياس» بصبر نافد: «ماذا تحسبه كان يفعل؟ يراقبك بالطبع».

سأله «هارى» بغضب: «وهل مازلتُ موضوعًا تحت الحراسة؟».

قال «سيرياس»: «أجل.. ومع ما تفعله فهذا مطلوب. إن كان أول ما ستفعله هذا الأسبوع هو التنظيم لجماعة دفاع محظورة».

لكنه لم يبد غاضبًا أو قلقًا. على النقيض، نظر إلى «هارى» بفخر واعزاز

سأله «رون» بحسرة: «ولماذا كان دانج مختبئًا منا؟ كنا نرغب فى لقائه».

قال «سيرياس»: «إنه ممنوع من دخول رأس الخنزير لمدة عشرين عامًا. وذلك الساقى ذاكرته قوية. لقد فقدنا عباءة إخفاء مودى الإضافية مع القبض على ستورجيس؛ لذا يتخفى دانج فى زى ساحرة كثيراً هذه الأيام. المهم، رون، أقسمت لأمك على نقل رسالة منها إليك».

قال «رون» متطلعًا: «حقًا؟».

«تقول لك لا تشارك فى أى جماعة سرية للدفاع عن النفس ضد السحر الأسود. وتقول إنك سيتم فصلك وسينتهى مستقبلك، وإن هناك الكثير من الوقت لتعلم الدفاع عن النفس لاحقًا، وإنك صغير على القلق بشأن هذا الموضوع فى سنك هذه. وتقول أيضًا (تحولت عينا «سيرياس» إلى الآخرين) لهارى وهيرميون ألا يقيما الجماعة، بالرغم من أنها تعرف ألا سلطة لها عليهما، لكنها ترجوهما تذكر أنها تعرف مصلحتهما! أرادت الكتابة إليكم، لكن إن تم الإمساك بالبومة ستقعون فى مشكلة حقيقية، ولم تتمكن من القدوم بنفسها معى لأن عندها واجب عمل الليلة».

قال «رون» بسرعة: «وماذا نفعل بالضبط؟».

قال «سيرياس»: «لا تهتم، إنه عمل لمصلحة الجماعة.. لقد كلفتنى بتوصيل الرسالة، ومن فضلكم أخبروها أن رسالتها قد وصلت؛ لأنها لا تثق بى».

مرت فترة صمت أخرى، أخذ «كروكشانكس» خلالها يموء محاولاً الوصول لرأس «سيرياس» بمخلبه، وأخذ «رون» يداعب ثقبًا فى البساط.

غمغم أخيراً: «إذن فأنت تريد أن أحجم عن المشاركة فى جماعة الدفاع؟».

قال «سيرياس» وعلى محياه أمارات الدهشة: «أنا؟ بالطبع لا! أراها فكرة ممتازة».

قال «هارى» وقد تحسنت حالته: «حقًا؟».

قال «سيرياس»: «بالطبع.. هل تعتقد أننى ووالدك كنا لنخضع لأوامر عجوز مثل أمبريدج؟».

«لـ.. لكن الفصل الدراسى الماضى كان كل ما قلته لى أن أحذر وأبتعد عن المخاطر..».

قال «سيرياس» بصبر نافد: «العام الماضى كنا نعرف أن هناك من يريد قتلك من داخل هوجورتس يا هارى.. أما هذا العام فنحن نعرف أن هناك من

هو بخارج هوجورتس ويريد قتلنا جميعًا؛ لذا فأنا أرى تعلم الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود فكرة جيدة».

سألته «هيرميون»، ونظرة تعجب على وجهها: «وإن تم فصلنا من المدرسة؟».

قال «هاري» محدقًا فيها: «هيرميون.. الموضوع منذ البداية فكرتك أنت».

قالت وهي تهز كتفها: «أعرف.. أنا فقط أريد معرفة رأي سيرياس».

قال «سيرياس»: «من الأفضل أن تفصلي وأنت قادرة على الدفاع عن نفسك، لا أن تجلسي في أمان داخل المدرسة وأنت ضعيفة قليلة الحيلة».

قال «هاري» و«رون» بحماس: «صحيح. فعلاً».

قال «سيرياس»: «كيف ستنظمون الجماعة إذن؟ أين ستلتقون؟».

قال «هاري»: «هذه مشكلة.. فنحن لا نعرف بعد أين نتقابل».

اقترح عليهم «سيرياس»: «ما رأيكم في شريكنج شيك؟».

قال «رون» بحماس: «يالها من فكرة جيدة» لكن «هيرميون» امتعضت من الفكرة فنظر الثلاثة إليها.

قالت «هيرميون»: «كنتم أربعة أشخاص يتقابلون في شريكنج شيك عندما كنتم في المدرسة.. وكنتم قادرين على التحول إلى حيوانات. وأعتقد أنه كان بإمكانكم السير تحت عباءة الإخفاء إن شئتم. لكن هناك ثمانية وعشرين شخصًا هذه المرة، وليس فيهم أنيماجوس واحد، لذا فعباءة إخفاء لن تكفي. نحن بحاجة إلى بساط إخفاء..».

قال «سيرياس» وقد أصابه بعض الضيق: «نقطة جيدة.. المهم، سأخبركم بمكان مناسب فيما بعد. كان هناك مساحة خالية خلف تلك المرآة الكبيرة في الدور الرابع، ربما تجدونها كافية للتمرين على التعاويذ».

قال «هاري» وهو يهز رأسه: «قال لي فريد وجورج إنها قد سُدت، لعلها انهارت».

قال «سيرياس» مقطب الجبين: «آه.. إذن سأفكر وأعود إليكم عندما..».

قطع كلامه. بدا وجهه متوترًا فجأة. التفت ملقيًا بنظرة جانبية، ناظرًا إلى الجانب الحجري لجدار المدفأة الداخلي.

قال «هاري» بقلق: «سيرياس؟».

لكنه اختفى. حدق «هاري» في اللهب للحظة، ثم التفت إلى «رون» و«هيرميون» وقال: «أين ذهـ..؟».

ظهرت يد من بين ألسنة اللهب، وهي تتحرك كأنها تحاول الإمساك بشيء ما. يد بأصابع قصيرة تزينها خواتم قديمة قبيحة.

انطلق ثلاثتهم يجرون. وعند باب جناح نوم الأولاد نظر «هاري» خلفه. كانت يد «أمبريدج» ما زالت تدور في اللهب، كأنها تعرف تمامًا أين كان شعر «سيرياس» منذ لحظات، وكأنها تريد الإمساك به.



١٨ جيش دمبلدور

«ليس للمسألة تفسير آخر يا هاري. لا بد وأن أمبريدج تقرأ رسائلك».

قال غاضبًا: «هل تعتقدين أن أمبريدج هي من هاجم هدويج؟».

قالت واجمة: «أنا واثقة من هذا. انظر إلى ضفدعك، إنه يهرب».

صوب «هاري» عصاه السحرية نحو الضفدع الذي أخذ يتقافز أملاً في الهرب من الجانب الآخر للمائدة وقال: «أكيو». فعاد إلى يده.

كانت حصة التعاويذ من أجمل الحصص، من حيث قدرتهم على الاستمتاع بالكلام والثرثرة، في العادة تسود الفصل حالة من النشاط والحركة، ويعتبر خطر سماع ما يقال قليلاً جدًا اليوم، ومع امتلاء الحجرة بالضفادع النقاقة والغربان الناعبة، ومع انهمار الأمطار على النوافذ أخذ «هاري» و«رون» و«هيرميون» يتهامسون عن كيف أن «أمبريدج» كادت تقبض على «سيرياس»، وأنه لا أحد شعر بالموضوع بعدها.

همست «هيرميون»: «أنا أشك في هذا الموضوع منذ اتهمك فيلش بطلب الدانجبومب؛ لأنها تبدو كذبة غبية. أعني أنه حال قراءة رسالتك سيتضح أنك لم تكن تطلبها، وما كنت لتقع في مشكلة بالمرة.. إنه خطأ غير متعمد منها، أليس كذلك؟ ثم فكرت أنه ربما يود شخص ما في قراءة رسالتك، ويبحث عن عذر لقراءتها. ثم اتضح لي أنها طريقة ممتازة لتتمكن أمبريدج من قراءتها.. أن تبلغ فيلش عنك، ثم تسرق الرسالة منه أو تطلب رؤيتها.. لا أعتقد أن فيلش كان ليعترض، فمنذ متى يساند التلاميذ؟ هاري، احترس، ستسحق ضفدعك بيدك».

نظر «هاري» إلى حيث أشارت، كانت يده ملتفة بقوة حول ضفدعه، حتى إن عينيها كانتا جاحظتين، فوضعه بسرعة على المائدة.

قالت «هيرميون»: «كادت فعلاً تقبض عليه ليلة أمس.. لكني أتساءل إن كانت أمبريدج تعرف بهذا، بأنها كانت قريبة من القبض على.. سيليتسو».

تجمد الضفدع الذي يتمرن على أداء تعويذة الصمت عليه وأخذ يحدق فيها بثبات. «القبض على سنافلس..».

ألم لها «هاري» جملتها: «.. كانت لترسله إلى أزكابان هذا الصباح» لوح بعصاه دون تركيز حقيقي، فانتفخ ضفدعه مثل بالون أخضر وصدر عنها صفير حاد.

قالت «هيرميون» بسرعة مصوبة عصاها إلى ضفدعه «هاري»، والذي رجع إلى حاله الطبيعية أمام أعينهم: «سيليتسو. لا يجب أن يعود إلينا ثانية، هذا كل ما في»، لكن لا أعرف كيف ننقل له هذه التطورات. لا يمكننا إرسال بومة إليه».

قال «رون»: «لا أعتقد أنه سيخاطر بالعودة ثانية. إنه ليس غبيًا، ويعرف أنها كادت تمسكه.. سيليتسو».

أخذ غراب كبير وقبيح ينعب أمامه.

«سيليتسو. سيليتسو». أخذ الغراب ينعب بصوت أعلى.

قالت «هيرميون» مراقبة «رون» بنظرة ناقدة فاحصة: «لتؤدِّ التعويذة جيدًا، عليك الاهتمام بطريقة تلويحك بالعصا.. لا تلوح بها هكذا، اضرب بها كأنك تطعن أحدًا». فقال «رون» بغيظ: «الغربان أصعب من الضفادع».

قالت «هيرميون» وهي تمسك بغراب «رون» وتستبدله بضفدعها السمين: «حسنًا.. دعنا نتبادل.. سيليتسو!» فأخذ الغراب يفتح منقاره ويغلقه دون أن يصدر عنه صوت.

قال الأستاذ «فليتويك» بصوته الرفيع: «برافو يا آنسة جرانجر». فأجفل «هاري» و«رون» و«هيرميون».. «والآن، حاول أنت يا سيد ويسلي».

قال «رون» مرتبكًا: «آ.. ما؟ ماذا؟.. حسنًا. آه.. سيليتسو».

طعن الضفدع بقوة حتى إنه ضربه في عينه بعصاه السحرية.. فنق بصوت واهن وقفز من فوق المائدة.

ولم يندهش ثلاثتهم عندما كُلِّف «هاري» و«رون» بأداء واجب إضافي.. التمرين على تعويذة الصمت.

سُمح لهم بالبقاء داخل حجرات المدرسة بعد الحصة، بسبب الأمطار الغزيرة بالخارج. عثروا على مقاعد في فصل خالٍ بالطابق الأول أخذ «بيفيس» يسري فيه بالقرب من الثريا، ساكبًا - بين الحين والآخر - قنينة حبر على رأس أحد التلاميذ. ما كادوا يجلسون حتى دخلت «أنجيلينا» إليهم عابرة من بين مجموعة من الطلبة المثرثرين.

قالت: «حصلت على تصريح بإعادة تشكيل فريق الكويدتش».

قال «هاري» و«رون» معًا: «ممتاز».

قالت «أنجيلينا»، وعلى وجهها ابتسامة مشرقة: «أجل.. ذهبت إلى ماكجونجال وأعتقد أنها اعترضت على قرار أمبريدج. المهم أن أمبريدج استسلمت لها. هاه! أريدكم جميعًا عند ملعب الكويدتش الساعة السابعة مساء اليوم؛ لأن علينا التعويض في التمرين. هل تدركون أنه ليس أمامنا سوى ثلاثة أسابيع على أول مباراة لنا؟».

ابتعدت عنهم، وهي تتفادى قنينة حبر أراد «بيفيس» سكبها عليها - والتي سقطت على طالب بالصف الأول بدلاً منها - ثم اختفت عن الأنظار.

تراجعت ابتسامة «رون» قليلاً وهو ينظر عبر النافذة، والتي صارت قاتمة لا يظهر منها شيء بسبب الأمطار الغزيرة.

«أتمنى أن تنتهي هذه الأمطار. ما الأمر يا هيرميون؟».

كانت - هي الأخرى - تنظر عبر النافذة، لكن ليس كأنها تحاول رؤية ما خلفها. كانت عيناها كأنهما لا تريان، وتقطيبة عابسة على وجهها.

قالت: «أفكر..» والأمطار تضرب النافذة.

قال «هاري»: «بشأن سيريوس.. أقصد سنافلس؟».

قالت «هيرميون» ببطء: «لا.. ليس بالضبط.. أفكر في.. أعتقد أننا نقوم بالصواب، أليس كذلك؟». تبادل «هاري» و«رون» النظرات.

قال «رون»: «يا سلام. فهمتك فعلاً.. جميل أنك أوضحت قصدك».

نظرت إليه كأنها أدركت وجوده إلى جوارها للمرة الأولى، وقالت وصوتها يرتفع: «كنت أتساءل إن كنا نقوم بالصواب.. بشأن جماعة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود». فقال «هاري» و«رون» معًا: «ماذا؟».

قال «رون» باستنكار: «هيرميون، كانت فكرتك بالمقام الأول».

قالت «هيرميون» وهي تشبك أصابعها: «أعرف.. لكن وبعد الحديث مع سنافلس..».

قال «هاري»: «لكنه يساندها».

قالت «هيرميون» محدقة في النافذة ثانية: «أجل.. هذا ما جعلني أتساءل إن كانت فكرة جيدة..».

اقترب منهم «بيفيس» سابحًا على بطنه في الهواء، مستعدًا لتصويب الحبر نحو ثلاثتهم، فرفعوا حقائبهم لتغطية رءوسهم حتى يمر.

قال «هاري» بغضب وهم يعيدون حقائبهم إلى الأرض: «أنا لا أفهمك.. هل تعنين أن اتفاق سيريوس معنا في الرأي جعلك تترددين؟».

بدت «هيرميون» متوترة وتعيسة. وهي تنظر إلى يديها قالت: «هل تثق في حكمه حقًا؟».

قال «هاري» على الفور: «أجل.. أثق بها.. لطالما منحنا نصائح جيدة».

طارت قنينة حبر إلى جوارهم، وضربت «كاتي بيل» في أذنها. راقبتها «هيرميون» وهي تهب على قدميها، وتلقي بأشياء على «بيفيس»، وما هي إلا لحظات حتى تحدثت «هيرميون» ثانية، وهي تنتقي كلماتها بعناية.

«ماذا لم يتحول إلى شخص مستهتر منذ.. منذ أن تم حبسه في جريمولد بليس؟ ألا ترى أنه.. أنه يعيش الحياة من خلالنا؟».

كرر «هاري» ما قالته: «ماذا تعنين بعيشه الحياة من خلالنا؟».

«أعني.. أعتقد أنه يحب تكوين الجماعات الدفاعية السحرية رغم أنف الوزارة.. فهو محبط من قلة حيلته.. وربما يود أن.. يدفعنا للتهور».

نظر «رون» إليها متعجبًا.

قال: «سيريوس بخير.. لكنك أنت من تتكلمين كأمي».

عضت «هيرميون» على شفتها السفلى ولم تتكلم. ضرب الجرس و«بيفيس» يقترب من «كاتي» ويسكب زجاجة حبر كبيرة فوق رأسها.

***

لم يتحسن الجو مع مرور ساعات النهار، ساعة بعد ساعة. ليس قبل أن تصبح الساعة السابعة مساء، عندما ذهب «هاري» و«رون» إلى ملعب «الكويدتش» للتمرين، وهما يخوضان في الوحل، وأقدامهما تنزلق على الأرض العشبية الرطبة. كانت السماء بلون رمادي داكن راعد، وشعرا بالراحة لدى الوصول إلى حجرة تبديل الملابس، وإن كانا يعلمان أن الراحة مؤقتة. وجدا «فريد» و«جورج» يتناقشان بشأن الاستعانة بـ «حلوى القزويغ» ليهربا من التمرين.

قال «فريد» من ركن فمه: «.. لكن أراهن أنها ستعرف بأن في الأمر خدعة. لقد اشترت مني علبة التقيؤ بالأمس».

غمغم «جورج»: «يمكننا ابتلاع شيكولاتة لارتفاع درجة الحرارة.. فلم يرها أحد بعد..».

سألهما «رون» متطلعًا والأمطار تضرب السقف بشدة، والرياح تعوي حول المبنى: «وهل أثرها مضمون؟».

قال «فريد»: «أجل.. سترتفع درجة حرارتك فورًا».

قال «جورج»: «لكن ستصاب بالبثور الكبيرة. فنحن لم نتخلص من هذا الأثر الجانبي بعد».

قال «رون» متفحصًا التوأمين ببصره: «لكنني لا أرى أية بثور».

قال «فريد» بغموض: «لا يمكنك رؤيتها، فالإصابة بها تكون في منطقة من الجسد لا يراها أحد».

«لكنها تجعل الجلوس على المقشة ألمًا حقيقيًا في الـ...».

قالت «أنجيلينا» بصوت مرتفع، بعد أن خرجت من مكتبها: «اسمعوا جميعًا. أعرف أن الطقس ليس مناسبًا للتمرين، لكن قد نلعب مع سليذرين في ظروف جوية مشابهة؛ لذا فمن المفيد محاولة التعود على هذا الطقس. هارى، ألم تعالج عويناتك بحيث لا تصاب بالغمام والمطر إن لعبنا مع سليذرين وسط العاصفة».

قال «هارى» وهو يشهر عصاه السحرية ويطرق بها النظارة: «علمتني هيرميون هذه التعويذة. إمبرفياس!».

قالت «أنجيلينا»: «أعتقد أن علينا تجربة التعويذة على وجوهنا. لو نجحنا في منع الأمطار من مضايقة بصرنا سيكون هذا أفضل. هيا معًا. إمبرفياس!».

أعادوا جميعهم عصيهم السحرية إلى جيوب عباءاتهم، وخرجوا من حجرة تبديل الملابس خلف «أنجيلينا» ومعهم مقشاتهم.

خاضوا في الوحل إلى منتصف الملعب، والرؤية ضعيفة، حتى مع تعويذة «إمبرفياس». أخذ النور يتراجع، والمطر ينهمر كأنه ستائر من الماء تضرب الأرض بقوة.

صاحت «أنجيلينا»: «هيا، انطلقوا مع صفارتي».

ضرب «هارى» الأرض بقدمه، ليتناثر الوحل من حوله في كل الاتجاهات، ثم انطلق إلى أعلى، والرياح تبعده قليلاً عن مساره. كان في حيرة من أمره، فكيف يستطيع رؤية كرة الـ«سنيتش» في هذا الطقس. ولم يتمكن من رؤية كرة «بلاجر» تقترب منه بعد دقيقة من التمرين فكاد يقع من فوق مقشته، وأجبر على أداء حركة «طر ـ أمسك ـ لف» لتفاديها. ومن سوء حظ «أنجيلينا» أنها لم ترها هي الأخرى. في الواقع يبدو أنها لم تتمكن من رؤية أى شيء، ولم يفهم أى منهم ما يفعله الآخرون. زادت سرعة الرياح، وحتى ومن على مسافة بعيدة سمع «هارى» أصوات الأمطار التى تضرب سطح البحيرة.

أجبرتهم «أنجيلينا» على التمرين لمدة ساعة قبل أن تعلن هزيمتها. قادت فريقها المتعب المبتل إلى حجرة تبديل الملابس ثانية، وهي مصممة على أن التمرين لم يكن تضييعًا للوقت، لكن من غير اقتناع حقيقي في نبرة صوتها. بدا الانزعاج الشديد ـ وبصفة خاصة ـ على «فريد» و«جورج»، فكلاهما كانت قدماهما متعبتين ومرتخيتين، ويتأوهان مع كل خطوة يخطوانها. سمعهم «هارى» يخططون بأصوات هامسة لأمر ما وهو يجفف شعره بالمنشفة.

قال «فريد» بنبرة خاوية: «أعتقد أن بعض بثوري قد انفجرت».

قال «جورج» ضاغطًا على أسنانه من الألم: «بثوري لم تنفجر بعد. لكنها تؤلمني بشدة، وأشعر بها أكبر مع كل دقيقة تمر».

قال «هارى»: «آه».

سقط المنشفة إلى وجهه، وضاقت عيناه من الألم. أخذت الندبة تؤلمه ثانية. ألم أكثر من الذى شعر به الأسبوع الماضي.

قال أكثر من شخص: «ما الأمر؟».

ظهر وجه «هارى» من خلف المنشفة، فوجد حجرة تبديل الملابس غير واضحة المعالم؛ لأنه لم يكن مرتديًا عويناته، لكنه عرف أن الجميع ينظرون نحوه.

غمغم: «لا شيء... لقد... لقد طرفت عيناى، هذا كل شيء».

لكنه نظر إلى «رون» نظرة ذات مغزى، فبقى كلاهما بالحجرة والجميع يخرجون، وعباءاتهما ملفوفة حولهما، وقبعاتهما منخفضة على أعينهما.

قال «رون» لحظة اختفاء «أليشيا» من الباب: «ما الأمر؟ هل هي الندبة؟».

أومأ «هارى» برأسه موافقًا.

قال «رون» والرعب مرتسم على وجهه، وهو يتجه إلى النافذة وينظر نظرة شاخصة إلى الأمطار: «لكن... هل هو قريب منا؟ هل هنا سكن؟!».

غمغم «هارى» وهو يجلس على المقعد ويمسح على جبهته: «لا... على الأرجح هو على مسافة بعيدة من هنا. لكنه... غاضب».

لم يكن «هارى» يقصد ذكر ما ذكره، لكنه سمع الكلمات كأنها تتسرب من بين شفتيه غريبة عليه، وكأنه لم ينطقها. لكنه وعلى الفور أدرك أن ما قاله حق. لم يعرف كيف تيقن من هذا، لكنه كان على يقين، أن «فولدمورت» ـ أيًا كان حاليًا، وأيًا كان ما يفعله ـ كان في حالة مزاجية عاصفة.

قال «رون» والرعب يطل من عينيه «هل رأيته؟ هـ.. هل رأيت رؤية أو شيئًا من هذا القبيل؟».

جلس «هاري» جامدًا في مكانه، محدقًا في قدميه، سامحًا لعقله وذاكرته بالراحة بعد دفقة الألم الرهيب.

رأى أشكالاً، وسمع أصواتًا، متشابكة متراكبة.

قال أخيرًا «إنه يريد الانتهاء من شيء ما، والأمر لا يسير كما أراد له أن يسير».

مرة أخرى، لم يندهش من كلماته التي خرجت من فمه، لكنه كان على يقين من صدقها. قال «رون»: «لكن.. كيف عرفت؟».

هز «هاري» رأسه، وغطى عينيه بيديه، وضغط عليها براحتي يديه. رأى نجومًا صغيرة تتراقص أمام ناظريه. شعر بجلوس «رون» إلى جانبه وأدرك أنه يرنو إليه.

قال «رون» بصوت مكتوم: «هل الأمر شبيه بالموقف السابق؟ عندما آلمتك رأسك في مكتب أمبريدج؟ عندما كان الذي - تعرفه غاضبًا».

هز «هاري» رأسه نفيًا.

«ما الأمر إذن؟».

أخذ «هاري» يفكر فيما حدث.. عندما كان في مكتب «أمبريدج».. وهو ينظر إلى وجهها.. وندبته تؤلمه.. وكيف شعر بالخوف، وبإحساس غريب.. إحساس بالفرحة.. لكن بالطبع لم يعرف وقتها طبيعته؛ لأنه كان تعيسًا.

قال: «المرة السابقة كان إحساسًا بالسرور والرضا.. كان هناك ما يجري وهو راض عنه، بانتظار حدوث شيء جميل يهمه. والليلة السابقة على عودتنا إلى هوجورتس..» فكر لبرهة في اللحظة التي آلمته فيها رأسه وهو في حجرته و«رون» بمنزل «جريمولد بليس».. «كان غاضبًا».

التفت إلى «رون» فوجده يحدق فيه بذهول.. ثم قال: «يمكنك أن تحل محل تريلاوني يا صاحبي».

قال «هاري»: «أنا لا أتنبأ بأشياء».

قال «رون»: «حقًا؟ أتعني أنك تعرف ما تفعله؟» في مزيج من الرهبة والدهشة «هاري.. إنك تقرأ أفكار الذي تعرفه».

قال «هاري» وهو يهز رأسه: «لا.. الأمر أقرب لفهمي حالته المزاجية. فأنا أرى لمحات من حالته. قال «دمبلدور» إن شيئًا مثل هذا حدث العام الماضي.

قال إنه مع اقتراب فولدمورت مني، أو عندما يشعر بالكراهية، فيمكنني معرفة شعوره هذا. والآن أمسيت قادرًا على معرفة إحساسه بالفرحة أيضًا».

مرت فترة من الصمت.. والرياح تعوي والأمطار تضرب جانب المبنى.

قال «رون»: «عليك إخبار أحد».

«أخبرت سيريوس المرة الماضية».

«حسنًا.. أخبره بما حدث اليوم».

قال «هاري» بتجهم: «لا يمكنني.. أليس كذلك؟ أمبريدج تراقب البوم وشبكة الانتقال عبر النيران.. هل نسيت؟».

«إذن أخبر دمبلدور».

قال «هاري» باقتضاب وهو ينهض: «قلت لك إنه يعرف بالفعل» ثم أضاف وهو يرتدي عباءته: «لا فائدة من إخباره ثانية».

ارتدى «رون» ملابسه هو الآخر، وهو يتفحص «هاري» ببصره، ثم قال: «دمبلدور يريد معرفة هذه الأشياء». هز «هاري» كتفيه.

«هيا بنا.. مازال أمامنا واجب التمرين على تعويذة الصمت».

مروا عبر الفناء المظلم، وهما يتعثران في الطرق العشبية الموحلة، من دون أن يتحدثا. أخذ «هاري» يفكر.. ما الذي يريده «فولدمورت» أن يتحقق بسرعة ولا يجري العمل عليه بسرعة كافية؟

«لديه خطط أخرى أيضًا.. خطط بإمكانه تنفيذها بهدوء.. أشياء لا يمكنه الحصول عليها سوى بالخداع.. سلاح مثلاً.. شيء لم يكن لديه المرة السابقة».

لم يفكر «هاري» في هذه الكلمات منذ أسابيع.. فقد انشغل بما يجري في «هوجورتس» عن التفكير، من معارك وصراع مع «أمبريدج»، والظلم الذي شعر به من تدخل الوزارة.. لكن الآن عاودته هذه الكلمات وأخذ يفكر.. سيكون غضب «فولدمورت» منطقيًا إن لم يكن قريبًا من وضع يده على السلاح أيًا كان. هل سبقته الجماعة إليه؟ هل منعته من الحصول عليه؟ وأين يحتفظون به؟ ترى مع من هذا السلاح الآن؟

«ميمبولوس ميمبليتونيا»، أعاد صوت «رون» «هاري» إلى أرض الواقع وهو يمر من كوة اللوحة إلى حجرة الطلبة.

بدا أن «هيرميون» قد صعدت لتنام مبكرًا، تاركة «كروكشانكس» يستلقي

جالسًا على مقعد وأمامه قبعات للأقزام المنزلية على المائدة القريبة من النار. سر «هاري» كثيرًا لغيابها؛ لأنه لم يرغب في الكلام عن ألم ندبته، ولا في سماع طلبها منه أن يذهب إلى «دمبلدور». أخذ «رون» يرمقه بنظرات قلقة، لكن «هاري» أخرج كتب التعاويذ لينتهي من كتابة مقاله. بالرغم من تظاهره بالتركيز عندما قال «رون» إنه ذاهب إلى الفراش؛ وجد أنه لم يكتب إلا أقل القليل.

حل منتصف الليل ومضى و«هاري» يقرأ ويعاود قراءة فقرة من الكتاب عن أنواع من الأعشاب السحرية من غير أن يفهم كلمة من المكتوب:

هذه النباتات مؤثرة في علاج التهابات المخ، ولهذا فهي تستخدم في وصفات الارتباك والحيرة، وعندما يرغب الساحر في أن يجعل رأسه حارًا، ويسعى للإحساس بالاستهتار.

قالت «هيرميون»: إن «سيرياس» يميل إلى الاستهتار مع حبسه في «جريمولد بليس».

- مؤثرة في علاج التهابات المخ، ولهذا فهي تستخدم في..

- ستقول جريدة «دايلي بروفيت» إن عقله ملتهب لو عرفوا بأنه يشعر بما يشعر به «فولدمورت».

- في وصفات الارتباك والحيرة.

- الكلمة مربكة. لماذا يشعر بما يشعر به «فولدمورت»؟ وما هي الصلة الغريبة بينهما؟ والتي لم يفسرها له «دمبلدور» بالطريقة التي ترضي فضوله؟

- عندما يرغب الساحر في..

- لكم يود النوم.

- أن يجعل رأسه حارًا.

- ما أجمل الدفء والراحة التي يمنحها المقعد، وهو جالس أمام النيران.. والمطر مازال ينهمر على النوافذ، و«كروكشانكس» يهر، والحطب يطقطق بين ألسنة اللهب.

انزلق الكتاب من بين يدي «هاري» وحط بصوت مكتوم على البساط المواجه للمدفأة. ومال رأسه إلى الجانب.

أخذ يسير ثانية في الممر الخالي من النوافذ، وخطوات أقدامه تدوي وسط السكون. ومع اقتراب الباب المنتصب عند نهاية الممر، أخذ قلبه يخفق بشدة. إن فتحه.. لو تمكن من الدخول..

مد يده.. كانت أطراف أصابعه على مسافة بضع بوصات منه..

«سيدي هاري بوتر».

أفاق مفزوعًا من نومه. كانت كل الشموع في حجرة الطلبة قد انطفأت، لكنه شعر بمن يتحرك بالقرب منه.

قال «هاري» وهو ينهض في مقعده: «من هناك؟» كانت النيران شبه منطفئة، والحجرة مظلمة للغاية.

قال صوت رفيع: «دوبي معه بومتك يا سيدي».

قال «هاري» بعقل غائب وهو يحاول سبر أغوار الظلام ناظرًا نحو مصدر الصوت: «دوبي؟».

كان «دوبي» القزم المنزلي واقفًا إلى جانب المائدة التي تركت عليها «هيرميون» عشرة من قبعاتها الصوفية. كانت أذناه الكبيرتان المدببتا الطرف ظاهرة من أسفل واحدة من قبعات «هيرميون».. كان يرتدي الكثير من القبعات، واحدة فوق الأخرى، حتى صار أطول قدمين أو ثلاثة أقدام، وفوق كل هذه القبعات جلست «هدويج»، وهي تنعب، باديًا عليها الصحة.

قال القزم وتعبير إعجاب شديد على وجهه: «تطوع دوبي بإعادة بومة هاري بوتر إليه.. تقول الأستاذة جروبلي بلانك إنها على ما يرام الآن يا سيدي». أحنى ظهره في انحناءة إجلال مبالغ فيها، مسح معها أنفه الأرض، ونعبت «هدويج» مستنكرة، ثم طارت إلى ذراع مقعد «هاري».

قال «هاري» مداعبًا رأس «هدويج» محاولًا التخلص من صورة الباب التي لازمته من حلمه.. كانت الصورة براقة للغاية. تفحص «دوبي» ببصره، ولاحظ أنه يرتدي العديد من الأوشحة، وعددًا كبيرًا من الجوارب، حتى إن قدميه ظهرتا كبيرتين على جسده.

«آ.. هل أخذت كل ملابس هيرميون التي تتركها هنا؟».

قال «دوبي» بسعادة: «لا يا سيدي. دوبي يأخذ بعضها لوينكي أيضًا يا سيدي».

سأله «هاري»: «أجل.. وكيف حال وينكي؟».

تهدلت أذنا «دوبي» قليلًا.. وقال بحزن وعيناه الكبيرتان بلون أخضر براق تلمعان مثل كرتي تنس خضراوين: «وينكي تشرب كثيرًا يا سيدي. إنها لا تهتم بالملابس، يا هاري بوتر. ولا الأقزام الآخرون يهتمون بها يا سيدي. لم

بعد أيهم ينظف برج جريفندور، ليس في وجود القبعات، والجوارب المخبأة في كل الأركان، فهم يجدونها مهينة لهم يا سيدي. دوبي يأخذها كلها يا سيدي، لكنه لا يهتم يا سيدي، لأنه يتمنى دائمًا رؤية هاري بوتر، والليلة يا سيدي تحققت أمنيته» ثم انحنى مرة ثانية وقال: «لكن هاري بوتر لا يبدو سعيدًا» ثم استرسل في الكلام بعد أن استقام ظهره وهو ينظر بخجل إلى «هاري»: «سمعه دوبي وهو يتكلم وهو نائم. هل كان هاري بوتر يحلم بأحلام سيئة؟».

قال «هاري» متثائبًا وهو يفرك عينيه: «ليست سيئة للغاية.. حلمت بما هو أسوأ منها من قبل».

أجال القزم طرفه متفحصًا «هاري» بعينيه الواسعتين الجاحظتين. ثم قال بجدية بالغة وأذناه متهدلتان: «دوبي يتمنى لو يساعد هاري بوتر؛ لأن هاري بوتر حرر دوبي، ودوبي سعيد جدًا الآن» فابتسم «هاري».

«لا يمكنك مساعدتي يا دوبي، لكن شكرًا على عرضك المساعدة».

انحنى ملتقطًا كتاب التعاويذ. عليه محاولة إنهاء المقال قبل الغد. أغلق الكتاب، وبينما هو يغلقه توهجت النيران وأضاءت الندبة البيضاء الرفيعة على ظهر يده.. التي نتجت عن احتجازه مع «أمبريدج».

قال «هاري» ببطء: «انتظر لحظة. ثمة ما يمكنك مساعدتي فيه يا دوبي».

التفت إليه القزم مبتسمًا، وقال: «أنتظر أمرك يا سيد هاري بوتر».

«أريد معرفة مكان يمكن لثمانية وعشرين شخصًا أن يتمرنوا فيه على الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود من غير أن يكتشفهم مدرس من المدرسين، وخاصة..» رفع «هاري» يده وشد قبضته على الكتاب، فبدت الندبة واضحة بيضاء لامعة.. «.. الأستاذة أمبريدج».

توقع تلاشي ابتسامة القزم، وأن تتهدل أذناه، وتوقع أن يقول إن الأمر مستحيل، أو أنه سيحاول العثور على مكان، لكن ما لم يتوقعه هو أن يقفز «دوبي» قفزة صغيرة، وتهتز أذناه جذلاً، ويصفق بيديه.

قال بسعادة: «دوبي يعرف المكان المثالي. دوبي سمع الأقزام الأخرى تتحدث عندما جاء إلى هوجورتس يا سيدي، وهو يعرف حجرة تظهر وتختفي يا سيدي، أو يقال عنها حجرة الاحتياجات».

قال «هاري» بفضول: «لماذا؟».

قال «دوبي» بجدية: «لأنها حجرة لا يقدر المرء على دخولها إلا عندما يكون بحاجة إليها. أحيانًا تجدها وأحيانًا تختفي، لكنها تظهر دائمًا وهي مجهزة باحتياجات الساعي لدخولها. استخدمها دوبي من قبل يا سيدي..» ثم وهو يخفض صوته شاعرًا بالذنب: «.. عندما أصبحت وينكي ثملة دائمًا، بات يخفيها في حجرة الاحتياجات، وبها يجد مصلاً مضادًا للكحوليات، وفراشًا صغيرًا يناسب الأقزام للارتياح عليه يا سيدي. ودوبي يعرف أن السيد فيلش وجد مواد تنظيف إضافية بالحجرة عندما نفد ما عنده منها يا سيدي، و..».

قال «هاري» وقد تذكر فجأة شيئًا ما قاله «دمبلدور» ليلة الحفل المدرسي في رأس السنة الماضية: «وإن شعرت بالحاجة لدخول دورة المياه.. فهل تمتلئ الحجرة بالمراحيض؟».

قال «دوبي» وهو يومئ بحماس: «دوبي يتوقع هذا يا سيدي. إنها حجرة مدهشة يا سيدي».

قال «هاري» وهو يستقيم أكثر في جلسته: «وكم من الأشخاص يعرفون بوجودها؟».

«قليلون للغاية يا سيدي في الأغلب يتعثر بها بعض الناس عندما يكونون بحاجة إليها يا سيدي، لكن في العادة لا يجدونها ثانية؛ لأنهم لا يعرفون أنها بانتظارهم دومًا، تنتظر تأدية خدمتها يا سيدي».

قال «هاري» ونبضات قلبه تتسارع: «هذا مدهش.. إنه يناسبنا تمامًا يا دوبي. متى ستريني الطريق إليها؟».

قال «دوبي» وقد سره حماس «هاري»: «في أي وقت يا سيد هاري بوتر. يمكننا الذهاب الآن إن شئت».

شعر «هاري» بإغراء الذهاب مع «دوبي» للحظة. قام من مقعده، قاصدًا الإسراع إلى الأعلى لجلب عباءة الإخفاء، عندما أدرك للمرة الأولى وجود صوت يشبه صوت «هيرميون» يهمس في أذنه: استهتار. فالوقت على أية حال قد تأخر كثيرًا، وهو متعب.

قال مترددًا وهو يعاود الجلوس في مقعده: «ليس الليلة يا دوبي.. فالأمر هام.. ولا أريد له الفشل؛ لذا فأنا بحاجة إلى خطة جيدة. اسمع، هل يمكنك إخباري أين حجرة الاحتياجات هذه بالضبط؟ وكيف أصل إليها؟».

***

أخذت عباءاتهم تتطاير من حولهم وهم يهرولون عبر حديقة الخضراوات إلى درس علم الأعشاب، وعندما وصلوا لم يسمعوا ما تقوله الأستاذة «سبروت» بسبب الأمطار الشديدة المنهمرة، في قطرات كبيرة ضخمة تتساقط على سقف الصوبة الزجاجية. انتقلوا إلى فصل خالٍ بالطابق الأرضي لحضور درس رعاية الكائنات السحرية، بدلاً من حضوره في الهواء الطلق كالعادة، وشعر «هاري» و«رون» بالارتياح عندما جاءتهما «أنجيلينا» على الغداء لتخبرهما بأنه قد تم إلغاء تمرين «الكويدتش».

قال «هاري» بهدوء عندما أخبرته: «جيد.. لأننا وجدنا مكانًا لاجتماع السحر الدفاعي الأول. الليلة، الساعة الثامنة، الطابق السابع، أمام لوحة برنابة البربري، تلك التي تجسد الترولات وهي تضربه بالهراوات. هلا أخبرت كاتي وأليشيا؟».

بدت مندهشة قليلاً، لكنها وعدت بإخبارهما. عاد «هاري» جائعًا إلى طعامه. عندما رفع بصره ليلتقط عصير القرع، وجد «هيرميون» تراقبه.

قال بذهن مشغول بالطعام: «ما الأمر؟».

«لا شيء.. خطط دوبي ليست آمنة دومًا. هل تذكر عندما تكسرت كل عظام ذراعك؟».

«هذه الحجرة ليست فكرة مجنونة لدوبي، دمبلدور يعرفها هو الآخر، وذكرها لي مرة ونحن في الحفل العام الماضي».

انفرجت أسارير «هيرميون» وقالت: «هل أخبرك بها دمبلدور؟».

هز «هاري» كتفيه قائلاً: «ذكر عابر».

قالت «هيرميون» بخفة: «طيب.. هذا ينهي الموضوع» ولم تعترض ثانية.

قضى و«رون» معًا معظم اليوم يحاولان العثور على من كُتبت أسماؤهم في القائمة، ليخبروهم بموعد الاجتماع. شعر «هاري» ببعض الحسرة عندما عثرت «جيني» على «تشو»، وليس هو، لكن ومع الانتهاء من العشاء كان واثقًا من أن الخبر قد وصل إلى الثمانية والعشرين شخصًا الذين حضروا اجتماع «رأس الخنزير».

مع حلول الساعة السابعة والنصف غادر «هاري» و«رون» و«هيرميون» حجرة طلبة «جريفندور»، وخرج «هاري» قابضًا على رقعة ورق قديمة في

يده. كان من المسموح لتلاميذ الصف الخامس البقاء خارج أجنحتهم حتى الساعة التاسعة مساء، لكن أخذ ثلاثتهم ينظرون حولهم بتوتر وهم في طريقهم إلى الطابق السابع.

حذرهما «هاري» وهو يفض رقعة الورق عند طرف السلم: «انتظرا». ثم طرق الورقة بعصاه السحرية وغمغم: «أقسم إنني شخص ضائع».

ظهرت على الورقة خريطة لمدرسة «هوجورتس»، وعليها نقاط سوداء صغيرة متحركة، وعلى كل منها اسم لشخص مختلف.

قال «هاري» مقربًا الخريطة من عينيه: «فيلش في الطابق الثاني، والآنسة نوريس في الرابع». قالت «هيرميون» بقلق: «وأمبريدج؟».

قال «هاري» مشيرًا إلى النقطة التي تمثلها: «في مكتبها.. هيا بنا».

هرولوا عبر الممر إلى المكان الذي وصفه «دوبي» لـ«هاري»، وهو مساحة خالية مقابل لوحة «برنابة البربري»، والتي تصف محاولة «برنابة البربري» الحمقاء لتدريب «الترولات» على رقص الباليه.

قال «هاري» بهدوء، و«ترول» في اللوحة قد كف عن ضرب معلم الباليه العاجز بالهراوة ليراقبهم: «قال دوبي لنسير بطول هذا الجدار ثلاث مرات وأنت تركز على تخيل ما تحتاجه».

فعلوا كما قال «دوبي».. فكانوا يدورون على أعقابهم عند طرف النافذة المجاورة للجزء المعتم من الجدار، ثم يعاودون الالتفاف عند الزهرية الكبيرة عند الطرف الآخر. أغلق «رون» عينيه بقوة محاولاً التركيز، وأخذت «هيرميون» تهمس بأشياء مبهمة، وشد «هاري» على قبضته بقوة وهو يحدق أمامه في الفراغ

أخذ يفكر: نحن بحاجة إلى مكان لتعلم القتال.. أعطنا مكانًا للتمرين.. مكانًا لا يجدنا فيه أحد..

قالت «هيرميون» بحدة وهم يدورون للمرة الثالثة: «هاري».

ظهر باب مصقول في وسط الجدار. أخذ «رون» يحدق فيه، متعبًا قليلاً. مد «هاري» يده، وقبض على المقبض النحاسي، ودخل إلى حجرة فخمة مضاءة بمشاعل متوهجة مثل التي تضيء القبو على بعد ثمانية طوابق أسفلهم.

كانت الجدران مزدانة بأرفف الكتب، وبدلاً من المقاعد كان هناك طنافس حريرية مريحة على الأرض، ومجموعة من الأرفف على الجانب البعيد للحجرة

تحمل أدوات مثل «السنيكوسكوب»، ومجسات الاستشعار عن بعد، وزجاجة كبيرة كان «هاري» واثقًا أنها كانت معلقة العام الماضي في مكتب «مودي» المزيف.

قال «رون» بحماس: «ستكون هذه مفيدة عند التمرين على تعاويذ التجميد» وهو يحرك واحدة من الطنافس بقدمه.

قالت «هيرميون» بحماس وهي تمرر أصبعها على بعض المجلدات الكبيرة: «انظرا إلى هذه الكتب.. دليلك إلى التعاويذ وكيف تعكسها على من يطلقها، فنون السحر الأسود.. الدفاع عن النفس ضد الأعمال والمكوسات.. يا..» التفتت إلى «هاري» ووجهها يتوهج، فرأى أن وجود مئات الكتب بالحجرة قد أقنع «هيرميون» أخيرًا بأن ما يفعلونه هو الصواب.. أضافت: «هاري.. هذا مدهش، يوجد هنا كل ما نحتاجه».

وبدون المزيد من الكلام أخذت كتاب (اللعنات للملاعين) من فوق الرف، وجلست على أقرب الطنافس إليها وبدأت في القراءة.

سمعوا طرقة رقيقة على الباب. نظر «هاري» إليه فرأى «جيني» و«نيفيل» و«لافندر» و«بارفاتي» و«دين» قد وصلوا.

قال «دين» بانبهار محيلاً طرفه في الحجرة: «ياه! ما هذا المكان؟».

بدأ «هاري» في شرح الأمر لهم، لكن وقبل الانتهاء وصلت جماعة أخرى، وبدأ في الكلام ثانية. ومع حلول الساعة الثامنة، كانت كل الطنافس قد شغلها الحضور. عبر «هاري» الحجرة إلى المدخل وأدار المفتاح فأغلق الباب بصوت معدني مسموع محبب، وصمت الجميع، وهم ينظرون إليه. علمت «هيرميون» بحرص الصفحة التي وقفت عندها في كتاب (اللعنات للملاعين) ووضعته إلى جانبها.

قال «هاري» شاعرًا ببعض التوتر: «هذا هو المكان الذي سنحضر فيه جلسات التدريب، وواضح أنكم.. أ.. وجدتموه مناسبًا».

قالت «تشو»: «إنه رائع» فغمغم بعض الحضور موافقين.

قال «فريد» مقطبًا جبهته: «غريبة.. لقد حبسنا فيلش هنا من قبل.. هل تتذكر يا جورج؟ لكن المكان لم يكن سوى خزانة للمقشات».

تساءل «دين» من آخر الحجرة مشيرًا إلى «السنيكوسكوب» والزجاجة الكبيرة: «هاري.. ما هذه الأشياء؟».

قال «هاري» عابرًا من بين الطنافس إليها: «أجهزة مراقبة السحر الأسود..

وهي بالأساس تعرفك بوجود ساحر أسود أو عدو بالقرب، لكن لا تعتمد عليها كثيرًا، فهي سهلة الخداع».

حدق لحظة في الزجاجة، حيث كانت هناك أشياء غريبة تتحرك داخلها، لكنه لم يتعرف على أي منها، فأدار ظهره لها.

«أنا أفكر في الكثير من الأشياء التي يجب أولا أن.. أ..» لاحظ وجود يد مرفوعة فقال: «ما الأمر يا هيرميون؟».

قالت «هيرميون»: «أعتقد أن علينا انتخاب قائد لنا».

قالت «تشو» على الفور ناظرة إلى «هيرميون» كأنها مجنونة: «هاري هو القائد».

شعر «هاري» بالسرور والتوتر يضطرمان في صدره.

قالت «هيرميون» كأن أحدًا لم يقاطعها: «أجل، لكن أعتقد أن علينا التصويت على الموضوع.. فهو يعطي طابعًا رسميًا وشرعية للقائد. لذا، أسألكم جميعًا: هل ترضون هاري قائدًا لنا؟».

رفع الجميع أيديهم، حتى «زكارياس سميث»، وإن كان قد رفعها بتردد.

قال «هاري»: «أ.. طيب.. أشكركم.. ثم.. ماذا يا هيرميون؟» شاعرًا بوجهه حارًا كأنه يحترق.

قالت ويدها ما زالت في الهواء: «من الأفضل أيضًا أن يكون للمجموعة اسم.. فهذا حري ببث روح الجماعة داخلنا ويشعرنا بالاتحاد.. ما رأيكم؟».

قالت «أنجيلينا» متطلعة: «هل يمكن تسميتها رابطة معاداة أمبريدج؟».

اقترح «فريد»: «أو مجموعة (وزارة السحر كلها مجانين)؟».

قالت «هيرميون» وهي تعبس في وجه «فريد»: «أفكر في اسم لا يوحي لأحد بما نفعله، حتى نشير إلى جماعتنا دون خوف من سماع أحد لاسمنا».

قالت «تشو»: «ما رأيكم في اتحاد الدفاع؟ واختصارها (دي. أيه)، ولن يعرف أحد ما نتحدث عنه».

قالت «جيني»: «أجل.. الـ(دي. أيه) اسم مناسب.. لكنه قد يعني أيضًا (جيش دمبلدور)[1].. لكن دعونا نحول الاسم إلى (جيش دمبلدور)، فهو أكثر ما تخشاه الوزارة، أليس كذلك؟».

أخذ الجميع يضحكون ويتهامسون تعليقًا على كلامها.

(1) D.A. قد تعني Defense Association (اتحاد الدفاع) أو Dumbledor's Army. (المترجم).

قالت «هيرميون» بأسلوب آمر: «هل يوافق الجميع على اسم (دى. آيه.)»، ثم وهى تحصى الأصابع المرفوعة وهى تميل فى جلستها: «أغلبية. موافقة!».

مررت رقعة من الورق ليوقعوا عليها، ثم علقتها على الحائط، وكتبت عند طرفها العلوى بحروف كبيرة:

جيش «دمبلدور»

قال «هارى» عندما جلست ثانية: «حسنًا. هلا بدأنا فى التدريب؟ أرى أن أول شىء يجب التدرب عليه هو تعويذة إكسبيل - آرموس، تعويذة نزع السلاح كما تعرفون. أعرف أنها سهلة وبدائية، لكننى وجدتها مفيدة عندما...».

قال «زكارياس سميث» وعيناه تدوران فى محجريهما، وهو يعقد ذراعيه على صدره: «من فضلك. لا أعتقد أن إكسبيل - آرموس هى ما نحتاجه للدفاع عن أنفسنا ضد الذى تعرفه».

قال «هارى» بهدوء: «لقد استعملتها ضده، وأنقذت حياتى شهر يونيو الماضى».

فتح «سميث» فمه ببلاهة، وساد الهدوء الحجرة.

قال «هارى» ثانية: «لكن إن كنت تحسبها أقل من مستواك فيمكنك المغادرة».

لم يتحرك «سميث»، ولم يتحرك غيره.

قال «هارى» وفمه أجف قليلاً من المعتاد مع كل هذه العيون التى تلاحقه: «حسنًا. الأفضل أن ننقسم إلى مجموعات من اثنين ونبدأ فى التمرين».

بدا أمرًا غريبًا عليه أن يصدر الأوامر، لكن الأغرب أن يراهم يطيعونه. هب الجميع على أقدامهم وانقسموا إلى أزواج، ولم يكن من الغريب أن يظل «نيفيل» بلا شريك.

قال له «هارى»: «يمكنك التدرب معى.. حسنًا. سأعد إلى ثلاثة ونبدأ. واحد.. اثنين.. ثلاثة...».

فجأة امتلأت الحجرة بصيحات: إكسبيل - آرموس. طارت العصى السحرية فى كل الاتجاهات، وضربت التعاويذ التى لم تصب أهدافها الكتب والأرفف. كان «هارى» أسرع من «نيفيل» بكثير، فأصابته تعويذته وأطارت العصا السحرية من يده لتضرب السقف ويصدر عنها شرارات كثيرة وتحط فوق أرفف

الكتب. فأرجعها «هارى» إليه بتعويذة الإحضار. وهو ينظر حوله عرف أنه كان محقًا فى التدرب على تعويذة بدائية. فأكثر الحضور لم ينجحوا فى نزع أسلحة من خصومهم، وكل ما فعلوه هو أن تراجعوا للخلف بضع خطوات، أو الجفال والتعاويذ الضعيفة تمر من فوقهم.

صاح «نيفيل»: «إكسبيل - آرموس». فشعر «هارى»، وقد أصابته التعويذة فى غفلة منه، بعصاه السحرية تطير من يده.

قال «نيفيل» بسرور بالغ: «لقد نجحت.. نجحت.. لم أنجح فى أدائها من قبل.. لقد أخيرًا نجحت».

قال «هارى» مشجعًا إياه: «تعويذة جيدة»، وقد قرر ألا يخبره بأن خصمه الحقيقى لن يقف محدقًا فى الجهة البعيدة عنه وهو ممسك بعصاه السحرية بلا اكتراث. أضاف: «انظر يا نيفيل، هل يمكنك الاشتراك مع رون وهيرميون فى التدريب لدقيقتين حتى أمر وأرى أداء الباقين؟».

تحرك «هارى» إلى منتصف الحجرة. كان هناك شىء ما غريب يحدث مع «زكارياس سميث».. كل مرة يفتح فمه لينزع سلاح «أنتونى جولدشتاين» كانت عصاه هو تطير من يده. وقف «هارى» فى حيرة من أمره كيف يحل هذا اللغز فوجد أخيرًا أن «فريد» و«جورج» كانا واقفين على بعد عدة أقدام منه، يوجهان عصيهما السحرية إلى ظهره بالتبادل.

قال «جورج» بسرعة: «آسف يا هارى.. لم أقدر على مقاومة الإغراء» بعد أن عرف أن «هارى» قد رآه.

سار متفحصًا أداء الباقين، محاولاً تصحيح ما يراه خطأ فى تعاويذهم. كانت «جينى» تتدرب مع «مايكل كورنر»، وكان أداؤها جيدًا، بينما وجد «مايكل» غير قادر أو غير راغب فى إصابتها. أخذ «إرنى ماكميلان» يحرك عصاه السحرية بحركات مسرحية لا ضرورة لها وهو يؤدى التعويذة، معطيًا شريكه الوقت الكافى ليهاجمه. وكان الأخوان «كريفى» شديدى الحماس، والمسئولين بالأساس عن الكتب التى تتطاير متقافزة من فوق الأرفف من حولهم. كانت «لونا لوفجود» مشابهة لهما فى أدائها، وهى تطير بعصا «جاستن - فلتشلى» من يده أحيانًا، وتتسبب فى انتصاب شعر رأسه أحيانًا أخرى.

صاح «هارى»: «توقفوا.. توقفوا.. توقفوا».

فكر أنه بحاجة إلى صفارة، وسرعان ما رأى واحدة فوق أقرب صف من الكتب. أمسك بها ونفخ فيها بقوة، فأنزل الجميع عصيهم السحرية.

قال: «لم يكن أداؤكم سيئًا. لكنكم تقدرون على تحسينه» حدق في «زكارياس سميث» وهو ينصت إلى قوله: «دعونا نحاول ثانية».

أخذ يدور في الحجرة من جديد، متوقفًا هنا وهناك مسديًا النصح. ببطء تحسن الأداء العام.

تفادى الاقتراب من «تشو» وصديقتها لبعض الوقت. لكن بعد فحصه لكل الأزواج بالحجرة مرتين، شعر أنه لا يقدر على تجاهلها.

قالت «تشو» بارتباك وهو يقترب: «يا خبر! إكسبيل - آرمياس. أقصد إكسبيل - أرموس. لا.. آسفة يا ماريبتا».

اشتعل كم رداء صديقتها مجعدة الشعر، والتي أطفأته بعصاها وأخذت ترمق «هاري» كأنه المسئول عما حدث.

قالت «تشو» مخاطبة «هاري»: «لكم أصبحتني بالارتباك. كنت أؤدي التعويذة أداء جيدًا قبل أن تأتي».

كذب عليها «هاري» قائلًا: «كانت تعويذة جيدة» لكن عندما رفعت حاجبيها باستنكار قال: «أعني، كانت سيئة، لكن أعرف أنك قادرة على أدائها كما يجب، فقد كنت أراقبك من بعيد».

ضحكت، ونظرت إليهما صديقتها «ماريبتا» بحقد ثم غضت بصرها.

تمتمت «تشو»: «لا تهتم. إنها لا تود الحضور، لكنني جعلتها تحضر. أبواها حذراها من إغضاب أمبريدج. فأمها تعمل بالوزارة».

سألها «هاري»: «وماذا عن والديك؟».

قالت «تشو» وهي ترفع رأسها بكبرياء: «حذراني من إغضاب أمبريدج أنا الأخرى لكن إن كانا يحسبان أنني لن أقاتل الذي - تعرفه بعد ما حدث لسيدريك فأنا..».

لم تكمل كلامها، وبدا عليها الارتباك، ثم ساد صمت ثقيل بينهما. رأى «هاري» عصا «تيري بوت» السحرية تطير إلى جوار أذنه ثم تضرب «أليشيا سبينيت» على أنفها.

قالت «لونا لوفجود» بفخر من خلف «هاري»: «أبي مساند للتصرفات المخالفة للوزارة» فمن الواضح أنها كانت تتنصت على حوارهما أثناء محاولة «فينش - فلتشلي» إعادة عباءته إلى وضعها بعد أن غطت رأسه

وهو يقول دومًا إنه يصدق أي شيء يقال عن فادج، مثل عدد الجان الذين قتلهم. وبالطبع هو يستغل مصلحة الألغاز والغوامض في إنتاج سموم رهيبة، والتي يدسها في الطعام لكل من يعارضه. ثم هناك ما يستعين به من قانات الأومجوبولار سلاشكيلتر».

قال «هاري» لـ«تشو» التي فتحت فمها لتستفسر: «لا تسألي» فضحكت.

نادته «هيرميون» من الطرف البعيد للحجرة: «هاري، هل تعرف كم الساعة؟».

نظر إلى ساعته وصدم عندما وجدها التاسعة وعشر دقائق، مما يعني أنهم بحاجة إلى العودة إلى أجنحتهم على الفور وإلا خاطروا بأن يمسكهم «فيلش» ويعاقبهم لتعديهم الحدود المسموح بها في هذا الوقت من الليل. أطلق صفارته، فكف الجميع عن الصياح (إكسبيل - أرموس)، وطارت آخر عصا سحرية لتضرب الأرض بصوت مسموع بعد أن انخلعت من يد صاحبها.

قال «هاري»: «كان تدريبنا جيدًا. لكن داهمنا الوقت، ومن الأفضل أن نغادر الآن. هل نلتقي في نفس الوقت من الأسبوع المقبل؟».

قال «دين توماس» بلهفة: «بل قبلها» ووافقه الكثيرون.

لكن «أنجلينا» قالت بسرعة: «موسم كأس الكويدتش على وشك البدء، ونحن بحاجة للتمرين أيضًا».

قال «هاري»: «إذن نجتمع ليلة الأربعاء، يمكننا تحديد مواعيد لاجتماعات إضافية وقتها. هيا، لنخرج».

أخرج خريطته السحرية ثانية وتفحصها؛ بحثًا عن إشارات على وجود معلمين في الطابق السابع ثم تركهم يخرجون تباعًا في جماعات من ثلاثة وأربعة أشخاص، وهو يراقب النقاط المعبرة عنهم بتوتر ليرى إن كانوا قد وصلوا إلى أجنحتهم بأمان. تلاميذ «هافلباف» يذهبون إلى ممر في القبو يقود أيضًا إلى المطابخ، وتلاميذ «رافنكلو» إلى برج في الطرف الغربي من القلعة، وتلاميذ «جريفندور» إلى ممر لوحة السيدة البدينة.

قالت «هيرميون» عندما لم يبق إلا هي و«هاري» و«رون»: «كانت جلسة ممتازة يا هاري».

قال «رون» بحماس وهم يخرجون من الباب ويراقبونه وهو يذوب في الجدار: «أجل. هل رأيتني وأنا أنزع سلاح هيرميون يا هاري؟».

قالت «هيرميون» منزعجة: «كانت مرة واحدة.. لكنني نلت منك أكثر بكثير مما فعلت أنت».

«لكنني لم أصبك مرة واحدة فقط، بل ثلاث مرات على الأقل و...».

«هذا إن كنت قد أحصيت المرة التي تعثرت فيها على قدمك وأسقطت مني عصاي السحرية بيدك».

تجادلا طوال الطريق إلى حجرة الطلبة، لكن «هاري» لم ينصت إليهما. كانت عينه على الخريطة، وهو يفكر في قول «تشو» عنه.. وأنه جعلها ترتبك.



١٩ الأسـد والأفعـى

شعر «هاري» وكأن في صدره سراجًا منيرًا طوال الأسبوعين التاليين، سرًا مرهفًا بالجمال يشد من أزره في حصص «أمبريدج»، بل ويجعله قادرًا على الابتسام وهو ينظر إلى عينيها الجاحظتين القبيحتين. كان ومعه أعضاء جماعة (دي. أيه) يقاومونها تحت أنفها، ويفعلون أكثر ما تخشاه هي والوزارة، وكلما أمرتهم بقراءة كتاب «ويلبرت سلينكهارد» أثناء دروسها استرجع ذكريات اجتماعهم الأخير، ويتذكر كيف أتقن «نيفيل» أداء تعويذة الإعاقة بعد ثلاثة اجتماعات من المجهود المضني، وكيف أدت «بارفاتي باتيل» تعويذة «ريداكتور» تحولت كل ما بالحجرة من «سنيكوسكوب» إلى تراب.

وجد من المستحيل تثبيت ليلة معينة في الأسبوع للقاءات، فهناك تدريبات فرق «الكويدتش» الأربع التي تحتاج لتغييرها من حين لآخر حسب الحالة الجوية.. لكنه لم يكن آسفًا لهذا؛ لشعوره بأنه من الأفضل عدم تثبيت موعد للاجتماعات. إن راقبهم أحد وهم يتجمعون في أوقات معينة، سيسهل عليه معرفة ما يفعلونه بعد أن يرتاب في سلوكهم المنتظم في التجمع.

توصلت «هيرميون» إلى أسلوب شديد المهارة في تعريف الجميع بالموعد الخاص بالاجتماعات التالية، في حالة الحاجة لتغييره قبل البدء في الاجتماع بوقت قصير؛ لأنه سيبدو مثيرًا للريبة أن يتجمع تلاميذ من فرق المدرسة الأربع في القاعة الكبرى كثيرًا. أعطت كل أعضاء جماعة (دي. أيه) عملة جاليون زائفة (تحمس «رون» كثيرًا عندما رأى دلو الجاليونات للمرة الأولى، واقتنع أنها حقًا ستمنحهم ذهبًا حقيقيًا).

قالت حينها رافعة واحدة من العملات لتفحصها مع نهاية اجتماعهم الرابع: «هل ترون الأرقام المنقوشة حول حافة العملة؟» لمعت العملة باللون الأصفر على الضوء المنبعث من المشاعل. «على الجاليونات الحقيقية هي ليست أكثر من رقم مسلسل يشير إلى الجني الذي صنع العملة. أما على هذه العملات الزائفة، فالأرقام تتغير لتعكس موعد الاجتماع التالي. عندما يتغير موعد ما

ستشعرون بالجاليون يستعر بالحرارة؛ لذا فإن احتفظتم به - الجاليون - في جيوبكم ستشعرون بأي تغيير. سيأخذ كل منا عملة واحدة، وعندما يحدد هاري موعد الاجتماع القادم سيغير الأرقام على عملته، ولأنني سحرتها بتعويذة التقلب فسوف تتغير لتماثل التغيير الذي يحدثه هاري في أرقام عملته».

عم صمت تام ترحيبًا بكلمات «هيرميون». نظرت حولها إلى كل الوجوه المتطلعة إليها، شاعرة ببعض الارتباك.

قالت غير واثقة من وقع كلامها عليهم: «أعني، حتى ولو طالبتنا أمبريدج بإخراج ما في جيوبنا، فلن تجد ما يريب في عملة جاليون.. أليس كذلك؟ لكن.. إن كنتم لا تودون الاستعانة بها فـ...».

قال «تيري بوت»: «هل تقدرين على أداء تعويذة التقلب؟».

قالت «هيرميون»: «أجل».

قال بوهن: «لكنها تعويذة لا يعرفها سوى من يدرس لشهادة الـ(إن إي دبليو تي)».

قالت «هيرميون» محاولة أن تبدو متواضعة: «أ.. أه.. أعني، أجل.. عندك حق».

سألها وهو ينظر إليها بانبهار: «كيف لم تنضمي لرافنكلو ولك عقل كهذا؟».

قالت «هيرميون» بإشراق: «فكرت قبعة الاختيار في وضعي برافنكلو في عامي الأول، لكنها قررت اختيار جريفندور في النهاية.. حسنًا، هل سنستخدم الجاليونات إذن؟».

صدر عن الجمع غمغمة استحسان جماعية وتقدموا للأمام؛ كلٌّ لأخذ واحدة من السلة. ألقى «هاري» نظرة جانبية على «هيرميون» وقال: «هل تعلمين بم تذكرني هذه العملات؟».

«لا.. بم تذكرك؟».

«ندبات أكلة الموت.. عندما يلمس فولدمورت ندبة منها تؤلمهم جميعًا ندباتهم، ويعرفون أن عليهم الذهاب إليه».

قالت «هيرميون» بهدوء: «أجل.. وهكذا توصلت إلى هذه الفكرة، لكن لاحظ أنني أحفر تاريخ وموعد الحضور على عملة معدنية، وليس على جلد أعضاء الجماعة».

قال «هاري» مبتسمًا، وهو يضع عملته في جيبه: «أجل.. هكذا أفضل. إن الخطر الوحيد من هذه العملات هو أن تضيع واحدة منها على سبيل الخطأ».

قال «رون» وهو يفحص عملته الزائفة بعيون ملؤها الحسرة: «هذا صعب.. لذا ليس عندي جاليون واحد حقيقي لأخلطه بهذا فأنفقه بدلاً منه».

مع اقتراب أول مباريات موسم الكأس من بدايتها - وهي مباراة «جريفندور» مع «سليذرين» - تم تجميد الاجتماعات؛ لأن «أنجيلينا» أصرت على التمرين اليومي للفريق. وحقيقة أن كأس «الكويدتش» لم ينعقد منذ فترة ضاعفت المزيد من الاهتمام بالمباراة القادمة.. وكان تلامذة «رافنكلو» و«هافلباف» مهتمين كثيرًا بالمباراة؛ لأنهم بالطبع سيلعبون ضد الفريقين الآخرين فيما بعد.. وكان قادة الفرق المدرسية الأربع (وليست الرياضية) يتحمسون لرؤية فرقهم الرياضية تتفوق، وإن حاولوا إخفاء هذا. أدرك «هاري» أن الأستاذة «مكجونجال» - قائدتهم - حريصة على هزيمة «سليذرين» عندما لم تعطهم واجبًا خلال الأسبوع السابق على المباراة.

قالت: «أرى أن لديكم حاليًا ما يكفي من مهام». لم يصدق الجميع آذانهم، حتى نظرت إلى «هاري» و«رون» وقالت بعبوس: «لقد ألفت وجود كأس الكويدتش في حجرة مكتبي يا أولاد، ولا أريد تسليمه للأستاذ سناب؛ لذا أتعبا نفسيكما قليلاً في التمرين.. مفهوم؟».

لم يكن «سناب» أقل وطنية وانتماءً منها.. فقد حجز ملعب «الكويدتش» لفريق «سليذرين» كثيرًا، حتى إن فريق «جريفندور» وجد صعوبة في التمرين بالملعب؛ لأنه مشغول طوال الوقت.. كما تجاهل الشكاوى المقدمة إليه عن محاولات لاعبي «سليذرين» لعن لاعبي «جريفندور» وإلقاء التعاويذ عليهم في ممرات المدرسة. عندما ذهبت «أليشيا سبينيت» إلى جناح المستشفى المدرسي وحاجباها مثقلان بالشعر - حتى إنهما يتشابكان مع فمها وعينيها - صمم «سناب» أنها حاولت تأدية تعويذة إطالة الشعر على نفسها، ورفض الإنصات لشاهد من الصف الرابع أصر على أن حارس مرمى فريق «سليذرين» «مايلز بلتشلي» قد أصابها من الخلف بعصاه السحرية وهي جالسة في المكتبة.

شعر «هاري» بالتفاؤل حول فرص «جريفندور» في الفوز.. فهم بعد كل شيء لم يخسروا أبدًا أمام فريق «سالفوي». لكن كان من الواضح أن مستوى «رون» لم يرتفع بعد إلى مستوى «وود»، وإن أخذ يعمل باجتهاد ليحسن من مهاراته. كانت نقطة ضعفه الكبرى هي فقدانه الثقة بعد دخول هدف فيه.

وقتها يصبح أكثر ارتباكاً، وقد يدخل فيه المزيد من الأهداف بسهولة. على الجانب الآخر، رأى «هاري» أنه يصد كرات صعبة جداً عندما يكون تام اللياقة البدنية ومستقراً نفسياً. ففي واحد من تمريناتهم التي لا تنسى، تعلق «رون» بيد واحدة من مقشته وركل كرة «الكوافل» بقوة بعيداً عن المرمى حتى إنها طارت بطول الملعب ودخلت المرمى المقابل.. وقد قارن باقي أعضاء الفريق هذه الصدة الرائعة بواحدة أداها «باري ريانى» وهو حارس المرمى الدولي لمنتخب أيرلندا، في مواجهة مهاجم بولندا «لاديسلو زاموجسكي» الرهيب. حتى «فريد» قال إن «رون» قد يجعله هو و«جورج» فخورين به، وإنه يفكر بجدية في مسألة الاعتراف به كقريب لهما، وهو ما كان يحاول إنكاره طوال أربع سنوات.

الشيء الوحيد الذي أقلق «هاري» كثيراً بشأن «رون» هو استجابته لحركات «سليذرين» العلنوية وقلقه وانزعاجه قبل بدء المباراة. تحمل «هاري» بالطبع تعليقاتهم الساخرة طوال أربعة أعوام، من همسات مثل: «بوتر.. سمعت أن وارنجتون أقسم على إسقاطك من فوق مقشتك» وإن كانت لم ترهبه مثل هذه التعليقات، ولا يفعل حيالها أكثر من الابتسام، ويقول: «وارنجتون لا يرى أمامه» وأضاف على من يقف إلى جواري من ضربة كرته وليس على نفسي» مما يجعل «رون» و«هيرميون» يضحكان لتختفي الابتسامات الساخرة الظاهرة على وجه «بانسي باركنسون».

لكن «رون» لم يتحمل أبداً حملة التعليقات والإهانات الموجهة إليه.. عندما تهامس بعض طلبة «سليذرين» - وبعضهم من طلاب الصف السابع وأكبر منه وأقوى منه بكثير - بشأنه وهم يسيرون في ممرات المدرسة قائلين: «هل حجزت سريرك في المستشفى يا ويزلي؟» لم يضحك، بل تحول لون وجهه إلى الأخضر من الخوف. وعندما قلد «دراكو مالفوي» «رون» وهو يسقط كرة «الكوافل» (وهي الحركة التي يؤديها كلما شاهد «رون»)، تحمر أذنا الأخير غضباً وتهتز قبضة يده حتى إنه يسقط ما بيده كثيراً في هذه المواقف.

انزوى شهر أكتوبر سريعاً وسط دوامات الرياح والأمطار الشديدة ووصل نوفمبر، بارداً ومتجمداً، من صقيع يحط على الأشياء صباحاً، ورياح مثلجة تهب على الأيدي والوجوه. تحول لون السماء داخل القاعة الكبرى إلى لون رمادي غائم، وصارت الجبال المحيطة بالمدرسة مزينة بقمم من الثلج،

وانخفضت درجة الحرارة في القلعة حتى إن بعض الطلبة كانوا يرتدون قفازات من جلد التنين تحمي من البرودة حتى داخل الممرات وبين الحصص.

حل صباح انعقاد المباراة مشرقاً وبارداً. عندما أفاق «هاري» من نومه نظر إلى فراش «رون» فرآه جالساً متجمداً منتصب الظهر، وذراعاه على ركبتيه، محدقاً بثبات في الفراغ.

قال «هاري»: «هل أنت على ما يرام؟».

أومأ «رون» برأسه لكنه لم يتكلم. تذكر «هاري» يوم أصاب «رون» نفسه من غير قصد بتعويذة التقيؤ، كان وقتها شاحباً وكثير العرق مثل حاله الآن، ناهيك عن فمه المفتوح في حالة أشبه بالذهول.

قال «هاري» مخففاً عنه: «لا تحتاج سوى إفطار شديد.. هيا».

أخذت القاعة الكبرى تمتلئ من حولهما بعد أن وصلا إليها، والحديث بين الطلبة أعلى صوتاً وأكثر حماساً من المعتاد. وهما يمران إلى جوار مائدة «سليذرين» نظر «هاري» إليها ولاحظ أنه بالإضافة إلى الوشاحات الخضراء والفضية المعتادة التي يرتديها المشجعون، كان هناك شارة فضية على صدر كل منهم، في شكل بدا أشبه بالتاج. لسبب ما لوح بعضهم لـ«رون» وانفجروا ضاحكين. حاول «هاري» رؤية المكتوب على الشارات وهو يمر، لكنه كان حريصاً على مرور «رون» بسرعة من جانبهم، فلم يتوقف ما يكفي من الوقت للقراءة.

رحبت بهما مائدة «جريفندور» ترحيباً حاراً، حيث جلس الجميع مرتدين الأحمر والذهبي. لكن بالنسبة إلى «رون» فقد بدا أن هتافات الترحيب قد أصابته بالرهبة وأنهت على ما عنده من عزم، فقد جلس بسرعة على أقرب مقعد إليه وعلى وجهه أمارات من يأكل آخر وجبة في حياته.

قال بهمسة متحشرجة: «لابد أنني كنت مجنوناً عندما فعلت ما فعلته.. مجنوناً».

قال «هاري» بحزم وهو يمرر إليه الطعام: «لا تكن أحمق.. ستلعب جيداً. من الطبيعي أن تشعر بالتوتر قبل المباراة».

قال «رون»: «أنا لا شيء.. أنا أخرق.. لا يمكنني اللعب لأنقذ حياتي من الضياع. فيم كنت أفكر وقتها؟».

قال «هاري» بصرامة: «تماسك يا رجل.. تذكر الصدة التي قمت بها بقدمك ذلك اليوم، حتى «فريد» و«جورج» قالا إنها عبقرية».

التفت «رون» بوجهه المعذب إلى «هاري» وهمس بتعاسة: «كانت بطريق المصادفة. لم أقصد أداءها هكذا. كنت قد سقطت من فوق مقشتي وأنتم تنظرون، وعندما حاولت الرجوع إلى المقشة ركلت الكرة عن غير عمد».

قال «هاري» وقد تعافى بسرعة من المفاجأة غير السارة: «ولا يهمك.. بعض الصدات بطريق الخطأ مثل هذه وستصبح المباراة في جيبنا.. أليس كذلك؟».

كانت «هيرميون» ومعها «جيني» جالستين مقابلهما مرتديتين الوشاحات والقفازات باللونين الأحمر والذهبي.

سألت «جيني» «رون»، الذي أخذ يحدق في اللبن العائم بطبقه كأنه يفكر في إغراق نفسه فيه: «كيف تشعر؟».

قال «هاري»: «إنه متوتر قليلاً فقط».

قالت «هيرميون» بصدق: «هذه علامة خير، فأنا لا أراك تؤدي أفضل أدائك في الامتحانات إلا عندما تتوتر قليلاً».

قال صوت غائم حالم من خلفهم: «أهلاً». نظر «هاري» من فوق كتفه. كانت «لونا لوفجود» تسير كأنها تسري فوق الأرض ساعية إليهم من مائدة «رافنكلو». أخذ بعض الطلبة يحدقون فيها بدهشة وبعضهم الآخر يضحكون ويشيرون إليها. فقد كانت ترتدي قبعة على شكل رأس أسد بحجمها الطبيعي فوق رأسها.

قالت «لونا» مشيرة إلى قبعتها، وإن لم تكن مضطرة لهذا: «سوف أشجع جريفندور. انظروا إلى ما تفعله القبعة..».

مدت يدها إليها بعصاها السحرية وطرقتها بها، ففتحت القبعة الأسد فمها مطلقة زئيراً مدوياً جعل الجميع يجفلون.

قالت «لونا» بسعادة: «إنها جميلة.. أليس كذلك؟ أردت أن أضيف إلى فم الأسد أفعى يمضغها، وتمثل فريق سليذرين، لكن لم يكن أمامي متسع من الوقت. المهم.. حظ سعيد يا رونالد».

ابتعدت عنهم. لم يتعافوا من صدمة «لونا» حتى جاءت «أنجيلينا» مسرعة ومعها «كاتي» و«أليشيا»، التي كان حاجباها قد عادا إلى طبيعتهما على يد مدام «بومفري».

قالت: «نحن مستعدون.. سنذهب إلى الملعب مباشرة لنأخذ جو المباراة وتغيير ملابسنا».

قال «هاري»: «سنأتي خلفك مباشرة.. فرون يجب أن يفطر جيداً».

لكن بدا واضحاً بعد عشر دقائق أن «رون» غير قادر على أكل أي شيء، فوجد «هاري» أنه من الأفضل النزول إلى حجرة تغيير الملابس. وهما ينهضان عن المائدة نهضت «هيرميون» هي الأخرى، وأخذت بذراع «هاري» وجذبته إلى جانب، وهمست برجاء: «لا تدع رون يرى المكتوب على شارات سليذرين».

نظر إليها «هاري» متسائلاً، لكنها هزت رأسها محذرة إياه. فقد اقترب منهما «رون»، وعلى وجهه علامات الضياع واليأس.

قالت «هيرميون» وهي تشب على أطراف أصابع قدميها وتقبله على وجنته: «حظ سعيد يا رون. وأنت يا هاري..».

بدا كأن «رون» قد أفاق قليلاً وهما يعبران القاعة الكبرى. لامس موضع القبلة في وجنته متعجباً، كأنه لم يكن واثقاً مما حدث. بدا مشتتاً بما يكفي لعدم ملاحظة الدائر حوله، لكن «هاري» ألقى بنظرة فضول على الشارات التاجية الشكل وهما يمران إلى جوار مائدة «سليذرين»، وهذه المرة رأى المكتوب بوضوح:

ويزلي يا ملك.

مع إحساسه بأن المكتوب لا يعني خيراً، هرول مع «رون» تجاه القاعة الأمامية، وعبر درجات السلم، إلى الهواء البارد.

تكسر العشب المتجمد تحت أقدامهما وهما يسيران مسرعين عبر مماشي الحديقة الملتفة التي تقود إلى الإستاد. لم يكن هناك أي هواء، والسماء بلون أبيض لؤلؤي، مما يعني أن نطاق الرؤية سيكون جيداً دون إزعاج أشعة الشمس التي تضرب العيون. أوضح «هاري» هذه العوامل المبهجة المشجعة وهما يسيران، لكنه لم يكن واثقاً من إنصات «رون» إليه.

كانت «أنجيلينا» قد غيرت ملابسها بالفعل وخرجت إلى باقي الفريق يشجعهم وهم يدخلون. ارتدى «هاري» و«رون» عباءتيهما (أخذ «رون» يعبث بعباءته كثيراً قبل أن تعطف عليه «أليشيا» وتساعده في ارتدائها). ثم جلسوا يستمعون إلى محاضرة ما قبل المباراة، وأصوات الجمهور بالخارج في ارتفاع وهم يتوافدون من القلعة إلى الإستاد.

قالت «أنجيلينا» ناظرة إلى رقعة ورق في يدها: «يا رجال.. عرفت منذ قليل تشكيل فريق سليذرين.. لاعبا المضارب من العام الماضي – ديريك وبول – قد

غادرا المدرسة، لكن يبدو أن «مونتاج» قد جاء بغوريلتين «دبليتين»، وليسا ممن يتمتعون بالقدرة على ركوب المقشات والطيران بها بمهارة. إنهما ولدان باسم كراب وجويل، لا أعرف الكثير عنهما».

قال «هارى» و«رون» فى وقت واحد: «نحن نعرف».

قالت «أنجيلينا» وهى تضع أصبعها على الورقة: «يبدو أنهما ليسا ذكيين بما يكفى لمعرفة طرف المقشة الأمامى من طرفه الخلفى. لكن يدهشنى إلى الآن كيف كان «ديريك» و«بول» يلعبان دون وجود لافتات للاتجاهات فى الملعب».

قال لها «هارى» مؤكدًا انطباعها: «كراب وجويل من نفس العجين».

سمعوا مئات الأقدام تخطو فوق مدرجات الجمهور. كان بعض المشجعين يغنون، وإن لم يقدر «هارى» على تمييز الكلمات. بدأ يتوتر لكنه كان يعرف أن قلقه لا يقارن بقلق «رون»، الذى أمسك بمعدته وأخذ يرمق الفراغ ثانية وفمه مفتوح ووجهه رمادى شاحب.

قالت «أنجيلينا» بصوت خفيض وهى تنظر إلى ساعتها: «حان الوقت.. هيا جميعًا.. حظ موفق».

قام أعضاء الفريق، وفى أيديهم مقشاتهم، فى صف واحد، لاعبًا وراء الآخر، خارجين من الحجرة إلى النهار المشمس. قابلتهم موجة من الأصوات سمع فيها «هارى» بعض الغناء، وإن كانت الكلمات غير واضحة بسبب الهتافات والصفير.

كان فريق «سليذرين» واقفًا متأهبًا بانتظارهم. هم أيضًا يرتدون الشارات التاجية الشكل. كان الكابتن الجديد ـ «مونتاج» ـ ذا جسد مشابه لجسد «ددلى دورسلى»، بذراعين مثل ذراعى خنزير غزير الشعر. من خلفه وقف «كراب» و«جويل»، فى نفس حجمه تقريبًا، وهما يطرفان بأعينهما بغباء فى مواجهة الشمس التى سطعت منذ قليل، وعلى كتفيهما مضرباهما. كان «مالفوى» واقفًا إلى الجانب، والشمس تنعكس على رأسه الأشقر. تبادل و«هارى» النظر وابتسم ساخرًا، مشيرًا إلى الشارة المعلقة على صدره.

قالت الحكم، مدام «هوش»: «تصافحا يا كابتن»، فمد كل من «أنجيلينا» و«مونتاج» يده للمصافحة. رأى «هارى» «مونتاج» يحاول تحطيم أصابع «أنجيلينا»، وإن لم تطرف عيناها.. «امتطوا مقشاتكم..».

وضعت مدام «هوش» صفارتها فى فمها وصفرت.

انطلقت الكرات الأربع والأربعة عشر لاعبًا محلقين فى السماء. بطرف عينه رأى «هارى» «رون» وهو يطير متجهًا إلى المرمى الثلاثى. طار «هارى» إلى ارتفاع أعلى، متفاديًا كرة «بلادجر»، ثم دار فى دورة واسعة حول الملعب، ناظرًا حوله، باحثًا بعينيه عن لمحة من اللون الذهبى لكرة «السنيتش». وعلى الجانب الآخر من الإستاد كان «دراكو مالفوى» يفعل المثل.

«جونسون معها الكرة.. جونسون معها الكوافل. يا لها من لاعبة بارعة هذه الفتاة. منذ سنوات وأنا أقول لها هذا وهى لا تريد إلى الآن الخروج معى».

صاحت الأستاذة «مكجونجال»: «جوردن».

«.. بعض المعلومات تضيف الإثارة على المباراة يا أستاذة. وها هى أنجلينا تتفادى وارنجتون، وتُرقِص مونتاج. أوه.. لا.. ضربتها كرة بلادجر صوبها إليها كراب من الخلف.. مونتاج معه الكوافل. مونتاج يمشى، يتجه نحو الملعب.. ياه.. تصويبة بلادجر رائعة يا جورج ويسلى، أصابت البلادجر رأس مونتاج. سقطت الكوافل. تمسكها كاتى بيل. كاتى بيل تمرر الكرة إلى أليشيا سبينيت، وسبينيت معها الكرة..».

دوى تعليق «لى جوردن» فى الإستاد و«هارى» يستمع إليه بحرص والرياح تتداخل معه فى أذنيه، ومعها هتافات الجمهور، والجميع يصيحون ويغنون.

«.. ترقص وارنجتون، وتتفادى بلادجر. هيا يا أليشيا.. والجمهور فرحان.. لكن ما هذه الأغنية يا جمهور؟».

ومع توقف «لى» عن التعليق ليسمع الغناء، ارتفع صوت الأغنية وبدا واضحًا أنها آتية من بين مدرجات جمهور «سليذرين» المصطبغ باللونين الأخضر والفضى من المدرجات:

«ويسلى لا يعرف الصد
ولا يقدر يصد نملة بتعض»
ولهذا كل سليذرين يغنون ويقولون:
«ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زبالة)

ويسلى مولود فى حظيرة

ودائماً يفوت الكرة من بين أقدامه الطويلة
ويسلى البس جلباب
يا ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)».

«.. وأليشيا تمرر الكرة إلى أنجلينا». أخذ «لى» يصيح.. شعر «هارى» بالغضب الشديد لما سمعه، وعرف أن «لى» يحاول التغطية على الكلمات: «هيا يا أنجلينا.. رقصى يا أنجلينا، أنجلينا وبلتشلى.. أنجلينا وبلتشلى أنجلينا و(الجون).. صوبى يا أنجلينا.. أنجلينا تصوب الكرة.. و.. أهههه.. صد «بلتشلى» الكرة، ومررها إلى «وارنجتون» الذى انطلق بها متفادياً «أليشيا» و«كاتى».. أخذ الغناء يرتفع ويرتفع من المدرجات وهو يقترب من «رون».

«ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)
ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)
ويسلى البس (جلباب)
ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)».

لم يتمكن «هارى» من التحكم فى نفسه، تخلى عن بحثه عن كرة «السنيتش»، وأدار مقشته «الفايربولت» تجاه «رون» ليراقبه، فرآه واقفاً بقامته الطويلة عند الطرف البعيد من الملعب، وهو معلق أمام المرمى الثلاثى و«وارنجتون» الهائل الحجم يطير بسرعة كبيرة تجاهه.

«.. وارنجتون معه الكوافل، وارنجتون يتجه للمرمى، خرج من نطاق الإصابة بكرات البلادجر، وارنجتون و(الجون)..».

ارتفع غناء «سليذرين» إلى حد غير مسبوق.

«ويسلى لا يعرف الصد
ولا يقدر يصد نملة بتعض».

«.. الاختبار الحقيقى الأول لحارس مرمى جريفندور ويسلى، شقيق لاعبى

الضارب فريد وجورج، وهو موهبة صاعدة واعدة فى الفريق.. هيا يا رون.. بن إمبراطوريتك بفلسفتك الخاصة».

لكن صيحة الفرح جاءت هذه المرة من مدرجات «سليذرين».. فقد طار «رون» لأسفل بحدة، فاتحاً ذراعيه، ومرت الكرة من بينهما لتدخل فى المرمى الأوسط.

جاء صوت «لى» من بين الصيحات والهتافات المشجعة والحزينة: «هدف سليذرين.. لتصبح النتيجة عشرة صفر لصالح سليذرين.. حظك سيئ يا رون.. ولا يهمك يا بنى».

ارتفعت أصوات الغناء من مدرجات «سليذرين»:

«ويسلى مولود فى حظيرة
ودائما يفوت الكرة من بين أقدامه الطويلة».

«.. الكرة مع جريفندور.. مع كاتى بيل.. كاتى بيل تتقدم..» أخذ «لى» يصيح بحماس واستبسال محاولاً التغطية على الأغنية التى صارت تصم الآذان، فكاد لا يسمع صوته نفسه.

«ويسلى البس جلباب
ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)».

صرخت «أنجلينا»: «هارى.. ماذا تفعل؟» وهى تمر إلى جواره لتتقدم إلى جوار «كاتى».. «هيا العب».

أدرك «هارى» أنه معلق فى الهواء منذ دقيقة يراقب تقدم المباراة دون التفكير فى معرفة مكان «السنيتش».. وهو مذعور من اكتشافه هذا، طار معلقاً فى سماء الملعب على ارتفاع عالٍ ثانية، هو ينظر حوله محاولاً تجاهل الأغنية التى تدوى كالرعد فى الإستاد:

«ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)
ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)».

لم يعثر على أثر لكرة «السنيتش» وهو ينظر حوله. كان «مالفوى» لا يزال محلقًا فى سماوات الملعب. وأخذ يدور حول الإستاد مرًا إلى جوار أحدهما الآخر فى الهواء، وهما يطيران فى اتجاهين متضادين، فسمع «هارى» «مالفوى» وهو يغنى بأعلى صوته:

«ويسلى مولود فى حظيرة».

«.. وها هو وارنجتون. يمرر الكرة لبوسى، بوسى يُرقّص سبينيت، هيا يا أنجيلينا، خذيها منه. لكنها لا تقدر. آه. ضربة بلادجر جميلة من فريد ويسلى، أعنى من جورج ويسلى، هف، من يهتم.. من أحدهما. الكرة تسقط من وارنجتون. تمسكها كاتى. آ. تسقطها هى الأخرى.. تصل الكرة لمونتاج كابتن سليذرين، مونتاج يأخذ الكرة ويطير نحو المرمى، هيا يا جريفندور، امنعوه من الوصول يا رجال».

طار «هارى» حول الإستاد من خلف مرمى «سليذرين»، محاولاً ألا ينظر إلى ما يجرى عند مرمى «رون». ومع طيرانه إلى جوار مرمى «سليذرين» سمع حارس المرمى «بلتشلى» يغنى مع الجمهور:

«ويسلى البس جلباب».

«.. بوسى يُرقّص أليشيا ثانية، ويتجه إلى المرمى.. أوقفه يا رون».

لم يخاطر «هارى» للنظر ليعرف ما جرى. سمع صوت امتعاض جماعى من مدرجات «جريفندور»، ومعه تهليل وهتاف مشجعى «سليذرين». وهو ينظر للأسفل وجد «بانسى باركنسون» وقد أعطت ظهرها للملعب وأخذت تلوح بيديها كالمايسترو أمام مشجعى «سليذرين» الذين يغنون:

«ولهذا كل سليذرين يغنون ويقولون:
ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)».

لكن نتيجة (عشرين صفر) ليست بالنتيجة الثقيلة. كان أمام «جريفندور» الكثير من الوقت للتعويض، أو للإمساك بكرة «السنيتش». طمأن «هارى» نفسه وهو يطير إلى جوار اللاعبين مطاردًا شيئًا لامعًا ظهر أمامه منذ لحظة، ليتضح أنها ساعة يد «مونتاج» وقد انعكست عليها الشمس.

لكن دخل فى «رون» هدفان آخران. امتزجت رغبة «هارى» فى العثور على «السنيتش» بإحساس بالذعر أو لو تمكن من الإمساك بها وإنهاء المباراة بسرعة!

«.. كاتى بيل من جريفندور ترقّص بوسى، وترقص مونتاج، يا سلام يا كاتى، (يقصد) بدرجة قديرة يا بنتى. وتمرر الكرة لجونسون.. أنجيلينا جونسون تتقدم. هيا يا أنجيلينا، الله يا أنجيلينا.. ماذا أقول فيك يا أنجيلينا. هدف لجريفندور. أربعون عشرة، أربعون عشرة لسليذرين. وبوسى أمسك بالكرة..».

سمع «هارى» زئير أسد «لونا» من بين مدرجات «جريفندور» فشعر بالتحسن. الفرق ثلاثون نقطة فقط ليست بالكثير، يمكنهم التعادل بسهولة. تفادى «بلادجر» صوبها «كراب» نحوه وعاود بحثه المحموم عن «السنيتش»، وعينه على «مالفوى»، فى حالة رؤيته لملامح الظفر على وجهه إن رأى «السنيتش». لكن «مالفوى» - مثله - أخذ يحلق حول الإستاد، باحثًا بلا جدوى.

«.. بوسى يمرر الكرة لوارنجتون، وارنجتون لمونتاج، من مونتاج لبوسى. جونسون تقطع الكرة، ومن جونسون إلى بيل، لعبة جميلة، أقصد لعبة سيئة، أصابت بلادجر بيل، صوبها إليها جويل من سليذرين، والكرة مع بوسى ثانية..».

«ويسلى مولود فى حظيرة
ودائمًا يفوت الكرة من بين أقدامه الطويلة
ويسلى البس جلباب..».

لكن «هارى» رآها أخيرًا. كرة «السنيتش» الذهبية المرفرفة بجناحيها واقفة على ارتفاع قدم واحد من طرف «سليذرين» من الملعب.

طار إلى الأسفل بسرعة.

خلال ثوان قليلة طار «مالفوى» بسرعة محلقًا إلى يسار «هارى»، كالسهم الأخضر الفضى المنقض من فوق مقشة طائرة.

طارت «السنيتش» إلى جوار إحدى قوائم المرمى، ورفرفت تجاه الجانب الآخر من الملعب، فجاء تغييرها لاتجاهها مناسبًا لـ«مالفوى»، والذى بات الأقرب لها. أدار «هارى» مقشته، فأصبح هو و«مالفوى» على خط واحد.

على ارتفاع أقدام من الأرض. رفع «هاري» يده اليمنى من فوق المقشة ومدها تجاه «السنيتش»، ورأى بعينيه وجد ذراع «مالفوي» ممدودة تحاول إمساكها.

انتهى الأمر في لحظات قصار. التفت أصابع «هاري» حول الكرة الصغيرة التي أخذت تقاومه. وخدشت أصابع «مالفوي» ظهر يده بيأس. رفع «هاري» مقشته إلى أعلى، وهو ممسك بالكرة المشاغبة في يده، فانطلقت هتافات وصرخات مشجعي «جريفندور» الظافرة.

انتصروا. لا يهم الأهداف التي دخلت في مرمى «رون»، فلا أحد سيتذكرها طالما فاز «جريفندور».

طاخ

ضربت كرة «بلادجر» «هاري» في ظهره، فسقط من فوق مقشته. من حسن حظه أنه كان على ارتفاع منخفض، بعد أن هبط للإمساك بكرة «السنيتش». لكنه أصيب على أية حال بعد أن سقط على ظهره فوق العشب المتجمد الملعب. سمع صفارة مدام «هوش» الحادة، وسمع صوت اهتياج شديد في المدرجات، بين الاستهجان والسخرية والغضب، ثم صوت «أنجيلينا» المذعور «هل أنت بخير؟»

قال بتجهم: «بالطبع بخير» وهو يأخذ بيدها ويتركها ترفعه على قدميه. اقتربت مدام «هوش» من أحد لاعبي «سليذرين» فوقه، وإن لم يقدر على تمييزه من هذه الزاوية.

قالت «أنجيلينا» بغضب: «كان ذلك الثور كراب. ضربك بالبلادجر لحظة شاهدك وكرة السنيتش معك.. لكننا انتصرنا يا هاري. فزنا».

سمع ضحكة قصيرة ساخرة من خلفه، وهو مازال ممسكًا بالكرة في يده، رأى «دراكو مالفوي» يحط إلى جواره. وجهه أبيض من الغضب، وإن كان قد تمكن من رسم ابتسامة على شفتيه.

قال لـ«هاري»: «أنقذت ويسلي، أليس كذلك؟ لم أر حارس مرمى أسوأ منه في حياتي.. لكن ماذا نقول وهو مولود في حظيرة؟ هل أعجبتك كلمات الأغنية يا بوتر؟»

لم يجبه «هاري». التفت بعيدًا لملاقاة باقي الفريق وهم يحطون على الأرض واحدًا تلو الآخر، وهم يتصايحون ويضربون الهواء بقبضاتهم ظافرين.. جميعهم إلا «رون»، الذي ترجل عن مقشته تحت المرمى، وسار متجهًا إلى حجرة تبديل الملابس وحده.

قال «مالفوي»، ثانية و«كاتي» و«أليشيا» تعانقان «هاري»: «أردنا كتابة مقطعين آخرين من الأغنية.. لكن لم نجد القافية المناسبة لتلك السيدة البدينة القبيحة.. أردنا الغناء لأمه..».

قالت «أنجيلينا» وهي تنظر إلى «مالفوي» نظرة احتقار: «يا للحقد».

«.. ولم نجد كلمات مناسبة للوزن عن والده. ذلك الفاشل عديم النفع..».

أدرك «فريد» و«جورج» ما يتحدث عنه «مالفوي». وهما يصافحان «هاري». تجمدا في مكانهما، ونظرا إليه.

قالت «أنجيلينا» على الفور وهي تمسك بذراع «فريد»: «اتركاه. دعه يا فريد، اتركه يتصرف كالبنات، إنه حزين على خسارته ويولول. هذا المرصار الـ..».

قال «مالفوي» ساخرًا: «.. لكنك تحب آل ويسلي يا بوتر. أليس كذلك؟ ألست تقضي عطلاتك معهم؟ ألا ترى أنهم مقرفون؟ لكن لا أعتقد أنك سترى هذا وأنت تربية العامة، حتى رائحة ويسلي بالمقارنة بهم رائعة..».

أمسك «هاري» بيد «جورج»، بينما أحاطت «أنجيلينا» و«أليشيا» و«كاتي» بـ«فريد» لمنعه من القفز على «مالفوي»، الذي أخذ يضحك.

نظر «هاري» حوله باحثًا عن مدام «هوش». لكنها كانت لاتزال توبخ «كراب» على تصويب كرة «البلادجر» تصويبة غير قانونية بعد انتهاء المباراة.

قال «مالفوي» ضاحكًا وهو يتراجع: «أو ربما تتذكر كيف كانت رائحة منزل أمك عطنة يا بوتر.. ربما تذكرك رائحة حظيرة خنازير ويسلي برائحتها..».

لم يدرك «هاري» تركه ذراع «جورج». كل ما عرفه أنه بعد ثانية كان كلاهما في طريقهما إلى «مالفوي». نسي تمامًا وجود المدرسين الذين يراقبون ما يجري.. كل ما أراده هو إيذاء «مالفوي» وإشعاره بالألم قدر استطاعته، ومع غياب الوقت الكافي لإشهاره عصاه ضم أصابعه المحيطة بكرة «السنيتش» في قبضة قوية وغاص بها بما يملك من قوة في بطن «مالفوي».

«هاري. هاري. جورج. لا».

سمع صرخات البنات، وصراخ «مالفوي» وسباب «جورج»، وصوت صفارة، وتجمع الناس حوله، لكنه لم يهتم. فقط عندما صاح أحدهم: «إمبديمنتا» وسقط على ظهره بفعل التعويذة، تخلى عن محاولة لكم كل بوصة يصل إليها من جسد «مالفوي».

صرخت مدام «هوش»: «ماذا تفعل؟» و«هاري» يهب على قدميه. بدا أنها هي من ضربته بالتعويذة. وقفت ممسكة بصفارتها في يد والعصا السحرية في اليد الأخرى. تكوم «مالفوي» على الأرض، وهو يتأوه ويئن، وأنفه ينزف الدماء. أما «جورج» فقد أخذ يضمد شفته المتنفخة، و«فريد» مازال ممسوكًا من جانب المهاجمات الثلاث. «لم أر سلوكًا مثل هذا قط. عودا إلى القلعة وإلى مكتب قائد الفرقة المدرسية فورًا».

دار «هاري» و«جورج» على عقبيهما وغادرا الملعب، وكلاهما يلهث من دون أن ينطقا بكلمة. صار صياح وهتافات الجمهور أخفت وأخفت مع وصولهم إلى القاعة الأمامية، حيث لم يتمكنا من سماع أصوات سوى صوت أقدامهما. عرف «هاري» أن هناك ما يكافح للخروج من يده اليمنى، والتي كانت مفاصل الأصابع بها مجروحة من ضربه لفك «مالفوي». نظر ليده فوجد أجنحة كرة «السنيتش» الفضية بارزة من بين أصابعه، وهي تكافح للفرار.

ما كادا يصلان إلى باب حجرة الأستاذة «مكجونجال» حتى جاءت من خلفهما. كانت ترتدي وشاح «جريفندور»، لكنها خلعته من فوق رقبتها بيد تهتز غضبًا وهي تقترب منهما.

قالت بغيظ شديد مشيرة إلى الباب: «ادخلا». دخل «هاري» و«جورج». دارت حولهما إلى مكتبها وواجهتهما، وهي ترتجف من الغضب ألقت بوشاح «جريفندور» على الأرض.

قالت: «يا للعار! لم أر في حياتي تصرفًا أكثر همجية من هذا. أنتما الاثنان. اشرحا سبب ما فعلتماه».

قال «هاري» بجمود: «لقد استفزنا مالفوي».

صاحت الأستاذة «مكجونجال» وهي تضرب بقبضة يدها على المكتب، فانفتحت علبة الحلوى وتساقطت منها قطع الحلوى على الأرض: «استفزكما؟ لقد خسر، أليس كذلك؟ وبالطبع الخاسر يسعى لاستفزاز الرابح. لكن ماذا قال بحق السماء ويكفي لاستفزازكما؟..».

صاح «جورج»: «لقد أهان أبوي، وأم هاري».

«آه.. وبدلاً من اللجوء لمدام هوش للشكوى، قررتما الاستعراض باستخدام أساليب العامة في الشجار. أليس كذلك؟ هل لديكما أدنى فكرة عن..».

«إحم إحم».

دار كل من «هاري» و«جورج» على عقبيهما. كانت «دولوريس أمبريدج» واقفة عند مدخل الباب ملفوفة في عباءة خضراء جعلتها فعلاً شديدة الشبه بالضفدع العملاقة، وهي تبتسم ابتسامتها المريضة الرهيبة التي صارت بالنسبة إلى «هاري» مرادفًا للتعاسة.

تساءلت الأستاذة «أمبريدج» بصوتها الحلو السام: «هل بإمكاني مساعدتك يا أستاذة مكجونجال؟». احتقنت الدماء في وجه الأستاذة «مكجونجال».

قالت بصوت مختنق: «مساعدتي؟ ماذا تعنين بمساعدتي؟».

تقدمت الأستاذة «أمبريدج» إلى الأمام داخل المكتب، وهي مازالت مبتسمة ابتسامتها المثيرة للغثيان.

«ماذا؟ كنت أحسبك ستفرحين بمنحي إياك المزيد من السلطة».

ما كان «هاري» ليندهش لو رأى شرارات من اللهب تخرج من فتحتي أنف الأستاذة «مكجونجال».

قالت وهي تعطي «أمبريدج» ظهرها: «ظنك خاطئ». ثم خاطبتهما قائلة: «اسمعاني جيدًا أنتما الاثنان، لا يهمني الاستفزازات التي وجهها إليكما مالفوي، ولا يهمني إن كان قد أهان كل عضو في أسرتيكما. إن سلوككما خاطئ، وسأعطي كلا منكما أسبوعًا من الاحتجاز. لا تنظر إليّ هكذا يا بوتر، أنت تستحق العقاب. وإن حاول أيكما أن..».

«إحم إحم».

أغمضت الأستاذة «مكجونجال» عينيها كأنها تدعو الله سائلة الصبر وهي تلتفت لمواجهة الأستاذة «أمبريدج» ثانية. «أية خدمة؟».

قالت «أمبريدج» وابتسامتها تتسع: «أعتقد أنهما يستحقان أكثر من الاحتجاز».

انفتحت عينا الأستاذة «مكجونجال» على آخرهما، وقالت في محاولة فاشلة للابتسام: «لسوء الحظ أنهما في الفرقة المدرسية التي تقع تحت سلطتي يا دولوريس».

قالت الأستاذة «أمبريدج»: «حسنًا يا مينرفا.. سترين من له السلطة هنا.. والآن.. أين الورقة؟ لقد أرسلها كورنلياس لتوه.. أعني» ضحكت ضحكة قصيرة زائفة وهي تعبث بحقيبتها.. «أعني أن سيادة الوزير أرسلها لتوه.. آه.. ها هي..».

أخرجت رقعة من الورق فضتها بسرعة ثم سعلت قبل أن تبدأ في القراءة: «إحم إحم.. الفرمان التعليمي رقم (٢٥)».

قالت الأستاذة «مكجونجال» متعجبة بلهجة عنيفة: «غير معقول.. فرمان آخر؟».

قالت الأستاذة «أمبريدج» وهي مازالت تبتسم: «أجل.. في الواقع يا ميترفا إنك أنت من جعلت هذا التعديل مطلوبًا.. هل تتذكرين حين تعديت سلطاتي عندما كنت غير راغبة في التعاون في مسألة إعادة تشكيل فريق جريفندور للكويدتش؟ وكيف أبلغت «دمبلدور» بالأمر؟ وصمم هو على السماح للفريق باللعب؟ المهم.. اتصلت بالسيد الوزير بعدها على الفور، ووافق فورًا على أن للمفتشة العليا الحق في نزع الامتيازات عن الطلبة، ولا تكون سلطاتها - أعني سلطاتي - أقل من المعلمين العاديين! وكما ترين الآن يا ميترفا كم كنت حكيمة في محاولتي إعاقة إعادة تشكيل فريق جريفندور.. يا لأعصابهم الثائرة دومًا.. المهم.. كنت على وشك قراءة الورقة.. إحم إحم..».

«للمفتشة العليا السلطة المطلقة والعليا في كل شئون العقاب، ونزع الامتيازات عن طلبة هوجورتس، والحق في تغيير أوامر العقاب.. توقيع كورنيلياس فادج، وزير السحر، الحاصل على وسام مرلين من الدرجة الأولى.. إلخ.. إلخ.. إلخ».

لفت الورقة وأعادتها إلى حقيبتها دون أن تفارقها الابتسامة.

قالت ناقلة بصرها بين «هاري» و«جورج»: «أرى الآن أن عليّ منع هذين اللاعبين من لعب الكويدتش ثانية».

شعر «هاري» بكرة «السنيتش» تقاومه وتحاول الفرار كما لم تفعل من قبل.. قال شاعرًا بصوته بعيدًا عنه كأنه لا ينتمي إليه: «تمنعيننا؟ من اللعب؟».

قالت «أمبريدج» وابتسامتها تتسع وهي تراقبه يحاول استيعاب ما تقوله: «أجل يا سيد بوتر، أرى أن حظركما من اللعب مدى الحياة هو ما تستحقانه أنت والسيد ويسلي. وأرى - كمزيد من الأمان - إيقاف توأم هذا الشاب عن اللعب أيضًا.. فإن لم يقدر زملاؤه على منعه، كان ليهاجم السيد «مالفوي» الصغير. سأصادر مقشاتكم بالطبع، وسأبقيها في مكتبي؛ لأضمن عدم تسربها إليكم من أحد» ثم أضافت مواجهة الأستاذة «مكجونجال» الواقفة

بلا حراك تتأمل من النافذة كتل الثلج المنهمرة: «أما باقي الفريق فسيُسمح له بالاستمرار في اللعب، فأنا لا أرى أية أمارات للعنف على أيهم. تصبحون على خير جميعًا».

بنظرة ظافرة راضية، غادرت «أمبريدج» الحجرة تاركة صمتًا رهيبًا خلفها.

•••

قالت «أنجيلينا» بصوت مليء بالحسرة ليلاً في حجرة الطلبة: «محظور عليكم اللعب؟ محظور عليكم اللعب؟ أصبحنا بلا لاعب قناص السنيتش وبلا لاعبي المضارب.. ماذا سنفعل الآن يا ربي؟».

بدا كأنهم لم يكسبوا المباراة بالمرة. أينما نظر «هاري» وجد وجوهًا غاضبة تتطلع إليه.. أعضاء الفريق أنفسهم كانوا متجمعين حول المدفأة، جميعهم عدا «رون»، الذي لم يره منذ نهاية المباراة.

قالت «أليشيا» بنبرة مخدرة: «هذا ليس عدلاً.. أعني.. وماذا عن كراب والبلادجر التي ضربها بعد انتهاء المباراة؟ هل حظرت عليه اللعب هو الآخر؟».

قالت «جيني» بتعاسة: «لا.. كل ما حدث أنهم فرضوا عليه الكتابة قليلاً للعقاب.. سمعت مونتاج يضحك ساخرًا من تفاهة العقاب». كانت هي و«هيرميون» جالستين إلى جانبيّ «هاري».

قالت «أليشيا» بغيظ وهي تضرب ركبتها بقبضتها: «وحظروا على فريد اللعب أيضًا من دون أن يفعل أي شيء».

قال «فريد» ونظرة قبيحة مرتسمة على وجهه: «ليت غلطتي أنني لم أفعل أي شيء.. لو كنت قد وصلت لهذا الحثالة كنت سأسحقه، لولا أن ثلاثتكن أمسكتن بي».

نظر «هاري» بتعاسة إلى النافذة المظلمة. كان الثلج يتساقط.. أخذت كرة «السنيتش» التي أمسكها في المباراة تطير حولهم في الحجرة، والتلاميذ يراقبونها كأنهم منومين مغناطيسيًا، و«كروكشانكس» يتقافز من مقعد إلى مقعد محاولاً الإمساك بها.

قالت «أنجيلينا» وهي تنهض ببطء: «سأصعد لأنام، ربما أفيق من نومي فلا أجد أن ما جرى حلم مزعج، ربما أستيقظ لأجد أننا لم نلعب بعد..».

سرعان ما تبعتها «أليشيا» و«كاتي».. بعد قليل ذهب «فريد» و«جورج» إلى جناح النوم هما الآخران، وهما يزمجران في مواجهة كل من يقابلهما،

وبعدما صعدت «جيني» إلى جناح البنات، لم يبق سوى «هاري» و«هيرميون» إلى جوار المدفأة.

تساءلت «هيرميون» بصوت خفيض: «هل رأيت رون؟».

هز «هاري» رأسه نفيًا.

قالت «هيرميون»: «أعتقد أنه مختبئ منا. أين عساه يكون..؟».

في تلك اللحظة سمعوا صرير فتحة الباب من خلف لوحة السيدة البدينة ودلف «رون» إلى الحجرة. كان شديد الشحوب، وبعض الثلج في شعره. عندما رأى «هاري» و«هيرميون» تجمد في مكانه.

قالت «هيرميون» بقلق وهي تنهض: «أين كنت؟».

غمغم «رون» وهو مازال مرتديًا زي فريقه: «كنت أمشي».

قالت «هيرميون»: «تبدو متجمدًا من البرد.. تعال واجلس».

سار «رون» إلى النيران وقطن في أبعد مقعد عن «هاري»، دون أن ينظر إليه.. وكرة «السنيتش» ترفرف فوق رءوسهم.

غمغم «رون» ناظرًا إلى قدميه: «أنا آسف». قال «هاري»: «علام أسفك؟».

«لأنني ظننت أن بإمكاني لعب الكويدتش. سأعتزل من الفريق صباح الغد».

قال «هاري»: «إن اعتزلت لن يبق سوى ثلاثة لاعبين في فريقنا». وعندما لاح التعجب على وجه «رون» أضاف: «لقد حُظر عليَّ اللعب مدى الحياة.. وكذا فريد وجورج». صاح «رون»: «ماذا؟!».

أخبرته «هيرميون» بالقصة كاملة.. لم يتحمل «هاري» سماعها ثانية عندما انتهت بدا «رون» أكثر ألمًا من أي وقت مضى.

«كل هذا خطئي..».

قال «هاري» بغضب: «أنت لم تجعلني ألكم مالفوي».

«.. إن لم أكن لاعبًا سيئًا في الكويدتش..».

«.. ليس للأمر علاقة بك».

«.. كانت تلك الأغنية هي ما جرحتني...».

«.. كانت لتجرح أي شخص يسمعها».

نهضت «هيرميون» وسارت إلى النافذة، بعيدًا عن الجدال، وأخذت تراقب الثلج وهو يتساقط بالخارج

انفجر «هاري» فيه قائلاً: «انتظر. انس الأمر. المسألة لا تحتمل لومك نفسك على كل ما حدث».

لم يقل «رون» شيئًا، بل استمر في التحديق بتعاسة في طرف عباءته المبتلة. بعد برهة من الصمت قال بصوت خامل: «لم أشعر بهذا الإحساس الفظيع في حياتي من قبل».

قال «هاري» بسخرية لاذعة: «مرحبًا بك في نادي التعساء».

قالت «هيرميون» وصوتها يرتجف قليلاً: «أرى أن هناك شيئًا ما قد يبهجكما».

قال «هاري» بسخرية: «حقًا؟».

قالت «هيرميون» وهي تلتفت إليهما مديرة بصرها بعيدًا عن النافذة المظلمة وابتسامة واسعة على شفتيها: «حقًا. لقد عاد هاجريد».



٢٠ حكايـة هاجـريـد

هرول «هارى» إلى جناح نوم الأولاد ليجلب عباءة الإخفاء والخريطة السحرية من حقيبته. كان سريعًا لدرجة أنه و«رون» كانا مستعدين للخروج قبل خمس دقائق من عودة «هيرميون» من جناح البنات، مرتدية وشاحًا وقفازًا، وواحدة من قبعات الأقزام التى تصنعها.

قالت بنبرة دفاعية و«رون» يطرقع بلسانه بصبر نافد: «الطقس بارد بالخارج».

تسللوا من فتحة اللوحة وغطوا أنفسهم بسرعة بالعباءة. أصبح «رون» أطول كثيرًا عن آخر مرة تجمعوا تحتها، لدرجة أنه سار منحنيًا؛ حتى لا تظهر قدماه من تحت العباءة.. ثم وهم يتحركون ببطء وحذر تقدموا هابطين العديد من السلالم، متوقفين بين الحين والآخر للتحقق من علامات «فيلش» والآنسة «نوريس» على الخريطة. كانوا محظوظين، لم يروا أحدًا سوى «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا»، وكان يتغنى بشىء، كأنه أغنية: «يسلى يا ملك». مروا عبر القاعة الأمامية، وإلى الظلام الثلجى الصامت بالخارج. وبإحساس غامر بالسرور رأى «هارى» الضياء يشع من النوافذ والدخان يتصاعد من مدخنة كوخ «هاجريد». سار بسرعة والآخران من خلفه يحاولان اللحاق به.. حتى وصلوا إلى الباب الخشبى. عندما رفع «هارى» قبضته وطرق الباب ثلاث مرات، بدأ كلب فى النباح بحماس من الداخل.

قال «هارى» عبر ثقب المفتاح: «هاجريد.. لقد جئنا».

قال صوت أجش: «كان يجب أن أعرف».

تبادلوا الابتسام تحت العباءة، واضح أن سماع صوت «هاجريد» سرهم «حضرت للمنزل منذ مزلاز زوانى.. ابتعد عن طريقى يا فانج.. ابتعد أيها الكلب (الكزول)[1]..».

انجذب مصراع الباب، وانفتح بصوت صرير، ليظهر «هاجريد» من خلفه. صرخت «هيرميون».

(١) يقصد «هاجريد» قول الكلب الكسول، لكن عنده بعض المشكلات فى النطق أوضحناها سابقًا، أرجو أن تقدر على تحملها لأنه سيتحدث كثيرًا. (المترجم)

قال «هاجريد» بسرعة محدقًا بفزع إلى ما خلفهم: «بحق لحية مرلين، (اظهروا) (أظهرانكم).. هل أنتم تحت العباءة؟ ادخلوا (بزرعة)».

شهقت «هيرميون» قائلة وثلاثتهم يدخلون إلى البيت ويخلعون العباءة عنهم: «آسفة.. أنا.. فقط.. هاجريد».

قال «هاجريد» بسرعة: «لا يهم لا يهم.. إنها (ظابة) (بزيطة)»، وهو يغلق الباب من خلفهم ويسارع بإغلاق الستائر، لكن «هيرميون» لم تنزل عينيها عنه وهى تحدق فيه برعب.

كان شعر «هاجريد» مختلطًا بالدماء المتجمدة، وعينه اليسرى لم تعد سوى شق صغير وسط ما يشبه كتلة من الكدمات السوداء والبنفسجية. كان هناك الكثير من الجروح على وجهه ويديه، وبعضها مازال ينزف. أخذ يتحرك بحرص، مما جعل «هارى» يرتاب فى انكسار بعض ضلوعه. كان من الواضح أنه قد وصل للبيت منذ قليل، مع وجود معطف أسود سميك خاص بالسفر والارتحال ملقى على مسند المقعد، وجوال كبير بما يكفى لحمل عدة أطفال يستند إلى الحائط. أما «هاجريد» ـ بطوله الذى يصل لضعف طول الإنسان العادى ـ فقد اقترب من المدفأة ووضع براد شاى نحاسيًا على النيران.

سأله «هارى»: «ماذا حدث؟»، بينما «فانج» يتقافز حولهم، محاولاً لعق وجوههم.

قال «هاجريد» بحزم: «قلت لك لا شىء.. تشرب شايًا؟».

قال «رون»: «لا تُخف عنا، أنت فى حالة صعبة».

قال «هاجريد»: «قلت لك إننى بخير»، وهو يستقيم فى وقفته ويبتسم لهم جميعًا، لكنه أجفل من الألم وهو يقول: «يا (زلام).. (يزعدنى) رؤيتكم جميعًا.. هل قضيتم (ظيفًا) طيبًا؟».

قال «رون»: «هاجريد.. لقد هاجمك شىء ما».

قال «هاجريد» بصرامة: «للمرة الأخيرة.. لم يحدث شىء».

سأله «رون»: «هل ستقول إن شيئًا لم يحدث لو رأيت أحدنا وقد تحول وجهه إلى قطعة من اللحم المفرى؟».

قالت «هيرميون» بقلق: «عليك الذهاب لمدام بومفرى يا هاجريد.. بعض هذه الجروح خطيرة».

قال «هاجريد» بنبرة من يريد صد الاحتجاجات: «أنا أتعامل مع الجروح كما يجب».

مشى إلى المائدة الخشبية الكبيرة فى منتصف الكوخ، ورفع منشفة مطبخ صغيرة كانت عليها. كان تحتها قطعة لحم نيئ بدمها الأحمر المخضر، أكبر قليلاً من إطار السيارة.

قال «رون» مائلاً للأمام ليلقى نظرة أقرب: «هل ستأكل هذه يا هاجريد؟ تبدو سامة».

قال «هاجريد»: «هكذا شكلها.. فهى لحم التنين.. ولم أحضرها لآكلها».

أمسك بقطعة اللحم وألقى بها على جانب وجهه الأيسر. تساقط الدم المشوب بالاخضرار على لحيته وهو يتأوه شاعرًا بالرضا.

«هكذا أفضل. فهى (تساعد) على تخفيف الألم».

سأله «هارى»: «إذن ألن تخبرنا بما جرى لك؟».

«لا أقدر يا هارى. إنه موضوع شديد (الزرية). ولا أقدر على إخباركم».

سألته «هيرميون» بهدوء: «هل ضربك العمالقة يا هاجريد؟».

تركت أصابع «هاجريد» قطعة لحم التنين فسقطت على صدره.. قال وهو يمسك باللحم قبل أن يصل لحزامه ويعيده إلى وجهه: «عمالقة؟ ومن أخبرك بذهابى للعمالقة؟ من (يتحدث) فى هذا الموضوع؟ من قال لكم إننى ذهبت إلى.. من قال إننى..؟». فقالت «هيرميون» بنبرة اعتذار: «نحن خمنا هذا».

قال «هاجريد» وهو يمسحها بحزم بعينه التى لم تكن مختفية تحت قطعة اللحم: «حقًا؟ هل خمنتم هذا؟».

قال «رون»: «المسألة.. المسألة واضحة»، ووافقه «هارى» بإيماءة من رأسه.

حدق «هاجريد» فيهم، ثم ألقى بقطعة اللحم على المائدة واتجه إلى براد الشاى الذى أخذ يصفر.

غمغم وهو يصب الماء المغلى فى ثلاثة أكواب كل منها بحجم الدلو: «لم أعرف أبدًا أولادًا (مثلكم)، فأنتم تعرفون (أكثر) من المفترض معرفته.. بالفضولكم وتدخلكم فى كل شيء». لكن لحيته اهتزت.

قال «هارى» مبتسمًا وهو يجلس إلى المائدة: «إذن فقد ذهبت إلى العمالقة؟».

وضع «هاجريد» الشاى أمام كل منهم، وجلس، والتقط قطعة اللحم ثانية ليلقى بها على وجهه، وقال: «أجل.. فعلاً.. ذهبت إليهم».

قالت «هيرميون» بصوت خفيض: «وهل وجدتهم؟».

قال «هاجريد»: «فى الواقع (ليس) من (الصعب) (العثور) عليهم.. فهم هائلو الحجم».

قال «رون»: «وأين هم؟».

قال «هاجريد» محاولاً ألا يقدم الكثير من المعلومات: «فى الجبال».

«إذن لماذا لا يجدهم العامة و..؟».

قال «هاجريد» بغموض: «بل يفعلون.. لكن دائمًا ما (يفترضون) موت من يلقى حتفه فى الجبال على أن (حادث) وقع له.. (أليس) كذلك؟».

عدل من وضع اللحم قليلاً على وجهه حتى يغطى أسوأ جزء من الجرح.

قال «رون»: «أخبرنا يا هاجريد ماذا فعلت.. أخبرنا عن هجوم العمالقة، وسيخبرك هارى عن هجوم الديمنتورات..».

سعل «هاجريد» فى كوبه وأسقط قطعة اللحم فى نفس الوقت.. تناثر منه رذاذ، والشاى، ودم التنين على المائدة، وهو يسعل، وسقطت قطعة اللحم بصوت مسموع على الأرض: «ماذا قلت؟ هجوم ديمنتورات؟».

سألته «هيرميون» بعيون واسعة: «ألم تعرف؟».

«لا أعرف أى شيء منذ غادرت. كنت فى مهمة (زرية) ولم أكن راغبًا فى مطاردة البوم لى أينما ذهبت.. بالديمنتورات الوقحة! هل أنتم جادون؟».

«أجل.. ظهروا فى ليتل ويننج، هاجمونى أنا وابن خالتى، ثم فصلتنى وزارة السحر من..».

«ماذا؟».

«.. المدرسة وحضرت محاكمة، لكن أخبرنا بشأن العمالقة أولاً».

«هل تم (فصلك)؟».

«أخبرنا بما جرى لك فى الصيف وسنخبرك بما جرى لنا».

حدق «هاجريد» فيه بعينه المفتوحة غير المصابة. بادله «هارى» النظر وعلى وجهه تعبير بالتصميم البرىء.

قال «هاجريد» بصوت مستسلم: «حاضر».

مال وأمسك بلحم التنين الذى كان بين أسنان «فانج».

قالت «هيرميون»: «لا تضعه على وجهك يا هاجريد.. فالكلب ليس مطعمًا عند الـ..». لكن «هاجريد» كان قد ألقى اللحم بالفعل على وجهه المنتفخ.

أخذ رشفة أخرى من الشاى، ثم قال: «لقد خرجنا مع نهاية (الفصل) (الدراسى) (الزابق)..».

قاطعته «هيرميون» سائلة: «هل كانت مدام ماكسيم معك إذن؟».

قال «هاجريد»: «أجل. هذا (تلميح)» وتعبير ناعم يرتسم على ما لم يختفِ من وجهه خلف اللحية أو اللحم الأخضر. «أجل. لم يكن هناك (زواننا) وبالشجاعتها يا أولاد. أولمبيه العزيزة. إنها امرأة جيدة (حزنة) المظهر. عند خروجنا في الرحلة خفت من تشكيها من (تزلق) الجبال، والنوم في الكهوف، لكنها لم تشتك أبداً».

قال «هاري» ثانية: «هل تعرف إلى أين كنتما ذاهبين؟ هل كنتما تعرفان بمكان العمالقة؟».

قال «هاجريد»: «كان دمبلدور يعرف.. وأخبرنا بكيفية (الوصول) إليهم».

سأله «رون»: «هل يختفون؟ هل يعيشون في مكان خفي؟».

قال «هاجريد» وهو يهز رأسه غزير الشعر: «لا. الموضوع أن معظم (الزحرة) لا يهتمون بهم، ماداموا بعيدين عنهم لا يتدخلون في شئونهم. لكن من (الصعب) جداً أن تجدهم. لذا فقد أخذنا تعليمات من دمبلدور و(استغرقنا) الأمر شهراً حتى (وصلنا) إليهم».

قال «رون» كأنه لم يسمع أبداً برحلة تأخذ كل هذا الوقت الطويل: «شهر؟ لكن.. لماذا لم تذهبا عن طريق بوابة عبور سحرية أو شيء من هذا القبيل؟».

ظهر تعبير غريب على وجه «هاجريد» وهو يتأمل «رون»، كأنه يحسبه أحمق. وقال بصوته الأجش: «نحن تحت المراقبة».

«ماذا تعني؟».

قال «هاجريد»: «أنت لا تفهم. الوزارة تراقب دمبلدور وكل من (يزاملونه)»..

قال «هاري» بسرعة، حريصاً على سماع باقي قصة «هاجريد»: «نعرف هذا. نعرف أن الوزارة تراقب دمبلدور..».

سأله «رون» مندهشاً: «إذن فلم تتمكن من استعمال السحر للوصول إليهم! هل ذهبت بطريقة العامة؟».

قال «هاجريد»: «(ليس) طول الطريق. كان علينا الحذر. فأنا وأولمبيه ظاهران للناظرين..».

خرج من «رون» صوت يقع بين التنشق والسعال، وأخذ رشفة من كوب الشاي بسرعة.

«.. لذا (فليس) من (الصعب) تتبعنا. تظاهرنا أننا خرجنا في إجازة معاً، لنشغل (قرنزا) كأننا متجهان إلى (مدرزة) أوليمبيه. لأننا كنا نعرف أن هناك

من يراقبنا من الوزارة. كان علينا التقدم ببطء؛ لأنه (ليس) (مزموحاً) لي (باستعمال) (الزحر)، وكنا نعرف أن الوزارة تريد حجة للقبض علينا. لكننا تمكنا من تضليل من يراقبنا في دي - جون».

قالت «هيرميون» بحماس: «آه. ديجون. لقد ذهبت إلى هناك في الإجازة. هل رأيت الـ؟»، صمتت مع رؤيتها لنظرة «رون» إليها.

«خاطرنا ببعض (الزحر) بعدها، ولم تعد رحلة (زيئة). قابلنا ترولين مجنونين عند الحدود البولندية، ووقع بيني وبين (مصاص) دماء خلاف (بزيط) بحانة في (مينزك)، لكن فيما عدا هذا مرت الرحلة (بزلام).

«ثم (وصلنا) إلى المكان، وبدأنا في تتبع العمالقة عبر الجبال.

«كان علينا التخلي عن (الزحر) ونحن قريبون منهم؛ لأنهم لا يحبون (الزحرة)؛ ولأننا لم نرد معاداتهم، ولأن دمبلدور حذرنا من أن الذي - تعرفونه - قد (يزعى) لمخاطبة العمالقة. قال إنه متأكد من أنه قد (أرزل) لهم (رزولا) بالفعل. وشدد علينا أن نكون حذرين ولا نجذب الانتباه إلى أنفسنا ونحن نقترب من العمالقة، في حالة تواجد أحد أكلة الموت بالمكان».

كف «هاجريد» عن الكلام ليأخذ رشفة شاي. قال «هاري» بلهفة: «استمر».

«وجدناهم.. عندما نظرت من فوق الجرف (الصخري) ذات ليلة.. وجدتهم نائمين تحتنا، ونيران (ضغيرة) تشتعل أمامهم، وظلال هائلة تلوح (متراقصة). كان الأمر أشبه برؤية الجبال تتحرك».

سأله «رون» بصوت خافت: «ما هو حجمهم؟».

قال «هاجريد» بلا اهتمام: «عشرون قدماً. بعضهم قد يبلغ (خمز) وعشرين قدماً».

سأله «هاري»: «وكم عددهم؟».

قال «هاجريد»: «تقريباً (زبعون) أو (زمانون)».

قالت «هيرميون»: «وهل هذا هو عدد كل العمالقة؟».

قال «هاجريد» بحزن: «أجل. لم يبق إلا (زمانون). قديماً كانوا (كزيرين). (كزي) من مائة قبيلة في كل أرجاء العالم. لكنهم أخذوا يموتون لتقدمهم في العمر، وقتل (الزحرة) بعضهم بالطبع، لكن معظمهم قتلوا بعضهم البعض، والآن هم في طريقهم للانقراض (الزريع). إنهم لم يخلقوا للعيش في جماعات كبيرة. يقول دمبلدور إن الخطأ خطؤنا، وإن (الزحرة) هم الذين أجبروهم على التجمع

فى أماكن بعيدة عنا، وعلى التجمع فى أعداد كبيرة للدفاع عن (أنفزهم) ضدنا».

قال «هارى»: «إذن.. ماذا حدث بعد أن رأيتهم؟».

قال «هاجريد»: «المهم.. انتظرنا حتى (الظباح)، فلن نشأ أن (نتزال) إليهم فى الظلام، حتى لا يقع لنا ما نندم عليه.. فى حوالى (الزاعة) (الزالزة) (ظباحًا) ناموا جميعًا (حين) كانوا (جالزين) فلم نجرؤ على النوم.. فقد أردنا ضمان ألا أحد منهم قد يفيق ويعرف بمكاننا، كما أن غطيطهم كان لا يحتمل، فقد (تزبب) فى انهيار جليدى فى (الظباح). المهم.. أول ما طلع النهار ذهبنا إليهم».

قال «رون» والذهول مرتسم على وجهه: «بهذه البساطة؟ مشيتم إلى حيث يجلس العمالقة؟».

قال «هاجريد»: «أجل.. أخبرنا دمبلدور كيف نفعل هذا، وكيف يجب أن نعطى هدايا (للزعزوع) لنظهر لهم احترامنا».

سأله «هارى»: «تعطون هدايا لمن؟». «(للزعزوع).. آه.. وهى تعنى الزعيم».

سأله «رون»: «وكيف تعرف أيهم الزعزوع؟».

تعجب «هاجريد» من السؤال وقال: «الموضوع (لين) (ظعبًا) بالمرة.. فهو أضخمهم، وأقبحهم، و(أكزلهم). (يجلز) بانتظار الطعام الذى يأتى به الآخرون، من ماعز ميتة وأشياء مشابهة. (ازمه) كاركوز، طوله يبلغ (زلاز) وعشرين قدمًا، وفى وزن فيلين، وجلده مثل جلد وحيد القرن».

قالت «هيرميون» مبهورة الأنفاس: «وهل دخلتم عليه بهذه البساطة؟».

«كان راقدًا فى الوادى.. بين أربعة جبال، إلى جانب بحيرة الجبل.. كان كاركوز راقدًا يزأر فى الآخرين حتى يطعموه هو وزوجته. هبطت أنا وأولمبيه الجبل..».

سأله «رون» غير مصدق: «لكن ألم يحاولوا قتالكما عندما شاهداكما؟».

قال «هاجريد» وهو يهز كتفه: «كان هذا يدور فى عقول بعضهم.. لكن فعلنا كما أمرنا دمبلدور، وهو حمل هدايانا مرفوعة وأعيننا على الزعزوع وتجاهل الآخرين. وهذا ما فعلناه. هدأوا جميعًا وراقبونا ونحن نمر (النظل) إلى قدم كاركوز، وننحنى أمامه، ونقدم هديتنا له».

سأله «رون» بلهفة: «وما هى هدايا العمالقة؟ الطعام؟».

قال «هاجريد»: «لا.. يمكنه (الحظول) عليه (بنفزه).. لقد جلبنا له (الزحر).

العمالقة يحبون (الزحر)، لكن لا يحبون (ازتعمالنا) له ضدهم. المهم.. فى أول يوم منحناهم مشعلاً من النيران (الجيريازية)».

قالت «هيرميون»: «مدهش» لكن «هارى» و«رون» قطبا جبينيهما فى تعجب: «مشعل من ماذا؟».

قالت «هيرميون» بامتعاض: «نيران لا تنطفئ أبدًا.. كان عليكما معرفتها بعد أن ذكرها الأستاذ فليتويك مرتين على الأقل فى الفصل».

قال «هاجريد» بسرعة مقاطعًا «رون» قبل أن يرد عليها: «المهم.. (زحر) دمبلدور هذا المشعل ليضىء إلى الأبد، وهو ما لا يقدر على فعله أى (زاحر). هكذا وضعته على (الزلج) تحت قدم كاركوز وقلت: هدية إلى زعزوع العمالقة من (ألبوز) دمبلدور، الذى (يرزل) إليك بتحياته واحتراماته».

سأله «هارى» بلهفة: «وماذا قال كاركوز؟».

قال «هاجريد»: «لا شىء.. فهو لا (يتحدز) الإنجليزية».

«هل تمزح؟».

قال «هاجريد» متجاهلاً السؤال: «لا يهم.. قال لنا دمبلدور ما (زيحدز) بعدها.. (ظاح) كاركوز فى عملاقين يعرفان الإنجليزية بما يكفى للترجمة».

سأله «رون»: «وهل أعجبته الهدية؟».

قال «هاجريد» وهو يقلب قطعة اللحم على جانبها الآخر الأبرد ويضعها على عينه ثانية: «أجل.. لقد مروا (بعواظف) من قبل ويعرفون أهميتها.. فرح بها، فقلت له: يطلب (ألبوز) دمبلدور من الزعزوع تلقى (رزالة) (رزوله) عندما يعود غدًا ومعه هدية أخرى».

سألته «هيرميون»: «ولماذا لم تتحدث إليه يومها؟».

قال «هاجريد»: «أراد دمبلدور أن نفاوضهم ببطء.. ونجعلهم يرون أننا نحافظ على وعودنا. قلت (زوف) نأتى غدًا ومعنا هدية أخرى، فعدت فى اليوم التالى ومعى هدية أخرى.. وهو ما يعطى انطباعًا جيدًا.. (ألبز) كذلك؟ مع إعطائهم وقتًا لاختبار هديتنا الأولى ليجدوها جيدة، فيتلهفوا على الهدية الأخرى. كما أن العمالقة الزعازيع (مزل) كاركوز يملون من (زماع) المعلومات (الكزيرة)، فيميلون لقتل من يتكلم (التبزيط) الموضوع. لذا فقد ابتعدنا ونحن نغادر المكان، ووجدنا كهفًا (يظلح) لقضاء الليل، حتى نعود

فى (الظباح) التالى لنجد كاركوز بانتظارنا متلهفًا على تلقى الهدية الجديدة».

«وهل تحدثتم إليه؟»

«أجل. فى البداية قدمنا له خوذة قتالية جميلة (مطنوعة) بأيدى الجان. ثم (جلزنا) نتجاذب أطراف الحديث».

«ماذا قال؟».

قال «هاجريد»: «(لبز الكزير). (أنطت) لنا. لكن رأينا منه علامات طيبة. كان قد (زمع) عن «دمبلدور». و(زمع) أنه معارض لقتل آخر العمالقة فى بريطانيا. بدا واضحًا أن كاركوز مهتم بما يريد دمبلدور قوله. وتجمع بعض العمالقة الآخرين - (خاصة) من يعرفون الإنجليزية منهم - (الزماع). شعرنا بالتفاؤل عندما تركناهم ذلك اليوم. ووعدناهم بالعودة فى (الظباح) التالى بالمزيد من الهدايا. لكن لم تمر الليلة على خير».

قال «رون» بسرعة: «ماذا تعنى؟».

قال «هاجريد» بحزن: «كما قلت. العمالقة لم يخلقوا للعيش معًا فى جماعات كبيرة. لا يمكنهم التحكم فى (أنفزهم). و(النزاء) منهم يتقاتلن ويتشاجرن كل فترة والرجال أيضًا. والباقون من القبائل القديمة يتقاتلون. وهذا غير الشجار على الطعام، وعلى النيران، وعلى أماكن النوم الجيدة مع أن المفترض مع اقتراب هذا (الجنز) من الكائنات من الانقراض أن يتعاونوا. لكن...» تنهد «هاجريد» بحسرة. «نشب شجار تلك الليلة. ورأينا من مدخل الكهف الذى يطل على الوادى ما يجرى. (ارتمر) الشجار (الزاعات). ولم (نظدق) (الظخب) الهائل. وعندما أشرقت (الشمز) كان (الزلج) أحمر من الدم. و(رأزه) ملقى فى قاع البحيرة».

شهقت «هيرميون» قائلة: «رأس من؟».

قال «هاجريد» بحزن: «(رأز) كاركوز. و(أظبح) هناك زعزوع جديد. (ازمه) «جولجوماز» ثم وهو يتنهد بحسرة قال: «لم نكد نتفاوض مع الزعزوع ليومين حتى مات. وشعرنا أن «جولجوماز» لن يكون (حريظًا) على (الازتماع) إلينا. لكن كان علينا التجربة».

سأله «رون» غير مصدق: «هل ذهبتم لتكلموه؟ بعد ما رأيتموه يقطع رأس عملاق آخر؟».

قال «هاجريد»: «بالطبع. فنحن لم نرتحل كل تلك (المزافة) (لنزتزلم) بعد يومين؟ ذهبنا بالهدية الجديدة التى كنا (زنعطيها) لكاركوز.

عرفت ألا جدوى من الموضوع قبل أن أفتح فمى. كان (جالزًا) مرتديًا خوذة كاركوز. وهو يزمجر نحونا ونحن نقترب. كان هائل الحجم. من بين أضخم العمالقة. شعره (الأزود) لائق على لون (أزنانه) ويرتدى قلادة من العظام حول رقبته بعضها من عظام البشر. المهم. حاولت معه ورفعت له الهدية. وهى قطعة كبيرة من جلد التنين. وقلت: هدية لزعزوع العمالقة من... ثم لم أشعر (بنفزى) إلا وأنا معلق من قدمىّ فى الهواء. و(ازنان) من أتباعه قد حملونى».

غرزت «هيرميون» فمها بيدها.

سأله «هارى»: «وكيف خرجت من هذا المأزق؟».

قال «هاجريد»: «ما كنت لأنجو لولا وجود أوليمبيه. شهرت (عظاها) (الزحرية) وأدت عليهم تعويذة من (أزرع) التعاويذ التى رأيتها فى حياتى. ضربت العملاقين (الممزكين) بى فى أعينهما بتعويذتى (كونجونكتيفيتوز) (فأزقطونى) على الفور. لكن المشكلة أننا (أظبحنا) فى مشكلة (لازتعمالنا) (الزحر) ضدهم. وهم يكرهون هذا فى (الزحرة). كان علينا مهادنتهم. وعرفنا أننا لن نقدر على دخول مخيمهم مرة أخرى».

قال «رون» بهدوء: «معقول يا هاجريد؟».

سألته «هيرميون»: «إذن لماذا أخذت كل هذا الوقت الطويل فى الرجوع إن كنتم قد قضيتم ثلاثة أيام فقط معهم؟».

قال «هاجريد» وعلى وجهه أمارات الغيظ: «لم نرحل بعد (زلازة) أيام. دمبلدور يعتمد علينا فى هذا الموضوع».

«لكنك قلت إنه لم يكن أمامكم من سبيل للدخول إليهم ثانية».

«(لبز) فى وقت النهار. كان علينا التفكير فى (وزيلة) للكلام. قضينا يومين (جالزين) فى الكهف نراقب ما يجرى. وما رأيناه لم يكن جيدًا».

سألته «هيرميون» بتقزز: «هل قطع المزيد من الرءوس؟».

قال «هاجريد»: «لا.. أتمنى لو كان قد فعل».

«ماذا تعنى؟».

«أعنى أننا عرفنا أنه لا يمانع فى أخذ الهدايا من كل (الزحرة). فقط هو لا يحب هدايانا».

قال «هاري» بسرعة «هل تعني أكلة الموت؟».

قال «هاجريد» بوجوم: «أجل. (اثنان) منهم كانا يزوران العمالقة كل يوم، ومعهما هدايا الزعزوع، ولم يكن يطلقهما من أقدامهما».

قال «رون»: «وكيف عرفت أنهما من أكلة الموت؟».

قال «هاجريد» بصوت أجش: «لأنني تعرفت على أحدهما.. ماكنير.. هل تتذكرونه؟ هذا (الجردل) الذي (أرزلوه) لقتل باكبيك؟ ماكنير يحب القتل (مزل) حب جولجوماز له، فلا عجب في اتفاقهما إذن».

قالت «هيرميون» بيأس: «إذن فقد أقنع ماكنير العمالقة بالانضمام إلى الذي - تعرفه؟».

قال «هاجريد»: «(زاتك) هيبوجريفك[1] يا هيرميون، انتظري. فأنا لم أنته من (قطلي) بعد». تكلم باستتكان، وباعتبار أنه لم يرغب في الكلام في البداية فقد بدا أنه مستمتع بما يقوله إلى درجة عدم رغبته في أن يقاطعه أحد. وأضاف: «تناقشت مع أولمبيه وانتهينا إلى أن الزعزوع وإن كان يحب الذي تعرفونه، فهذا لا يعني أن جميعهم يحبونه، وأن علينا محاولة إقناع بعض الآخرين - هؤلاء الذين لم يرغبوا في (حظول) جولجوماز على (منظب) الزعزوع».

تساءل «رون»: «وكيف عرفت بهذا؟».

قال «هاجريد» بصبر: «ألم يكونوا هم من تم ضربهم؟ الذين تفادوا جولجوماز واختبئوا في الكهوف (مزلنا). لذا قررنا (البحز) في الكهوف ليلاً لنرى إن كنا نقدر على إقناع بعضهم».

قال «رون»: «هل أخذت تبحث في الكهوف ليلاً عن العمالقة؟». وفي صوته نبرة احترام شديد.

قال «هاجريد»: «لم يكن العمالقة هم من يقلقوننا كنا (أكزر) تركيزاً على أكلة الموت. أمرنا دمبلدور قبل خروجنا بألا نكشف (أنفزنا) لهم. لكن المشكلة أنهم عرفوا بوجودنا بعد أن أخبرهم جولجوماز في الليل. عندما ينام العمالقة ونريد الزحف إلى الكهوف، كان ماكنير والآخر الذي معه (يبحزون) بين الجبال عنا. حاولت بشدة منع أولمبيه من مهاجمتهما». في هذه اللحظة ارتسمت ابتسامة صغيرة على ركن فم «هاجريد» وهو يقول: «أرادت الهجوم

(1) يقصد «هاجريد»: لسانك حصانك. لكن نظراً لولعه بالمخلوقات السحرية الخطيرة فقد استبدل الحصان بالهيبوجريف. (المترجم)

عليهما. بالقوتها عندما (تزور) (أعظابها)! (شرزة). لابد وأن هذه الدماء الحارة (زيبها) العرق (الفرنزي) فيها».

حدق «هاجريد» بعيون غائمة في النيران. سمح «هاري» لنفسه بثلاثين ثانية من الصبر على الحكاية قبل أن يسعل ويقول: «ثم وماذا حدث؟ هل اقتربتم من العمالقة الآخرين؟».

«ماذا؟ آه.. أجل، أجل، في الليلة (الزالزة) بعد موت كاركوز خرجنا من الكهف الذي اعتدنا على الاختباء فيه، وعيوننا تدور في كل الاتجاهات (بحزاً) عن أكلة الموت. دخلنا إلى بعض الكهوف الأخرى، (زم) وفي الكهف (الزازز) تقريباً وجدنا (زلازة) عمالقة مختبئين».

قال «رون»: «لا بد وأن الكهف كان ممتلئاً عن آخره».

قال «هاجريد»: «لم يكن به (مزاحة) كافية لأرجحة نيزل[2]».

سألته «هيرميون»: «ألم يهاجموكما عندما شاهدوكما؟».

قال «هاجريد»: «على الأرجح كانوا ليفعلوا هذا في ظروف أخرى، لكنهم كانوا مجروحين جميعاً.. فقد ضربهم أتباع جولجوماز حتى أفقدوهم الوعي، فقاموا من إغمائهم ليحتموا بأقرب كهف يجدوه. المهم.. كان أحدهم يعرف بعض الإنجليزية، فترجم للآخرين ما نقول، ويبدو أنهم قد تقبلوه، وداومنا زيارة المجروحين.. وأتذكر أننا أقنعنا (زتة) أو (زبعة) منهم بقضيتنا في وقت ما».

قال «رون» بلهفة: «ستة أو سبعة؟ هذا ليس بالعدد السيئ.. هل سيأتون ليقاتلون الذي - تعرفه معنا؟».

لكن «هيرميون» قالت: «ماذا تعني بقولك: في وقت ما يا هاجريد؟».

لاح الحزن على وجه «هاجريد».

«هاجم جولجوماز الكهوف، ومن نجوا من هجماته تخلوا عن الانضمام إلينا».

قال «رون» بحسرة: «إذن.. إذن فأنت لم تعد ومعك عمالقة؟».

قال «هاجريد» وهو يتنهد تنهيدة عميقة ويقلب قطعة اللحم ويضع الجانب الأبرد منها على وجهه: «لا.. لكننا قمنا بواجبنا، أبلغناهم (رزالة) دمبلدور و(زمعها) بعضهم، وأعتقد أن بعضهم (زيتذكرها). ربما من لا يرغبون منهم في البقاء مع جولجوماز يغادرون الجبال ويتذكرون ودّ دمبلدور معهم.. وربما يأتون».

(2) يبدو أننا سنستمتع بالكثير من الهوامش مع «هاجريد» بسبب لغته الغريبة! النيزل حيوان سحري صغير، فكأنه يقول: لم يكن المكان كافياً حتى لدخول نملة (المترجم)

أخذ الثلج يتراكم على النافذة من الخارج. أدرك «هاري» أن عباءته من عند ركبته قد صارت مبتلة، فقد كان لعاب «فانج» يغرقه والأخير يريح رأسه على حجره.

قالت «هيرميون» بهدوء بعد برهة من الصمت: «هاجريد».

«نعم».

«هل.. هل رأيت علامات لـ.. هل سمعت عن.. عن.. عن أمك؟ بين هؤلاء العمالقة».

استقرت عين «هاجريد» غير المصابة عليها فشعرت بالخوف.

«آ.. آسفة.. نسيت..».

قال «هاجريد»: «ماتت.. ماتت منذ (زنوات) كما أخبروني».

قالت «هيرميون» بصوت خفيض: «آ.. آسفة يا هاجريد حقًا». هز «هاجريد» كتفيه الهائلين.

قال بإيجاز: «لا حاجة بك (للأزف)، فأنا لا أتذكرها جيدًا ولم تكن أمًا عطوفًا».

صمتوا ثانية. رمقت «هيرميون» «هاري» و«رون» بعصبية، ومن الواضح أنها تريد منهما الكلام.

قال «رون» مشيرًا إلى وجه «هاجريد» الغارق في الدماء: «لكنك لم تفسر لنا كيف وصلت إلى هذه الحال يا هاجريد».

قال «هاري»: «أو لماذا تأخرت في العودة. يقول سيريوس إن مدام ماكسيم قد عادت إلى مدرستها من زمن..».

قال «رون»: «من هاجمك؟».

قال «هاجريد»: «لم يهاجمني أحد. أنا..».

لكن باقي كلماته غرقت على إثر طرق مفاجئ على الباب. شهقت «هيرميون»، وسقط كوبها من بين أصابعها ليتحطم على الأرض.. ونبح «فانج». أخذ الأربعة يحدقون في النافذة المجاورة للباب. كان هناك ظل لشخص ضئيل وبدين يتحرك من خلف الستائر.

همس «رون»: «إنها هي».

قال «هاري» بسرعة قابضًا على عباءة الإخفاء: «اختفوا تحتها بسرعة». وهو يطوحها فوقه هو و«هيرميون»، بينما «رون» يعبر من تحت المائدة ويدخل معهما تحتها.. وهكذا تراجعوا إلى ركن الحجرة. أخذ «فانج» ينبح بجنون في مواجهة الباب، وبدا «هاجريد» مرتبكًا بشدة.

«هاجريد.. خبئ الأكواب».

قبض «هاجريد» على كوبي «هاري» و«رون» وألقى بهما تحت الوسادة الموضوعة في سلة «فانج»، وأخذ الأخير يتقافز من وراء الباب.. أبعده «هاجريد» من طريقه بقدمه وفتح الباب.

وقفت الأستاذة «أمبريدج» أمام الباب مرتدية عباءتها الخضراء وقبعتها من نفس اللون. وبشفاه مزموعة مالت إلى الخلف عند رؤية وجه «هاجريد»، وهي لا تكاد تصل إلى منتصف بطنه.

قالت ببطء وبصوت مرتفع كأنها تتحدث إلى شخص أصم: «إذن فأنت هاجريد.. أليس كذلك؟».

ومن دون انتظار الإجابة دلفت إلى الداخل، وعيناها الجاحظتان تطلان على كل ركن منها.

قالت بحدة مشيرة بحقيبة يدها إلى «فانج»: «ابتعد عني». وهو يتقافز محاولاً لعق وجهها.

قال «هاجريد» ناظرًا إليها: «إنه لا (يقظد) أن يكون وقحًا معك.. لكن من أنت بحق الجحيم؟».

«اسمي دولوريس أمبريدج».

أخذت عيناها تمسحان الكوخ. نظرت مرتين إلى الركن الذي يقف فيه «هاري»، بين «رون» و«هيرميون» تحت العباءة.

قال «هاجريد» بارتباك: «(دولوريز) أمبريدج؟ لكنك تعملين بالوزارة.. ألا تعملين مع فادج؟».

قالت «أمبريدج» وهي تدور في الكوخ منقبة في كل ركن منه: «كنت وكيل أول الوزارة فعلاً.. والآن أنا معلمة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود..».

قال «هاجريد»: «هذه شجاعة منك.. فلا يوجد (الكزيرون) ممن يرغبون في هذه الوظيفة».

«.. ومفتشة هوجورتس العليا». أضافت العبارة الأخيرة كأنها لم تسمعه.

قال «هاجريد» مقطبًا جبينه: «وما هذا؟».

قالت «أمبريدج» مشيرة إلى قطع الخزف المكسورة على الأرض من كوب «هيرميون» الذي تحطم: «هذا هو ما كنت سأسأله».

قال «هاجريد» ناظرًا بلا داع إلى الركن الذي تجمع فيه الثلاثة: «آه.. إنه.. كان هذا فانج. فقد (كزر) الكوب، (فازتعملت) غيره».

أشار «هاجريد» إلى الكوب الذى كان يشرب فيه، ويده الأخرى ممسكة بقطعة اللحم مضغوطة على عينه. وقفت «أمبريدج» فى مواجهته، وهى تفحص كل جزء منه بدلاً من كوخه.

قالت بهدوء: «لقد سمعت أصواتاً».

قال «هاجريد»: «كنت (أتحدث) إلى فانج».

«وهل كان يكلمك؟».

قال «هاجريد» منزعجاً: «الواقع.. أعنى أن أحياناً أرى أن فانج يشبه البشر».

قالت «أمبريدج» بسماجة: «لكن هناك آثار أقدام لثلاثة أشخاص - من البشر - قادمة من القلعة إلى هنا».

شهقت «هيرميون»، فوضع «هارى» يده فوق فمها. لحسن الحظ أن «فانج» كان ينبح وقتها ويتشمم عباءة الأستاذة «أمبريدج» التى بدا أنها لم تسمع شيئاً.

قال «هاجريد» ويده العملاقة تشير إلى الجوال: «لقد عدت منذ قليل.. ربما جاء قبل عودتى من (يزآل) عنى».

«لا توجد آثار أقدام خارجة من الكوخ».

قال «هاجريد» وهو يمسك بلحيته بعصبية، وينظر مرة أخرى إلى الركن الذى وقف فيه «هارى» و«رون» و«هيرميون» كأنه يسألهم المساعدة: «الواقع أن.. لا أعرف لماذا.. إحم».

دارت «أمبريدج» على عقبيها وسارت بطول الكوخ باحثة بحرص فى كل ركن. انحنت لتنظر تحت السرير، وفتحت خزانات «هاجريد» وأصبحت على مسافة بوصتين من حيث وقف الثلاثة مضغوطين على الحائط. بل سحب «هارى» بطنه حتى لا تصطدم بها وهى سائرة. وبعد أن فحصت القدر التى يستخدمها «هاجريد» فى الطهى دارت ثانية وقالت: «ماذا حدث لك؟ وكيف تتحمل كل هذه الجروح؟».

أزال «هاجريد» بسرعة لحم التنين من فوق وجهه، والذى كان فى رأى «هارى» خطأ؛ لأن الكدمات السوداء والبنفسجية حول عينيه صارت مرئية واضحة، دعك من كميات الدم الطازج الذى أخذ ينزف على وجهه. قال بتردد: «لقد.. أه.. وقع لى (حادث) بسيط».

«أى نوع من الحوادث؟».

…ت.. (تعثرت)».

كررت كلمته ببرود: «تعثرت؟».

«أجل. فعلاً. (زلقت) من فوق مقشة أحد (أصدقائى). فأنا لا أطير على مقشات. فلا توجد مقشة قادرة على تحملى. وهناك (صديق) لى يربى خيول «أبركزان»، ولا أعرف إن كنت قد رأيتها من قبل. فهى خيول كبيرة مجنحة كما تعرفين. و(زعمت) أن ركوبها ممتع..».

سألته «أمبريدج» وقد قاطعته ببرود: «وأين كنت؟».

«أين.. أين ماذا؟».

قالت: «أين كنت. بدأ الفصل الدراسى منذ شهرين. وهناك معلمة أخرى تولى تدريس مادتك. ولم يعطنى أى من زملائك معلومات عن مكانك. فأنت لم تترك لنا عنواناً. أين كنت؟».

مرت برهة من الصمت أخذ «هاجريد» يحدق خلالها بعينه المصابة فيها. شعر «هارى» بعقله يعمل بلا توقف بحثاً عن إجابة.

قال: «كـ.. كنت فى مكان بعيد لأجل (صحتى)».

كررت الأستاذة «أمبريدج» كلامه قائلة: «لأجل صحتك». وعيناها تدوران فى وجه «هاجريد» المنتفخ المصاب، ودم التنين يتساقط على معطفه. «واضح».

قال «هاجريد»: «أجل.. (بحثاً) عن الهواء المنعش..».

قالت «أمبريدج» بصوتها العذب: «أجل، يصعب على راعى البهائم العثور على الهواء» فاحتقن الجزء المكشوف من وجه «هاجريد».

«أعنى.. لتغيير المناظر كما تعرفين..».

قالت «أمبريدج» بسرعة: «تغيير المناظر فى الجبال؟».

قال «هارى» لنفسه بيأس: إنها تعرف.

كرر «هاجريد» كلامها وهو يفكر بسرعة: «الجبال؟ لا، جنوب (فرنسا). فى (الشمس).. على شاطئ البحر».

قالت «أمبريدج»: «حقاً؟ لكن جلدك ليس مسمراً من الشمس».

قال «هاجريد» محاولاً رسم ابتسامة مصطنعة: «أجل.. فأنا جلدى (حزان)». لاحظ «هارى» أن هناك سنين من أسنانه غير موجودتين مع ابتسامه. نظرت «أمبريدج» إليه ببرود، فتراجعت ابتسامته. ثم رفعت حقيبة يدها تحت إبطها

لأعلى قليلاً وقالت: «بالطبع سأعلم الوزارة برجوعك المتأخر».
قال «هاجريد» وهو يومئ برأسه: «طيب».
«يجب أن تعرف أيضًا أنني باعتباري مفتشة عليا من واجبي التفتيش على زملائك المعلمين؛ لذا أبلغك بأننا سنتقابل قريبًا».
استدارت بحدة ومشت بسرعة إلى الباب.
قال «هاجريد» بخواء وهو ينظر إليها: «هل تفتشين علينا؟».
قالت «أمبريدج»: «أجل» وهي تنظر إليه ويدها على مقبض الباب.. «فالوزارة قد قررت التخلص من المعلمين غير المناسبين يا هاجريد.. تصبح على خير».
غادرته وأغلقت الباب خلفها بحدة. كاد «هاري» يرفع عباءة الإخفاء عنه لكن «هيرميون» قبضت على معصمه.
قالت هامسة في أذنه: «ليس بعد.. ربما لم تكن قد ابتعدت بعد».
بدا كأن «هاجريد» يفكر في نفس الشيء.. فقد سار عبر الحجرة وجذب الستائر قليلاً ليختلس النظر من خلفها.. وقال بصوت منخفض: «إنها عائدة إلى القلعة.. اللعنة.. هل تفتش على الناس حقًا؟».
قال «هاري» وهو يرفع العباءة عنه: «أجل.. فقد وضعت تريلاوني في فترة اختبار بالفعل..».
تساءلت «هيرميون»: «وما هي خطتك في التدريس هذا العام يا هاجريد؟».
قال «هاجريد» بحماس: «آه.. لا تقلقوا بشأن (الدروز).. عندي (الكثير) منها وقد حضّرتها بالفعل» وهو يلتقط قطعة اللحم من المائدة ويضعها على عينه ثانية. أردف: «فأنا معي كائنان أحفظهما (لزنة) شهادة الـ(أوه. دبليو. إل) انتظروا و(ترون) شيئًا (خاصًا) جدًا».
سألته «هيرميون»: «ماذا تعني بخاص؟».
قال «هاجريد» بسعادة: «لن أخبرك.. فأنا لا أريد إفشاء (الزر) و(إفزاد) المفاجأة».
قالت «هيرميون» برجاء وقد تخلت عن تظاهرها وإخفائها ما تضمره: «انظر يا هاجريد.. الأستاذة أمبريدج لن تفرح بمخلوقات خطيرة في حصتك».
قال «هاجريد» متحيرًا: «خطيرة؟ لا تكوني حمقاء.. فأنا لن أعطكم شيئًا خطيرًا، فهي مخلوقات تعرف العناية (بنفزها)».
قالت «هيرميون» بحنق: «هاجريد.. عليك أن تنجح في تفتيش أمبريدج ولتفعل هذا عليك أن تكون حريصًا، وتجعلها تراك مثلاً وأنت تعلمنا العناية

بصيران البورلوك، وكيفية التفرقة بين الناري والقنافذ ومثل هذه الأشياء».
قال «هاجريد»: «لكن هذه الأشياء (البزت) جميلة يا هيرميون.. فقد جلبت لكم هذا العام شيئًا مشوقًا.. فأنا منذ (زنوات) أضيف المزيد منهم كل عام، وأعتقد أنهم القطيع (المزتأنز) الوحيد في بريطانيا».
قالت «هيرميون» وفي صوتها نبرة يأس حقيقي: «هاجريد.. من فضلك.. أمبريدج تبحث عن أي أعذار للتخلص من المعلمين الذين تراهم مقربين إلى دمبلدور.. من فضلك يا هاجريد علمنا شيئًا مملاً قد يأتي في شهادة الـ(أوه. دبليو. إل)».
لكن «هاجريد» تثاءب بقوة وألقى بنظرة طويلة مشتاقة على سريره الهائل في ركن الحجرة.
قال: «(ازمعي).. لم أنم منذ فترة طويلة» وهو يربت على كتف «هيرميون» برفق إلى درجة أن ركبتيها تهاوتا وسقطت على الأرض، فقال: «آزف...» وهو يشدها من رقبتها ليرفعها.. «انظري، لا تقلقي عليّ.. أعدك بأن أعلمكم أشياء جيدة هذا العام، وبعد أن عدت من رحلتي.. والآن الأفضل أن تعودوا إلى القلعة، ولا (تنزوا) (مزح) (آزار) أقدامكم».
قال «رون» بعد فترة وجيزة، وبعد أن تحققوا من أن الطريق آمن: «لا أعرف إن كان قد فهمك يا هيرميون» أخذوا يسيرون باتجاه القلعة على الثلج الكثيف، من دون أن يتركوا خلفهم آثار أقدام بفضل تعويذة الإخفاء التي ظلت «هيرميون» تؤديها وهم سائرون.
قالت «هيرميون» بتصميم: «إذن فسوف نعود إليه غدًا.. سأخطط له دروسه إن تعين عليّ هذا.. لا يهمني إن فصلت تريلاوني، لكنني لن أدعها تتخلص من هاجريد».



٢١ عيـن الثعبـان

سارت «هيرميون» فى طريقها عائدة إلى كوخ «هاجريد» صباح يوم الأحد. أراد «هاري» و«رون» الذهاب معها، لكن كان لديهما أكوام من الواجب المدرسي المتراكم عليهما وصلت إلى حد غير مسبوق، فجلسا متذمرين فى حجرة الطلبة يحاولان تجاهل أصوات الصياح والهتافات المرحة القادمة إليهما من الفناء بالخارج، حيث كان الطلبة يستمتعون بوقتهم وهم يتزلجون على البحيرة المجمدة ويسحرون كرات الثلج لتطير حتى برج «جريفندور» وتضرب النوافذ بقوة.

صاح «رون» وقد نفد صبره أخيراً: «أنتم» وهو يطل برأسه من النافذة. «أنا رائد الفصل وإن ألقيتم المزيد من كرات الثلج على هذه النافذة سوف.. آه».

سحب رأسه من النافذة بحدة، ووجهه مغطى بالثلج.

قال بمرارة: «إنهما فريد وجورج» وهو يغلق النافذة من خلفه. «هذان الأحمقان».

عادت «هيرميون» من عند «هاجريد» قبل الغداء مباشرة، والحماس بادٍ عليها، وعباءتها مبتلة ورطبة حتى ركبتيها.

قال «رون» ناظراً إليها وهي تدخل: «ماذا فعلت؟ هل خططت له كل دروسه؟».

قالت وهي تجلس على المقعد المجاور لـ«هاري»: «حاولت». شهرت عصاها السحرية ولوحت بها، فخرج هواء ساخن من طرفها. ثم صوبتها نحو عباءتها، فتصاعدت الأبخرة منها وهي تجف. أضافت: «لم أجده عندما وصلت. طرقت على الباب نصف الساعة على الأقل، ثم جاء مهرولاً من الغابة..».

تأوه «هاري» متذمراً، فالغابة المحرمة مليئة بالمخلوقات الجديدة بجعل «هاجريد» عرضة للطرد. قال: «ماذا يخفي بها؟ هل قال لك؟».

قالت «هيرميون» بتعاسة: «لا.. يقول: إنه يريدها مفاجأة للفصل. حاولت شرح موضوع أمبريدج له، لكنه لم يفهم. أخذ يقول: إنه لا أحد فى حالته العقلية السليمة يحب دراسة النارل بدلاً من الشيمابراس.. لا أعتقد أن معه شيمابراس»، أضافت الجملة الأخيرة مع نظرات «هاري» و«رون» المتعجبة. «لكن هذا ليس نتيجة لتقصيره فى محاولة الحصول عليها، فقد قال: إنه من

الصعب جداً الحصول على بيضات هذا الكائن. لا أعرف كم مرة أخبرته أن من الأفضل له اتباع خطة جروبلى بلانك فى التدريس، لكن لا أعتقد أنه قد أنصت لنصف ما قلته. إنه فى حالة مزاجية غريبة نوعاً، ولم يذكر سبب كل هذه الجروح التى أصيب بها».

عاود «هاجريد» الظهور على مائدة المعلمين ساعة الإفطار صباح اليوم التالي، ولم يقابله الطلبة بحماس. بعضهم - مثل «فريد» و«جورج» و«لي» - صاحوا جذلين وهرولوا عبر الممر الفاصل بين مائدتى «جريفندور» و«هافلباف» إلى مصافحة يد «هاجريد» الكبيرة. وبعض الباقين - مثل «بارفاتي» و«لافندر» - تبادلوا النظرات المتجهمة وهزوا رءوسهم. كان «هاري» يعرف أن الكثيرين منهم يفضلون حصص الأستاذة «جروبلى بلانك»، وأسوأ ما شعر به وقتها أن جزءاً صغيراً محايداً بداخله كان يعرف أن أسبابهم وجيهة: فالأستاذة «جروبلى بلانك» مهتمة بالأساس بألا يصاب أي من الطلبة بمكروه، ناهيك عن حرصها على ألا تقطع رقبة أحدهم.

توجه «هاري» و«رون» و«هيرميون» بوجل إلى كوخ «هاجريد» يوم الثلاثاء، والثلج الكثيف يعيق تقدمهم. كان «هاري» قلقاً، ليس فقط بسبب ما يمكن أن يكون «هاجريد» قد قرر تدريسه لهم، لكن أيضاً بسبب الطريقة التى سيتصرف بها باقى التلاميذ إن وقفت «أمبريدج» تراقبهم أثناء تفتيشها على الحصة.

لكن المفتشة العليا لم تكن موجودة بعدما جاهدوا فى سيرهم وسط الثلج الكثيف، وبعد أن وصلوا إلى كوخ «هاجريد» الذى وقف منتظراً عند طرف الغابة، لم يكن شكله مطمئناً. فالندبات والجروح والكدمات الكثيرة على وجهه، والتى كانت بنفسجية يوم الأحد أضيف إليها كدمات بلون أخضر وأصفر، وبعض جروحه كانت عميقة ولم تكف عن النزف. لم يفهم «هاري» الأمر. هل هاجم «هاجريد» كائن سحرى ما منع سمه الجروح من الالتئام؟ ولتكمل «هاجريد» الصورة الصعبة: فقد كان يحمل ما يشبه بقرة ميتة على ظهره.

قال بسعادة للتلاميذ المقتربين: «(زنعمل) هنا اليوم» وهو يشير برأسه إلى الأشجار المظلمة من خلفه. «إنها توفر حماية (أكتر).. فهي تفضل الظلام».

سمع «هاري» «مالفوي» يقول بحدة لـ«كراب» و«جويل» ولمسة من الذعر فى صوته: «ما الذى يفضل الظلام؟ هل ذكر أنه يحب الظلام؟ هل سمعته؟».

تذكر «هاري» المناسبة الوحيدة السابقة التى دخل فيها «مالفوي» الغابة..

لم يكن شجاعًا وقتها. ابتسم لنفسه، فبعد مباراة «الكويدتش» كان كل ما يسبب الضيق لـ«مالفوي» يسعده كثيرًا.

قال «هاجريد» بجذل «هل أنتم جاهزون؟»، وهو ينظر حوله إلى التلاميذ، ليضيف «جيد.. لقد جهزت رحلة (خاصة) إلى داخل الغابة لتلاميذ (الصف) (الخامس) فضلت أن نرى هذه المخلوقات في بيئتها الطبيعية. فما (ستعرفونه) اليوم كائن نادر جدًا، وأعتقد أنني الوحيد تقريبًا في بريطانيا كلها الذي تمكن من ترويضه».

قال «مالفوي» والذعر في صوته أكثر وضوحًا: «وهل أنت واثق أنك روضته جيدًا؟ فلن تكون المرة الأولى التي تفصل فيها بسبب حيوان متوحش.. صح؟».

أخذ أولاد «سليذرين» يهمهمون موافقين، وبعض أولاد «جريفندور» بدا وكأنهم يرون التعقل في كلام «مالفوي».

قال «هاجريد» وهو يئن تحت ثقل البقرة الميتة وهو يعدل من وضعها على ظهره: «بالطبع روضتها جيدًا». فسأله «مالفوي»: «ماذا حدث لوجهك إذن؟».

قال «هاجريد» بغضب: «لا شأن لك بهذا.. والآن، إن كنتم قد انتهيتم من الأسئلة الغبية.. ورائي».

دار على عقبيه وسار إلى داخل الغابة. لم يبدُ على أيهم الحماس لاتباعه. نظر «هاري» إلى «رون» و«هيرميون»، التي تنهدت وأومأت برأسها، فانطلق ثلاثتهم خلف «هاجريد»، ليقودوا مجموعة الطلبة.

ساروا لمدة عشر دقائق حتى وصلوا إلى مكان تتقارب فيه الأشجار الكثيفة، حتى إنه كان مظلمًا كوقت السحر، ولم يكن هناك أي ثلوج على الأرض. وهو يئن ثانية وضع «هاجريد» نصف البقرة التي يحملها على الأرض، وخطا للخلف، ليواجه الفصل، ومعظمهم يزحفون من شجرة إلى شجرة من خلفه في طريقهم إليه، وهم يجولون طرفهم حولهم في عصبية كأنهم يتوقعون ما يهاجمهم في أية لحظة.

قال «هاجريد» مشجعًا: «تجمعوا حولي هنا.. تجمعوا. والآن، (ستجذبهم) رائحة اللحم، لكنني (سأناديهم) على أية حال؛ لأنهم (يفرحون) عندما يعرفون أنني من حضر».

التفت وهز رأسه لتزيز الشعر ليبعد شعره عن وجهه، ثم صدرت عنه صيحة حادة غريبة دوت بين الأشجار المظلمة مثل نداء طائر عملاق متوحش. لم يضحك أحد.. بدا معظمهم خائفين، فتجمدوا وقد حل عليهم الصمت.

خرجت الصيحة من «هاجريد» ثانية. بعد مرور دقيقة استمر فيها التلاميذ في التحديق حولهم ومن فوق أكتافهم وبين الأشجار؛ بحثًا عن الكائن الذي يفترض أنه يقترب. ولما كان «هاجريد» يهز رأسه للمرة الثالثة وينفخ صدره الهائل، لكز «هاري» «رون» وأشار إلى مساحة سوداء بين شجرتين عملاقتين.

ظهر زوج من العيون البيضاء اللامعة، والتي أخذت تكبر وتكبر حتى ظهر من خلالهما وجه تنين الطابع، ثم رقبة، وجسد عظمي، لحصان هائل الحجم، أسود، مجنح، انشق عنه الظلام. مسح التلاميذ بعينيه لحظات قليلة، وهو يهز ذيله الأسود الطويل، ثم أحنى رأسه وبدأ في تمزيق اللحم من البقرة الميتة بأنيابه المدببة.

شعر «هاري» براحة شديدة. ها هو ذا أخيرًا إثبات على أنه لا يتخيل وجود المخلوقات، وعلى أنها حقيقية.. و«هاجريد» أيضًا يعرف بوجودها. نظر بلهفة إلى «رون»، لكن «رون» كان يحدق في الأشجار، وبعد لحظات قليلة همس قائلاً: «لماذا لم يصح هاجريد ثانية؟».

كان على وجوه معظم التلاميذ تعابير الارتباك والقلق مثل «رون»، وهم ينظرون حولهم، كأنهم لا يرون الجواد الواقف أمامهم. كان هناك اثنان فقط بدا كأنهما قد رأياه: ولد نحيل من تلاميذ «سليذرين» واقف خلف «جويل» يراقب الجواد يأكل، وعلى وجهه تعبير امتعاض، و«نيفيل».

قال «هاجريد» بفخر بعد ظهور حصان آخر من بين الأشجار المظلمة، وجناحاه الجلديان منكمشان على جسده وهو يقترب برأسه من اللحم: «وها هو واحد آخر.. والآن.. من يراه يرفع يده؟».

مع إحساسه بالسرور الشديد لأنه سيفهم أخيرًا لغز هذه الجياد، رفع «هاري» يده. أومأ له «هاجريد».

قال بجدية: «أجل.. أجل.. عرفت أنك (ستراها) يا هاري.. وأنت أيضًا يا نيفيل.. (صح)؟».

قال «مالفوي» بصوت ساخر: «عذرًا.. لكن ما هذا بالضبط الذي تريدنا أن نراه؟».

كإجابة، أشار «هاجريد» إلى البقرة الملقاة على الأرض. حدق فيها جميع الحضور للحظات، ثم شهق البعض وصرخت «بارفاتي». فهم «هاري» سبب انزعاجهم.. فقد كان هناك قطع من اللحم قد اختفت، وظهرت من تحتها العظام، فبدا شكلها غريبًا؛ لأنهم لا يرون ما يأكلها.

تساءلت «بارفاتي» بصوت مفزوع، وهي تتراجع إلى أقرب شجرة: «ماذا يجري؟ ما الذي يأكل اللحم؟».

قال «هاجريد» بفخر: «(الزيزترال)». فتأوهت «هيرميون» بصوت خفيض على سبيل الاهتمام والتعجب، وأكمل «هاجريد» كلامه: «لدى (هوجوارتز) قطيع كامل منها. والآن من يعرف...؟».

قاطعته «بارفاتي» وعلى وجهها علامات الانزعاج الشديد: «لكنها جالبة لسوء الحظ. فهي تصيب من يقتنيها بالويلات والفظائع. قالت الأستاذة تريلاوني هذا ذات مرة».

قال «هاجريد» محتجاً: «لا لا لا.. إنها خرافات. فهي لا تجلب (سوء) الحظ. إنها مفيدة للغاية وماهرة جداً. بالطبع هي هنا لا تقوم (بالكثير) من العمل. فوظيفتها (الأساسية) هي جر عربات (المدرسة). إلا إذا أراد «دمبلدور» الخروج في رحلة طويلة ولا يريد الاختفاء.. وها هو زوج آخر منها.. انظروا».

ظهر جوادان آخران من خلف الأشجار، ومر أحدهما إلى جوار «بارفاتي» التي ارتجفت وضغطت جسدها إلى الشجرة وهي تقول: «أعتقد أنني قد شعرت بشيء ما. واضح أنه قريب مني».

قال «هاجريد» بصبر: «لا تقلقي، فهي غير مؤذية. والآن.. من يعرف لماذا يراها بعضكم ولا يراها البعض الآخر؟». رفعت «هيرميون» يدها.

قال «هاجريد» مبتسماً: «تفضلي يا هيرميون».

قالت: «الوحيدون الذين يرون الثيسترال هم من رأوا الموت».

قال «هاجريد»: «هذا (صحيح) تماماً.. عشر نقاط لجريفندور. والآن (الزيزترال) هو...».

«إحم إحم».

وصلت الأستاذة «أمبريدج». وقفت على مسافة بضع أقدام من «هاري» وعليها عباءتها وقبعتها الخضراوان، ولوح كتابتها في يدها. أخذ «هاجريد» يحدق في أحد حيوانات «الثيسترال» وهو يحسبها قد أصدرت صوت السعال. فهو لم يكن قد ألف سعلتها الاعتراضية من قبل.

«إحم إحم».

قال «هاجريد» وقد حدد مصدر الضوضاء أخيراً: «آه.. أهلاً».

قالت «أمبريدج» بنفس الصوت المرتفع البطيء الذي استخدمته معه من

قبل، كأنها تخاطب شخصاً لا يفهم اللغة، وبطيء الفهم: «هل تلقيت إخطاري بالحضور صباح اليوم الذي أخبرك فيه بأنني سأفتش على حصتك؟».

قال «هاجريد» بإشراق: «حقاً؟ (يزعني) معرفتك لمكان انعقاد (الدرس). وكما ترين. لا أعرف.. هل ترينها؟ فلدينا في (حظتنا) اليوم حيوان (الزيزترال)».

قالت الأستاذة «أمبريدج» بصوت مرتفع وهي تضع يدها حول أذنها وتقطب جبينها: «عفواً.. ما الذي تدرسونه اليوم؟».

قال بصوت مرتفع: «آ.. (زيزترال).. جياد كبيرة مجنحة كما تعرفين». وحرك يديه العملاقتين في محاولة لإيصال الصورة إليها. رفعت الأستاذة «أمبريدج» حاجبيها وغمغمت وهي تكتب في ورقتها: «يضطر.. أحياناً.. للكلام.. بلغة.. الإشارة».

قال «هاجريد» وقد عاد لمواجهة الأولاد وعلى وجهه بعض أمارات الضيق: «المهم.. إحم.. ماذا كنت أقول؟».

غمغمت «أمبريدج» بصوت مرتفع هذه المرة يكفي لأن يسمعه الجميع: «يبدو.. أنه.. مصاب.. بضعف.. في.. الذاكرة». بدا على وجه «مالفوي» كأن عيد الميلاد قد جاءه قبل شهر من حلوله. لكن «هيرميون» على النقيض، صار وجهها أحمر من الغيظ المكتوم.

قال «هاجريد» وهو يحدج أوراق «أمبريدج» بنظرة غاضبة: «حقّاً؟». وأكمل بعدها بشجاعة: «كنت (أخبركم) كيف (حظلنا) على قطيع من هذه الحيوانات. بدأنا في ترويض ذكر واحد و(خمس) (إناث). (الزم) هذا..». وهو يربت على أول من ظهر من الجياد.. «تنبروز. إنه جوادي المفضل من بينهم، وهو أول من ولد منهم في هذه الغابة..».

قالت «أمبريدج» بصوت مرتفع مقاطعة إياه: «هل تعرف أن وزارة السحر تصنف الثيسترال كحيوان خطير؟».

أصاب «هاري» الفتور. لكن «هاجريد» قال بخفة: «(الزيزترال) (ليس) خطيراً. بل هو غريب بعض الشيء، وإن كان يزعجه..».

«تبدو.. عليه.. مظاهر.. الحب.. لفكرة.. العنف». أخذت تكتب في ورقتها ثانية.

قال «هاجريد» وقد أصابه بعض القلق أخيراً: «لا.. لا تبالغي. أعني أن الكلب قد يعضك لو ضربته. (طح)؟ لكن (الزيزترال) لاحقته (زمعة) (زيئة) لأنه مرتبط بالموت.. فاتفق (الناز) على اعتباره فألاً سيئاً.. فهم لا يفهمون.. (طح)؟».

لم تُجبه الأستاذة «أمبريدج»، بل انتهت من كتابة آخر كلمة ثم نظرت إلى «هاجريد» وقالت بصوت مرتفع وبطيء مرة أخرى: «من فضلك استمر في تدريسك المعتاد. فأنا سأسير قليلاً، أوضحت له عمليًا كيف ستسير (أخفى «مالفوي» و«بانسي باركنسون» ضحكات مكتومة) بين التلاميذ (أشارت إلى بعض التلاميذ) وأضافت: «وأسألهم بعض الأسئلة» وهي تشير إلى فمها لتوضح أنها ستتكلم.

حدق فيها «هاجريد» وهو لا يفهم لماذا تتصرف هكذا، وكأنه لا يفهم الإنجليزية. أما «هيرميون» فقد اغرورقت عيناها بدموع الغضب.

همست «أمبريدج» تسير نحو «بانسي باركنسون»: «أيتها الحيزبون، أيتها الحيزبون الشريرة.. أعرف ما تحاولين فعله أيتها الشريرة المريضة..».

قال «هاجريد» وهو يجاهد لاستعادة السير الطبيعي لحصته: «إحم.. المهم. إذن (فالثيسترال). أجل.. هناك (الكثير) من المزايا في هذا الحيوان..».

قالت الأستاذة «أمبريدج» بصوت رنان مخاطبة «بانسي باركنسون»: «هل تجدين نفسك قادرة على فهم الأستاذ هاجريد عندما يتكلم؟».

مثل «هيرميون»، كانت عينا «بانسي» مغرورقتين بالدموع، لكنها دموع الضحك بالطبع، وجاءت إجابتها غير متماسكة بالمرة نتيجة لضحكاتها المكبوتة.

«لا.. لأنه.. هه.. لأن كلامه.. يشبه.. الغطيط.. وصوته غليظ».

كتبت «أمبريدج» المزيد في ورقتها. والأجزاء غير المصابة بالكدمات والجروح من وجه «هاجريد» تلمع من الغضب، لكنه حاول التصرف كأنه لم يسمع.

«المدهش في (الثيسترال) أنه.. حينما يتم ترويضه، (مثل) هذا القطيع، لا تفقده أبدًا. لديه (إحساس) خطير بالاتجاهات، وهو ما يجعله يعرف طريقه جيدًا».

قال «مالفوي» بصوت مرتفع: «المدهش في الثيسترال أنه يفهمك»، فأصيبت «بانسي باركنسون» بنوبة من الضحك. ابتسمت الأستاذة «أمبريدج» لهما والتفتت إلى «نيفيل».

سألته: «أنت ترى الثيسترال يا لونجبوتم، أليس كذلك؟». فأومأ لها موافقًا.

قالت مشيرة بيدها قصيرة الأصابع إلى الجياد التي لم تترك من البقرة سوى بعض العظام: «وما رأيك فيها؟».

قال «نيفيل» بتوتر وهو ينظر إلى «هاجريد» نظرة سريعة: «إحم.. إنها جيدة».

فتمتمت «أمبريدج» وهي تكتب المزيد في ورقتها: «التلاميذ.. خائفون.. إلى درجة.. عدم الاعتراف.. بالخوف».

قال «نيفيل» منزعجًا: «لا.. أنا لست خائفًا منها».

قالت «أمبريدج» وهي تربت على كتف «نيفيل»: «لا تقلق»، وعلى وجهها ما أرادت أن تجعله ابتسامة مشجعة متفاهمة، فخرج منها أشبه بابتسامة سخرية. التفتت إلى «هاجريد» ثانية وهي تقول: «المهم يا هاجريد.. أعتقد أنني حصلت على ما يكفيني للتقييم. ستتلقى (أشارت رفقتها بيدها كأنها تمسك بشيء ما من الهواء) نتيجة تفتيشي عليك قريبًا (وهي تشير إلى الورق) في ظرف عشرة أيام» وهي ترفع أصابعها القصيرة العشرة، ثم اتسعت ابتسامتها وأصبحت شبيهة بالضفادع أكثر من أي وقت مضى من تحت قبعتها الخضراء، ومرقت من بينهم، تاركة «مالفوي» و«بانسي باركنسون» في نوبة ضحك، و«هيرميون» تنتفض من الغضب، و«نيفيل» مرتبكًا وغاضبًا.

صاحت «هيرميون» بعد نصف ساعة وهم في طريق العودة إلى القلعة عبر القنوات التي تركتها أقدامهم صباحًا: «تلك الجرجوانة الشمطاء الكاذبة الكريهة.. هل رأيتما ما تنتويه؟ إن السبب هو كراهيتها لأنصاف السحرة، فهي تحاول معاملة هاجريد على أنه ترول أحمق لا يفهم شيئًا، فقط لأن أمه عملاقة.. وبالمناسبة لم يكن ما فعله جيدًا بالمرة.. فقد كانت الحصة جيدة، الثيسترال جيد، في الواقع بالنسبة لهاجريد كان اختيارًا موفقًا».

قال «رون»: «قالت أمبريدج إنها خطيرة».

قالت «هيرميون» بنفاد صبر: «في الواقع هي كما قال هاجريد عنها. فهي يمكنها الدفاع عن نفسها.. وأعتقد أن معلمة مثل جروبلي بلانك ما كانت لتقدم لنا هذه الحيوانات قبل الوصول لمستوى شهادة (إن. إي. دبليو. تي.) لكنها مثيرة. أليس كذلك؟ لأن بعض الناس يرونها وبعضهم لا يرونها. أتمنى لو أراها».

سألها «هاري» بهدوء: «حقًا؟». بدا عليها فزع مفاجئ.

«آسفة يا هاري.. بالطبع لا أعني ال.. ما كان يجب أن أقول هذا».

قال بهدوء: «لا عليك.. لا تقلقي».

قال «رون»: «يدهشني أن رآها الكثيرون.. ثلاثة أشخاص في فصل واحد..».

قال صوت ساخر: «أجل يا ويسلي، فنحن أيضًا نتعجب من هذا». فعلى الأغلب الكاتم للصوت كان «مالفوي» و«كراب» و«جويل» يسيرون من خلفهم. «لكنها للأسف خفية عليك ولا تراها مثلما لا ترى كرة الكوافل في المباريات».

أخذ هو و«كراب» و«جويل» يزأرون ضاحكين وهم يجدون السير في طريقهم إلى القلعة، ثم أخذوا يغنون معًا: «ويسلي يا ملك...» فاحتقن وجه «رون».

قالت «هيرميون» وهي تشهر عصاها وتؤدي تعويذة لبعث الهواء الساخن ثانية، حتى تذيب الثلج أمامها وتمهد لهم طريقًا في الثلج الذي لم يمسه أحد هذا الصباح، في طريقهم إلى الصوبة الزجاجية: «تجاهلهم. تجاهلهم تمامًا».

***

جاء شهر ديسمبر، ومعه المزيد من الثلوج، وانهيارات جليدية من الواجب لطلبة الصف الخامس. صارت واجبات ومهام «رون» و«هيرميون» كراعيين لفصليهما أكثر إزعاجًا وتعبًا مع اقتراب أعياد الميلاد. باتا يُستدعيان للإشراف على تجميل القلعة، ومراقبة تلاميذ الصف الأول والثاني وهم يقضون أوقاتهم داخل القلعة بسبب البرد القارس بالخارج، ويقول «رون» عنهم: «يا لهم من صغار ملاعين. لم نكن بهذه الوقاحة ونحن في الصف الأول». ويحرسون الممرات في دوريات مع «أرجوس فيلش»، الذي ارتاب في أن روح الإجازة والعيد قد تتجسد في شكل مبارزات سحرية، ويقول عنه «رون»: «عقله بطاطس» وهو مقطب الجبين. كانا مشغولين بشدة، حتى إن «هيرميون» كفت عن حياكة القبعات للأقزام، وأخذت تتشكى وتقول: «يا للأقزام المسكينة التي لم أحررها بعد، سيكون عليها البقاء هنا وقت أعياد الميلاد؛ فليس معها قبعات».

مال «هاري» إلى واجب تاريخ السحر أكثر، فهو لم يجرؤ على قول أن «دوبي» هو الذي يأخذ كل ما تصنعه. كما أنه لم يرغب في التفكير في عيد الميلاد. للمرة الأولى منذ دخوله المدرسة أراد قضاء الإجازة بعيدًا عن «هوجورتس». بين تمرينات «الكويدتش»، وقلقه على نتيجة تفتيش «هاجريد» وأنه قد يوضع في فترة اختبار، شعر باستياء شديد من المكان. الشيء الوحيد الذي كان ينتظره ويشتاق إليه هو اجتماعات الـ(دي. أيه) والتي كانت ستتوقف بسبب إجازة عيد الميلاد؛ لأن معظم الأعضاء سيقضون الإجازة مع ذويهم. «هيرميون» ستذهب

في رحلة للتزلج مع والديها، وهو الشيء الذي تعجب له «رون» كثيرًا، الذي لم يسمع من قبل عن ارتداء «العامة» لأعواد خشبية رفيعة في أقدامهم للانزلاق من تل الجبال. أما «رون» نفسه فكان سيذهب إلى بيت «البارو». قضى «هاري» بضعة أيام شاعرًا بالحسد نحو «رون»، قبل أن يقول الأخير ردًا على سؤال وجهه إليه «هاري» عن كيفية رجوعه للبيت وقت عيد الميلاد: «لكنك ستعود معي، ألم أذكر لك هذا؟ كاتبتني أمي لتدعوك منذ أسابيع مضت».

بدا على «هيرميون» الانزعاج، لكن روح «هاري» المعنوية حلقت في السحاب. ففكرة قضاء إجازة عيد الميلاد في «البارو» رائعة، وإن كان شابها إحساس بالذنب لأنه لن يكون قادرًا على قضاء وقته مع «سيريوس». تساءل إن كان من الممكن إقناع السيدة «ويسلي» بدعوة أبيه الروحي لقضاء وقته معهم، ومع شكه في سماح «دمبلدور» بمغادرة «سيريوس» «جريمولد بليس» لم يقدر على منع نفسه من التفكير في أن السيدة «ويسلي» قد لا ترحب به أو ترغب في وجوده، فهما كثيرا الشجار. لم يراسل «سيريوس» «هاري» منذ ظهوره الأخير في المدفأة، وبالرغم من أن «هاري» كان يعرف أن «أمبريدج» تراقب المدفأة ويعرف أن محاولته الاتصال به ستكون غير آمنة، إلا أنه لم يرغب في التفكير بأن «سيريوس» سيكون وحده في بيت أمه، وربما يتشاجر مع «كريتشر» المجنون.

وصل «هاري» مبكرًا إلى حجرة الاحتياجات قبل آخر اجتماعات الـ(دي. أيه) قبل الإجازة، وسره وصوله المبكر، فعندما أضاءت المشاعل وجد «دوبي» قد تولى تزيين الحجرة. فلا يمكن لأحد غيره أن يزينها بهذه الطريقة. فقد وجده معلقًا في السقف مائة دمية صغيرة، وعلى كل منها صورة لوجه «هاري» ومكتوب عليها: «هاري كريسماس» بدلاً من «ماري كريسماس».

انتهى «هاري» من نزع آخر اثنتين منها قبل أن ينفتح الباب وتدخل «لونا لوفجود»، بعيونها الحالمة كالعادة.

قالت بغموض وهي تنظر حولها لما تبقى من الزينة: «أهلاً. إنها جميلة، هل علقتها بنفسك؟». فقال «هاري»: «لا.. إنه دوبي القزم المنزلي».

قالت «لونا» بنبرة حالمة مشيرة إلى كومة كبيرة من التوت موضوعة فوق

رأى «هارى» «دبق» فقفز من تحتها. وأكملت «لونا» بغموضها المعتاد: «تصرف حكيم، فهى دائمًا مليئة بالنارجلز».

خفف عن «هارى» عبء سؤالها عن ماهية «النارجلز» وصول «أنجيلينا» و«كاتى» و«أليشيا». كان ثلاثتهن مبهورات الأنفاس ويبدو عليهن البرد الشديد.

قالت «أنجيلينا» بفتور وهى تخلع عنها معطفها وتلقى به فى الركن: «أخيرًا عثرنا على بديل لك». قال «هارى»: «بديل لى؟».

قالت بنفاد صبر: «بديل لك ولجورج ولفريد.. عثرنا على قناص للسنيتش».

قال «هارى» بسرعة: «من؟».

قالت «كاتى»: «جينى ويسلى». فحدق فيها «هارى» فاغرًا فاه.

قالت «أنجيلينا» وهى تشهر عصاها السحرية وتثنى ذراعها: «أجل أعرف. لكنها لاعبة جيدة. وإن كانت لا تقارن بك بالطبع». وأضافت وهى ترمقه بنظرة امتعاض شديد: «لكن لأنك لا يمكن أن تلعب معنا...».

منع «هارى» نفسه من الإجابة عليها.. هل ظنت للحظة أنه لم يندم على طرده من فريقه أكثر من ندمها مائة مرة؟

قال محاولاً جعل صوته عاديًا: «وماذا عن لاعبى المضارب؟».

قالت «أليشيا» بلا حماس: «أندرو كيرك، وجاك سلوبر. إنهما ليسا موهوبين، لكن مقارنة بباقى الحمقى الذين تقدموا للاختبارات فهما جيدان...».

أنهى وصول «رون» و«هيرميون» و«نيفيل» هذه المحادثة الكئيبة، وخلال خمس دقائق امتلأت الحجرة بما يكفى لمنع «هارى» من رؤية نظرات «أنجيلينا» الحارقة الموبخة.

قال وهو يطالب الحضور بالسكوت: «أعتقد أن الليلة سيكون علينا مراجعة ما تعلمناه؛ لأنها الليلة الأخيرة لنا قبل الإجازات، وليس ثمة جدوى من البدء فى شىء جديد قبل إجازة مدتها ثلاثة أسابيع...».

قال «زكارياس سميث» فى صوت هامس مسموع مرتفع بما يكفى ليسمعه باقى الحضور: «ألن نقوم بأداء تعاويذ جديدة؟ لو عرفت هذا ما كنت حضرت».

قال «فريد» بصوت مرتفع: «يؤسفنا أن هارى لم يقل لك قبلها إذن».

ضحك البعض بصوت مكتوم. رأى «هارى» «تشو» وهى تضحك وأحس بإحساس جميل اعتاد عليه فى معدته، كأنه ينزل وطء درجة سلم ويجدها

غير موجودة فيحط على الدرجة التى أسفلها. وقال: «.. يمكننا التدرب فى مجموعات من اثنين. سنبدأ بتعويذة الإعاقة لعشر دقائق، ثم نخرج الطنافس للتدرب على تعويذة التجميد».

انقسموا إلى مجموعات كما أمرهم، وكان شريك «هارى» «نيفيل» كالعادة. سرعان ما امتلأت الحجرة بصيحات: «إمبديمنتا»، فيتجمد من يصاب بالتعويذة لدقيقة، فيراقب شريكه فى التمرين الأزواج الأخرى وهم يتمرنون، ثم تنتهى التعويذة وتنتهى إعاقته ويبدأون فى التمرين ثانية.

تحسن «نيفيل» إلى درجة تفوق التوقعات. بعد فترة، وبعد أن أعاق «هارى» ثلاث مرات، طالبه الأخير بالانضمام إلى «رون» و«هيرميون»، حتى يتفقد الحجرة ويراقب الآخرين. وعندما مر على «تشو» ابتسمت له، فلم يقاوم إغراء المرور إلى جانبها عدة مرات.

بعد عشر دقائق من تعويذة الإعاقة، أخرجوا الطنافس وصفوها على الأرض، وبدأوا فى التدرب على تعويذة التجميد. كانت مساحة الحجرة غير كافية ليتدربوا جميعهم عليها.. أخذ نصفهم يراقب النصف الآخر وهم يتدربون، ثم يتبادلون الأدوار. شعر «هارى» بالفخر وهو يراقبهم. حقًا قام «نيفيل» بتجميد «بادما باتيل» بدلاً من «دين»، الذى كان يستهدفه أصلاً. إلا أن تصويبه كان أفضل من العادة، أما الآخرون فكان تقدمهم مدهشًا.

بعد مرور ساعة طالبهم «هارى» بالكف عن التدرب، وقال موزعًا ابتساماته عليهم: «لقد تحسنتم كثيرًا.. عندما تعودون من الإجازات سنبدأ فى تعاويذ أكبر.. ربما تعويذة الباترونس».

عمت الحجرة غمغمة حماسية جماعية. ثم بدأوا فى الخروج فى جماعات من فردين وثلاثة أفراد كالعادة. جمع «هارى» الطنافس مع «رون» و«هيرميون» شاعرًا بالفرحة، ثم انتظر قليلاً؛ لأن «تشو» كانت ما زالت موجودة، وأراد أن يقول لها: «عيد ميلاد سعيد».

سمعها تقول لصديقتها «ماريتا»: «لا.. اذهبى أنت». فشعر بدفقة كبيرة من الفرح. تظاهر بتعديل وضع كومة الطنافس، وكان واثقًا أنهما قد صارا وحدهما، وانتظر منها أن تتحدث، لكنه سمعها تشهق.

التفت ورأى «تشو» واقفة فى منتصف الحجرة، والدموع تنهمر على وجهها.

«ماذا؟».

لم يعرف كيف يتصرف، وهي واقفة هكذا تبكي.

قال بوهن: «ما المشكلة؟». فهزت رأسها ومسحت عينيها على كمها.

قالت: «آسفة.. أنا.. تعلمت كل هذه الأشياء.. وهذا يجعلني أتساءل.. ماذا لو كان قد تعلمها هو الآخر؟ ما كان ليموت!».

غاص قلب «هاري» في صدره إلى مستوى أسفل مستواه المعهود، وكأنه قد استقر قريباً من معدته. كان عليه أن يعرف هذا.. فهي تريد التحدث عن «سيدريك».

قال ببطء: «كان يعرف هذه الأشياء.. كان ماهراً في السحر، وإلا ما كان ليصل إلى منتصف تلك المتاهة. لكن إن شاء فولدمورت أن يقتل أحداً فهو يصل إلى ما يشاؤه».

سعلت عند سماع اسم «فولدمورت»، لكنها حدقت في «هاري» دون أن تطرف عيناها، وقالت بهدوء: «لكنك نجوت منه وأنت طفل رضيع».

قال «هاري» بضجر وهو يتقدم إلى الباب: «أجل.. لا أعرف كيف، ولا يعرف أي أحد كيف، لذا فهو شيء لا يستدعي التفاخر».

قالت «تشو» دامعة ثانية: «لا تذهب من فضلك.. أنا آسفة على مضايقتك هكذا.. لم أعرف أن..».

سعلت ثانية. كانت جميلة حتى وعيناها حمراوان ومنتفختان. شعر «هاري» بالتعاسة. كان سيفرح بتهنئتها له بعيد الميلاد دون كل هذه التفاصيل المتعبة.

قالت وهي تمسح عينيها: «أعرف أن الأمر فظيع بالنسبة لك.. بكلامي عن سيدريك بعد أن رأيته أنت وهو يموت.. أعني أنك تريد نسيانه.. أليس كذلك؟».

لم ينطق «هاري» رداً على سؤالها.. كان ما قالته صحيحاً، لكنه شعر أن ذكر هذا قاس جداً.

قالت «تشو» بابتسامة دامعة: «أنت معلم جيد حقاً.. لم أتمكن من تجميد أحد من قبل». فقال «هاري» بارتباك: «أشكرك».

تبادلا النظرات لفترة طويلة. شعر «هاري» برغبة حارقة في مغادرة الحجرة، وفي نفس الوقت، بعجز تام عن تحريك قدميه.

قالت «تشو» بهدوء مشيرة إلى السقف من فوق رأسه: «الدبق».

قال «هاري» وفمه شديد الجفاف: «أجل.. لعله ممتلئ بالنارجل».

«وما هي النارجل؟».

قال «هاري»: «ليس عندي فكرة». اقتربت منه.. بدا كأن عقله أصيب بتعويذة التجميد، وقال: «إن أردت أن تعرفي فعليك بسؤال لوني.. أعني لونا».

خرج من «تشو» صوت يقع بين البكاء والضحك. لم تقترب منه هكذا من قبل. تمكن من عد حبات النمش على أنفها.

«أنا معجبة بك حقاً يا هاري».

لم يقدر على التفكير.. داهمه إحساس واخز سرى في أوصاله، ليشل يديه وذراعيه وعقله.

اقتربت كثيراً.. رأى كل دمعة صغيرة معلقة برموشها.

***

عاد إلى حجرة الطلبة بعد نصف الساعة ليجد «هيرميون» و«رون» جالسين على أفضل مقعدين إلى جوار المدفأة. كان جميع الطلبة تقريباً قد صعدوا إلى أجنحة النوم. أخذت «هيرميون» تكتب رسالة طويلة، وكانت قد ملأت بالفعل نصف رقعة الورق بالكلام، وباقي الورقة معلق في الهواء من فوق طرف المائدة. أما «رون» فقد تمدد على البساط المواجه للمدفأة، محاولاً إنهاء واجب مادة التحويل.

سأله وهو يجلس على المقعد المجاور لمقعد «هيرميون»: «ما الذي أخرك هكذا؟».

لم يجبه «هاري». كان في حالة صدمة. نصفه يريد إخبار «رون» و«هيرميون» بما وقع منذ قليل، لكن نصفه الآخر يريد كتمان السر لنفسه إلى أن يصل لقبره.

سألته «هيرميون» وهي ترمقه من فوق طرف ريشة الكتابة: «هل أنت بخير يا هاري؟».

هز «هاري» رأسه نصف هزة. في الواقع لم يكن يعرف إن كان بخير أم لا.

قال «رون»: «ما المشكلة؟»، وهو يستند إلى مرفقه ليرى «هاري» من زاوية أفضل. «ماذا حدث؟».

لم يعرف كيف يبدأ في إخبارهما. هذا إن كان يعرف مدى رغبته في إخبارهما أصلاً. وعندما قرر أخيراً ألا يقول لهما أي شيء أمسكت «هيرميون» بالخيوط من يده.

سألته بطريقة عملية: «هل هي تشو؟ هل حاصرتك بعد الاجتماع؟».

شاعراً بالاندهاش والخدر، أومأ «هاري» برأسه. كتم «رون» ابتسامته، ثم انطلق في الضحك عندما نظرت إليه «هيرميون».

سأل متظاهراً بعدم الاهتمام: «إذن.. فماذا.. أ.. ماذا أرادت؟».

بدأ «هاري» بالكلام في صوت أجش: «إنها..». ثم سعل وقال: «لقد.. أ.. أعني..».

سألته «هيرميون» بسرعة: «هل قبلتك؟».

استقام «رون» في جلسته بسرعة حتى إن قنينة الحبر سقطت على البساط، حدق بجشع في «هاري» متجاهلاً ما حدث. سأله: «حقًا؟».

نقل «هاري» بصره من وجه «رون» الفضولي المرح إلى تقطيبة وجه «هيرميون» وأومأ برأسه.

«هاه».

لوح «رون» بقبضته، وأخذ يضحك بشدة؛ مما جعل بعض تلاميذ الصف الثاني الجالسين بجوار النافذة يجفلون. ظهرت ابتسامة مترددة على وجه «هاري» وهو يراقب «رون» يتقلب على البساط. فرمقته «هيرميون» بنظرة اشمئزاز عميق وعادت إلى كتابة رسالتها.

أخيراً قال «رون» ناظراً إلى «هاري»: «المهم.. كيف كانت؟».

فكر «هاري» للحظة، ثم قال بصدق: «مبتلة».

صدر عن «رون» صوت، قد يكون ابتهاجاً أو إشارة إلى تقززه، كان من الصعب التمييز أردف «هاري»: «لأنها كانت تبكي».

قال «رون» وابتسامته تتلاشى: «حقًا، وهل قبلاتك بشعة هكذا؟».

فكر «هاري» للحظة: «لا أعرف». وبعد أن شعر ببعض القلق قال: «ربما».

قالت «هيرميون» بذهن غائب وهي تكتب رسالتها: «كلا بالطبع.. لست كذلك».

قال «رون» بحدة شديدة: «وكيف عرفت؟».

قالت «هيرميون» بغموض: «لأن تشو تقضي نصف وقتها في البكاء هذه الأيام.. تبكي وقت الأكل، وفي دورات المياه، وفي كل مكان».

قال «رون» مبتسماً: «حسبت أن بعض القبلات ستبهجها».

قالت «هيرميون» بنبرة جادة وهي تغمس طرف ريشة الكتابة في قنينة الحبر: «رون.. أنت أكثر الأولاد الذين قابلتهم افتقاداً للحساسية والعاطفة».

قال «رون» بجدية: «وماذا يعني هذا؟ أنا لا أفهم كيف يبكي أحد وهناك من يقبله».

قال «هاري» بصوت مشوب باليأس: «أجل.. ماذا يعني هذا؟».

نظرت «هيرميون» إليهما وعلى وجهها أمارات الإشفاق عليهما، فسألته: «ألا تفهمان مشاعر تشو حاليًا؟».

قال «هاري» و«رون» معًا: «لا».

تنهدت «هيرميون» وألقت بريشة الكتابة على المائدة.

«من الواضح أنها تشعر بحزن شديد؛ بسبب موت سيدريك. ثم هي تشعر بالارتباك؛ لأنها أحبت سيدريك، والآن تحب هاري، ولا تعرف أيهما تحبه أكثر. ثم إنها تشعر بالذنب لتفكيرها في أن تقبيلها هاري إهانة لذكرى سيدريك، وستظل قلقة بشأن ما سيقوله الآخرون إن بدأت في الخروج مع هاري. وعلى الأرجح فهي لا تعرف نوعية مشاعرها نحو هاري؛ لأنه كان مع سيدريك ساعة موته؛ لذا فهي مرتبكة وتشعر بالألم. كما أنها خائفة من طردها من فريق رافنكلو الكويدتش لأن لعبها أصبح سيئًا».

عم صمت مذهول مع انتهائها من خطبتها، ثم قال «رون»: «لا يمكن لشخص أن يشعر بكل هذه المشاعر في نفس الوقت، سينفجر».

قالت «هيرميون» بحدة وهي تلتقط ريشة الكتابة ثانية: «إذا كان ما عندك من تنوع في المشاعر قليلاً فهذا لا يعني أن الآخرين مثلك».

قال «هاري»: «هي من بدأت.. ما كنت لأفعل.. فهي اقتربت مني، وبعدها بدأت تبكي على كتفي.. لم أعرف ماذا أفعل..».

قال «رون» منزعجًا من الفكرة: «لا تؤنب نفسك يا صاحبي».

قالت «هيرميون» وهي تنظر إليه بتوتر: «عليك أن تعاملها برقة.. عاملتها برقة وقتها.. أليس كذلك؟».

قال «هاري» والحرارة تزحف على وجهه: «يعني.. ربتُّ على ظهرها قليلاً».

بدا كأن «هيرميون» تجاهد لمنع نفسها من إظهار استيائها بصعوبة، وقالت: «لا يهمك.. كان من الممكن أن يكون أداؤك أسوأ.. هل ستراها ثانية؟».

قال «هاري»: «أعتقد هذا.. فنحن سنحضر اجتماعات (دي. أيه) أخرى.. أليس كذلك؟».

قالت «هيرميون» بنفاد صبر: «أنت تعرف ما أعنيه».

لم ينطق «هاري». فتحت أمامه كلمات «هيرميون» طاقة من الاحتمالات

السخيفة. حاول تخيل الخروج مع «تشو» إلى بعض الأماكن - ربما إلى «هوجزميد» - وجلوسه معها وحدهما لساعات في المرة الواحدة. بالطبع ستتوقع منه سؤالها الخروج بعد ما حدث منذ قليل. أصابته الفكرة بالتوتر والخوف، فشعر ببطنه تتقلص وتؤلمه.

قالت «هيرميون» وهي تدفن وجهها ثانية في رسالتها: «طيب.. سيكون لديك الكثير من الفرص لسؤالها الخروج معك».

قال «رون» الذي أخذ يراقب «هاري» بتعبير لاذع غريب على وجهه: «ماذا لو لم يكن يريد الخروج معها؟».

قالت «هيرميون» بغموض: «لا تكن أحمق.. هاري يحبها منذ فترة طويلة. أليس كذلك يا هاري؟».

لم يجبها بلى.. هو يحب «تشو» منذ فترة طويلة، لكنه لم يتصور أبداً موقفاً تكون فيه «تشو» مستمتعة بوقتها، ومع بكائها الغزير على كتفه.

سأل «رون» «هيرميون»: «المهم.. لمن توجهين هذه الرواية؟»، محاولاً قراءة جزء من الورقة التي وصلت إلى الأرض، فحجبتها «هيرميون» عن ناظريه.

«فيكتور!»

«كرام؟»

«وكم فيكتور نعرف؟»

لم ينطق «رون»، لكن بدا عليه السخط الشديد. جلسوا واجمين لمدة عشرين دقيقة أخرى، وانتهى «رون» من عمل واجب التحويل المزدان ببعض الشطب والإضافات الجانبية، وأخذت «هيرميون» تكتب على وتيرة ثابتة إلى نهاية الورقة، ثم لفتها بحرص وأغلقتها، وأخذ «هاري» يحدق في النيران، متمنياً أكثر من أي شيء أن تظهر رأس «سيريوس» أمامه ويعطيه بعض النصح بشأن البنات. لكن النيران أخذت تطقطق في المدفأة بصوت أخفت وأخفت، حتى لم يبق منها سوى جمرات حمراء انهارت وتحولت إلى رماد، ثم وهو ينظر حوله رأى «هاري» أنهم آخر من تبقى بحجرة الطلبة.

قالت وهي تتثاءب وتمضي لجناح نوم البنات: «تصبحان على خير».

تساءل «رون» وهو يصعد مع «هاري» إلى جناح الأولاد: «ترى ماذا ترى في كرام؟».

قال «هاري» متفكراً: «أعتقد لأنه أكبر منها، كما أنه.. لاعب كويدتش دولي..».

قال «رون» بغضب متفاقم: «أجل، لكن بخلاف هذا فهو (جردل)، ومتكبر، أليس كذلك؟».

قال «هاري»، وفكره مشغول بما وقع مع «تشو»: «بلى.. متكبر قليلاً».

خلعا عباءتيهما وارتديا المنامات في صمت. كان «دين توماس» و«نيفيل» قد ناما. وضع «هاري» عويناته على المائدة المجاورة للسرير، لكنه لم يغلق الستائر حول فراشه رباعي القوائم، بل أخذ ينظر إلى السماء عبر النافذة المجاورة لفراش «نيفيل». لو كان يعرف ليلة أمس، أنه بعد أربع وعشرين ساعة سيقبّل «تشو تشانج».

قال «رون» إلى يمناه: «تصبح على خير» فجاوبه.

ربما المرة القادمة - إن كان هناك مرة قادمة - تكون أسعد. عليه سؤالها الخروج، وعلى الأرجح هي تتوقع هذا، وربما هي غاضبة منه الآن لأنه لم يفعل.. أو لعلها راقدة في فراشها وهي تبكي على «سيدريك». لم يعرف فيم يفكر. تفسير «هيرميون» جعل المسألة معقدة أكثر منها بسيطة وواضحة.

قال لنفسه وهو يتقلب على جانبيه: «هذا هو ما يجب أن يعلموه لنا هنا.. كيف تفكر البنات.. سيكون هذا أكثر فائدة من حصص التنجيم».

سمع «نيفيل» يغط في نومه، ونعبت بومة بالخارج وسط الليل الحالك الظلام.

حلم «هاري» بأنه قد عاد إلى حجرة الاجتماعات. كانت «تشو» تلومه على خداعها وإغرائها بالحضور لأسباب مزيفة.. قالت إنه قد وعدها بمائة وخمسين كارت شيكولاتة «فروج» إن جاءت. احتج «هاري».. وصاحت «تشو»: «أعطاني سيدريك الكثير من كروت الشيكولاتة.. انظر»، وأخرجت له ملء قبضتها من الكروت، ثم تحولت إلى «هيرميون» التي قالت: «لقد وعدتها يا هاري.. أرى أن عليك إعطاءها شيئاً بديلاً.. ما رأيك في مقشة الفايربولت؟».

وأخذ «هاري» يعترض قائلاً إنه ليس بإمكانه إعطاء «تشو» مقشته؛ لأنها مع «أمبريدج»، وعلى أية حال فالمسألة سخيفة، فهو قد حضر إلى الحجرة لتزيينها من أجل عيد الميلاد بدمى صغيرة على شكل رأس «دوبي».

تغير الحلم.

شعر بجسده ناعماً، وقوياً، ومرناً. أخذ يسري بين قضبان معدنية لامعة، وعبر الظلام، والأحجار الباردة. كان قريباً من الأرض، يسري فوق بطنه.

والظلام من حوله حالك، لكنه رأى الأشياء بألوان غريبة مهتاجة. أدار رأسه مع النظرة الأولى شاهد الممر خاليًا.. ثم رأى رجلاً واقفًا على الأرض أمامه، وذقنه مستقرة على صدره، والشكل الخارجي لجسده واضح في الظلام.

أخرج «هاري» لسانه.. وتذوق رائحة الرجل في الهواء. كان حيًا وناعسًا، جالسًا أمام باب عند نهاية الممر.

تاق إلى عض الرجل، لكن عليه التحكم في رغبته.. فلديه عمل هام بانتظاره.

لكن الرجل تحرك.. وسقط معطف فضي على قدميه وهو يهب واقفًا. رأى «هاري» جسده المهتز غير واضح المعالم طويلاً أمامه، ورأى عصا سحرية تنسحب من الحزام.. ولم يعد أمامه خيار. ارتفع عن الأرض وهاجمه مرة، ومرتين، وثلاث مرات، وهو يغرس أنيابه الحادة في جسد الرجل، شاعرًا بضلوعه تتكسر تحت ضغط فكه، والدم الحار يتدفق منه.

أخذ الرجل يصرخ من الألم.. ثم صمت.. وسقط إلى الخلف مصطدمًا بالحائط.. والدم يتدفق على الأرض.

شعر بجبينه يؤلمه إلى درجة فظيعة.. والألم في ازدياد.

«هاري.. هاري».

فتح عينيه.. كل بوصة من جسده كانت مغطاة بعرق بارد مثلج، وأغطيته من حوله متناثرة، شعر كأن عصا تقليب الحطب في المدفأة تنغرس في جبينه «هاري».

كان «رون» واقفًا فوقه ينظر إليه بخوف بالغ، والمزيد من الأشخاص عند طرف فراشه.. أمسك برأسه بين يديه، والألم يكاد يصيبه بالعمى.. انقلب على بطنه وتقيأ من فوق طرف الفراش.

قال صوت خائف: «إنه مريض جدًا.. ألا يجب استدعاء أحد؟».

«هاري.. هاري».

عليه إخبار «رون».. من المهم إخباره.. وهو يشهق شهقات متلاحقة رفع «هاري» نفسه عن الفراش، ومنع نفسه من التقيؤ، والألم يكاد يعميه.

قال لاهثًا: «أبوك.. تعرض والدك لهجوم..».

قال «رون» وهو لم يفهم ما قيل: «ماذا؟».

«والدك تعرض للعض.. الإصابة خطيرة، هناك دم متناثر حوله..».

قال الصوت الخائف: «سأخرج لأطلب المساعدة» وسمع «هاري» خطوات قدم تعدو خارجة من الحجرة.

قال «رون» بتردد: «هاري يا صاحبي.. كنت.. كنت تحلم..».

قال «هاري» بغضب شديد: «لا». كان على «رون» أن يفهم. أضاف: «أنا لم أكن أحلم.. ليس حلمًا عاديًا.. كنت هناك، ورأيت ما حدث.. أنا من فعلها..».

سمع «سيماس» و«دين» يغمغمان، لكنه لم يهتم. أخذ ألم جبهته في التراجع ببطء، وإن كان عرقه مازال غزيرًا وارتجافه شديدًا. تقيأ ثانية وقفز «رون» إلى الخلف مفسحًا له مساحة كافية.

قال مرتجفًا: «هاري.. أنت لست على ما يرام.. خرج نيفيل طالبًا المساعدة».

قال «هاري» وهو يمسح فمه بكم منامته وينتفض غير قادر على التحكم في نفسه: «أنا بخير.. لا يوجد ما يسوءني، إنه والدك من عليك القلق بشأنه.. نحن بحاجة لمعرفة مكانه.. إنه ينزف بغزارة.. كنت.. كنت على هيئة ثعبان عملاق».

حاول النهوض من الفراش، لكن «رون» دفعه للخلف ثانية.. أخذ «دين» و«سيماس» يتهامسان بالقرب. سواء مرت دقيقة أم عشر، لم يكن «هاري» يعرف، فقد جلس يرتجف في مكانه، شاعرًا بالألم ينحسر ببطء عن ندبته. ثم سمع خطوات أقدام تسارع بالصعود، وصوت «نيفيل» ثانية.

«من هنا يا أستاذة».

هرولت الأستاذة «ماكجونجال» إلى داخل الحجرة في ثوبها الصوفي، وعويناتها معلقة على أنفها الحاد.

«ما الأمر يا بوتر؟ أين تشعر بالألم؟».

لم يسره رؤيتها منذ عرفها مثل ذلك اليوم، إنها عضو في جماعة العنقاء، وهذا ما يحتاجه الآن، وليس شخصًا يقلق بشأنه ويصف له وصفات طبية سحرية بلا فائدة.

قال وهو ينهض ثانية: «إنه والد رون.. فقد هاجمه ثعبان والأمر خطير. رأيته يحدث».

قالت الأستاذة «ماكجونجال»، وحاجباها الثقيلان يلتقيان: «ماذا تعني بقولك رأيته يحدث؟».

«لا أعرف.. كنت نائمًا، وفي ذلك المكان..».

«هل تعني أنك حلمت به؟»

قال «هاري» بغضب شاعراً ألا أحد يفهمه: «لا.. كنت أحلم في البداية بشيء مختلف تماماً، شيء سخيف.. ثم قاطعته هذه الرؤية. كانت حقيقية، ولم أتخيلها. السيد ويزلي نائم الآن على الأرض بعد أن هاجمه ثعبان عملاق، وحوله دماء كثيرة، بعد أن سقط في المواجهة.. يجب العثور عليه فوراً».

أخذت الأستاذة «مكجونجال» تحدق فيه عبر عويناتها المائلة كأنها خائفة.

قال «هاري» لها وصوته يرتفع ويقترب من الصياح: «أنا لا أكذب ولست بمجنون.. ما حكيته هو ما رأيته».

قالت الأستاذة «مكجونجال» باقتضاب: «أصدقك يا بوتر. ارتدِ ملابسك فوراً.. علينا الذهاب إلى الناظر».





مستشفى سانت مونجو للأمراض والإصابات السحرية

شعر «هاري» بالراحة لأخذها كلامه على محمل الجد، حتى إنه لم يتردد لحظة، بل قفز فوراً من الفراش، وارتدى ملابسه وعويناته بسرعة.

قالت الأستاذة «مكجونجال»: «ستأتي أنت الآخر يا ويزلي».

تبعا الأستاذة «مكجونجال»، بعد أن خلفا وراءهما «نيفيل» و«دين» و«سيماس»، وعبر السلم الحلزوني إلى حجرة الطلبة، ومن خلال كوة لوحة السيدة البدينة. شعر «هاري» كأن الذعر المتجمع داخله قد يطفو على السطح في أية لحظة. أراد الجري والصياح منادياً على «دمبلدور».. السيد «ويزلي» ينزف وهم يسيرون بهذه الرصانة، وتلك الأنياب - حاول «هاري» كثيراً عدم التفكير فيها على أنها كانت أنيابه - هل كانت سامة؟ مروا بجوار الآنسة «نوريس» التي لمعت عيناها الشبيهتان بالمصابيح، وهمست بصوت خفيض، لكن الأستاذة «مكجونجال» زجرتها فابتعدت إلى الظلال، وخلال دقائق معدودة وصلوا إلى الجرجولة الحجرية التي تحرس المدخل إلى مكتب «دمبلدور».

قالت الأستاذة «مكجونجال»: «نحلة طنانة».

دبت الحياة في أوصال التمثال، ومال إلى الجانب، كاشفاً عن الجدار من خلفه، والذي انشق إلى نصفين، وظهر من خلفه سلم حجري حلزوني يتحرك لأعلى. خطا ثلاثتهم على الدرجات المتحركة، وأوصد الجدار من خلفهم بصوت مكتوم، وهم يرتقون لأعلى عبر الدرجات الحلزونية، حتى وصلوا إلى باب بلوطي مصقول لامع، عليه مطرقة لطرق الباب تشبه «الجريفين».

بالرغم من أن الوقت قد تجاوز منتصف الليل، فقد كانت هناك أصوات قادمة من داخل الحجرة - أصوات ثرثرة - كأن «دمبلدور» يتحدث إلى عشرة أشخاص على الأقل.

طرقت الأستاذة «مكجونجال» الباب ثلاث مرات بمطرقة «الجريفين»، فسكتت الأصوات فجأة كأن هناك من أدار مفتاح المذياع ليصمت. انفتح الباب وحده وقادت الأستاذة «مكجونجال» كلاً من «هاري» و«رون» إلى الداخل.

كانت الحجرة نصف مظلمة، وفيها آلات فضية غريبة منتصبة على الموائد في صمت، دون أن يتصاعد منها الدخان كحالها دائمًا.. ولوحات نظار وناظرات المدرسة القدامى التي تغطي الجدران تغط في النوم. كان هناك طائر أحمر وذهبي اللون خلف الباب، في حجم البجعة.. نائم ورأسه تحت جناحه.

«هاه.. هذه أنت يا أستاذة مكجونجال.. و.. آه».

كان «دمبلدور» جالسًا على مقعد مرتفع الظهر خلف مكتبه.. وهو مائل إلى الأمام منحنيًا على الشمعات التي تضيء الأوراق. كان يرتدي عباءة بنفسجية مطرزة بالذهب فوق منامة بيضاء ثلجية. لكنه بدا كامل الانتباه واليقظة، وعيناه الزرقاوان العميقتان ثابتتان بتركيز على الأستاذة «مكجونجال».

قالت الأستاذة «مكجونجال»: «يا أستاذ دمبلدور، لقد وقع لبوتر.. ا.. كابوس.. إنه يقول..».

قال «هاري» بسرعة: «لم يكن كابوسًا».

التفتت الأستاذة «مكجونجال» إلى «هاري» مقطبة الجبين قليلاً.

«هكذا إذن يا بوتر.. أخبر الناظر بما رأيته».

قال «هاري» وهو مذعور وحريص على أن يفهم «دمبلدور» ما جرى: «كنت.. ا.. نائمًا..». شعر ببعض الغضب؛ لأن الناظر لم يكن ينظر إليه، بل يفحص أصابعه المتشابكة بعينه.. لكنه أضاف: «لم يكن حلمًا عاديًا.. كان حقيقيًا، رأيت ما حدث..». أخذ نفسًا عميقًا وأكمل: «.. لقد هوجم السيد ويسلي والد رون.. هاجمه ثعبان عملاق..».

بدا كأن الكلمات معلقة في الهواء بعد أن قالها، وإن بدت له سخيفة، بل حتى مثيرة للسخرية. مرت فترة من الصمت استقام خلالها «دمبلدور» في جلسته، وحدق في السقف متأملاً. نقل «رون» بصره من «هاري» إلى «دمبلدور»، ووجهه أبيض شاحب، وعليه أمارات الصدمة.

سأله «دمبلدور» بهدوء دون أن يرفع بصره إليه: «كيف رأيته؟».

قال «هاري» غاضبًا وهو يفكر فيما يهم سؤاله: «في الواقع.. لا أعرف.. داخل رأسي على ما أعتقد..».

قال «دمبلدور» بنفس النبرة الهادئة: «لقد أسأت فهمي.. أعني.. هل يمكنك.. ا.. أين كان موقعك في الحلم من الهجوم؟ تراك كنت تقف إلى جوار الضحية؟ أم تنظر على المشهد من فوق؟».

كان السؤال مدهشًا لدرجة أن «هاري» حدق فاغرًا فاه في «دمبلدور»، كأنه يعرف ما وقع.. فقال: «كنت أنا الثعبان.. رأيت ما جرى من وجهة نظر الثعبان».

لم يتحدث أحد لحظة، ثم سأله «دمبلدور» ناظرًا إلى «رون» بصوت مختلف وحاد: «هل رأيت جروح آرثر خطيرة؟».

قال «هاري» بحسم: «أجل».. لماذا فهمهم للأخبار بطيء هكذا؟ ألم يفهموا أن هناك شخصًا ينزف بعد أن انغرست أنياب طويلة في جانبه؟ ولماذا لا يتعب «دمبلدور» نفسه وينظر إليه مباشرة؟

لكن «دمبلدور» نهض بسرعة جعلت «هاري» يجفل، وخاطب واحدًا من شاغلي إحدى اللوحات القديمة المعلقة بالقرب من السقف.

قال بحدة: «إفيرارد، وأنت أيضًا يا ديليس».

فتح ساحر شاحب الوجه وساحرة ترتدي حلقات فضية طويلة في اللوحة المجاورة له عيونهما، وكل منهما عليه علامات النوم العميق.

قال «دمبلدور»: «هل تسمعانني؟».

أومأ الساحر برأسه، وقالت الساحرة: «بالطبع».

قال «دمبلدور»: «الرجل شعر أحمر ويرتدي عوينات «إفيرارد».. عليك بعمل إنذار، واحرص على أن يشعر به من نريد لهم الشعور به..».

أومأ كلاهما وتحركا جانبيًا في إطاري لوحتيهما، لكن بدلاً من الخروج منها إلى اللوحات المجاورة ـ كما يحدث عادة في «هوجورتس» ـ لم يعاودا الظهور. أحد الإطارين لم يعد به شيء غير ستار داكن، والآخر به مقعد جلدي وثير حسن الشكل. لاحظ «هاري» كثيرًا من النظار والناظرات المعلقين على الحائط، وبالرغم من غطيطهم المقنع، إلا أنه لاحظ نظراتهم المختلسة من تحت جفونهم، وفهم فجأة من كانوا يتحدثون عندما طرقوا الباب.

قال «دمبلدور»، وهو يدور من حول «هاري» و«رون» والأستاذة «مكجونجال» حتى يصل إلى الطائر الجميل المهيب النائم على مجثمه: «إفيرارد وديليس هما أشهر نظار هوجورتس.. ولشهرتهما فلهما لوحات معلقة في معظم المؤسسات والمنظمات السحرية الهامة؛ لذا فهما قادران على التنقل بين اللوحات، ويمكنهما إخبارنا بما يحدث في الأماكن الأخرى».

قال «هاري»: «لكن السيد ويسلي يمكن أن يكون في أي مكان».

قال «دمبلدور» كأن «هاري» لم يتحدث: «اجلسوا من فضلكم. ثلاثتكم. إفيرارد وديليس قد لا يعودان إلا بعد بضع دقائق. يا أستاذة مكجونجال، من فضلك أحضري المزيد من المقاعد».

شهرت الأستاذة «مكجونجال» عصاها السحرية من جيبها ولوحت بها، فظهرت ثلاثة مقاعد من الهواء. مقاعد طويلة الظهر، وخشبية، مختلفة كثيرًا عن مقاعد «دمبلدور» الوثيرة ذات المساند التي استدعاها في جلسة المحاكمة. جلس «هاري»، وأخذ يراقب «دمبلدور» من فوق كتفه. أخذ «دمبلدور» يربت على رأس «فاوكس» الذهبي بإحدى أصابعه. أفاق طائر العنقاء على الفور، مد رأسه الطويل الجميل، وأخذ يراقب «دمبلدور» بعيون براقة داكنة.

قال «دمبلدور» بهدوء بالغ للطائر: «نحن بحاجة إلى تحذير».

اختفى طائر العنقاء وسط لسان من اللهب.

اقترب «دمبلدور» من إحدى الأدوات الفضية الهشة التي لا يعرف «هاري» لها وظيفة، وحملها إلى مكتبه، وجلس في مواجهتها ثانية، ثم طرقها بخفة بطرف عصاه السحرية.

دبت الحياة في الجهاز فجأة وصدرت عنه أصوات معدنية منتظمة الإيقاع. تصاعدت منه سحب دخان أخضر صغيرة، من الأنبوب الفضي الصغير عند قمته. أخذ «دمبلدور» يراقب الدخان باهتمام، وجبينه مقطب. بعد بضع ثوانٍ صارت السحب الصغيرة تدفقًا ثابتًا من الدخان، أخذ يزيد في سمكه وهو يتطاير في الهواء. وخرجت منه رأس أفعى، وفتحت فمها. تساءل «هاري» إن كان الجهاز يؤكد قصته أم لا.. نظر بلهفة إلى «دمبلدور» بحثًا عن علامة تصديقه. لكن «دمبلدور» لم يرفع رأسه.

غمغم «دمبلدور» وهو يراقب دفقات الدخان من دون أية علامة على الاندهاش: «طبعًا طبعًا.. لكن هل هو في الأساس منقسم؟».

لم يفهم «هاري» شيئًا من السؤال. لكن الأفعى الدخانية انقسمت على الفور إلى ثعبانين، كلاهما يدور ويتموج في حركته في الهواء. وبنظرة رضا متجهمة ضرب «دمبلدور» الجهاز بعصاه ضربة خفيفة أخرى. فتباطأت أصوات الصلصلة ثم كفت تمامًا، وتلاشى الثعبانان بعد أن صارا دخانًا غير واضح المعالم.

أعاد «دمبلدور» الجهاز إلى مكانه على المائدة. رأى «هاري» العديد من نظار المدرسة المعلقين على الجدران يتبعونه بعيونهم، وعندما يدركون أن «هاري» يراقبهم يعاودون - بسرعة - التظاهر بالنوم. رغب «هاري» في السؤال عن الجهاز الفضي الغريب وفائدته. لكن وقبل أن يفعل سمع صياحًا من جهة اليمين. لقد عاد الساحر المسمى «إفيرارد» إلى لوحته وقال وهو يلهث: «دمبلدور».

قال «دمبلدور» على الفور: «ماذا عندك من أخبار؟».

قال الساحر الذي أخذ يمسح جبينه من العرق على الستار المعلق خلفه في اللوحة: «أخذت أصيح حتى جاء أحدهم. وقلت إنني سمعت شيئًا ما يتحرك بالأسفل. لم يصدقوني، لكنهم نزلوا ليتحققوا من كلامي.. أنت تعرف أنه لا توجد بالأسفل لوحات لترى ما يجري. المهم، حملوه بعد عدة دقائق. لا يبدو بحالة جيدة، فهو مغطى بالدماء. وقد جريت إلى لوحة إلفريدا كراج لأراه من زاوية أفضل وهم يغادرون..».

قال «دمبلدور»: «جيد.. لابد وأن ديليس قد رأته وهو يصل..» بينما ارتجف «رون». بعد لحظات ظهرت الساحرة الفضية الحلقات في لوحتها هي الأخرى، جلست وهي تسعل في مقعدها، وقالت: «أجل، لقد أخذوه إلى سانت مونجو يا دمبلدور.. حملوه إلى جوار لوحتي.. ويبدو بحالة سيئة..».

قال «دمبلدور»: «شكرًا لك» ثم نظر إلى الأستاذة «مكجونجال».

«مينرفا.. من فضلك اذهبي وأيقظي باقي أولاد ويسلي».

«بالطبع..».

نهضت الأستاذة «مكجونجال»، وتحركت بسرعة إلى الباب. اختلس «هاري» نظرة إلى «رون»، الذي بدا خائفًا.

قالت الأستاذة «مكجونجال» وهي واقفة عند الباب: «دمبلدور.. وماذا عن مولي؟».

قال «دمبلدور»: «ستكون هذه مهمة فاوكس بعدما يضمن عدم اقتراب أحد. لكنها ربما عرفت بالفعل.. بسبب ساعة الحائط الممتازة تلك التي تملكها..».

عرف «هاري» ما يشير إليه «دمبلدور» بشأن الساعة، التي لا تخبر الوقت، لكن أماكن وحالات أفراد عائلة «ويسلي»، وعرف أن الذراع الدالة على السيد «ويسلي» لابد وأنها تشير إلى كلمة «في خطر مميت». لكن الوقت قد تأخر، لابد وأن السيدة «ويسلي» نائمة. شعر «هاري» بالبرودة تتسرب إلى قلبه عندما

تذكر (عو) السيدة «ويسلي» الذي تحول إلى جسد السيد «ويسلي» الخالي من الحياة، وعويناته المكسورة، والدم الذي يجري على وجهه.. لكن إصابة السيد «ويسلي» غير مميتة.. لا يمكن أن تكون هكذا..

أخذ «دمبلدور» يعبث بالخزانة المنتصبة خلف «هاري» و«رون». عاد من أمامها حاملاً غلاية شاي قديمة، وضعها بحرص على مكتبه. رفع عصاه السحرية وغمغم: «بورتوس». ارتجفت الغلاية لحظات، وتوهجت بنور أزرق غريب، ثم ارتجفت واستقرت.

سار «دمبلدور» إلى لوحة أخرى، هذه المرة لساحر تبدو عليه المهارة بلحيته المدببة، وملابسه من ألوان «سليذرين» الخضراء والفضية، ونومه ثقيل حتى إنه لم يسمع صوت «دمبلدور» عندما اقترب ليوقظه.

«فينياس.. فينياس»

لم يعد شاغلو اللوحات يتظاهرون بالنوم.. أخذوا يتنقلون بين اللوحات حتى يعرفوا ما يجري. عندما استرسل الساحر الماهر في تصنع النوم، صاح بعضهم باسمه هم الآخرون: «فينياس.. فينياس.. فينياس».

لم يعد بإمكانه التظاهر بالنوم، ففتح عينيه على اتساعهما بحركة مسرحية وقال: «ماذا؟! من ينادي؟».

قال «دمبلدور»: «أريد منك زيارة لوحتك الأخرى ثانية يا فينياس.. معي رسالة أريدك أن توصلها».

قال «فينياس» بصوت رفيع وهو يتثاءب تثاؤبًا مصطنعًا زائفًا: «أزور لوحتي الأخرى؟».. وأخذت عيناه تدوران في الحجرة لتتركزا على «هاري» وهو يضيف: «لا يا دمبلدور. أنا متعب جدًا الليلة».

وجد «هاري» صوت «فينياس» مألوفًا. أين سمعه من قبل؟ لكن وقبل أن يفكر صدر عن شاغلي اللوحات على الجدران من حوله صيحات احتجاج.

زأر ساحر بدين أحمر الأنف وهو يلوح بقبضته: «هذا تمرد يا سيدي.. إهمال في أداء الواجب».

صاح ساحر عجوز هزيل المظهر عرف فيه «هاري» الناظر السابق على «دمبلدور» «أرماندو ديبيت»: «يشرفنا تقديم خدماتنا للناظر الحالي لهوجورتس.. عار عليك يا فينياس».

قالت ساحرة ذات عيون ضيقة وهي ترفع عصًا سحرية سميكة إلى حد غير معقول، تبدو مثل هراوة تصلح للشجار: «هل تريد مني إقناعه يا دمبلدور؟».

قال الساحر المسمى «فينياس» وهو يرمق العصا بقلق: «حاضر. وإن كان على الأرجح قد دمر لوحتي، فقد تخلص من لوحات معظم أفراد العائلة..».

قال «دمبلدور»: «سيرياس لن يتخلص من لوحتك أبدًا، فهو يعرف بالدهاء». فعرف «هاري» على الفور أين سمع صوت «فينياس» من قبل: من اللوحة الخالية في حجرته في «جريمولد بليس».. وسمع «دمبلدور» يضيف: «عليك إبلاغه برسالة.. أن آرثر ويسلي مصاب وإصابته خطيرة، وأن زوجته، وأولاده، وهاري بوتر سيصلون إلى منزله عن قريب. هل تفهم؟».

كرر «فينياس» بنبرة ملول: «آرثر ويسلي مصاب. الزوجة والأولاد وهاري بوتر سيصلون إلى المنزل للإقامة.. واضح».

خرج من اللوحة واختفى عن أعينهم في نفس اللحظة التي انفتح فيها باب الحجرة ثانية. دخل «فريد» و«جورج» و«جيني» ومن خلفهم الأستاذة «مكجونجال»، وثلاثتهم على وجوههم الصدمة، وهم في ثياب النوم.

تساءلت «جيني» التي ظهر عليها الخوف: «هاري.. ماذا يجري؟ الأستاذة مكجونجال تقول: إنك رأيت والدي مصابًا».

قال «دمبلدور» قبل أن يتكلم «هاري»: «أصيب والدك أثناء عمله لصالح جماعة العنقاء. أخذوه إلى مستشفى سانت مونجو للأمراض والإصابات السحرية. سأعيدكم إلى بيت سيرياس، فهو قريب من المستشفى عن البارو، وستجتمعون بأمكم هناك».

سأله «فريد» مرتجفًا: «وكيف سنذهب؟ ببودرة الفلو؟».

قال «دمبلدور»: «لا.. بودرة الفلو ليست آمنة، فالشبكة تحت المراقبة. ستذهبون عن طريق هذه البوابة». أشار إلى الغلاية القديمة بريئة المظهر على مكتبه، وأضاف: «نحن في انتظار فينياس نيجيلوس.. أريد ضمان أمان المكان قبل إرسالكم».

لمع لسان من اللهب في منتصف المكتب تمامًا، تاركًا خلفه ريشة واحدة رست بهدوء على الأرض.

قال «دمبلدور» ملتقطًا الريشة وهي تسقط: «إنه تحذير فاوكس.. لابد أن أمبريدج قد عرفت أنكم غادرتم الفراش.. مينرفا.. امضي وأخبريها بأي شيء..

خرجت الأستاذة «مكجونجال» بسرعة.

قال صوت ضجر من خلف «دمبلدور»: «يقول إنه يسره حضورهم، كان هذا هو الساحر «فينياس» الذى حاول الظهور فى لوحته. وأردف: «طالما كان لحفيد حفيدى ذوق غريب فى ضيوفه».

قال «دمبلدور» مخاطبًا «هارى» والإخوة «ويسلى»: «تعالوا هنا.. وبسرعة قبل أن ينضم إلينا آخرون». فتجمع «هارى» والآخرون حول مكتب «دمبلدور».

سألهم «دمبلدور»: «هل استخدمتم البوابة فى السفر من قبل؟». فأومأوا بنعم، وكل منهم يلامس جزءًا من الغلاية السوداء. فأضاف: «رائع. سنعد إلى ثلاثة.. واحد.. اثنين..».

فى جزء من الثانية حدث ما حدث. فى السكتة السابقة على قول «دمبلدور»: ثلاثة، نظر «هارى» إليه ـ وقد كانا قريبين وهما متحلقان حول البوابة ـ فانتقلت عينا «دمبلدور» الزرقاوين من البوابة إلى وجه «هارى».

فجأة شعر «هارى» بألم رهيب فى ندبته، شعر بالجرح القديم ينفتح، وشعور كريه لا يرغب فيه ـ لكنه شديد القوة ـ ينمو داخله، مع رغبة شديدة فى الإيذاء، فى العض، وفى غرس أنيابه فى الرجل الواقف أمامه.

«.. ثلاثة».

شعر «هارى» بجذبة قوية من عند سرته، وبالأرض تختفى من تحت قدميه، ووجد يده ملتصقة بالغلاية. اصطدم بالآخرين وهم يدورون إلى الأمام فى دوامة من الألوان وسط رياح شديدة، والغلاية تجذبهم إلى الأمام.. حتى لامست قدمه الأرض ثانية بقوة، حتى إن ركبته آلمته، وسقطت الغلاية على الأرض وصوت قريب منهم يقول: «هل عدتم إذن؟ يا خونة الدم؟ هل صحيح أن أباكم يحتضر؟».

زأر صوت آخر: «اخرج».

هب «هارى» على قدميه ونظر حوله، وصلوا إلى المطبخ الكئيب فى المنزل رقم (١٢) «جريمولد بليس». كان مصدر الضوء الوحيد هو نيران المدفأة وشمعة واحدة، أضاءت لهم بقايا طعام العشاء المعد لشخص واحد. اختفى «كريتشر» من الباب، ناظرًا إليهم بكراهية شديدة، وهو يعدل من وضع القماش المحيط بخصره. اقترب منهم «سيريوس»، وعلى وجهه القلق.

كان غير حليق، ومازال فى ملابس الخروج العادية، وعليه رائحة تشبه رائحة «مندنجس» الثمل دومًا.

قال وهو يمد يده ليساعد «جينى» على النهوض: «ماذا يجرى؟» قال فينياس نيجيلوس: إن آرثر قد أصيب..». فقال «فريد»: «سل هارى».

قال «جورج»: «أجل، فأنا أود سماع ما حدث».

أخذ التوأمان و«جينى» يحدقون فيه. وتوقف «كريتشر» بالخارج على درجات السلم فى مكانه.

شرع «هارى» فى الكلام: «رأيت..» لكنه وجد الأمر أسوأ من محاولة إخبار «دمبلدور» و«مكجونجال».. «رأيت.. رؤية من نوع ما..».

وأخبرهم بما رأى، وإن غيّر القصة حتى تبدو كأنه راقب الموقف من بعيد والثعبان يهاجم، بدلاً من كونه هو الثعبان. نظر إليه «رون» نظرة قلقة لكنه لم ينطق. عندما انتهى «هارى» من كلامه لم تنزل أعين «فريد» و«جورج» و«جينى» عنه للحظة. لم يعرف «هارى» إن كان يتخيل ما يراه، لكنه وجد فى أعينهم نوعًا من الاتهام إن كانوا يريدون لومه لما رآه، فيسره أنه لم يخبرهم بأنه كان داخل الثعبان.

قال «فريد» ملتفتًا إلى «سيريوس»: «هل أمى هنا؟».

قال «سيريوس»: «على الأغلب هى لا تعرف بما جرى بعد.. كان الأهم أن نخرجكم قبل أن تتدخل أمبريدج. أتوقع أن يُعلم «دمبلدور» «مولى» بما جرى على الفور، ربما الآن».

قالت «جينى» بنبرة لحوح: «علينا الذهاب إلى سانت مونجو فورًا». ونظرت حولها إلى أشقائها، الذين كانوا بالطبع لايزالون مرتدين منامتهم.. فقالت: «سيريوس، هلا أعرتنا بعض عباءاتك أو بعض ثيابك؟».

قال «سيريوس»: «لحظة.. لا يمكنكم دخول سانت مونجو الآن».

قال «فريد» بعناد: «بل نستطيع بالطبع دخول سانت مونجو إن شئنا. فهو والدنا».

«وكيف ستفسرون معرفتكم بالهجوم الذى وقع على آرثر قبل أن تُعلم المستشفى زوجته؟».

قال «جورج» باندفاع: «وماذا يهم؟».

قال «سيريوس» بغضب: «الموضوع مهم؛ لأننا لا نريد جذب الانتباه لرؤى

هاري حول أشياء تحدث على مسافة مئات الأميال منه. هل لديك أدنى فكرة عما ستفهمه الوزارة من هذه المعلومة؟».

بدا كأن «فريد» و«جورج» لا يهتمان بما تفهمه الوزارة أو تقوله. وبقي «رون» شاحب الوجه صامتًا.

قالت «جيني»: «قد يكون شخصًا آخر هو من أخبرنا.. ربما يظنون أننا سمعنا بالخبر من شخص آخر غير هاري».

قال «سيرياس» بنفاد صبر: «مثل من؟ اسمعوا. أصيب والدكم أثناء أدائه لمهمة لصالح الجماعة في ظروف مريبة، ولاشك أن علم الوزارة بأن أولاده عرفوا بالإصابة بعد لحظات من وقوعها، سيضر الجماعة ضررًا كبيرًا».

صاح «فريد»: «نحن لا نهتم بهذه الجماعة الحمقاء».

وانفجر فيه «جورج» قائلاً: «أبونا المحتضر هو من يهمنا».

قال «سيرياس» بغضب مماثل: «كان أبوكم يعرف بما هو مقدم عليه ولن يشكركم بعد أن يفيق على العبث بمصلحة الجماعة. هذه هي الحقيقة، ولهذا فأنتم لستم بأعضاء في الجماعة. أنتم لا تفهمون. توجد أشياء تستحق الموت من أجلها».

صاح «فريد»: «سهل عليك قول هذا وأنت لا تخاطر بحياتك أبدًا وأنت جالس هنا».

انسحب اللون الباقي في وجه «سيرياس». بدا للحظة على وشك ضرب «فريد». لكن عندما تكلم كان صوته هادئًا وقد قرر له أن يخرج هكذا. «أعرف أن الأمر صعب، لكن علينا جميعًا التصرف كأننا لا نعرف شيئًا بعد. علينا الانتظار متأهبين؛ حتى يعلموا والدكم.. مفهوم؟».

لم يتراجع التمرد من على وجه «فريد» و«جورج». لكن «جيني» جلست على أقرب مقعد. نظر «هاري» إلى «رون»، الذي هز رأسه هزة غريبة، ثم جلسوا هم الآخرون. حدج التوأمان «سيرياس» بأعينهما لدقيقة، ثم جلسا إلى جانبي «جيني».

قال «سيرياس» مشجعًا: «هكذا.. دعونا.. دعونا نشرب شيئًا».

ثم شهر عصاه السحرية ولوح بها لتظهر ست زجاجات شراب، طارت من حجرة المؤن إليهم، لتتوقف على المائدة، وتبعثر طعام «سيرياس»، وتقف كل منها برشاقة أمام شخص من الجالسين. شربوا جميعًا، ولبرهة لم تكن هناك سوى أصوات النيران تطقطق في المدفأة، وصوت الزجاجات المكتوم وهي تصطدم بسطح المائدة.

لم يشرب «هاري» إلا لكي يجد شيئًا يفعله بيده. كانت معدته ساخنة، وتفور

بالإحساس بالذنب. ما كانوا ليصلوا إلى هنا لولاه.. كانوا سينامون الليل. ولم تكن ثمة جدوى - في سبيل تخفيف الإحساس بالذنب - من إخبار نفسه بأن لولاه ما كانوا ليجدوا السيد «ويسلي»؛ لإحساسه القطيع بأنه هو من هاجمه أصلاً.

قال لنفسه: «لا تكن غبيًا فأنت ليست لديك أنياب.. كنت راقدًا في فراشك، ولم تهاجم أحدًا محاولاً البقاء هادئًا». لكن يده المحيطة بزجاجة الشراب أخذت تهتز.

سأل نفسه: «لكن ماذا حدث في مكتب دمبلدور؟ شعرت بالرغبة في مهاجمة دمبلدور هو الآخر».

أعاد الزجاجة إلى المائدة بحدة أكثر مما أراد، فانزلقت على المائدة قليلاً. لم يهتم أحد. ثم أضاء لسان من اللهب ظهر في وسط الحجرة فصدرت عنهم صيحات الدهشة. ووقعت على المائدة لفافة من الورق، ومعها ريشة من ذيل طائر العنقاء.

قال «سيرياس» على الفور وهو يلتقط الورقة: «فاوكس.. هذا ليس خط دمبلدور.. لا بد وأنها رسالة من أمكم.. ها هي».

ألقى بالرسالة في يد «جورج»، الذي فتحها وقرأ بصوت جهوري: «أبوكم على قيد الحياة. أنا في سانت مونجو الآن. ابقوا مكانكم. سأرسل لكم بالأخبار بأسرع ما أستطيع. أمكم». أجال «جورج» طرفه في الحجرة من حوله.

قال ببطء: «على قيد الحياة.. لكن هذا يبدو..».

لم يكن بحاجة لإنهاء الجملة. فهم «هاري» هو الآخر من الكلام أن السيد «ويسلي» معلق بين الحياة والموت. وهو مازال شاحب الوجه، أخذ «رون» يحدق في ظهر رسالة أمه كأنها قد تنطق بما يطمئنه. جذب «فريد» الورقة من يد «جورج» وقرأها بنفسه، ثم نظر إلى «هاري»، الذي شعر بيده تهتز من حول الزجاجة ثانية، فقبض عليها بقوة حتى تكف يده عن الاهتزاز.

لو كان «هاري» قد قضى في حياته ليلة أطول من هذه، فهو لا يتذكرها. اقترح عليهم «سيرياس» مرة - من دون اقتناع حقيقي - أن يصعدوا للنوم، لكن نظرات الأشقاء «ويسلي» كانت كافية للرد. جلسوا حول المائدة، يراقبون الشمعة، وهي تذوي وتذوي والشمع المذاب يسيل عليها، ومن الحين للآخر يرفعون الزجاجات إلى أفواههم، ويتحدثون فقط للسؤال عن الوقت، وليتساءلوا عما يحدث، وليطمئنوا بعضهم البعض إلى أنه لو وقع ما يسوء فسوف يعرفون على الفور

هاجم النعاس «فريد»، ومال رأسه على صدره. تكومت «جيني» كالقطة في مقعدها، لكن عينيها كانتا مفتوحتين. رأى «هاري» انعكاس النار عليهما وجلس «رون» ورأسه بين يديه، ولا سبيل لمعرفة إن كان مستيقظًا أم نائمًا. أخذ «هاري» و«سيرياس» يتبادلان النظرات من الحين للآخر، شاعرين بأنهما دخلاء على أحزان الأسرة.. ينتظرون.. ينتظرون.

مع حلول الساعة الخامسة والعشر دقائق صباحًا، كما أشارت ساعة «رون»، انفتح باب المطبخ ودخلت السيدة «ويسلي». كانت شديدة الشحوب، لكن عندما التفتوا إليها نهض «فريد» و«رون» و«هاري» من مقاعدهم، وابتسمت لهم ابتسامة واهنة.

قالت وصوتها الضعيف مشوب بالتعب: «سيكون بخير. إنه نائم. يمكننا الذهاب جميعًا لزيارته لاحقًا. «بيل» جالس إلى جواره، ولن يحضر عمله اليوم».

تراجع «فريد» إلى مقعده ويداه على وجهه. نهض «جورج» و«جيني» وسارا بسرعة إلى أمهما واحتضناها. ضحك «رون» ضحكة مهتزة وأجهز على الباقي في زجاجته.

قال «سيرياس» بصوت مرتفع مبتهج وهو يهب على قدميه: «الإفطار! أين هذا القزم الملعون؟ كريتشر.. كريتشر». لكن «كريتشر» لم يستجب للنداء.

غمغم «سيرياس» وهو يحصي الجالسين أمامه: «انسوه إذن.. الإفطار لـ.. سبعة أشخاص.. بيض ولحم، وبعض الشاي والخبز المحمص..».

سارع «هاري» إلى الموقد ليساعد في التحضير. لم يرغب في التدخل في فرحة آل «ويسلي»، وأرهبه طلب السيدة «ويسلي» منه أن يعيد سرد رؤيته. لكنه ما كاد يخرج الأطباق من الخزانة حتى رفعتها السيدة «ويسلي» من يده وجذبته لتعانقه.

قالت بصوت مكتوم: «لا أعرف ما كان يحدث لولاك يا هاري.. ربما كانوا سيجدون أرثر بعد ساعات، وربما يكون الوقت قد فات على إنقاذه، لكنه - وبفضلك - حي يرزق، و«دمبلدور» يفكر في قصة لتبرير وجود أرثر هناك، أنت لا تعرف كم المشكلات التي كان سيقع فيها، انظر ماذا جرى لستورجيس المسكين..».

لم يتحمل «هاري» شعورها بالامتنان، لكن ولحسن حظه تركته والتفتت إلى «سيرياس» تشكره على الاعتناء بصغارها تلك الليلة. قال «سيرياس»: إنه

سعيد لقدرته على المساعدة، وتمنى لو يبقون لأطول مدة، طوال بقاء السيد «ويسلي» في المستشفى.

«أنا ممتنة لك كثيراً يا سيرياس.. إنهم يعتقدون أنه سيقضي الكثير من الوقت، وسيكون من الجميل بالطبع أن نكون قريبين منه، وربما يعني هذا البقاء حتى أعياد الميلاد».

قال «سيرياس» بصدق شديد: «كلما بقيتم هنا أكثر؛ زادت فرحتي». فابتسمت له السيدة «ويسلي»، ولفت مئزراً حول وسطها لتساعده في تحضير الإفطار.

غمغم «هاري»: «سيرياس.. هل تسمح بكلمة؟ أ.. الآن؟». غير قادر على تحمل الانتظار.

سار إلى حجرة المؤن المظلمة وتبعه «سيرياس»، من دون مقدمات أخبر «هاري» أباه الروحي بتفاصيل رؤيته، ومنها أنه كان هو نفسه الثعبان الذي هاجم السيد «ويسلي».

عندما توقف ليلتقط أنفاسه قال «سيرياس»: «هل أخبرت «دمبلدور» بهذا؟».

قال «هاري» بنفاد صبر: «أجل.. لكنه لم يخبرني بمعنى هذا.. فهو لا يخبرني بأي شيء هذه الأيام».

قال «سيرياس» بثبات: «أنا واثق من أنه كان سيخبرك لو لم يكن في الأمر ضرر».

قال «هاري» بصوت لا يزيد عن الهمسة: «لكن هذا ليس كل شيء، سيرياس.. أعتقد.. أعتقد أنني مجنون. في مكتب «دمبلدور»، وقبل أن نأتي عن طريق البوابة.. شعرت لثانيتين أنني ثعبان، شعرت بهذا وألمتني ندبتي، وعندما نظرت إلى «دمبلدور» يا سيرياس أردت أن أهاجمه».

لم ير سوى جزء من وجه «سيرياس»، والباقي مختف في الظلام.

قال «سيرياس»: «لابد وأن هذا كان بقايا الرؤية.. كنت تفكر في الحلم..».

قال «هاري» وهو يهز رأسه: «لا لم يكن هكذا.. كان أشبه بشيء يثور ويتحرك داخلي، مثل ثعبان».

قال «سيرياس» بحزم: «عليك بالنوم.. تناول الإفطار واصعد للنوم، وبعد الغداء يمكنك الذهاب لرؤية أرثر مع الآخرين. أنت في حالة صدمة يا هاري، وتلوم نفسك على شيء شاهدته، ومن حسن الحظ أنك شاهدته وإلا كان أرثر سيموت. كُفَّ عن القلق».

ربت على كتف «هاري» وغادر الحجرة، تاركًا إياه واقفًا وحده في الظلام.

***

قضى الجميع ـ فيما عدا «هاري» ـ الصباح نائمين. صعد إلى حجرته ومعه «رون»، لكن بينما صعد الأخير إلى فراشه ونام في دقائق، جلس هو بكامل ملابسه، مستندًا إلى قضبان السرير المعدنية الباردة، متعمدًا ألا يريح نفسه، ومصممًا على عدم الإغفاء والنوم، خائفًا من التحول إلى الأفعى ثانية ويفيق من النوم ليجد أنه قد هاجم «رون»، أو ربما خرج من المنزل ساعيًا وراء آخرين.

عندما استيقظ «رون» تظاهر «هاري» باستمتاعه بفترة نوم منعشة. وصلت حقائبهم من «هوجورتس» وهم يتناولون الغداء، حتى يرتدوا ثياب «العامة» في طريقهم إلى «سانت مونجو». كان الجميع فيما عدا «هاري» سعداء وكثيري الكلام، وهم يغيرون عباءاتهم ويرتدون (الجينز) و(التي شيرت). عندما ظهر كل من «تونكس» و«ماد آي» ليصحبوهم إلى لندن، قابلاهما بالسرور والضحك من القبعة الغريبة التي يرتديها الأخير ليخفي عينه السحرية، وليضمن أن تجذب «تونكس» ـ التي أصبح شعرها قصيرًا ووردياً وبراقًا ثانية ـ انتباهًا أقل في محطة المترو.

وجد «هاري» لدى «تونكس» اهتمامًا بالغًا برؤيته الخاصة بالهجوم على السيد «ويزلي»، وهو ما لا يريد نقاشه.

سألته بفضول وهما يجلسان متجاورين في المترو المتجه إلى قلب المدينة: «لا يوجد أي عرافين في عائلتك يا هاري. أليس كذلك؟».

قال «هاري» مفكرًا في الأستاذة «تريلاوني» وشاعرًا بالإهانة: «لا».

قالت «تونكس» باهتمام: «لا.. لا، أعتقد أنها ليست بنبوءة. أليس كذلك؟ أعني أنك لا ترى المستقبل، بل ما يجري في الواقع.. هذا غريب. أليس كذلك؟ لكنه مفيد..».

لم يجب «هاري».. لحسن الحظ توقفوا المحطة التالية، وهي المحطة الواقعة في قلب لندن بالضبط، وفي خضم الارتباك والحركة أثناء مغادرة القطار تمكن من اللحاق بكل من «فريد» و«جورج» وفي الابتعاد عن «تونكس».. التي قادت الطريق، تبعوها جميعًا إلى السلم الكهربي، و«مودي» من خلفهم وقبعته مائلة بحدة، ويده العجوز ظاهرة من بين أزرار معطفه، قابضة على العصا

السحرية. شعر «هاري» بالعين السحرية ترمقه باهتمام، محاولاً تفادي أي أسئلة عن حلمه. سأل «ماد آي» عن مكان «سانت مونجو».

قال «مودي» بصوته الأجش وهم يخطون إلى النهار الشتوي البارد وسط الشارع الزاخر بالمشترين من أجل أعياد الميلاد: «ليست بعيدة عن هنا». دفع «هاري» أمامه وأخذ يسير خلفه. تيقن «هاري» من أن العين تدور في كل الاتجاهات من تحت القبعة المائلة.. وسمع «مودي» يضيف: «لم يكن من السهل العثور على موقع جيد لمستشفى. لا يوجد مكان بزقاق «دياجون» يتسع لمستشفى، ولا يمكن أن تكون تحت الأرض مثل الوزارة.. فلن تكون صحية. وفي النهاية تمكنا من الحصول على مبنى هنا. فالمهم أن يختلط السحرة المرضى بالجموع ويتخفون وسطهم».

قبض على كتفي «هاري» حتى لا ينفصلا بين جموع المشترين، الذين دخلوا بينهم لا يلوون على شيء سوى دخول متجر قريب مليء بالأدوات الكهربية.

قال «مودي» بعد لحظة: «ها نحن ذا».

وصلوا إلى متجر كبير، قديم الطراز، ومبني بالطوب الأحمر يسمى «برج آند بوس ليمتد». كان للمكان عبق خاص، وحوله إحساس بالتعاسة، والمعروض في النوافذ يتكون من تماثيل عرض قديمة على رءوسها شعر مستعار مائل، وعليها ملابس قديمة تعود إلى عشر سنوات مضت على الأقل. كان هناك لافتة كبيرة على الأبواب المتربة مكتوب عليها: «مغلق للتحسينات». سمع «هاري» صوت امرأة تحمل حقائب مليئة بالمشتريات، وهي تخاطب رفيقتها وهما سائرتان: «هذا المتجر لا يفتح أبدًا..».

قالت «تونكس» وهي تدفعهم إلى النافذة التي لا تعرض سوى تمثال لامرأة قبيحة: «فعلاً.. هل الجميع مستعدون؟».. كانت جفونها الزائفة معلقة، وتعرض ثوبًا لونه أخضر من النايلون، وبلا أكمام.

أومأوا جميعًا برءوسهم، وتحلقوا حولها. دفع «مودي» «هاري» بيده بين لوحي كتفه ليدفعه إلى الأمام، ومالت «تونكس» على الزجاج، ونظرت إلى الدمية القبيحة، وتنفسها يكون بخارًا أبيض عليه، وقالت: «وتشر.. نحن هنا لرؤية أرثر ويزلي».

قال «هاري» لنفسه: إن ما تفعله «تونكس» غريب، فكيف تتوقع من التمثال

الرد عليها، وقد زاد من تعجبه حالة الشارع المليء بالناس والحافلات. لم تذكر أن التماثيل لا تسمع أيضًا. بعد لحظة فغر فاه في دهشة والتمثال يومئ إيماءة صغيرة، وتشير إبهام المرأة بأصابعها، وتقبض «تونكس» على «جيني» والسيدة «ويسلي» من مرفقيهما، ويخطين عبر الزجاج ويختفين.

خطا خلفهن «فريد» و«جورج» و«رون». تطلع «هاري» حوله إلى الشارع المزدحم، ولم يبدُ على أي من السائرين رغبة في النظر إلى متجر «برج أند دوس ليمتد» القبيح، ولا بدا على أحد ملاحظته اختفاء ستة أشخاص أمام أعينهم.

قال «مودي»: «هيا» دافعًا «هاري» ثانية من الخلف، فتقدما معًا إلى الأمام، عبر ما أحسا به كشلال من الماء البارد، ليخرجا من الجانب الآخر شاعرين بالدفء.

لم يكن هناك أدنى أثر للتمثال القبيح، أو للمساحة الفارغة التي كان فيها، وقفا فيما يشبه قاعة الاستقبال الكبيرة، وفيها صفوف من الساحرات والسحرة جلوس على مقاعد خشبية صغيرة، وبعضهم طبيعي ويقرأ بإمعان مجلة «ويتش ويكلي»، وبعضهم الآخر مصاب بإصابات غريبة، مثل بدانة غير طبيعية في منطقة الجذع فقط، أو أيد زائدة تبرز من صدورهم. كانت الحجرة لا تكاد تقل في ازدحامها عن الشارع، والكثيرون من المرضى يصدر عنهم أصوات غريبة، وساحرة جالسة في منتصف الصف الأول بوجه يتصبب عرقًا، وهي تلوح بجريدة «دايلي بروفيت» قديمة على وجهها بحثًا عن نسمة هواء، وبخار كثيف يخرج مصفرًا من فمها. وإلى جوارها ساحر عجوز، رث الهيئة، رأسه معلق بجسده كالجرس، يتحرك كلما مشى، وفي كل مرة يتحرك يقبض على رأسه من الأذنين ليمنع نفسه من الاهتزاز.

أخذ بعض الساحرات والسحرة يسيرون بعباءات خضراء ليمونية، بطول الصفوف، ملقين بأسئلة، وهم يكتبون ملاحظات على لوحات كتابة مثل لوح كتابة «أمبريدج». لاحظ «هاري» الشعار المطرز على صدورهم: عصا سحرية وعظمة بشرية، متقاطعين. سأل «رون» بهدوء: «هل هم أطباء؟».

قال «رون» منزعجًا ومتعجبًا: «أطباء؟ هل تعني هؤلاء العامة المجانين الذين يقطعون الناس؟ لا، إنهم حكماء».

قالت السيدة «ويسلي»: «من هنا»، فاتبعوها إلى الصف الواقف أمام ساحرة شقراء بدينة جالسة على مكتب مكتوب عليه: الأسئلة. كان الجدار من خلفها مغطى بلافتات مثل: «القدر النظيف يحافظ على سلامة الوصفات السحرية

من السموم». و«لا تأخذ الأمصال إلا بعد موافقة الحكيم». كان هناك أيضًا صورة كبيرة لساحرة ترتدي حلقات فضية وعليها اسم:

دايليس ديروينت
حكيمة سانت مونجو ١٧٢٢ ـ ١٧٤١
ناظرة مدرسة هوجورتس لتعليم الساحرات والسحرة
١٧٤١ ـ ١٧٦٨

أخذت «دايليس» ترمق آل «ويسلي» وهم يقتربون كأنها تحصيهم، وعندما التقت عيناها بعيني «هاري»، غمزت له غمزة خفيفة، وخرجت من لوحتها مختفية.

أما في مقدمة الصف، فقد كان هناك ساحر شاب يتقافز بسرعة محاولًا بين نوبات الألم شرح أعراضه المرضية للساحرة الجالسة خلف المكتب.

«إنه.. آه.. الحذاء الذي أعطاه لي أخي.. أي.. إنه يأكلني.. آه.. انظري إليه.. لابد أنه.. آه.. مصاب بتعويذة، ولا يمكنني.. آآه.. خلعه»، وأخذ يتقافز من قدم إلى قدم كأنه واقف على جمرات ساخنة.

قالت الساحرة الشقراء باستياء مشيرة إلى لافتة كبيرة إلى يسارها: «هل أساء الحذاء القراءة؟ أنت بحاجة لقسم إصابات التعاويذ، الطابق الرابع، مثلما هو مكتوب في الدليل.. التالي».

مع تراقص الساحر وتقافزه مبتعدًا عن الطريق، تقدم آل «ويسلي» خطوات للأمام، وتمكن «هاري» من قراءة الدليل:

الحوادث الاصطناعية .... الطابق الأرضي
انفجار القدور، إصابة بالعصا السحرية عن طريق الخطأ، سقوط من فوق مقشة.. إلخ

إصابات بسبب المخلوقات السحرية .... الطابق الأول
عضات، لسعات، حروق، مخالب مغروسة في اللحم.. إلخ

الحشرات السحرية .... الطابق الثاني

أمراض معدية، مثل حصبة التنين، وحمى الوادى السحرى، وإنفلونزا الهيبوجريف... إلخ

التسمم من الوصفات والنباتات السحرية.......... الطابق الثالث
طفح جلدى، تقيؤ، ضحك لا إرادى... إلخ

الإصابات بسبب التعاويذ.......................... الطابق الرابع
تعاويذ، عكوسات، تعاويذ عن طريق الخطأ

حجرة انتظار الزوار/متجر المستشفى.......... الطابق الخامس

إن كنت لا تعرف على وجه الدقة إلى أين تذهب، أو كنت غير قادر على الكلام، أو لا تتذكر سبب وجودك هنا، فيسعد ساحرة الاستقبال مساعدتك.

كان قد وصل إلى أول الصف ساحر عجوز يرتدى جهازاً فى أذنه لضعاف السمع، وقال: «أريد زيارة برودبريك بود».

قالت الساحرة بسرعة: «جناح رقم تسعة وثلاثين، لكنك تضيع وقتك.. فهو يخرف.. ما زال يعتقد أنه إبريق شاى.. التالى».

تقدم إليها ساحر يحمل ابنته الصغيرة من كاحلها وهى ترفرف بجناحين هائلين من الريش، برزا من ظهرها.

قالت الساحرة بضجر من دون أن تسأل الرجل أى أسئلة: «الطابق الرابع» فاختفى الرجل خلف الباب ذى الضلفتين إلى جانب المكتب، حاملاً ابنته غريبة المظهر. «التالى».

تقدمت السيدة «ويزلى» إلى المكتب.

قالت: «أهلاً.. زوجى آرثر ويزلى، من المفترض انتقاله إلى جناح آخر هذا الصباح، هلا أخبرتنى بـ...؟».

قالت الساحرة وهى تجرى أصبعها على قائمة طويلة أمامها: «آرثر ويزلى؟ أجل، الطابق الأول، الباب الثانى إلى اليمين.. جناح داى لولين».

قالت السيدة «ويزلى»: «أشكرك» ثم مخاطبة الأولاد: «تعالوا.. هيا بنا».

تبعوها عبر الباب ذى الضلفتين وعبر الممر الضيق من خلفه، والذى اصطفت على جدرانه لوحات حكماء شهيرين، وزينته قناديل كبيرة داخلها شمع معلق فى السقف من دون رابط، وكأنها فقاعات صابون عملاقة محيطة بالشموع

وجدوا المزيد من الساحرات والسحرة يسيرون فى عباءات خضراء ليمونية داخلين وخارجين من وإلى الحجرات المصطفة على الجانبين.. وعند أحد الأبواب رأوا غازاً أصفر سيئ الرائحة، وهم يمرون إلى جواره، ومن الحين والآخر يسمعون نحيباً بعيداً. صعدوا درجات السلم ودخلوا إلى ممر قسم الإصابات بسبب المخلوقات السحرية، فوجدوا الباب الثانى إلى اليمين يحمل لافتة باسم: جناح «داى لولين» للعضات الخطرة. وتحته كارت نحاسى مكتوب عليه: الحكيم المسئول: «أبو قراط سميثويك»، حكيم تحت التمرين: «أوجوستوس باى».

قالت «تونكس»: «سننتظر بالخارج يا مولى.. لا يمكن دخول زوار كثيرين على آرثر مرة واحدة.. لا بد من دخولكم أولاً وحدكم».

أعلن «ماد آى» استحسانه الفكرة بحشرجة غير مفهومة من حنجرته، وأسند ظهره إلى جدار الممر، وعينه السحرية تدور فى كل الاتجاهات. تراجع «هارى» هو الآخر، لكن السيدة «ويزلى» مدت يدها إليه ودفعته عبر الباب وهى تقول: «لا تكن سخيفاً يا هارى.. آرثر يود أن يشكرك».

كان الجناح صغيراً وأقرب إلى القذارة، والنافذة الوحيدة به ضيقة وعالية وتقف على الحائط المواجه للباب. كان معظم الضوء يأتى من فقاعات كريستالية لامعة متجمعة فى منتصف السقف. والجدران من خشب البلوط، وثمة لوحة لساحر يبدو عليه الشر مكتوب تحتها: «أوركوهارت راكهارو، ١٦١٢ ـ ١٦٩٧، مخترع تعويذة طرد الأمعاء خارج الجسد».

لم يكن هناك سوى ثلاثة مرضى. السيد «ويزلى» يشغل الفراش عند الطرف البعيد من الجناح إلى جانب النافذة الصغيرة. سُر «هارى» وارتاح لرؤيته جالساً مستنداً إلى عدة وسادات، وهو يقرأ جريدة «دايلى بروفيت» على ضوء شعاع الشمس الوحيد الساقط على فراشه. رفع بصره إليهم وهم يسيرون نحوه، وابتسم لـ«هارى» عندما وقع بصره عليه.

قال وهو يلقى بالجريدة إلى جواره: «أهلاً.. غادر بيل منذ قليل يا مولى، عليه العودة إلى العمل، لكنه يقول: إنه سيمر علىَّ فيما بعد».

سألته السيدة «ويزلى» وهى تميل وتقبل وجنته والقلق بادٍ على وجهها: «كيف حالك يا آرثر؟ مازال وجهك شاحباً».

قال السيد «ويزلى» بابتهاج: «أنا فى أحسن حال» وهو يمد يده ويحتضن «جينى» أضاف: «فقط لو يخلعون عنى هذه الضمادات، يمكننى العودة إلى البيت».

سأله «فريد»: «ولماذا لا يخلعونها يا أبى؟».

قال السيد «ويسلي» بمرح: «لأنه كلما فعلوا؛ نزفت جروحي» وهو يمد يده إلى عصاه السحرية على المائدة المجاورة لفراشه، ويلوح بها لتظهر ستة مقاعد إضافية إلى جانب الفراش.. قال: «يبدو أن السم الذي تسلل إلى جسدي من أنياب الثعبان من نوع خطير يجعل الجروح لا تلتئم. إنهم واثقون من أنهم سيجدون له مصلاً مضاداً، ويقولون: إن هناك حالات أسوأ من حالتي بكثير، وأثناء بحثهم عن علاج فأنا آخذ تركيبة تجديد الدم السحرية كل ساعة لكن ذلك الرجل هناك..» قال الجملة الأخيرة مشيراً برأسه إلى الفراش المقابل له، والذي يرقد عليه رجل شاحب الوجه محدق بثبات في السقف وأردف: «هذا الرجل عضه مذءوب بالمسكين. لا علاج لهذه الإصابة بالمرة».

همست السيدة «ويسلي» منزعجة: «مذءوب؟ هل وجوده في جناح مستشفى عام آمن؟ ألا يجب أن يكون في حجرة خاصة؟».

قال السيد «ويسلي» بهدوء: «بقي أسبوعان على تحول القمر إلى بدر. تحدث إليه الحكماء هذا الصباح، محاولين إقناعه بأنه سيكون قادراً على أن يحيا حياة طبيعية. قلت له - من دون ذكر أسماء طبعاً - إنني أعرف مذءوباً، وهو رجل لطيف، وحالته المرضية بسيطة وسهلة».

سأله «جورج»: «وماذا قال؟».

قال السيد «ويسلي» بأسى: «قال: إنه سيعضني إن لم أصمت.. وتلك المرأة هناك» مشيراً إلى شاغلة الفراش الآخر والذي كان إلى جوار الباب مباشرة، وأضاف: «لم تخبر الحكماء بما عضها، مما دفعنا للتفكير في أنه شيء كانت تتعامل معه بصفة غير قانونية. أيًا كان فقد التهم جزءاً كبيراً من قدمها، بالرائحة الكريهة التي تنبعث من جرحها».

سأله «فريد» مقرباً مقعده من الفراش: «إذن فسوف تخبرنا بما حدث يا أبي؟».

قال السيد «ويسلي» مبتسماً ابتسامة ذات مغزى مواجهاً «هاري»: «أنتم تعرفون القصة بالفعل. أليس كذلك؟ الموضوع بسيط. مررت بيوم شاق طويل، ونعست، وتسلل الثعبان وعضني».

سأله «فريد» مشيراً إلى الجريدة التي ألقى بها السيد «ويسلي» إلى جواره: «وهل الحادث مذكور في الجريدة؟ هل كتبوا أنك قد هوجمت؟».

قال السيد «ويسلي» بابتسامة مريرة: «بالطبع لا.. الوزارة لا تريد نشر خبر تسلل أفعى عملاقة إلى..».

حذرته السيدة «ويسلي» قائلة: «آرثر»

قال السيد «ويسلي» بسرعة وإن كان «هاري» على يقين من أن ما ذكره لم يكن ما ينوي قوله في البداية: «.. أه.. تسللت أفعى عملاقة إلى..».

سأله «جورج»: «إذن فأين كنت يا أبي عندما وقع الحادث؟».

قال السيد «ويسلي» بصرامة، وإن كان هناك ابتسامة صغيرة مرتسمة على وجهه: «هذا شأني أنا» والتقط الجريدة، وفضها ليقول: «كنت أقرأ لتوي عن اعتقال ويلي ويدرشينس حينما وصلتم. هل تعرفون أن ويلي ويدرشينس هو المتسبب في حادث المرحاض المتقيئ الصيف الماضي؟ انطلقت إحدى تعاويذه عن طريق الخطأ عكس الاتجاه وضربته، وانفجر المرحاض ورقد هو مغشيًا عليه وسط الحطام، مغطى من قمة رأسه حتى أخمص قدميه في..».

قاطعه «فريد» بصوت خفيض: «لكن ماذا كنت تفعل وقت الحادث يا أبي؟».

همست السيدة «ويسلي»: «سمعتم والدكم. نحن لن نناقش ما جرى هنا. استمر في كلامك عن ويلي ويدرشينس يا آرثر».

قال السيد «ويسلي» بتجهم: «لا تسألوني كيف، لكنه في الواقع خرج ببراءة من موضوع المرحاض.. لابد وأن الذهب الذي يغير النفوس هو السبب».

قال «جورج» بهدوء: «ماذا كنت تحرس وقت الحادث يا أبي؟ السلاح؟ الشيء الذي يسعى إليه الذي - تعرفه؟».

قالت السيدة «ويسلي» بحدة: «جورج.. اسكت»

قال السيد «ويسلي» بصوت مرتفع: «المهم.. هذه المرة قبضوا على ويلي وهو يبيع للعامة مقابض أبواب تعض، ولا أعتقد أنه سيقدر على الخروج بالبراءة هذه المرة؛ لأنه طبقًا للمكتوب في الجريدة، فإن اثنين من العامة قد فقدا أصابعهما، وهم الآن في سانت مونجو يعيدون تشكيل عظامهما، ويجرون تعديلات على ذاكرتهما. شيء غريب.. عامة في سانت مونجو.. ترى ما هو الجناح الذي يقيمون فيه؟».

ونظر بلهفة حوله كأنه ينتظر من أحدهم الإجابة.

تساءل «فريد» ناظراً لوالده؛ سعياً لفهم رد فعله: «ألم تقل إن الذي - تعرفه عنده ثعبان يا هاري؟ ثعبان كبير؟ ألم تره ليلة عودته؟».

قالت السيدة «ويسلي» بغضب: «هذا يكفي. ماد آي وتونكس بالخارج يا آرثر ويريدان الدخول والاطمئنان عليك. أما أنتم، فانتظروا بالخارج». قالت الجملة الأخيرة مخاطبة أولادها و«هاري»، وأضافت: «يمكنكم الدخول فيما بعد وتوديع أبيكم».

عادوا إلى الممر. دخل «ماد آي» و«تونكس» وأغلقا الباب من خلفهما. رفع «فريد» حاجبيه متعجبًا مستنكرًا وقال ببرود وهو يعبث في جيبه: «رائع. هكذا إذن؟ لا يريدون إخبارنا بأي شيء».

قال «جورج» وهو يمد إليه يده بما بدا كخيط لحمي اللون ومتشابك: «هل تبحث عن هذه؟».

قال «فريد» مبتسمًا: «أنت تقرأ أفكاري. هيا نرى إن كانت أبواب سانت مونجو محصنة ضد التنصت».

فك هو و«جورج» الخيوط وفصلوا خمسة أطراف للأذن الممتدة عن بعضها. ناولهم «فريد» و«جورج» الأطراف، وتردد «هاري» في قبول الطرف الذي قدماه له.

«خذها يا هاري. أنت من أنقذ حياة أبي. إن كان لأحدنا الحق في التنصت فهو أنت».

أخذ «هاري» طرف الخيط مبتسمًا رغمًا عنه ووضعه في أذنه مثلما فعل التوأمان.

همس «فريد»: «هيا. اذهبي».

مشت الخيوط اللحمية ملتوية على الأرض ودخلت من تحت الباب. في البداية لم يسمع «هاري» شيئًا، ثم أجفل عندما سمع «تونكس» تهمس بصوت مسموع كأنها واقفة إلى جواره.

«.. لقد فتشوا المكان بأكمله ولم يجدوا الثعبان. يبدو أنه اختفى بعد مهاجمتك يا آرثر. لا.. ما كان الذي تعرفه ليفكر في إدخال ثعبان عملاق إلى المكان.. أليس كذلك؟».

قال «مودي»: «أعتقد أنه أرسله للاستكشاف، لأنه لم يحالفه الحظ إلى الآن. أليس كذلك؟ واضح أنه يريد الحصول على الصورة الكاملة لما يواجهه، وإن لم يكن آرثر هناك، كان الوحش ليقضي المزيد من الوقت متفحصًا المكان. إذن فبوتر يقول: إنه رأى كل شيء؟».

قالت السيدة «ويسلي» قلقة: «أجل.. يبدو وكأن دمبلدور كان ينتظر رؤية هاري لشيء مثل هذا».

قال «مودي»: «أجل.. هناك شيء غريب في هذا الولد بوتر».

همست السيدة «ويسلي»: «يبدا دمبلدور قلقًا على هاري عندما تحدثت إليه هذا الصباح».

قال «مودي»: «بالطبع من حقه القلق، فالولد يرى أشياء كأنه داخل ثعبان الذي - تعرفينه. من الواضح أن بوتر لا يدرك معنى هذا، لكن إن كان الذي - تعرفينه قد استحوذ عليه فإن..».

جذب «هاري» طرف الأذن من أذنه، وأخذ قلبه يخفق بقوة وسرعة وزادت حرارة وجهه. نظر حوله إلى الآخرين. كانوا يحدقون فيه، والخيوط متدلية من آذانهم، وقد تملكهم الخوف فجأة.



٢٢ عيد الميلاد فى الجناح المغلق

ألهذا السبب لم يعد «دمبلدور» ينظر إلى عينى «هارى»؟ هل يتوقع رؤية «فولدمورت» فيهما؟ عساه خائفًا من تحول لونهما الأخضر اللامع إلى الأحمر بشقوق فى وسطهما كعيون القطط؟ تذكر «هارى» كيف خرج يومًا وجه «فولدمورت» الثعبانى الطابع من رأس الأستاذ «كويرل»، فتحسس مؤخرة رأسه متسائلاً بم سيشعر إذا خرج «فولدمورت» من جمجمته.

شعر بالقذارة، والتلوث، وكأنه يحمل جرثومة مميتة، ولا يستحق الجلوس فى عربة المترو هذه التى تقله عائدة من المستشفى مع أشخاص أبرياء ونظيفين ذوى عقول وأجساد خالية من وصمة وسخ «فولدمورت».. إنه لم ير الثعبان فقط بل كان هو الثعبان، وهو على يقين من هذا.

ثم خطرت على باله فكرة بشعة، ذكرى طفت إلى سطح عقله، ذكرى جعلت صدره يضطرم، وأمعاءه تتلوى مثل الثعابين.

إلام يسعى بخلاف الحصول على أتباع؟

أشياء لا يمكنه الحصول عليها سوى بالخداع.. سلاح مثلاً. شىء لم يكن لديه المرة السابقة.

قال «هارى» لنفسه: إنه هو السلاح، وكأن السم يتدفق إلى أوردته، يجمده، ويجعل العرق يتصبب على جبينه وهو يترنح فى القطار الذى يجرى داخل النفق المظلم. أنا السلاح الذى يحاول «فولدمورت» استخدامه، ولهذا يحرسوننى فى كل مكان أذهب إليه، ليس لحمايتى، بل لحماية الآخرين، لكن لا جدوى مما يفعلون، لا يمكنهم حراستى طوال الوقت وأنا فى «هوجورتس».. لقد هاجمت السيد «ويسلى» ليلة أمس، كان أنا من فعلها.. جعلنى «فولدمورت» أهاجمه، وهو بإمكانه الدخول إلى جسدى، والاستماع إلى أفكارى فى هذه اللحظة..

همست السيدة «ويسلى» وهى تميل عليه من فوق «جينى» والقطار يسير فى النفق المظلم بصوته الصاخب: «هل أنت بخير يا هارى؟ لا تبدو بحال جيدة. هل تشعر بالتعب؟».

كانوا يراقبونه جميعًا. هز رأسه بعنف، ورفع بصره إلى إعلان عن التأمين على المنازل.

قالت السيدة «ويسلى» بصوت مفعم بالقلق وهم يسيرون على العشب المهمل أمام «جريمولد بليس»: «هارى يا عزيزى.. هل أنت بخير فعلاً؟ تبدو شاحبًا.. هل نمت صباح اليوم حقًا؟ اصعد إلى الفراش فورًا ونَمْ ساعتين حتى موعد تناول العشاء، ما رأيك؟».

أومأ برأسه، فها هو مبرر لعدم الحديث مع أحد، وهو ما كان يريده بالضبط؛ لذا فعندما فتحت الباب الأمامى سارع بالمرور إلى جوار حاملة المظلات المأخوذة من قدم الترول، ثم صعد السلم وانطلق إلى حجرة «رون» وحجرته.

أخذ يذرع الحجرة جيئة وذهابًا، إلى جوار السريرين، ولوحة «فينياس نيجيلوس» الخالية، وعقله زاخر ومهتاج بالأسئلة والأفكار المخيفة.

كيف أصبح ثعبانًا؟ لعله «أنيماجوس».. لا، لا يمكنه، كان سيعرف وقتها.. لعل «فولدمورت» «أنيماجوس».. أجل، هكذا تتضح الأمور، يتحول إلى ثعبان بالطبع، وعندما يتملكنى نتحول معًا.. لكن هذا لا يفسر كيف وصل إلى لندن وعاد منها إلى فراشه فى خمس دقائق.. لكن «فولدمورت» أقوى ساحر فى العالم ـ باستثناء «دمبلدور» ـ وعلى الأرجح لا يمثل نقل الناس هكذا مشكلة بالنسبة إليه.

ثم وبإحساس يشع بالذعر قال لنفسه: *هذا جنون.. إن كان «فولدمورت» قد استحوذ علىّ فأنا أنقل إليه صورة كاملة لما يجرى فى مقر جماعة العنقاء فى هذه اللحظة؛ سيعرف من بالجماعة ومكان «سيريوس».. كما أننى سمعت الكثير من الأشياء التى ما كان يجب أن أسمعها، كل ما قاله «سيريوس» لى فى الليلة الأولى لوصولى إلى هنا..*

لا يوجد أمامه سوى خيار واحد: أن يغادر «جريمولد بليس» على الفور. سيقضى عيد الميلاد فى «هوجورتس» من غير الآخرين، وهو ما سيقيهم الأذى طوال فترة الإجازة على الأقل.. لكن لا.. هذا لا يكفى.. سيكون هناك الكثيرون فى «هوجورتس» ممن سيتعرضون للخطر. ماذا لو أصيب «سيماس» أو «دين»، أو «نيفيل»؟ كفَّ عن السير ووقف محدقًا فى لوحة «فينياس نيجيلوس» الفارغة. أحس بوطء التوتر يجثم على صدره ثقيلاً. ليس عنده اختيار: سيعود إلى «بريفت درايف»، ويقطع علاقته بعالم السحرة نهائيًا.

فكر أنه لو كان عليه فعل هذا فلا فائدة من البقاء هنا. حاول أن يتخيل كيف سيتصرف آل «دورسلي» مع وصوله إلى باب دارهم قبل ستة أشهر من الموعد المفترض وصوله فيه، وهرول إلى حقيبته، وأغلقها، ثم نظر حوله بحثًا عن «هدويج» قبل أن يتذكر أنها ما زالت في «هوجورتس».. لا يهم سيزاح عنه حمل إضافي وهو قفصها. قبض على الحقيبة وجرها نحو الباب قبل أن يصله صوت يقول: «هل تحاول الهروب؟».

التفت خلفه. كان «فينياس نيجلوس» قد ظهر في اللوحة ومال على إطارها، وهو يراقب «هاري» بتعبير ساخر على وجهه.

قال «هاري» بالاقتضاب وهو يجر حقيبته عدة أقدام أخرى تجاه باب الحجرة: «لا، لست أهرب».

قال «فينياس نيجلوس» وهو يداعب لحيته المدببة: «حسبت أن انتماءك لفرقة جريفندور يعني أنك شجاع. كان الأفضل لك الانضمام إلى فرقتي. نحن فرقة سليذرين شجعان، ولسنا أغبياء. على سبيل المثال لو كان لنا الاختيار فنحن ننقذ أنفسنا قبل أن نفكر في التهور».

قال «هاري» بسرعة: «أنا لا أنقذ نفسي» وهو يجر الحقيبة على جزء غير ممهد من البساط المتآكل القديم أمام الباب.

قال «فينياس نيجلوس» وهو ما زال يداعب لحيته: «هذا واضح.. هذا ليس هروب الجبناء، بل هو هروب النبلاء».

تجاهله «هاري» ويده على مقبض الباب، عندما قال «فينياس نيجلوس» بتكاسل: «عندي رسالة إليك من ألبوس دمبلدور». التفت إليه «هاري».

«ما هي؟».

«ابق مكانك».

قال «هاري» ويده ما زالت على مقبض الباب: «أنا لم أتحرك.. ما هي الرسالة؟».

قال «فينياس نيجلوس» بنعومة: «تلوتها عليك لتوي يا أحمق.. دمبلدور يقول لك: ابق مكانك».

قال «هاري» بلهفة وقد أسقط الحقيبة: «لماذا؟ لماذا يريد مني البقاء؟ ماذا قال بخلاف هذا؟».

قال «فينياس نيجلوس» وهو يرفع حاجبه الرفيع، وكأنه يتعجب من وقاحة «هاري»: «لا شيء».

توتر مزاج «هاري» بسرعة، مثل ثعبان يسعى على العشب مقتربًا من فريسته. كان متعبًا، ومرتبكًا إلى حد غير مسبوق، ومر بأحاسيس الفزع، والراحة، ثم الفزع ثانية، وهذا فيما يقل عن اثنتي عشرة ساعة، وما زال دمبلدور لا يريد التحدث إليه!

قال بصوت مرتفع: «إذن، فهذا كل شيء؟ ابق مكانك! هل هذا ما يصح أن يقال لي بعد ما مررت به؟ مثلما حدث بعد هجوم الديمنتورات، هذا كل ما يهم ليقولوه. ابق مكانك؛ حتى يحل الكبار المشكلات يا هاري. لا نريد إزعاجك بشيء؛ لأن عقلك الصغير الضئيل لن يفهم ولن يقدر».

قال «فينياس نيجلوس» بصوت أعلى من صوت «هاري»: «أتعرف؟ هذا بالضبط هو ما كرهته في حياتي وأنا مدرس؛ الصغار المقتنعون إلى أقصى حد برؤيتهم الصحيحة للأمور. ألم يخطر على بالك يا صغيري المسكين أنه ربما يكون لدى الناظر سبب مقنع لحجب بعض تفاصيل خطته عنك؟ ألم تتوقف يومًا لتتأمل ـ بينما تشعر بالظلم هكذا ـ وتلاحظ أن اتباع أوامر دمبلدور لم يؤد بك إلى الأذى قط؟ لا.. بالطبع لا.. فالصغار من أمثالك والقون تمام الثقة من أنهم وحدهم من يفكرون ويشعرون، أنت وحدك من يدرك وجود الخطر، وأنت وحدك الماهر بما يكفي لإدراك أن سيد الظلام يخطط لـ...».

قال «هاري» بسرعة: «يخطط لشيء يفعله معي؟ شيء يخصني؟».

قال «فينياس نيجلوس» وهو يداعب قفازه الحريري بإمعان: «هل قلت هذا؟ والآن، عذرًا، عندي أشياء أفعلها أهم من الاستماع لكلام المراهقين المتألمين. أتمنى لك صباحًا سعيدًا» وخرج من لوحته مختفيًا.

صاح «هاري» في اللوحة الفارغة: «طيب.. اذهب إذن وأبلغ دمبلدور شكري على لا شيء».

ظلت اللوحة ساكنة، والدخان يكاد يتصاعد من أنفه من السخط. عاد إلى فراشه، وألقى بنفسه على الفراش، ووجهه في مواجهة الأغطية التي أكلتها العثة، وأغمض عينيه شاعرًا بجسده ثقيلاً متوجعًا.

شعر بأنه ارتحل أميالاً وأميالاً.. بدا من المستحيل أنه منذ أربع وعشرين ساعة

اقتربت منه «تشو تشانج» وقبلته.. شعر بالتعب.. وبالخوف من النوم.. لكنه لا يعرف إلى متى سيكون عليه مقاومة النوم. «دمبلدور» قال له: ابق مكانك.. ولاشك أن هذا يعني سماحه له بالنوم.. لكنه خائف.. ماذا لو حدث ما حدث ثانية؟

أخذ يغوص في الظلال.

كان فيلمًا ينتظر أن يدور في رأسه. كان يسير في ممرات خالية متجهًا نحو باب خلفي، وعبر درجات سلم حجرية خشنة، ومشاعل، وباب مفتوح، إلى درجات حجرية أخرى متجهة إلى الأسفل.

وصل إلى الباب الأسود لكنه لم يقدر على فتحه.. وقف يحدق فيه ورغبته في الدخول شديدة. شيء ما يرغب فيه بشدة يرقد بالداخل.. شيء يتجاوز أحلامه.. فقط لو كفت الندبة عن إيلامه.. سيكون قادرًا على التفكير بصورة أكثر صفاء.

جاءه صوت «رون» بعيدًا بعيدًا: «هاري، أمي تقول إن العشاء جاهز، لكنها أعدت لك بعض الطعام إن أردت الأكل في الفراش».

فتح «هاري» عينيه، لكن «رون» كان قد خرج من الحجرة.

إنه لا يريد أن يكون على سجيته معي.. ليس بعد ما سمعه من «مودي» مونك. لا أحد منهم يريد بقاءه، ليس بعد أن عرفوا ما بداخله.

لن ينزل لتناول العشاء، ولن يزعجهم ويفرض نفسه عليهم. تقلب في الفراش على جانبه الآخر وبعد برهة عاود النوم. أفاق من نومه فيما بعد، في ساعات الصباح الأولى، وبطنه تؤلمه من الجوع و«رون» يغط في الفراش بجواره، وهو يضيق عينيه: ليرى في الظلام، رأى «فينياس نيجيلوس» في لوحته، وقال لنفسه إن «دمبلدور» على الأرجح قد أرسله ليراقبه، في حالة ما إذا نهض ليهاجم أحدًا.

تكاثف شعوره بالقذارة. تمنى لو لم يطع «دمبلدور».. إن كان هذا هو شكل الحياة في «جريمولد بليس» فربما يجد «بريفت درايف» أفضل.

***

قضى جميعهم - سواه - الصباح التالي يعلقون زينة عيد الميلاد. لم يتذكر «هاري» رؤية «سيريوس» في حالة مزاجية جميلة كهذه من قبل.. أخذ يغني أغنيات العيد، وقد سره وجود صحبة وقت الأعياد. سمعه «هاري» وصوته يدوي، وهو في حجرة الرسم حيث جلس وحده مراقبًا السماء تبيض وتبيض

من النوافذ مهددة بسقوط الثلوج، شاعرًا طوال الوقت بمتعة غريبة في إعطائه فرصة للآخرين كي يتحدثوا عنه، لابد وأن هذا ما يفعلونه. عندما سمع السيدة «ويزلي» تناديه بنعومة وقت الغداء، تجاهلها وبقي بالأعلى.

حوالي الساعة السادسة مساء رن جرس الباب، وأخذت السيدة «بلاك» في الصراخ ثانية. ومع افتراضه قدوم «مندنجس» أو عضو آخر من الجماعة انطوى «هاري» أكثر في جلسته بحجرة «باكبيك» حيث اختبأ، محاولاً تجاهل إحساسه بالجوع وهو يطعم الهيبوجريف جرذانًا ميتة. شعر بصدمة خفيفة عندما طرق أحدهم الباب بشدة بعد دقائق.

جاءه صوت «هيرميون» تقول: «أعرف أنك بالداخل. هلا خرجت من هناك؟ أريد الحديث إليك».

سألها «هاري» وهو يفتح الباب و«باكبيك» يعاود حكه للأرض المفروشة بالقش: بحثًا عن أية قطعة من جرذ قد يكون أسقطها: «ماذا تفعلين هنا؟ حسبتك تتزلجين مع أمك وأبيك».

قالت «هيرميون»: «في الواقع، التزلج ليس هوايتي المفضلة؛ لذا فقد جئت لقضاء أعياد الميلاد معكم». كان هناك ثلج في شعرها، ووجهها أحمر من البرد. أضافت: «لكن لا تخبر رون. قلت له: إن التزلج جيد؛ لأنه ضحك كثيرًا عندما سمع به. أمي وأبي شعرا ببعض الحسرة، لكنني قلت لهما: إن جميع المهتمين بالنجاح بتفوق في الامتحانات سيقيمون في هوجورتس للدراسة. يريدون مني النجاح بتفوق، وسوف يتفهمون المهم. دعنا نذهب إلى حجرتك، فوالدة رون قد أوقدت المدفأة بها وستحضر الشطائر».

تبعها «هاري» إلى الطابق الثاني. عندما دخل الحجرة، اندهش لرؤية «جيني» و«رون» في الانتظار، جالسين على فراش الأخير.

قالت «هيرميون» برشاقة وهي تخلع عنها سترتها قبل أن يتمكن «هاري» من الكلام: «جئت في الحافلة. أخبرني دمبلدور بما حدث بالأمس، لكن كان عليَّ الانتظار حتى نهاية الفصل الدراسي رسميًا قبل المجيء. أمبريدج مصدومة لاختفائكم من تحت أنفها، حتى مع إخبار دمبلدور إياها بأن السيد ويزلي في سانت مونجو وبأنه قد أعطاكم الإذن بالزيارة».

جلست إلى جوار «جيني»، ونظرت كلتاهما ومعهما «رون» إلى «هاري».

سألته «هيرميون»: «بم تشعر؟».

قال «هاري» بعنف: «بخير».

قالت بنفاد صبر: «لا تكذب يا هاري.. رون وجيني يقولان إنك مختبئ هنا منذ عودتك من سانت مونجو».

قال «هاري» محدجًا «رون» و «جيني» بغضب: «حقًا.. هل قالا هذا؟». نظر «رون» إلى قدميه، لكن لم يبد التأثر على «جيني» وقالت: «أجل.. كما أنك لا تنظر إلى أحد منا».

قال «هاري» بغضب: «أنتم الذين لا تنظرون إليّ».

قالت «هيرميون» وركن فمها يرتعش: «ربما تتبادلون الأدوار، ولا تتقابل عيونكم أبدًا». فقال «هاري» بحدة وهو يشيح بوجهه: «باللطف».

قالت «هيرميون» بحدة: «كف عن الإحساس بألا أحد يفهمك.. انظر، قال لي الآخرون ما سمعتموه ليلة أمس، بشأن الآذان الممتدة».

قال «هاري» مزمجرًا ويداه في جيبه وهو يشاهد الثلج المتساقط بكثافة بالخارج: «حقًا؟ تتحدثون عني؟ أليس كذلك؟ لقد تعودت على هذا».

قالت «جيني»: «أردنا الكلام معك يا هاري.. لكن مع اختبائك فقد...».

قال «هاري» وهو يشعر بغيظ متزايد: «لم أرغب في الكلام مع أحد».

قالت «جيني» بغضب: «واضح.. كان هذا غباء منك.. مع معرفتك بأنني الوحيدة هنا التي استحوذ عليها الذي - تعرفه، وأنني الوحيدة التي تقدر على إخبارك بما تشعر وهو متملكك».

صمت «هاري» مع إحساسه بكلماتها، ثم دار على عقبيه.

قال: «نسيت». فقالت «جيني» ببرود: «يالحسن حظك».

قال «هاري» قاصدًا ما يقوله: «أنا آسف.. إذن، هل تعتقدين أنه يستحوذ عليّ؟».

سألته «جيني»: «هل تتذكر كل ما تفعله؟ هل هناك فترات في ذاكرتك لا تعرف ما فعلته خلالها؟». فكر «هاري» مليًا وقال: «لا».

قالت «جيني» ببساطة: «إذن فالذي - تعرفه لم يستحوذ عليك.. عندما يفعل فلا يمكنك تذكر ما تفعله لساعات. كنت أجد نفسي في مكان ما ولا أعرف كيف وصلت إليه».

لم يجرؤ «هاري» على تصديقها، لكنه شعر بالراحة رغم رفضه كلامها «ذلك الحلم عن والدك والثعبان، كان...».

قالت «هيرميون»: «هاري، لقد راودتك هذه الأحلام من قبل. العام الماضي عرفت بعض ما يخطط له ڤولدمورت».

قال «هاري» وهو يهز رأسه: «لكن الأمر مختلف هذه المرة.. فقد كنت داخل الثعبان.. كأنني أنا الثعبان.. ماذا لو كان ڤولدمورت قد نجح في نقلي إلى لندن بطريقة ما و...؟».

قالت «هيرميون» ساخطة: «يومًا ما ستقرأ كتاب (تاريخ هوجورتس)، ولعلك ساعتها تتذكر أنه لا يمكن لأحد الاختفاء أو الظهور سحريًا داخل هوجورتس. حتى ڤولدمورت لا يقدر على إخراجك طائرًا من نافذة حجرتك يا هاري».

قال «رون»: «أنت لم تغادر فراشك يا صاحبي.. رأيتك تتحرك أثناء نومك لمدة دقيقتين على الأقل قبل أن أوقظك».

شرع «هاري» في السير جيئة وذهابًا بطول الحجرة ثانية، مفكرًا ما يقولونه جميعًا ليس فقط مريحًا، بل أيضًا منطقيًا.. وبدون تفكير أخذ شطيرة من الطبق الموضوع على الفراش، وألقى بها في فمه الجائع.

قال لنفسه: إنه ليس السلاح السري بعد كل شيء. امتلأ قلبه حبورًا وراحة، وأحس بحاجته للانضمام إليهم مع سماعه «سيريوس» يغني بأعلى صوته مقتربًا من الباب.

***

كيف فكر في العودة إلى «بريفت درايف» وقت عيد الميلاد؟ كانت فرحة «سيريوس» بامتلاء المنزل ثانية، وبصفة خاصة بعودة «هاري»، من النوع المعدي. لم يعد مضيفهم العابس كما كان وقت الصيف، فقد بدا مصممًا على الاستمتاع بالوقت، ودفع الجميع للاستمتاع بأوقاتهم مثله، وعمل بلا كلل أثناء التجهيز للعيد، وأخذ ينظف ويزين وهم يساعدونه، حتى ومع ذهابهم جميعًا إلى الفراش ليلة العيد أصبح المنزل وكأنه مكان آخر مختلف بالمرة عن حاله فيما سبق. لم تعد الثريات والقناديل معبأة بأعشاش العنكبوت، بل تلمع بالزينة الذهبية والفضية، والثلج السحري يتساقط في أكوام فوق الأبسطة، وشجرة عيد الميلاد الكبيرة التي جاء بها «مندنجس» وزينتها بحوريات حقيقيات أخفت شجرة عائلة «سيريوس» عن العيون، وحتى رءوس الأقزام المعلقة على جدار الصالة ارتدت قبعات ولحى «بابا نويل».

أفاق «هاري» من نومه صباح العيد ليجد الحجرة مليئة بالهدايا أمام

فراشه، ووجد «رون» وقد فتح بالفعل نصف كومة هداياه الأكبر.

قال مخاطبًا «هاري» من خلف سحابة من الورق: «الغنيمة جيدة هذا العام. شكرًا على بوصلة المكنسة. إنها ممتازة. هيرميون أحضرت لي مخططًا لعمل الواجب.. تخيل!».

تفحص «هاري» هداياه فوجد على إحداها إهداء بخط «هيرميون». أعطته هو الآخر كتابًا على شكل دفتر يوميات. كان كلما فتح منه صفحة؛ سمع أشياء مثل: «لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد».

حصل من «سيرياس» و«لوبين» على كتب ممتازة منها كتاب بعنوان «السحر الدفاعي العملي واستخداماته ضد السحر الأسود» والذي وجد به رسومًا متحركة رائعة توضح كل التعاويذ المضادة الموصوفة بالكتاب. أخذ «هاري» يقلب في الكتاب بلهفة، فوجده مفيدًا في اجتماعات الـ(دي. أيه) أرسل «هاجريد» إليه محفظة من المفترض أنها ضد السرقة. لكن كلما حاول «هاري» وضع النقود فيها؛ عضت أصابعه محاولة قضمها. قدمت له «تونكس» نموذجًا مصغرًا من مكنسة «فايربولت»، التي أخذ «هاري» يراقبها وهي تطير في الحجرة متمنيًا القدرة على ركوب المكنسة الكبيرة منها. أهداه «رون» صندوقًا كبيرًا من حلوى «كل النكهات». أما السيد والسيدة «ويسلي» فقد وصله منهما السترة اليدوية الصنع المعتادة وبعض الفطائر. أما «دوبي» فقد قدم لوحة فظيعة، ارتاب «هاري»، إنها من رسم القزم. وقلبها رأسًا على عقب؛ ليرى إن كانت ستبدو أفضل هكذا، وبصوت فرقعة ظهر «فريد» و«جورج» عند قاعدة فراشه.

قال «جورج»: «عيد ميلاد سعيد.. لا تهبط للطابق السفلي».

قال «رون»: «لماذا؟».

قال «فريد» بتثاقل: «أمي تبكي ثانية. أعاد لها «بيرسي» السترة الهدية التي أرسلتها له بمناسبة عيد الميلاد».

أضاف «جورج»: «بدون رسالة تفسر رفضه، وبدون أن يسأل عن أحوال أبي أو يقول إنه زاره أو ما شابه».

قال «فريد» وهو يدور حول الفراش ناظرًا إلى اللوحة التي تلقاها «هاري» هدية: «حاولنا التخفيف عنها. قلنا لها: إن «بيرسي» ليس أكثر من كومة من فضلات الفئران».

قال «جورج» وهو يأكل قطعة شيكولاتة «فروج»: «لم ينجح هذا معها، فتولى «لوبين» الأمر. الأفضل أن نتركه يحاول التخفيف منها قبل أن ننزل لتناول الإفطار».

تساءل «فريد» وهو يحدق في لوحة «دوبي»: «ما هذا؟ يبدو قردًا بعينين سوداوين».

قال «جورج» مشيرًا إلى ظهر اللوحة: «إنه هاري. هذا هو المكتوب على ظهرها».

قال «فريد» مبتسمًا: «بالتشابه». ألقى «هاري» بمذكرة الواجب الجديدة عليه، فضربت الحائط المقابل وسقطت على الأرض، حيث قالت بسعادة: «إن كنت قد وضعت النقطتين على حرف التاء، والنقطة على حرف الفاء، وانتهيت من عمل الواجب بذكاء؛ فاخرج وافعل ما تشاء».

نهضوا وارتدوا ثيابهم. سمعوا كل من بالمنزل يقولون: «عيد ميلاد سعيد» لأحدهم الآخر وفي طريقهم إلى الأسفل قابلوا «هيرميون».

قالت بسعادة: «شكرًا على الكتاب يا هاري. لطالما أردت اقتناء كتاب نظرية الأرقام الجديدة هذا. وهذا العطر مميز للغاية يا رون».

قال «رون»: «لا عليك»، وأضاف وهو يشير برأسه إلى الهدية الملفوفة التي تحملها: «ولمن هذه؟». قالت «هيرميون» مبتسمة: لـ «كريتشر».

حذرها «رون» قائلاً: «الأفضل ألا تكون ثيابًا. فأنت تعرفين ما قاله سيرياس. كريتشر يعرف الكثير، ولا يمكننا تحريره».

قالت «هيرميون»: «إنها ليست ثيابًا، ولو كان الأمر قد تُرك لي لأعطيته شيئًا يرتديه بدلاً من تلك الخرقة البالية. إنه لحاف بدوي الصنع، لعله يجعل حجرته أفضل حالاً».

قال «هاري» وهو يخفض صوته إلى همسة وهم يمرون إلى جوار لوحة أم «سيرياس»: «أية حجرة؟».

قالت «هيرميون»: «يقول سيرياس إنها ليست حجرة بالمعنى المتفق عليه. إنها أقرب للمأوى الصغير، فهو ينام تحت الغلاية في المطبخ».

لم تكن السيدة «ويسلي» وحدها في القبو عندما وصلوا إليه. لأعطيته أمام الموقد، وبدا من صوتها وكأنها مصابة ببرد شديد وهي تقول لهم: «عيد ميلاد سعيد». فتجنبوا النظر إليها.

قال «رون» وهو يقترب من الباب القذر في الركن المقابل من حجرة المؤن التي لم يرها «هاري» من قبل: «إذن، فهذه هي حجرة كريتشر؟».

قالت «هيرميون» وصوتها متوتر قليلاً: «أجل.. أ.. الأفضل أن نطرق الباب».

طرق «رون» الباب بمفاصل أصابعه، لكن لم يجبهم أحد. قال من دون التفكير في الانتظار: «لابد من أنه قد تسلل لأعلى محاولاً التنصت». ثم صاح في اشمئزاز.

نظر «هاري» إلى الداخل. كانت معظم الخزانة مشغولة بغلاية قديمة للغاية، لكن عند المساحة الخالية أسفلها وتحت الأنابيب صنع «كريتشر» لنفسه ما يشبه العش. كان على الأرض الكثير من الخرق البالية والبطانيات القديمة المهترئة في منتصف ما بدا كفراش. هنا وهناك كسرات الخبز وقطع من الجبن. وفي الركن البعيد أشياء صغيرة لامعة وعملات. خمن «هاري» أن «كريتشر» قد أخذها ظنًا منه أنه ينقذها، كما تمكن من أخذ صور فوتوغرافية للأسرة موضوعة في أطر من الفضة، وكانت قد اختفت من «سيريوس» على مدار الصيف. قد يكون زجاج اللوحات قد انكسر، لكنَّ الأفراد الواقفين في كل منها بالأبيض والأسود أخذوا يحدقون فيه بكبرياء، ومنهم سيدة غامضة ثقيلة الأجفان شهد محاكمتها في مفكرة «دمبلدور» السحرية، فشعر كأن هناك من وخزه في بطنه من الرهبة.. كانت «بيلاتريكس ليسترانج». ومن وضْعها في المكان بدا أنها صورة «كريتشر» المفضلة، فقد وضعها أمام كل الصور الأخرى، وعالج الزجاج باللاصق السحري بشكل أخرق.

قالت «هيرميون» وهي تضع هديتها بأناقة في منتصف الخرق والبطانيات، ثم توصد الباب بسرعة: «أرى من الأفضل أن نترك الهدية هنا.. سيجدها لاحقًا».

قال «سيريوس» وهو يطل من باب حجرة المؤن وفي يده ديك رومي كبير وهم يغلقون باب الخزانة: «بالمناسبة.. هل رأى أحدكم كريتشر؟».

قال «هاري»: «لم أره منذ ليلة عودتنا. فأنت أمرته بالخروج من المطبخ».

قال «سيريوس» مقطبًا جبينه: «أجل.. أتعرف، أعتقد أنها آخر مرة رأيته فيها أيضًا.. لا بد أنه مختبئ بالأعلى».

قال «هاري»: «لا يمكن أن يكون قد غادر.. أليس كذلك؟ أعني عندما تقول (اخرج) فقد يكون قد فهمها اخرج من المنزل».

قال «سيريوس»: «لا.. لا، الأقزام المنزلية لا يغادرون إلا إذا أعطيتهم ثيابًا، فهم مرتبطون بمنزل الأسرة».

قال «هاري» معارضًا إياه: «يمكنهم مغادرة المنزل إن رغبوا في هذا

بشدة. «دوبي» فعل هذا، غادر منزل آل «مالفوي» ليحذرني منذ ثلاثة أعوام، وعاقب نفسه بعدها.. لكنه جرؤ على المغادرة».

بدا «سيريوس» منزعجًا للحظة، ثم قال: «سأبحث عنه لاحقًا، وأتوقع أن أجده بالأعلى يبكي على أمي.. بالطبع ربما يكون قد تسلل إلى نفق التهوية ومات فيه.. لكنني لا آمل في هذا كثيرًا».

ضحك «فريد» و«جورج» و«رون»، لكن «هيرميون» بدا عليها الضيق.

حالما أكلوا غداء عيد الميلاد، خطط آل «ويسلي» و«هاري» و«هيرميون» لزيارة السيد «ويسلي» ثانية، ومعهم «ماد آي» و«لوبين». ظهر «مندنجس» وقت أكل الحلوى وقد تمكن من «استعارة» سيارة للزيارة، مع توقف مترو الأنفاق يوم عيد الميلاد عن العمل. أما السيارة التي ارتاب «هاري» كثيرًا في أنها قد أخذت من دون موافقة صاحبها فقد تضخمت بفعل التعاويذ، مثل سيارة آل «ويسلي» القديمة. بالرغم من كونها على حجمها الطبيعي من الخارج، فقد ركبها عشرة أشخاص ومعهم «مندنجس» الذي قادها دون أي إحساس بضيق المساحة. ترددت السيدة «ويسلي» قبل الركوب، وعرف «هاري» أن ضيقها من «مندنجس» كان يتصارع مع ضيقها من الارتحال من دون السحر.. لكن أخيرًا ركبت بفعل البرد الشديد وإلحاح أولادها، واستقرت في المقعد الخلفي بين «فريد» و«بيل» بسهولة.

كانت الرحلة إلى «سانت مونجو» سريعة. عندما وصلوا، شاهدوا جماعة من الساحرات والسحرة يسيرون على الجانب الآخر من الطريق لزيارة المستشفى. خرج «هاري» والآخرون من السيارة، وقادها «مندنجس» إلى ناصية الشارع لانتظارهم. هرولوا نحو نافذة العرض ذات تماثيل العرض الخضراء، ثم - واحدًا تلو الآخر - خطوا عبر الزجاج إلى الداخل.

بدت قاعة الاستقبال مستعدة للعيد. الأقمار الكريستالية التي تضيء «سانت مونجو» صار لونها أحمر وذهبيًا، وعلقت فقاقيع هائلة متألقة، وأشجار عيد الميلاد المغطاة بالثلج السحري تلمع في كل ركن، وكل منها عليه نجمة ذهبية. وجدوا المستشفى أقل ازدحامًا من المرة الماضية.. لكن عند منتصف الحجرة، رأى «هاري» ساحرة في فتحة أنفها اليسرى قضيب حديدي طويل.

قالت الساحرة الشقراء بسخرية من خلف مكتبها: «السبب خلاف عائلي.. أليس

كذلك»أنت ثالث من رأيت اليوم بهذه الحالة. ضرر ناتج عن تعويذة، الطابق الرابع».

وجدوا السيد «ويسلي» جالسًا في فراشه، معه ما تبقى من عشاء من الديك الرومي على صينية على حجره، وثمة تعبير غريب على وجهه.

بعد أن سلموا على السيد «ويسلي» وناولوه هداياهم، سألته السيدة «ويسلي»: «هل أنت بخير يا آرثر؟».

قال السيد «ويسلي» بصوت حار أكثر من اللازم: «أجل بخير. أنت.. أ.. هل.. ألم تروا الحكيم سميثويك؟». فقالت السيدة «ويسلي» بريبة: «لا.. لماذا؟».

قال السيد «ويسلي» بلا اهتمام وقد بدأ في فك كومة هداياه: «لا شيء.. المهم، هل قضيتم يومًا سعيدًا؟ ما الذي أحضرتموه لي من هدايا؟ هاري.. هذه الهدية رائعة». فقد فض هدية «هاري» ليجد سلكًا كهربائيًا ومعه علبة مفكات.

لم يبد على السيدة «ويسلي» الرضا برد السيد «ويسلي» عليها. وزوجها يميل على «هاري» ليصافحه نظرت إلى الضمادات من تحت منامته.

قالت بصوت حاد: «آرثر.. لقد غيروا لك ضماداتك.. لماذا غيروا لك الضمادات قبل موعد تغييرها بيوم يا آرثر؟ لقد أخبرتني أنهم لن يغيروها قبل الغد».

قال السيد «ويسلي» بصوت خائف وهو يجذب الأغطية إلى صدره: «ماذا؟ لا.. لا يهمك.. الأمر..». تراجع احتجاجه تحت أعين السيدة «ويسلي» القوية.

«لا تغضبي يا مولي.. لكن أوجوستوس باي ورد على خاطره فكرة.. إنه حكيم تحت التمرين كما تعرفين، ويا له من شاب ممتاز مهتم بـ.. بالطب البديل.. أعني طب العامة.. فهناك ما يطلقون عليه غرزًا طبية يا مولي، وهي رائعة في علاج جروح الـ.. العامة..».

صدر عن السيدة «ويسلي» صوت يقع بين الصرخة والزمجرة. هرول «لوبين» بعيدًا عن الفراش متجهًا نحو المذءوب، الذي لم يأته زوار وأخذ ينظر بحسرة إلى الجمع المتحلق حول السيد «ويسلي». غمغم «بيل» بشيء ما عن حاجته لفنجان من الشاي، وخرج مع «فريد» و«جورج» وعلى وجوههم ابتسامة.

قالت السيدة «ويسلي» وصوتها يعلو ويعلو مع كل كلمة تنطقها، وقد بدا أنها غير واعية لهرولة من جاء معها من زوار كلٌ إلى مكان ما، اتقاء لغضبها: «أتعني أنك تعبث بطب العامة؟».

قال السيد «ويسلي» برفق: «لا أعبث يا مولي يا عزيزتي.. المسألة أن.. كان

هناك شيء اتفقت وباي على محاولته.. لكن وللأسف، فمع هذا النوع من الجروح.. يبدو أن العلاج لا ينفع كما تمنينا..».

«ماذا تعني؟».

«أ.. أعني.. لا أعرف إن كنت تعرفين طبيعة الغرز».

قالت السيدة «ويسلي» بصوت عابس: «يبدو أنك حاولت حياكة جلدك، لكن حتى أنت يا آرثر لا يمكن أن تكون بهذا الغباء».

قال «هاري» وهو يهب على قدميه: «أنا بحاجة إلى فنجان شاي أنا الآخر».

هرول نحو الباب ومعه كل من «هيرميون» و«رون» و«جيني». وهم يغلقون الباب من خلفهم سمعوا السيدة «ويسلي» تصرخ: «ماذا تعني؟ ماذا فعلت في الحياة؟».

قالت «جيني» وهي تهز رأسها في حكمة: «هكذا أبي دائمًا.. أي شخص عاقل يخيط نفسه بالغرز؟!».

قالت «هيرميون» منصفة إياه: «إنها تعالج الجراح غير السحرية.. وأعتقد أن هناك شيئًا ما في سم هذا الثعبان جعلها تنحل. ترى، أين حجرة الشاي؟».

قال «هاري» وقد تذكر المكتوب على اللافتة المعلقة فوق مكتب ساحرة الاستقبال: «الطابق الخامس».

ساروا بطول الممر عبر مجموعة من الأبواب المزدوجة، ليجدوا سلمًا قديمًا عليه المزيد من لوحات حكماء قساة المظهر. وأثناء صعودهم أخذ شاغلو اللوحات يتنادونهم وهم يصفون أعراضًا مرضية غريبة يرونها عليهم ويقترحون أدوية رهيبة لها. انزعج «رون» كثيراً من ساحر من العصور الوسطى ناداه من إحدى اللوحات قائلًا: إنه مصاب بمرض «سباترجرويت».

تساءل بغضب والحكيم يطارده من خلال ست لوحات وهو يزيح قاطنيها جانبًا: «وما هو هذا المرض؟».

«إنه أشد الأمراض خطرًا على الجلد أيها السيد الصغير، سيترك جلدك مشوهًا أكثر من حاله حاليًا..».

قال «رون» وأذنه آخذة في الاحمرار: «احفظ لسانك».

«.. الدواء الوحيد له هو كبد الضفدع، لفه حول رقبتك، وقف عاريًا على برميل مليء بشعابين الماء ساعة ظهور القمر بدرًا..».

«لست مصابًا بالسباترجرويت».

«لكن هذه الحبوب على وجهك يا سيدي الصغير».

قال «رون» بغضب: «إنها نمش.. والآن عد إلى لوحتك ودعني لشأني».

التفت إلى الآخرين الذين صمموا على الحفاظ على وجوههم ثابتة من غير الضحك أو الابتسام، «أي طابق هذا؟».

قالت «هيرميون»: «أظنه الخامس».

قال «هاري»: «لا.. إنه الرابع. مازال أمامنا طابق آخر حتى نصل».

لكن وهو يخطو على منتصف السلم تجمد في مكانه، وأخذ يحدق في النافذة الصغيرة المركبة على الباب المكتوب عليه: «قسم الإصابات بسبب التعاويذ». كان هناك رجل يحدق فيهم وأنفه مضغوط على زجاج النافذة. كان شعره أشقر مموجًا، وعيونه زرقاء لامعة، وعلى وجهه ابتسامة واسعة خالية من التعبير تكشف عن أسنان بيضاء لامعة.

قال «رون» وهو يحدق في الرجل هو الآخر: «اللعنة».

قالت «هيرميون» فجأة مبهورة الأنفاس: «يا ربي، إنه الأستاذ لوكهارت».

فتح معلم مادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود السابق الباب وتحرك نحوهم، فوجدوه مرتديًا ثوبًا أرجوانيًا قاتمًا طويلاً.

قال: «أهلاً بكم، طبعًا تريدون توقيعي.. أليس كذلك؟».

غمغم «هاري» مخاطبًا «جيني»: «لم يتغير كثيرًا.. أليس كذلك؟». فابتسمت.

قال «رون» شاعرًا ببعض الذنب: «آ.. كيف حالك يا أستاذ؟».

كانت عصا «رون» السحرية الفاسدة هي التي أتلفت ذاكرة الأستاذ «لوكهارت» بشدة وأدخلته مستشفى «سانت مونجو»، وإن كان هو من قصد مسح ذاكرة «هاري» و«رون» وقتها، ولهذا كان تعاطف «هاري» معه قليلاً.

قال «لوكهارت» بحيوية وافرة وهو يخرج من جيبه ريشة طاووس يستعملها في الكتابة: «أنا بخير أشكرك.. والآن، كم توقيعًا تريدون؟ يمكنني التوقيع بأكثر من أسلوب».

قال «رون» وهو يرفع حاجبيه مواجهًا «هاري»: «آ.. لا نريد توقيعك الآن. شكرًا لك». فقال الآخر: «يا أستاذ.. هل لك حرية التنقل في ردهات المستشفى هكذا؟ أليس من الواجب أن تكون في جناح ما؟».

تلاشت الابتسامة ببطء من على وجه «لوكهارت».. لبضع ثوان، ركز بصره على «هاري»، ثم قال: «ألم نتقابل من قبل؟».

قال «هاري»: «آ.. أجل تقابلنا.. كنت أنت معلمنا في هوجورتس، هل تذكر؟».

كرر «لوكهارت» الكلمة: «معلم» وكأنه يتذكر، مضيفًا: «أنا؟ هل كنت أدرس حقًا؟».

ثم عاودت الابتسامة الظهور على وجهه فجأة بطريقة مثيرة للقلق.

«لا شك أنني علمتكم كل ما تعرفونه، أليس كذلك؟ ما رأيكم في الحصول على توقيعي إذن؟ هل أوقع عشرة توقيعات لكل منكم؟ وزعوها على أصدقائكم الصغار؛ وهكذا فلن يحزن أحد على عدم حصوله على توقيعي».

لكن في تلك اللحظة، ظهر رأس عند الطرف البعيد للممر ونادى صوت: «جيلدروي، أيها الولد الشقي.. أين أنت؟».

اقتربت منهم حكيمة، عليها مظاهر الأمومة وهي مرتدية إكليلاً من أشرطة الزينة في شعرها، مبتسمة بوهن في مواجهة «هاري» والآخرين.

«معقول يا جيلدروي؟ جاءك زوار؟ شيء جميل، ويوم عيد الميلاد أيضًا.. أتعرفون؟ إنه لا يصله زوار أبدًا.. يا للمسكين، ولا أعرف لم لا؟! فهو ظريف.. أليس كذلك؟».

قال «جيلدروي» للحكيمة بابتسامة متألقة أخرى: «نحن نوقع الأوتوجرافات.. فهم يريدون الكثير منها، ولا يقبلون برفضي. أرجو أن يكون معنا ما يكفي من الأوتوجرافات».

قالت الحكيمة وهي تمسك بذراع «لوكهارت» وتبتسم له بحب كأنه ولد في الثانية من عمره: «اسمعوا ماذا يقول.. كان شهيرًا منذ سنوات مضت، ونتمنى أن تكون رغبته في توقيع الأوتوجرافات علامة على بدئه في استعادة ذاكرته. اقترب مني. إنه مستقر في جناح مغلق، ولابد أنه قد تسلل خارجًا وأنا أحضر هدايا عيد الميلاد.. فالأبواب مغلقة في الأغلب.. إنه ليس خطيرًا، لكن...». خفضت صوتها حتى لم يرتفع عن الهمسة وهي تقول: «... إن خطره على نفسه أفدح، فهو لا يعرف من هو، ويتجول في المكان ولا يعرف كيف يعود.. جميل منكم أن جئتم لتروه».

قال «رون» مشيرًا إلى الطابق الأعلى: «في الواقع.. نحن.. كنا...».

لكن الحكيمة استمرت في الابتسام، وتلاشت همهمة «رون» وهو يقول: «في

طريقنا لتناول فنجان من الشاي». حتى إنها لم تخرج منه مسموعة. نظروا إلى أحدهم الآخر، ثم اتبعوا «لوكهارت» والحكيمة بطول الممر.

قال «رون» بهدوء: «دعونا لا نجلس هنا كثيراً».

أشارت الحكيمة بعصاها إلى باب جناح «جانوس ثيكي» وغمغمت «ألوهومورا»: «انفتح الباب» وقادت الطريق إلى الداخل، وهي قابضة بحزم على ذراع «جيلدروى» حتى أجلسته على المقعد المجاور لفراشه.

قالت مخاطبة «هارى» و«رون» و«هيرميون» و«جيني» بصوت خفيض: «هذا جناح النزلاء لفترات طويلة؛ نتيجة لإصابة مستدامة سببها التعاويذ. بالطبع بالوصفات السحرية الطبية المركزة، والتعاويذ المضادة وببعض الحظ يمكن أن يتحسنوا قليلاً. يبدو أن جيلدروى قد استعاد بعض ذاكرته وبدأ يشعر بذاته. كما شهدنا تحسناً ملحوظاً في حالة السيد بود، يبدو أنه استعاد أخيراً القدرة على الكلام، بالرغم من أنه لا يتكلم بلغة معروفة بعد. المهم، لابد من الانتهاء من تقديم هدايا عيد الميلاد، سأترككم تتجاذبون أطراف الحديث قليلاً».

أجال «هارى» طرفه في المكان. واضح أن الجناح يحمل كل أمارات كونه مقراً دائماً لنزلائه. كان حول أسرتهم أشياء شخصية أكثر مما في جناح السيد «ويسلى». الحائط خلف فراش «جيلدروى» على سبيل المثال معلق عليه الكثير من صوره الشخصية، وجميعها تبتسم مظهرة أسنانها وتلوح للقادمين الجدد. وقع العديد منها بخط يد طفولي. لحظة أجلسته الحكيمة في مقعده، جذب مجموعة من الصور وقبض على الريشة وأخذ يوقعها بحماس.

قال مخاطباً «جيني»: «يمكنكم وضعها في الأظرف» وهو يلقي بالصور الموقعة في حجرها واحدة تلو الأخرى، ويضيف: «أنا لست منسياً كما تعرفون. لا، ما زلت أتلقى الكثير من رسائل المعجبين.. جلاديس جدجون تكتب لي أسبوعياً.. أتمنى لو أعرف السبب..» توقف وبدا عليه التعجب، ثم ابتسم ثانية وعاد لتوقيع صوره بحماس متجدد، وأضاف: «السبب هو شكلي الجميل بلا شك..».

وجدوا على الفراش المواجه له ساحراً شاحب الوجه تبدو عليه الحسرة، وهو يحدق في السقف. أخذ يغمغم لنفسه وبدا غير واع بالمرة بما يجري حوله. على مسافة سريرين كانت هناك سيدة، جسدها غارق بأكمله في فراء كثيف، تذكر «هارى» شيئاً مماثلاً وقع لـ«هيرميون» في عامهم الدراسي الثاني، بالرغم

من أن إصابتها لم تكن دائمة. وعند الطرف البعيد من الجناح كانت الستائر مجرورة حول فراشين يبدو أن شاغليهما وزوارهما يبغيان بعض الخصوصية.

قالت الحكيمة مبتسمة للمرأة ذات الفراء وهي تناولها كومة من هدايا عيد الميلاد: «خذى يا آجنس، لم ينسك أحد. أرأيت؟ وأرسل لك ابنك برسالة تقول إنه سيزورك الليلة. أليس هذا رائعاً؟». نبحت «آجنس» عدة نبحات مرتفعة الصوت.

«انظر يا برودريك، لقد أرسلوا إليك نبتة، وتقويم حائط عليه هيبوجريف لكل شهر؛ شكله يتغير كل شهر، ستبهج أيامك. أليس كذلك؟». تكلمت الحكيمة وهي تنتقل إلى جوار الرجل كثير الغمغمة، وتضع بجانبه نبتة قبيحة بأهداب طويلة مترنحة، وتثبت التقويم على الحائط بعصاها السحرية، وتقول: «و.. آ.. سيدة لونجبوتم، هل ستغادرين بسرعة هكذا؟».

دار «هارى» على عقبيه بسرعة. انكشفت الستائر عند طرف الجناح البعيد لتظهر من خلفها سريوان وزائران يمران بين الأسرة بطول الجناح. ساحرة عجوز مهيبة المظهر ترتدي ثوباً أخضر، وفراء ثعلب أكلته العثة، وقبعة مدببة الطرف مزينة بنسر محنط وتجر من خلفها الزائر الآخر المكتئب المحسور: «نيفيل».

أدرك «هارى» في لحظة من هما المريضان الراقدان عند طرف الجناح. أخذ يحاول تشتيت انتباه الآخرين؛ حتى يتمكن «نيفيل» من مغادرة الجناح من دون أن يلاحظه أحد. لكن «رون» رفع بصره هو الآخر مع سماعه لفظة «لونجبوتم». لكن وقبل أن يتمكن «هارى» من منعه قال: «نيفيل».

أجفل «نيفيل» وكأن رصاصة قد مرت إلى جواره.

قال «رون» مبتسماً وهو يهب على قدميه: «هذا نحن يا نيفيل.. هل رأيت لوكهارت هنا. من كنت تزور؟».

قالت جدة «نيفيل» بتأنيب وهي تنظر إليهم جميعاً: «هل هم أصدقاؤك يا عزيزى نيفيل؟».

بدا كأن «نيفيل» يتمنى لو تنشق الأرض وتبتلعه. ظهر احمرار شديد على وجهه البدين ولم يبادل أحدهم النظر.

قالت جدته وهي تنظر عن قرب إلى «هارى» وتمد له يداً نحيلة تشبه المخالب ليصافحها: «آه.. أجل. أجل. أجل. أنا أعرفك. نيفيل يثني عليك كثيراً».

قال «هارى» وهو يصافحها: «آ.. أشكرك». لم ينظر «نيفيل» إليه، لكنه أخذ يفحص قدمه، واللون الأحمر على وجهه يوغل فى الاحمرار.

أردفت السيدة «لونجبوتم»: «ولكنما بالطبع من آل ويسلى» وهى تقدم يدها بتأنق إلى «رون» و«جينى» على التوالى وتقول: «أعرف أبويكما. ليس كثيرًا بالطبع، لكنهما لطيفان.. وأنت.. لا بد أنك هيرميون جرانجر».

أجفلت «هيرميون» عندما وجدت أن السيدة «لونجبوتم» تعرف اسمها، لكنها صافحتها على أية حال.

«أجل، نيفيل حكى لى عنك الكثير. لقد ساعدته فى مواقف صعبة.. أليس كذلك؟ إنه ولد طيب» أضافت الجملة الأخيرة وهى تلقى بنظرة صارمة عليه ثم قالت: «لكن ليس عنده موهبة أبيه للأسف»، وأشارت برأسها ناحية السريرين عند طرف الجناح، فاهتز النسر المحنط فوق قبعتها مهددًا بالسقوط.

قال «رون» باديًا عليه الذهول: «ماذا؟» (أراد «هارى» وقتها الوقوف على قدم «رون»، لكن مثل هذه الفعلة صعبة الأداء وأنت ترتدى بنطلونًا بدلاً من العباءة). «هل هذا أبوك يا نيفيل؟».

قالت السيدة «لونجبوتم» بحدة: «ما هذا؟ ألم تخبر أصدقاءك بشأن أبويك يا نيفيل؟».

أخذ «نيفيل» شهيقًا عميقًا، ونظر إلى السقف وهز رأسه. لم يتذكر «هارى» رؤيته أكثر حزنًا من حاله وقتها، لكنه لم يعرف كيف يساعده ويخرجه من هذا الموقف.

قالت السيدة «لونجبوتم» بغضب: «هذا ليس مما لا يستدعى خجلك. عليك أن تكون فخورًا بهما يا نيفيل، فخورًا. فهما لم يضحيا بصحتهما وعقليهما حتى يخجل ابنهما الوحيد منهما».

قال «نيفيل» بصوت واهن مُصرًا على عدم النظر إلى «هارى» أو أىٍّ من الآخرين: «أنا لا أخجل منهما». وقف «رون» على أطراف أصابعه؛ حتى يتمكن من رؤية شاغلى الفراشين.

قالت السيدة «لونجبوتم»: «واضح عدم خجلك هذا، وطريقتك فى التعبير عنه غريبة. ابنى وزوجته..». أضافت الجملة الأخيرة ناظرة إلى «هارى» و«رون» و«هيرميون» و«جينى» وأكملت: «.. تعذبا حتى جنًا على يد أتباع الذى - تعرفونه».

رفعت كل من «هيرميون» و«جينى» أيديهما على وجهيهما. كف «رون» عن لف عنقه محاولاً إلقاء نظرة على والدى «نيفيل» وبدا عليه الخزى.

استرسلت السيدة «لونجبوتم» فى كلامها: «إنهما مقاتلان للسحر الأسود كما تعرفون، ومن أكثر السحرة احترامًا فى مجتمع السحرة.. موهوبان بشدة، كل منهما.. أ.. أجل، ما الأمر يا عزيزتى أليس؟».

اقتربت والدة «نيفيل» منهم فى منامتها. لم يعد وجهها بدينًا سعيدًا كما رآها «هارى» فى صورة «مودى» القديمة لجماعة العنقاء الأولى. أصبح وجهها نحيلاً وباليًا، وعيناها كبيرتين على وجهها، الذى صار أبيض شاحبًا. لم تبد عليها الرغبة فى الكلام، أو لعلها لم تكن قادرة عليه، لكنها أشارت بحركات خجول ناحية «نيفيل» وفى يدها الممدودة إليه شىء ما.

قالت السيدة «لونجبوتم» بإرهاق: «ثانية؟ حسنًا يا عزيزتى أليس. نيفيل.. خذها منها، أيًا كانت».

لكن «نيفيل» كان قد مد يده بالفعل، فأسقطت فيها والدته غلافًا فارغًا لقطعة حلوى.

قالت جدة «نيفيل» بصوت مبتهج مصطنع وهى تربت على كتف أمه: «رائع يا حبيبتى». وقال «نيفيل» بسرعة: «شكرًا يا أمى».

عادت أمه، متجهة ناحية طرف الجناح البعيد، وهى تغنى بصوت خفيض لا يسمعه سواها. نظر «نيفيل» حوله مجيلاً بصره فى الآخرين، ووجهه ملىء بالتحدى، كأنه يتحداهم أن يضحكوا، لكن «هارى» أحس بأنه لم ير شيئًا أقل إثارة للبهجة من هذا فى حياته.

تنهدت السيدة «لونجبوتم» وهى ترتدى قفازها الأخضر الطويل وقالت: «بالمهم، علينا العودة.. يسعدنى لقاؤكم جميعًا. نيفيل، ألق بهذه الورقة فى القمامة. لابد وأنها أعطتك إلى الآن ما يكفى من الورق لتزيين حجرتك».

لكن وهما يغادران كان «هارى» واثقًا من أن «نيفيل» قد ألقى بغلاف قطعة الحلوى فى جيبه.

أغلق الباب من خلفهما.

قالت «هيرميون» وعيناها مغرورقتان بالدموع: «لم أكن أعرف».

قال «رون» بصوت أجش: «ولا أنا». وهمست «جينى»: «ولا أنا».

نظروا جميعًا إلى «هاري».

قال «بوجوم»: «أنا كنت أعرف. أخبرني «دمبلدور» وجعلني أعده بألا أخبر أحدًا. فهذا هو سبب دخول «بيلاتريكس ليسترانج» أزكابان، لاستخدامها لعنة الكروكياتوس على والدي «نيفيل» حتى أصيبا بالجنون».

همست «هيرميون» مروعة: «بيلاتريكس ليسترانج هي من فعلت هذا؟ تلك المرأة الواقفة في صورة «كريتشر» في حجرته؟».

عم الصمت لبرهة، ثم كسره صوت «لوكهارت» الغاضب.

«انظروا. أنا لم أحسّن من خطي لتتجاهلوا توقيعي هكذا».

٢٤ أوكلومينسى

«كريتشر» ـ كما اتضح لاحقًا ـ كان في السقيفة. قال «سيريوس» إنه قد ...ه بالأعلى غارقًا في التراب، وبالطبع قد صعد! بحثًا عن المزيد من آثار آل ...لاك» القديمة ليخبئها في خزانته. وبالرغم من أن «سيريوس» قد بدا راضيًا ...ذا التفسير، فإنه أصاب «هاري» بالقلق. بدا «كريتشر» في حالة مزاجية ...يدة مع عودته، وتراجعت غمغماته اللاذعة القاسية ليحل محلها خضوعه ...لأوامر بطاعة لم يعهدوها فيه. لكن مرة أو مرتين وجد «هاري» القزم يحدق ...ه بحدة، لكنه كان ينظر بسرعة بعيدًا كلما وجد «هاري» قد لاحظه.

لم يصرح «هاري» بأي من شكوكه أمام «سيريوس»، الذي تلاشى سروره ...رعة مع مرور عيد الميلاد. ومع اقتراب موعد مغادرتهم إلى «هوجوورتس» ...ار أكثر عرضة للحالة التي تطلق عليها السيدة «ويسلي» «نوبات العبوس»، والتي يصبح خلالها قليل الكلام متذمرًا، وفي العادة يصعد إلى حجرة ...اكبيك» يقضي بها الساعات الطوال. وتسرب وجومه إلى باقي المنزل، ...تسللاً من تحت الأبواب مثل غاز سام، حتى أصيب الجميع بعدواه.

لم يرغب «هاري» في ترك «سيريوس» ثانية ومعه «كريتشر» وحده في ...لمنزل. في الواقع، وللمرة الأولى في حياته، لم يكن يتطلع للعودة إلى «هوجوورتس»؛ العودة إلى المدرسة تعني أن يضع نفسه مرة أخرى تحت ...طغيان «دولوريس أمبريدج»، التي ربما أصدرت عشرة فرمانات على الأقل ...أثناء غيابهم، ولم تكن هناك مباريات ولا تمارين «كويدتش» ينتظرها بعد أن ...حظرت عليه اللعب، وعلى الأرجح سيزيد حمل الواجب المدرسي عليهم مع ...اقتراب الامتحانات، وسيظل «دمبلدور» بعيدًا عنه كعهده. في الواقع، إن لم ...تكن اجتماعات (دي. أيه) هي التي تخفف عنه، كان ليرجو «سيريوس» أن يسمح له بترك «هوجوورتس» ليقيم معه في «جريمولد بليس».

ثم وفي آخر أيام الإجازة، حدث شيء أخاف «هاري» بشدة من العودة إلى المدرسة.

قالت السيدة «ويسلي» وهي تطل برأسها من باب الحجرة حيث أخذ «هاري» و«رون» يلعبان «شطرنج سحري» و«هيرميون» و«جيني» و«كروكشانكس» يراقبون اللعب: «عزيزي هاري.. هلا نزلت إلى المطبخ؟ الأستاذ سناب يريدك في كلمة».

لم يدرك «هاري» ما قالته بسرعة.. فقد كانت إحدى طوابيه مشتبكة في صراع عنيف مع فيل من أفيال «رون».. وأخذ يقول: «دمريه يا حمقاء.. إنه مجرد فيل.. عذراً.. ماذا كنت تقولين يا سيدة ويسلي؟».

«الأستاذ سناب يا عزيزي.. في المطبخ، ويريدك في كلمة».

فغر «هاري» فاه في رعب.. نظر إلى «رون» و«هيرميون» و«جيني» فوجدهم جميعًا بأفواه مفتوحة مثله.. أما «كروكشانكس» الذي أبقته «هيرميون» حبيسها طوال ربع الساعة المنقضي، فقد قفز أخيراً من بين يديها بحبور ليحط على لوحة الشطرنج وتجري قطع اللعب: بحثًا عن مأوى منه، وهي تصرخ بأعلى صوتها. قال «هاري» بصوت محايد: «سناب؟».

قالت السيدة «ويسلي» مصححة: «الأستاذ سناب يا عزيزي.. والآن هيا بسرعة، فهو يقول إنه لن يجلس هنا طويلاً».

قال «رون» - مسلوب العزم والسيدة «ويسلي» تغادر الحجرة: «ماذا يريد منك؟ تراك لم تفعل شيئًا أغضبه.. هل فعلت؟».

قال «هاري» بسخط وهو يحاول التفكير فيما يريده «سناب» منه وجعله يطارده هكذا إلى «جريمولد بليس»: «لا.. هل حصل في آخر واجب مدرسي له على تقدير «ت»؟»

بعد دقيقة فتح باب المطبخ ليجد «سيرياس» و«سناب» جالسين على مائدة المطبخ الطويلة، ينظر كل منهما بعيداً عن الآخر. كان الصمت بينهما ثقيلاً محملاً بالكراهية المتبادلة، وعلى المائدة رسالة موضوعة أمام «سيرياس».

قال «هاري» معلنًا حضوره: «آه..».

التفت «سناب» إليه، ووجهه يظهر من خلف ستائر من شعره الأسود اللامع السميك: «اجلس يا بوتر».

قال «سيرياس» بصوت مرتفع وهو يميل للخلف على مقعده ويتحدث

محدقًا السقف: «أتعرف؟ أعتقد أنه من الأفضل ألا تصدر الأوامر هنا يا سناب، إنه بيتي كما ترى».

بدا وجه «سناب» احمرار عنيف وقبيح. جلس «هاري» في المقعد المجاور لمقعد «سيرياس»، وواجه «سناب» عبر المائدة.

قال «سناب» وابتسامته الساخرة المعتادة تلوي فمه: «كان من المفترض أن أقابلك وحدك يا بوتر.. لكن بلاك...».

قال «سيرياس» بصوت أعلى مما سبق: «أنا أبوه الروحي».

قال «سناب» وصوته على النقيض آخذ في الانخفاض: «أنا هنا بناء على أوامر دمبلدور.. لكن فلتبق يا بلاك، فأنا أعرف أنك تحب الإحساس بالمشاركة».

قال «سيرياس» وهو يتخلى عن مقعده ليسقط بصوت مرتفع: «ماذا تعني؟».

قال «سناب»: «ما أقوله هو أنك تشعر بالإحباط والضيق؛ لأنك لا تعمل عملاً مفيدًا». ثم وهو يضغط على مخارج ألفاظه أضاف: «لصالح الجماعة».

جاء دور «سيرياس» لكي يتوهج وجهه محمراً من الغضب، وزم «سناب» شفتيه تعبيراً عن الظفر وهو يلتفت إلى «هاري».

«أرسلني الناظر إليك يا بوتر؛ لأخبرك بأنه يريدك أن تدرس الأوكلومينسي هذا الفصل الدراسي». فقال «هاري» بدهشة: «أدرس ماذا؟».

أصبحت ابتسامة «سناب» الساخرة أوضح.

«الأوكلومينسي يا بوتر: السحر الدفاعي عن العقل ضد الاختراق الخارجي، وهو فرع غامض من السحر، لكنه مفيد».

بدأ قلب «هاري» في ضخ الدماء بسرعة كبيرة.. الدفاع ضد الاختراق الخارجي؟ لكنه ليس مستحوذاً عليه، قالوا له هذا.

قال بدون تفكير: «ولماذا يجب عليّ دراسة الأوكلو...؟».

قال «سناب» بنعومة: «لأن الناظر يراها فكرة صائبة.. ستتلقى درسًا خاصًا مرة أسبوعيًا، لكنك لن تخبر أحداً بما تفعله، على الأقل لن تخبر دولوريس أمبريدج، مفهوم؟».

قال «هاري»: «أجل.. ومن سيعلمني؟». رفع «سناب» حاجبه.

قال: «أنا».

أحس «هاري» باضطراب شديد.. المزيد من الحصص مع «سناب».. ماذا فعل ليستحق كل هذا؟ التفت إلى «سيريوس»؛ سعيًا للحصول على بعض المساندة والدعم.

تساءل «سيريوس» بعدوانية: «ولماذا لا يدرس «دمبلدور» لهاري بنفسه؟ لماذا أنت؟».

قال «سناب» بنعومة: «لأن الناظر يفوض للآخرين مهامه التي لا يحبها، وأؤكد لك أنني لم أطلب منه منحي هذه الوظيفة»، ثم قال وهو يهب على قدميه: «سأنتظرك الساعة السادسة مساء يوم الإثنين يا بوتر في فصلي. إن سألك أحد فقل له إنك تأخذ حصص وصفات سحرية تعويضية. لا أحد ممن رأوا أداءك في حصتي سيشك في حاجتك لحصص تعويضية».

دار على عقبيه ليغادر، وعباءته السوداء تدور معه.

قال «سيريوس» وهو يستقيم في جلسته: «انتظر».

«أنا على عجلة من أمري يا بلاك، على النقيض منك، فوقت فراغي محدود».

قال «سيريوس» وهو ينهض: «وصلتني ما تريد قوله». كان أطول من «سناب»، الذي لاحظ «هاري» تكويره لقبضة يده في عباءته؛ تحسبًا لإشهار عصاه السحرية. أضاف «سيريوس»: «إن عرفت بقضاء هاري أوقاتًا عصيبة في حصص الأوكلومينسي ستجدني لك بالمرصاد».

قال «سناب» بسخرية: «مسست شغاف قلبي حقًا. لكنك بالطبع لاحظت أن بوتر شبيه بأبيه.. أليس كذلك؟». قال «سيريوس» بفخر: «بلى لاحظت».

قال «سناب» بتأنق: «إذن، ستعرف أنه متعجرف مثله، حتى إن النقد والذم لا يؤثران فيه».

دفع «سيريوس» مقعده جانبًا ودار حول المائدة ساعيًا نحو «سناب»، وهو يشهر عصاه السحرية مع اقترابه. شهر «سناب» عصاه. وقفا في مواجهة أحدهما الآخر، «سيريوس» بادٍ عليه الشحوب، وهو يحسب ما سيجري، وعيناه تدوران من عصا «سناب» إلى وجهه والعكس.

قال «هاري» بصوت مرتفع: «سيريوس»، لكن بدا وكأنه لم يسمعه.

قال «سيريوس» ووجهه على مسافة قدم واحدة من وجه «سناب»: «لقد حذرتك يا سنيفيلوس. أنا لا أهتم باعتقاد دمبلدور في توبتك، فأنا أعرفك جيدًا».

همس «سناب»: «حقًا؟ ولماذا لم تخبره برأيك؟ أم أنك خائف ألا يأخذ النصح من رجل مختبئ في بيت أمه منذ ستة أشهر؟

أخبرني.. كيف حال لوكياس مالفوي هذه الأيام؟ تراه مسرورًا بكلب الهارب الحقير الذي يعمل لصالحه في هوجورتس؟».

قال «سناب» بخفوت: «بمناسبة الكلاب.. هل تعرف أن لوكياس مالفوي قد تعرف عليك آخر مرة ظهرت فيها بالخارج؟ بالمهارتك يا بلاك، وصلت إلى محطة القطار متخفيًا. وهو ما أعطاك حجة قوية تتحجج بها حتى لا تغادر مخبأك هذا.. أليس كذلك؟». رفع «سيريوس» عصاه السحرية.

صاح «هاري»، وهو يميل على المائدة محاولاً الوقوف بينهما: «لا.. لا يا سيريوس».

زأر «سيريوس»، محاولاً دفع «هاري» بعيدًا عن الطريق: «هل ترميني بالجبن؟». لكن «هاري» لم يتزحزح. قال «سناب»: «أجل، أعتقد هذا».

أخذ «سيريوس» يزمجر قائلاً: «هاري.. ابتعد.. عن.. طريقي» وهو يدفعه إلى الجانب بيده الخالية.

انفتح باب المطبخ ودخلت أسرة «ويزلي» بأكملها غير ناقصة، ومعهم «هرميون»، التي دخلت وجميعهم على وجوههم السرور، ومعهم السيد «ويزلي» الذي سار بفخر حتى وقف بينهم مرتديًا منامة مقلمة.

أعلن بسرور لكل الواقفين في المطبخ: «لقد شفيت.. شفيت تمامًا».

تجمد، ومعه كل أفراد الأسرة، عند المدخل، وأخذوا يحدقون فيما أمامهم، وقد تجمد «سناب» و«سيريوس» هما الآخران، وهما ينظران جهة الباب وعصواهما السحريتان مرفوعتان وموجهتان إلى وجه أحدهما الآخر، و«هاري» بينهما لا يتحرك، وكل من يديه مرفوعة في مواجهة كل منهما؛ محاولاً إبعادهما عن بعضهما.

قال السيد «ويزلي» والابتسامة تتلاشى من على وجهه: «بحق لحية ميرلين.. ماذا يجري هنا؟».

أنزل كل من «سيريوس» و«سناب» عصويهما السحريتين. نقل «هاري» بصره من أحدهما إلى الآخر، وعلى وجه كل منهما أقسى تعابير الاحتقار، لكن دخول الشهود غير المتوقع أعادهما إلى صوابهما. أعاد «سناب» عصاه

إلى حزامه، ودار على عقبيه مغادراً المطبخ، ماراً بآل «ويسلي» دون أدنى تعليق، وعند الباب نظر خلفه:

«السادسة مساء يوم الإثنين يا بوتر» وخرج بسرعة. حدق فيه «سيرياس» وعصاه إلى جانبه. تساءل السيد «ويسلي» ثانية: «ماذا جرى؟».

قال «سيرياس» بنفس ثقيل كأنه يستريح من الجرى لمسافة طويلة: «لا شيء يا آرثر. كان مجرد لقاء ودود بين أصدقاء مدرسة قدامى»، ثم وهو يجبر نفسه على الابتسام بصعوبة شديدة أضاف: «إذن.. فقد عوفيت! هذا خبر رائع، رائع حقا!».

قالت السيدة «ويسلي» وهي تقود زوجها إلى مقعد أمامه: «فعلاً. نجح سمير الحكيم سميثويك في النهاية، فقد وجد مصلاً لسم الثعبان، وتعلم آرثر درساً أن المداواة بطب العامة لا تفيد، أليس كذلك يا عزيزي؟». وقالت السؤال الأخير بلهجة تهديد. قال السيد «ويسلي» بخنوع: «بلى يا عزيزتي مولي».

كان من المفترض أن تكون وجبة تلك الليلة سعيدة، مع عودة السيد «ويسلي» بينهم. رأى «هاري» كيف يحاول «سيرياس» جعلها كذلك. لكن عندما كان أبوه الروحي لا يحمل نفسه على الضحك بصوت مرتفع على ما يلقيه «فريد» و«جورج» من مزاح أو يقدم للآخرين المزيد من الطعام، كان وجهه يعود إلى طبيعته المتجهمة المكتئبة. انفصل عنه «هاري» مع ظهور «مندنجس» و«ماد آى»، اللذين قدما ليهنئا السيد «ويسلي». أراد الحديث إلى «سيرياس»، وأن يخبره بأنه لا يجب عليه الاكتراث لكلمة مما قاله «سناب»، وأن «سناب» يحاول إثارته متعمداً، وأنهم جميعاً لا يرون «سيرياس» جباناً لأنه يفعل كما أمره «دمبلدور»: أن يظل في «جريمولد بليس». لكنه لم يجد فرصة الكلام، ومن رؤيته النظرة القبيحة المرتسمة على وجه «سيرياس» تساءل «هاري» إن كان سيجرؤ على الحديث إن أتيحت له الفرصة. بدلاً من هذا أخبر «رون» و«هيرميون» بصوت منخفض بشأن دروس «الأوكلومينسي» مع «سناب».

قالت «هيرميون» على الفور: «يريد دمبلدور لك التخلص من تلك الأحلام عن فولدمورت، ولن يحزنك التخلص منها، أليس كذلك؟».

قال «رون» مذعوراً: «دروس إضافية مع سناب! أفضل عليها الكوابيس».

كان عليهم العودة إلى «هوجورتس» اليوم التالي بالحافلة السحرية، ليصحبوا بصاحبيهم - ثانية - «تونكس» و«لوبين»، وكلاهما كان يتناول إفطاره في المطبخ عندما نزل «هاري» و«رون» و«هيرميون» من حجراتهم صباح اليوم التالي. بدا أن الكبار كانوا منهمكين في حوار هامس عندما فتح «هاري» الباب؛ فنظروا إليه جميعهم وصمتوا.

بعد إفطار سريع، ارتدوا جميعاً السترات والوشاحات؛ ليحتموا من الصباح البارد. أحس «هاري» بإحساس قابض في صدره، ولم يرغب في توديع «سيرياس»؛ أحس بأن هذا الفراق مشئوم، فهو لا يعرف متى سيتقابلان ثانية، وشعر بأن لزاماً عليه قول أى شيء لـ«سيرياس»؛ ليمنعه من فعل أى شيء أحمق. كان قلق «هاري» على اتهام «سناب» «سيرياس» بالجبن، فربما خطط بالفعل لرحلة متهورة بعيداً عن «جريمولد بليس». لكن وقبل أن يفكر في قول شيء أخذه «سيرياس» إلى ركن منفرد.

قال بسرعة وهو يمد يده بحزمة في حجم كتاب نحو يد «هاري»: «أريدك أن تأخذ هذه». فسأله «هاري»: «ما هذا؟».

قال «سيرياس» ملقياً بنظرة متعبة على السيدة «ويسلي» التى أخذت تحاول إقناع التوأمين بارتداء قفازات؛ الحماية من البرد: «طريقة تجعلني أعرف إن كان سناب يضايقك. أشك أن «مولي» ستوافق. لكنني أريدك أن تستخدمها إن احتجت إليها. مفهوم؟».

قال «هاري» وهو يلقي باللفافة في جيب سترته: «حاضر». لكنه كان يعرف أنه لن يستخدمها أبداً أياً كانت. فلن يخاطر بإخراج «سيرياس» من بيته الأمن، مهما كان ما يعرضه له «سناب» من متاعب في دروس «الأوكلومينسي».

قال «سيرياس» وهو يربت على كتف «هاري» ويبتسم ابتسامة صغيرة: «هيا لنذهب». وقبل أن يقول «هاري» شيئاً اتجهوا إلى أعلى صاعدين من المطبخ ووقفوا أمام الباب الأمامي الموصد بالمصاريع والسلاسل، ومن حولهم آل «ويسلي».

قالت السيدة «ويسلي» وهي تحتضنه: «وداعاً يا هاري، انتبه لنفسك».

قال السيد «ويسلي» بلطف وهو يصافحه: «إلى اللقاء يا هاري، وراقب لي الثعابين».

قال «هاري» مشتتاً: «أه.. حاضر». كانت هذه الفرصة الأخيرة لنصح «سيرياس» بالاحتراس. التفت ونظر في وجه أبيه الروحي وفتح فمه ليتكلم،

لكن وقبل أن يفعل عانقه «سيرياس» عناقًا قصيرًا بذراع واحدة، وقال بغطاظة: «انتبه لنفسك يا هارى» وفى اللحظة التالية، وجد «هارى» نفسه وا[لـ] يدفعوه إلى النهار الشتوى المتجمد، ومعه «تونكس» - والبوم متنكرة فى صورة امرأة طويلة بشعر رمادى - تنزل به درجات السلم القليلة خارج المنزل.

أوصد باب المنزل رقم (١٢) بقوة من خلفهم. اتبعوا «لوبين»، ومع وصولـ إلى الرصيف نظر «هارى» خلفه. أخذ المنزل رقم (١٢) يتضاءل بسرعة والمنزلان إلى جانبيه يتمددان ويضغطانه ليختفى عن الأنظار، حتى اختفى تمامًا بعدها بلحظة.

قالت «تونكس»: «هيا، كلما وصلنا إلى المحطة أسرع كان أفضل»، ورأى «هارى» نظرتها العصبية المتوترة وهى تلقى بمربع صغير ويد «لوبين» ... اليمنى

طاك

ظهرت حافلة بنفسجية براقة اللون، بثلاثة طوابق، من الهواء أمامهم، وبالكاد أفلتت من الاصطدام بأقرب مصابيح الشارع إليها.

قفز شاب نحيل فى زى رسمى بنفسجى إلى الرصيف وقال: «مرحبًا بكم فى...».

قالت «تونكس» بسرعة: «أجل أجل، نعرف، شكرًا لك. هيا اركبوا».

ودفعت «هارى» إلى الأمام على درجات الحافلة، إلى جوار المحصل الذى نظر إلى «هارى» وهو يمر: «آ.. أهلاً (آرى)».

غمغمت «تونكس» بنبرة تهديد وهى تدفع «جينى» و«هيرميون» إلى الأمام: «إن صحت باسمه سأصيبك بتعويذة النسيان».

قال «رون» بسعادة وهو ينضم إلى «هارى» فى الحافلة وينظر حوله: «لطالما أردت ركوب هذا الشىء».

كان الوقت ليلاً آخر مرة ركب فيها «هارى» الحافلة السحرية بطوابقها الثلاثة، التى كانت مليئة بالأسرَّة النحاسية. والآن، وفى الصباح الباكر، كانت ممتلئة بمقاعد غير متشابهة مرصوصة بشكل عشوائى إلى جوار النوافذ. بعضها سقط عندما توقفت الحافلة أمام «جريمولد بليس». كان بعض السحرة والساحرات يستعدون للنهوض، وأخذوا يغمغمون ممتعضين، وانزلقت حقيبة أحدهم بطول الحافلة، فسقط منها مزيج غير محبب من بيض الضفادع، والصراصير، والكريم على الأرض.

قالت «تونكس» وهى تنظر حولها إلى المقاعد الخالية: «يبدو أن علينا الانقسام على المقاعد. فريد وجورج وجينى، اجلسوا على هذه المقاعد فى الخلف. ويموس سيجلس معكم».

ذهبت هى و«هارى» و«رون» و«هيرميون» إلى الطابق العلوى، حيث وجدوا مقعدين شاغرين عند صدر الحافلة واثنين آخرين عند طرفها الخلفى. اتبع «ستان شونبايك» المحصل «هارى» و«رون» بلهفة إلى الخلف. دارت الرءوس مع مرور «هارى» إلى جوارها، وعندما جلس رأى الوجوه ترتد لتنظر أمامها ثانية. و«هارى» و«رون» يناولان «ستان» أحد عشر «سيكل» عن كل منهما، انطلقت الحافلة ثانية وهى تتمايل بشدة. سارت عبر «جريمولد بليس»، صاعدة ونازلة الرصيف. ثم وبصوت قرقعة فظيع آخر انضغطوا جميعًا إلى الخلف فى مقاعدهم، وانقلب مقعد «رون» فوق «بيجويدجيون»، الذى كان على حجره؛ فخرج من قفصه وأخذ يرفرف بشدة عند أول الحافلة، ثم سقط على كتف «هيرميون». أما «هارى» الذى تفادى السقوط بالكاد عندما قبض على شمعدان، فقد نظر عبر النافذة: فرأى أنهم يسيرون فى طريق سريع.

قال «ستان» بسعادة مجيبًا سؤال «هارى» الذى لم يسأله - و«رون» يجاهد للقيام من على الأرض -: «خرجنا من برمنجهام. هل أنت بخير يا (آرى)؟ رأيت اسمك فى الجريدة كثيرًا طوال الصيف، لكن لم يذكروك بخير. قلت لـ«إرن»: إنه لم يكن مجنونًا هكذا كما يقولون يوم قابلناه. فالجنون يظهر على الناس. صح؟».

ناولهما تذكرتيهما واستمر فى التحديق فى «هارى». من الواضح أن «ستان» لم يهتم بجنون الناس، إن كانوا معروفين بما يكفى للظهور فى الجرائد. ترنحت الحافلة السحرية بشدة وهى تمر أمام صف من السيارات، وهو ينظر إلى مقدمة الحافلة رأى «هارى» «هيرميون» وهى تغطى عينيها بيديها، و«بيجويدجيون» يتمايل بسعادة على كتفها.

طراخ

انزلقت المقاعد إلى الخلف ثانية والحافلة تقفز من طريق «برمنجهام» السريع إلى طريق ريفى ضيق ملىء بالمنحنيات الحادة. رأوا من دقيقة لأخرى سياج أشجار يقفز أمامهم فجأة والحافلة تدور فى المنحنيات، ثم عبروا جسرًا تحيطه أكمة النباتات، ثم عبروا طريقًا ترابيًا قديمًا يقع بين السهول، وفى كل مرة ينتقلون فيها إلى مكان جديد يصدر عن الحافلة صوت قرقعة شديد.

غمغم «رون» وهو ينهض من على الأرض للمرة السادسة: «غيرت رأيي، لا أريد ركوب هذا الشيء ثانية».

قال «ستان» بإشراق وسعادة وهو يقترب مترنحاً منهما: «اسمعا، محطة (هوجورتس) هي التالية.. تلك المرأة المتسلطة الجالسة في الأمام ركبت معنا وأعطتنا بقشيشاً لننزل قبلكم. سننزل السيدة مارش أولاً..». سمعوا صوتاً من الأسفل، وأتبعه صوت تقيؤ بشع، فأضاف: «إنها تشعر بالغثيان اليوم».

بعد دقائق قليلة، توقفت الحافلة أمام حانة صغيرة، حيث ابتعدت عن الطريق؛ لتتفادى الاصطدام. سمعوا «ستان» يساعد السيدة «مارش» على الهبوط من الحافلة ويخفف عن الركاب الجلوس في الطابق الثاني. تحركت الحافلة ثانية، وأخذت سرعتها تزيد، ثم..

طاك

مروا وسط بلدة «هوجزميد» المغمورة بالثلوج. لمح «هاري» مقهى «رأس الخنزير» في شارعه الجانبي، ولافتة الرأس المقطوع تصر في الرياح الشتوية. أخذ الثلج يضرب نافذة الحافلة الأمامية. وأخيراً توقفوا خارج بوابات «هوجورتس».

ساعدهم «لوبين» و«تونكس» في الهبوط من الحافلة بأمتعتهم، ثم ودعوهم. نظر «هاري» إلى الحافلة الثلاثية الطوابق ورأى الركاب يحدقون فيهم، وأنوفهم مضغوطة على النوافذ.

قالت «تونكس» ملقية بنظرة حذرة على الطريق المهجور: «ستكونون في أمان حالما تصلون إلى أرض المدرسة. أتمنى لكم فصلاً دراسياً سعيداً».

قال «لوبين» وهو يصافحهم حتى وصل إلى «هاري» أخيراً: «انتبهوا لأنفسكم. اسمعني..»، ثم خفض صوته والآخرون يصافحون «تونكس»: «.. أعرف أنك لا تحب سناب يا هاري، لكنه ساحر ماهر في الأوكلومينسي، وجميعنا، و«سيريوس» معنا ـ نريدك أن تتعلم حماية نفسك؛ لذا اعمل بجد.. مفهوم؟».

قال «هاري» بتثاقل وهو ينظر إلى وجه «لوبين» الذي شاب قبل الأوان: «أجل.. حاضر. إلى اللقاء».

ساروا جميعاً نحو القلعة، وهم يجرّون حقائبهم خلفهم. بدأت «هيرميون» في الكلام عن صنع بعض القبعات للأقزام قبل النوم. نظر «هاري» خلفه عندما وصلوا إلى الأبواب الأمامية، وجد الحافلة قد اختفت، وتمنى، مع اقتراب ما ينتظره الليلة التالية، لو كان على متنها ولم ينزل.

قضى «هاري» اليوم التالي متخوفاً من المساء. لم يخفف درس الوصفات السحرية الصباحي من خوفه، و«سناب» كريه كعهده دائماً. وأزعجه أكثر اقتراب أعضاء الـ(دي. أيه) منه في الممرات بين الحصص يسألونه بأمل إن كان اجتماعهم سينعقد هذه الليلة.

أخذ «هاري» يقول مراراً وتكراراً لكل من يقترب منهم: «سأعلمكم بالطريقة المعتادة بالموعد التالي.. لكنني لا أقدر على الحضور الليلة، فعندي.. أ.. حصص وصفات سحرية تعويضية».

سأله «زكارياس سميث» بتعالٍ بعد أن حاصره في القاعة الأمامية بعد الغداء: «هل تأخذ حصص وصفات سحرية تعويضية؟ يا ربي، لابد أنها سيئة جداً، سناب لا يعطي حصصاً تعويضية في العادة، أليس كذلك؟».

و«سميث» يهرول مبتعداً متقافزاً بطريقته المزعجة أخذ «رون» يحدق فيه. قال وهو يرفع عصاه السحرية ويصوبها نحو كتف «سميث»: «هل أصوب عليه تعويذة؟ هل ألعنه؟ يمكنني إصابته من هذه المسافة».

قال «هاري» بوجوم: «انس الأمر.. هذا ما سيظنه الجميع، أنني غبي واحتاج لحصص تعويضية..».

«أهلاً يا هاري» جاءه الصوت من خلفه. التفت ليجد «تشو» واقفة.

قال «هاري» وقلبه يختلج في صدره: «آه.. أهلاً».

قالت «هيرميون» بلهجة ذات مغزى وهي تقبض على ذراع «رون» من فوق مرفقه وتجره معها إلى السلم الرخامي: «ستجدنا في المكتبة يا هاري».

سألته «تشو»: «هل قضيت عيداً سعيداً؟».

قال «هاري»: «أجل، لم يكن سيئاً».

قالت «تشو»: «أنا قضيته في هدوء تام». لسبب ما كانت محرجة وهي تقول: «إحم.. مسموح لنا بالذهاب إلى «هوجزميد» الشهر القادم، هل رأيت الإعلان؟».

«حقاً؟ لا.. لم أنظر إلى لوحة الإعلانات منذ عودتي».

«إنه يوم عيد الحب..».

قال «هاري» متسائلاً عما تقصد قوله: «فعلاً.. ربما تودين أن..؟».

قالت بلهفة: «إن كان هذا ما تريده».

حدق فيها «هاري» وكان على وشك أن يقول: «ربما تودين أن تعرفي موعد اجتماع الـ(دي. أيه) القادم؟». لكن ردها لم يبدُ مناسبًا لما أراد قوله.

قال: «آه.. آه».

قالت شاعرة بالخزي: «آه.. لا يهم، إن كنت لا تريد.. لا تقلق، آسفة.. أراك لاحقًا».

سارت مبتعدة. وقف «هاري» يحدق فيها، وعقله يعمل بكد. ثم فهم فجأة الموضوع.

«تشو.. تشو».

ركض خلفها، حتى وصل إليها عند منتصف السلم الرخامي.

«أ.. هلا ذهبت معي إلى هوجزميد يوم عيد الحب؟».

قالت ووجهها يحمر وهي تبتسم له: «آه.. أجل، موافقة».

قال «هاري» وهو يشعر أن اليوم لم يضع بأكمله: «رائع.. اتفقنا إذن». وهو في طريقه إلى المكتبة ليقابل «رون» و«هيرميون» قبل حصص الفترة المسائية كاد يطير من الفرح.

لكن مع قدوم الساعة السادسة مساءً، لم تضئ له فرحة الموعد مع «تشو تشانج» قلبه المثقل بالضيق مع كل خطوة يخطوها نحو مكتب «سناب».

توقف أمام الباب عندما وصل إليه، متمنيًا أن يكون في أي مكان آخر بخلاف هنا، ثم أخذ نفسًا عميقًا وطرق الباب ودخل.

كانت الحجرة المظلمة زاخرة بالرفوف الحاملة لمئات من البرطمانات المليئة بالأجزاء اللزجة من أجساد الحيوانات وأنسجة النباتات، والكثير من الوصفات السحرية الملونة. في أحد الأركان، رأى خزانة مليئة بالمكونات التي اتهم «سناب» «هاري» ذات مرة - من دون سبب - بسرقتها. انجذب انتباهه نحو المكتب، الذي وجد عليه حوضًا حجريًا محفورًا عليه رموز عتيقة ومحاطًا بالكثير من الشموع المضاءة التي تغمره في ضوئها. تعرف فيه «هاري» على مفكرة «دمبلدور» السحرية، وتساءل ماذا تفعل المفكرة هنا بحق السماء؟ ثم أجفل عندما جاءه صوت «سناب» البارد من الظلال.

«أوصد الباب من خلفك يا بوتر».

فعل «هاري» كما أمر، يصاحبه إحساس فظيع بأنه يسجن نفسه. عندما التفت لمواجهة الحجرة ثانية، كان «سناب» قد تقدم إلى النور، وأشار إشارة صامتة إلى مقعد مواجه لمكتبه. جلس «هاري» وكذا فعل «سناب»، وعيناه السوداوان اللتان لا ترمشان ثابتتان عليه، والكراهية تطل من كل جزء في وجهه.

قال: «ستعرف يا بوتر سبب وجودك هنا.. طلب مني الناظر تعليمك الأوكلومينسي، أتمنى أن تكون فيه أفضل حالاً من خيبتك في الوصفات السحرية».

قال «هاري»: «مفهوم».

قال «سناب» وعيناه تضيقان بشدة: «قد لا تكون هذه حصة عادية يا بوتر، لكنني معلمك وستناديني بكلمة (سيدي) أو (أستاذ) طوال الوقت».

قال «هاري»: «حاضر.. يا سيدي».

قال «سناب»: «والآن.. الأوكلومينسي.. كما قلت لك في مطبخ أبيك الروحي العزيز، هو فرع من السحر يغلق العقل أمام محاولات الاختراق السحرية والتأثير على التفكير».

قال «هاري» وهو ينظر إلى عيني «سناب» مباشرة ويتساءل إن كان سيجيب: «ولماذا يراك الأستاذ دمبلدور الشخص المناسب لتعليمي يا سيدي؟».

نظر «سناب» إليه للحظة، ثم قال: «بالطبع حتى أنت قد تكون قد فهمت وحدك يا بوتر. سيد الظلام ماهر جدًا في الليجيلمينسي».

«وما هذا يا سيدي؟».

«القدرة على استخلاص المشاعر والذكريات من عقل شخص آخر..».

قال «هاري» بسرعة وأسوأ مخاوفه قد تأكد: «هل يقدر على قراءة الأفكار؟».

قال «سناب» وعيونه المظلمة تلمع: «أنت لا تفهم يا بوتر، ولا ترى الفروق الصغيرة بين الأشياء؛ وهو ما يجعلك سيئًا للغاية في مادة الوصفات السحرية، ولن تكون أبدًا ساحرًا ماهرًا فيها».

توقف «سناب» للحظة، على الأرجح لفرحه بإهانة «هاري» قبل أن يكمل: «العامة فقط هم من يطلقون على هذا الأمر قراءة الأفكار. العقل ليس كتابًا ينفتح ويقرأ وقت الفراغ. الأفكار ليست مكتوبة على الجماجم ليتطلع إليها قراء العقول. العقل شيء شديد التعقيد ومتعدد المستويات يا بوتر.. أو على الأقل معظم العقول هكذا». قالها بسخرية.. وأضاف: «لكن حقًا هؤلاء الذين يتقنون فن الليجيلمينسي يقدرون - في ظروف معينة - على الولوج إلى عقول ضحاياهم ويترجمون ما يجدونه بصورة صحيحة. سيد الظلام على سبيل المثال يعرف عندما يكذب أحد عليه. أما المهرة في فن الأوكلومينسي فهم وحدهم من يقدرون على حجب مشاعرهم وذكرياتهم التي تكشف الكذب، وهكذا ينطقون بالكذب في حضوره من دون أن يكتشف كذبهم».

مهما قال «سناب»، فإن «الليجيليمينسي» بدا كقراءة العقول بالنسبة إلى «هاري»، ولم يعجبه الموضوع بالمرة.

«إذن، فهو يعرف ما أفكر فيه الآن يا سيدي؟».

«سيد الظلام على مسافة بعيدة وتحجبه حوائط هوجورتس المحمية بتعاويذ قديمة لضمان السلامة الجسدية والعقلية لشاغلي القلعة. الزمان والمكان مهمان في السحر يا بوتر. والاتصال بالعين أساسي في الليجيليمينسي».

«إذن، لماذا أتعلم الأوكلومينسي؟».

رمق «سناب» «هاري»، وأصبعه على طرف فمه وهو ينظر إليه.

«يبدو أن القواعد العادية لا تنطبق عليك يا بوتر. اللعنة التي فشلت في قتلك أرست صلة ما بينك وبين سيد الظلام. الدلائل الحاضرة بين أيدينا حاليًا تشير إلى أنه أحيانًا عندما يرتاح عقلك ويصبح قابلاً للاختراق ـ عندما تكون نائمًا على سبيل المثال ـ تشارك سيد الظلام الأفكار والمشاعر. يرى الناظر أن هذا الوضع لا يجب أن يستمر، ويريدني أن أعلمك كيف توصد عقلك أمام سيد الظلام».

أخذ قلب «هاري» يخفق بسرعة. فلم يشبع فضوله أي مما قيل، ولم يضف شيئًا. سأله فجأة: «لكن لماذا يريد الأستاذ دمبلدور لهذه المسألة أن تتوقف؟ أنا لا أحبها، لكنها كانت مفيدة ذات مرة، أليس كذلك؟ أعني.. أنا رأيت الثعبان وهو يهاجم السيد ويزلي، وإن لم أفعل ما كان الأستاذ دمبلدور ليقدر على إنقاذه، أليس كذلك يا سيدي؟».

حدق «سناب» في «هاري» لبرهة، من دون أن ينزل أصبعه من على فمه، وعندما تكلم ثانية كانت كلماته بطيئة وثقيلة كأنه يزن كل كلمة ينطقها.

«يبدو أن سيد الظلام لم يكن واعيًا للصلة بينكما حتى وقت قريب للغاية. فحتى الآن يبدو أنك تشاركه مشاعره، وأفكاره، من دون أن يلاحظ هو ذلك. لكن الرؤية التي رأيتها قبل عيد الميلاد بقليل كانت...».

«تلك الخاصة بالسيد ويزلي والثعبان؟».

قال «سناب» بنبرة خطيرة: «لا تقاطعني يا بوتر. كما كنت أقول: فإن الرؤية التي رأيتها قبل عيد الميلاد بقليل كانت بمثابة هجوم قوي على أفكار سيد الظلام...».

«رأيت ما رأيته من داخل رأس الثعبان، وليس كمراقب من بعيد».

«حسبتني أمرتك بألا تقاطعني يا بوتر. أليس كذلك؟».

لكن «هاري» لم يبال بغضب «سناب». أخيرًا بدا أنه وصل إلى أصل الموضوع. مال إلى الأمام في مقعده، ومن دون أن ينهض جلس على طرفه متوترًا ومستعداً للجري.

«كيف رأيت من داخل عيني الثعبان إن كانت أفكار فولدمورت هي ما أشاركه فيها؟». قال «سناب» بغضب: «لا تنطق اسم سيد الظلام».

مرت فترة صمت ثقيل. تبادلا النظر من فوق المفكرة السحرية.

قال «هاري» بهدوء: «الأستاذ دمبلدور ينطق اسمه».

تمتم «سناب»: «دمبلدور ساحر شديد البأس بالغ القوة. وربما يكون آمنًا هو بما يكفي عندما ينطق الاسم. أما الباقون...». حك ساعده الأيسر ـ من دون أن يشعر بما يفعله على الأرجح ـ على النقطة التي يعرف «هاري» أن العلامة السوداء محفورة فيها على جلده.

قال «هاري» ثانية محاولاً جعل صوته مهذبًا: «كل ما أردت قوله إن...».

قال «سناب» مزمجراً: «يبدو أن زيارتك لعقل الثعبان جاءت لحظة وجود سيد الظلام هناك. لقد سيطر على الثعبان لحظة حلمك بما يجرى».

«وفولد... أعني هو.. هل أدرك أنني معه داخل الثعبان؟».

قال «سناب» ببرود: «يبدو هذا».

قال «هاري» بلهفة: «وكيف عرفت؟ هل هذا ما خمنه الأستاذ دمبلدور أم أن...؟».

قال «سناب» وهو جامد في جلسته، وعيناه قد صارتا شقين رفيعين: «قلت لك أن تناديني بسيدي».

قال «هاري» بصبر نافد: «حاضر يا سيدي. كيف عرفت بـ...؟».

قال «سناب» مقاطعًا إياه ليصمت: «يكفي أننا نعرف النقطة المهمة، وهي أن سيد الظلام قد بات واعيًا بقدرتك على الولوج إلى أفكاره ومشاعره. كما استنتج أيضًا أن العملية قد تكون عكسية. بمعنى أنه قد أدرك قدرته على الولوج إلى أفكارك ومشاعرك...».

سأله «هاري»: «وهل يمكن أن يحاول إجباري على القيام بأشياء يا سيدي؟». أضاف الكلمة الأخيرة بسرعة.

قال «سناب» ببرود وبالقليل من الاهتمام: «ربما. وهو ما يقودنا إلى موضوع الأوكلومينسي».

شهر «سناب» عصاه السحرية من جيب عباءته فتوتر «هاري» في جلسته،

لكن «سناب» رفعها إلى مستوى وجنته، ووضع طرفها فى شعره اللامع. عندما سحبها خرج معها مادة فضية ممتدة من رأسه إلى العصا كخيط من القماش الناعم، الذى انقطع عندما أبعد العصا عن رأسه وسقط برشاقة فى المفكرة السحرية، فأخذت تدور بلون فضى أبيض، لا هى غازية ولا هى سائلة. كرر «سناب» ما فعله مرتين؛ ليضع المزيد من الخيوط الفضية فى المفكرة، ومن دون أن يفسر ما يفعله التقط المفكرة السحرية بحرص، ووضعها على رف بعيد عنهما ورجع لمواجهة «هارى» بعصاه مشهرة ومتأهبة.

«انهض وأشهر عصاك يا بوتر».

هب «هارى» واقفًا شاعرًا بالتوتر. واجها أحدهما الآخر والمكتب بينهما.

قال «سناب»: «يمكنك استعمال عصاك فى نزع سلاحى منى، أو فى الدفاع عن نفسك بالطريقة التى تراها مناسبة».

سأله «هارى» وهو ينظر إلى عصا «سناب» باهتمام: «وماذا ستفعل؟».

قال «سناب» بنعومة: «سأحاول اختراق عقلك. لنرى كيف ستقاوم. قيل لى إنك قادر على مقاومة لعنة الإمبرياس. ستجد أن نفس طريقة الدفاع تنفع فى مواجهة هذه التعويذة. استعد. والآن.. ليجيليمينس».

ضرب «سناب» «هارى» قبل أن يستعد، وقبل أن يبدأ حتى فى استحضار القوة الكافية للمقاومة. شعر بالمكتب يطفو بالغاء أمام عينيه ثم يختفى. شعر بالصور العقلية تمر فى عقله صورة بعد صورة، كأنه فيلم سينمائى يعميه عما يجاوره من موجودات.

كان فى الخامسة من عمره، يراقب «دودلى» وهو يجرى بدراجته الحمراء الجديدة، وقلبه مليء بالغيرة.. أصبح فى التاسعة والكلب «ريبر» يطارده حتى تسلق شجرة، وآل «دورسلى» يضحكون وهم جلوس على العشب.. وجد نفسه جالسًا وعلى رأسه قبعة الاختيار، وهى تخبره بأنه سينضم إلى «سليذرين».. «هيرميون» راقدة فى جناح المستشفى، ووجهها مغطى بشعر أسود كثيف.. مائة «ديمنتور» يحاصرونه إلى جوار البحيرة.. «تشو تشانج» تقترب منه فى حجرة الاحتياجات..

قال صوت ما داخل رأس «هارى»: «لا» وتذكرى «تشو» تقترب وتقترب، «أنت لن ترى هذا، لن تراه، إنه أمر خاص..».

شعر بألم حاد فى ركبته. عاود مكتب «سناب» الظهور من حوله وأدرك أنه سقط على الأرض، وواحدة من ركبتيه قد ارتطمت بإحدى أرجل مكتب «سناب» وتؤلمه بشدة. نظر إلى «سناب» الذى جلس خافضًا عصاه السحرية وهو يحك رسغه الذى رأى عليه سحجة غاضبة حادة.

سأله «سناب» ببرود: «هل استعملت تعويذة اللسع؟».

قال «هارى» بمرار وهو ينهض من فوق الأرض: «لا».

قال «سناب» وهو يراقبه: «لقد تركتنى أتوغل كثيراً وفقدت القدرة على التحكم».

سأله «هارى» غير واثق من رغبته فى سماع الإجابة: «هل رأيت كل ما رأيت أنا؟».

قال «سناب» وشفته مزمومة: «لقطات منه.. لمن كان الكلب؟».

تمتم «هارى»، وكُرهه لـ«سناب» يزيد: «العمة مارج».

قال «سناب» وهو يرفع عصاه ثانية: «المرة الأولى لم تكن سيئة كما توقعت أن تكون.. لقد تمكنت من إيقافى، بالرغم من إضاعتك الوقت والطاقة فى الصياح. لابد من التركيز ارفضنى بعقلك ولن تكون بحاجة لاستعمال عصاك».

قال «هارى» بغضب: «أنا أحاول.. لكنك لا تريد إخبارى بالطريقة».

قال «سناب» بغضب: «تأدب يا بوتر.. والآن أريدك أن تغمض عينيك».

منحه «هارى» بنظرة غاضبة قبل أن يفعل كما أمر. لم يعجبه الوقوف هكذا وعيناه مغمضتان، و«سناب» فى مواجهته رافعًا عصاه السحرية.

قال صوت «سناب» البارد: «ليصفو عقلك يا بوتر.. تخلَّ عن كل المشاعر».

لكن غضب «هارى» من «سناب» استمر فى التدفق فى أوردته مثل السم. يتخلى عن غضبه؟ الأسهل عليه أن ينزع قدميه.

«أنت لا تصفى عقلك يا بوتر.. أنت بحاجة لمزيد من الانضباط.. ركز الآن..».

حاول «هارى» أن يفرغ عقله من الأفكار، حاول ألا يفكر، أو يتذكر، أو يشعر بشىء.

«لنبدأ ثانية.. سأعد إلى ثلاثة.. واحد.. اثنين.. ثلاثة.. ليجيليمينس».

رأى تنينًا أسود هائلاً واقفًا أمامه.. أبوه وأمه يلوحان له من المرآة المسحورة.. «سيدريك ديجورى» راقد على الأرض يحدق فيه بعيون خالية من الحياة..

«Harry».

وجد نفسه على ركبتيه ثانية، ووجهه مدفون بين يديه، ومخه يؤلمه كأن هناك من حاول إخراجه من جمجمته.

قال «سناب» بحدة: «انهض.. انهض.. أنت لا تحاول فعل ما أمرتك به، لا تقوم بأى مجهود. أنت لا تدعنى أقترب من ذكريات الخوف.. لا تدعنى أقترب من الأسلحة».

وقف «هارى» ثانية، وقلبه يخفق فى صدره وكأنه رأى «سيدريك» قتيلا فى المقبرة منذ لحظة. بدا «سناب» أكثر شحوبًا من العادة، وأكثر غضبًا، ولكن غضبه لم يصل لحدة غضب «هارى».

«قلت لك فرغ عقلك من المشاعر». فقال «هارى»: «حقًا؟ هذا صعب علىّ الآن».

قال «سناب» بقسوة: «إذن ستجد نفسك فريسة سهلة لسيد الظلام.. الحمقى الذين يضعون قلوبهم بفخر على أيديهم، لا يمكنهم التحكم فى مشاعرهم والذين يستهلكون الذكريات ويسمحون لأنفسهم بالسقوط بسهولة.. الضعفاء الذين ليس لهم من حيلة أمام قواه العظيمة.. سيخترق عقلك بسهولة مذهلة يا بوتر».

قال «هارى» بصوت خفيض والغيظ يسرى فى عروقه كثيفًا كثيرًا حتى إنه خاف من مهاجمة «سناب» بعد لحظة: «أنا لست ضعيفًا».

قال «سناب»: «إذن أثبت ذلك.. تفوق على نفسك، وتحكم فى غضبك واضبط عقلك.. سنحاول ثانية. استعد الآن.. ليجيليمينس».

وقف يراقب زوج خالته «فرنون» وهو يوصد نافذة الخطابات بالمسامير. مائة «ديمنتور» يسرون مقتربين منه من فوق البحيرة.. يجرى فى ممر بلا نوافذ مع السيد «ويسلى».. يقترب من باب أسود فى نهاية الممر.. يتوقع المرور عبره. لكن السيد «ويسلى» يقوده إلى اليسار، وعبر درجات السلم الحجرى..

«أعرف.. أعرف..».

وجد نفسه على أطرافه الأربعة فى مكتب «سناب» ثانية، وندبته تؤلمه، لكن الصوت الذى خرج من فمه كان صوتًا ظافرًا. نهض ثانية ليجد «سناب» يحدق فيه، وعصاه مرفوعة. بدا ـ هذه المرة ـ أنه قد رفع التعويذة عن «هارى» حتى قبل أن يقاومها الأخير.

سأله وعيناه ثابتتان عليه: «ماذا جرى يا بوتر؟».

لهث «هارى» قائلاً: «رأيت.. تذكرت.. أدركت ما جرى».

سأله «سناب» بحدة: «ماذا أدركت؟».

لم يُجبه «هارى»، عاش لحظة الإدراك الصافى وهو يحك جبينه.

كان يحلم بممر بلا نوافذ ينتهى بباب موصد منذ شهور، من دون أن يدرك أن المكان موجود وحقيقى. والآن، وهو يعيش الذكرى ثانية، عرف أنه كان يحلم طوال الوقت بممر جرى عبره يوم الثانى عشر من أغسطس مع السيد «ويسلى»، متجهين إلى قاعة المحكمة، وهو الممر الذى يقود إلى المكان الذى كان فيه السيد «ويسلى» ليلة هاجمه ثعبان «فولدمورت».

تطلع إلى «سناب».

«ماذا يوجد فى مصلحة الغوامض بالوزارة؟».

سأله «سناب» بسرعة: «ماذا تعنى؟». وأدرك «هارى» ـ وإحساسه بالظفر عميق ـ أن «سناب» قد انزعج من السؤال.

قال: «قلت: ماذا يوجد فى مصلحة الغوامض بالوزارة يا سيدى؟».

قال «سناب» ببطء: «ولماذا تسأل مثل هذا السؤال؟».

قال مراقبًا تعبير وجه «سناب» عن قرب: «لأن ذلك الممر الذى رأيته، والذى أحلم به منذ شهور.. تعرفت عليه، وعرفت فيه الممر الذى يقود إلى مصلحة الغوامض.. وأعتقد أن فولدمورت يريد شيئًا من..».

«أمرتك ألا تذكر اسم سيد الظلام».

تبادلا النظر. شعر «هارى» بالألم فى ندبته ثانية، لكنه لم يبال. بدا «سناب» ممتعضًا، لكنه عندما تكلم ثانية بدا كأنه يحاول أن يظهر بمظهر غير المهتم.

«يوجد الكثير من الأشياء فى مصلحة الغوامض يا بوتر، وبعضها لا تفهمه ولا شأن لك به.. هل كلامى واضح؟».

قال «هارى» وهو ما زال يحك ندبته التى تزايد ألمها: «أجل».

«أريدك أن تعود ليلة الأربعاء فى نفس الوقت. سنكمل عملنا وقتها».

قال «هارى»: «حاضر». كان حريصًا على الخروج من مكتب «سناب» والعثور على «رون» و«هيرميون».

«عليك أن تصفى ذهنك من كل المشاعر كل ليلة قبل النوم، أفرغه، اجعله صافيًا وهادئًا.. مفهوم؟».

قال «هارى» وهو لا يكاد يسمع منه شيئًا: «أجل».

«ولتحذر يا بوتر.. سأعرف إن كنت تجرى التمرين كما أمرتك أم لا..».

غمغم «هارى»: «أجل» والتقط حقيبته المدرسية، ورفعها على كتفه،

ثم هرول نحو باب المكتب، وهو يفتحه عاود النظر تجاه «سناب»، فوجده قد أعطاه ظهره، وأخذ يعيد خيوط أفكاره إلى مخه من المفكرة السحرية بطرف عصاه. غادر المكتب دون أن ينطق بكلمة أخرى، وأغلق الباب خلفه بحرص، وندبته ما زالت تؤلمه بشدة.

وجد «رون» و«هيرميون» في المكتبة، حيث كانا يعملان بجد في آخر واجب للأستاذة «أمبريدج»، وإلى جوارهما المزيد من طلبة الصف الخامس، تقريبًا كل الجلوس منهم - جالسين إلى منضدة مضاءة بالمصابيح، وأنوفهم على كتبهم، وريشات الكتابة تتحرك بسرعة بالغة، والسماء بالخارج آخذة في الإظلام. الصوت الوحيد الذي سمعه كان صوت حذاء السيدة «بينس»، موظفة المكتبة التي أخذت تفحص الممرات بين صفوف الكتب بحرص، متنفسة على رقاب من يلمسون كتبها الغالية.

أخذ «هاري» يرتجف وندبته تؤلمه، وأحس بالحمى تداهمه. عندما جلس أمام «رون» و«هيرميون» لمح نفسه في المرآة المقابلة.. كان شاحبًا وندبته بارزة واضحة أكثر من المعتاد.

همست «هيرميون» باهتمام: «كيف مرت الحصة؟ هل أنت بخير يا هاري؟».

قال «هاري» بنفاد صبر وهو يجفل من الألم الذي ضرب ندبته ثانية: «أجل.. بخير.. لا أعرف.. اسمعا.. أدركت لتوي شيئًا..».

وأخبرهم بما شاهده واستنتجه.

همس «رون» والسيدة «بينس» تمر إلى جوارهم: «إذن.. فأنت تقول إن.. إن هذا السلاح.. الشيء الذي يسعى إليه الذي - تعرفه.. موجود في وزارة السحر؟!».

همس «هاري»: «في مصلحة الألغاز والغوامض، لابد أنه هناك. لقد رأيت ذلك الباب وتعرفت فيه على الباب الذي رأيته يوم نزلت أنا وأبوك إلى قاعة المحكمة لحضور محاكمتي، وهو قطعًا نفس الباب الذي كان أبوك يحرسه ليلة عضه الثعبان».

تنهدت «هيرميون» تنهيدة طويلة بطيئة وقالت: «بالطبع».

قال «رون» بنفاد صبر: «بالطبع ماذا؟!».

«رون، فكر في الأمر.. ستورجيس بودمور كان يحاول المرور عبر أحد الأبواب بالوزارة.. لا بد أنه ذلك الباب، المسألة أعقد من أن تكون مصادفة».

قال «رون»: «وكيف يحاول ستورجيس اختراق باب وهو إلى جانبنا؟!».

اعترفت «هيرميون» بقولها: «لا أعرف. هذا الجزء صعب التفسير».

سأل «هاري» «رون»: «إذن ماذا يوجد في مصلحة الألغاز والغوامض؟ هل ذكر لك والدك شيئًا عما بداخله؟».

قال «رون» مقطب الجبين: «أعرف أن العاملين في هذه المصلحة يطلقون عليهم (الذين لا يتكلمون)؛ لأنه لا أحد يعرف على وجه الدقة ماذا يفعلون، مكان غريب يصعب إخفاء سلاح داخله».

قالت «هيرميون»: «ليس غريبًا بالمرة، فهكذا يصبح التفسير سهلاً. واضح أن السلاح شيء سري تطوره الوزارة على.. هاري، هل أنت واثق من أنك بخير؟».

لأن «هاري» أخذ يحك جبينه بيديه وكأنه يحاول فرده.

قال وهو يخفض يديه المرتجفتين: «أجل.. بخير.. أشعر بـ.. بأنني لا أحب الأركلومينس كثيرًا».

قالت «هيرميون» بتعاطف: «أتوقع أن يهتز أي شخص عندما يُهاجم عقله مرارًا. انظر، تعال نعود إلى حجرة الطلبة، ستكون هناك أكثر راحة».

لكن حجرة الطلبة كانت زاخرة بالصيحات والضحكات والحماس.. كان «فريد» و«جورج» يعلنان عن آخر منتجاتهما.

صاح «جورج»: «قبعات نزع الرءوس» و«فريد» يلوح بقبعة مدببة الطرف مزينة بريش وردي أمام الطلبة الواقفين الذين يشاهدون ما يجري.. «ثمنها جاليونان فقط.. راقبوا فريد وهو يعرضها».

وضع «فريد» القبعة على رأسه مبتسمًا. لثانية بدا ما فعله غبيًا، ثم اختفت القبعة ورأسه معها. صرخت بضع فتيات، لكن الجميع ضجوا بالضحك.

صاح «جورج» ورأس «فريد» يعاود الظهور فوق كتفه: «ومرة ثانية» فعاد رأسه كاملاً وهو ينزع القبعة ذات الريش الوردي عنه.

قالت «هيرميون» وقد فقدت اهتمامها بالواجب وأخذت تراقب «فريد» و«جورج» بتركيز: «كيف تعمل هذه القبعات؟ أعني، من الواضح أن عليها تعويذة إخفاء ما، لكن المهارة هنا في تركيز نطاق الاختفاء بعيدًا عن الشيء المخفي ذاته.. لكن أتوقع ألا يسري مفعول التعويذة كثيرًا».

لم يُجبها «هاري».

غمغم وهو يعيد الكتب التي أخرجها من الحقيبة منذ قليل إليها: «سأقوم بعمل الواجب غداً».

قالت «هيرميون» مشجعة: «اكتب هذا في مفكرة الواجب إذن.. حتى لا تنسى».

تبادل «هاري» و«رون» النظرات والأول يمد يده إلى داخل الحقيبة ليجذب منها مفكرة ويفتحها.

أخذ الدفتر يغني و«هاري» يكتب كلمة عن واجب «أمبريدج»: «لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، وإلا فأنت حمار ووغد» فابتسمت «هيرميون» بسعادة.

قال «هاري» وهو يعيد مفكرة الواجب إلى الحقيبة ويذكر نفسه بأن يلقي بها - المفكرة - في نيران المدفأة حالما واتته الفرصة: «سأقوم لأنام».

مشى عبر حجرة الطلبة، متفادياً «جورج» الذي حاول وضع القبعة على رأسه، ووصل إلى درجات سلم جناح الأولاد الباردة المريحة. شعر بالغثيان ثانية، مثل ليلة رؤيته الثعبان، لكنه قال لنفسه إن رقد قليلاً فسيكون بخير.

فتح باب الجناح، وخطا بقدم واحدة داخله عندما شعر بالألم يكتسحه، وكأن هناك من شطر رأسه من قمتها. لم يعرف أين هو، وإن كان واقفاً أم راقداً، ولم يعرف حتى اسمه.

سمع ضحكاً جنونياً يدوي في أذنيه.. كان سعيداً سعيداً كأنه لم يشعر بالسعادة منذ زمن بعيد.. فرحاً، سعيداً، ظافراً. إحساس رائع، رائع، بشيء ما.

«هاري؟ هاري؟».

أحس بمن يضربه على وجهه. امتزجت الضحكات المجنونة بصيحة ألم انسحبت السعادة منه، لكن الضحك استمر.

فتح عينيه؛ فصار واعياً بأن الضحكات المجنونة نابعة من فمه. لحظة أدرك هذا صمتت الضحكات.. جلس يلهث على الأرض، محدقاً في السقف، والندبة تؤلمه بشكل فظيع. وجد «رون» مائلاً عليه وعلى وجهه القلق الشديد. سأله: «ماذا حدث؟».

شهق «هاري» قائلاً: «لا أعرف.. إنه سـ... سعيد... سعيد جداً».

«الذي - تعرفه؟».

غمغم «هاري»: «شيء ما حدث وأسعده». أخذ يرتجف كما فعل ليلة هجوم الثعبان، وشعر بالغثيان. أضاف: «حدث شيء كان يتوق إليه».

خرجت الكلمات كيوم جلوسهم في حجرة تبديل ملابس فريق «جريفندور» كان غريباً ينطقها من فم «هاري»، لكنه كان يعرف أنها حقيقية. أخذ أنفاساً عميقة، محاولاً ألا يتقيأ على «رون». أحس بالراحة لغياب «دين» و«سيماس» لحظة ما حدث لكيلا يروا حاله وقتها.

قال «رون» بصوت خفيض وهو يساعده على النهوض: «طلبت مني هيرميون أن أصعد وأطمئن عليك. قالت: إن قدرتك على الصد ستكون في الحضيض الآن، بعد أن اخترق سناب عقلك. لكن أعتقد أن ما فعله سيساعدك على المدى البعيد.. أليس كذلك؟».

نظر بريبة إلى «هاري» وهو يساعده على الوصول لفراشه. أومأ «هاري» برأسه من دون اقتناع، ورقد على وسادته وجسده يؤلمه من السقوط المتكرر على الأرض تلك الليلة، وندبته ما زالت تؤلمه. لم يتمكن من حجب الإحساس بأن درس «الأوكلومينسي» الأول له قد أضعف قدرة عقله على المقاومة بدلاً من تقويته، وتساءل بقلق كبير إن كان ما شعر به اللورد «فولدمورت» منذ قليل هو أكبر إحساس بالسعادة يحس به منذ أربعة عشر عاماً؟



٢٥ الخنفساء فى المصيدة

وجد «هارى» فى الصباح التالى إجابة لسؤاله عندما وصلت نسخة «الدايلى بروفيت» إلى «هيرميون»، ففتحتها، ونظرت إلى الصفحة الأولى، ثم أطلقت صيحة؛ جعلت الجميع يحدقون فيها بدهشة.

قال «هارى» و«رون» معًا: «ماذا جرى؟».

فردت الجريدة أمام أعينهما على سبيل الإجابة، وأشارت إلى عشر صور بالأبيض والأسود تملأ الصفحة الأولى بأكملها، تسع منها لسحرة، والعاشرة لساحرة. أخذ بعض شاغلى الصور يبتسمون بسخرية، وطرق بعضهم إطار صورته بلا مبالاة. تحت كل صورة اسم شخص والجريمة التى دخل من أجلها «أزكابان».

أنطونين دولوهوف.. كان مكتوبًا تحت صورة لرجل وجهه شاحب طويل مشوه الملامح، يزمجر مواجهًا «هارى».. أدين بقتل «جديون» و«فابيان» و«بريفيت».

أوجوستوس روكوود.. كان مكتوبًا تحت صورة لرجل بشعر لامع يميل على إطار صورته باديًا عليه الملل.. «أدين بتسريب أسرار وزارة السحر لمن - لا يجب - ذكر - اسمه».

لكنّ عينى «هارى» انجذبتا لصورة الساحرة. برز إليه وجهها لحظة حط بصره على الصفحة. كان شعرها أسود طويلاً، بدا أشعث وغير معتنى به، وإن كان سميكًا لامعًا ناعمًا. حدقت فيه بعيون ثقيلة الجفون، وبابتسامة متعالية متعجرفة. مثل «سيرياس» فقد بدا عليها جمال قديم، لكنّ شيئًا ما - ربما بفعل «أزكابان» - جعلها تفقد معظم جمالها.

بيلاتريكس ليسترانج، مدانة بتعذيب فرانك وأليس لونجبوتم وإصابتهما بالجنون

لكزت «هيرميون» «هارى» وأشارت إلى العنوان من فوق الصور، الذى لم يقرأه وقد ركز بصره على «بيلاتريكس»:

هروب جماعى من أزكابان
الوزارة تخشى تجميع بلاك
لأعضاء أكلة الموت القدامى

قال «هارى» بصوت مرتفع: «بلاك؟ ليس...».

همست «هيرميون» بسرعة: «صه.. لا ترفع صوتك، اقرأ الخبر بهدوء».

أعلنت وزارة السحر ليلة أمس عن حادث هروب جماعى من سجن أزكابان. وقد أكد السيد «كورنلياس فادج» وزير السحر فى مؤتمر صحفى بمكتبه أن السجناء العشرة الخاضعين للحراسة المشددة قد هربوا فى الساعات الأولى من مساء الأمس، وأنه قد أبلغ بالفعل رئيس وزراء العامة بخطورة هؤلاء الأشخاص. هذا وقد ذكر فادج بالأمس فى معرض حديثه: «نجد أنفسنا وللأسف فى نفس الموقف الذى عشناه منذ عامين ونصف العام مع هروب القاتل سيرياس بلاك. ونحن لا نغفل العلاقة بين حادثى الهروب، فهروب على هذا النطاق الواسع يعنى أن الهاربين قد تلقوا مساعدة خارجية، وعلينا تذكر أن بلاك - أول شخص ينجح فى الهروب من أزكابان - هو الأقرب لمساعدة رفاقه، ونعرف كم سيسعد بعودتهم إليه. نرى أن هؤلاء الأفراد، ومنهم ابنة عم بلاك بيلاتريكس ليسترانج، قد خرجوا خلف بلاك قائدهم. لكننا سنفعل ما بوسعنا لحصار المجرمين، ونرجو مجتمع السحرة أن يظل متيقظًا متأهبًا. ولا يجب تحت أى ظرف من الظروف الاقتراب من هؤلاء الأشخاص».

قال «رون» مندهشًا: «ها قد عرفت يا هارى. لهذا السبب كان سعيدًا ليلة أمس».

قال «هارى» بغضب: «لا أصدق. فادج يلقى باللوم فى الهروب على سيرياس».

قالت «هيرميون» بمرارة: «وما الخيارات الأخرى المتاحة أمامه؟ لا يمكنه أن يقول: آسف يا جماعة، لقد حذرنى دمبلدور من احتمال حدوث هذا، وإن حراس أزكابان قد انضموا إلى اللورد فولدمورت - وكف عن الارتجاف يا رون - أما الآن، فقد هرب أشد أعوان فولدمورت بأسًا أيضًا. أعنى أنه قد قضى ستة أشهر يخبر الجميع أنك ودمبلدور كاذبان، أليس كذلك؟».

قلبت «هيرميون» صفحات الجريدة وبدأت في قراءة التقرير الداخلي، و«هاري» ينظر حوله في القاعة الكبرى. لم يفهم لماذا لا يبدو الخوف على زملائه من الطلبة، أو على الأقل يناقشون الأخبار الرهيبة التي وجدوها على الصفحة الأولى. لكنّ القليلين منهم كانوا يقرأون الجرائد يوميًا مثل «هيرميون». ها هم جميعًا يتحدثون عن الواجب وعن «الكويدتش» وغيره من الهراء، بينما خارج هذه الجدران عشرة أشخاص من أكلة الموت، وقد شدوا من أزر «فولدمورت».

رفع «هاري» بصره إلى حجيرة المعلمين، فوجد الأمر مختلفًا: انهمك «دمبلدور» والأستاذة «مكجونجال» في نقاش عميق، وكلاهما يبدو عليه الجدية التامة. الأستاذة «سبروت» في يدها الجريدة مستندة إلى زجاجة «كاتشاب» وهي تقرأ الصفحة الأولى بتركيز جعلها لا تلاحظ البيض المتساقط على حجرها من ملعقتها، بينما عند طرف المائدة انهمكت الأستاذة «أمبريدج» في طبق العصيدة. ولمرة لم تكن عيناها الضفدعيتان تمسحان القاعة الكبرى بحثًا عمن يخل بالأدب من الطلبة. أخذت تبلع الطعام وبين الحين والآخر تلقي بنظرة إلى المائدة حيث جلس «دمبلدور» و«مكجونجال» يتجاذبان أطراف الحديث باهتمام.

قالت «هيرميون» متعجبة وهي ما زالت تحدق في الجريدة: «يا ربي».

قال «هاري» بسرعة: «ما الأمر؟»، وكان يشعر بالخوف.

قالت «هيرميون» وهي تنتفض: «شيء فظيع»، وفتحت الجريدة على صفحة عشرة، وناولتها إلى «هاري» و«رون».

موظف بالوزارة يهلك في ظروف مأساوية

طالبت مستشفى سانت مونجو بتحقيق موسع ليلة أمس، بعد العثور على «برودريك بود» البالغ من العمر ٤٩ عامًا الموظف بوزارة السحر ميتًا في فراشه، وحول رقبته نبات متسلق تسبب في خنقه. الحكماء الذين شهدوا ما حدث لم يقدروا على إنقاذ السيد بود، الذي أصيب في محل عمله في حادث وقع منذ أسابيع.

الحكيمة ميريام ستروت، التي كانت مسئولة عن جناح السيد بود ليلة الحادث، تم التحفظ عليها؛ للتحقيق معها، ولم نجدها أمس للتعليق على ما حدث، لكنّ متحدثًا رسميًا سحريًا باسم المستشفى ألقى بالبيان التالي:

«يؤسف مستشفى سانت مونجو وفاة السيد بود، الذي كانت صحته آخذة في التحسن قبل الحادث الرهيب».

«لدينا أصول وقواعد لتزيين الأجنحة، لكن يبدو أن الحكيمة ستروت، المشغولة قبيل فترة عيد الميلاد، لم تعرف خطورة النبات الموضوع إلى جانب فراش السيد بود.. بل ومع تحسن قدرته على الكلام والحركة، شجعت الحكيمة ستروت السيد بود على العناية بالنبات بنفسه، غير عابئة لخطورة النبتة، التي لم تكن فليتربلود عادية، بل نبتة «ضحكة الشيطان»، التي عندما لمسها السيد بود، خنقته على الفور».

«والمستشفى غير قادر إلى الآن على معرفة كيف دخلت النبتة إلى الجناح، ونسأل أي ساحر أو ساحرة عنده معلومات أن يدلي بها فورًا».

قال «رون»: «بود.. سمعت اسمه من قبل..».

همست «هيرميون»: «لقد رأيناه في سانت مونجو.. هل نسيت؟ كان في الفراش المقابل لفراش لوكهارت، كان يحدق في السقف، ورأينا وصول نبتة ضحكة الشيطان، وقالت الحكيمة إنها هدية عيد الميلاد».

عاود «هاري» النظر إلى الخبر، فشعر بإحساس الفزع ينمو داخله.

«وكيف لم نتعرف فيها على نبتة ضحكة الشيطان؟ لقد رأيناها من قبل.. كان يمكننا منع ما حدث قبلما يحدث».

قال «رون» بحدة: «ومن كان يتوقع أن تظهر نبتة ضحكة الشيطان في المستشفى متنكرة في صورة نبات ظل بريء المظهر؟ إنه ليس خطأنا، ومن أرسلها هو من يجب لومه، يا له من أحمق، ذلك الذي أرسلها. لماذا لم يتحقق منها قبل شرائها؟».

قالت «هيرميون»: «رون! لا أعتقد أن من وضع نبتة ضحكة الشيطان في إناء النباتات لم يدرك أنها تقتل من يقترب منها. هذه جريمة ارتكبها قاتل ماهر. إن كان النبات قد أرسل من مجهول، فكيف لأحد أن يعرف من أرسله؟».

لم يكن «هاري» يفكر في نبتة ضحكة الشيطان. تذكر عندما نزل بالمصعد إلى الطابق التاسع تحت الأرض في الوزارة يوم جلسة المحاكمة، والرجل شاحب الوجه الذي استقل المصعد عند طابق قاعة الاستقبال.

قال بهدوء: «لقد قابلت بود، رأيته في الوزارة مع أبيك».

فتح «رون» فمه في دهشة.

«سمعت أبي يتحدث عنه في البيت، كان من الذين لا يتكلمون.. أي يعمل في مصلحة الألغاز والغوامض».

تبادلا النظرات للحظة، ثم جذبت «هيرميون» الجريدة منهما، وقربتها منها وهي تحدق في صور الهاربين العشرة من أكلة الموت في صدرها، ثم هبت واقفة. أجفل «رون» وقال: «إلى أين تذهبين؟».

قالت «هيرميون» وهي ترفع حقيبتها إلى كتفها: «لإرسال رسالة. إنها.. لا أعرف إن كان يجب أن... الأمر يستحق المحاولة.. وأنا الوحيدة القادرة».

غمغم «رون» عابسًا وهو ينهض مع «هاري» ويسيران ببطء ليخرجا من القاعة الكبرى: «أكرهها عندما تتكلم هكذا. هل ستصاب بالشلل إن أخبرتنا بما ستفعل مرة؟ سيأخذ الأمر منها عشر ثوان إضافية.. أهلاً يا هاجريد».

كان «هاجريد» واقفًا إلى جانب الأبواب المفضية إلى القاعة الأمامية منتظرًا مرور جمع من طلاب «رافنكلو». كان لايزال مصابًا بالكثير من الجراح مثل يوم أن وصل من مهمته الخاصة بالعمالقة، وعلى أنفه جرح جديد.

قال محاولاً الابتسام من دون أن ينجح إلا في رسم نظرة متألمة: «هل أنتما بخير؟» سأله «هاري» وهو يتبعه من خلف جمع «رافنكلو»: «هل أنت بخير يا «هاجريد»؟».

قال «هاجريد» في محاولة ضعيفة لإظهار أنه بخير: «بخير بخير، مشغول بعلاج بعض حيوانات (الزمشدر)» ولوح بيده فكاد يضرب بها عن غير قصد رأس الأستاذ «فيكتور» وصحبه بارتجاج في المخ وهو يعبر أمامه، وأضاف: «مشغول كالعادة بالأشياء العادية.. من (درون) أحضرها، كما أنني أعمل في فترة اختبار».

قال «رون» بصوت مرتفع جعل العديد من الطلبة المارين يلتفتون إليهم: «هل أنت في فترة اختبار؟ آسف.. أعني: هل أنت في فترة اختبار؟» كرر سؤاله بصوت هامس.

قال «هاجريد»: «أجل.. الأمر (لين) (أزوا) مما توقعت. ذلك التفتيش لم يمر على خير.. المهم»، تنهد بعمق وأكمل: «الأفضل أن أذهب وأجهز المزيد من

البودرة لعلاج حيوانات (الزمشدر) وإلا (ستتزاقط) ذيولها. أراكما لاحقًا».

ابتعد عنهما واختفى خلف الأبواب الأمامية بعد أن نزل الدرجات القليلة المفضية إلى الفناء الرطب. راقبه «هاري» وهو يبتعد، متسائلاً كم من الأخبار السيئة التي يمكنه تحملها؟!

* * *

عرفت كل المدرسة خلال الأيام القليلة التالية أن «هاجريد» موضوع في فترة اختبار، لكن ما أثار غضب «هاري» هو أن أحدًا لم يبدُ مستاءً لهذا.. بالطبع غير البعض - وعلى رأسهم «دراكو مالفوي» - بالفرحة. أما بالنسبة للميتة الغريبة التي تعرض لها موظف مصلحة الألغاز والغوامض في مستشفى «سانت مونجو» فيبدو أنه ما من أحد بخلاف «هاري» و«رون» و«هيرميون» قد عرفها أو اهتم بها. كان هناك موضوع واحد يتناقش فيه الجميع في ممرات المدرسة وردهاتها: هرب أكلة الموت العشرة، الذين وصلت قصتهم أخيرًا إلى المدرسة من الطلبة القليلين الذين يقرأون الجرائد. تطايرت الشائعات حول أن بعضهم قد شوهد بالقرب من «هوجزميد» وأنهم يختبئون في «شريكنج شاك» وسيقتحمون «هوجورتس» كما فعل «سيريوس» ذات مرة.

هؤلاء الذين ينتمون لعائلات عريقة في السحر نشأوا وهم يسمعون أسماء أكلة الموت هؤلاء، وهي تنطق بنفس الخوف المصاحب لنطق اسم «فولدمورت».. الجرائم التي ارتكبوها أيام مجد «فولدمورت» وعصر الرعب كانت أسطورية. كان هناك أقرباء الضحايا من بين تلاميذ «هوجورتس» الذين وجدوا أنفسهم عُرضةً للشهرة غير المحببة وهم يسيرون في الممرات والآخرون يشيرون إليهم: «سوزان بونز» التي مات عمها وزوجته وأولاد عمها على يد واحد من العشرة، قالت بتعاسة في حصة علم الأعشاب: إنها تعرف ما يشعر به «هاري»؟»

قالت وهي تلقي بالكثير من سماد التنين على نبتتها السحرية؛ لتجعلها تتمايل وتتلوى في ضيق: «لا أعرف كيف يتحمل كل هذا.. شيء فظيع».

حقًا. كان «هاري» مصدرًا للغمغمة والثرثرة والغمزات هذه الأيام، لكنه لمس نبرة مختلفة بعض الشيء في همساتهم. بدت أصواتهم زاخرة بالفضول أكثر منها بالعدوانية، ومرة أو مرتين كان واثقًا من سماع أجزاء

من حديثهم تعبر عن عدم رضائهم عما تنشره جريدة «دايلي بروفيت» عن سبب تمكن عشرة من أكلة الموت من الهرب، ومن قلعة «أزكابان» الحصينة. وفي خضم ارتباكهم وخوفهم، تحول الجميع للتفكير في التفسير العقلاني الوحيد المتاح أمامهم: ذلك الذي قدمه لهم «دمبلدور» العام الماضي.

لم يكن مزاج وأسلوب تفكير التلاميذ فقط هو ما تغيَّر بل صار من الطبيعي رؤية معلمين أو ثلاثة يتهامسون في الممرات، ويصمتون لحظة اقتراب أحد الطلبة.

قالت «هيرميون» بصوت منخفض ومعها «هاري» و«رون» يمرون إلى جوار الأساتذة «مكجونجال» و«فليتويك» و«سبروت» المتجمعين إلى جانب فصل التعاويذ ذات يوم: «من الواضح أنهم لا يمكنهم التحدث بحرية في حجرة المعلمين، ليس و«أمبريدج» معهم».

قال «رون» محدقًا في المعلمين الثلاثة: «تراهم يعرفون أي شيء جديد؟».

قال «هاري» بغضب: «إن عرفوا فلن يدعونا نسمع بما عرفوه. أليس كذلك؟ ليس بعد الفرمان... ماذا كان رقمه؟»؛ لأن التعليمات الجديدة ظهرت على لوحة إعلانات حجرة الطلبة في الصباح التالي لهروب المجرمين من «أزكابان».

بأمر مفتشة هوجورتس العليا

يحظر على المعلمين إعطاء الطلبة أية معلومات

غير متعلقة بالمواد الدراسية التي يأخذون أجرهم مقابل تدريسها

المذكور أعلاه يتفق والفرمان التعليمي رقم (٢٦)

توقيع: دولوريس جان أمبريدج، المفتشة العليا

أصبح هذا الفرمان الأخير مصدرًا للكثير من النكات والمزاح بين الطلبة. أوضح «لي جوردن» لـ«أمبريدج» أنه طبقًا للتعليمات الجديدة فليس مسموحًا لها بأمر «فريد» و«جورج» بألا يلقيا بالألعاب النارية في الفصل.

«الألعاب النارية لا علاقة لها بمادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود يا أستاذة. هذه المعلومة غير متعلقة بمادتك الدراسية».

عندما رأى «هاري» «لي» ثانية، كان ظهر يده ينزف بشدة. أوصاه «هاري»

وضع «المورتلاب» على يده.

ظن «هاري» أن حادث الهرب الجماعي من «أزكابان» قد يثبِّط من عزم «أمبريدج» قليلاً، وربما تكبح جماحها الكارثة التي وقعت تحت أنف صاحبها «فادج»، لكن بدا أن ما جرى كثَّف من غضبها ورغبتها الشديدة في وضع كل مظاهر الحياة في «هوجورتس» تحت إشرافها المباشر. بدت مصممة - على الأقل - على طرد أحدهم، وانحصرت المسألة على من سنطرد: الأستاذة «تريلاوني» أم «هاجريد».

أصبحت كل حصص التنجيم ورعاية الكائنات السحرية تتم في وجود الأستاذة «أمبريدج» ولوح كتابتها. كانت تجلس بجوار المدفأة في حجرة البرج المعطرة بالروائح النفاذة، وتقاطع كلام الأستاذة «تريلاوني» الهيستيري بأسئلة عن علوم «الأورنيثومانسي» و«الهيبتومولوجي»، وتطالبها بالتنبؤ بإجابات الطلبة قبل أن يجيبوا، وتسألها إظهار قدراتها في قراءة الكرة البللورية، وأوراق الشاي، والأحجار القديمة. فقال «هاري» لنفسه إن الأستاذة «تريلاوني» لن تتحمل هذا الضغط طويلاً وقد تجن. مر إلى جوارها عدة مرات في الممرات - وهي مصادفة نادرة؛ لأنها تقضي معظم وقتها في برجها - وهي تهمهم لنفسها بجنون، وتحرك يديها وتلقي بنظرات خائفة من فوق كتفها، وطوال الوقت تنبعث منها رائحة خمر قوية. إن لم يكن قلقًا على «هاجريد»، كان ليشعر بالأسف تجاهها. لكن إن كان على أحدهما أن يفقد وظيفته، فليس أمام «هاري» سوى خيار واحد ورغبة واحدة.

للأسف، لم يجد «هاجريد» يؤدي أداء أفضل من «تريلاوني». بالرغم من أنه قد اتبع نصح «هيرميون» ولم يدرس لهم شيئًا مخيفًا سوى «الكروب» - وهو مخلوق لا فرق بينه وبين الكلب سوى ذيله المشقوق - لكنه بدأ يفقد أعصابه هو الآخر. صار مشتتًا ومتقلبًا أثناء الحصص، ويفقد مسار الحديث وينسى ما كان يقوله منذ لحظات، ويجيب عن الأسئلة بإجابات خاطئة، وطوال الوقت ينظر بتوتر تجاه «أمبريدج». أصبح بعيدًا عن «هاري» و«رون» و«هيرميون» أكثر مما سبق، وحظر عليهم زيارته بعد حلول الظلام.

قال لهم بوضوح: «إن (أمركتكم) (زوف) (تلقيحون) في خطر». وحرصًا منهم على محافظته على وظيفته فلم ينزلوا إليه بعد حلول الظلام أبدًا.

بدا لـ«هاري» أن «أمبريدج» تحرمه بالتدريج من كل شيء يجعل حياته في

«هوجورتس» محتملة: الزيارات لمنزل «هاجريد»، والرسائل المتبادلة مع «سيريوس» ومقشة «الفايربولت» و«الكويدتش». فالتقم منها بالطريقة الوحيدة المتاحة أمامه: وهي مضاعفة جهوده في اجتماعات الـ(دي. أيه)

سرّ «هاري» لرؤيتهم جميعًا - حتى «زكارياس سميث» - وقد حرصوا على بذل جهد أكثر في التدريب مع وصول أخبار هروب أكلة الموت العشرة، لكن لم يتحسن أحدهم مثل «نيفيل». فقد أصابته أخبار هروب قتلة والديه بتغير غريب وإن كان مثيرًا للقلق. لم يذكر أبدًا لقاءه مع «هاري» و«رون» و«هيرميون» في الجناح المغلق بمستشفى «سانت مونجو»، وحرصًا منهم على عدم مضايقته، فعلوا مثله. كما لم يقل شيئًا عن «بيلاتريكس» ورفاقها الهاربين ممن عذبوا والديه. كان «نيفيل» لا يكاد يتكلم طوال الاجتماعات، بل يعمل بلا كلل على إجادة كل التعاويذ والتعاويذ الدفاعية الجديدة التي يعلمهم «هاري» إياها، ووجهه البدين يتقلب عندما يركز تفكيره، ولا يبالي بالجراح والإصابات، ويعمل أكثر من أي من الحضور. أخذ يتحسن بسرعة خرافية، وعندما علمهم «هاري» تعويذة الدرع - طريقة لعكس التعاويذ المصوبة حتى ترتد على المهاجم - لم يتمكن أحد من إجادة التعويذة قبل «نيفيل» سوى «هيرميون».

كان «هاري» ليفعل أي شيء حتى تكون إجادته لفن «الأوكلومينسي» مثل إجادة «نيفيل» للتعاويذ. لم تتحسن جلساته مع «سناب»، التي كانت بالفعل سيئة، على النقيض، شعر بأن كل حصة يسوء معها الوضع أكثر وأكثر.

قبل البدء في دراسة «الأوكلومينسي» كانت ندبته تؤلمه، وفي العادة وقت الليل من الحين للآخر، أو عندما تنتقل إليه إحدى أفكار أو دفقات مشاعر «فولدمورت». لكن الآن، أصبحت ندبته تؤلمه طوال الوقت، وكثيرًا ما شعر بدفقات من الضيق أو الفرحة لا علاقة لها بما يدور من حوله، وهو ما كان يصاحبه دفقات ألم قصيرة في ندبته. أصبح على وعي بأنه يتحول ببطء إلى جهاز هوائي مضبوط على حالة «فولدمورت» المزاجية، وكان واثقًا من قدرته على تأريخ هذا التغير بالبدء في دروس «الأوكلومينسي» مع «سناب»، والأكثر من هذا، أنه أمسى يحلم بالسير في الممر ناحية مدخل مصلحة الألغاز والغوامض كل ليلة، أحلام تصل إلى الذروة عندما يقف أمام الباب الأسود.

قالت «هيرميون» باهتمام عندما أفضى إليها «رون» بما يجري له: «ربما هو

نوع من الأمراض.. حمى أو ما شابه. ربما تصل إلى أسوأ حالاتك قبل أن تتحسن».

قال «هاري» بنبرة خاوية: «حصصي مع سناب تجعل الأمر أسوأ. أشعر بالغثيان لما أتلقى الندبة، وأكلّ من السير بطول الممر كل ليلة في أحلامي». حك جبينه بغضب وأضاف: «أتمنى لو ينفتح الباب، وأرتاح من الوقوف أمامه أراقبه».

قالت «هيرميون» بحدة: «أمنية سخيفة.. دمبلدور لا يريدك أن تحلم بالممر بالمرة، وإلا ما كان طالب سناب بتعليمك الأوكلومينسي. عليك العمل بجد واجتهاد أكثر في دروسك».

قال «هاري» مغتاظًا: «أنا أعمل.. حاولي أنت حضور أحد هذه الدروس.. تخيلي سناب وهو يحاول دخول عقلك.. الأمر ليس ظريفًا ولا مضحكًا كما تعرفين».

قال «رون» بهدوء: «ربما...».

قالت «هيرميون» بحدة شديدة: «ربما ماذا؟».

قال «رون» بغموض: «ربما ليس ذنب هاري أنه غير قادر على إغلاق عقله أمام محاولات الاختراق». قالت «هيرميون»: «ماذا تعني؟».

«ربما لا يساعده سناب كما ينبغي...».

تبادل «هاري» و«هيرميون» النظرات، ونقل «رون» بصره بينهما بتجهم وقلق، قال ثانية بصوت خفيض: «ربما يحاول فتح عقل هاري أكثر وأكثر، ليجعل الأمر أسهل على الذي - تعرفينه...».

قالت «هيرميون» بغضب: «اصمت يا رون.. كم مرة ارتبت في سناب وتبين لك بعدها أنك كنت مخطئًا؟ دمبلدور يثق به، وهو يعمل لصالح الجماعة، هذا يكفي».

قال «رون» بعناد: «كان من أكلة الموت.. ولم نرَ أبدًا دليلاً على إخلاصه لنا».

كررت «هيرميون» ما قالته: «دمبلدور يثق به، وإن كنا لا نثق في دمبلدور، فلا يمكننا أن نثق بأحد».

***

مع وجود الكثير من الأشياء المثيرة للاهتمام والقلق، من كمٍّ هائل من الواجب الذي يجعل تلاميذ الصف الخامس متيقظين حتى منتصف الليل، واجتماعات الـ(دي. أيه) السرية، والحصص الإضافية مع «سناب»، مر شهر يناير بسرعة فائقة. وقبل أن يعرف «هاري»، حلّ شهر فبراير، ومعه طقس أكثر

ابتلالاً وتدفقًا، ومعه فرحة انتظار زيارة الطلبة لـ«هوجزميد»، لم يجد الوقت الكافي للكلام مع «تشو» منذ اتفقا على زيارة القرية معًا، لكن وجد نفسه فجأة في مواجهة يوم عيد الحب الذي سيقضيه وحده معها.

صباح يوم الرابع عشر من فبراير انتقى ملابسه بحرص. وصل ومعه «رون» إلى مائدة الإفطار مع وصول بريد يوم الصباح. لم يجدوا «هدويج»، ولم يكن يتوقع قدومها - لكن «هيرميون» أخذت رسالة من منقار بومة بنية مألوفة لهم استقرت أمامها.

قالت بلهفة وهي تفض الظرف وتخرج منه رقعة ورق صغيرة: «في الوقت المناسب إن لم تصلني اليوم كنت...». تسارعت عيناها من اليسار إلى اليمين على الكلام وهي تقرأ الرسالة، وتعبير حبور واضح يملأ وجهها.

قالت وهي تنظر لأعلى: «اسمع يا هاري.. الأمر مهم. هل تعتقد أن بإمكاننا اللقاء في مقهى المقشات الثلاث منتصف النهار؟».

قال «هاري» بقلق: «آ.. لا أعرف. تشو تتوقع مني قضاء اليوم معها، لكن لا نعرف إلى أين سنذهب وماذا سنفعل».

قالت «هيرميون» برجاء: «إذن هاتها معك إن تعين عليك هذا. لكن هل ستأتي؟».

«آ.. حاضر. لكن لماذا؟».

«ليس عندي وقت لإخبارك الآن، عليّ الرد على هذه الرسالة بسرعة»، وهرولت خارجة من القاعة الكبرى، وهي قابضة على الرسالة في يد، وفي اليد الأخرى كسرة من الخبز المحمّص.

سأل «هاري» «رون»: «هل ستأتي؟»، لكنه هز رأسه بعبوس.

«لا يمكنني النزول إلى هوجزميد بالمرة. تريد أنجيلينا مني التدرب طوال اليوم. وكأن هذا سيحدث فرقًا. فريقنا في أسوأ حالاته. عليك رؤية أداء سلوبر وكيرك، إنهما مثيران للشفقة، بل حتى أسوأ مني». وتنهد تنهيدة كبيرة وأضاف: «لا أعرف لماذا لا تدعني أنجيلينا أعتزل».

قال «هاري» بضيق: «لأنك تلعب بمهارة عندما تكون في كامل لياقتك. هذا هو السبب».

وجد التعاطف مع حزن «رون» صعبًا، بينما هو مستعد لعمل أي شيء للعودة إلى اللعب في المباراة القادمة أمام «هافلباف». بدا أن «رون» قد لاحظ نبرة صوت «هاري»؛ لأنه لم يذكر المزيد عن «الكويدتش» خلال الإفطار، وكان

هناك بعض البرود في الطريقة التي ودّعا بها بعضهما. غادر «رون» متجهًا إلى ملعب «الكويدتش»، بينما حاول «هاري» تصفيف شعره بيده وهو يحدق في انعكاس صورته على ظهر ملعقة الشاي، ثم قام وحده متجهًا للقاعة الأمامية لمقابلة «تشو»، شاعرًا بالخوف والتوتر، متسائلاً عما سيتكلمان؟!

كانت في انتظاره بجوار الأبواب الأمامية. كانت جميلة للغاية، بشعرها المعقود على شكل ذيل حصان. شعر «هاري» بأقدامه كبيرة على جسده وهو سائر نحوها، وانتبه فجأة للطريقة الحمقاء التي تتأرجح بها يداه إلى جانبه وهو يسير.

قالت «تشو» مبهورة الأنفاس: «أهلاً». رد «هاري»: «أهلاً».

تبادلا النظر لوهلة، ثم قال «هاري»: «آه.. إحم. هلا ذهبنا؟».

«آه.. أجل».

انضما إلى طابور التلاميذ الواقف أمام «فيلش» لتسجيل الخروج، وبين الحين والآخر، يختلسان النظرات لبعضهما البعض، فتتلاقى العيون ويبتسمان ابتسامات مقتضبة، لكن لا يتحدثان. شعر «هاري» بالراحة عندما خرجا إلى الفضاء الرحب، ووجد السير إلى جوارها في صمت أسهل من الوقوف في قلق. كان نهارًا منعشًا زاخرًا بالنسمات اللطيفة. وعندما مرّا بجوار ملعب «الكويدتش»، لمح «هاري» «رون» و«جيني» وهما سائران أمام مقاعد الجماهير، وشعر بضيق شديد؛ لأنه ليس معهما.

قالت «تشو»: «واضح أنك تفتقد اللعب بشدة. أليس كذلك؟».

التفت إليها فوجدها تراقبه. تنهد قائلاً: «بلى. فعلاً».

سألته: «هل تذكر أول مرة لعبنا ضد بعضنا؟».

قال «هاري» مبتسمًا: «أجل، كنت تسدين الطريق أمامي».

قالت «تشو» بابتسامة رسمتها الذكريات: «وطالبك وود بألا تكون مهذبًا وأن تسقطني من فوق مكنستي إن تعيّن عليك هذا. سمعت أن فريق برايد بورتري قد أخذه. هل هذا صحيح؟».

«لا، إنه يلعب في فريق بودلمير يونايتد. رأيته في كأس العالم العام الماضي».

«فعلاً، رأيتك أنت الآخر. هل تذكر؟ كنت في نفس المخيم. كانت أيامًا جميلة. أليس كذلك؟».

استمر الكلام عن كأس العالم «للكويدتش» طوال الطريق بطول الممشى العشبي وحتى الوصول إلى البوابات الخارجية. لم يصدق «هاري» سهولة قدرته على الحديث إليها.. بل لم تعد هناك أية صعوبة، ووجد الكلام معها سهلاً مثل الكلام مع «رون» و«هيرميون». وأخذ يكتسب المزيد من الثقة والفرحة، حتى مرت إلى جوارهم مجموعة من بنات «سليذرين»، ومنهن «بانسي باركنسون».

صاحت «بانسي» بصوتها المذعور: «بوتر وتشانج» مخاطبة الفتيات الساخرات الضاحكات: «يع. تشانج.. يا لذوقك المقرف! على الأقل «ديجوري» كان وسيماً».

تسارعت خطى الفتيات، وهن يتكلمن ويضحكن بطريقة مبالغ فيها، ويلقين بنظرات مختلسة على «هاري» و«تشو»، ليتركن صمتًا زاخراً بالقلق من خلفهن. لم يقدر «هاري» على التفكير في شيء يتحدث عنه بخلاف «الكويدتش»، وأخذت «تشو» - وكان وجهها محمراً من الخجل - تنظر إلى حذائها.

سألها «هاري» وهما يلجان إلى «هوجزميد»: «إذن.. إلى أين تريدين الذهاب؟». كان الشارع الرئيسي زاخراً بالطلبة الرائحين والغادين، وهم ينظرون إلى نوافذ العرض بالمتاجر ويمزحون على الأرصفة.

قالت «تشو» وهي تهز رأسها: «آه.. لا أعرف.. ما رأيك في إلقاء نظرة على المعروض في المتاجر؟».

سارا تجاه متجر «الدرويش النشيط»، وجدا في نافذة عرضه ملصقاً كبيراً وجمعاً من سكان «هوجزميد» ملتفين حوله. تحركوا إلى الجانب مع اقتراب «تشو وهاري»؛ ليجدا أمامهما - مرة أخرى - صور أكلة الموت العشرة. كان الملصق إعلاناً به: «بأمر وزارة السحر، ويقدم جائزة ألف جاليون لأي شخص يدلي بمعلومات تؤدي إلى القبض على أي من المجرمين العشرة».

قالت «تشو» بصوت خفيض وهي تحدق في صور أكلة الموت: «شيء غريب.. أليس كذلك؟ هل تذكر عندما هرب «سيرياس بلاك» وعندما جاءت الديمنتورات إلى هوجورتس بحثاً عنه؟ والآن ومع هروب عشرة من أكلة الموت لا نجد أي ديمنتور..».

قال «هاري» مبعداً عينيه عن وجه «بيلاتريكس ليسترانج» لينظر بطول الشارع الرئيسي: «بلى.. بلى، هذا غريب».

لم يشعر بالأسف لغياب «الديمنتورات»، لكنه أخذ يفكر في أن غيابهم مثير للريبة فعلاً. فهم لم يدعوا أكلة الموت يهربون فقط، بل أيضاً لم

يزعجوا أنفسهم بمحاولة البحث عنهم.. بدا أنهم بالفعل خرجوا عن سيطرة الوزارة.

حدق أكلة الموت العشرة فيه وفي «تشو» وهما يمران. بدأت السماء تمطر وهما يمران إلى جوار متجر «سكريفنشافت»، قطرات باردة ثقيلة من الماء تضرب وجه «هاري» وعنقه.

قالت «تشو» بتردد والأمطار تزيد: «إمم.. ما رأيك في فنجان قهوة؟».

قال «هاري» وهو ينظر حوله: «أجل، فكرة جيدة.. لكن أين؟».

قالت مبتسمة بسعادة: «هناك مكان رائع.. ألم تذهب من قبل إلى مقهى مدام بوديفوت؟». وهي تقوده إلى شارع جانبي، ثم إلى مقهى صغير لم يلاحظه «هاري» من قبل. كان ضيقاً ودافئاً وكل شيء فيه مزيناً بالزخارف وأقواس الزينة. تذكرت هذه الزينة بمكتب «أمبريدج».

قالت «تشو» بسعادة: «لطيف.. أليس كذلك؟». قال «هاري» كذباً: «آ.. بلى».

قالت «تشو» مشيرة إلى بعض تماثيل «كيوبيد» الذهبية المعلقة فوق الموائد الصغيرة الدائرية، التي تلقي على الجلوس زينة صغيرة من القصاصات بين الحين والآخر.

«آآآه..».

جلسا إلى آخر مائدة شاغرة، كانت بجانب النافذة المشبعة بالبخار. كان «روجر ديفيز» كابتن فريق «رافنكلو» لـ «الكويدتش» جالساً على مسافة قدم ونصف القدم ومعه فتاة شقراء جميلة. كانا متشابكي الأيدي. جعل مشهدهما «هاري» يشعر بالتوتر، خاصة عندما لم يجد - وهو يجيل طرفه في المكان - أحداً في المقهى بخلاف الأحباب، وجميعهم متشابكو الأيدي. لعل «تشو» تتوقع منه أن يمسك بيدها!

قالت مدام «بوديفوت» - وهي سيدة بدينة للغاية بشعر أسود لامع - وهي تقترب من مائدتهما متفادية الاصطدام بمائدة «روجر ديفيز» بصعوبة: «ماذا تشربان يا أحبائي؟».

قالت «تشو»: «فنجاني قهوة من فضلك».

وقت تحضيرها للقهوة، بدأ «روجر ديفيز» يتبادل القبلات مع فتاته من

فوق سلطانية السكر على مائدتهما. تمنى «هارى» لو لم يفعلا. شعر بأن «ديفيز» بفعله هذا يسن أسلوبًا قد تتوقع منه «تشو» أن ينتهجه. شعر بوجهه يتوهج، وحاول النظر من النافذة، لكنها كانت مغطاة بالبخار فلم ير منها الشارع. لتأجيل لحظة نظره ناحية «تشو»، نظر إلى السقف كأنه يفحص زينته فسقط على وجهه باقة من قصاصات ورق الزينة من أحد تماثيل «كيوبيد».

بعد دقائق مؤلمة، ذكرت «تشو» «أمبريدج». قبض «هارى» على الخيط وإحساس بالراحة يراوده، بعد لحظات قليلة سعيدة من ذم «تشو» لها، لكن الموضوع كان قد قتل كلامًا ونقاشًا فى اجتماعات الـ(دى. أيه) حتى إنه لم يستمر طويلاً. عمَّ الصمت بينهما ثانية. أحس «هارى» بأصوات القبلات القادمة من المائدة المجاورة، وأخذ يبحث عن شىء يقوله.

«أ.. اسمعى.. هل تريدين الذهاب معى إلى المقشات الثلاث ساعة الغداء؟ سأقابل هيرميون جرانجر هناك».

رفعت «تشو» حاجبيها، وقالت: «هل ستقابل هيرميون جرانجر؟ اليوم؟».

«أجل، طلبت منى هذا. هل تريدين القدوم معى؟ قالت إنها لا تمانع فى حضورك».

«حقًا؟ رائع.. كم هى لطيفة».

لكن لم تبدُ كأنها تراها لطيفة حقًا. على النقيض، كانت نبرة صوتها باردة وفجأة وجدها عابسة.

بعد مرور دقائق أخرى من الصمت الثقيل، أخذ «هارى» يشرب قهوته بسرعة تستدعى طلبه لقدح آخر. إلى جوارهما كان «روجر ديفيز» وصديقته قريبين من بعضهما وشفاههما ملتصقة كأنما بفعل الغراء.

استلقت يد «تشو» على المائدة بجانب القهوة، وشعر «هارى» بضغط وجوب إمساكه بيدها. حاول حمل نفسه على مد يده إليها، وبنوع من الذعر والإثارة يتفجر فى صدره، «مد يدك وأمسك بيدها». من المدهش كيف يجد مد أصابعه التى عشرة بوصة ليلمس يدها صعبًا هكذا. وهو الذى يقبض على كرة «السنيتش» فى الهواء بسرعة فائقة.

لكن وقبل أن يمد يده للأمام أنزلت «تشو» يدها من فوق المائدة. أخذت تراقب «روجر ديفيز» وهو يقبل فتاته ببعض الاهتمام.

قالت بصوت هادئ: «طلب منى روجر الخروج معه منذ أسبوعين. لكننى رفضت».

لم يفهم «هارى»، الذى أمسك بسلطانية السكر ليفسر حركة يده المفاجئة على المائدة، سبب إخبارها له بهذا. إن كانت تتمنى جلوسها إلى المائدة المجاورة، وروجر ديفيز يقبلها بحرارة هكذا، فلماذا وافقت على الخروج معه؟

لم ينطق. ألقى «كيوبيد» المعلق فوقهما بالمزيد من قصاصات الورق الملونة. بعضها حط على القهوة الباردة فى الفنجان الذى كان يشربه.

قالت «تشو»: «جئت إلى هنا مع سيدريك العام الماضى».

فى اللحظة التى أخذها ليستوعب ما قالته، شعر بصدره يتجمد كالثلج. لم يصدق أذنيه وهى تتحدث عن «سيدريك»، بينما «كيوبيد» يحلق فوق رأسيهما والجالسان إلى جوارهما يتبادلان القبلات.

ارتفع صوت «تشو» ثانية.

«أردت أن أسألك منذ فترة.. هل.. هل ذ.. ذكر سيدريك شيئًا عنى قبل أن يموت؟».

كان هذا هو آخر موضوع على وجه الأرض يريد «هارى» الخوض فيه، على الأقل ليس مع «تشو».

قال بهدوء: «إحم.. لا.. لم يكن أمامه وقت لذكر أى شىء. إحم.. هل شاهدت أية مباريات كويدتش فى الإجازة الصيفية؟ أنت تشجعين فريق تورنادوز، أليس كذلك؟».

بدا صوته مفعمًا بالمرح الزائف، ومما أثار فزعه رؤيته عينيها مغرورقتين بالدموع ثانية، مثلما حدث فى اجتماع الـ(دى. أيه) السابق على العيد.

قال بيأس وهو يميل عليها حتى لا يسمعه أحد غيرها: «انظرى. أرجوك ألا نتحدث عن سيدريك الآن.. دعينا نتحدث عن شىء آخر..».

لكن من الواضح أن هذا كان أسوأ ما قاله.

قالت والدموع تنهمر من عينيها على المائدة: «ظننت.. ظننتك ستفهم. أنا بحاجة للحديث عنه، وأنت أيضًا بحاجة إلى هذا؛ أعنى أنك شاهدت موته. أ.. أليس كذلك؟».

ساءت الأمور فجأة. انفصلت فتاة «روجر» عنه؛ لتشاهد «تشو» وهى تبكى.

قال «هارى» هامسًا: «لقد تحدثت عن الموضوع.. مع رون وهيرميون، لكن..».

قالت بصوت رفيع ووجهها يلمع بالدموع: «آه.. ستتحدث مع هيرميون جرانجر». فانفصل المزيد من المنهمكين في القبلات؛ ليشاهدوا ما يجري، وهي تكمل: «لكنك لا تتحدث معي.. ر.. ربما سيكون من الأفضل لو.. أن تقوم من هنا وتذهب؛ لتقابل هيرميون جـ.. جرانجر، فرغبتك في هذا واضحة».

حدّق «هاري» فيها، وهو في حيرة شديدة من أمره، وهي تمسك بمنشفة مطرزة من على المائدة وتمسح بها وجهها اللامع.

قال بوهن متمنيًا لو يقبض «روجر» ثانية على فتاته، ويبدأ في تقبيلها ليمنعها من التحديق فيهما: «تشو؟».

قالت وهي تبكي في المنشفة: «هيا اذهب.. لا أعرف لماذا طلبت مني الخروج معك إن كنت قد رتبت اللقاء فتيات أخريات بعدي.. كم واحدة ستقابل بعد هيرميون؟».

قال «هاري» وقد ارتاح فجأة؛ لمعرفته سبب ضيقها، حتى إنه ضحك وهو يقول: «الأمر ليس هكذا». وهو ما أدرك بعد جزء من الثانية أنه خطأ فظيع

هبت «تشو» واقفة. حط الهدوء على المقهى بأكمله وأخذوا جميعًا يراقبونهما.

قالت بصورة درامية وقد أصيبت بالفواق، وهي تجري إلى الباب وتفتحه لتخرج إلى المطر المنهمر: «وداعًا يا هاري».

ناداها «هاري»: «تشو». لكن الباب كان قد أغلق خلفها بصوت رنان.

عم صمت تام في المقهى. حطت جميع العيون على «هاري». ألقى بجاليون على المائدة، وأزاح قصاصة ورق وردية من شعره، وتبع «تشو» إلى الشارع.

كانت الأمطار شديدة، ولم يجدها في أي مكان حوله. لم يفهم - ببساطة - سبب ما حدث، فمنذ نصف ساعة كانا على ما يرام.

غمغم بغضب وهو يسير بطول الشارع الممطر ويداه في جيبيه: «يا للنساء! لماذا أرادت الكلام عن سيدريك؟ لماذا تريد دومًا الحديث في الموضوع؟».

التفت إلى يمناه وأخذ يجري على الأرض الموحلة، وخلال دقائق كان قد تلفه من باب «المكنسات الثلاث». كان يعرف أن الوقت مبكر على لقاء «هيرميون»، لكنه فكر في قضاء الوقت مع أي من أصدقائه حتى يحين الموعد. أبعد شعره المبتل عن عينيه ونظر حوله. كان «هاجريد» جالسًا في الركن وعلى وجهه أمارات الاكتئاب الشديد.

قال عندما تمكن من الوصول إليه من بين الموائد المزدحمة وبعد أن اتخذ مجلسه إلى جواره: «أهلاً يا هاجريد».

أجفل «هاجريد» ونظر إلى «هاري» كأنه بالكاد يعرفه. رأى «هاري» قطعين جديدين في وجهه وبضع سحجات.

قال «هاجريد»: «آه.. هذا أنت يا هاري.. هل أنت بخير؟».

كذب عليه «هاري» وقال: «أجل، بخير». لكن بالنظر إلى حال «هاجريد» البشع، فقد وجد نفسه غير قادر على الشكوى. قال: «أ.. هل أنت بخير؟».

قال «هاجريد»: «أنا؟ أنا حالتي هائلة يا هاري، هائلة».

حدّق في إناء الشرب الموضوع أمامه، والذي كان في حجم دلو كبير، ثم تنهد. لم يعرف «هاري» ماذا يقول. جلسا متجاورين للحظة، ثم قال «هاجريد» فجأة: «في (نفذ) القارب أنا وأنت يا هاري.. (أليس) كذلك؟».

قال «هاري»: «أ.. »

«بلى.. كما قلت لك من قبل.. أنا وأنت غريبان على هذا العالم». قالها وهو يهز رأسه بحكمة، وأضاف: «وكلانا يتيم.. أجل، يتيم».

تجرع جرعة هائلة من إناء شربه.

قال: «لكن الفرق في (أزرتك) الكريمة.. أبي كان مهذبًا، وأبوك وأمك كانا مهذبين. إن عاشا لكانت الحياة قد اختلفت. (أليس) كذلك؟».

قال «هاري» بحذر: «أجل.. أعتقد هذا». وقد وجد «هاجريد» في حالة مزاجية غريبة. قال «هاجريد» بعبوس: (الأزرة).. أيًا كانت.. الدم مهم..».

ومسح بعضه على كمه.

قال «هاري» غير قادر على منع نفسه: «هاجريد.. ما سبب كل هذه الإصابات؟».

قال «هاجريد» مندهشًا: «ماذا؟ أية (إصابات)؟».

قال «هاري» مشيرًا إلى وجه «هاجريد»: «كل هذه الإصابات».

قال «هاجريد» بلا مبالاة: «آه.. إنها كدمات (صغيرة). لا أهمية لها.. فأنا عندي مهمة (صعبة)». أفرغ قدحه في جوفه، وأعاده إلى المائدة ونهض واقفًا.

«أراك لاحقًا يا هاري.. انتبه (لنفسك)».

ومشى مشية عرجاء خارجًا من المقهى واختفى وسط الأمطار الغزيرة. شاهده «هاري» وهو يمضي، فشعر بالتعاسة. كان «هاجريد» تعيسًا ويخفي

شيئًا ما عنهم، لكنه بدا مصممًا على عدم قبول المساعدة. ماذا تراه يفعل؟ لكن وقبل أن يفكر «هاري» في المزيد سمع من ينادي اسمه:

«هاري.. هاري.. تعال هنا».

أخذت «هيرميون» تلوح له من الجانب الآخر من المقهى. نهض وسار إليها وسط الصخب والزحام. كان بينه وبينها بعض الموائد عندما أدرك أن «هيرميون» ليست وحدها. كانت جالسة إلى مائدة مع آخر اثنين يتوقع الجلوس معهما والكلام: «لونا لوفجود» و«ريتا سكيتر» الصحفية السابقة بجريدة «الدايلي بروفيت» وواحدة من أقل الأشخاص قربًا إلى قلب «هيرميون» في العالم.

قالت «هيرميون» وهي تتحرك إلى الجانب؛ لتفسح له مكانًا؛ ليجلس: «جئت مبكرًا.. حسبتك مع تشو، لم أتوقع رؤيتك قبل ساعتين من الآن».

قالت «ريتا» وهي تدور في مقعدها لتنظر إلى «هاري» بشراهة: «تشو؟ فتاة؟».

أمسكت بحقيبتها المصنوعة من جلد التمساح وأخذت تعبث بيدها داخلها.

قالت «هيرميون» مخاطبةً «ريتا» ببرود: «ليس من شأنك إن تعرف هاري على مائة فتاة.. لذا نحّي هذه الأشياء جانبًا».

كانت «ريتا» على وشك إخراج ريشة كتابة خضراء من حقيبتها، وكأنها قد أجبرت على ابتلاع فأر ميت، أغلقت حقيبتها ثانية.

تساءل «هاري» وهو يجلس وينقل بصره بين «ريتا» و«لونا» و«هيرميون»: «ما سبب تجمعكن هنا؟».

قالت «ريتا» وهي تتجرع جرعة كبيرة من شرابها: «الأستاذة الفاضلة رائدة الفصل كانت على وشك إخباري قبل حضورك.. هل تسمحين لي بالكلام إليه؟». ألقت السؤال الأخير وهي تحدج «هيرميون» بنظرة حادة.

قالت «هيرميون» ببرود: «أجل، أظن هذا».

الجلوس بلا عمل لا يناسب «ريتا». شعرها الذي كان فيما سبق مصففًا بعناية وحرص شديدين تهدل على وجهها. الطلاء الأحمر على مخالبها بطول البوصتين كان مخدوشًا ورث الحال، وثمة جوهرتان زائفتان مفقودتان من عويناتها المجنحة. أخذت رشفة أخرى من شرابها وقالت بطرف فمها: «هل هي فتاة جميلة يا هاري؟».

قالت «هيرميون» بضيق: «كلمة أخرى عن حياة هاري الشخصية وينتهي اتفاقي معك، أعدك بهذا».

قالت «ريتا» وهي تمسح فمها بظهر يدها: «أي اتفاق؟ أنت لم تتفقي معي على شيء بعد يا آنستي، كل ما قلته لي أن أحضر اليوم..». وأخذت رشفة كبيرة أخرى.

قالت «هيرميون» بحياد: «أجل، أجل، قريبًا ستكتبين عني وعن هاري تعليقًا فظيعًا من تحقيقاتك الصحفية المزيفة.. أليس كذلك؟».

قالت «ريتا» وهي تلقي بنظرة جانبية على «هاري» من فوق طرف عويناتها: «إنهم يكتبون عنه أخبارًا فظيعة هذا العام، ومن دون مساعدتي». ثم وهي تهمس: «بم شعرت يا هاري؟ بالخيانة؟ بالذهول؟ بسوء الفهم؟».

قالت «هيرميون» بصوت صافٍ وقوي: «شعر بالغضب بالطبع؛ لأنه أخبر وزارة السحر بحقيقة ما حدث، وقالت عنه الوزارة إنه مجنون ولم تصدقه».

قالت «ريتا» وهي تخفض كوبها وتعرض «هاري» لواحدة من نظراتها الضيقة وأصبعها يقترب بتوق من حقيبتها: «الآن، فأنت ما زلت مصرًا على ما قلت.. الذي لا يجب ذكر اسمه قد عاد، هل تؤيد كل الهراء الذي ذكره دمبلدور للجميع؛ عن عودة الذي - تعرفه وكونك الشاهد الوحيد على عودته؟».

قال «هاري» مزمجرًا: «لم أكن الشاهد الوحيد.. كان هناك أكثر من عشرة من آكلة الموت شهود على ما جرى. هل تريدين معرفة أسمائهم؟».

قالت «ريتا» بحماس وهي تعبث في حقيبتها ثانية وتحدق فيه كأنه أجمل شيء وقعت عيناها عليه: «لكم أود هذا.. ويتنزل الخبر بالبنط العريض: بوتر يتهم.. ثم: هاري بوتر يؤكد أن آكلة الموت ما زالوا بيننا.. ثم وتحت صورة كبيرة لك: الولد المراهق المضطرب نفسيًا والناجي من هجوم الذي - تعرفونه، هاري بوتر، ١٥ عامًا، يتسبب في قلق واسع النطاق أمس بعد أن اتهم أعضاء بارزين في مجتمع السحرة بأنهم من آكلة الموت..».

كانت ريشة الكتابة المسحورة في يدها، وتقربها من فمها؛ استعدادًا لكتابة ما قالته بنفس الشكل، عندما تلاشى التعبير الحماسي من على وجهها.

قالت وهي تخفض الريشة وتنظر نظرات طاعنة نحو «هيرميون»: «لكن بالطبع الآنسة رائدة الفصل لا تريد انتشار الخبر.. أليس كذلك؟».

قالت «هيرميون» بصوت عذب: «في الواقع هذا بالضبط هو ما تريده الآنسة رائدة الفصل».

نظرت «ريتا» إليها بذهول، وكذا فعل «هاري»، لكن «لونا» أخذت تعلن بنبرة حالمة: «ويسلي يا ملك»، بصوت خفيض وهي تقلب قدح كوكتيل البصل الذي تشربه بعصا صغيرة.

سألت «ريتا» «هيرميون» بصوت خفيض: «هل تريدين مني كتابة ما قاله عن الذي لا يجب ذكر اسمه؟»

قالت «هيرميون»: «أجل، هذا ما أريده. القصة الحقيقية. كل الحقائق تمامًا كما شهدها هاري، سيعطيك كل التفاصيل، سيذكر لك أسماء أكلة الموت الذين رآهم، وسيقول لك ما هو شكل ڤولدمورت الآن... بريك، تماسكي» أضافت الكلمة الأخيرة بازدراء وهي تلقي بمنشفة إلى «ريتا»، التي مع ذكر اسم «ڤولدمورت» ارتجفت وأسقطت نصف كوبها على ثوبها.

مسحت «ريتا» الثوب بالمنشفة وهي ما زالت تحدّق في «هيرميون»، ثم قالت بصراحة شديدة: «جريدة البروفيت لن تنشر هذا الكلام، في حالة ما لم تكوني قد لاحظت، فلا أحد يصدق قصته هذه. الجميع يرونه موهومًا. والآن إن تركتني أكتب القصة من هذه الزاوية فسوف...»

قالت «هيرميون» بغضب: «نحن لسنا بحاجة إلى قصة أخرى عن فقدان هاري لعقله. لدينا الكثير منها بالفعل، شكرًا لك! أريد أن تتاح له الفرصة لنشر الحقيقة».

قالت «ريتا» ببرود: «لا أحد سينشر قصة مثل هذه».

قالت «هيرميون» بضيق: «تقصدين أن البروفيت لن تنشرها؛ لأن فادج لن يسمح لهم».

حدجت «ريتا» «هيرميون» بنظرة طويلة قاسية، ثم وهي تميل للأمام عبر المائدة نحوها، قالت بنبرة عملية: «حسنًا. فادج له تأثير على البروفيت، لكن النتيجة لن تتغير، فلن ينشروا قصة تُظهر هاري بصورة جيدة. لا أحد يريد قراءة هذا. إنه ضد الذوق العام وتوجهات الرأي العام. حادث هروب أزكابان جعل الناس يقلقون بما يكفي، وهم ليسوا بحاجة لسماع أن الذي - تعرفينه قد عاد».

قالت «هيرميون» بمرارة: «إذن، فالدايلي بروفيت وظيفتها إخبار الناس بما يريدون سماعه، أليس كذلك؟»

استقامت «ريتا» في جلستها، ورفعت حاجبيها، وأجهزت على كوب الشراب. قالت ببرود: «البروفيت وظيفتها أن تُباع أيتها الفتاة الغبية».

قالت «لونا» وهي تشرب كوكتيل البصل، وعيناها الواسعتان الجاحظتان على عيني «ريتا» المجنونتين وقد دخلت في الحوار على غير المتوقع كالعادة: «أبي يراها جريدة شديدة السوء». وأضافت: «إنه ينشر أخبارًا هامة يرى الجماهير بحاجة إلى معرفتها، ولا يهتم بالربح».

نظرت «ريتا» باستخفاف تجاه «لونا»، وقالت: «واضح أنّ أباك يدير نشرة بلهاء صادرة عن قرية صغيرة. لعل موضوعاتها هكذا: أربع وعشرون طريقة للاختلاط بالعامة، وجدول بمواعيد التخفيضات على الملابس ومعدات الطيران في المتاجر المحلية».

قالت «لونا» وهي تعبث بكوكتيل البصل: «لا، إنها رئيس تحرير الكويبلر».

أطلقت «ريتا» صيحة احتجاج عالية لفتت انتباه الجالسين إلى المائدة المجاورة.

قالت بحدة شديدة: «بالأخبار الهامة التي يعرف بها الجماهير، يمكنني تسميد حديقتي بما تحتويه هذه الجريدة الصفراء القذرة».

قالت «هيرميون» بسرور: «ها قد واتتك الفرصة إذن، تقول لونا إن أباها يسعده نشر حوار مع هاري، هو من سينشره».

حدقت «ريتا» فيهما للحظة، ثم ضحكت ضحكة هائلة، وقالت: «الكويبلر؟ هل تعتقدون أن الناس يأخذون ما ينشر في الكويبلر على محمل الجد؟»

قالت «هيرميون» بصوت يحاكي صوتها: «بعض الناس لا يفعلون. لكن قصة الدايلي بروفيت عن الهروب من أزكابان زاخرة بالثغرات، وهو ما سيدفع الكثيرين للبحث عن تفسير أفضل لما جرى، وإن وجدوا قصة بديلة تنشرها في... - وهي تلقي بنظرة جانبية على «لونا»، أكملت: - مجلة غير عادية، فأعتقد أنهم سيعكفون على قراءتها».

لم تنطق «ريتا» بشيء لبرهة، لكنها أخذت ترمق «هيرميون» بقسوة، ورأسها مائل إلى الجانب.

قالت فجأة: «حسنًا، لنقل للحظة إنني أوافق. ما الأتعاب التي سأتقاضاها؟»

قالت «لونا» بنبرتها الحالمة: «لا أعتقد أن أبي يدفع نقودًا لمن يكتبون في المجلة. إنهم يكتبون؛ لأن هذا شرف لهم، وبالطبع لرؤية أسمائهم على ما يكتبون».

بدا كأن «ريتا سكيتر» تشعر بمذاق الفئران في فمها ثانية وهي تلتفت إلى «هيرميون» وتقول: «هل من المفترض أن أكتب هذا التحقيق بلا مقابل؟».

قالت «هيرميون» بهدوء وهي تأخذ رشفة من مشروبها: «أجل.. وإلا، وكما تعرفين جيداً.. سأبلغ السلطات أنك أنيماجوس بلا رخصة[1]. بالطبع قد تهتم البروفيت بنشر حلقات مسلسلة عن قصة أحد سجناء أزكابان يكتبها بنفسه».

بدا كأن «ريتا» لا ترغب في شيء أكثر من القبض على المظلة الورقية الموضوعة فوق كوب «هيرميون» وغرسها في أنفها.

قالت «ريتا» بصوت مهتز قليلاً: «لا أعتقد أن أمامي الخيار.. أليس كذلك؟». فتحت حقيبتها، وأخرجت منها رقعة ورق، ورفعت ريشة كتابتها المسحورة.

قالت «لونا» مبتسمة: «سيفرح أبي كثيرًا بهذا الموضوع».

قالت «هيرميون» ملتفتة إلى «هاري»: «موافق يا هاري؟ هل أنت جاهز لإخبار الناس بالحقيقة؟».

قال «هاري» مراقبًا «ريتا» وهي تضع الريشة على وضع الاستعداد والورقة تحتها: «جاهز».

قالت «هيرميون» بهدوء وهي تلتقط ثمرة كرز من قاع كوبها: «ابدئي إذن يا ريتا».

(1) عندما تتحول «ريتا سكيتر» كأنيماجوس تتخذ شكل خنفساء، وهو ما يفسر اسم هذا الفصل القريب: الخنفساء في المصيدة (المترجم).

٢٦ المتوقع وغير المتوقع

قالت «لونا» بغموض إنها لا تعرف متى سيظهر حوار «ريتا» مع «هاري» في «الكويبلر»، وإن والدها يسعى لنشر مقال طويل عن مشاهدات «السنوركاك» ذي القرن، وإنه بالطبع سيكون مقالاً مفيداً وهامًا، حتى إن حوار «هاري» قد يضطر للانتظار إلى العدد التالي.

لم يجد «هاري» الكلام عن ليلة عودة «فولدمورت» مما يسُّر استجوبته «ريتا» في كل تفصيلة صغيرة، وذكر لها كل ما تمكن من تذكره، وهو يعرف أنها فرصته الكبرى: لإخبار العالم بالحقيقة. تساءل، كيف سيتفاعل الناس مع حكايته. خمن أنها ستؤكد للكثيرين فكرة جنونه، ليس لأن حكايته ستظهر إلى جوار الهراء المكتوب عن «السنوركاك» فقط، كما أن هروب «بيلاتريكس ليسترانج» ورفاقها من أكلة الموت قد بعث في «هاري» رغبة محمومة في فعل شيء ما، سواء أكان سينجح أم لا.

قال «دين» مندهشًا على مائدة العشاء مساء الإثنين: «لا أطيق انتظار معرفة رأي «أمبريدج» عندما تُفشي ما عندك». كان «سيماس» يلتهم كميات كبيرة من طعامه: من الدجاج وفطيرة اللحم إلى جوار «دين»، لكن «هاري» كان يعرف أنه ينصت إليهم.

قال «نيفيل» الذي كان جالسًا مقابله وكان شاحب الوجه: «هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله يا هاري». لكنه استرسل في الكلام بصوت خفيض: «لا بد أنك وجدت صعوبة في الكلام عن هذا الموضوع.. أليس كذلك؟».

غمغم «هاري»: «بلى.. لكن للناس الحق في معرفة ما يقدر «فولدمورت» على فعله. أليس كذلك؟».

قال «نيفيل» وهو يومئ برأسه: «هذا صحيح، وكذا أكلة الموت من حوله أيضًا.. على الناس أن يعرفوا...».

ترك «نيفيل» كلامه معلقًا هكذا وعاد للانغماس في طبق البطاطس الذي أمامه. رفع «سيماس» بصره.. لكن عندما بادله «هاري» النظر، عاود النظر

لطيفه ثانية. وبعد برهة، غادر «دين» و«سيماس» و«نيفيل» المكان إلى حجرة الطلبة، تاركين من خلفهم «هارى» و«هيرميون» على المائدة فى انتظار «رون» الذى لم يظهر على مائدة العشاء؛ بسبب تمرين «الكويدتش».

دلفت «تشو تشانج» إلى القاعة الكبرى مع «ماريتا» صديقتها. شعر «هارى» بالتوتر، لكنها لم تنظر تجاه مائدة «جريفندور» وجلست وظهرها إليه.

قالت «هيرميون» مبتسمة وهى تنظر نحو مائدة «رافنكلو»: «آه.. نسيت سؤالك.. كيف سارت الأمور فى لقائك بتشو؟ لماذا عدتما مبكرًا يومها؟».

قال «هارى» وهو يجذب إليه طبقه ويأكل: «آ.. كان.. كـ.. كان إخفاقًا تامًا».

وأخبرها بما جرى فى مقهى مدام «بوديفوت».

أنهى كلامه بعد عدة دقائق وآخر كسرة خبز تختفى فى فمه: «... وبعدها قامت وقالت وداعًا يا هارى، وجرت خارجة من المكان». أعاد ملعقته إلى المائدة ونظر إلى «هيرميون» قائلاً: «ما السبب فى رأيك؟ ماذا جرى لكل هذا؟».

نظرت «هيرميون» تجاه «تشو» وتنهدت.

قالت بحزن: «آسفة يا هارى، لكنك كنت قليل الذوق».

قال «هارى» بغضب: «أنا؟ أنا قليل الذوق؟ كنا على ما يرام وبعد دقيقة، بدأت تحكى لى أن «روجر ديفيز» طلب منها الخروج معه، وكيف أنها كانت تواعد «سيدريك» فى ذلك المقهى السخيف.. أليس لى مشاعر أنا الآخر؟».

قالت «هيرميون» بصبر من يشرح لولد صغير أن واحدًا زائد واحد تساوى اثنين: «انظر.. ما كان يجب إخبارها بأنك أردت مقابلتى وسط اليوم».

قال «هارى» متلعثمًا: «لكن.. لكن.. لكنك طلبت منى لقاءك الساعة الثانية عشرة وأن أحضرها معى، كيف كان بإمكانى أن أطلب منها الحضور دون أن تعرف؟».

قالت «هيرميون» بنفس الصبر الشديد: «كان عليك إخبارها بطريقة مختلفة. كان عليك القول بأنك منزعج جدًا من لقائى، لكنك للأسف وعدتنى بالحضور، وأنك لم ترغب فى الحضور، وتفضل قضاء اليوم معها، وإن أحبت فيمكنها الذهاب معك، وربما كان من المفيد أن تذكر لها كم أنا قبيحة».

أضافت «هيرميون» الجملة الأخيرة بعد أن تفكرت قليلاً.

قال «هارى» بدهشة: «لكننى لا أراكِ قبيحة يا هيرميون». فضحكت.

تنهدت قائلة: «هارى، أنت أسوأ من رون.. أعنى، لا.. لست أسوأ». ومع اقتراب «رون» متعثرًا متجهمًا أضافت: «انظر. لقد ضايقت تشو عندما قلت لها إنك ستقابلنى؛ لذا فقد حاولت هى أن تشعرك بالغيرة.. كانت هذه طريقتها فى محاولة معرفة كم تحبها».

قال «هارى» و«رون» يحط على المقعد المقابل لهما ويجذب كل الأطباق التى تصل إليها يده ناحيته: «هل هذا ما كانت تفعله؟ ألم يكن من الأسهل أن تسألنى إن كنت أحبها أكثر منك؟».

قالت «هيرميون»: «البنات لا تسأل فى العادة أسئلة مثل هذه».

قال «هارى» بقوة: «عليهن أن يسألن إذن. كان يمكننى وقتها أن أقول لها إننى معجب بها، وإنه لا يجب عليها الحزن على موت سيدريك».

قالت «هيرميون» و«جينى» تنضم إليهم وهى ليست أحسن حالاً من «رون»: «أنا لا أدّعى أن ما فعلته كان من الذوق. كل ما أحاوله هو أن أجعلك ترى إحساسها وقتها».

قال «رون» مخاطبًا «هيرميون» وهو يقطّع البطاطس: «عليك كتابة كتاب، تترجمين فيه الأشياء المجنونة التى ترتكبها الفتيات حتى يفهمهن الأولاد».

قال «هارى» مصدقًا وهو يلقى بنظرة إلى مائدة «رافنكلو» و«تشو» تنهض من دون أن تنظر إليه مغادرةً القاعة الكبرى: «أجل..». وبإحساس بالحزن التفت إلى «رون» و«جينى» وقال: «إذن، كيف كان تمرين الكويدتش؟».

قال «رون» بصوت متذمر: «كان كابوسًا».

قالت «هيرميون» ناظرة إلى «جينى»: «لا تبالغ. أنا واثقة أنه لم يكن بهذا الـ...».

قالت «جينى»: «بل كان بهذا السوء. كادت أنجيلينا تبكى مع نهاية التمرين».

ذهب كل من «رون» و«جينى» إلى الحمامات بعد العشاء. عاد «هارى» و«هيرميون» إلى حجرة طلبة «جريفندور» المشغولة وأمامهما كومة الواجب المعهودة. أخذ «هارى» يجاهد فى عمل خريطة النجوم الجديدة لمادة علم الفلك لمدة نصف ساعة، ثم ظهر «فريد» و«جورج».

سأل «فريد» ناظرًا حوله وهو يجذب مقعدًا: «أليس رون وجيني هنا؟».

وعندما هزَّ «هاري» رأسه نافيًا قال: «رائع. كنا نراقب التمرين. سيذبحهم الفريق المنافس. إنهم بلا نفع من غيرنا».

قال «جورج» بنبرة مُنصفة وهو يجلس بجوار «فريد»: «لا تتحامل عليهما هكذا. جيني ليست سيئة. في الواقع، لا أعرف كيف تحسن لعبها هكذا، مع منعنا إياها من اللعب معنا».

قالت «هيرميون» من خلف كومة كتبها القديمة: «كانت تتسلل إلى خزانة المقشات منذ كانت في السادسة من عمرها وتتدرب على مقشاتكم وأنتم لا تعلمون».

قال «جورج» مندهشًا: «حقًا؟ هكذا إذن».

تساءلت «هيرميون» وهي تنظر إليهم من خلف كتاب «اللوغاريتمات والرموز الخفية في السحر»: «هل صدَّ رون أي تصويبة على المرمى؟».

قال «فريد» وهو يرفع عينيه: «كان هذا بإمكانه، إن لم يتخيل أن الجميع يراقبونه. كل ما علينا فعله هو أن نطلب من الجمهور إدارة ظهورهم للعب كلما اقتربت منه الكواقل يوم السبت القادم».

نهض وتحرك نحو النافذة، وأخذ يحدق في الفناء المظلم بالخارج قائلاً: «أتعرفين؟ كان لعب «الكويدتش» هو الشيء الوحيد الذي يستحق البقاء هنا».

رمقته «هيرميون» بنظرة صارمة، وقالت: «امتحاناتك تقترب».

قال «فريد»: «قلنا لك بالفعل إننا لا نهتم بشهادة الـ(إن. إي. دبليو. تي.) فحلوى التزويغ جاهزة للبيع، وعرفنا كيف نتخلص من الآثار الجانبية ومن البثور، فقط مع إضافة نقطتين من محلول المورتلاب».

تثاءب «جورج» فاغرًا فاه على آخره ونظر بقلق نحو سماء الليل الزاخرة بالسحاب قائلاً: «لا أعرف إن كنت سأقدر على مشاهدة تلك المباراة. إن تغلب علينا «زكارياس سميث» فربما أنتحر».

قال «فريد» بجدية: «بل الأفضل أن نقتله».

قالت «هيرميون» بذهن شارد وقد انحنت على واجبها ثانية: «هذه مشكلة الكويدتش. إنه يتسبب في كل تلك المشاعر السلبية والتوترات بين فرق المدرسة».

رفعت بصرها بحثًا عن نسختها من كتاب «كشاف الرموز»، فوجدت «فريد» و«جورج» و«هاري» يحدقون فيها بتعبير هو مزيج من الضيق والغضب.

قالت بصبر نافد: «حقًا، إنها ليست أكثر من لعبة، أليس كذلك؟».

قال «هاري» وهو يهز رأسه: «هيرميون، أنت ماهرة في مسائل المشاعر والأحاسيس، لكنكِ لا تفهمين شيئًا عن الكويدتش».

قالت بتجهم وقد عادت بانتباهها إلى واجبها: «ربما، لكن على الأقل لا تعتمد سعادتي على قدرات رون في حراسة المرمى».

وبالرغم من أن «هاري» كان يفضل القفز من فوق برج مادة علم الفلك عن الاعتراف لها بصحة ما قالته، فإنه وهو يشاهد المباراة في اليوم التالي شعر برغبة شديدة في دفع أي مبلغ من «الجاليونات» مقابل تخليه عن حب «الكويدتش» مثلها.

أفضل ما يمكن أن يقال عن تلك المباراة إنها كانت قصيرة.. لم يكن على جمهور «جريفندور» تحمل ما يزيد على عشرين دقيقة من العذاب. يصعب قول ما هو أسوأ ما في المباراة.. قال «هاري»: إن العنصر الأسوأ عليه منافسة شديدة، بين «رون» الذي فشل في صد أربعة عشر هدفًا، و«سلوبر» الذي حاول ضرب «بلادجر» بمضربه وضرب بدلاً منها فم «أنجيلينا»، و«كوت» الذي أخذ يصيح وهو يسقط من فوق مقشته عندما حلق «زكارياس سميث» إلى جواره ومعه «الكواقل». كانت المعجزة أن «جريفندور» خسر بفارق عشر نقاط فقط بعد أن أمسكت «جيني» بكرة «السنيتش» تحت أنف قنَّاص «هافلباف» «سامربای»، حتى صارت النتيجة النهائية مائتين وأربعين إلى مائتين وثلاثين.

قال «هاري» لـ«جيني» عندما عادوا إلى حجرة الطلبة: «كان لعبك جيدًا» والجو من حولهما أشبه بيوم جنازة.

قالت وهي تهز رأسها: «كنت محظوظة. لم تكن الكرة سريعة للغاية، كما أن «سامربای» مصاب بالبرد، وأخذ يعطس وأغلق عينيه لحظة مرور الكرة. المهم عندما تعود إلى الفريق سوف...».

«جيني.. أنا محظور من اللعب مدى الحياة».

صححت له «جيني» كلامه قائلة: «أنت محظور من اللعب مادامت أمبريدج في هذه المدرسة. هناك فرق. المهم، حال عودتك سأحاول اللعب في موقع المهاجم. ستترك كل من أنجيلينا وأليشيا المدرسة العام القادم، وأفضل تسجيل الأهداف على قنص السنيتش على أية حال».

نظر «هاري» إلى «رون» الذي جلس منكمشًا في الركن، ناظرًا إلى ركبتيه، وزجاجة عصير في يده.

قالت «جيني» كأنها تقرأ أفكار «هاري»: «أنجيلينا لا تريد له الاعتزال. تقول إنها تعرف أنه موهوب».

لكم أحب «هاري» «أنجيلينا» على ما أظهرته من ثقة في «رون»، لكن في نفس الوقت وجد أنه من الأفضل أن تدعه يترك الفريق. ترك «رون» الملعب ومن خلفه تدوي أغنية «ويسلي يا ملك» من مدرجات «سليذرين»، الذين أصبحوا الأقرب للحصول على كأس «الكويدتش» لهذا العام.

تقدم كل من «فريد» و«جورج».

قال «فريد» ناظرًا إلى «رون»: «ليس عندي حتى العزم الكافي للسخرية منه وتوبيخه. لكن عندما دخل فيه الهدف الرابع عشر...».

أخذ يحرك ذراعه في حركات قصيرة صغيرة أشبه بأيدي الكلب وهو في المياه.

«... إحم. طيب، سأوضح ما أريد قوله وقت الحفلات إذن».

جر «رون» نفسه إلى فراشه بعدها. وبدافع من احترامه لمشاعره، انتظر «هاري» حتى صعد إلى جناح الأولاد ثم صعد بعده، حتى يتمكن «رون» من تصنّع النوم إن شاء. وبكل تأكيد، عندما دخل «هاري» أخيرًا الحجرة وجد «رون» يغط بصوت أعلى من الطبيعي.

صعد «هاري» إلى فراشه، مفكرًا في المباراة. كان من المحبط أن يجلس في مقاعد المتفرجين هكذا. أدهشه أداء «جيني»، لكنه كان يعرف أنه لو لعب كان ليمسك بكرة «السنيتش» أسرع منها. مرت لحظة وجد الكرة فيها تتأرجح إلى جوار قدم «كيرك»، إن لم تكن «جيني» قد ترددت، لتمكنت من قنص الفوز لـ«جريفندور».

كانت «أمبريدج» جالسة أمام «هاري» بينهما القليل من الصفوف. ومرة أو مرتين التفتت في مقعدها ونظرت نحوه، وفمها الواسع الضفدعي الشكل منفرج عما يشبه الابتسامة. جعلته ذكرى نظرتها يشعر بالمزيد من الغضب وهو راقد في الظلام. لكن بعد دقائق، تذكر أنه يجب إخلاء عقله قبل النوم، كما دأوم «سناب» على تذكيره مع نهاية كل درس من دروس «الأوكلومينسي».

حاول لدقيقة أو اثنتين، لكن فكرة «سناب» فوق ذكرى «أمبريدج» جعلت

إحساسه بالتجهم يزيد، ووجد نفسه يركز على كيف يحتقر كلاً منهما. وبهدوء تلاشى غطيط «رون» ليصدر بدلاً منه صوت تنفس عميق بطيء. استغرق «هاري» كثيرًا حتى نام، لكن عقله أخذ المزيد من الوقت حتى يغلق.

حلم بأن «نيفيل» والأستاذ «سبروت» يرقصان «الفالس» في حجرة الاحتياجات، بينما الأستاذة «مكجوناجال» تلعب على آلة القرب. راقبهم بسعادة لبعض الوقت، ثم قرر أن يبحث عن باقي أعضاء الـ(دي. أيه.)

لكن عندما غادر الحجرة وجد نفسه يواجه شعلة تحترق على الحائط الصخري. أدار رأسه ببطء إلى اليمين وإلى اليسار، فوجد عند الطرف البعيد من الممر الخالي من النوافذ بابًا أسود.

سار تجاهه بإحساس بالحماس المتزايد. أحس بأن هذه المرة سيكون حسن الحظ ويمر بالفعل، ويجد طريقة لفتحه. وأصبح على مسافة قدم منه، ورأى، والحماس يتوقد داخله، أن هناك شقًا من الضوء الأزرق اللامع يأتي من الجانب الأيمن الباب... كان مواربًا... مد يده ليفتحه و...

سمع غطيط «رون» المرتفع اللاهث فاستيقظ فجأة ويده اليمنى ممتدة إلى جانبه في الظلام. أصبح الباب على مسافة مئات الأميال. تركه يبتعد بإحساس هو مزيج من الحسرة والذنب. عرف أنه ما كان له رؤية الباب، لكن في نفس الوقت شعر بالفضول الشديد يأكله لمعرفة ما يقع خلفه، فأحس بالضيق من «رون»... إن تمكن فقط من حجب غطيطه لدقيقة أخرى.

* * *

دلفوا إلى القاعة الكبرى؛ لتناول طعام الإفطار صباح يوم الإثنين وقت وصول بوم البريد بالضبط. لم تكن «هيرميون» هي الوحيدة المتطلعة لجريدة «دايلي بروفيت»... تقريبًا كانت لهفة الجميع هائلة لمعرفة المزيد من الأخبار عن آكلة الموت، الذين بالرغم من بلاغات مشاهدتهم الكثيرة لم يتم القبض عليهم بعد. أعطت بومة توصيل الجريدة عملة «نات» وفضت الجريدة بلهفة، بينما «هاري» يرتشف عصير البرتقال، فهو لم يتلق سوى رسالة واحدة طوال العام، وكان واثقًا عندما حطت أول بومة بريد أمامه أنها قد وصلته بطريق الخطأ.

سألها: «من تريدين إيصال الرسالة إليه؟» وهو يبعد عصير البرتقال من تحت منقارها ويميل إلى الأمام لرؤية اسم المرسل إليه والعنوان فوجد:

هارى بوتر
القاعة الكبرى
مدرسة «هوجورتس»

وهو مقطب الجبين همّ بتناول الرسالة من البومة، لكن قبل أن يصل إليها حطت ثلاث، ثم أربع، ثم خمس بومات أخرى إلى جوارها، وأخذت تتحرك محاولة الوقوف فى مكان مناسب قريب منه، لتصدم الزبد، وتسقط الملح، وكل منها تحاول إعطاءه رسالتها أولاً.

تساءل «رون» فى ذهول: «ماذا يجرى؟»، والجلوس إلى مائدة «جريفندور» يميلون إلى الأمام؛ لمشاهدة ما يجرى، بينما سبع بومات أخرى تحط بين السابقة عليها، وهى تنعب بصوت مرتفع وترفرف بأجنحتها.

قالت «هيرميون» مبهورة الأنفاس وهى تمد يدها إلى كتلة البوم الممتلئة بالريش وتجذب بومة تحمل حزمة أسطوانية طويلة: «هارى، أحسبنى أعرف ماذا يعنى هذا.. افتح هذه أولاً».

مزق «هارى» غطاء الطرد؛ فخرجت منه نسخة ملفوفة بحرص من مجلة «كويبلر»، فضها؛ ليرى وجهه يبتسم إليه من الصفحة الأولى، وبحروف حمراء كبيرة بطول الصفحة وجد الكلمات التالية:

أخيرًا هارى بوتر يتحدث:
حقيقة الذى لا يجب ذكر اسمه
وليلة عودته

قالت «لونا» التى سارت إلى مائدة «جريفندور» وأخذت تحاول المرور من بين «فريد» و«رون»: «موضوع رائع، أليس كذلك؟ لقد صدر بالأمس، وطلبت من أبى أن يرسل نسخة مجانية، وأعتقد أن هذه..»، وهى تشير إلى البوم المصطف أمام «هارى» أضافت: «.. رسائل من القراء».

قالت «هيرميون» بلهفة: «هذا ما حسبته سيحدث. هارى، هل تمانع إن...».

قال «هارى» شاعرًا ببعض الدهشة: «بالطبع لا.. تفضلى».

بدأ «رون» و«هيرميون» فى فض الرسائل.

قال «رون» ناظرًا إلى رسالة فى يده: «هذه من واحد (جرل) يراك مجنونًا».

قالت «هيرميون» بادية عليها الحسرة وهى تكوّم الرسالة التى فى يدها بضيق وتفض أخرى: «هذه من سيدة توصيك بالعلاج بتعاويذ الصدمات فى مستشفى سانت مونجو».

قال «هارى» ببطء وهو يمسح ببصره رسالة طويلة من ساحرة مقيمة فى «بايسلى»: «هذه تبدو جيدة.. ياه! تقول إنها تصدقنى».

قال «فريد» الذى انضم إلى حفل فض الرسائل بحماس: «هذه الرسالة مرتابة، يقول كاتبها إنك لا تبدو مجنونًا، لكنه لا يريد تصديق أن الذى - تعرفه قد عاد، ولا يعرف ماذا يصدق. اللعنة. خسارة الورق فى كل هذه الكتابة».

قالت «هيرميون» بحماس: «ها هى رسالة أخرى تصدقك يا هارى». وأخذت تقرأ: *بعد أن قرأت ما شاهدته وجدت لزامًا علىّ أن أستنتج أن «الدايلى بروفيت» قد عاملتك بإجحاف.. لكننى أود ألا أصدق فى عودة الذى - لا - يجب - ذكر - اسمه، وفى نفس الوقت أجدنى مجبرة على تصديق أن ما تقوله هو الحق*».

قال «رون» ملقيًا برسالة مكومة من فوق كتفه: «هذه تراك مدعيًا.. لكن هذه الراسلة تقول إنك قد جعلتها تؤمن بالفعل بعودته، وأنها تراك بطلاً حقيقيًا. أرفقت برسالتها صورة إليك.. باللجمال!».

سمعوا صوت بنت صغيرة يقول بعذوبة زائفة: «ماذا يجرى هنا؟».

رفع «هارى» عينه ويده ممتلئة بالرسائل، وجد الأستاذة «أمبريدج» واقفة خلف «فريد» و«لونا»، وعيناها الجاحظتان تمسحان الفوضى التى تركها البوم والرسائل التى تغرق المائدة أمام «هارى»، ومن خلفها رأى عددًا من الطلبة يراقبونه باهتمام.

سألته ببطء: «لماذا وصلتك كل هذه الرسائل يا سيد بوتر؟».

قال «فريد» بصوت مرتفع: «وهل صار تلقى البريد جريمة؟».

«احترس يا سيد ويسلى، وإلا سأعاقبك بالاحتجاز.. ما ردك يا سيد بوتر؟».

تردد «هارى»، لكنه لم يعرف كيف كان له أن يحافظ على سرية الأمر، فالمسألة مسألة وقت قبل أن تصلها نسخة من «الكويبلر».

قال «كتب الناس إليّ؛ لأن هناك حواراً نشر لي، عما حدث في شهر يونية الماضي».

لسبب ما، نظر إلى مائدة المدرسين وهو يتكلم. شعر بأن «دمبلدور» كان يراقبه قبل لحظة، ثم نظر بعيداً عندما بادله النظر وانشغل في نقاش مع الأستاذ «فليتويك».

كررت «أمبريدج» ما قاله: «حوار؟». وصوتها أحدُّ وأكثرُ ارتفاعاً من قبل. أضافت: «ماذا تعني؟».

قال «هاري»: «أعني أن هناك صحفية سألتني أسئلة وأجبتها. انظري...» وألقى إليها نسخة مجلة «كويبلر». أمسكت بها وحدقت في صورة الغلاف. تحول لون وجهها الشاحب إلى لون بنفسجي قبيح.

سألته وصوتها يرتجف: «متى قمت بهذا؟».

قال «هاري»: «في آخر زيارة إلى هوجزميد».

نظرت إليه وعلى وجهها أمارات الغضب الشديد، والمجلة تهتز بين أصابعها القصيرة البدينة.

قالت هامسة: «لن تذهب إلى هوجزميد ثانية يا سيد بوتر. كيف تجرؤ؟ كيف تقدر؟». أخذت نفسًا عميقًا قبل أن تكمل: «حاولت مرارًا أن أعلمك الكف عن الكذب. واضح أن الرسالة لم تصلك بعد. مخصوم خمسون نقطة من جريفندور وعليك عقاب احتجاز لمدة أسبوع آخر».

سارت مبتعدة والمجلة بين يديها، وعيون الكثير من الطلبة تتابعها.

ومع منتصف النهار، تم تعليق لافتات كبيرة في كل مكان بالمدرسة، ليس فقط على لوحات الإعلانات، بل أيضًا في الممرات والفصول.

بأمر من مفتشة «هوجوورتس» *العليا*

أي طالب يتم العثور على مجلة الكويبلر معه

يُفصل من المدرسة على الفور.

المذكور أعلاه يتفق وأحكام

الفرمان التعليمي رقم (٢٧)

توقيع: «دولوريس جان أمبريدج»، *المفتشة العليا*

لسبب ما، كلما رأت «هيرميون» واحدة من تلك اللافتات أشرق وجهها بالابتسام.

سألها «هاري»: «ما الذي يسعدك بالضبط؟».

قالت «هيرميون»: «ألا ترى يا هاري؟ إن كان لها أن تفعل شيئاً لضمان قراءة كل التلاميذ بالمدرسة للحوار فقد فعلته بالفعل بحظرها قراءة المجلة».

وبدا أن «هيرميون» على حق، مع نهاية اليوم، بالرغم من عدم رؤية «هاري» لأية نسخ من مجلة «كويبلر» في المدرسة، فإن الجميع أخذوا يذكرون مقتطفات من الحوار لبعضهم البعض. سمعهم «هاري» يتهامسون حول الموضوع وهم مصطفون أمام الفصول، يناقشون الأمر على الغداء، وبعد أن عادوا للفصول، كما قالت «هيرميون» إن دورة مياه البنات مليئة بالكلام عن الموضوع.

قالت مخاطبةً «هاري» وعيناها تلمعان: «ثم عرفن بوجودي، فكففن عن الكلام وحوصرت بالأسئلة. أتعرف يا هاري؟ أعتقد أنهم يصدقونك فعلاً، يبدو أنك قد أقنعتهم أخيراً».

في هذه الأثناء، كانت الأستاذة «أمبريدج» تذرع المدرسة جيئة وذهاباً، متوقفة عند تجمعات الطلبة بشكل عشوائي، ثم تطالبهم بفتح كتبهم وقلب جيوبهم. عرف «هاري» أنها تبحث عن نسخ من «الكويبلر». لكن التلاميذ كانوا يسبقونها بخطوات دائمًا. الصفحات التي تحمل حوار «هاري» قاموا بسحرها وحولوها إلى صفحات عادية من الكتب، حتى لا يقدر على قراءتها سواهم، وعندما ينظر إليها غيرهم يختفي ما بها من كلام. وسرعان ما بدا واضحاً أن جميع من بالمدرسة قد قرأوا الحوار بالفعل.

بالطبع، حظر على المدرسين ذكر أي شيء عن الحوار بمقتضى الفرمان التعليمي رقم (٢٦). لكنهم وجدوا أساليب أخرى يعبّرون بها عن مشاعرهم تجاه الموقف. كافأت الأستاذة «سبروت» «جريفندور» بعشرين نقطة عندما ناولها «هاري» إناء ري النباتات، وناوله الأستاذ «فليتويك» صندوقاً من حلوى الفئران وهو يبتسم له ويقول: «صه»، ويبتعد بسرعة. أما الأستاذة «تريلاوني»، فقد أخذت تبكي بهيستيرية شديدة في درس التنجيم، وأعلنت للفصل المفزوع ولـ«أمبريدج» أن «هاري» لن يموت ميتة بشعة، لكنه سيعيش حتى يصبح مسنًا، ويصبح وزيراً للسحر ويصير عنده اثنا عشر طفلاً.

لكن ما جعل «هاري» يحلق في سماوات السعادة هو ملاحقة «تشو» له وهو في طريقه إلى حصة التحويل اليوم التالي. وقبل أن يعرف ما يجري، وجد

يدها في يده وتفضها في أذنه وهي تقول: «أنا آسفة حقًا. نشر ذلك الحوار كان شجاعة منك. لقد جعلتني أبكي».

شعر بالأسف لسماع أنها بكت ثانية، لكن سرَّه أنهما رجعا للكلام مع بعضهما، بل والأكثر أنها قبّلته قبلة سريعة على وجنته وانطلقت مبتعدة. والأغرب أن مع وصوله إلى باب فصل التحويل حدث شيء آخر رائع. خرج «سيماس» عن الصف؛ ليواجهه.

غمغم وهو ينظر إلى ركبة «هاري» اليسرى: «أردت أن أقول إنني أصدقك. كما أرسلت نسخة من المجلة إلى أمي».

إن كان هناك المزيد مما يتمم سعادة «هاري»، فقد كان رد الفعل الذي وجده من «مالفوي» و«كراب» و«جويل». رآهم ورءوسهم متقاربة بعد الظهر في المكتبة. كان معهم ولد، قالت له «هيرميون» إن اسمه «ثيودور نوت». التفتوا إلى «هاري» وهو يفحص الرفوف؛ بحثًا عن كتاب يحتاجه للتدرب على تعويذة الاختفاء الجزئي. طرقع «جويل» أصابعه مهددًا وهمس «مالفوي» بشيء ما لـ«كراب». تيقن «هاري» من سبب تصرفهم هذا؛ فآباؤهم جميعًا كانوا ممن ذُكرت أسماؤهم ضمن آكلة الموت.

همست «هيرميون» بجذل وهما يغادران المكتبة: «وأفضل شيء أنهم لا يقدرون على معارضتك؛ لأنه لا يمكنهم الاعتراف بقراءة الحوار».

واتصل سعادته إلى الذروة، فقد أخبرته «لونا» على العشاء أنه لم يسبق بيع كل أعداد «الكويبلر» بهذه السرعة.

قالت لـ«هاري» وعيناها تجحظان من فرط الحماس: «أبي يصدر طبعة ثانية. إنه لا يصدق، ويقول كيف يهتم الناس بهذا الموضوع أكثر من السنوركاك».

أصبح «هاري» بطلاً في حجرة طلبة «جريفندور» تلك الليلة. وضع «فريد» و«جورج» - بكل جرأة - تعويذة تضخيم على غلاف مجلة «كويبلر»، وعلقوه على الحائط، وأخذ رأس «هاري» العملاق يحدق في الجميع، ومن حين لآخر يقول أشياء من قبيل: «مسئولو الوزارة مجانين» و«لتأكلي نفسك من الغيظ يا أمبريدج» بأصوات مدوية. لم تجد «هيرميون» هذا مسليًا، وقالت: إنه يمنع عنها التركيز، وانتهى بها الحال بالصعود إلى فراشها بامتعاض. أصبح على «هاري» الاعتراف بأن الملصق ليس ظريفًا بعد مرور ساعة أو اثنتين، خاصة

عندما بدأت تعويذة الكلام تتلاشى، وأصبح ما يقوله كلمات متفرقة، مثل: «لتأكلي» و«أمبريدج» على فترات أقرب وأقرب وبصوت أكثر ارتفاعًا. في الواقع، بدأ رأسه وندبته يؤلمانه. وأخيرًا وفي مواجهة طلبات التلاميذ الحضور بالحجرة أن يعيد حكْي الحوار للمرة (المليون)، فقد أعلن أنه سيصعد للنوم.

وجد جناح النوم خاليًا عندما وصله. أراح جبينه للحظة على زجاج النافذة البارد إلى جوار فراشه. شعر بالبرودة تسري إلى ألمه وتخفف منه، ثم خلع ملابسه وصعد إلى الفراش، متمنيًا أن يتحسن الألم تمامًا. كما شعر ببعض الغثيان. انقلب على جنبه، وأغمض عينيه، وسقط نائمًا على الفور.

كان واقفًا في حجرة مظلمة مغطاة بالستائر تضيئها شمعة واحدة. كانت يداه قابضتين على ظهر مقعد أمامه. وجد أصابع يده طويلة وبيضاء كأنها لم تر ضوء النهار منذ سنوات، وكأنها عناكب بيضاء كبيرة شاحبة قابعة فوق المقعد المخملي الأسود.

خلف المقعد وفي مساحة الضوء القادمة من الشمعة والمركزة على الأرض، رقد رجل مرتدٍ عباءة سوداء.

قال «هاري» بصوت مرتفع بارد ينبض بالغضب: «لقد تلقيت نصحًا خاطئًا كما يبدو».

قال الرجل الراكع على الأرض بصوت أجش: «مولاي. أرجو عفوك يا مولاي»، وظهر رأسه لامعًا في ضوء الشمعة. كان يرتجف.

قال «هاري» بذلك الصوت البارد القاسي: «أنا لا ألومك يا روكوود».

تخلّى عن المقعد وسار حوله، مقتربًا من الرجل الجاثي على الأرض، حتى وقف فوقه في الظلام، وشعر بأن رأسه على ارتفاع لم يصل إليه من قبل.

سأله «هاري»: «هل أنت واثق من الحقائق التي ذكرتها يا روكوود؟».

«أجل يا مولاي، أجل. فأنا كنت أعمل في المصلحة...».

«أخبرني أفيري أن بود سيقدر على أخذها».

«ما كان بود ليقدر على أخذها أبدًا يا مولاي. بود يعرف أنه لا يقدر. بلا شك.. ولهذا فقد قاوم بشدة لعنة إمبريوس التي ألقاها مالفوي».

همس «هاري»: «انهض يا روكوود».

كاد الرجل يسقط وسط مسارعته بتنفيذ الأمر. كان وجهه معلمًا بالندوب،

واهتزت الجروح عندما ألقى ضوء الشمعة عليها الظلال. ظل منحنيًا حتى عندما وقف، كأنه فى نصف ركعة، وألقى بنظرات خائفة على وجه «هارى».

قال «هارى»: «فعلت خيرًا بإخبارى هذا.. رائع.. لقد ضيعت شهورًا على سيناريوهات غير مثمرة كما يبدو.. لكن لا يهم.. سنبدأ ثانية. بداية من الآن اللورد فولدمورت يعلن لك عن امتنانه يا روكوود..».

شهق «روكوود» وصوته الأجش يملأه الارتياح: «مولاى.. أشكرك يا مولاى».

«سأحتاج لمساعدتك.. سأحتاج لكل المعلومات التى تقدر على منحها لى».

«بالطبع يا مولاى، بالطبع.. ما تريده مُجاب..».

«حسنًا.. يمكنك الخروج.. أرسل أفيرى لى».

تراجع «روكوود» بظهره منحنيًا حتى اختفى من الباب.

بعد أن أصبح وحده فى الحجرة، التفت «هارى» إلى الحائط. كانت هناك مرآة قديمة معلقة على الجدار وسط الظلال. أخذ انعكاسه عليها يكبر ويتضخم وسط الظلام.. وجه أكثر بياضًا من الجمجمة.. بعيون حمراء لامعة.

«لاااااااا..».

سمع صوتًا قريبًا يسأله: «ما الأمر؟».

أخذ «هارى» يتحرك بجنون، فاشتبك بأغطية الفراش وسقط من فوقه. وللحظات قليلة، لم يعرف أين هو. أيقن أنه سيرى الوجه الأبيض الشبيه بالجمجمة فوقه فى الظلام، ثم سمع صوت «رون» قريبًا منه.

«هلا كففت عن التصرف كالمجانين؛ حتى أخرجك من بين هذه الأغطية؟».

أبعد «رون» الأغطية عنه وأخذ «هارى» يحدق فيه على ضوء القمر، وهو راقد على ظهره، وندبته تؤلمه بشدة. بدا كأن «رون» يستعد للنوم، وذراعه مازالت خارج كُمّ عباءته.

تساءل «رون» وهو يجذب «هارى» بشدة؛ حتى يقف على قدميه: «هل وقع هجوم آخر؟ هل هو أبى؟ هل هو الثعبان؟».

شهق «هارى» وندبته كأنها فوق النيران وهو يقول: «لا، الجميع بخير.. لكن يبدو أن أفيرى ليس بخير.. وقع فى مشكلة.. لقد أعطاه معلومات خطأ.. فولدمورت غاضب بشدة..».

تأوه «هارى» وعاود السقوط مرتجفًا على فراشه وهو يحك ندبته.

«لكن روكوود سيساعده.. لقد عاد إلى صوابه ثانية..».

قال «رون» بصوت خائف: «عم تتحدث؟ هل تعنى أنك رأيت الذى ـ تعرفه؟».

قال «هارى» وهو يمد يديه فى الظلام أمام وجهه؛ ليتحقق من أنهما ليسا بأصابع طويلة بيضاء كبياض الموت: «كنت أنا الذى ـ تعرفه.. كان مع روكوود، وهو أحد آكلة الموت الذين هربوا من أزكابان، أتذكر؟ أخبره روكوود منذ لحظات أن بود لا يمكنه فعلها». «فعل ماذا؟».

«أخذ شيئًا ما.. قال إن بود كان ليعرف بأنه لا يقدر.. بود واقع تحت تأثير لعنة الإمبريوس.. أعتقد أنه قال إن والد مالفوى هو من سلطها عليه..».

قال «رون»: «بود تم سحره؛ ليأخذ شيئًا ما؟ لكن يا هارى، لا بد أن هذا هو..».

أنهى «هارى» عبارته بقوله: «السلاح.. أعرف».

انفتح باب الجناح، ودخل «دين» و«سيماس».. أعاد «هارى» قدميه إلى الفراش.. لم يرغب فى أن يبدو فى حال غريبة بعد أن كف «سيماس» عن الاعتقاد بأنه مجنون.

غمغم «رون» وهو يقرب رأسه من رأس «هارى» متظاهرًا بالشرب من إناء الماء الموضوع على مائدة فراش الأخير: «هل قلت إنك كنت الذى ـ تعرفه؟».

قال «هارى» بهدوء: «أجل».

تجرع «رون» جرعة كبيرة من الماء بغير ضرورة، ورأى «هارى» الماء ينساب على ذقنه وصدره.

قال «دين» و«سيماس» يتحركان بأصوات مزعجة وهما يخلعان عباءتيهما ويتحدثان: «هارى.. عليك بإخبار..».

قال «هارى» باقتضاب: «ليس علىّ إخبار أحد.. ما كنت لأرى ما رأيت إن كنت ناجحًا فى الأوكلومينسى.. من المفترض أننى أتعلم كيف أمنع عن نفسى هذه الرؤى.. هذا ما يريدونه».

بقوله «يريدونه» كان يشير إلى «دمبلدور».. عاد إلى فراشه وتقلب عليه معطيًا ظهره إلى «رون».. وبعد قليل، سمع حاشية فراش «رون» تصر وهو يتقلب على جانبه هو الآخر. بدأت ندبته تؤلمه.. عض على الوسادة بقوة؛ ليمنع نفسه من إصدار أى صوت.. فى مكان ما، كان يعرف أن «أفيرى» يتعرض للعقاب.

***

انتظر «هاري» و«رون» حتى إفطار صباح اليوم التالي، ثم أخبرا «هيرميون» بما جرى بالضبط. كانا يريدان ضمان أنه لن يسمعهم أحد، وهم واقفون في ركنهم المعتاد من الفناء البارد. أخبرها «هاري» بكل تفاصيل الحلم كما تذكره، وعندما انتهى، لم تقل شيئًا للحظات، لكن أخذت تنظر إلى «فريد» و«جورج»، اللذين وقفا بلا رءوس يبيعان قبعاتهما السحرية من أسفل عباءتيهما على الجانب الآخر من الفناء، نظرات نارية.

قالت بهدوء وهي تبعد بصرها عن «فريد» و«جورج» أخيرًا: «لهذا السبب قتلوه.. عندما حاول بود سرقة ذلك السلاح، حدث شيء غريب له. لابد أنها تعويذة دفاعية، أو ما شابه، على السلاح أو حوله؛ لتمنع الناس من لمسه. لهذا كان في مستشفى «سانت مونجو» غير قادر على الكلام. لكن، هل تتذكران ما قالته الحكيمة لنا؟ كان آخذًا في التعافي. ولم يقدروا على المخاطرة بتحسين حالته أكثر من حاله وقتها، أليس كذلك؟ أعني أن الصدمة التي لاقاها عندما لامس السلاح رفعت عنه لعنة «الإمبرياس». حالما يعود إليه صوته كان ليشرح ما فعله، أليس كذلك؟ كانوا سيعرفون أنه قد جاء لسرقة السلاح. بالطبع، كان من السهل على لوكياس مالفوي أن يصيبه باللعنة، فهو لا يغادر الوزارة».

قال «هاري»: «كان هناك يوم محاكمتي.. في ممر مصلحة الألغاز والغوامض. قال أبوك إنه على الأرجح يحاول التسلل للأسفل ومعرفة ما يجري بشأن محاكمتي.. لكن، ماذا لو...».

شهقت «هيرميون» والفزع مرتسم على وجهها: «ستورجيس».

قال «رون» مرتبكًا: «ماذا؟».

قالت «هيرميون» مبهورة الأنفاس: «ستورجيس بودمور.. ألقي القبض عليه؛ لمحاولته التسلل عبر الباب! لا بد أن لوكياس مالفوي قد استحوذ على عقله هو الآخر! أراهن أنه فعل هذا يوم وجودك بالوزارة يا هاري، ستورجيس معه عباءة مودي السحرية، أليس كذلك؟ إذن، ماذا لو كان واقفًا في حراسة الباب، مختفيًا تحت عباءة الإخفاء وسمعه مالفوي يتحرك.. أو خمن أن هناك شخصًا واقفًا. أو ألقى بلعنة الإمبرياس أملاً في أن تصيب الحارس الخفي؟ عندما أتيحت لستورجيس الفرصة حاول دخول المصلحة؛ لسرقة السلاح لصالح فولدمورت.. اهدأ يا رون.. لكن تم إلقاء القبض عليه وأرسلوه إلى أزكابان...».

أخذت تحدق في «هاري».

«والآن روكوود يخبر فولدمورت بكيفية الحصول على السلاح».

قال «هاري»: «لم أسمع كل الحوار، لكن هذا هو ما بدا عليه الحال. روكوود كان يعمل بالوزارة.. ربما أرسل فولدمورت روكوود هو الآخر».

أومأت «هيرميون» برأسها موافقة، وهي شاردة تفكر في الأمر، ثم قالت فجأة: «لكن ما كان لك أن ترى ما رأيت يا هاري».

قال «هاري» مندهشًا: «ماذا؟».

قالت «هيرميون» وقد أصبحت صارمة فجأة: «من المفترض أنك تتعلم كيف تغلق عقلك في مواجهة مثل هذه الأشياء».

قال «هاري»: «أعرف هذا.. لكن...».

قالت «هيرميون» بحزم: «أعتقد أن علينا محاولة نسيان ما رأيت، وعليك بذل مجهود أكبر في دروس الأوكلومينسي من الآن».

شعر «هاري» بغضب شديد حتى إنه لم يتكلم معها باقي اليوم، وهو سبب آخر جعله يومًا سيئًا. عندما لم يكن التلاميذ يتكلمون عن هروب أكلة الموت في الممرات، كانوا يضحكون من فشل «جريفندور» الذريع في مباراتهم مع «هافلباف»، ويغني أولاد «سليذرين»: «ويسلي يا ملك» بصوت مرتفع وبصورة متكررة جعلت «فيلش» يمنع غناءها في الممرات؛ بسبب مللِه منها.

لم تتحسن الأحوال طوال الأسبوع. نال «هاري» درجات ضعيفة في مادة الوصفات السحرية، ولم يتراجع خوفه من طرد «هاجريد»، ولم يتمكن من منع نفسه من تذكُّر الحلم الذي كان فيه «فولدمورت»، بالرغم من أنه لم يتحدث عنه مع «رون» و«هيرميون» ثانية. لم يرغب في تلقي المزيد من التوبيخ من «هيرميون». تمنى لو يقدر على الكلام مع «سيرياس» ثانية، لكن هذا غير ممكن؛ لذا حاول إبعاد رغبته هذه عن ذهنه.

لكن للأسف، لم يعد ذهنه مكانًا آمنًا كما كان.

«انهض يا بوتر».

بعد أسبوعين من حلمه بـ«روكوود»، وجد «هاري» نفسه ثانية راكعًا على الأرض في مكتب «سناب»، محاولاً أن يصفي ذهنه. لكنه أجبر - ثانية - على إخراج تيار من الذكريات، معظمها من الإهانات التي تلقاها من «ددلي» وعصابته وهم في المدرسة الابتدائية.

قال «سناب»: «آخر ذكرى.. ماذا كانت؟».

قال «هارى» وهو ينهض بوهنٍ واقفاً: «لا أعرف». وجد صعوبة فى فصل الذكريات عن بعضها فى خضم تدفق الصور والأصوات التى يستدعيها «سناب».. وأضاف: «هل تعنى تلك التى يحاول فيها ابن خالتى أن يجعلنى أقف فوق المرحاض؟».

قال «سناب» بنعومة: «لا، أعنى تلك التى بها رجل راكع فى منتصف حجرة مظلمة».

قال «هارى»: «إنها.. لا شىء».

اخترقت عينا «سناب» الداكنة عينى «هارى» وهو يتذكر ما قاله «سناب» عن الاتصال بالعين وأهميته فى فن «الليجليمينسى». فقد طرف بعينه وأشاح بوجهه عنه.

قال «سناب»: «كيف دخل هذا الرجل وهذه الحجرة إلى رأسك يا بوتر؟».

قال «هارى» وهو ينظر إلى كل الاتجاهات إلا حيث يقف «سناب»: «إنه.. إنه مجرد حلم». كرر «سناب» قوله: «حلم؟».

مرت فترة من الصمت أخذ «هارى» يحدق فيها بثبات فى ضفدع كبير ميت موضوع فى إناء زجاجى به سائل بنفسجى.

قال «سناب» بصوت منخفض مخيف: «هل تعرف سبب وجودنا هنا يا بوتر؟ هل تعرف سبب قضائى وقت المساء فى هذا العمل الممل؟».

قال «هارى» بجمود: «أجل».

«ذكرنى بسبب وجودنا هنا يا بوتر».

قال «هارى» وهو ينظر إلى ثعبان ماء ميت: «حتى أتعلم الأوكلومينسى».

«فعلاً يا بوتر. وبالرغم من عقلك البليد..». نظر إليه «هارى» بكراهية «.. إلا أننى حسبت أن بعد شهرين من الدروس ستتحسن. كم من الأحلام حلمت بها عن سيد الظلام؟». كذب عليه «هارى» قائلاً: «ذلك الحلم فقط».

قال «سناب» وعيناه الباكتتان البارزتان تضيقان قليلاً: «ربما تستمتع بتلك الرؤى والأحلام يا بوتر. هل تجعلك تشعر بأن لك خصوصية؟ أو أهمية؟».

قال «هارى» وفكه يتوتر وأصابعه تضيق حول مقبض عصاه السحرية: «لا».

قال «سناب» ببرود: «فعلاً يا بوتر؛ لأنك لست ذا خصوصية أو أهمية، وليس من شأنك معرفة ماذا يقول سيد الظلام لآكلة الموت».

رماه «هارى» بسؤال حاد: «لا، فهذه مهمتك.. أليس كذلك؟».

لم يقصد قول هذا، لكن الكلمة خرجت منه فى غضبه. تبادلا النظر لبرهة، و«هارى» مقتنع أنه قد تمادى كثيراً، لكنه وجد تعبيراً هادئاً غريباً، أشبه بالرضا، مرتسماً على وجه «سناب» وهو يجيبه.

قال وعيناه تلمعان: «أجل يا بوتر. هذه هى مهمتى. والآن، إن كنت جاهزاً، فهيا نبدأ ثانية». رفع عصاه وقال: «واحد.. اثنان.. ثلاثة.. ليجيليمينس».

مائة «ديمنتور» يقتربون من «هارى» عبر البحيرة وإلى أرض المدرسة. رفع وجهه؛ محاولاً التركيز. يقتربون.. يرى الثقوب السوداء من تحت عباءاتهم. لكن «سناب» واقف أمامه، وعيناه مركزتان على وجهه، وهو يغمغم.. وبطريقة ما، أصبح «سناب» أنقى وأوضح، وتراجعت «الديمنتورات» إلى الظلال أكثر وأكثر.

رفع «هارى» عصاه «بروتيجو».

ترنح «سناب»، وطارت عصاه السحرية إلى أعلى، بعيداً عن «هارى». وفجأة، أخذ عقل الأخير يموج بذكريات ليست له: رجل بأنف معقوف يصيح فى سيدة خائفة، بينما ثمة ولد صغير أسود الشعر يبكى فى الركن.. ولد مراهق جالس فى حجرة نوم مظلمة، مشيراً بعصاه السحرية إلى السقف، ويصوب نحو الذباب؛ ليسقط.. فتاة تضحك وولد هزيل يحاول امتطاء مقشة تتحرك من تحته..».

«كفى».

شعر «هارى» وكأن هناك من ضربه بشدة فى صدره، ترنح متراجعاً عدة خطوات، واصطدم ببعض الرفوف التى تغطى جدران مكتب «سناب» وسمع شيئاً ما يتكسر. وجد «سناب» يرتجف، وبياض شديد فى وجهه.

كانت عباءة «هارى» من الخلف رطبة. واحد من البرطمانات من خلفه سقط وانكسر عندما سقط عليها، وأخذت الأشياء الصغيرة الزلقة داخلها تدور داخل الوعاء والسائل يتسرب منه.

قال «سناب»: «ريبارو» فأغلق البرطمان نفسه، ثم قال: «جيد يا بوتر.. أحرزت بعض التقدم..». وهو يلهث قليلاً ويميل على المفكرة السحرية التى

خزن فيها بعض أفكاره قبل بدء الدرس، وكأنه يتحقق من وجودها. أضاف: «لا أتذكر أنني علمتك تعويذة الدرع. لكن لا شك في أنها كانت مؤثرة...».

لم يتكلم «هاري». شعر بأنه قد يقول ما تترتب عليه أشياء خطيرة. كان واثقا من أنه قد اخترق ذكريات «سناب»، وأنه قد رأى مشاهد من طفولته. شعر بغرابة التفكير في أن ذلك الولد الصغير الذي كان يبكي وهو يراقب أبويه يصيحان، هو نفسه الواقف أمامه بكل هذا الحقد في عينيه.

قال «سناب»: «هيا نحاول ثانية».

شعر «هاري» برهبة وخوف. سيدفع ثمن ما حدث، هو واثق من هذا. تحركا إلى وضعهما السابق والمكتب بينهما، وشعر «هاري» بأنه سيواجه صعوبة أكبر في تفريغ عقله هذه المرة.

قال «سناب» وهو يرفع عصاه ثانية: «مع العدد ثلاثة.. واحد.. اثنان..».

لم يجد «هاري» الوقت الكافي لمحاولة تفريغ ذهنه قبل أن يصيح «سناب»: «ليجيليمينس».

وجد نفسه يهرول عبر ممر متجه إلى مصلحة الألغاز والغوامض، وإلى جانب الجدران الصخرية المصمتة، والمشاعل، والباب الأسود يقترب ويقترب، وهو يتحرك بسرعة تجعله على ثقة من أنه يصطدم به. أصبح على مسافة بعض الأقدام وأمكنه رؤية شق من النور الأزرق الباهت.

انفتح الباب! مر من خلاله أخيرًا. بالداخل وجد حجرة مستديرة سوداء الجدران، والأرضية، ومضاءة بشموع زرقاء اللهب، والمزيد من الأبواب من حوله.. عليه التقدم. لكن أي باب يفتح؟

«بوتر».

فتح «هاري» عينيه. وجد نفسه راقدًا على ظهره من دون أن يتذكر رقاده. أخذ يلهث وكأنه جرى مسافة طويلة في ممر مصلحة الألغاز والغوامض، وركض عبر الباب الأسود؛ ليجد الحجرة المستديرة.

قال «سناب» وهو واقف فوقه والغيظ يتملكه: «فسر ما حدث».

قال «هاري» بصدق وهو يقف: «لا، لا أعرف ماذا جرى». كانت هناك كدمة على رأسه من الخلف؛ حيث اصطدم بالأرض، وشعر بالحمى تهاجمه. وهو يقول: «لم أرها من قبل. أعني كما أخبرتك أنني حلمت بالباب. لكن لم أفتحه من قبل أبـ...».

«أنت لا تعمل باجتهاد كافٍ».

لسبب ما، بدا «سناب» أكثر غضبًا من حالته قبل دقيقتين، عندما اخترق «هاري» ذكريات معلمه.

«أنت كسول وأخرق يا بوتر، ومما لا يثير العجب أن سيد الظلام...».

قاطعه «هاري» وقد ثار ثانية: «هلا أخبرتني بشيء يا سيدي؟ لماذا تطلق على فولدمورت اسم سيد الظلام؟ لم أسمع سوى آكلة الموت ينادونه بهذا الاسم».

كشر «سناب» عن أنيابه فيما يشبه الزمجرة.. وسمعوا سيدة تصرخ من مكان ما خارج الحجرة، رفع «سناب» رأسه بسرعة، وأخذ يحدق في السقف.

غمغم: «ماذا حدث؟».

سمع «هاري» صوت جلبة مكتومة من مكان بدا قريبًا من القاعة الأمامية. التفت «سناب» إليه مقطب الجبين.

«هل رأيت ما يريب في طريقك إلى أسفل يا بوتر؟».

هز «هاري» رأسه. في مكان ما فوقهم، أخذت السيدة تصرخ ثانية. هرع «سناب» إلى باب مكتبه، وعصاه ما زالت مشهرة مستعدة، وخرج. تردد «هاري» للحظة، ثم لحقه.

كانت الصرخات قادمة بالفعل من القاعة الأمامية، وأخذت ترتفع وترتفع و«هاري» يجري فوق الدرجات الحجرية التي تقود من الممرات السفلية إلى أعلى، وعندما وصل إلى القاعة الأمامية، وجدها ممتلئة عن آخرها بالطلبة الذين توافدوا من القاعة الكبرى، حيث كان العشاء مستمرًا؛ ليروا ماذا يجري، وآخرين واقفين فوق درجات السلم الرخامي. دفع «هاري» مَن أمامه من طلبة «سليذرين»؛ ليرى المشهد الذي تحلق الطلبة حوله فيما يشبه الحلقة، وبعضهم على وجهه الصدمة، والبعض الآخر خائف. كانت الأستاذة «مكجونجال» في مواجهة «هاري» بالضبط على الجانب الآخر من القاعة، بدا كأن ما تراقبه جعلها تشعر بالغثيان.

كانت الأستاذة «تريلاوني» واقفة في منتصف القاعة الأمامية وعصاها السحرية في يد وفي الأخرى زجاجة خمر فارغة، وعلى وجهها أعتى أمارات الجنون. كان شعرها أشعث غير مصفف، وعويناتها مائلة حتى إن عينيها بدتا أكبر من المعتاد، ووشاحاتها المتعددة تتساقط من عليها. كانت هناك حقيبتان كبيرتان على الأرض بجانبها، واحدة منهما مقلوبة، ومن الواضح

أن هناك من ألقى بها إليها من فوق السلم. أخذت الأستاذة «تريلاوني» تحدق بخوف في شيء لا يراه «هاري» لكنه واقف عند قاعدة السلم.

صرخت: «لا.. لا. لا يمكن أن هذا يحدث. لا يمكن.. أنا أرفض قبوله».

قال صوت بناتي مرتفع حاد أقرب للقسوة: «ألم ترى أن هذا مصيرك من البداية؟». وتحرك «هاري» إلى يمينه؛ ليرى أن نظر «تريلاوني» مستقرٌ على الأستاذة «أمبريدج» وهي تقول: «بالرغم من عدم قدرتك على التنبؤ بطقس الغد، كان عليك تخمين أن مصيرك هو الطرد، بعد أن فتشت عليك ولم أجد أي تحسن، وماذا تعتقدين يجعلك غير قابلة للطرد من هنا؟».

عوت الأستاذة «تريلاوني» والدموع تنهمر من عينيها على وجهها من خلف العدسات العملاقة للعوينات: «لا.. لا يمكنك.. لا يمكنك طردي.. أنـ.. أنا هنا منذ ستة عشر عاماً.. هوجورتس هي بـ... بيتي».

قالت الأستاذة «أمبريدج»: «كانت بيتك». وتقزز منها «هاري» عندما أحس بالسرور يطل من وجهها الضفدعي الطابع وهي تراقب الأستاذة «تريلاوني» تسقط على واحدة من حقيبتيها وهي تبكي غير قادرة على التحكم في نفسها.. أضافت: «حتى ساعة مضت، عندما أصدرت وزارة السحر قراراً بفصلك من عملك. والآن، من فضلك اخرجي من هذه القاعة. أنت تحرجيننا».

لكنها وقفت وأخذت تراقب بتعبير جذل متشفٍ الأستاذة «تريلاوني» وهي ترتجف وتتأوه، وتهز جسدها للأمام والخلف جالسة على حقيبتها تنتحب. سمع «هاري» انتحابة مكتومة إلى يساره ونظر إلى مصدرها. كانت «لافندر» و«بارفاتي» تبكيان بهدوء، وذراعاهما متشابكتان، ثم سمع خطوات. خرجت الأستاذة «مكجونجال» من بين صفوف المشاهدين واتجهت مباشرة إلى الأستاذة «تريلاوني» وأخذت تربت على ظهرها بحزم وهي تخرج منديلاً كبيراً من بين ثنيات عباءتها.

«خذي يا سيبيل.. اهدئي.. تمخطي في هذا.. الأمر ليس بالسوء الذي ترينه.. إنك لن تغادري هوجورتس..».

قالت «أمبريدج» بصوت رهيب وهي تقترب: «حقًا يا أستاذة مكجونجال؟ وسلطة من التي تـ..؟». قال صوت عميق: «سلطتي أنا».

انفتحت الأبواب الأمامية. ابتعد الطلبة الواقفون خلفها من طريق «دمبلدور». لم يكن «هاري» يعرف ماذا يفعل في الفناء، لكن مشهده وهو واقف في مدخل الباب والليل البهيم من خلفه هكذا أصابه بالرهبة والوجل. بعد أن ترك الأبواب مفتوحة اتجه إلى دائرة المتفرجين، وإلى الأستاذة «تريلاوني» الدامعة المرتجفة الجالسة على حقيبتها، و«مكجونجال» الواقفة إلى جوارها.

قالت «أمبريدج» بضحكة قصيرة شريرة: «سلطتك أنت يا أستاذ دمبلدور؟ يؤسفني القول أنك لا تفهم موقفك.. معي هنا..». وجذبت من بين ثنيات عباءتها رقعة من الورق وأضافت: «.. قرار موقع بالفصل من السيد وزير السحر. طبقًا لأحكام الفرمان التعليمي رقم (٢٣). فالمفتشة هوجورتس العليا السلطة في التفتيش، ووضع المعلمين تحت الاختبار وفصل المعلم الذي تراه.. أعني: الذي تشعر أن أداءه ليس كما تتطلب معايير الوزارة. وأنا قد قررت أن الأستاذة تريلاوني ليست على المستوى المطلوب؛ ولهذا فصلتها».

لدهشة «هاري» الشديدة لم تختفِ الابتسامة على وجه «دمبلدور». نظر إلى الأستاذة «تريلاوني» التي لم تكف عن البكاء بانفعال فوق حقيبتها وقال: «أنتِ محقة بالطبع يا أستاذة أمبريدج. كمفتشة عليا؛ لك كل الحق في فصل مدرسيني. لكن ليس لك الحق في إخراجهم من قلعتي على ما أخشى». استمر في الكلام بعد أن انحنى انحناءة احترام خفيفة: «هذه السلطة ممنوحة للناظر فقط. وأنا قد شئت أن تبقى الأستاذة تريلاوني وتقيم في هوجورتس».

مع قوله هذا، ضحكت الأستاذة «تريلاوني» ضحكة صغيرة ممتزجة بالفُواق. «لا.. لا.. هيء.. سأخرج يا.. هيء.. دمبلدور.. سأغادر هوجورتس و... هيء.. أبحث عن نصيبي في مكان آخر..».

قال «دمبلدور» بحدة: «لا. أنا من شاء أن تبقى يا سيبيل».

التفت إلى الأستاذة «مكجونجال».

«من فضلك يا أستاذة مكجونجال.. هلا تفضلت باصطحاب سيبيل إلى أعلى؟».

قالت «مكجونجال»: «بالطبع.. هيا معي يا سيبيل.. ستصعد..».

جاءت الأستاذة «سبروت» مهرولة من بين الجموع وجذبت الأستاذة «تريلاوني» من يدها الأخرى. معًا قادتاها إلى جوار «أمبريدج» وفوق السلم

الرخامي. هرول الأستاذ «فليتويك» من خلفهم، وقد رفع عصاه أمامه وقال بصوته الحاد: «لوكوموتور ترانكس». فارتفعتا حقيبتا الأستاذة «تريلاوني» في الهواء وصعدتا السلم خلفها، والأستاذ «فليتويك» في الخلف.

وقفت الأستاذة «أمبريدج» مصدومة تحدق في «دمبلدور»، الذي لم تختف ابتسامته اللطيفة.

قالت بهمسة طافت بالقاعة الأمامية: «وماذا ستفعل بها حينما أعين معلم تنجيم جديداً يحتاج لحجرتها؟».

قال «دمبلدور» بعذوبة: «هذه ليست مشكلة. لقد وجدت معلم التنجيم الجديد بالفعل، وهو يفضل الإقامة في الطابق الأرضي».

قالت «أمبريدج» بصوت حاد: «وجدت... وجدت ماذا؟! هلا ذكرتك بالقرار التعليمي رقم (٢٢) يا دمبلدور، القائل بأن...».

قال «دمبلدور»: «للوزارة الحق في تعيين المرشحين، إن وجدهم الناظر مناسبين، ويسعدني القول بأنني قد وجدت مرشحاً ممتازاً. هلا قدمته إليك؟».

التفت لمواجهة الأبواب المفتوحة، التي تسلل نسيم الليل البارد عبرها. سمع «هاري» وقع حوافر، سمع غمغمة حوله في القاعة، وهؤلاء الأقرب إلى الباب ابتعدوا عنه بسرعة، وبعضهم تعثر وهو يبتعد مفسحاً للقادم الجديد.

عبر الضباب الليلي، رأى «هاري» وجهاً رآه مرة من قبل في ليلة مظلمة مخيفة في الغابة المحرمة: شعراً أشقر فاتحاً وعيوناً مذهلة الزرقة، والرأس والجذع لإنسان وباقي جسده جسد حصان.

قال «دمبلدور» بسعادة مخاطباً «أمبريدج» المصعوقة: «هذا فايرنز. أراه مناسباً للوظيفة».

٢٧ القنطور والواشية

«أراهن أنك ندمت على ترك مادة التنجيم، أليس كذلك يا هيرميون؟». كان هذا سؤال «بارفاتي» الذي ألقته بسخرية.

كان وقت الإفطار، بعد يومين من طرد الأستاذة «تريلاوني»، وأخذت «بارفاتي» تضبط رموش عينيها بعصاها السحرية وهي تنظر لانعكاس وجهها على ظهر الملعقة. وأول حصة مع «فايرنز» لهم كانت ستبدأ بعد الإفطار ذلك الصباح.

قالت «هيرميون» بلا اكتراث وهي تقرأ «الدايلي بروفيت»: «لا، فأنا لا أحب الجياد».

قالت «لافندر»، وقد بدت مصدومة في كلامها: «إنه ليس جواداً، بل قنطوراً».

تنهدت «بارفاتي» قائلة: «قنطور وسيم...».

قالت «هيرميون» ببرود: «على أية حال فهو بأربع أقدام. حسبت أنكما حزنتما على رحيل تريلاوني».

قالت «لافندر»: «فعلاً. ذهبنا إلى مكتبها؛ لنراها، وجلبنا لها بعض النرجس الأصفر، ليست مثل زهرات النرجس العاوية التي تراها عند سبروت، بل نرجس طبيعي جميل». سألها «هاري»: «وكيف حالها؟».

قالت «لافندر» بتعاطف: «ليس بخير، يا لها من مسكينة؛ إنها تبكي وتقول إنها تود مغادرة القلعة على البقاء حيث تبقى أمبريدج، ولا ألومها، فأمبريدج تصرفت معها بكل وضاعة، أليس كذلك؟».

قالت «هيرميون» بغموض: «أشعر بأن أمبريدج ستبدأ في التصرف بوضاعة من الآن فصاعداً».

قال «رون» وهو مشغول بطبق كبير من البيض واللحم: «مستحيل، لا يمكن أن تكون أوضع من حالها الآن».

قالت «هيرميون» وهي تغلق الجريدة: «تذكر كلامي، ستحاول الانتقام من دمبلدور؛ لأنه قام بتعيين معلم جديد من دون استشارتها. خاصة أنه نصف آدمي. رأيت النظرة التي ارتسمت على وجهها عندما رأت فايرنز».

بعد الإفطار، غادرت «هيرميون» متجهة إلى حصة الرياضيات السحرية،

بينما تبع «هاري» و«رون» «بارفاتي» و«لافندر» إلى القاعة الأمامية متجهين إلى حصة التنجيم.

سأل «رون» متعجبًا و«بارفاتي» تمر إلى جوار السلم الرخامي: «ألن نصعد إلى البرج الشمالي؟». نظرت إليه «بارفاتي» باستخفاف من فوق كتفها:

«وكيف تتخيل أن يتمكن فايرنز من صعود السلم؟ سنأخذ الحصة في الفصل رقم (١١)، وقد أعلن عن هذا على لوحة الإعلانات بالأمس».

كان الفصل رقم (١١) في الطابق الأرضي إلى جوار الممر المفضي إلى القاعة الأمامية من الجانب الآخر للقاعة الكبرى. كان «هاري» يعرف أن الفصول الواقعة في تلك المنطقة لا يشغلها أحد إلا فيما ندر؛ ولهذا كانت مهملة. عندما دخل خلف «رون» ووجد نفسه وسط مساحة مكشوفة من الغابة أصابه الذهول.

«ما هذا؟!».

كانت أرضية الفصل مكسوة بالطحالب الربيعية والأشجار، وفروع الأشجار العريضة تضرب السقف والنوافذ، حتى أصبح الضوء الذي يغمر الحجرة أخضر اللون. الطلبة الذين وصلوا بالفعل جلسوا على الأرض الطينية مستندين إلى جذوع الأشجار أو الأحجار، وأذرعهم معقودة فوق ركبهم أو حول صدورهم، وجميعهم يبدو عليهم التوتر. وفي منتصف الغابة حيث لا توجد أشجار، وقف «فايرنز».

قال وهو يمد يدًا لـ«هاري» وهو يدخل: «هاري بوتر».

قال «هاري» وهو يصافح «القنطور» الذي فحصه بعينيه الزرقاوين الصافيتين لكن من دون أن يبتسم: «أ.. أهلاً.. أ.. يسعدني رؤيتك».

قال «القنطور» وهو يميل رأسه الأشقر: «وأنا أيضًا. مكتوب لنا أن نتقابل ثانية».

لاحظ «هاري» أثر سحجة بسبب ضربة حافر على صدر «فايرنز». وهو يدور على عقبيه ليجلس مع باقي الفصل على الأرض، رآهم ينظرون إليه بإعجاب ورهبة، والسبب الواضح هو سابق معرفته بـ«فايرنز» ومعرفة الأخير به، وهو ما بدا لهم أمرًا مدهشًا يستحق الإعجاب.

عندما أوصد الباب وجلس آخر الطلاب الواقفين على جذع شجرة ميتة إلى جانب سلة القمامة، أومأ «فايرنز» للحضور.

قال «فايرنز» بعد أن جلس الجميع: «تفضّل الأستاذ «دمبلدور» ورتب هذا الفصل من أجلنا؛ ليتشابه مع بيئتي الطبيعية. كنت أفضّل التدريس في الغابة المحرمة، التي - وحتى يوم الإثنين - كانت بيتي.. لكن هذا لم يعد ممكنًا».

قالت «بارفاتي» مبهورة الأنفاس وهي ترفع يدها: «مـ.. من فضلك يا.. أ.. سيدي.. لِمَ لم يعد هذا ممكنًا؟ نحن نخرج إليها مع هاجريد، ولا نخاف».

قال «فايرنز»: «المسألة ليست متعلقة بالشجاعة والخوف، لكن بموقعي. لا يمكنني العودة إلى الغابة. لقد نفاني قطيعي منها».

قالت «لافندر» بصوت مرتبك: «قطيعك؟». فعرف «هاري» أنها تقارنه بالأبقار. أضافت: «ماذا.. أه».

لاحت على وجهها أمارات الفهم وقالت متحولة: «وهل هناك المزيد؟».

سأله «دين» بلهفة: «وهل يروضكم هاجريد؟ مثل الثيسترال؟».

التفت «فايرنز» ببطء شديد ليواجه «دين»، الذي أدرك أن ما قاله مهينٌ جدًا. أنهى كلامه بصوت مضطرب: «لم.. لم أقصد. أعتذر».

قال «فايرنز» بهدوء: «القناطير ليسوا خدمًا أو حيوانات أليفة للبشر». مرت برهة من الصمت، ثم رفعت «بارفاتي» يدها ثانية:

«من فضلك يا سيدي.. لماذا نفاك القناطير؟».

قال «فايرنز»: «لأنني وافقت على العمل مع «دمبلدور». فهم يرون هذا خيانة لجنسنا».

تذكر «هاري» كيف صاح «القنطور» «بان» منذ سنوات في «فايرنز» عندما سمح لـ«هاري» بركوبه؛ حتى يصل إلى بر الأمان ويخرج من الغابة، وقال عنه «بغل». تساءل إن كان «بان» هو من ضرب «فايرنز» في صدره؟

قال «فايرنز»: «هيَّا نبدأ». هز ذيله الطويل الناعم، ورفع يده نحو نبتة خضراء فوقه، ثم خفضها ببطء. وهو يفعل هذا، أعتم الضوء في الحجرة؛ حتى بدا كأنهم جلوس في الغابة وقت الشفق، وظهرت النجوم في السقف. صدر منهم آهات الدهشة والإعجاب، وقال «رون» بصوت مسموع: «اللعنة».

قال «فايرنز» بصوته الهادئ: «ارقدوا على الأرض، وراقبوا السماء؛ فعليها مكتوبة - لمن يرى - أقدارنا».

رقد «هاري» على ظهره وحدّق في السقف. رأى نجم الشفق الأحمر يغمز له من فوقه.

قال صوت «فايرنز» الهادئ: «أعرف أنكم عرفتم أسماء الكواكب والأقمار في مادة علم الفلك، وأنكم قد رسمتم خرائط بالنجوم وحركتها في السماء. القناطير تقوم بحل هذه الألغاز منذ قرون خلت. وما اكتشفناه علمنا أننا يمكننا إلقاء نظرة على المستقبل بالنظر إلى السماء من فوقنا...».

قالت «بارفاتي» بحماس وهي ترفع يدها أمامها وهي راقدة على ظهرها: «علمتنا الأستاذة تريلاوني بعضًا من علم التنجيم الفلكي: كوكب المريخ يتسبب في حوادث وحرائق وأشياء من هذا القبيل عندما يكون على زاوية مع زحل، مثل الآن...». رسمت بيدها زاوية قائمة في الهواء وقالت: «... هذا يعني أن الناس بحاجة إلى الاحتراس عند التعامل مع الأشياء الساخنة...».

قال «فايرنز» بهدوء: «هذا... من خرافات البشر».

سقطت يد «بارفاتي» إلى جانبها.

قال «فايرنز» وحوافره تضرب الأرض المكسوة بالطحالب: «إصابات تافهة، وحوادث بشرية صغيرة قليلة الشأن... هذا أشبه بمراقبة النمل وحده من بين عناصر الكون الشاسع».

قالت «بارفاتي» بصوت مجروح متألم: «الأستاذة تريلاوني...».

قال «فايرنز» ببساطة: «... من البشر؛ ولهذا فهي تقف عند حدود نوعكم، وتقتصر على الفهم البشري للأشياء».

أدار «هاري» رأسه ببطء نحو «بارفاتي»، التي بدت متضررة بشدة مما قاله، وكذا الكثير من المحيطين بها.

أكمل «فايرنز» قائلاً: «ربما يكون عند سيبيل تريلاوني البصيرة، لا أعلم». وسمع «هاري» ذيله وهو يهتز أثناء حركته ذهابًا وإيابًا أمامهم، ثم أضاف: «لكنها تضيع وقتها على ما يسميه البشر قراءة الطالع. لكنني هنا؛ لأشرح لكم حكمة القناطير، التي تعتبر غير شخصية وغير متحيزة لشيء. نحن نراقب السماوات؛ بحثًا عن تغيرات حادة في الشر الذي يملأ العالم، أو بحثًا عن بعض العلامات أو الإشارات. ربما يأخذ الأمر منا عشرة أعوام حتى نتأكد مما نراه».

أشار «فايرنز» إلى النجم الأحمر فوق رأس «هاري» مباشرة قائلاً: «على مر العقد الماضي من الزمان، رأينا إشارات على أن جنس السحرة يمرون بفترة هدنة بين حربين. المريخ جلاب الحروب يلمع فوقنا، وهو ما يؤكد أن الحرب

ستبدأ قريبًا ثانية. لكن، متى سيحدث هذا؟ تحاول القناطير معرفة ذلك بالتنجيم عن طريق حرق بعض الأعشاب وأوراق الأشجار، ومراقبة ألسنة اللهب...».

كان هذا أغرب درس يحضره «هاري». أحرقوا أوراق الأشجار والأعشاب في الفصل، وأمرهم «فايرنز» بأن يبحثوا بعيونهم عن أشكال ورموز معينة بين ألسنة اللهب، لكن بدا أنه على يقين من أن أحدهم لن يقدر على رؤية العلامات التي وصفها، وأخبرهم أن البشر ليسوا ماهرين في هذا النوع من السحر، وأن الأمر استغرق قرونًا من «القناطير» حتى يصبحوا مهرة فيه... وفي النهاية، قال لهم: إنه من الغباء الاعتقاد بكل هذه الأشياء؛ لأنه حتى «القناطير» يخطئون تفسيرها... لم يكن كأي معلم بشري عرفه «هاري»، لم تكن أولوياته هي تعليمهم ما يعرفه، لكن أن يثبت في عقولهم أنه لا شيء - ولا حتى معرفة «القناطير» - مؤكد.

قال «رون» بصوت خفيض وهم يطفئون النيران: «إنه ليس محددًا في شيء مما قاله... أليس كذلك؟ أعني أن معرفتنا بالمزيد من التفاصيل عن تلك الحرب التي سنخوضها قد تعيننا كثيرًا... أليس كذلك؟».

رن الجرس إلى جوار باب الفصل، فأجفل الجميع. نسي «هاري» تمامًا أنهم ما زالوا داخل القلعة، وحسب أنهم بالفعل في الغابة. خرج التلاميذ من الفصل تباعًا، وعلى وجوههم أمارات التعجب.

كان «هاري» و«رون» على وشك الخروج عندما نادى «فايرنز» قائلاً: «هاري بوتر، أريدك في كلمة من فضلك...».

دار «هاري» على عقبيه... تقدم منه «القنطور» قليلاً. تردد «رون» واختلط عليه الأمر.

قال «فايرنز» له: «يمكنك البقاء... لكن، أغلق الباب من فضلك».

هرع «رون» لتنفيذ الأمر.

قال «القنطور»: «هاري بوتر أنت صديق لهاجريد، أليس كذلك؟».

قال «هاري»: «بلى».

«إذن، أبلغه بتحذير مني. محاولته لن تجدي. عليه التخلي عنها».

ردد «هاري» ما قاله: «محاولته لن تجدي؟».

قال «فايرنز» وهو يومئ برأسه: «وعليه التخلي عنها. كنت لأحذر هاجريد

بنفسى، لكن لم تلبى.. من غير الحكمة أن أقترب من الغابة الآن. هاجريد واقع فيما يكفى من المشكلات، بجانب احتمال الدخول فى حرب مع القناطير».

قال «هارى» بتوتر: «لكن، ماذا يحاول هاجريد فعله؟».

تفحص «فايرنز» «هارى» بعينيه.

قال أخيرًا: «هاجريد أسدى لى خدمة كبيرة مؤخرًا، ومنذ فترة وأنا أحترمه؛ لحرصه على الاهتمام بالمخلوقات الحية. لن أخون سره. لكن عليك أن تعيده إلى صوابه. المحاولة لن تجدى. أخبره بهذا يا هارى بوتر، وأتمنى لك يومًا سعيدًا».

* * *

تبخرت السعادة التى أحسها «هارى» فى أعقاب نشر حواره فى «الكويبلر» منذ فترة؛ مع تسليم شهر مارس الفاتر راياته إلى إبريل تقلبل الهواء، بدا وكأن حياته قد تحولت إلى سلسلة طويلة من التوترات والمشكلات.

استمرت «أمبريدج» فى حضور كل حصص مادة رعاية الكائنات السحرية، وأصبح من الصعب عليه نقل تحذير «فايرنز» إلى «هاجريد». أخيرًا، وذات يوم، تمكن من التظاهر بأنه قد فقد نسخته من كتاب (الوحوش المدهشة وأماكن تواجدها)، وعاد إلى الفصل بعد انتهاء الحصة، عندما تلا على مسامع «هاجريد» كلمات «فايرنز» حدق فيه للحظة من بين عينيه الضيقتين، وقد أصابه الذهول. ثم أخذ يتماسك.

قال بصوته الأجش: «فايرنز هذا لطيف.. لكنه لا يعرف عما يتكلم، أنا أتقدم فى محاولتى بنجاح».

سأله «هارى» بجدية: «هاجريد.. ماذا تنوى أن تفعل؟ إن عليك توخى الحذر، أمبريدج فصلت تريلاونى بالفعل، وإن سألتنى رأيى سأقول لك إنها لن تتوقف عندها. إن فعلت شيئًا لا يجب عليك فعله؛ فسوف تـ...».

قال «هاجريد»: «لا شىء أهم عندى من الحفاظ على الوظيفة».. وأخذت يداه تهتزان قليلاً وهو يتكلم، فسقط من بين يديه إناء كبير ملىء بالـ«نازل». فأضاف: «لا تقلق بشأنى يا هارى، هيا اذهب، أنت ولد طيب».

لم يجد «هارى» أمامه خيارًا سوى أن يترك «هاجريد»؛ ليجمع ما وقع على الأرض، لكنه شعر بالضيق وهو عائد إلى القلعة.

وكما يداوم المعلمون و«هيرميون» على تذكيرهم، فقد اقتربت امتحانات

الـ(أوه. دبليو. إل.). أصبح جميع طلبة الصف الخامس يعانون من ضغط المذاكرة والواجب بدرجات متفاوتة. لكن «هانا آبوت» صارت أول من يتلقى وصفة التهدئة من مدام «بومفرى» بعد أن انفجرت دموعها فى حصة علم الأعشاب وأخذت تبكى وتقول: إن الامتحانات تقترب وإنها تريد هجر المدرسة.

لولا اجتماعات الـ(دى. أيه) لعاش «هارى» فى تعاسة مطبقة. كان أحيانًا يشعر بالفخر وهو يعيش الساعات التى يقضيها فى حجرة الاحتياجات، يعمل بجد وباستمتاع فى نفس الوقت؛ لأنه يرى تقدم رفاقه من أعضاء الـ(دى. أيه). بالطبع، كان «هارى» يتساءل أحيانًا: كيف ستتصرف «أمبريدج» عندما تجد كل أعضاء الـ(دى. أيه) يتلقون أعلى الدرجات فى اختبارات مادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود فى شهادة الـ(أوه. دبليو. إل.).

بدأوا أخيرًا فى عمل تعويذة «الپتروناس»، التى كان الجميع حريصين على تعلمها. وإن داوم «هارى» على تذكيرهم بأن إخراج «الپتروناس» وسط حجرة مضيئة أسهل بكثير من إخراجها وقت الخطر أو مواجهة شىء مثل «الديمنتور».

قالت «تشو» مبتسمة وهى تراقب «الپتروناس» التى أخرجتها على شكل بجعة فضية تطوف بحجرة الاحتياجات أثناء آخر اجتماع لهم قبل عيد الفصح: «لا تفسد علينا فرحتنا. إنها جميلة للغاية».

قال «هارى» بصبر: «ليس المطلوب أن تكون جميلة، بل أن تحميك. ما نحتاجه للتمرين هو (عو) أو ما شابه، فأنا قد تعلمت إخراج الپتروناس الخاصة بى، والعو يتخذ شكل الديمنتور..».

قالت «لافندر» التى خرجت أبخرة واهنة من الفضة من طرف عصاها السحرية: «لكن الأمر سيكون مخيفًا، وأنا مازلت... مازلت لا أقدر على القيام.. بالتعويذة» أضافت الكلمة الأخيرة بغضب.

واجه «نيفيل» مشكلة فى هذه التعويذة. أخذ وجهه ينقلب من مجهود التركيز، لكن لم يخرج من عصاه سوى أبخرة رفيعة من الدخان الفضى.

ذكره «هارى» قائلاً: «عليك التفكير فى شىء سعيد».

قال «نيفيل» بتعاسة وهو يحاول قدر استطاعته أداء التعويذة حتى أن وجهه المستدير صار لامعًا وعليه عرق غزير: «أنا أحاول».

صاح «سيماس»، الذى جاء لأول مرة إلى اجتماعات الـ(دى. أيه) بناء على

طلب «دين» منه: «هاري. أعتقد أنني أذيتها. انظر، لقد اختفى.. لكنه كان شيئاً مشعراً يا هاري».

أخذ «بتروناس» «هيرميون»، الذي اتخذ شكل ثعلب الماء، يتواثب حولها. قالت وهي تنظر إليه بحب: «جميلة هذه الأشياء، أليس كذلك؟».

انفتح باب حجرة الاحتياجات ثم أغلق. نظر «هاري» نحوه؛ ليرى من القادم، لكن لم يبد أن هناك أحداً خلفه. مرت لحظات قبل إدراكه أن من خلف الباب مباشرة قد صمتوا. ثم شعر بشيء يمسك بعباءته بالقرب من ركبته، فنظر لأسفل ورأى لدهشته «دوبي» القزم المنزلي وهو ينظر إليه من تحت قبعاته الثماني.

قال: «أهلاً يا دوبي. ماذا.. ما الأمر؟».

رأى عيني القزم - الذي أخذ يرتجف - واسعتين من الفزع. صمت أعضاء الجماعة الأقرب إلى «هاري». أخذ جميع من بالحجرة يراقبون «دوبي». تلاشى كل «بتروناس». تمكن القليلون من الأعضاء من إخراجه متحولاً إلى دخان فضي، تاركاً الحجرة أكثر إظلاماً مما سبق.

قال القزم المرتجف من رأسه حتى أخمص قدميه: «سيدي هاري بوتر.. سيدي هاري بوتر.. دوبي جاء يحذرك.. لكن الأقزام المنزلية حذرتني من إخبارك..».

اندفع نحو الحائط ليصدم رأسه بها. تقدم «هاري»، الذي كان يعرف عاداته الغريبة الخاصة بالعقاب الذاتي؛ محاولاً إمساكه. لكن «دوبي» ارتد بعد أن صدم الحائط. فقد ضربت القبعات الثماني الجدار. فلم يتأخر صدور عن «هيرميون» وبعض الفتيات الأخريات صرخات الخوف والتعاطف.

سأله «هاري» وهو يمسك بيده الصغيرة ويحمله بعيداً عن أي شيء يمكن أن يؤذي رأسه: «ماذا جرى يا دوبي؟».

«هاري بوتر.. إنها.. إنها..».

ضرب «دوبي» أنفه بيده الحرة بشدة، فأمسك «هاري» بها هي الأخرى قائلاً: «عمن تتحدث يا دوبي؟».

لكنه يعرف، لا يوجد سوى إنسانة واحدة يمكنها التسبب في كل هذا الخوف لـ «دوبي».. نظر إليه القزم بعيون ضيقة وفم مغلق لا يسعى الكلام.

سأله «هاري» برعب: «أمبريدج؟».

أومأ «دوبي» برأسه موافقاً. ثم حاول أن يضرب رأسه ثانية على ركبتي «هاري». فأمسك به الأخير بعيداً عنه على امتداد ذراعيه.

«ما شأنها؟ دوبي.. هل عرفت بأمر اجتماعنا وبجماعة دي. أيه؟».

قرأ الإجابة في وجه القزم المفزوع، الذي أوثقه «هاري» بيده. حاول القزم المقاومة فسقط على الأرض. سأله «هاري» بهدوء: «هل هي قادمة؟».

أطلق «دوبي» عواء وأخذ يضرب قدميه الحافيتين على الأرض.

«أجل يا هاري بوتر. أجل».

استقام «هاري» في وقفته ونظر إلى المتحلقين من حوله، الذين يحدقون في القزم المصدوم. صاح فيهم: «ماذا تنتظرون؟ اجروا».

هرعوا جميعاً إلى الباب في وقت واحد، فتكوّن تجمع منهم أمام المدخل. ثم أخذوا يخرجون بسرعة. سمع «هاري» وقع أقدامهم وهم يجرون عبر الممرات وتمنى أن يتحلوا بالعقل وألا يصدروا كل هذه الجلبة وهم يجرون إلى أجنحتهم. كانت الساعة التاسعة إلا عشر دقائق، وإن اختبأوا في المكتبة أو برج البوم القريبين من هنا..

صاحت «هيرميون» من وسط تجمهر التلاميذ الذين يحاولون الخروج: «هيّا يا هاري».

أمسك بـ«دوبي»، الذي أخذ يحاول جرح نفسه بجروح خطيرة، وجرى والقزم على يديه؛ لينضم للذين يحاولون الخروج.

قال «هاري»: «دوبي.. هذا أمر. عد إلى المطبخ واجلس مع باقي الأقزام، وإن سألتك إن كنت قد حذرتني أم لا، فاكذب عليها، وقل لها: لا. كما أنني آمرك بألا تؤذي نفسك». أضاف الجملة الأخيرة وهو يتخلى عن القزم عند المخرج ويغلق الباب من خلفه.

قال «دوبي» وهو يخرج: «شكراً لك يا هاري بوتر». نظر «هاري» ذات اليمين وذات اليسار، وجد الآخرين يتحركون بسرعة حتى إنه لم يلمح سوى أطياف أعقابهم وهي تختفي من جانبي الممر قبل أن يختفوا تماماً.. بدأ في الجري إلى اليمين؛ وجد حماماً للأولاد أمامه، يمكنه التظاهر بأنه كان به طوال الوقت إن وصل إليه.

«آآآه».

شعر بشيء ما يقبض على ركبتيه، فسقط لينسحب على الأرض ست أقدام قبل أن يتوقف. سمع شخصًا خلفه يضحك. انقلب على ظهره ورأى «مالفوي» واقفًا خلف زهرية كبيرة على شكل تنين.

قال الأخير: «تعويذة تعثر يا بوتر. يا أستاذة.. أستاذة. أمسكت بأحدهم».

جاءت «أمبريدج» تسعى من عند الطرف البعيد، مبهورة الأنفاس لكن على وجهها ابتسامتها السعيدة.

قالت متهللة عندما رأت «هاري» على الأرض: «ممتاز يا دراكو، ممتاز يا بني، يا سلام.. خمسون نقطة لسليذرين! سأتسلمه منك.. قف يا بوتر».

هب «هاري» واقفًا، وحدجهما بنظره. لم ير «أمبريدج» بهذه السعادة من قبل قط. أمسكت بذراعه بقوة والتفتت، وهي تبتسم ابتسامة واسعة لـ«مالفوي».

قالت: «قم بلفة أخرى، ولَتَرَ إن أمكنك إمساك الآخرين يا دراكو. أخبر الآخرين أن يبحثوا عنهم في المكتبة.. أي شخص يلهث.. ودورات المياه، يمكن للآنسة باركنسون تفتيش دورة مياه البنات.. هيا اذهب، وأنت» أضافت الكلمة الأخيرة بصوتها العذب الخطير، و«مالفوي» يبتعد.. «وأنت تعال معي إلى مكتب الناظر يا بوتر».

وصلا إلى تمثال الجرجوانة الصخرية خلال دقائق. تساءل «هاري»: كم من الآخرين أمسكوهم؟ فكر في «رون»، الذي ستخنقه السيدة «ويسلي» بشدة، وكيف ستشعر «هيرميون» إن طردوها قبل أن تحصل على شهادة الـ(أو. دبليو. إل.) وكان هذا اجتماع «سيماس» الأول.. و«نيفيل» الذي كان يتحسن.

قالت «أمبريدج» كأنها تغني: «نحلة طنانة». فقفزت الجرجوانة الحجرية إلى الجانب لتكشف عن الحائط الذي ينقسم من خلفها، فصعدا السلالم المتحركة. ووصلا إلى باب مصقول لامع، لكن «أمبريدج» لم تطرق، دلفت إلى الداخل على الفور وهي تمسك بشدة يد «هاري».

كان المكتب ممتلئًا. كان «دمبلدور» جالسًا إلى مكتبه، وعلى وجهه تعبير هادئ، وأطراف أصابعه الطويلة متشابكة. وقفت الأستاذة «مكجونجال» بجمود أمامه، ووجهها عليه أقصى علامات التوتر. «كورنلياس فادج» وزير السحر أخذ يتأرجح للأمام والخلف على مقعده وأطراف أصابع قدميه إلى جوار نيران المدفأة، ومن الجلي أن الموقف قد سرّه كثيرًا.. كما رأى «هاري»

«كنجسلي شاكلبولت»، ومعه ساحر قصير الشعر لم يتعرف عليه، وقفا جنبًا إلى جنب إلى جانبي الباب كحارسين، و«بيرسي ويسلي» وقف يتحرك في مكانه بحماس إلى جوار الحائط، وريشة كتابة ورقعة ورق ثقيلة في يده، ومن الواضح أنه متأهب لكتابة بعض الملاحظات.

لم تكن لوحات النظار والناظرات هادئة ونائمة تلك الليلة. جميعهم كانوا متيقظين ومنتبهين، يراقبون ما يجري تحتهم بحرص. مع دخول «هاري»، أخذ بعضهم يتهامسون في أذن من يجاورهم.

حرر «هاري» نفسه من قبضة يد «أمبريدج» والباب يغلق من خلفهما. أخذ «كورنلياس فادج» يحدق فيه برضاء وتشفٍ.

قال: «هاه.. رائع.. رائع.. رائع».

رد عليه «هاري» بأقذر نظرة يمكنه رمقه بها. أخذ قلبه يخفق بجنون في صدره، لكن عقله نعم ببرود وصفاء غريبين.

قالت «أمبريدج»: «كان في طريقه إلى برج جريفندور». وكان في صوتها بعض الحماس، ونفس السرور القاسي الذي أحسه «هاري» منها وهي تراقب الأستاذة «تريلاوني» تنهار باكية في القاعة الأمامية. أضافت: «حاصره وأمسك به ابن مالفوي».

قال «فادج» باستحسان: «حقًا؟ عليّ تذكر إخبار لوكياس.. بوتر.. طبعًا تعرف سبب وجودك هنا».

قصد «هاري» الإجابة بنعم، لكن فمه انفتح وحده وكاد يخرج الكلمة عندما لمح وجه «دمبلدور». لم ينظر «دمبلدور» إليه مباشرة.. بل ركز عينيه على كتفه.. ولكن عندما نظر «هاري» إليه، هز رأسه مسافة بوصة لليمين وللشمال.

غيّر «هاري» كلامه قائلاً: «نعـ.. لا». فقال «فادج»: «ماذا قلت؟».

قال «هاري» بحسم: «لا».

«ألا تعرف سبب وجودك هنا؟».

قال «هاري»: «لا، لا أعرف».

تنقل «فادج» بصره بريبة بين «هاري» والأستاذة «أمبريدج». انتهز «هاري» فرصة انشغاله اللحظي؛ ليختلس نظرة أخرى إلى «دمبلدور»، الذي رمأ إيماءة خفيفة، ومن خلفها لمح ما يشبه الغمزة.

قال «فادج» بصوت مغرق في السخرية: «إذن، فأنت لا تعرف سبب إحضار الأستاذة أمبريدج لك؟ ألا تعرف أنك قد خالفت قوانين المدرسة؟».

قال «هاري»: «قوانين المدرسة؟ لا».

صحح له «فادج» بغضب: «أو فرمانات الوزارة؟».

قال «هاري» بلطف: «ولا فرمانات الوزارة».

أخذ قلبه يخفق بسرعة. الأمر يستحق الكذب لمجرد رؤية «فادج» وضغط دمه يرتفع، لكنه لم يعرف كيف سيتملص منهم، إن كان هناك من أبلغ «أمبريدج» عن الـ(دي. أيه)، فربما عليه حزم حقائبه ومغادرة المدرسة، فهو القائد على أية حال.

قال «فادج» وصوته أجش من الغضب: «إذن، فالموضوع جديد عليك. إن ثمة تنظيمًا مخالفًا من الطلبة قد تم اكتشافه في هذه المدرسة؟».

قال «هاري» راسمًا نظرة براءة غير مقنعة على وجهه: «أجل، الموضوع جديد».

قالت «أمبريدج» من موقعها إلى جواره بنعومة: «أعتقد يا سيادة الوزير أنه يمكننا استخلاص معلومات أكثر منه لو أحضرت من وشى بهم».

قال «فادج» وهو يومئ برأسه ويلقي بنظرة كراهية على «دمبلدور» و«أمبريدج» تغادر الحجرة: «أجل، افعلي هذا.. لا شيء أفضل من شاهد صالح أليس كذلك يا دمبلدور؟».

قال «دمبلدور» برصانة وهو يميل برأسه: «فعلاً يا كورنيلياس».

مرت فترة انتظار استغرقت دقائق لم ينظر فيها أحد إلى الآخر، ثم سمع «هاري» الباب ينفتح من خلفه. تقدمت «أمبريدج» من خلفه، وقد أمسكت في يدها صديقة «تشو» مجعدة الشعر «ماريتا»، التي خبأت وجهها بين يديها.

قالت الأستاذة «أمبريدج» بنعومة وهي تربت على ظهرها: «لا تخافي يا عزيزتي، لماذا تخفين وجهك بين يديك؟ لا تقلقي. لقد فعلت الصواب. سيادة الوزير مسرور جداً منك. سيخبر أمك كم كنت فتاة طيبة». ثم أضافت وهي تنظر إلى «فادج»: «أم ماريتا يا سيادة الوزير هي مدام إيدجكومب، التي تعمل بمصلحة النقل السحري، في قسم شبكة الفلو. وهي تساعدنا على حراسة عموم نيران مدافئ هوجورتس».

قال «فادج» بسرور: «يا سلام، ابن الوز عوام، أليس كذلك؟ والآن هيا يا عزيزتي، ارفعي وجهك، لا تخجلي، دعينا نسمع ما لديك.. بحق الجرجوانات الشمطاوات».

وبينما «ماريتا» ترفع يديها، تراجع «فادج» إلى الخلف مصدومًا، وكاد أن يقع في نيران المدفأة. أطلق سبة ثم تعثر في طرف عباءته التي بدأ يتصاعد منها الدخان. عوت «ماريتا» ورفعت ياقة عباءتها إلى عينيها، لكن ليس قبل أن يرى الجميع وجهها المشوه، والملىء بالبثور البنفسجية الكبيرة القبيحة التي انتشرت على أنفها ووجنتيها لتشكل كلمة: «الواشية».

قالت «أمبريدج» بنفاد صبر: «لا تقلقي بشأن البثور الآن يا عزيزتي. أبعدي عباءتك عن فمك وتحدثي إلى السيد الوزير..».

لكن «ماريتا» أطلقت عواءً مكتومًا آخر وهزت رأسها بشدة.

قالت «أمبريدج»: «حسنًا أيتها الفتاة الغبية، سأخبره أنا.. الموضوع يا سيادة الوزير إن الآنسة إيدجكومب هذه: جاءت إلى مكتبي بعد العشاء بقليل هذا المساء، وقالت لي: إنها تريد قول شيء ما. قالت: إنني لو توجهت إلى حجرة سرية في الطابق السابع، التي يقولون إنها حجرة الاحتياجات؛ فسوف أجد ما يهمني. استجوبتها قليلاً فاعترفت بأن نوعًا ما من الاجتماعات يعقد هناك. للأسف، وقتها ظهرت هذه اللعنة عليها».. أشارت بنفاد صبر إلى وجه «ماريتا» المخفي، وأردفت: «ظهرت عليها وعندما رأت وجهها في المرآة أصابها الضيق والقلق حتى إنها لم تقدر على ذكر المزيد من الأخبار التي لديها».

قال «فادج» مركزًا بصره على «ماريتا» محاولاً أن تبدو نظرته طيبة وأبوية الطابع: «رائع. أنت شجاعة يا عزيزتي بما قلته للأستاذة أمبريدج. لقد فعلت الصواب. والآن.. هلا أخبرتنا بما جرى في الاجتماع؟ ما هدفه؟ ومن حضره؟».

لكن «ماريتا» لم تتكلم، هزت رأسها ثانية بعيون واسعة يملؤها الخوف والتعب.

سأل «فادج» «أمبريدج» بنفاد صبر، مشيرًا إلى وجه «ماريتا» برأسه: «أليس عندنا تعويذة مضادة لهذه؟».

اعترفت «أمبريدج» قائلة بضيق: «لم أتوصل إلى واحدة بعد». فشعر «هاري» بالفخر من قدرات تعاويذ «هيرميون». وسمع «أمبريدج» تضيف: «لكن لا يهم إن لم تتكلم، يمكنني إكمال ما قالته لكم».

«تذكر يا سيادة الوزير أنني قد أرسلت إليك تقريرًا في شهر أكتوبر الماضي عن مقابلة بوتر لمجموعة من الطلبة في رأس الخنزير بقرية هوجزميد..».

قاطعتها الأستاذة «مكجونجال» قائلة: «وما دليلك على هذا؟».

قالت «أمبريدج» باعتداد: «عندي شهادة ويلي ويدرشينز يا منيرفا، وقد تصادف وجوده بالمقهى وقتها. كان ملفوفًا بالضمادات فعلاً. لكن سمعه لم يكن به ما يعيبه. سمع كل كلمة نطق بها بوتر وهرع إلى المدرسة؛ ليبلغني..».

قالت الأستاذة «مكجونجال» وهي ترفع حاجبيها: «آه. لهذا السبب إذن لم يحاكم بتهمة تفجير المراحيض المتقيأة. يسعدني معرفة هذه التفاصيل المهمة عن نظامنا القضائي».

زأر أحد شاغلي اللوحات من خلف مكتب «دمبلدور»، وهو ساحر بدينٌ أحمر الأنف: «فساد بيّن. على أيامي، لم تكن الوزارة تعقد اتفاقات مع المجرمين، حاشا وكلا أيها السادة».

قال «دمبلدور» بلين: «شكرًا لك يا فورتيسكو، ما ذكرته يكفي».

استرسلت الأستاذة «أمبريدج» في كلامها: «الغرض من اجتماع بوتر مع هؤلاء التلاميذ كان إقناعهم بالمشاركة في جمعية غير قانونية، هدفها تعلم التعاويذ واللعنات التي قررت الوزارة أنها غير ملائمة لسن المدرسة..».

قال «دمبلدور» بهدوء ناظرًا إليها من فوق عويناته نصف الدائرية المستقرة على أنفه الطويل: «أراكِ غير مصيبة يا دولوريس».

نظر «هاري» إليه. لم يعرف كيف سيخرجه «دمبلدور» من هذا المأزق. إن كان «ويلي ويدرشينز» قد سمع كل كلمة قالها في «رأس الخنزير» فلا فكاك من هذه المشكلة.

قال «فادج» وقد أخذ يتقافز على أقدامه وهو جالس ثانية: «أها! أجل. دعونا نسمع آخر قصة مؤلفة لإخراج بوتر من هذا المأزق. هيا يا دمبلدور، قل إن ويلي ويدرشينز كان يكذب. أليس هذا ما ستقوله؟ أم أن توأم بوتر الذي يشبهه كان في رأس الخنزير ذلك اليوم؟ أم أن تفسيرك متعلق بالسحر الذي يتلاعب بالزمن، وبرجل ميت يعود إلى الحياة وزوج من الديمنتورات الخفية؟».

صدرت عن «بيرسي ويسلي» ضحكة صافية من القلب.

«آه.. حلوة يا سيادة الوزير، حلوة».

ودّ «هاري» لو يركله، ثم رأى «دمبلدور» يبتسم برفق هو الآخر لدهشته.

«كورنيلياس، أنا لا أنكر - ومعي هاري في هذا بالطبع - أنه كان في مقهى

رأس الخنزير ذلك اليوم، ولا أنكر أنه كان يحاول استقطاب التلاميذ لتكوين مجموعة لدراسة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود. كل ما أقوله إن دولوريس مخطئة في اعتقادها في أن مثل هذه الجمعية كانت، وقتها، غير قانونية. إن تذكرت معي، فإن فرمان الوزارة الذي يحظر تكوين الطلبة للجمعيات والجماعات لم يكن نافذ الأثر وقتها، وحتى بعد يومين من زيارة هاري إلى هوجزميد؛ لذا فهو لم يخالف أيًا من القوانين وهو في رأس الخنزير».

بدت الصدمة على وجه «بيرسي» لقليلة. بقي «فادج» جامدًا في مكانه وقد كف عن التقافز والحركة، وفمه مفتوح. أول من تعافى من الصدمة هي «أمبريدج».

قالت وهي تبتسم بعذوبة: «هذا رائع يا حضرة الناظر، لكن مرّ على صدور الفرمان التعليمي رقم (٢٤) ستة أشهر. إن كان الاجتماع الأول لهم قانونيًا، لكن الاجتماعات التالية غير قانونية».

قال «دمبلدور» متفحصًا إياها بنظرة اهتمام مهذبة من فوق أصابعه المتشابكة: «بالطبع مثل هذه الاجتماعات غير قانونية، هذا إن كانوا قد استمروا في الاجتماع بعد سريان أحكام الفرمان. هل لديك أي دليل على استمرار مثل هذه الاجتماعات؟».

مع كلام «دمبلدور»، سمع «هاري» صوتًا من خلفه وكأن «كنجسلي» قد همس بشيء. كاد يقسم أنه قد شعر بما يلامس جانبه، شيء ناعم مثل جناح طائر، لكن عندما نظر لنقطة التلامس، لم يجد شيئًا.

ردت «أمبريدج» بابتسامتها الضفدعية الرهيبة الواسعة: «دليل؟ ألم تسمع يا دمبلدور؟ ما هو في رأيك سبب وجود الآنسة إيدجكومب هنا؟».

قال «دمبلدور» رافعًا حاجبه: «هل يمكنها إخبارنا بما انعقد من اجتماعات طوال الشهور الستة؟ حسبتها جاءت تبلغك باجتماع الليلة فقط».

قالت «أمبريدج» على الفور: يا آنسة إيدجكومب.. أخبرينا منذ متى تنعقد هذه الاجتماعات يا عزيزتي. يمكنك الإيماء برأسك موافقة، أو هز رأسك نفيًا، أنا واثقة أن هذا لن يجعل البثور في حالة أسوأ. هل انعقدت الاجتماعات بانتظام طوال الأشهر الستة الماضية؟».

شعر «هاري» باضطراب شديد في معدته. كان هذا دليلاً قويًا ولن يقدر «دمبلدور» على مواجهته.

قالت «أمبريدج» بلطف لـ«ماريتا»: «حركي رأسك فقط يا عزيزتي، لا تقلقي، فهذا لن ينشط التعويذة».

أخذ جميع من بالحجرة يحدّقون فى رأس «ماريبيثا» وما يبين منها من خلف العباءة المرفوعة على وجهها.. ربما كان ضوء النيران هو السبب، لكن بدت جامدة لوهلة. ثم لدهشة «هارى»، هزت «ماريبيثا» رأسها نفيًا.

نظرت «أمبريدج» إلى «فادج»، ثم إلى «ماريبيثا» ثانية قائلة: «لا أعتقد أنك تفهمين السؤال يا عزيزتى. أنا أسألك إن كنت تحضرين هذه الاجتماعات طوال الشهور الستة الماضية.. هل فعلت ذلك يا عزيزتى؟».

هزت «ماريبيثا» رأسها ثانية مجيبة بالنفى.

قالت «أمبريدج» بصوت غاضب: «ماذا تقصدين بهز رأسك يا عزيزتى؟».

قالت الأستاذة «مكجونجال» بخشونة: «أعتقد أن معنى ما تفعله واضح.. لم تنعقد اجتماعات سرية طوال الأشهر الستة المنقضية. أليس كذلك يا آنسة إيدجكومب؟».

أومأت «ماريبيثا» برأسها موافقة.

قالت «أمبريدج» بغيظ شديد: «لكن تم عقد اجتماع الليلة. كان هناك اجتماع يا آنسة إيدجكومب، وقد أخبرتنى عنه فى حجرة الاحتياجات. وبوتر هو القائد. أليس كذلك؟ بوتر هو من نظم الاجتماع.. بوتر هو.. لماذا تهزين رأسك يا فتاة؟».

قالت «مكجونجال» ببرود: «فى العادة، عندما يهز شخص رأسه فكأنه يقول لا. إلا إذا كانت الآنسة إيدجكومب تستعمل لغة إشارة غير التى يعرفها البشر..».

قبضت الأستاذة «أمبريدج» على «ماريبيثا» وجذبتها؛ لتواجهها، وأخذت تهزها بشدة. بعد لحظة هب «دمبلدور» واقفًا، ورفع عصاه السحرية، وتقدم «كنجسلى» للأمام، فتراجعت «أمبريدج» عن «ماريبيثا» وهى تلوح بيديها فى الهواء كأنها قد احترقت.

قال «دمبلدور» وقد بدا عليه الغضب للمرة الأولى: «لن أسمح لك بتعنيف تلاميذى بيدك يا دولوريس».

قال «كنجسلى» بصوته العميق الهادئ: «اهدئى يا مدام أمبريدج، فأنت لا تسعين الوقوع فى المشكلات، أليس كذلك؟».

قالت «أمبريدج» بصوت لاهث وهى تحدق فى «كنجسلى» بالغ الطول: «نعم. أعنى، بلى، أنت محق يا شاكلبولت.. أ.. أ.. أنا نسيت نفسى».

وقفت «ماريبيثا» حيث أطلقتها «أمبريدج»، بدت غير منزعجة من هجوم «أمبريدج» المفاجئ أو مسرورة من تركها لها، ما زالت قابضة على عباءتها وعيناها الخاويتان تحدقان أمامها.

ثارت ريبة مفاجأة فى عقل «هارى» عندما ربط بين همسة «كنجسلى» والشىء الناعم الذى لامسه منذ لحظة.

قال «فادج» بطريقة من يبغى تسوية مسألة ما تسوية نهائية: «دولوريس.. بالنسبة لاجتماع الليلة.. الذى وقع فعلاً..».

قالت «أمبريدج» وهى تستقيم فى وقفتها: «أجل.. آه.. الآنسة إيدجكومب وشت بهم، وصعدتُ إلى الطابق السابع على الفور، ومعى مجموعة من التلاميذ محل الثقة؛ للقبض على المجتمعين متلبسين. لكن يبدو أن هناك من حذرهم قبل أن أصل؛ لأنه عندما وصلنا إلى الطابق السابع وجدناهم يجرون كل فى اتجاه. معى كل أسمائهم، دخلت الآنسة باركنسون إلى حجرة الاحتياجات؛ لترى إن كانوا تركوا شيئًا خلفهم. نحن بحاجة لدليل. الحجرة ستوفره لنا».

ولرعب «هارى» أخرجت من جيبها قائمة الأسماء التى كانت معلقة على الحائط فى حجرة الاحتياجات وناولتها إلى «فادج».

قالت بنعومة: «لحظة رؤيتى لاسم بوتر على القائمة؛ عرفت أنها خاصة بالاجتماعات المقصودة».

قال «فادج» بابتسامة واسعة ترتسم على وجهه: «هائل.. هائل يا دولوريس.. و.. يا إلهى».

تطلع إلى «دمبلدور» الذى كان ما زال واقفًا إلى جوار «ماريبيثا» قابضًا على عصاه السحرية.

قال «فادج» بهدوء: «ماذا يسمون أنفسهم؟ جيش دمبلدور».

مد «دمبلدور» يده وأخذ رقعة الورق من «فادج». حدّق فيما كتبته «هيرميون» منذ شهور، وللحظة، بدا غير قادر على الكلام، ثم رفع بصره وابتسم.

قال ببساطة: «انتهت اللعبة.. هل تريد اعترافًا مكتوبًا منى يا كورنلياس؟ أم تكفيك كلمتى أمام الشهود؟».

رأى «هارى» كلاً من «مكجونجال» و«كنجسلى» يتبادلان النظر، والخوف مرتسم على وجهيهما. لم يفهم ما يجرى، ولا فهم «فادج».

قال «فادج» ببطء: «اعترف؟ ماذا؟ لا أفهم..».

قال «دمبلدور» مبتسمًا وهو يلوح بقائمة الأسماء أمام وجه «فادج»: «جيش دمبلدور يا كورنلياس، وليس جيش بوتر. جيش دمبلدور».

«لكن.. لكن..».

توهج الفهم فجأة على وجه «فادج». تراجع خطوة للخلف مرعوبًا، وهو يصيح ويتقافز أمام النيران ثانية بعد أن لسعته.

همس وهو يتعثر في عباءته المحترقة الأطراف: «أنت؟».

قال «دمبلدور» بسرور: «أجل».

«هل نظمت هذا؟!».

«أجل فعلت».

«هل استقطبت التلاميذ من أجل.. من أجل جيشك؟».

قال «دمبلدور» وهو يومئ برأسه: «الليلة كان الاجتماع الأول. فقط ليروا إن كانوا سينضمون إليّ أم لا. أرى الآن أن دعوة الآنسة إيدجكومب كانت خطأ بالطبع».

أومأت «ماريتا» برأسها. نقل «فادج» بصره منها إلى «دمبلدور»، وصدره ينتفخ صاح: «إذن، فأنت تخطط لعمل ضدي».

قال «دمبلدور» بجذل: «هذا صحيح». فصاح «هاري»: «لا».

رمقه «كنجسلي» بنظرة تحذير، واتسعت عينا «مكجونجال» بتهديد. لكن فجأة اكتشف «هاري» ما سيفعله «دمبلدور»، ولا يمكنه السماح لهذا بالحدوث.

«لا.. أستاذ دمبلدور..».

قال «دمبلدور» بهدوء: «اهدأ يا هاري، وإلا سأضطر لأمرك بمغادرة مكتبي».

صاح «فادج» وهو ما زال يرمق «دمبلدور» بنظرة سرور ورغبة: «أجل، اصمت يا بوتر. رائع، رائع، رائع.. جئت الليلة متوقعًا فصل بوتر وبدلاً من هذا..».

قال «دمبلدور» مبتسمًا: «بدلاً من هذا قبضت عليّ. كأنك فقدت نات لتجد جاليون، أليس كذلك؟».

صاح «فادج» وهو يرتجف من الفرح: «ويسلي. ويسلي، هل كتبت ما قيل؟ ما قاله الجميع؟ واعترافه أيضًا؟».

قال «بيرسي» بنبرة من يشعر بأهمية ما يقوله وأنفه ملطخ بالحبر من سرعة كتابة الملاحظات: «أجل يا سيدي. أعتقد هذا».

«وهل كتبت ما قاله عن محاولته تأسيس جيش ضد الوزارة؟ وكيف يعمل على سحب كرسي الوزارة من تحتي؟».

قال «بيرسي» وهو يمسح بعينه أوراقه بسرور: «أجل يا سيدي، كتبت ما قاله».

قال «فادج» وهو متوهج بالسرور: «رائع. انسخ مذكرتك يا ويسلي، وأرسل نسخة إلى جريدة الدايلي بروفيت فورًا. إن أرسلنا بومة إليهم بسرعة؛ فقد يظهر الخبر في الطبعة الصباحية»، فهرع «بيرسي» خارجًا من الحجرة، وأوصد الباب خلفه، والتفت «فادج» إلى «دمبلدور» قائلاً: «والآن ستصحبك إلى الوزارة، حيث يتم توجيه التهم إليك رسميًا، ثم نرسلك إلى أزكابان على الفور».

قال «دمبلدور» برفق: «آه.. أجل أجل.. حان وقت هذه التفاصيل التافهة».

قال «فادج» وصوته ما زال يرتجف من الجذل: «تافهة؟ لا أرى أي تفاهة في الأمر يا دمبلدور». فقال «دمبلدور» بتهذيب: «لكنني أرى هذا، حقًا».

«أنت طبعًا لست خاضعًا للأوهام، ولا تتوقع مني - ما هي الكلمة المناسبة - أن آتي معكم بهدوء. يؤسفني أنني لن آتي بهدوء بالمرة يا كورنيلياس. يمكنني الهرب بالطبع، لكن بالإضاعة الوقت، وبصراحة، لديّ الكثير من الأشياء التي عليّ عملها».

أخذ وجه «أمبريدج» في الاحمرار أكثر وأكثر، وبدا كأنه إناء مليء بالماء المغلي. حدق «فادج» في «دمبلدور» بتعبير أحمق على وجهه، وكأنه قد أصابته صدمة مفاجئة، ولا يمكنه تصديق ما جرى. صدر عنه صوت غريب مختنق، ثم التفت إلى «كنجسلي» وإلى الرجل ذي الشعر الرمادي القصير، الذي ظلّ صامتًا حتى هذه اللحظة. أومأ الأخير برأسه طمأنة لـ «فادج»، وتقدم قليلاً للأمام. رأى «هاري» يده تقترب بهدوء من جيبه.

قال «دمبلدور» برقة: «لا تكن أحمق يا داوليش. أنا واثق من أنك مقاتل ممتاز للسحر الأسود. كما أتذكر الدرجة العالية التي أحرزتها في امتحانات الـ(إن. إي. دبليو. تي.) لكن إن حاولت أن.. آ.. تجبرني على القدوم معكم، فسأضطر إلى إيذائك».

طرفت عينا المسمى «داوليش» بغباء. نظر نحو «فادج» ثانية، لكن هذه المرة بحثًا عن إشارة لما سيفعله.

قال «فادج» مزمجرًا وقد عاد إليه عقله: «إذن، فأنت تنوي إصابة داوليش وشاكلبولت ودولوريس وأنا، وحدك يا دمبلدور؟!».

قال «دمبلدور» مبتسمًا: «بحق لحية مرلين.. لا بالطبع. ليس إلا لو كنتم أقوياء بما يكفي لتحاولوا هذا».

قالت الأستاذة «مكجونجال» بصوت مرتفع وهي تُدخل يدها في جيبها «ليس وحده».

قال «دمبلدور» بحدّة: «بل وحدي يا مينرفا. هوجورتس بحاجة إليك».

قال «فادج» وهو يشهر عصاه: «كفى هراء. داوليش، شاكلبولت، هاجماه».

ملأ الحجرة شعاع فضي، ثم صوت أشبه بطلقات النيران وارتجّت الأرض، وأمسكت يد بعنق «هاري» وأجبرته على السقوط أرضًا قبل لحظة من انطلاق الشعاع الفضي. صرخ بعض شاغلي اللوحات، ونعب «فاوكس» وملأت سحابة من التراب الهواء. وهو يسعل وسط التراب، رأى «هاري» جسداً يرتطم بالأرض أمامه، ثم سمع صرخة من يقول: «لا»، ثم صوت تحطم زجاج، وخطوات تهرول على الأرض، وصوت تأوه، ثم صمت مُطبق.

دار «هاري» ليرى من الذي صرعه أرضًا، فوجدها الأستاذة «مكجونجال» الراقدة إلى جواره، أبعدته هو و«ماريتا» عن الخطر. أخذ التراب يستقر ببطء على الأرض من حولهم.. وهو يلهث، رأى ظل شخص طويل يقترب منهم.

قال «دمبلدور»: «هل أنتم بخير؟».

قالت الأستاذة «مكجونجال» وهي تنهض وترفع «هاري» و«ماريتا» معها: «أجل».

استقر الغبار. ظهر المكتب المحطم من خلفه. كان مكتب «دمبلدور» مقلوبًا، وكل الموائد الصغيرة ساقطة على الأرض، والأجهزة الفضية محطمة، و«فادج» و«أمبريدج» و«كنجسلي» و«داوليش» راقدين بلا حراك على الأرض، و«فاوكس» ـ طائر العنقاء ـ يرفرف في دائرة واسعة فوقهم وهو يغني أغنية رقيقة.

قال «دمبلدور» بصوت خفيض: «للأسف، اضطررت لإصابة كنجسلي بتعويذة هو الآخر، وإلا كان سيبدو موقفه مريبًا. لقد فهمني بسرعة، وغير من ذاكرة الآنسة إيدجكومب بهدوء، بينما الجميع ينظرون بعيدًا عنها ـ هلا أبلغته شكري يا مينرفا؟».

«سيفيقون جميعًا بعد قليل، ومن الأفضل ألا يجدوا الوقت اللازم للكلام، عليكم التصرف كأنه لم يمر أي وقت، وكأنهم قد سقطوا على الأرض ثم نهضوا، فلن يتذكروا فقدانهم الوعي..».

همست «مكجونجال»: «إلى أين ستذهب يا دمبلدور؟ إلى جريمولد بليس؟».

قال «دمبلدور» بابتسامة واجمة: «لا، لن أغادر هنا لأختبئ. قريبًا، سيتمنى فادج لو لم يبعدني عن هوجورتس، أعدك بهذا».

قال «هاري»: «أستاذ دمبلدور..».

لم يعرف ماذا يقول أولاً: هل يتأسف على أنه من كوّن الـ(دي. أيه.) التي تسببت في كل هذه المشكلات، أن يخبره بشعوره لأنه سيغادر لينقذه من الفصل من المدرسة؟ لكن «دمبلدور» قطع عليه أفكاره قبل أن يتكلم.

قال باهتمام: «اسمعني يا هاري. لابد من دراسة الأوكلومينسي قدر استطاعتك وبكل اجتهاد، هل تفهمني؟ افعل كل ما يأمرك به الأستاذ سناب، وتمرّن كل ليلة قبل النوم؛ حتى توصد عقلك أمام الأحلام السيئة.. سرعان ما ستفهم السبب، لكن عليك أن تعدني..».

بدأ المدعو «داوليش» في التقلب. قبض «دمبلدور» على رسغ «هاري» قائلاً: تذكّر.. أوصد عقلك..».

لكن مع التفاف أصابع «دمبلدور» حول جلد «هاري»، شعر بالألم الشديد في جبينه وأحسّ بذلك الإحساس الثعباني الرهيب بضرب «دمبلدور» وعضه، وإيذائه.. همس «دمبلدور»: «.. سوف تفهم».

حلّق «فاوكس» حول المكتب وحطّ فوقه. أطلق «دمبلدور» يد «هاري» ورفع يده وأمسك بذيل طائر العنقاء الذهبي الطويل. رأوا لهبًا من نار واختفى كلاهما.

صاح «فادج» وهو يرفع نفسه من فوق الأرض: «أين هو؟ أين هو؟».

صاح «كنجسلي» وهو يهب واقفًا هو الآخر: «لا أعرف!».

صاح «داوليش» وهو يهرع إلى الباب: «السلم»، ثم يفتحه ويختفي من خلفه، وتبعه «كنجسلي» و«أمبريدج». تردد «فادج» ثم نهض ببطء واقفًا، ونفض الغبار عنه. عمّت فترة صمت طويلة ومؤلمة.

قال «فادج» بنبرة قاسية وهو يعدل من وضع كُمّ قميصه المقطوع: «مينرفا.. يؤسفني أن هذه هي نهاية صديقك دمبلدور».

قالت الأستاذة «مكجونجال» بغضب: «هل تعتقد هذا؟».

لم يبد أن «فادج» قد سمعها. نظر حوله إلى المكتب المحطم. وجد بعض شاغلي اللوحات ينظرون إليه شزرًا، وواحد أو اثنان منهم قد رفعوا أيديهم بتلويحات غير مهذبة بالمرة.

قال «فادج» وهو يحاول النظر إلى الأستاذة «مكجونجال» ويومئ إيماءة يصرف بها «هاري» و«ماريبيتا»: «لتأخذي هذين الصغيرين إلى الفراش».

لم تنطق الأستاذة «مكجونجال» بشيء، لكن سارت مع «هاري» و«ماريبيتا» إلى الباب، وهي تغلقه من خلفهم، سمع «هاري» صوت «فينياس نيجيلوس»: «أتعرف يا وزير، أنا أختلف مع دمبلدور في الكثير من الأمور، لكن لا أنكر أن له أسلوبه المتميز...».

٢٨ أسوأ ذكريات سناب

بأمر من وزارة السحر

تتولى دولوريس جان أمبريدج منصب ناظر مدرسة هوجورتس لتعليم الساحرات والسحرة بدلاً من ألبوس دمبلدور.

المذكور أعلاه يتفق وأحكام الفرمان التعليمي رقم (٢٨)

توقيع: كورنلياس أوزولد فادج، وزير السحر

ليلاً، تم تعليق اللافتات في كل مكان بالمدرسة، لكنها لم تفسر كيف عرف كل فرد بالقلعة بتفاصيل تغلب «دمبلدور» على اثنين من مقاتلي السحر الأسود المحترفين، والمفتشة العليا، ووزير السحر ومساعده، ثم هروبه. أينما يذهب «هاري» في القلعة؛ يجد الموضوع الوحيد الذي يتكلم التلاميذ عنه هو هروب «دمبلدور». وبالرغم من أن التفاصيل قد حُرِّفت بعد أن تم حكيها أكثر من مرة، (سمع «هاري» فتاة من الصف الثاني تقسم لأخرى بأن «فادج» راقد الآن في مستشفى سانت مونجو ورأسه قد تحوَّل إلى قرعة عسل)، فقد بدا من المدهش مدى دقة باقي المعلومات الخاصة بالموضوع. عرف الجميع - على سبيل المثال - أن «هاري» و«ماريبيتا» كانا هما الطالبين الوحيدين اللذين قد شهدا ما جرى في مكتب «دمبلدور»، وأن «ماريبيتا» راقدة في جناح المستشفى، فوجد «هاري» نفسه محاصرًا بمن يرغبون في سماع الحكاية منه مباشرة.

قال «إرني ماكميلان» بثقة، في طريق العودة من حصة علم الأعشاب بعد الاستماع بحرص لقصة «هاري»: «سيعود دمبلدور بسرعة. لم يقدروا على إبعاده طويلاً ونحن في الصف الثاني، ولن يقدروا هذه المرة أيضًا. قال لي شبح فرقتنا...». ثم خفض صوته بأسلوب تآمري؛ حتى لا يسمعه سوى «هاري» و«رون» و«هيرميون»، مضيفًا: «... إن أمبريدج حاولت اقتحام مكتبه ليلة أمس بعد هروبه، وبعد أن فتشوا القلعة بحثًا عنه، ولم تتمكن من المرور

من الجرجوانة؛ فقد أغلق مكتب الناظر نفسه أمامها، وبالتأكيد قد جن جنونها من الغضب». أضاف «إرني» الجملة الأخيرة بسخرية.

قالت «هيرميون» بقسوة وهم يسيرون إلى درجات السلم الصخرية المفضية للقاعة الأمامية: «أه.. طبعًا تخيلت نفسها وهي جالسة في مكتب الناظر، لترتقي فوق باقي المعلمين، تلك العجوز الشمطاء الغبية المتهالكة المجنونة الـ...».

«هل تودين حقًا إكمال هذه الجملة يا جرانجر؟».

خرج «دراكو مالفوي» إليهم من خلف الباب، ومن خلفه «كراب» و«جويل»، ووجهه الشاحب الحاد القسمات متوهج بالحقد.

قال: «يؤسفني إعلان أن عليّ خصم بعض النقاط من جريفندور وهافلباف».

قال «إرني» على الفور: «لا يمكنك خصم النقاط من رواد الفصول يا مالفوي».

زمجر «رون» قائلاً: «كما أننا رواد فصول أيضًا، هل تذكر؟».

قال «مالفوي»: «أعرف أن رواد الفصول لا يمكنهم خصم النقاط من بعضهم». ضحك «كراب» و«جويل» بسخرية، وأضاف: «لكن أعضاء الفرقة التفتيشية...».

قالت «هيرميون» بحدة: «أعضاء ماذا؟».

قال «مالفوي» مشيرًا إلى شارة فضية صغيرة منقوش عليها حرف (I) لاتيني على عباءته تحت شارة رائد الفصل: «الفرقة التفتيشية يا جرانجر، مجموعة من الطلبة المساندين لوزارة السحر، اختارتهم الأستاذة أمبريدج، المهم أن لأعضاء الفرقة التفتيشية خصم النقاط؛ لذا خصمت خمس نقاط على إهانة ناظرة مدرستنا، وخمس نقاط من ماكميلان؛ لأنه عارضني، وخمس نقاط منك يا بوتر؛ لأنني لا أحبك، وأنت يا ويسلي، قميصك ليس مهندمًا؛ لذا سأخصم منك خمس نقاط أخرى، وأه.. نسيت، وأنت لست ساحرة من سلالة نقية يا جرانجر، سأخصم منك عشر نقاط».

شهر «رون» عصاه، لكن «هيرميون» دفعتها بعيدًا وهمست: «لا».

قال «مالفوي»: «تصرف حكيم يا جرانجر، الناظرة الجديدة جاءت بعصر جديد.. وأنت يا بوتر أحسن التصرف.. ويسلي يا ملك...».

وهو يضحك من قلبه ابتعد ومعه «كراب» و«جويل».

قال «إرني» مرعوبًا: «إنه يحتال علينا، لا يمكنه خصم النقاط.. هذا سخف، يشوه نظام رواد الفصول تمامًا».

لكن «هاري» و«رون» و«هيرميون» التفتوا تلقائيًا إلى الساعات الكبيرة التي تمثل نقاط الفرق المدرسية الأربع. كانت ساعة «جريفندور» وساعة «رافنكلو» متساويتين ذلك الصباح. وهو يراقب الساعات وجد الرصيد يقل. في الواقع، كانت الساعة الوحيدة الممتلئة هي ساعة «سليذرين».

جاءهم صوت «فريد» يقول: «لاحظتم ما جرى؟».

نزل هو و«جورج» لتوهما من فوق درجات السلم الرخامية وانضما إلى «هاري» و«رون» و«هيرميون» و«إرني» أمام الساعات.

قال «هاري» بغضب وهم يراقبون اختلال ميزان الساعات: «خصم منا مالفوي حوالي خمسين نقطة».

قال «جورج»: «أجل، حاول مونتاج الخصم منا وقت الإفطار».

قال «رون» بسرعة: «ماذا تعني بقولك: حاول؟».

قال «فريد»: «لم يتمكن أبدًا من قول الكلمات؛ لأننا دفعنا به إلى كابينة الاختفاء في الطابق الأول». بدت «هيرميون» مصدومة بشدة.

«لكن هكذا ستتعرضان لمشكلات رهيبة».

قال «فريد» ببساطة: «ليس حتى يعاود مونتاج الظهور، وقد يأخذ الأمر منه أسابيع، ولا أعرف إلى أين أرسلناه أصلاً. المهم أننا قررنا ألا نهتم بالوقوع في المشكلات بعد الآن».

سألته «هيرميون»: «وهل سبق لكما الاهتمام بهذا؟».

قال «جورج»: «بالطبع، فنحن لم نطرد من قبل أبدًا، أليس كذلك؟».

قال «فريد»: «لطالما وضعنا لأنفسنا خطًا لا نتعداه».

قال «جورج»: «ربما تجاوزناه في بعض المرات القليلة».

قال «فريد»: «لكن لم نتسبب أبدًا في عاهة مستديمة لأحد».

قال «رون» بتردد: «والآن؟». وقال «جورج»: «الآن...».

قال «فريد»: «... مع مغادرة دمبلدور...».

قال «جورج»: «... قد نصيب البعض بالعاهات المستديمة...».

قال «فريد»: «... وهو ما تستحقه ناظرتنا الجديدة بالضبط».

همست «هيرميون»: «لا تفعلا. لا تفعلا. إنها تبحث عن حجة لطردكما».

قال «فريد» مبتسماً لـ«هيرميون»: «أنت لا تفهمين يا هيرميون. أليس كذلك؟ نحن لم نعد نبالي بالبقاء. كنا سنغادر المدرسة على الفور، إن لم نصمم على الانتقام لدمبلدور أولاً. المهم...» وهو ينظر لساعته أضاف: «... المرحلة الأولى على وشك البدء. إن كنت مكانكم كنت سأذهب للقاعة الكبرى لأتناول الغداء؛ حتى لا يرتاب فيكم المعلمون وفي اشتراككم في التدبير».

قالت «هيرميون» بشوش: «تدبير ماذا؟». فقال «جورج»: «سترين. هيا تعالوا».

التفت «فريد» و«جورج» واختفيا وسط التلاميذ النازلين السلم متجهين للقاعة الكبرى؛ لتناول الطعام. غمغم «رون» بشيء عن واجب التحويل الذي لم ينته منه وهرول مبتعداً.

قالت «هيرميون» بتوتر: «أعتقد أن علينا الخروج من هنا، فقد يحدث شيء...».

قال «رون»: «فعلاً.. هيا بنا»، وتحرك ثلاثتهم نحو أبواب القاعة الكبرى، لكن «هاري» ما كاد يلمح السقف المزين بسحابات بيضاء، حتى طرق أحدهم على كتفه بأصابعه، وعندما التفت وجد نفسه في مواجهة «فيلش» فرّاش المدرسة وأخذ يتراجع عدة خطوات سريعة للخلف، فمن الأفضل رؤية «فيلش» من بعيد.

قال بخبث: «السيدة الناظرة تريد رؤيتك يا بوتر».

قال «هاري» بغباء مفكراً فيما يخطط له «فريد» و«جورج»: «لم أفعل شيئاً». فانفرجت أسارير «فيلش» وضحك ضحكة صامتة.

قال: «يالضميرك المثقل بالذنوب. اتبعني».

اختلس «هاري» نظرة إلى «رون» و«هيرميون» اللذين بدا عليهما القلق. هز رأسه وتبع «فيلش» إلى القاعة الأمامية في مواجهة مد الطلبة الجائعين المتجهين لتناول الأكل.

بدا «فيلش» في حالة مزاجية رائعة، أخذ يغني بصوت خفيض وهما يصعدان السلم. وعندما وصلا إلى الطابق الأول، قال: «ستتغير القواعد يا بوتر».

قال «هاري» ببرود: «لاحظت هذا».

قال «فيلش» ضاحكاً: «أجل.. منذ سنوات وسنوات وأنا أخبر دمبلدور بأنه

رفيق بكم للغاية. أيها الوحوش الصغيرة النجسة، ما كنتم لتلقوا بالألعاب النارية الكريهة الرائحة إن كنتم تعرفون أن من سلطاتي ضربكم بالسياط. أليس كذلك؟ ما كان ليلقى أحد بالأطباق الطائرة ذات الأنياب إن كان في استطاعتي ضربكم في مكتبي، أليس كذلك؟ لكن الفرمان التعليمي رقم (٢٩) قادم يا بوتر، وسيسمح لي بفعل هذه الأشياء.. وستسأل الوزارة أن ترسل أمراً بطرد بيفيس.. ستتحسن الأمور كثيراً هنا بعد أن تولت هي المسئولية».

قال «هاري» لنفسه إن «أمبريدج» قد تمادت كثيراً؛ حتى تضم «فيلش» إلى صفها، والأسوأ أنه سيكون سلاحاً مهماً في يدها؛ لمعرفته بالمدرسة وممراتها السرية وأماكن الاختباء، فهو التالي للتوأمين «ويزلي» في المعرفة بالمدرسة.

قال وهو ينظر شزراً إلى «هاري» بعد أن طرق ثلاث طرقات على باب مكتب الأستاذة «أمبريدج» وفتحه: «ها نحن.. الولد بوتر جاء؛ ليقابلك يا سيدتي».

لم يختلف مكتب «أمبريدج» الذي اعتاده «هاري» من قبل طوال جلسات الاحتجاز إلا في اللوح الخشبي الكبير الموضوع على مكتبها بحروف ذهبية: الناظرة. كما وضعت مقشته «الفايربولت» ومقشتي «فريد» و«جورج» في قيود وعلقتها على الحائط من خلفها.

وجد «أمبريدج» جالسة خلف المكتب، وهي تكتب شيئاً ما على ورقها الوردي اللون، لكنها رفعت بصرها إليه وابتسمت ابتسامة واسعة مع دخولهما.

قالت بعذوبة: «شكراً لك يا أرجوس».

قال «فيلش» وهو ينحني أوسع انحناءة يسمح له بها مرض الروماتيزم، وهو يتراجع ليخرج: «العفو يا سيدتي».

قالت «أمبريدج» باقتضاب مشيرة إلى مقعد: «اجلس». فجلس «هاري». أخذت تكتب لبرهة. راقب بعض الهريرات تدور حول الأطباق الخزفية فوق رأسها، وتساءل: ما الرعب الذي تحضّره له؟

قالت أخيراً وهي تضع ريشة الكتابة على المكتب وتفحصه ببصرها برضا مثل ضفدع على وشك التهام ذبابة لذيذة ومتلذذة: «ماذا تشرب؟».

قال «هاري» وهو على ثقة تامة من أنه لم يسمعها جيداً: «ماذا؟».

قالت وابتسامتها واسعة: «ماذا تشرب يا بوتر؟ شاياً؟ قهوة؟ عصير قرع العسل؟».

وهي تنطق بأسماء المشروبات، لوحت بعصاها فظهر قدح وكوب على مكتبها. قال «هاري»: «لا شيء.. أشكرك».

قالت وصوتها العذب يوحي بخطورة ما تضمره: «أتمنى لو تشرب معي. اختر مشروباً».

قال «هاري» وهو يهز رأسه: «طيب.. سأشرب شاياً».

نهضت وأضافت اللبن بسرعة وظهرها إليه، ثم دارت حول المكتب والقدح في يدها، وهي تبتسم ابتسامتها العذبة المشئومة.

قالت وهي تناوله القدح: «تفضل. اشربه قبل أن يبرد. والآن يا سيد بوتر، قلت لنفسي لم لا نتحدث قليلاً، بعد الأحداث السيئة التي وقعت أمس».

لم ينطق بشيء. جلست في مقعدها منتظرة. وعندما مرت برهة من الصمت، قالت بمرح: «لم لا تشرب؟».

رفع القدح إلى شفتيه، ثم خفضه فجأة. لمح عينَ واحدة من القطيطات من خلف «أمبريدج» ورأى فيها شبهاً بعينِ «ماد آي» السحرية، وخطر له أن يتساءل عما قد يقوله «ماد آي» إذا عرف بأن «هاري» قد شرب شيئاً يقدمه له عدوه.

قالت «أمبريدج» التي جلست تراقبه عن قرب: «ما الأمر؟ هل تريد بعض السكر؟».

قال «هاري»: «لا».

رفع القدح إلى شفتيه ثانية وتظاهر بأخذ رشفة منه، وإن أبقى فمه مغلقاً. اتسعت ابتسامة «أمبريدج».

همست: «رائع. رائع جداً. الآن..» ثم قالت وهي تميل إلى الأمام قليلاً: «.. أين ألبوس دمبلدور؟». فرد «هاري» فوراً: «ليس عندي فكرة».

قالت وهي ما زالت تبتسم: «اشرب. اشرب. والآن يا سيد بوتر، انظر. نحن لا نلعب لعبة صبيانية. أعرف أنك تعرف مكانه. فأنت ودمبلدور شريكان في الأمر من البداية. ونظراً لموقفك يا بوتر..».

«لا أعرف أين هو».

تظاهر بالشرب ثانية. قالت: «رائع» وإن بدت غير مقتنعة، وأضافت: «في هذه الحالة، هلا أخبرتني بمكان سيرياس بلاك؟».

اضطرب صدر «هاري» واهتزت يده القابضة على القدح حتى أنه اهتز وصدر عن اصطدامه بطبق القدح صوت مسموع. أمال القدح على شفتيه الموصدتين، فتساقط المشروب الساخن على عباءته.

قال بسرعة هذه المرة: «لا أعرف».

قالت «أمبريدج»: «سيد بوتر، دعني أذكرك بأنني أنا من كدت أقبض على المجرم بلاك في أكتوبر الماضي. أعرف تمام المعرفة أنه كان معك، وإن كان معي الدليل، ما كان أحدكما ليبقى حراً طليقاً كحالكما اليوم؛ لذا أكرر يا بوتر: أين سيرياس بلاك؟».

قال «هاري» بصوت مرتفع: «ليس عندي فكرة.. لا أعرف».

تبادلا النظر لبرهة، حتى شعر «هاري» بعينيه تؤلمانه من كثرة التركيز، ثم وقفت «أمبريدج».

«سآخذ بكلمتك يا بوتر هذه المرة. لكن لتحذر: إرادة الوزارة هي التي تساندني. كل قنوات الاتصال من وإلى هذه المدرسة تحت المراقبة. منظم شبكة الفلو يراقب كل مدفأة في هوجورتس.. إلا مدفأتي بالطبع. فرقتي التفتيشية تفتح وتقرأ كل الرسائل المرسلة بالبوم، والتي يرسلها الطلبة من المدرسة. والسيد «فيلش» يراقب كل الممرات السرية في المدرسة. وإن تحصلت على دليل..».

بوم

ارتجت أرضية المكتب ذاتها. ترنحت «أمبريدج» وأمسكت بمكتبها؛ حتى لا تسقط، والصدمة مرتسمة على وجهها: «ما الذي..؟».

أخذت تحدق في الباب. فوجدها «هاري» فرصة لإفراغ قدحه الممتلئ بالشاي في أقرب زهرية مليئة بالزهور المجففة. سمع الناس يجرون ويصرخون في الطوابق السفلية.

صاحت «أمبريدج» وهي ترفع عصاها السحرية وتهرع خارجة من المكتب: «عد إلى الغداء يا بوتر». تركها «هاري» تسبقه قليلاً، ثم خرج خلفها؛ ليرى مصدر هذه الجلبة الشديدة.

لم يلق صعوبة في البحث. فتحته بطابق واحد وجد مصدر الجلبة. فأحدهم - و«هاري» عنده فكرة واضحة عن ماهيته - قد أطلق صندوقاً كبيراً من الألعاب النارية السحرية.

أخذت تنانين من الشرارات الخضراء والذهبية تحلق في الممرات، وهي تُخرج نيراناً من أفواهها وهي تطير. وعجلات كبيرة قطرها يصل إلى خمس أقدام تدور مرسلة الشرر المتطاير في الهواء، وصواريخ بذيول طويلة ونجوماً

فضية تصطدم وترتد عن الجدران، وكلمات من الشرر ترتسم في الهواء، وصواريخ صغيرة تنفجر كالألغام أينما نظر «هاري»، وبدلاً من أن تحترق وتختفي، أخذت تكتسب الطاقة والقوة مع مرور الوقت.

وقف «فيلش» مع «أمبريدج» والرعب يتملكهما عند منتصف السلم المفضي إلى الطابق السفلي، و«هاري» يراقب ما يجرى قررت عجلة من الشرر أنها بحاجة لساحة مناورة أكبر، فطارت نحو «أمبريدج» و«فيلش» بصوت مشئوم ويييييي. صرخا وانحنيا في خوف، فحلقت خارجة من النافذة من خلفهما بينما أخذت بعض التنانين ووطواط بنفسجي في التقدم نحو الباب المفتوح عند نهاية الممر هربًا إلى الطابق الثاني.

صاحت «أمبريدج»: «أسرع يا فيلش، أسرع. سيملأون المدرسة إن لم تتصرف بسرعة.. ستوبيفاي».

انطلق شعاع أحمر اللون من طرف عصاها السحرية وأصاب أحد الصواريخ، بدلاً من أن يتجمد في الهواء، تفجر بقوة كافية لعمل ثقب في لوحة ساحرة جالسة في حديقة، والتي هربت من اللوحة في الوقت المناسب، لتعاود الظهور بعد لحظات في اللوحة المجاورة، حيث جلس ساحران يلعبان الورق، واللذان قاما بدورهما: ليفسحا لها مكانًا.

صاحت «أمبريدج» بغضب: «لا تجمدها يا فيلش»، وكأنه هو من ألقى بالتعويذة وليست هي.

قال «فيلش» - وكان كمساعد ساحر لا يقدر على تجميد الألعاب النارية - «حاضر يا حضرة الناظرة»، ثم هرع إلى خزانة قريبة، وجذب منها مقشة وأخذ يضرب بها الألعاب النارية في الهواء.. وخلال لحظات، استعرت النيران في المقشة.

رأى «هاري» ما يكفيه، وهو يضحك انحنى وأخذ يجرى إلى باب يعرف أنه مختفٍ خلف لوحة جدارية في ذلك الممر، ودلف منه ليجد «فريد» و«جورج» و«جيني» مختبئين خلفه، يستمعون لصياح وصراخ «أمبريدج» و«فيلش» بمرح مكتوم.

قال «هاري» بهدوء مبتسمًا: «شيء مدهش.. مدهش جدًا.. سيفلس دكتور فيليباستر[1] هكذا..».

همس «جورج» وهو يمسح دموع الضحك من على وجهه: «ابتهج أرجو أن تجرب تعويذة الإخفاء عليها.. فهي تتكاثر عشرة أضعاف كل مرة تصيبها هذه التعويذة».

(١) دكتور «فيليباستر» هو اسم متجر شهير للألعاب النارية السحرية.. يقصد «هاري» أن ألعاب «فريد» و«جورج» النارية تتفوق على منافسة ألعاب «فيليباستر». (المترجم)

استمرت الألعاب النارية في الاحتراق والانتشار في المدرسة طوال فترة الأصيل ذلك اليوم. وبالرغم من أنها قد تسببت في الكثير من الفوضى، فإن المعلمين الآخرين لم يلتفتوا إليها أو يعيروها انتباهاً.

قالت الأستاذة «مكجونجال» بتهكم وواحد من التنانين يطوف في فصلها زافًا لهبًا مصحوبًا بجلبة شديدة: «يا إلهي.. آنسة براون، هلا ذهبت لحضرة الناظرة وأبلغتها بأن عندنا تنينًا هاربًا من الألعاب النارية في الفصل؟».

وهكذا قضت الأستاذة «أمبريدج» أول يوم لها وهي تجرى في المدرسة استجابة لاستدعاءات المعلمين الآخرين، ومن الواضح أنه لا أحد منهم قدر على التخلص من الألعاب النارية من دون مساعدتها. عندما رن جرس آخر حصص، وتوجهوا إلى برج «جريفندور» بحقائبهم، رأى «هاري» - وهو ما أرضاه كثيرًا - «أمبريدج» وقد تلوث وجهها بالغبار الأسود، والعرق الغزير يتصبب منها، وهي تمشي بقدم عرجاء خارجة من فصل الأستاذ «فليتويك».

قال الأستاذ «فليتويك» بصوته الرفيع الحاد: «شكرًا جزيلاً لك يا أستاذة.. كنت أستطيع التخلص من هذه الأشياء بالطبع، لكن لم أعرف إن كان عندي سلطة التخلص منها أم لا».

وهو يبتسم ابتسامة واسعة، أغلق باب الفصل في وجهها الغاضب.

أصبح «فريد» و«جورج» من الأبطال تلك الليلة في حجرة طلبة «جريفندور»، حتى «هيرميون» جاهدت لتقترب منهما؛ لتهنئهما، من بين الطلبة المتجمهرين حولهما. قالت بإعجاب: «كانت ألعابًا نارية رائعة».

قال «جورج» مندهشًا ومسرورًا في نفس الوقت: «أشكرك.. إنها ألعاب ويزلي النارية، لكن المشكلة أننا قد أحرقنا كل مخزوننا منها، وسنبدأ ثانية من لا شيء».

قال «فريد» الذي أخذ يتلقّى طلبات الشراء من طلبة «جريفندور» المتحلقين من حوله: «لكن الأمر كان يستحق.. تعالي لتضيفي اسمك لقائمة الحجز يا هيرميون. ثمن صندوق الألعاب النارية العادي خمسة جاليونات، والصندوق الفاخر بعشرين جاليونًا..».

عادت «هيرميون» إلى المائدة التي كان «هاري» و«رون» جالسين إليها يحدقان في حقائب المدرسة كأنهما يتمنيان أن يخرج الواجب وحده من الحقائب ويبدأ في حل نفسه.

قالت بسعادة، وصاروخ فضي الذيل من صواريخ التوأمين «ويسلي» يمرق من خلف النافذة: «لماذا لا تأخذ الليلة راحة؟ فإجازة عيد الفصح ستبدأ يوم الجمعة، وستجد الكثير من الوقت حينها لعمل الواجب».

سألها «رون» محدقًا فيها غير مصدق: «هل أنت مريضة؟».

قالت «هيرميون» بسرور: «آه.. في الواقع أشعر بشيء من التمرد».

كان «هاري» ينصت لأصوات الألعاب النارية الهاربة وهو يصعد مع «رون» بعد ساعة إلى الفراش.. وهو يغير ملابسه، رأى صاروخًا يمر أمام البرج ومن خلفه شريط منير عليه كلمة: «طظ».

صعد إلى الفراش، وتثاءب. وعندما خلع عويناته صارت الصواريخ التي تمر من خلف النافذة غير واضحة المعالم، مثل سحابات مضيئة، بألوان جميلة وغامضة والسماء سوداء من خلفها. تقلب على جانبيه، متسائلاً «كيف تشعر «أمبريدج» بأول يوم لها في وظيفة «دمبلدور»؟ وكيف سيتصرف «فادج» عندما يسمع بأن المدرسة قضت معظم اليوم في حالة من الفوضى الشديدة؟». وهو يبتسم لنفسه أغمض «هاري» عينيه.

أخذت أصوات الألعاب النارية الهاربة إلى حديقة المدرسة وفنائها تبتعد وتبتعد.. أو لعله هو من يبتعد عنها.

كان في الممر المفضي إلى مصلحة الألغاز والغوامض. أخذ يجري مقتربًا من الباب الأسود.. افتح.. افتح.

انفتح، دخل إلى الحجرة المستديرة ذات الأبواب المصطفة على جدارها.. عبر بطول الحجرة، وضع يده على باب مماثل للباب الأول وفتحه.

صار في حجرة مستطيلة ممتلئة بآلات غريبة تُصدر رنينًا. وجد بقعًا ضوئية متراقصة على الجدران، لكنه لم يتوقف ليفحصها.. عليه التقدم.

باب آخر عند الطرف البعيد من الحجرة.. انفتح هو الآخر عندما لمسه.

صار في حجرة قليلة الضوء مرتفعة السقف وواسعة ككنيسة، ممتلئة بصفوف وصفوف من الرفوف العالية، وكل منها عليه كرات زجاجية صغيرة مغبرة. أخذ قلبه يخفق بسرعة وشدة.. لا يعرف إلى أين يذهب.. جرى إلى الأمام، لكن خطواته لم تصدر صوتًا على أرض الحجرة الهائلة الخالية.

شيء في هذه الحجرة يريده بشدة..

شيء يريده هو.. أو يريده شخص آخر.. آلمته ندبته..

طاخ!

أفاق من النوم على الفور مرتبكًا وغاضبًا. وجد الحجرة المظلمة مستغرقة في أصوات الضحكات.

قال «سيماس» الذي رآه واقفًا أمام النافذة: «رائع. أعتقد أن إحدى عجلات الألعاب النارية قد ضربت صاروخًا، فصدر هذا الصوت. تعالوا وانظروا».

سمع «هاري» «رون» و«دين» يبادران بالقيام من فراشيهما؛ سعيًا للرؤية أفضل. رقد بجمود على ظهره، بينما ألم ندبته يتراجع، والحسرة تملؤه. شعر كأن شيئًا جميلاً قد سحب من تحت يده قبل أن يحصل عليه بلحظات.. عليه أن يُغمض عينيه.

أخذت ألعاب نارية على شكل خنازير صغيرة من اللونين الوردي والفضي تحلق خلف نوافذ برج «جريفندور». رقد «هاري» منصتًا إلى آهات التقدير والدهشة من تلاميذ «جريفندور» في الحجرات المجاورة. تقلصت معدته عندما تذكر درس «الأوكلومينسي» الذي سيحضره مساء الغد.

***

قضى «هاري» اليوم التالي خائفًا مما سيقوله «سناب» عندما يعرف بتوغله في مصلحة الألغاز والغوامض الليلة الماضية. ومع إحساسه بالذنب، أدرك أنه لم يتدرب على «الأوكلومينسي» ولو مرة واحدة منذ آخر درس له؛ فقد وقع الكثير منذ مغادرة «دمبلدور». وكان واثقًا من أنه ما كان ليقدر على تصفية عقله حتى لو حاول، لكنه شك في أن «سناب» سيقبل هذا العذر.

حاول التدرب قبل النزول للدرس مباشرة ذلك اليوم، لكنه لم يفلح. أخذت «هيرميون» تسأله عما به كلما صمت؛ محاولاً التخلص من كل الأفكار والمشاعر، وأفضل وقت للتدرب على تفريغ عقله ليس والمعلمون يسألون التلاميذ في الفصل عن دروسهم.

متأهبًا لتلقي أسوأ ما قد يواجهه، توجه إلى مكتب «سناب» تلك الليلة بعد العشاء، لكن وفي منتصف القاعة الأمامية، جاءته «تشو» مسرعة.

قال «هاري» وقد سره أن يجد عذرًا لتأجيل مقابلته مع «سناب»: «أنا هنـ... هل أنت بخير؟ ألم تسألك أمبريدج عن اجتماعات الـ(دي. أيه.)؟».

قالت «تشو» بسرعة: «لا، لا.. الموضوع أن... أعني، أردت أن أقول... هاري أنا لم أتخيل أبدًا أن ماريبيتا قد تشي بنا...».

قال «هاري» بمزاج مضطرب: «آه.. أجل». شعر بأن «تشو» تختار صديقاتها دون حرص، فالقليل مما سره في الموضوع هو أن «ماريبيتا» ما زالت في جناح المستشفى ومدام «بومفري» لم تقدر على تحسين حالها بالمرة.

قالت «تشو»: «إنها إنسانة لطيفة للغاية.. لكنها أخطأت خطأ...».

نظر إليها «هاري» باستنكار:

«إنسانة لطيفة للغاية لكنها أخطأت؛ لقد وشت بنا كلنا، وأنت معنا».

قالت «تشو» مدافعة عنها: «لكننا خرجنا من الموضوع بسلام، أليس كذلك؟ تعرف أن أمها تعمل في الوزارة، وكان من الصعب عليها أن...».

قال «هاري» بغيظ: «والد رون يعمل في الوزارة أيضًا، وإن لم تكوني قد لاحظت، فإنه لم يُكتب على وجهه: واش».

قالت «تشو» بغضب: «كانت تلك حركة سيئة للغاية من هيرميون جرانجر.. كان عليها إخبارنا بأنها وضعت تعويذة على القائمة...».

قال «هاري» ببرود: «أراها فكرة هائلة». توهج وجه «تشو» بالاحمرار ولمعت عيناها: «آه.. طبعًا.. نسيت.. فكرة هيرميون العزيزة...».

قال «هاري» محذرًا: «لا تبكي ثانية». صاحت: «لا أنوي هذا».

قال: «حسنًا.. هكذا أفضل.. عندي ما يكفيني حاليًا».

قالت «تشو» بغيظ وهي تدور على عقبيها وتسير مبتعدة: «اذهب وتعامل مع هذا الذي يكفيك إذن».

وهو يشتاط غضبًا، نزل «هاري» السلم إلى الممر المفضي إلى مكتب «سناب»، وبالرغم من معرفته أنه سيكون من الأسهل على «سناب» اختراق عقله وهو غاضب، فإنه لم ينجح سوى في التفكير في الأشياء التي قالها لـ«تشو» عن «ماريبيتا» قبل أن يصل إلى باب المكتب.

قال «سناب» ببرود: «تأخرت يا بوتر» و«هاري» يغلق الباب من خلفه.

وقف «سناب» معطيًا له ظهره، وهو يزيل كعادته بعض ذكرياته ويضعها

بحرص في مفكرة «دمبلدور» السحرية. أسقط آخر خيط فضي في الحوض الحجري، ثم التفت لمواجهة «هاري». قال له: «إذن، هل تدربت؟».

كذب عليه «هاري» وقال وهو ينظر إلى واحدة من أرجل مكتب «سناب»: «أجل».

قال «سناب» بنعومة: «حسنًا.. سنعرف الآن، أليس كذلك؟ أشهر عصاك يا بوتر».

تحرك «هاري» إلى مكانه المعتاد، في مواجهة «سناب» والمكتب بينهما. أخذ قلبه يخفق بشدة من «تشو» والقلق حول ما سيستخرجه «سناب» من عقله.

قال معلمه بكسل: «عند العدد ثلاثة.. واحد.. اثنان...».

صوت طرقة على الباب ودلف «دراكو مالفوي» مسرعًا إلى الحجرة.

«أستاذ سناب.. سيدي.. آه.. آسف...».

نقل «مالفوي» بصره بين «سناب» و«هاري» في دهشة.

قال «سناب» وهو يخفض عصاه: «لا عليك يا دراكو. بوتر معي في حصص وصفات سحرية تعويضية».

لم ير «هاري» «مالفوي» مسرورًا هكذا منذ خرجت «أمبريدج» لتفتش على «هاجريد».

قال ناظرًا شزرًا إلى «هاري» الذي وجد وجهه يحترق: «لم أكن أعرف». كان ليفعل أي شيء ليصيح بالحقيقة في وجه «مالفوي».. أو.. الأحسن.. أن يصيبه بتعويذة أو لعنة قوية. سأله «سناب»: «ما الأمر يا دراكو إذن؟».

قال «مالفوي»: «إنها الأستاذة أمبريدج يا سيدي.. فهي بحاجة إلى مساعدتك.. لقد وجدوا «مونتاج» محشورًا داخل مرحاض بالطابق الرابع يا سيدي».

سأله «سناب»: «وكيف انحشر فيه؟».

«لا أعرف يا سيدي.. فهو مرتبك قليلاً».

قال «سناب»: «حسنًا.. حسنًا، بوتر، سنكمل الدرس مساء الغد».

التفت وخرج من مكتبه، وكون «مالفوي» بفمه الكلمات: «حصص وصفات تعويضية؟» لـ«هاري» من خلف ظهر «سناب» قبل أن يتبعه.

شاعرًا بالاهتياج، أعاد «هاري» عصاه السحرية إلى ثنيات عباءته وهم بمغادرة الحجرة. على الأقل حصل على أربع وعشرين ساعة يمكنه التمرين فيها، وكان يعرف أن عليه الامتنان لإفلاته اليوم، وبالرغم من هذا وجد من

الضعيف الإحساس بالراحة بعدما عرف أن «مالفوى» سيخبر المدرسة كلها بأنه يحضر حصص وصفات تعويضية.

وصل إلى باب المكتب قبل أن يرى ما حدث: خيطًا من الضوء يتراقص على إطار الباب. ثم تذكر: فقد كان أشبه بالضوء الذي رآه في حلمه بالأمس، والأضواء التي وجدها في ثاني حجرة يدخلها في رحلته عبر مصلحة الألغاز والغوامض.

دار على عقبيه. كان الضوء قادمًا من المفكرة السحرية على مكتب «سناب». كانت محتوياتها البيضاء الفضية تدور وتتحرك داخلها. أفكار «سناب».. الأشياء التي لا يريد لـ«هاري» أن يراها إن اخترق عقله.

حدّق «هاري» في المفكرة، والفضول يتزايد داخله.. ما الذي يحرص «سناب» على إخفائه هكذا؟

تراقصت الأضواء الفضية على الحائط. تقدم «هاري» خطوتين نحو المكتب، متفكرًا. تراها معلومات عن مصلحة الألغاز والغوامض ويريد «سناب» إخفاءها عنه؟

نظر «هاري» من فوق كتفه، وقلبه يخفق بقوة أكبر وأسرع من أي وقت مضى. كم من الوقت سيستغرقه «سناب» في إخراج «مونتاج» من المرحاض؟ هل سيتوجه بعدها إلى مكتبه مباشرة؟ أم سيصحب «مونتاج» إلى جناح المستشفى؟ بالطبع سيصحبه. فهو كابتن فريق «سليذرين» في «الكويدتش»، و«سناب» يريده بالطبع في حالة جيدة.

قطع «هاري» الخطوات القليلة الباقية التي تفصله عن المفكرة ووقف فوقها يحدّق في أعماقها. تردد، وأنصت، ثم شهر عصاه ثانية. المكتب والممر من خلفه صامتان تمامًا. نخس محتويات المفكرة بطرف عصاه السحرية.

بدأ المحتوى الفضي للمفكرة في الدوران بسرعة. مال «هاري» إلى الأمام عليه ورأى أنه قد صار شفافًا. ومرة أخرى، وجد نفسه ينظر إلى حجرة بنافذة دائرية في السقف.. إن لم يكن مخطئًا فهو ينظر إلى القاعة الكبرى.

تكثف بخار أنفاسه على سطح أفكار «سناب».. وعقله في ورطة لا يعرف لها مخرجًا.. من الجنون أن يفعل ما يرغب فيه بشدة.. أخذ يرتجف.. سيعود «سناب» في أية لحظة. لكن «هاري» فكر في غضب «تشو»، وفي وجه «مالفوى» الساخر، فتملكه إحساس بالجرأة والاستهتار.

أخذ نفسًا عميقًا، وقرّب وجهه من سطح أفكار «سناب». تمايلت الأرض على الفور لتقلب «هاري» رأسًا على عقب في المفكرة..

سقط عبر فراغ بارد، وهو يدور أثناء سقوطه.. ثم..

وقف في منتصف القاعة الكبرى، لكن بدلاً من موائد الفرق الأربعة وجد أكثر من مائة مائدة صغيرة، وجميعها في نفس الاتجاه. أمام كل منها جلس طالب، محني الظهر على رقعة من الورق، يكتب عليها بسرعة. الصوت الوحيد الذي سمعه، هو احتكاك ريشات الكتابة بالورق، وصوت تعديل وضع الأوراق بين الحين والآخر وأحدهم يحرك ورقه. كان من الواضح أن هذا امتحان.

دخلت الشمس من النوافذ العالية لتطل على الرءوس المحنية، التي أخذت تلمع بألوان كستنائية وشقراء في مواجهة الضوء الساطع. نظر «هاري» حوله بحرص. لا بد أن «سناب» هنا في مكان ما.. فهذه ذكراه هو.

ها هو جالس إلى المائدة الواقعة خلف «هاري» تمامًا. نظر إليه «هاري». «سناب» المراهق له جسد نحيل وكئيب، مثل نبتة تنمو في الظلام. كان شعره ناعمًا ولامعًا ويصل إلى المائدة، وأنفه المعقوف على مسافة نصف بوصة من سطح الورقة التي يكتب عليها. دار «هاري» من خلف «سناب» وقرأ المكتوب أعلى ورقة الامتحان: الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود - مستوى السحر العادي.

إذن فلابد وأن «سناب» في سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة، تقريبًا في نفس سن «هاري». طارت يده عبر الورقة، كتب ما لا يقل عن قدم، أكثر من أقرب طالب إليه، وخطه صغير ومتداخل. «باقٍ من الوقت خمس دقائق».

جفل «هاري» مع الصوت.. وهو يلتفت، رأى قمة رأس الأستاذ «فليتويك» تتحرك بين المكاتب على مسافة قصيرة. سار الأستاذ «فليتويك» إلى جوار ولد، له شعر أسود غير مصفف.. شعر أسود غير مصفف بالمرة.

تحرك «هاري» بسرعة - إن كان معها متجسد وله كيان مادي - تجعله يصطدم بالموائد. بدلاً من هذا، أخذ يسري وكأنه يحلم عبر ممرين بين الموائد، وإلى ثالث. اقترب منه رأس الولد أسود الشعر أكثر. استقام في جلسته، ووضع ريشته على الورق، وقرب رقعة الورق منه؛ حتى يقرأ ما كتبه.

توقف «هاري» أمام المائدة وحدّق في أبيه ذي الخمسة عشر ربيعًا.

خفق قلبه بشدة، كأنه يرى نفسه لكن مع خطأ ما. فعيون «جيمس» عسلية،

وأنفه أطول من أنف «هاري»، ولا توجد ندبة على جبينه، لكن له نفس الوجه الرفيع، ونفس الفم، ونفس الحاجبين. وجد شعره غير مصفف مثل شعره تماماً، وعرف أن يد أبيه مثل يده، وأنه لو وقف سيجد طولهما «متماثلاً».

تثاءب «جيمس» بقوة وعبث في شعره ليجعله أقل تصفيفًا مما كان. ثم وبنظرة مختلسة إلى الأستاذ «فليتويك»، التفت في مقعده وابتسم للصبي الجالس على مسافة أربعة مقاعد خلفه.

رأى «هاري» «سيرياس» يرفع أصبعه مشجعًا «جيمس». كان «سيرياس» جالسًا في مقعده وقد أماله للخلف. كان وسيمًا، وشعره الأسود يتدلى على عينيه بطريقة أنيقة لم تتوافر لـ«هاري» ولا «جيمس» أبدًا، حتى أن الفتاة الجالسة خلفه أخذت ترمقه بأمل، بالرغم من أنه لم يلاحظها. وعلى مسافة مقعدين آخرين من تلك الفتاة، رأى «هاري» «ريموس لوبين». بدا شاحبًا ونحيلاً (هل يقترب القمر من الاكتمال بدرًا؟) ومستغرقًا تمامًا في امتحانه. أخذ يقرأ إجاباته، ويحك ذقنه بطرف ريشته، مقطب الجبين قليلاً.

إذن، فهذا يعني أن «وورمتيل» قريب من هنا هو الآخر. وها هو. رآه «هاري» بعد لحظات: ولدًا ضئيلاً بشعر كشعر الفئران وأنف حاد. بدا «وورمتيل» متوترًا. وأخذ يمضغ أظفاره، ويحك الأرض بقدميه. من الحين للآخر، يلقي بنظرة آملة إلى ورقة جاره. نظر «هاري» إلى «وورمتيل» لحظة، ثم عاد إلى «جيمس» الذي أخذ يكتب في رقعة ورق صغيرة. أخرج من جيبه كرة «سنيتش» وكتب بالريشة حرفي: «L.E.» لاتينية. ماذا تعني يا ترى؟

قال الأستاذ «فليتويك» بصوته الرفيع: «أنزلوا الريشات من فضلكم. وأنت معهم يا ستيبنز. ابقوا في مقاعدكم من فضلكم، بينما أجمع أوراقكم. أكيو».

طار ما يزيد على مائة ورقة في الهواء واستقرت على ذراع الأستاذ «فليتويك» الممدودة، ليسقط أرضًا. ضحك البعض، ونهض اثنان من الطلبة الجالسين في الصفوف الأمامية، وأخذا بيد الأستاذ «فليتويك» من تحت مرفقه؛ ليرفعاه ثانية إلى قدميه.

قال الأستاذ «فليتويك» لاهثًا: «شكرًا. شكرًا.. رائع. يمكنكم الخروج جميعًا».

نظر «هاري» إلى أبيه الذي شطب بسرعة كلمة L.E. التي كتبها، وهب واقفًا، وألقى بريشة الكتابة وورقة الامتحان في حقيبته، التي رفعها على ظهره، ثم وقف ينتظر انضمام «سيرياس» إليه.

نظر «هاري» إلى «سناب» الذي تقدم بين الموائد إلى أبواب القاعة الأمامية، وهو ما زال غارقًا في ورقة امتحاناته. بأكتاف مستديرة ومهدلة، سار بطريقة غريبة أشبه بحركة العنكبوت، وشعره اللامع يتناثر حول وجهه.

فصلت جماعة من البنات الثرثارات «سناب» عن «جيمس» و«سيرياس» و«لوبين»، وعندما دخل «هاري» وسطهن تمكن من متابعة «سناب» بعينيه وهو ينصت لما يقوله «جيمس» وأصدقاؤه.

تساءل «سيرياس» وهم يلجون إلى القاعة الأمامية: «ما رأيك في السؤال العاشر يا موني؟».

قال «لوبين» بخفة: «سؤال رائع. اذكر خمس علامات تعرف بها المذءوب. سؤال ممتاز».

قال «جيمس» بنبرة اهتمام ساخرًا: «هل تعتقد أنك عرفت كل العلامات؟».

قال «لوبين» بجدية وهم ينضمون للجمع المتحلق حول الأبواب الأمامية متلهفًا للخروج إلى الفناء النهاري: «أعتقد هذا. واحد: يجلس على مقعدي. اثنان: يرتدي ملابسي. ثلاثة: اسمه ريموس لوبين».

كان «وورمتيل» هو الوحيد الذي لم يضحك.

وقال بجدية: «كتبت علامة شكل الأنف، وحدقة العين، والذيل. لكن لم أجد ما أذكره بخلاف هذا..».

قال «جيمس» بنفاد صبر: «يالغباءك يا وورمتيل. أنت تجري إلى جوار مذءوب متحول مرة في الشهر..». فقال «لوبين» بحدة: «اخفض صوتك».

نظر «هاري» خلفه بقلق ثانية. ظل «سناب» بالقرب، وما زال رأسه مدفونًا في ورقة الأسئلة ـ لكن هذه ذكرى «سناب» و«هاري» واثق من أن «سناب» إن اختار السير في مسار مختلف فلن يقدر هو على اتباع «جيمس». لكنه تنفس الصعداء عندما هرول «جيمس» وأصحابه الثلاثة إلى جانب البحيرة، وتبعهم «سناب»، وهو ما زال مركزًا انتباهه على ورقة الأسئلة، ومن الواضح أن ليس لديه فكرة إلى أين يتوجه، وبحفاظه على مسافة بينهما وهو أمامه، تمكن «هاري» من مراقبة «جيمس» والآخرين.

سمع «سيرياس» يقول: «أعتقد أن الامتحان كان سهلاً جدًا. لن أندهش لو حصلت على درجة عالية فيه».

قال «جيمس»: «وأنا أيضًا». ثم وضع يده في جيبه؛ ليخرجها وكرة «السنيتش» الذهبية تقاوم قبضة يده بعد أن خرجت يده بها.

«من أين حصلت على هذه؟».

قال «جيمس» باستخفاف: «سرقتها». أخذ يلعب بالكرة، يسمح لها بالطيران لمسافة قدم قبل أن يمسكها ثانية.. كانت ردود فعله ممتازة. راقبه «وورمتيل» بدهشة وإعجاب.

وقفوا في ظلال نفس الشجرة على حافة البحيرة التي يقضي تحتها «هاري» و«رون» و«هيرميون» يوم الأحد ينهون واجبهم، واستلقوا على العشب. نظر «هاري» من فوق كتفه ثانية ليرى - لسروره - أن «سناب» قد استقر على العشب في ظل شجيرات كثيفة. كان مستغرقًا بكل جوارحه في ورقة الامتحان، وهو ما أعطى «هاري» حرية الجلوس بين الشجرة والشجيرات يراقب أربعتهم. سطع ضوء الشمس على سطح البحيرة الناعم. وعلى شاطئها، جلست مجموعة من الفتيات الضاحكات، وأحذيتهن وجواربهن مخلوعة، وأخذن يبردن أقدامهن في ماء البحيرة.

أخرج «لوبين» كتابًا وأخذ يقرأ. نظر «سيرياس» حوله إلى الطلبة الجالسين على العشب، وعلى وجهه أمارات الملل والضجر، لكن بوسامة فائقة. أخذ «جيمس» يلعب بالـ«سنيتش»، يتركها تبتعد حتى تكاد تهرب وفي اللحظة الأخيرة يمسك بها. و«وورمتيل» يراقبه بفم مفتوح مندهش. وكل مرة يقوم «جيمس» بمسكة صعبة؛ يشهق «وورمتيل» ويهلل. بعد خمس دقائق على هذا الحال، تساءل «هاري»: لماذا لا يقول «جيمس» لـ «وورمتيل» أن يكف عن التهليل، لكن يبدو أنه يسره الاهتمام المركز عليه. لاحظ «هاري» أن أباه تلازمه عادة التخلل بيده في شعره؛ حتى يبقى دائمًا غير مهندم أو مصفف، ولاحظ أنه ينظر للفتيات الجالسات إلى جوار البحيرة.

قال «سيرياس» أخيرًا و«جيمس» يمسك بالكرة برشاقة ويهلل «وورمتيل» ثانية: «هلا أبعدت هذه الكرة قبل أن يبلل وورمتيل نفسه من الإثارة».

احتقن وجه «وورمتيل» قليلاً باللون الوردي، لكن «جيمس» ابتسم.

قال وهو يعيد الكرة إلى جيبه: «إن كان هذا يضايقك». فهم «هاري» أن «سيرياس» هو الشخص الوحيد الذي يكف «جيمس» عن الاستعراض بناء على طلبه.

قال «سيرياس»: «أشعر بالملل. أتمنى لو كان القمر بدرًا».

قال «لوبين» بغموض من خلف كتابه: «ما زال أمامنا امتحان مادة التحويل، يمكنك التسميع لي، تفضل..». وناوله كتابه

لكن «سيرياس» قال: «لست بحاجة للنظر في هذا الشيء، أعرف كل ما به».

قال «جيمس» بهدوء: «انظر يا بادفوت.. أعرف أن هذا سيسعدك..».

دار رأس «سيرياس». ثبت في مكانه؛ ككلب يستعد للانقضاض على أرنب، قال بصوت خافت: «رائع.. سنيفيلوس». التفت «هاري»؛ ليرى لمن ينظر «سيرياس».

هب «سناب» واقفًا ثانية، وأدخل ورقة الامتحان في حقيبته. وهو يغادر ظل الشجيرات ويشرع في السير على العشب، نهض «سيرياس» و«جيمس».

ظل «لوبين» و«وورمتيل» جالسين.. «لوبين» يقرأ في كتابه وعيناه لا تتحركان على السطور ولمحة تقطيبة صغيرة بين حاجبيه، و«وورمتيل» ينقل بصره بين «سيرياس» و«جيمس» و«سناب» باهتمام.

قال «جيمس» بصوت مرتفع: «هل أنت بخير يا سنيفيلوس؟».

تصرف «سناب» بسرعة وكأنه يتوقع هجومًا عليه. أسقط حقيبته، وأدخل يده إلى ثنيات عباءته وأخرجها وفيها عصاه السحرية مشهرة في الهواء، بينما «جيمس» يقول: «*إكسبيل أرموس*».

طارت عصا «سناب» مسافة النتى عشرة قدمًا في الهواء وارتطمت بصوت خفيض على العشب خلفه. صدر عن «سيرياس» ضحكة أشبه بالنباح.

قال مشيرًا بعصاه إلى «سناب»: «إمبيديمنتا». فسقط أرضًا، بينما هو ينحني؛ ليلتقط عصاه التي سقطت.

تجمع الطلبة من حولهم؛ للمشاهدة. نهض بعضهم واقفين واقتربوا، بعضهم الآخر بدا عليه القلق، والبعض الآخر رأى الأمر أشبه بالتسلية.

رقد «سناب» يلهث على الأرض. تقدم منه «جيمس» و«سيرياس»، وعصيهم السحرية مرفوعة. اختلس «جيمس» نظرة إلى الفتيات من خلفه وهو يتقدم. نهض «وورمتيل» وراقب بجشع ما يجري وهو يدور حول «لوبين»؛ بحثًا عن زاوية مشاهدة أفضل. قال «جيمس»: «كيف سار الامتحان معك يا سنيفلي؟».

قال «سيرياس» بقسوة: «كنت أراقبه. لم يرفع أنفه عن الورقة. ستجد عليها بقعًا دهنية، ولن يقدروا على قراءة كلمة منها».

ضحك بعض المشاهدين، فمن الواضح أن «سناب» غير محبوب بينهم. ضحك «وورمتيل» ضحكة حادة، وحاول «سناب» النهوض، لكن اللعنة التي أصابته لم يخف أثرها، أخذ يصارع؛ للقيام وكأنه مربوط بحبل خفي.

قال لاهثًا محدقًا في «جيمس» بتعبير كراهية عميق: «انتظر.. سأريك».

قال «سيرياس» ببرود: «ينتظر ماذا؟ ماذا ستفعل يا سنيفلي؟ هل ستتمخط علينا؟».

صدر عن «سناب» خليط من السباب والتعاويذ، لكن عصاه كانت على مسافة عشر أقدام ولم يحدث شيء.

قال «جيمس» ببرود: «لتغسل فمك.. سكورجيفاي».

خرجت فقاقيع صابون وردية من فم «سناب» على الفور، وغطى الصابون شفتيه فسعل، وأحسَّ بالاختناق.

«دعه لشأنه».

التفت «جيمس» و«سيرياس» خلفهما، وصعدت يد «جيمس» بتلقائية إلى شعره.

كانت واحدة من الفتيات الجالسات أمام البحيرة. كان شعرها أحمر كثيفًا ويتهدل على كتفيها، وعيناها خضراوين لامعتين مثل عين «هاري» تمامًا.

أم «هاري».

قال «جيمس» ونبرة صوته قد صارت عذبة وأعمق وأكثر نضجًا فجأة: «هل أنت بخير يا إيفانز؟». ردت «ليلي»: «دعه لشأنه. ماذا فعل لك؟».

قال «جيمس» وكأنه يبرز ما يريد قوله متعمدًا: «المسألة أنه موجود، أعتقد أنك تفهمين ما أعني..».

ضحك بعض المحيطين بهم من الطلبة، ومنهم «سيرياس» و«ووورمتيل». لكن «لوبين» الذي ركز بصره على كتابه لم يضحك، ولا ضحكت «ليلي».

قالت ببرود: «أترى نفسك مرحًا؟ لكنك متعجرف ومغرور يا بوتر. دعه لشأنه».

قال «جيمس» بسرعة: «سأفعل إن وافقت على الخروج معي يا إيفانز. هيا. اخرجي معي ولن أصوب عصاي السحرية نحو سنيفلي ثانية».

من خلفه أخذ مفعول تعويذة الإعاقة في التلاشي. بدأ «سناب» يقترب من عصاه الواقعة، ويبصق فقاقيع الصابون وهو يزحف.

قالت «ليلي»: «لن أخرج معك لو كنت سأختار بينك وبين حبار عملاق».

قال «سيرياس» بخفة وهو يلتفت ثانية إلى «سناب»: «حظ سيئ يا بورنجس. أنتـ..».

لكنه تأخر، فقد صوب «سناب» عصاه إلى «جيمس» مباشرة. صدر عنها ضوء لامع وأصيب «جيمس» إصابة مباشرة في وجهه، ليتدفق الدم من وجهه على عباءته. دار «جيمس» على عقبيه.. وبعد ثانية وبعد لمعان عصاه هو الآخر، وجد «سناب» نفسه معلقًا من قدميه في الهواء، وقد سقطت عباءته على وجهه لتكشف عن ساقين نحيلتين شاحبتين وسروال رمادي قصير.

ضحك الكثير من المتحلقين حولهم. وتفجرت ضحكات «سيرياس» و«جيمس» و«ووورمتيل».

أما «ليلي» التي ارتسم تعبير غريب على وجهها كأنها تقاوم الضحك، فقد قالت بعد ثانية: «اتركه».

قال «جيمس» وهو يرفع عصاه لأعلى: «حاضر».. سقط «سناب» على الأرض متكومًا، وهو يخلص عباءته من تحته هب واقفًا، ورفع عصاه، لكن «سيرياس» قال: «بتريفيكوس توتالوس» وسقط «سناب» وطرح أرضًا ثانية وهو متجمد كاللوح.

صاحت «ليلي» وقد شهرت عصاها هي الأخرى: «دعوه لشأنه».. فنظر إليها «جيمس» و«سيرياس» بحذر.

قال «جيمس» بجدية: «إيفانز. لا تجبريني على إصابتك بتعويذة».

«جربـ.. هيا حاول».

تنهد «جيمس» بعمق، ثم التفت إلى «سناب» وغمغم بالتعويذة المضادة.

قال و«سناب» يجاهد للوقوف على قدميه: «ها أنت ذا. من حسن حظك أن إيفانز موجودة يا سنيفيلوس..».

«لست بحاجة إلى مساعدة ذات الدم الطيني النجس من أمثالها».

طرفت عينا «ليلي».

قالت ببرود: «رائع.. إذن، لن أزعج نفسي بمساعدتك فيما بعد. ولو كنت مكانك لغسلت سروالي يا سنيفيلوس».

صاح «جيمس» في «سناب» وعصاه مرفوعة موجهة إليه: «اعتذر لإيفانز».

صاحت «ليلي» وهي تلتفت إلى «جيمس»: «لا أريد اعتذاره.. وأنت مثله تمامًا».

صاح «جيمس»: «ماذا؟ ما كنت لأقول عليك أبداً ما قاله».

«أنت تعبث بشعرك؛ لأنك ترى نفسك وسيماً هكذا وكأنك ترجلت عن مقشتك الطائرة منذ لحظات، وتستعرض بتلك الكرة الغبية، وتسير في الممرات تصيب كل من يزعجك بالتعاويذ فقط؛ لأنك تقدر على هذا.. يدهشني أن مقشتك تطير من على الأرض وعليها ذلك الرأس المثقل بالغباء. أنت تصيبني بالغثيان».

دارت على عقبيها وسارعت بالابتعاد.

صاح «جيمس» فيها: «إيفانز.. يا إيفانز». لكنها لم تلتفت.

قال «جيمس» محاولاً التظاهر بأن الأمر لا يهمه، وإن فشل في هذا: «وما خطبها؟».

قال «سيرياس»: «من قراءتي لما بين السطور أرى أنها تراك مغروراً قليلاً يا صاحبي». قال «جيمس» وقد بدا عليه الغضب: «طيب!».

دفقة أخرى من الضياء الساطع وتعلق «سناب» ثانية مقلوباً في الهواء.

«من يريد نزع سروال سنيفلي؟».

لكن سواء نزع «جيمس» سروال «سناب» أم لم ينزعه، فلن يعرف «هاري» أبداً. أحكمت يد قبضتها حول ذراعه، وكأنها كلابات. وهو يجفل من الألم نظر «هاري» حوله؛ ليرى من يمسكه، ورأى لرعبه المطلق «سناب» البالغ واقفاً إلى جواره ووجهه أبيض شاحب من الغضب. «تراك مستمتعاً بوقتك؟».

شعر «هاري» بنفسه يطير في الهواء. النهار الصيفي يتبخر من حوله.. أخذ يطير عبر الظلام البارد ثانية، ويد «سناب» مطبقة حول ذراعه. ثم وبإحساس وكأنه انقلب رأساً على عقب في الهواء، ضربت قدمه الأرض الحجرية في مكتب «سناب» ووقف إلى جانب المفكرة السحرية في الحجرة المظلمة لمعلم مادة الوصفات السحرية.

قال «سناب» قابضاً على ذراع «هاري» بإحكام حتى أنه بدأ يشعر بالخدر فيها: «إذن.. إذن فأنت تستمتع بوقتك. أليس كذلك يا بوتر؟».

قال «هاري» محاولاً الإفلات من يده: «لـ.. لا».

شعر بالرعب؛ شفتا «سناب» ترتجفان، ووجهه أبيض، وأسنانه مكشوفة.

قال «سناب» وهو يهزه بقوة جعلت عويناته تسقط على أنفه: «رجل مدهش أبوك هذا. أليس كذلك؟».

«لـ.. لم...».

أبعد «سناب» «هاري» عنه بكل قوته، فسقط على أرض المكتب.

صاح «سناب»: «لن تقول لأحد ما رأيته اليوم».

قال «هاري» ناهضاً على قدميه وهو يبتعد عن معلمه قدر استطاعته: «لا.. لن أفعل».

«اخرج.. اخرج، لا أريد رؤيتك في مكتبي ثانية».

و«هاري» يهرع إلى الباب تفجر برطمان من الصراصير الميتة فوق رأسه. فتح الباب وطار إلى الممر، ولم يتوقف إلا عندما أصبح بينه وبين «سناب» ثلاثة طوابق. وقتها فقط، مال على الجدار لاهثاً، وربت على ذراعه المصاب.

لم يرغب في العودة إلى برج «جريفندور» مبكراً هكذا، ولم يرد إخبار «رون» و«هيرميون» بما رآه لتوه، ليس الصياح ولا سقوط البرطمانات عليه ما جعله يشعر بالخوف والتعاسة لكن لأنه يعرف مدى الإحراج الذي يشعر به المرء عندما يُهان أمام الناس، ويعرف تماماً بما شعر «سناب» ووالده يهينه هكذا، ومما رآه عرف أن أباه كان متعجرفاً كما قال «سناب» عنه.

٢٩

النصـــح المهنـــى

«لكن، لماذا لم تعد تحضر دروس الأوكلوميتسى؟». كان هذا سؤال «هيرميون» المقطبة الجبين.

غمغم «هارى» قائلاً: «أخبرتك.. سناب يرى أننى أستطيع إكمال التدرب بعد أن عرفت الأساسيات».

قالت «هيرميون» بريبة: «إذن، فهل كففت عن الحلم بتلك الأحلام الغريبة؟».

قال من دون أن ينظر إليها: «أجل».

قالت بضيق: «لا أعتقد أن لسناب الحق فى إيقاف الدروس حتى تتمكن من التحكم فى أحلامك بمهارة. هارى، أرى أن عليك العودة إليه وسؤاله أن...».

قال «هارى» بقوة: «لا.. أنهى الموضوع يا هيرميون».

كان أول يوم من أيام إجازة عيد الفصح، وقضت «هيرميون» - كعادتها - معظم اليوم تخطط لجداول المذاكرة لثلاثتهم. تركها «هارى» و«رون» تجهزها، فهذا أسهل من الجدال معها، وعلى أية حال، فهما يجدانها مفيدة.

انزعج «رون» عندما عرف أنه لم يبق سوى ستة أسابيع على الامتحانات.

تساءلت «هيرميون» وهى تطرق بعصاها المربعات الصغيرة فى الجدول، المعبرة عن المواد الدراسية المختلفة، فيلمع كل مربع بضوء مختلف: «لماذا صدمت هكذا؟».

قال «رون»: «لا أعرف.. فقد حدث الكثير مما شغلنى».

قالت وهى تناوله جدوله: «حسنًا.. إن اتبعته كما خططته؛ فستنجح بلا مشكلات».

نظر إليه «رون» بوجوم، ثم أشرق وجهه.

«لقد تركت لى وقت استراحة مساء يوم واحد فى الأسبوع».

قالت «هيرميون»: «هذا متروك لتمرين الكويدتش».

تلاشت الابتسامة من على وجه «رون».

قال ببلادة: «وما الداعى؟ فرصة حصولنا على كأس الكويدتش هذا العام مثل فرصة أبى فى أن يصبح وزيراً للسحر».

لم تنطق «هيرميون». كانت ما زالت تنظر إلى «هارى»، الذى أخذ يحدق

بتمعن غائب فى الحائط المقابل من حجرة الطلبة، بينما «كروكشانكس» يمد رأسه إلى يده، محاولاً حك أذنيه عليها. «ما الأمر يا هارى؟».

قال بسرعة: «ماذا؟ لا شىء».

قبض على نسخته من كتاب (نظرية السحر الدفاعى)، وتظاهر بالنظر إلى شىء ما فى الفهرست. تخلى عنه «كروكشانكس» كأنه مزحة سخيفة وتراجع إلى أسفل مقعد «هيرميون».

قالت «هيرميون» بتردد: «رأيت تشو اليوم.. تبدو فى حالة تعيسة هى الأخرى. هل تشاجرتما ثانية؟».

قال «هارى» قابضًا على طرف الحديث بامتنان: «ماذ.. آه.. أجل، تشاجرنا».

«وما السبب؟». قال «هارى»: «بسبب صديقتها الواشية.. ماريتا».

قال «رون» بغضب وهو ينحى جدول مذاكرته جانبًا: «أجل، لا ألومك على الشجار، إن لم تكن هى التى أحضرتها..».

أخذ «رون» يثرثر عن «ماريتا إيدجكومب»، وهو ما وجده «هارى» فى صالحه.. كل ما عليه فعله هو التظاهر بالغضب والإيماء برأسه وقول: «أجل» و«هذا صحيح» كلما قال «رون» شيئًا؛ ليترك عقله يفكر بتعاسة فيما رآه فى المفكرة.

شعر كأن الذكرى تأكله من الداخل. كان واثقًا من أن والديه رائعان، حتى إنه لم يجد صعوبة فى تكذيب ما قاله «سناب» عن شخصية والده. ألم يقل أشخاص مثل «هاجريد» و«سيرياس» كم كان والد «هارى» رائعًا؟ (آه.. فعلاً.. وسيرياس نفسه كان مثله.. كان شريرًا، أليس كذلك؟) بلى، لقد سمع الأستاذة «مكجونجال» مرة تقول إن أباه و«سيرياس» كانا من مثيرى الشغب وهما فى المدرسة، وقالت إنهما رائدان سبقا التوأمين «ويسلى»، لكن «هارى» لم يتخيل أبداً أن يعلق «فريد» و«جورج» شخصًا ما هكذا؛ لمجرد الضحك.. حتى إن كانا يحتقرانه ويكرهانه لسبب ما.. ربما «مالفوى» أو غيره يستحق هذا..

حاول إقناع نفسه بأن «سناب» استحق ما عاناه على يدى «جيمس»، لكن وكما قالت «ليلى»: «ماذا فعل لك؟».. ألم يرد «جيمس» قائلاً إن وجوده ذاته هو ما يزعجه؟ ألم يبدأ «جيمس» التعنيف لمجرد أن «سيرياس» قال:

إنه يشعر بالملل! تذكر «هاري» ما قاله «لوبين» في «جريمولد بليس» عن أن «دمبلدور» قد جعله رائدًا للفصل: أملاً في ممارسة بعض التحكم على «جيمس» و«سيرياس»... لكن في المفكرة كان جالسًا ولم يتحرك لمواجهة ما جرى.

أخذ «هاري» يذكّر نفسه بأن «ليلي» قد تدخلت... أمه كانت مهذبة وطيبة، لكن ذكرى النَّظرة التي ارتسمت على وجهها وهي تصيح في «جيمس» أزعجته أكثر من أي شيء آخر. كانت تكره «جيمس» وهذا واضح، ولم يفهم «هاري» كيف انتهى بهما الأمر بالزواج. مرة أو مرتين، تساءل إن كان «جيمس» قد أجبرها عليه.

لمدة خمس سنوات، كانت ذكرى والديه مصدرًا لراحته وإلهامه. كلما أخبره شخص أنه مثل «جيمس» يشعر بالفخر. أما الآن، فهو يشعر بالبرودة والتعاسة عندما يفكر فيه.

أصبح الهواء أقوى، وأدفأ مع مرور إجازة عيد الفصح، لكن «هاري» من دون باقي طلبة الصفين الخامس والسابع كان محبوسًا داخل المكتبة راتعًا غاديًا فيها. تظاهر بأن حالته المزاجية السيئة سببها اقتراب الامتحانات، فقد كان رفاقه من طلبة «جريفندور» مطحونين من المذاكرة هم الآخرون، وهكذا لم يجد من يشكك في قوله. «هاري، أنا أتحدث إليك... هل تسمعني؟».

«هاه؟».

أدار رأسه. رأى «جيني ويسلي» في حالة سيئة، وكانت قد انضمت إليه على مائدة المكتبة حيث جلس وحده. كان الوقت مساء الأحد... وقد عادت «هيرميون» إلى برج «جريفندور» لتذاكر، وخرج «رون» إلى تمرين «الكويدتش».

قال «هاري» وهو يجذب كتبه إليه: «آه... أهلاً... لماذا لا تتمرنين؟».

قالت «جيني»: «لقد انتهى... وأخذ رون جاك سلوبر إلى جناح المستشفى».

«لماذا؟».

تنهدت وقالت: «لا أعرف بالضبط، لكن نعتقد أنه ضرب نفسه بمضربه. المهم... وصل طرد بريدي، وقد خرج لتوه من عملية تفتيش أمبريدج الجديدة».

رفعت صندوقًا ملفوفًا بورق بني على المائدة... من الواضح أنه قد تم فكه وإعادة ربطه بإهمال، وُجدت ورقة مكتوبة بالحبر الأحمر عليها: «تم التفتيش والتسليم من جانب مفتشة هوجورتس العليا».

قالت «جيني»: «إنه بيض عيد الفصح من أمي... هناك واحدة إليك، ها هي». ناولته بيضة شيكولاتة جميلة مزينة برسوم لكرات «سنيتش» صغيرة، وداخلها كيس من الحلوى. نظر إليه «هاري» لحظة، ثم شعر بالخوف عندما أحس بورم يتكوّن في حلقه. سألته «جيني» بهدوء: «هل أنت بخير يا هاري؟».

قال بصوت أجش: «أجل بخير». أحس بالألم من الورم. لم يفهم لماذا تجعله بيضة عيد الفصح يشعر بهذا!!

قالت «جيني»: «تبدو حزينًا في الفترة الأخيرة. أنا واثقة من أنك إذا تحدثت مع تشو...».

قال «هاري» بفظاظة: «ليست تشو هي من أريد الكلام معه».

سألته «جيني»: «مَن إذن؟».

«أنا...».

نظر حوله: ليضمن أن لا أحد يسمعه. كانت مدام «بينس» على مسافة عدة رفوف، وهي تخرج كومة من الكتب: لتناولها لـ «هانا آبوت» المذعورة. فمغم: «أتمنى لو أحادث سيرياس. لكن أعرف أنني لا أقدر».

فض ورق بيضة عيد الفصح: ليعطي نفسه شيئًا يفعله أكثر من حاجته إليها، وكسر جزءًا منها ووضعه في فمه.

قالت «جيني» ببطء وهي تفض بيضتها هي الأخرى: «حسنًا. إن كنت تريد التحدث إلى سيرياس هكذا فيمكن أن نفكر في طريقة للقائه».

قال «هاري»: «لا يمكن. مع مراقبة أمبريدج لشبكة نيران المداخن وقراءتها البريدنا».

قالت «جيني» متفكرة: «فائدة الحياة مع فريد وجورج هي معرفة أن أي شيء ممكن: لو كان لديك الجرأة الكافية لتنفيذه».

نظر «هاري» إليها. ربما كان هذا تأثير الشيكولاتة - والتي طالما نصحه «لوبين» بأكلها بعد مواجهة «الديمنتورات» - أو ربما كان السبب أنه قد قال ما يرغب فيه منذ أسبوع، لكنه شعر ببعض التفاؤل.

«ماذا تفعلين؟»... همست «جيني» وهي تهب على قدميها: «اللعنة، نسيت...».

تقدمت منهما مدام «بينس»، ووجهها الهزيل يرتجف من الغضب.

صرخت: «شيكولاتة في المكتبة؟ اخرجا... اخرجا... اخرجا».

وهي تلوح بعصاها السحرية، جعلت كتب «هاري» وحقيبته، وقنينة حبره

تطارده هو و«جيني» وهما يخرجان من المكتبة؛ لتضربهما على رأسيهما وهما يجريان.

***

ولتذكيرهم بأهمية الامتحانات القادمة، تم توزيع كتيبات وملصقات تعلن عن وظائف متعددة في عالم السحر على موائد برج «جريفندور» قبل نهاية الإجازة بقليل، ومعها لافتة معلقة على لوحة الإعلانات بها:

النصح المهني

جميع طلبة الصف الخامس مدعوون لحضور اجتماع مع رؤساء فرقهم المدرسية خلال الأسبوع الأول من فصل الصيف الدراسي؛ لمناقشة مهنهم المستقبلية. المواعيد الفردية الطلبة مدرجة فيما يلي.

نظر «هاري» إلى القائمة فوجد موعده مع الأستاذة «مكجونجال» في مكتبها الساعة الثانية والنصف يوم الإثنين، وهو ما يعني أنه لن يحضر معظم حصة التنجيم. قضى هو وباقي طلبة الصف الخامس وقتًا لا يُستهان به من آخر أيام إجازة لعيد الفصح في قراءة المعلومات المتوافرة عن المهن، والتي تم تركها على الموائد ليقرأوها.

قال «رون» في الأمسية الأخيرة من الإجازة: «لا أحب مهنة الحكيم». كان غارقًا في قراءة كتيب عليه رمز العظمة والعصا السحرية لمستشفى «سانت مونجو». أضاف: «مكتوب هنا أنني بحاجة لدرجة «ص» (صعب بتكرر) على الأقل في امتحان الوصفات السحرية بشهادة الـ(إن. إي. دبليو. تي.)، وفي مواد علم الأعشاب والتحويل، والتعاويذ، والدفاع عن النفس ضد السحر الأسود اللعنة.. لا يطلبون الكثير. أليس كذلك؟».

قالت «هيرميون» بذهن شارد: «إنها مهنة تتطلب توافر قدر كبير من المسئولية.. أليس كذلك؟». كانت مستغرقة في قراءة كتيب وردي وبرتقالي عنوانه: «إذن، فأنت ترى نفسك قادرًا على إدارة العلاقات مع العامة؟». وأضافت: «لن تحتاج الكثير من المؤهلات للتعامل مع العامة.. كل ما تحتاجه هو شهادة (أوه. دبليو. إل.) في مادة دراسات العامة. بالإضافة إلى ما يقولونه هنا: الأهم هو حماسك، وصبرك، وحس الدعابة».

قال «هاري» بوجوم: «سنحتاجين إلى قدر كبير من حس الدعابة؛ للتعامل مع زوج خالتي.. وحس جيد لتفادي غضبه». كان يقرأ كتيبًا في يده، فقال: «اسمعوا، هل تبحث عن مهنة مليئة بالتحدي والترحال والمغامرات والبحث عن الكنوز؟ إذن، فكر في الانضمام لبنك جرينجوتس للسحرة، الذي يقوم حاليًا بتوظيف مسئولي فك اللعنات ممن يسعون للعمل بالخارج.. إنهم يبحثون عمن يجيدون الرياضيات السحرية يا هيرميون.. يمكنك شغل هذه الوظيفة».

كانت «هيرميون» مستغرقة في قراءة كتيب بعنوان: هل عندك الشجاعة الكافية؛ لتدريب الترول على أن يكون حارس أمن؟ وقالت: «لا أحب العمل بالبنوك».

تنامى صوت إلى مسامع «هاري» يقول: «أهلاً». كانا «فريد» و«جورج» وقد انضما إليهم. قال «فريد» وهو يمدد قدميه على المائدة أمامه؛ لتسقط بعض كتيبات النصح المهني ومعها كتيب عن وزارة السحر على الأرض: «كلمتنا «جيني» بشأنك.. تقول: إنك بحاجة إلى الكلام مع سيرياس.. أليس كذلك؟».

قالت «هيرميون» بحدة: «ماذا؟». وقد تجمدت وهي تلتقط كتيبًا: انضم بطريقة لطيفة مصلحة الحوادث والكوارث السحرية.

قال «هاري» محاولاً أن يبدو هادئًا: «أجل.. أجل.. أردت أن...».

قالت «هيرميون» وهي تستقيم في جلستها وتنظر إليه كأنها لا تصدق عينيها: «لا تكن سخيفًا.. مع مراقبة أمبريدج المدافئ والبوم.. ماذا ستفعل؟».

قال «جورج» متمطئًا: «بإمكاننا الوصول إلى طريقة.. المسألة ببساطة تتلخص في إحداث ما يشتت انتباهها. والآن، ربما تلاحظون أننا هادئان منذ الفوضى التي وقعت في ذلك اليوم وحتى الآن».

أكمل «فريد» كلام أخيه: «الفكرة هي أننا سألنا أنفسنا: ما فائدة إقلال راحتنا في وقت فراغنا؟ ووجدنا الإجابة ببساطة أنه لا فائدة بالمرة من الموضوع. بالطبع ستتسبب في التنغيص على الطلبة وهم يذاكرون، وهذا آخر ما نريده».

أومأ لـ«هيرميون» إيماءة توحي بالتقوى والأدب. بدت مندهشة من مراعاته لمشاعر الآخرين.

أردف «فريد»: «لكن سنعود إلى العمل كعادتنا بداية من الغد.. وإن تسببنا في بعض الجلبة، فلمَ لا نقوم بها حتى يتمكن هاري من الكلام مع سيرياس؟».

قالت «هيرميون» بطريقة من يشرح شيئًا بسيطًا لشخص متبلد: «لكن حتى ولو تسببتم في تشتيتها، فكيف سيتكلم هاري معه؟».

قال «هاري» بهدوء: «من مكتب أمبريدج؟».

أخذ يفكر في الأمر طوال الليلة الماضية ولم يجد بديلاً آخر، «أمبريدج» أخبرته بنفسها أن مدفأتها هي الوحيدة غير الخاضعة للمراقبة.

قالت «هيرميون» بصوت خفيض: «هل جننت؟».

خفض «رون» كتيبه عن العمل في تجارة القطن، وأخذ يراقب المناقشة بحذر.

قال «هاري» وهو يهز رأسه: «لا أعتقد».

«كيف ستصل إلى هناك إذن؟».

كان «هاري» جاهزاً للرد على هذا السؤال. قال: «سأستعمل سكين سيرياس».

«ماذا؟».

قال «هاري»: «في عيد الميلاد قبل الماضي، أعطاني سيرياس سكيناً يفتح أي قفل، حتى ولو سحرت الباب؛ حتى لا تعالجه تعويذة الوهوموورا، وهو ما أعتقد أنها تفعله».

سألت «هيرميون» «رون»: «وما رأيك في هذا الموضوع؟». فتذكر «هاري» على الفور طريقة السيدة «ويسلي» في استجواب زوجها أثناء عشاء «هاري» الأول في «جريمولد بليس».

قال «رون» وقد أزعجه سؤالها عن رأيه: «لا أعرف. إن أراد هاري هذا فله أن يقرر، أليس كذلك؟».

قال «فريد» وهو يربت على ظهر «رون» بقوة: «تتحدث كصديق حقيقي وكأحد أفراد عائلة ويسلي. المهم، نحن نفكر في فعل ما سنفعله غداً، بعد الدروس مباشرة؛ لأن هذا سيحقق أعظم الأثر على الجميع وهم بالممرات.. هاري، سنقوم بالعملية في الجناح الشرقي؛ لنسحبها بعيداً عن مكتبها.. أعتقد أنه يمكننا أن نضمن لك عشرين دقيقة؟». أضاف السؤال الأخير ناظراً إلى «جورج».

قال «جورج»: «بسهولة».

سأله «رون»: «وما نوع التشتيت هذا الذي تفكران فيه؟».

قال «فريد»: «سترى يا أخي الصغير» وهو ينهض مع «فريد» ثانية قال «ستعرف إن مررت في ممر جريجوري الدجال حوالي الساعة الخامسة غداً».

***

صباح اليوم التالي، أفاق «هاري» من نومه مبكراً جداً، شاعراً بقلق، مثل الذي شعر به صباح جلسة محاكمته في وزارة السحر. لم تكن فقط مسألة الدخول إلى مكتب «أمبريدج»، واستعمال مدفأتها في الكلام مع «سيرياس» هما ما يشعرانه بالتوتر، وإن كان هذا يكفيه للشعور بالتوتر، بل أيضاً وجد اليوم هو أول يوم له يقترب فيه من «سناب» منذ طرده الأخير من مكتبه.

بعد الرقاد لبرهة في الفراش مفكراً فيما ينتظره من أحداث اليوم، نهض «هاري» بهدوء تام وتحرك إلى النافذة المجاورة لفراش «نيفيل»، وحدّق في النهار المشرق اللامع. كانت السماء بلون أزرق صاف متلألئ، وأمامه مباشرة رأى شجرة الزان التي عذب أبوه يوماً «سناب» تحت ظلها. لم يكن واثقاً مما قد يقوله «سناب» له ليعوض نقصه عما رآه «هاري» في المفكرة السحرية، لكنه كان تواقاً لسماع حكاية «سيرياس» عما حدث؛ ليعرف إن كان ثمة عوامل مخففة لما وقع، أو أي عذر لسلوك أبيه.

جذب شيء ما انتباهه؛ حركة على طرف الغابة المحرمة. ركز بصره مجاهداً لضياء الشمس الشديد ليرى «هاجريد» يخرج من بين الأشجار. كان يعرج. ومع مشاهدة «هاري» له عرج «هاجريد» إلى باب كوخه واختفى خلفه. راقب الكوخ لدقائق. لم يخرج «هاجريد» ثانية، لكنه رأى الدخان يتصاعد من المدخنة، إذن فـ«هاجريد» لا يمكن أن يكون مصاباً إصابة خطيرة تعجزه عن إيقاد النيران.

التفت بعيداً عن النافذة، واتجه إلى حقيبته وشرع في ارتداء ثيابه.

مع انتظاره لاقتحام مكتب «أمبريدج»، لم يتوقع يوماً مريحاً، وكذلك لم يتوقع محاولات «هيرميون» الهائلة؛ لإقناعه بالعدول عما انتواه الساعة الخامسة. للمرة الأولى في حياتها، كان انتباهها مع الأستاذ «بينز» في حصة تاريخ السحر مماثلاً لانتباه «هاري» و«رون» فيها، وأخذت تلقي إليه بتيار متدفق من الهمسات حاول «هاري» تجاهله.

«.. وماذا لو أمسكت بك وأنت بالداخل؛ دعك من الفصل من المدرسة، ستخمن ما كنت تفعله، وأنك كنت تكلم سنافلس وهذه المرة ستجبرك على شرب الفيريتاسيرام وستجيب عن جميع أسئلتها..».

قال «رون» بصوت خفيض وبنبرة ساخطة: «هيرميون.. هلا كففت عن إقناع هاري واستمعت لبينز؟ أم تراك تريدين أن أكتب وراءه بنفسي؟».

«اكتب أنت على سبيل التغيير، فهذا لن يؤذيك».

لكن مع وصولهم إلى حصة الوصفات السحرية لم يتحدث «هاري» أو «رون» إلى «هيرميون»، ومع عدم عدولها عن إقناعه، استغلت صمتهما وأطلقت تيارًا من التحذيرات بلا توقف، وكلها بصوتها الهامس الأشبه بالهسيس، مما جعل «سيماس» يضيع خمس دقائق من وقته؛ باحثًا عن ثقوب بقدره يتسرب منها المحلول الساخن محدثًا هذا الهسيس.

أما «سناب»، فقد بدا وكأنه قد قرر التصرف كأن «هاري» غير موجود. كان «هاري» - بالطبع - قد اعتاد هذه الطريقة، كواحد من الأساليب المفضلة عند الخال «فرنون»، كما أنه لم يضطر للمعاناة من طريقة أخرى. في الواقع، مقارنة بما كان يتحمله فيما سبق من «سناب»، من تعليقات سخيفة ومضايقات مبالغ فيها، وجد هذه الطريقة نوعًا من التحسن في معاملته له، وسره أن يتركه لشأنه، فصار قادرًا على عمل الوصفة المطلوبة منه بسهولة. وفي نهاية الحصة وضع بعضًا من محلوله في دورق، وأغلقه، وأخذه إلى مكتب «سناب»؛ ليختبره ويعطيه درجة عليه، شاعرًا بأنه قد يحصل على درجة «ص».

التفت مبتعدًا عندما سمع جلبة شديدة، وسمع ضحكة «مالفوي» الجذلى. أدار «هاري» رأسه، وجد عينة وصفته السحرية سائلة على الأرض والدورق مكسورًا، و«سناب» يحدجه بنظرة حبور.

قال بصوت ناعم: «للأسف.. صفر آخر لك يا بوتر».

كان «هاري» ساخطًا إلى درجة لم يقدر معها على الكلام. عاد إلى قدره، قاصدًا ملء دورق آخر وإجبار «سناب» على إعطائه درجة عليه، لكنه رأى لرعبه الشديد أن باقي محتويات القدر قد اختفت.

قالت «هيرميون» ويدها مرفوعة إلى فمها: «آسفة.. آسفة حقًا يا هاري. حسبتك انتهيت، فنظفت لك قدرك».

لم يقدر «هاري» على إجابتها. عندما رن الجرس، سارع بالخروج من الحجرة دون أن ينظر خلفه، وجلس بين «نيفيل» و«سيماس» على مائدة الغداء؛ حتى لا تصل إليه «هيرميون» وتعاود تحذيره من استعمال مكتب «أمبريدج».

كان في حالة مزاجية سيئة مع بدء حصة التنجيم حتى أنه نسي موعد

مقابلته بشأن مهنته المستقبلية مع الأستاذة «مكجونجال»، متذكرًا فقط عندما سأله «رون» لماذا لم يذهب إلى مكتبها. هرول صاعدًا السلم ووصل إليها مبهور الأنفاس، متأخرًا بضع دقائق.

قال لاهثًا وهو يغلق الباب خلفه: «آسف يا أستاذة.. نسيت».

قالت بخفة: «لا يهمك يا بوتر» لكن وهي تتحدث كان هناك شخص جالس في الركن. التفت «هاري»؛ لينظر.

رأى الأستاذة «أمبريدج» جالسة ولوح الكتابة على ركبتها، وطوق حريري غريب الشكل حول رقبتها، وابتسامة سمجة قطيعة على وجهها.

قالت الأستاذة «مكجونجال» بأسلوب مهذب: «اجلس يا بوتر». كانت يداها ترتجفان قليلاً وهي تقلب في بعض الكتيبات التي تملأ مكتبها.

جلس «هاري» وظهره لـ«أمبريدج» وحاول التظاهر بأنه لا يسمع صرير ريشتها على الورق.

قالت الأستاذة «مكجونجال»: «انظر يا بوتر، هذا الاجتماع هدفه الحديث عن أفكارك الخاصة بالمهنة التي تبغيها، ولمساعدتك على تقرير أي المواد الدراسية تختار لتكمل دراستك في الصفين السادس والسابع. هل لديك أية أفكار عما تريد أن تفعله بعد خروجك من هوجورتس؟».

قال «هاري»: «أ...» وجد صوت الصرير من خلفه مزعجًا للغاية.

قالت الأستاذة «مكجونجال» مقاطعة «هاري»: «ماذا؟».

غمغم «هاري»: «يعني.. أرغب في.. ربما.. أقصد.. أريد أن أكون مقاتلاً للسحر الأسود».

قالت الأستاذة «مكجونجال» مستخرجة كتيبًا من بين الأوراق المكومة على مكتبها وهي تفتحه: «ستحتاج لأعلى الدرجات لتضمن هذه الوظيفة. مطلوب منك على الأقل النجاح بدرجات (صعب يتكرر) في خمس مواد دراسية في شهادة (إن. إي. دبليو. تي). ثم ستخضع لسلسلة طويلة وشاقة من الاختبارات الشخصية واختبارات الجدارة في قسم مقاتلي السحر الأسود.. إنه مستقبل مهني شاق يا بوتر، ولا يمتهنه سوى الأفضل. في الواقع، لا أعتقد أنهم قد ضموا أحدًا لهذه الوظيفة منذ ثلاث سنوات».

وقتها سعلت الأستاذة «أمبريدج» سعلة خفيفة صغيرة وكأنها تحاول معرفة مدى الهدوء الذي ستسعل به. تجاهلتها الأستاذة «مكجونجال».

استرسلت في كلامها بصوت أعلى قليلاً مما سبق: «عليك معرفة المواد الدراسية التي ستأخذها».

قال «هاري»: «أجل، مادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود.. أليس كذلك؟».

قالت الأستاذة «مكجونجال» بحسم: «هذا طبيعي.. كما أنصحك بـ...».

سعلت الأستاذة «أمبريدج» ثانية، سعلة أقوى هذه المرة. أغمضت الأستاذة «مكجونجال» عينيها للحظة، ثم فتحتهما ثانية، وأكملت كأن شيئًا لم يحدث: «كما أنصحك بأخذ مادة التحويل؛ لأن مقاتل السحر الأسود يحتاج إلى التحول كثيرًا أثناء عمله. كما يتوجب عليّ إخبارك يا بوتر بأنني لا أقبل الطلبة في شهادة الـ(إن. إي. دبليو تي) في فصلي إلا من يحصل منهم على درجة «صعب يتكرر» أو أعلى منها في شهادة مستوى السحر العادي، وأراك بحالتك هذه لن تأخذ درجة أعلى من «مقبول»؛ لذا فأنت بحاجة إلى الاجتهاد أكثر قبل الامتحانات؛ حتى تحصل على فرصة الإكمال في مادتي. ثم عليك بمادة التعاويذ، والوصفات السحرية كذلك. أجل يا بوتر، وصفات سحرية». ثم أضافت بما يشبه الابتسام: «السموم والأمصال المضادة لها، مفيدة في عمل مقاتلي السحر الأسود، وعليّ إخبارك بأن الأستاذ سناب يرفض تمامًا من يحصلون على درجة أقل من «امتياز» في اختبارات الـ(أو. دبليو. إل) في مادته، إذن...».

سعلت الأستاذة «أمبريدج» سعلة أقوى وأعلى صوتًا.

قالت الأستاذة «مكجونجال» بنبرة جافة من دون النظر للأستاذة «أمبريدج»: «هل تريدين دواءً للسعال يا دولوريس؟».

قالت «أمبريدج» بضحكة متكلفة يكرهها «هاري» كثيرًا: «لا، أشكرك كثيرًا. إنني أتساءل إن كان لي الحق في مقاطعتك يا ميترفا».

قالت الأستاذة «مكجونجال» من بين أسنانها: «أجرؤ على القول إن لك الحق».

قالت الأستاذة «أمبريدج» بعذوبة: «أتساءل إن كان السيد بوتر له موهبة مقاتلة السحر الأسود أم لا؟».

قالت الأستاذة «مكجونجال» بغطرسة: «حقًا»، ثم استمرت في كلامها مع «هاري» كأن أحدًا لم يقاطعها: «المهم يا بوتر، إن كنت جادًا في طموحك هذا، فإنني أنصحك بالتركيز في مادة التحويل، ومادة الوصفات السحرية

وإتقانهما إتقانًا تامًا. أرى أن الأستاذ فليتويك قد منحك درجتي مقبول وصعب يتكرر، عبر العامين الماضيين، كما أن قدرتك على عمل التعاويذ مرضية. أما بالنسبة للدفاع عن النفس ضد السحر الأسود، فإن درجاتك كانت عالية بصفة عامة، مع الأستاذ لوبين على الأخص بالرغم من أنك.. هل أنت واثقة من أنك لست بحاجة إلى دواء للسعال يا دولوريس؟».

قالت الأستاذة «أمبريدج» ضاحكة: «لا.. أشكرك يا ميترفا.. أنا فقط مهتمة بمسألة أنك قد لا تكونين على علم بدرجات بوتر في مادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود هذا العام. فأنا واثقة من أنني قد أرسلت لك ورقة بتقديري له».

قالت الأستاذة «مكجونجال» بنبرة اشمئزاز وهي تسحب ورقة وردية من بين الأوراق في ملف «هاري»: «ماذا؟ هذا الشيء؟». نظرت إليها، ورفعت حاجبيها قليلاً، ثم أعادتها إلى الملف من دون تعليق.

«المهم، كنت أقول يا بوتر إن الأستاذ لوبين قال إن لديك موهبة كبيرة في هذه المادة، وبالنسبة لوضعك كراغب في العمل كمقاتل للـ...».

تساءلت الأستاذة «أمبريدج» بنبرة معسولة وقد نسيت السعال هذه المرة: «هل فهمت ورقتي يا ميترفا؟».

قالت الأستاذة «مكجونجال» وأسنانها مطبقة حتى أن الكلمات خرجت غير واضحة: «فهمتها بالطبع».

«أنا لا أفهم إذن.. لا أفهم كيف تعطين السيد بوتر أملاً زائفًا في أنه...».

ردت الأستاذة «مكجونجال»: «أمل زائف؟». وهي ما زالت رافضة النظر إلى الأستاذة «أمبريدج»، أضافت: «لقد حصل على أعلى الدرجات في اختبارات الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود...».

«يؤسفني معارضتك يا ميترفا.. لكن، كما ترين من ورقتي، فهاري يحرز تقدمًا بطيئًا للغاية في حصصي...».

قالت الأستاذة «مكجونجال» وقد التفتت لمواجهة «أمبريدج» ناظرة إليها في عينيها: «كان عليّ إيضاح ما أقصده. لقد أحرز أعلى الدرجات في مادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود مع مدرسين أكفاء».

تلاشت ابتسامة الأستاذة «أمبريدج» فجأة، مثلما ينطفئ المصباح الكهربي. عادت للاسترخاء في مقعدها، وقلبت ورقة من لوح كتابتها، ثم

شرعت في الكتابة بسرعة، وعيناها الجاحظتان تدوران من جانب إلى آخر.

التفتت الأستاذة «مكجونجال» إلى «هارى»، وفتحتا أنفها الرفيعتان متسعتان من الضيق، وعيونها تكاد تحترق من الغيظ: «أي أسئلة يا بوتر؟»

قال «هارى»: «أجل.. ما الاختبارات الشخصية واختبارات الجدارة التي تعقدها الوزارة إن لم أحصل على درجات (إن. إى. دبليو. تى.) كافية؟»

قالت الأستاذة «مكجونجال»: «اختبارات خاصة بالقدرة على التعامل مع المواقف الصعبة، والعمل تحت الضغط وما إلى ذلك، والمثابرة والإخلاص في العمل؛ لأن تمرين المقاتل ضد السحر الأسود يأخذ ثلاث سنوات أخرى، هذا إلى جانب القدرات الفائقة في السحر الدفاعي العملي، وهو ما يعني الكثير من الكد والاجتهاد بعد أن تترك المدرسة، فإن لم تكن مجهزًا لـ...».

قالت «أمبريدج» وصوتها شديد البرود: «أعتقد أن الوزارة تجرى تحريات على من يرغب في العمل كمقاتل للسحر الأسود، وتفحص سجله الجنائي».

«... إن لم تكن مجهزًا لامتحانات أخرى بعد هوجورتس، فعليك البحث عن مهنة أخرى...».

«مما يعني أن فرصة هذا الصبي في أن يصبح مقاتلاً للسحر الأسود هي نفس فرصة عودة دمبلدور إلى هذه المدرسة».

قالت الأستاذة «مكجونجال»: «إذن فهي فرصة كبيرة».

قالت «أمبريدج» بصوت مرتفع: «لبوتر سجل جنائي حافل».

قالت «مكجونجال» بصوت أعلى: «أبرئت ساحته من كافة الاتهامات».

وقفت الأستاذة «أمبريدج».. كانت قصيرة حتى أن قيامها لم يمثل فارقًا، لكن غضبها الشديد جعل وجهها العريض المترهل شديد القبح مشئومًا.

«بوتر ليس لديه أية فرصة في أن يصبح مقاتلاً للسحر الأسود».

هبت الأستاذة «مكجونجال» واقفة هي الأخرى، لكن في حالتها فقد كان لنهوضها أثر بالغ، مع وقوفها على ارتفاع أعلى من «أمبريدج» بكثير.

قالت بصوت رنان: «بوتر، سأساعدك؛ حتى تصبح مقاتلاً للسحر الأسود إن كان هذا آخر ما أفعله في حياتي! سأدربك كل ليلة، وسأضمن أن تحصل على النتائج المطلوبة».

قالت «أمبريدج» بصوت مرتفع من الغيظ: «لن توظف الوزارة هارى بوتر».

صاحت الأستاذة «أمبريدج»: «سيكون للوزارة وزير جديد، عندما يصير بوتر مستعدًا للانضمام إليها».

صرخت الأستاذة «أمبريدج» وهي تشير بإصبعها القصير البدين إلى مكجونجال: «آها.. أجل أجل أجل! بالطبع! هذا ما تريدين، أليس كذلك يا مينرفا مكجونجال؟ تريدين أن يأتي ألبوس دمبلدور مكان كورنيلياس فادج.. وتسعين للحصول على منصبي أنا.. أليس كذلك؟ تريدين خلع مساعد أول وزير السحر وناظرة المدرسة من منصبها».

قالت الأستاذة «مكجونجال» بازدراء شديد: «أنت تهذين.. بوتر، انتهى لقاؤنا».

رفع «هارى» الحقيبة على ظهره، وسارع بالخروج من الحجرة، دون أن يجرؤ على النظر إلى الأستاذة «أمبريدج». أمكنه سماعها هي والأستاذة «مكجونجال» مستمرتين في الصياح في وجه إحداهما الأخرى طوال سيره بالممر.

كانت الأستاذة «أمبريدج» لاتزال تلهث وكأنها جرت في سباق طويل، عندما دخلت إلى فصل الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود بعد الظهر.

همست «هيرميون»: «أتمنى لو تعدل عما تفكر فيه يا هارى، تبدو أمبريدج في حالة مزاجية شديدة السوء».. لحظة، فتحت الكتاب على الفصل الرابع والثلاثين بعنوان: «لا للانتقام ونعم للتفاوض والسلام».

من حين لآخر، أخذت «أمبريدج» تحدج «هارى» بنظرات نارية، والذي أبقى رأسه منخفضًا، محدقًا في كتاب «نظرية السحر الدفاعي» وعيناه غير مركزتين على شيء محدد، متفكرًا فيما جرى.

تخيل رد فعل الأستاذة «مكجونجال» إن وجدته متسللاً في مكتب «أمبريدج» بعد ساعات من دفاعها الشديد عنه.. لا يوجد ما يمنعه من العودة إلى برج «جريفندور» وتمنى لو يقدر على سؤال «سيريوس» في أي وقت طوال الصيف المقبل عما رآه في المفكرة السحرية.. لا شيء فيما عدا أنه يشعر وكأن ثمة ثقلاً شديدًا جاثمًا على صدره.. ثم إن هناك «فريد» و«جورج» اللذين خططا لعملية التشتيت بالفعل، دعك من السكين التي أخذها من «سيريوس» والتي ترقد حاليًا في حقيبته مع عباءة اختفاء والده. لكن، ماذا لو أمسكت به؟

همست «هيرميون» وهي ترفع الكتاب؛ لتخفي وجهها عن «أمبريدج»: «لقد ضحى «دمبلدور» بنفسه؛ لتبقى في المدرسة يا هاري. وإن رموك إلى الخارج اليوم فستذهب تضحية «دمبلدور» سُدى».

يمكنه التخلي عن خطته ومحاولة التعايش مع ذكرى ما شاهد أباه يفعله ذات نهار صيفي منذ عشرين عامًا.

ثم تذكر «سيرياس» ورأسه في نيران المدفأة داخل حجرة طلبة «جريفندور»:

أنت لست مثل أبيك، ليس كما كنت أظن. كانت المخاطرة لتجعل الأمر مثيرًا وشائقًا لجيمس.

لكن، هل يريد أن يكون مثل أبيه؟

قالت «هيرميون» بصوت معذب مع رنين الجرس عند طرف الفصل البعيد: «هاري، لا تفعلها. أرجوك لا تفعلها». لم يجبها، لم يعرف ماذا يفعل.

بدا «رون» عاقدًا العزم على ألا يدلي برأيه أو نصحه. لم ينظر إلى «هاري»، رغم أن «هيرميون» عندما كانت تفتح فمها لإقناع «هاري» بالتراجع، فإنه كان يقول بصوت خفيض: «اهدئي يا هيرميون. إنه قادر على التقرير بنفسه».

أخذ قلب «هاري» يخفق بقوة وهو يغادر الفصل. كان قد وصل إلى منتصف الممر عندما سمع أصواتًا عالية في مكان بعيد. سمع صرخات وصيحات تَرُج المدرسة من مكان ما فوقهم. والتلاميذ الذين خرجوا من الفصول من حوله قد تجمدوا في أماكنهم ونظروا إلى السقف بخوف شديد.

خرجت «أمبريدج» منطلقة من الفصل بسرعة لا تقدر معها قدماها القصيرتان على حملها. وهي تجذب عصاها السحرية، سارعت إلى الجانب المضاد. الآن وإلا فلا.

قالت «هيرميون» بوهن راجية إياه: «أرجوك يا هاري».

لكنه اتخذ قراره. عدل بيده وضع حقيبته على ظهره، وانطلق يجري، متفاديًا التلاميذ الذين أخذوا يجرون في الاتجاه المضاد؛ ليروا سبب الجلبة في الجناح الشرقي من القلعة.

وصل إلى الممر الواقع فيه مكتب «أمبريدج» فوجده مهجورًا. وهو يختبئ خلف درع حديدية كبيرة قائمة في الركن، التفتت الخوذة لتراقبه. أنزل

حقيبته وأمسك بسكين «سيرياس» وأخرج عباءة الإخفاء. ثم تسلل ببطء وحذر من خلف الدرع الحديدية وسار بطول الممر حتى وصل إلى باب مكتب «أمبريدج».

أدخل السكين السحري في شق الباب وحركه ببطء صعودًا وهبوطًا بطول الشق، ثم سحبه. سمع طقطقة خفيفة، ثم انفتح الباب. دخل إلى المكتب، وأغلق الباب بسرعة خلفه ونظر حوله.

لم يكن من شيء يتحرك سوى القطيطات الزخرفية على الحائط فوق المقتنيات المصادرة.

أخرج «هاري» عباءة الإخفاء وهو يسير إلى المدفأة ليجد ما كان يبحث عنه في ثوان: صندوقًا صغيرًا ممتلئًا ببودرة الفلو.

انحنى أمام حاجز المدفأة ويداه ترتجفان. لم يفعل هذا من قبل قط، بالرغم من أنه يعرف أنه سينجح في فعلته هذه. أدخل رأسه في المدفأة، ثم أخذ ملء قبضته من البودرة ونثرها على ألواح الحطب تحته. تفجرت على الفور بلهب أخضر بالفوتي.

قال «هاري» بصوت مرتفع واضح: «المنزل رقم (١٢)، جريمولد بليس».

كان من أغرب الأحاسيس التي يحسها في حياته. انتقل ببودرة الفلو من قبل. لكن، كان جسده كله يدور في اللهب عبر شبكة الانتقال السحرية الممتدة بطول البلاد وعرضها. هذه المرة ظلت ركبتاه مرتكزتين على الأرض الباردة في مكتب «أمبريدج»، ورأسه فقط هو ما يدور في النيران الياقوتية.

ثم وفجأة، كما بدأ الأمر فجأة، توقف الدوران، شعر بالغثيان وكأنه يرتدي قناعًا ساخنًا فوق وجهه. فتح عينيه ليجد نفسه في مدفأة المطبخ وأمامه المائدة الخشبية الطويلة، وهناك رجل جالس منكب على رقعة طويلة من الورق.

«سيرياس؟». هب الرجل واقفًا ونظر حوله. لم يكن «سيرياس» بل «لوبين».

قال مصدومًا: «هاري.. ماذا حدث؟ هل كل شيء على ما يرام؟».

قال «هاري»: «أجل. أردت فقط التحدث إلى سيرياس لبعض الوقت».

قال «لوبين» واقفًا والعجب مرتسم على وجهه: «سأناديه. لقد صعد؛ ليبحث عن كريتشر. يبدو أنه قد اختبأ في السقيفة ثانية».

ورأى «هاري» «لوبين» يسارع بالخروج من المطبخ. أصبح وحده، لا شيء أمامه ينظر إليه سوى المقعد وأرجل المائدة. تساءل لماذا لم يذكر له «سيرياس» من قبل مدى الضيق الذي يشعر به المرء وهو يتكلم من نيران المدفأة. أخذت ركبتاه تؤلمانه من اتصالهما المطول بأرضية مكتب «أمبريدج» الحجري البارد. عاد «لوبين» ومعه «سيرياس» من خلفه بعد لحظات.

قال «سيرياس» بلهفة وهو يزيح شعره الأسود الطويل عن وجهه ويسقط على الأرض أمام المدفأة حتى أصبح هو و«هاري» على مستوى واحد: «ما الأمر؟». جلس «لوبين» هو الآخر، وعلى وجهه الاهتمام.. أضاف «سيرياس»: «هل أنت بخير؟ هل تحتاج لمساعدة؟».

قال «هاري»: «لا، الأمر ليس كذلك.. أردت فقط الكلام عن... عن أبي...».

تبادلا نظرات الدهشة، لكن «هاري» ليس لديه الوقت للإحساس بالإحراج أو الارتباك.. فركبتاه تؤلمانه، وبدأ يفكر في أن خمس دقائق قد مرت بالفعل منذ بداية حادث التشتيت.. ضمن له «جورج» عشرين دقيقة فقط؛ لذا فقد دخل في الموضوع مباشرة وذكر ما رأى في المفكرة السحرية.

عندما انتهى، لم يتكلم «سيرياس» أو «لوبين» للحظة، ثم قال «لوبين» بهدوء: «لا أريدك أن تحكم على أبيك بما رأيته يا هاري.. كان في الخامسة عشرة وقتها...».

قال «هاري» بانفعال: «وأنا في الخامسة عشرة».

قال «سيرياس» مهدئًا إياه: «انظر يا هاري.. كان جيمس وسناب يكرهان أحدهما الآخر منذ وقعت عيونهما على بعضهما، يمكنك فهم هذا، أليس كذلك؟ أعتقد أن جيمس كان كل ما يريد سناب أن يكونه.. كان له شعبية واسعة، ويلعب الكويدتش بمهارة.. ويقدر على فعل أشياء كثيرة. وسناب كان ولدًا صغيرًا غريب الأطوار وغارقًا حتى أذنيه في فنون السحر الأسود.. وجيمس - وإن كنت ما رأيته يختلف عما أرويه - كان يكره السحر الأسود بشدة».

قال «هاري»: «أجل.. لكنه هاجم سناب من دون سبب واضح، فقط لأن... أعني... لأنك قلت إنك تشعر بالملل».. أنهى كلامه بنبرة معتذرة في صوته.

قال «سيرياس» بسرعة: «أنا لست فخورًا بهذا».

نظر «لوبين» إلى «سيرياس» ثم قال: «انظر يا هاري، ما عليك فهمه هو أن

أباك وسيرياس كانا أمهر اثنين في هوجورتس في أي شيء يفعلانه.. والجميع يرونهما شديدي المهارة والأناقة.. وإن بالغا في تصرفاتهما...».

قال «سيرياس»: «إنه يعني أننا كنا مغرورين ومتغطرسين بشدة».

ابتسم «لوبين».. قال «هاري» بصوت متألم: «لكنه كان يعبث بشعره كثيرًا».

ضحك «سيرياس» و«لوبين».

قال «سيرياس» بحب شديد: «نسيت أنه كان يفعل هذا».

قال «لوبين» بلهفة: «وهل كان يلعب بالسنيتش؟».

قال «هاري» مراقبًا إياهما من غير فهم وهما يبتسمان ابتسامة مشرقة: «أجل.. أعني.. حسبته أبله قليلاً لفعله هذا».

قال «سيرياس» بتوق شديد: «بالطبع كان أبله في هذا.. كنا بلهاء. ولكن باستثناء موني».. أضاف الجملة الأخيرة بنبرة من يريد الإنصاف وهو ينظر إلى «لوبين».

لكن «لوبين» هز رأسه وقال: «هل سبق أن طالبتكما بالعدول عن مضايقة سناب؟ هل واتتني الشجاعة يومًا لأن أقول لكما إنكما تخالفان النظام والقواعد؟».

قال «سيرياس»: «أجل.. جعلتنا نخجل من أنفسنا في بعض الأوقات.. وهذا يكفيه».

قال «هاري» بعناد مصممًا على قول كل ما يدور بعقله وهو معهما: «وكان كثير النظر للفتيات الجالسات على شاطئ البحيرة، متمنيًا أن ينظرن إليه ويراقبنه».

قال «سيرياس» وهو يهز كتفيه: «فعلاً.. كان دائمًا يتصرف بغباء وبلاهة وليلي بالقرب منه.. لم يتمكن أبدًا من منع نفسه عن الاستعراض كلما اقترب منها».

تساءل «هاري» بتعاسة: «وكيف تزوجته؟ كانت تكرهه بشدة».

قال «سيرياس»: «لا، لم تكرهه».

قال «لوبين»: «بدأت تخرج معه في الصف السابع».

قال «سيرياس»: «حالما بدأ جيمس في التراجع قليلاً عن غروره».

قال «لوبين»: «وعندما كف عن إصابة الناس بالتعاويذ سعيًا للضحك».

قال «هاري»: «وحتى سناب؟».

قال «لوبين» ببطء: «كان سناب حالة خاصة. أعني أنه لم يفوت أية فرصة قط؛ لإصابة جيمس بتعويذة أو بأخرى، فلم تتوقع من جيمس ألا يعامله بالمثل؟».

«وهل كانت أمي راضية عن تصرفه هذا؟».

قال «سيرياس»: «لأصدقك القول، فهي لم تعرف الكثير عن تصرفه هذا أعنى أن جيمس لم يأخذ سناب معه فى مواعيده معها ليلعنه ويصيبه بالتعاويذ أمامها».

قطّب «سيرياس» جبينه فى مواجهة «هارى»، الذى بدا غير مقتنع.

قال أخيراً: «انظر.. كان أبوك أفضل صديق لى، وكان شخصاً صالحاً.. فقد تجد الكثيرين حمقى فى سن الخامسة عشرة، ثم يتعقلون بعدها».

قال «هارى» ببطء: «أجل، فعلاً.. لكننى لم أتخيل يوماً أننى قد أشعر بالأسف على سناب».

قال «لوبين» وثمة قُطوب صغير على وجهه: «والآن قد ذكرته.. كيف تصرف سناب عندما وجدك وقد رأيت كل ما رأيت؟».

قال «هارى»: «قال لى إنه لن يعلمنى الأوكلومينسى ثانية.. كأن هذا سيحزننى...».

صاح «سيرياس»: «ماذا؟!»، فأجفل «هارى» وشهق، فابتلع بعض الغبار.

قال «لوبين» بسرعة: «هل أنت جاد يا هارى؟ هل كفَّ عن إعطائك الدروس؟».

قال «هارى» وقد أدهشه ما رآه من رد فعل مبالغ فيه منهما: «أجل.. لكن هكذا أفضل. لا يهمنى، فقد ارتحت عندما...».

قال «سيرياس» بقوة: «سآتى معك: لأتحدث قليلاً مع سناب»، ونهض بالفعل قبل أن يقبض عليه «لوبين» ويعيده إلى جواره.

قال بصرامة: «إن كان هناك من سيتحدث مع سناب فهو أنا.. لكن يا هارى، عليك أولاً أن تعود إلى سناب وتخبره بأنه ليس من حقه - وتحت أى ظرف من الظروف - أن يوقف الدروس.. عندما يسمع دمبلدور بهذا سوف...».

قال «هارى» والغيظ يتملكه: «لا يمكننى أن أقول له هذا.. سيقتلنى.. أنت لم تره عندما خرجت من المفكرة السحرية».

قال «لوبين» بتصميم: «هارى، لا يوجد أهم من تعلم الأوكلومينسى.. هل تفهمنى؟ لا شىء».

قال «هارى» وقد شعر بالقلق الشديد يصاحبه بعض الضيق: «حسناً.. حسناً.. سـ.. سأحاول إخباره.. لكن لا تقـ...»، صمت فجأة، سمع خطوات أقدام تقترب.

«هل هذا كريتشر ينزل السلم؟».

قال «سيرياس» وهو ينظر خلفه: «لا، لا بد أنه شخص ما عندك».

خفق قلب «هارى» بقوة.

قال بسرعة وهو يخرج برأسه من مدفأة «جريمولد بليس»: «على العودة للحظة». أخذ رأسه يدور فوق كتفيه، ثم وجد نفسه راقداً أمام مدفأة «أمبريدج» يراقب ألسنة اللهب الياقوتية وهى تخبو.

سمع صوتاً لاهثاً يقول من خارج الحجرة: «بسرعة بسرعة.. لقد تركته مفتوحاً».

انقض «هارى» على عباءة الإخفاء وتمكن من ارتدائها قبل أن يقتحم «فيلش» المكتب. بدا مسروراً بشدة لسبب ما، وهو يتحدث إلى نفسه بصوت محموم وهو يعبر الحجرة، ويفتح أحد أدراج «أمبريدج» ويبدأ فى العبث بالأوراق داخله.

«تصريح الضرب.. تصريح الضرب.. أخيراً.. سأضربهم.. إنهم يستحقون هذا ومنذ سنوات...».

أخرج رقعة من الورق، وقبّلها، ثم خرج بسرعة من الباب، وهو يرفعها إلى صدره. هب «هارى» واقفاً، وتأكد أن عباءة الإخفاء تخفيه هو وحقيبته، ثم فتح الباب وسارع بالخروج من خلف «فيلش»، الذى أخذ يتقافز بسرعة، لم يعهدها «هارى» فيه من قبل.

عندما ابتعد عن مكتب «أمبريدج» بمسافة طابق، حسب «هارى» أن بإمكانه نزع العباءة عنه. خلعها عنه، ووضعها فى حقيبته، ثم تقدم بسرعة. سمع الكثير من الصياح والحركة القادمة من عند القاعة الأمامية. جرى على درجات السلم الرخامية ليجد المدرسة متجمعة بالقاعة الأمامية.

تماماً مثل ليلة طرد «تريلاونى». الطلبة متحلقون واقفون بطول الجدران فى حلقة واسعة - بعضهم كما لاحظ «هارى» مغطى بما يشبه بقايا الألعاب النارية كريهة الرائحة - والمعلمون والأشباح مع الجمع. ومن بين المراقبين لما يجرى رأى أعضاء الفرقة التفتيشية الذين بدوا فخورين بأنفسهم، و«بيفيس» الذى أخذ يحلق فوقهم، وهو ينظر إلى «فريد» و«جورج» الواقفين فى مركز الحلقة وعلى وجهيهما نظرة من وقع أخيراً بعد مطاردة طويلة.

قالت «أمبريدج» بظفر: «إذن.. أدرك «هارى» أنها واقفة أمامه على السلم هى الأخرى، تنظر إلى فريستها الواقفة بالأسفل. سمعها تكمل: «.. إذن، فأنتما تريان تحويل ممرات المدرسة إلى مستنقع كبير، أمراً مضحكاً.. أليس كذلك؟».

قال «فريد» وهو ينظر إليها وليس على وجهه أقل أمارات الخوف: «بلى، أمر مضحك للغاية».

أخذ «فيلش» يقترب من «أمبريدج» وهو يكاد يبكي من السعادة.

قال بصوت أجش ملوحاً برقعة الورق التي رآه «هاري» يأخذها منذ قليل من المكتب: «معي الورقة يا حضرة الناظرة.. معي الورقة وسوطي ينتظر.. دعيني أضربهما الآن من فضلك..».

قالت: «ممتاز يا أرجوس. أنتما..» أكملت كلامها وهي تنظر إلى «فريد» و«جورج»: «.. سأعلمكما ماذا يجري للمخالفين في مدرستي».

قال «فريد»: «أتعرفين؟ لا أعتقد أن هذا سيحدث».

التفت إلى أخيه التوأم، وقال: «جورج، لقد كبرنا على موضوع التعليم هذا».

قال «جورج» باستخفاف: «أجل، أنا أشعر بهذا الشعور».

سأله «فريد»: «هل حان وقت اختبار قدراتنا في العالم الحقيقي؟».

قال «جورج»: «بالتأكيد».

وقبل أن تنطق «أمبريدج» بكلمة أخرى، رفعا عصويهما السحريتين وقالا معاً: «أكيو بروم»[١].

سمع «هاري» صوت تحطم زجاج على مسافة بعيدة. نظر إلى يساره وانحنى في الوقت المناسب. فقد كانت مقشتا «فريد» و«جورج» اللتان كانتا مربوطتين إلى الحائط في مكتب «أمبريدج» تطيران بطول الممر تجاههما، ودارتا - المقشتان - إلى اليسار وهبطتا السلم لتتوقفا أمام التوأمين، والسلاسل التي كانت المقشتان مربوطتين بها تصدر صليلاً عالياً على الأرض الحجرية.

قال «فريد» للأستاذة «أمبريدج» وهو يرفع قدمه اليسرى؛ ليركب المقشة: «لن نراك بعد اليوم».

قال «جورج» وهو يمتطي مقشته: «أجل. فلا تزعجي نفسك وترسلي الرسائل».

نظر «فريد» إلى جمهور التلاميذ المتحلقين من حوله، الجمهور الصامت الذي أخذ يراقب ما يجري.

---

(١) تعرف طبعاً تعويذة إحضار الأشياء، ومنطوقها (Accio)، أما بروس فتعني: مقشات (المترجم).

قال بصوت مرتفع: «إن أراد أحدكم شراء مستنقع متنقل - كما رأيتم بالطابق العلوي - فتعالوا إلى المتجر رقم ثلاثة وتسعين بزقاق دياجون، محل آل ويسلي للمقالب السحرية.. محلنا الجديد».

أضاف «جورج» مشيراً إلى الأستاذة «أمبريدج»: «سنقدم تخفيضاً خاصاً على منتجاتنا لتلاميذ هوجورتس الذين يقسمون على استعمال منتجاتنا للتخلص من هذه الوطواطة العجوز».

صرخت «أمبريدج»: «أوقفوهما». لكن بعد فوات الأوان.. فمع اقتراب الفرقة التفتيشية منهما، ركل كل من «فريد» و«جورج» الأرض وانطلقا على ارتفاع خمس عشرة قدماً في الهواء، والسلاسل المعدنية المربوطة بالمقشتين تتأرجح أسفلهما. نظر «فريد» إلى «بيفيس البولترجايست» المتقافز أمامه في الهواء فوق رءوس الجمهور وقال: «أوصيك بتعذيبها يا بيفيس».

فقام «بيفيس» الذي لم يره «هاري» من قبل قط يقبل بأوامر أحد - بخلع قبعته وحيا «فريد» و«جورج» تحية عسكرية وهما يطيران خارجين من المكان تلاحقهما تهليلات وصياحات وهتافات الطلبة المتجمعين، في طريقهما إلى النهار المشمس مبهر الضياء.



٣٠ جـــراوب

أخذ التلاميذ يحكون قصة تحليق «فريد» و«جورج» إلى الحرية على مدى الأيام القليلة التالية حتى إن «هارى» أيقن أنها ستتحول إلى أسطورة من أساطير «هوجورتس». فخلال الأسبوع التالى، اقتنع جميع الطلبة - حتى من رأوا ما جرى بالتفصيل - بأن «فريد» و«جورج» قد انهالا على «أمبريدج» بالـ«دانجبومب» قبل أن يحلقا عبر الأبواب. بعد خروجهما مباشرة، عمت موجة هائلة من الكلام عن تقليدهما. سمع «هارى» الكثير من الطلبة يقولون أشياء مثل: «بصراحة قد أقفز على مقشتى قريبًا وأغادر هذا المكان»، و«حصة أخرى مثل هذه وأفعل مثلما فعل التوأمان ويسلى».

ضمن «فريد» و«جورج» ألا ينساهما أحد بسرعة: لسبب واحد: لم يتركا تعليمات لإزاحة المستنقع الذى ملأ ممر الطابق الخامس فى الجناح الشرقى منه. رأى التلاميذ كلاً من «أمبريدج» و«فيلش» يجربان أكثر من طريقة لإزالته لكن من دون جدوى. وهكذا، تم تطويق المنطقة المصابة بالحبال، وتولى «فيلش» مهمة نقل التلاميذ عبر المستنقع ذهابًا وإيابًا من وإلى فصولهم. كان «هارى» واثقًا من أن بإمكان معلمين مثل «مكجونجال» و«فليتويك» إزالة المستنقع فى لحظة. لكن، وكما تمرد «فريد» و«جورج»، فقد فضلا ألا يتدخلا ويشاهدا «أمبريدج» وهى تعانى من عواقب ما جرى.

ثم كان هناك الثقبان الكبيران على شكل مقشتين فى باب مكتب «أمبريدج»، اللذان مرت عبرهما مقشتا «فريد» و«جورج» موديل الـ«كلين - سويب» لينضما لصاحبيهما. وضع «فيلش» بابًا جديدًا، وأنزل مقشة «هارى» موديل الـ«فايربولت» إلى تحت الأرض، حيث - وكما تناقلت الإشاعات الأمر - وضعت «أمبريدج» حراسة مشددة عليها، لكن مشكلاتها كانت بعيدة عن موضوع مقشته هذه.

وقد ألهمهم ما فعله «فريد» و«جورج»، فقد سعى الكثيرون من الطلبة: لشغل منصب زعماء إثارة الفوضى والشغب. وبالرغم من الباب الجديد، تمكن أحدهم من إدخال (العرسة المشعرة الأنف)، التى مزقت وقلبت الكثير من الأشياء: بحثًا

عن الأشياء اللامعة، وقفزت على «أمبريدج» محاولة نزع خواتمها من أصابعها البدينة. أخذت «الدانجبومب» وكرات الشرار السحرى تنهال فى الممرات بكثرة حتى إنه أصبح من عادة التلاميذ حماية أنفسهم بتعويذة فقاعة هواء الرأس قبل مغادرة الفصول، وهو ما يضمن لهم هواء نقيًا، وإن كان مظهرهم غريبًا وهم يرتدون ما يشبه آنية الأسماك الزجاجية مقلوبة على رءوسهم.

أخذ «فيلش» يذرع الممرات بسوط فى يده: باحثًا عن المخالفين، لكن المشكلة كانت أنهم أصبحوا كثرًا، فشتته هذا ولم يعرف فى أى الاتجاهات يجرى ليطاردهم. حاولت الفرقة التفتيشية مساعدته، لكن أخذت أشياء غريبة تحدث لأعضائها. نقل «وارنجتون» اللاعب بفريق «سليذرين» لـ «الكويدتش» إلى جناح المستشفى بسبب طفح جلدى غريب جعله يبدو وكأنه مغطى بالـ«كورن فليكس»، و«بانسى باركنسون» - لسرور «هيرميون» الشديد، لم تحضر كل دروسها اليوم التالى بعدما نمت لها قرون.

وفى نفس الوقت، صار من الواضح أن (حلوى التزويغ) التى باعها «فريد» و«جورج» قبل أن يغادرا «هوجورتس» كانت كثيرة. كانت «أمبريدج» لا تكاد تدخل الفصل حتى يتجمع الطلبة أمامها، بعضهم فاقد الوعى، والبعض الآخر يتقيأ، والبعض الآخر مصاب بحمى شديدة أو يسيل دمه من أنفه. وهى تصرخ من الغيظ والغضب والحسرة، كانت تحاول البحث عن مصدر الأعراض الغريبة التى تظهر أمامها، لكن الطلبة داوموا على إخبارها بعناد أنهم يعانون من مرض باسم «حالة أمبريدج». وبعد فرضها عقاب الاحتجاز على أربعة فصول وفشلها فى معرفة السر، أجبرت على الاستسلام والسماح الطلبة النازفين، والمترنحين، والمتقيئين، بمغادرة الفصل فى جماعات.

لكن حتى مستخدمى (حلوى التقيؤ) لم يكونوا أندادًا لسيد الفوضى «بيفيس» الذى أخلص كل الإخلاص لوصية «فريد» الأخيرة. وهو يقهقه بجنون ويسرى بطول المدرسة وعرضها، كان يقلب الموائد، ويحطم التماثيل والزهريات، وحبس الآنسة «نوريس» مرتين داخل درع كبيرة أنقذها منها الفرّاش الغاضب. أخذ «بيفيس» يكسر المصابيح، والقناديل، ويطفئ الشموع، ويلقى بالمشاعل المحترقة على رءوس الطلبة، وبالأوراق فى المدافئ، أو خارج النوافذ. وأغرق الطابق الثانى عندما خلع صنابير دورات المياه به، وأسقط عناكب كبيرة فى

وسط القاعة الكبرى وقت الإفطار، وكلما أراد الراحة قليلاً، كان يقضي بعض وقته يطارد «أمبريدج» ويطلق أصوات اعتراض كلما تحدثت.

لم يحاول أحد بخلاف «فيلتش»، من بين المعلمين، أن يساعدها. فبعد انقضاء أسبوع على رحيل «فريد» و«جورج» شاهد «هاري» الأستاذة «مكجونجال» وهي تسير إلى جوار «بيفيس»، الذي كان يحاول خلع ثريا من الكريستال، وكاد يقسم أنه سمعها تقول للشبح «البولترجايست» من طرف فمها: «لفها في الاتجاه الآخر لتسقط».

وانتطور الأمور، فلم يتعاف «مونتاج» من سقوطه في المرحاض، بل ظل مريضًا ومشتتًا وجاء أبواه لزيارته يوم الثلاثاء وعلى وجهيهما أشد علامات الغضب.

قالت «هيرميون» بصوت متوتر وهي تضغط وجنتها على نافذة فصل التعاويذ: حتى ترى السيد والسيدة «مونتاج» يدخلان وهما غاضبان إلى المدرسة: «أليس علينا قول شيء ما بصدد ما جرى له؟ فربما يساعد هذا مدام بومفري في علاجه». وقال «رون» بحياد: «بالطبع لا.. سيتعافى وحده».

قال «هاري» بصوت راضٍ: «هذا يعني المزيد من المشكلات لأمبريدج.. أليس كذلك؟».

طرق هو و«رون» فنجاني الشاي المفترض تحويلهما بعصويهما السحريتين. نما لفنجان «هاري» أربع أقدام قصيرة للغاية لم تصل إلى سطح مائدته، وأخذت تتأرجح في الهواء. أما فنجان «رون»، فقد نما له أربع أقدام رفيعة حملته فوق المائدة بصعوبة شديدة، وأخذ يرتجف بعد لحظات، ثم انهارت فتحطم الفنجان إلى شطرين.

قالت «هيرميون» بسرعة وهي تصلح فنجان «رون» بتلويحة من عصاها: «ريبارو».. ثم تضيف: «هذا صحيح.. لكن، ماذا لو أصبحت إصابة مونتاج عاهة مستديمة؟».

قال «رون» بامتعاض وفنجانه يقف مترنحًا ثانية كأنه مخمور، ثم يسقط على ركبتيه: «ومن يهتم؟ ما كان على مونتاج أن يحاول خصم نقاط من جريفندور.. أليس كذلك؟ إن كان يجب عليك القلق طوال الوقت يا هيرميون، فاقلقي بشأني».

قالت وهي تمسك بفنجانها الذي أخذ يسير بسعادة فوق المائدة على أربع أقدام قوية: «من؟ ولماذا أقلق بشأنك؟».

قال «رون» بمرار وهو يحمل فنجانه وأقدامه الضعيفة تحاول أن تستقيم؛ لتحمله: «عندما تصل رسالة أمي القادمة وتمر من تحت يد أمبريدج ستعرفين. سأقع في مشكلة كبيرة. لن يدهشني لو أرسلت رسالة عاوية أخرى».

«لكن...».

قال «رون» بوجوم: «سترى أنني سبب المشكلة. السبب في خروج فريد وجورج. كان عليّ الإمساك بهما من أطراف مقشتيهما وإعادتهما. أجل، هذا ما ستراه، إنني أنا المخطئ».

«إن قالت هذا، فهو ظلم بيّن منها. لم تكن لتقدر على عمل أي شيء. لكن أنا واثقة أنها لن تقول هذا.. أعني إن كان لهما بالفعل متجرٌ في زقاق دياجون، فلا بد من أنهما يخططان للموضوع منذ فترة».

قال «رون» وهو يضرب فنجانه بعصاه بقوة حتى أن أقدامه انهارت وأخذت ترتجف تحته: «أجل. لكن هذا موضوع آخر. كيف حصلا على المتجر؟ الموضوع مريب. أليس كذلك؟ إنهما بحاجة للكثير من النقود حتى يقدرا على إيجار مكان في زقاق دياجون. ستسألني كيف وصلا إلى هناك، وكيف وضعا أيديهما على الذهب اللازم لفتح المتجر».

قالت «هيرميون» سامحة لفنجانها بالسير في دوائر حول فنجان «هاري» الذي ما زالت أقدامه القصيرة غير قادرة على الوصول إلى سطح المائدة: «فعلاً. فكرت في هذا أنا الأخرى.. وأنا قلقة؛ لأنه ربما يكون مندنجس قد أقنعهما ببيع البضائع المسروقة أو ما شابه».

قال «هاري» باقتضاب: «لا، لم يفعل».

قال «رون» و«هيرميون» معًا: «وكيف عرفت؟».

«لأن...» تردد «هاري»، لكن لحظة الاعتراف قد حانت ـ فلا فائدة من الصمت إن كانوا سيرتابون في إجرام «فريد» و«جورج» ـ فأضاف: «لأنهما قد أخذا الذهب مني. أعطيتهما جائزة السحر الثلاثية التي ربحتها في شهر يونية الماضي».

حلّ صمت مطبق، مشحون بإحساس بالصدمة، ثم انقلب فنجان «هيرميون» من فوق المائدة ليتحطم مع اصطدامه بالأرض.

قالت: «معقول يا هاري؟ أنت لم تفعل هذا».

قال «هارى» بنبرة تمرد: «بل فعلت. ولست نادمًا أيضًا. لم أرغب فى الذهب، وأعتقد أنهما سيقدران على إدارة متجر المقالب».

قال «رون» وقد اهتز طربًا مما سمعه: «ممتاز. إنها غلطتك إذن يا هارى. لن تلومنى أمى. هل يمكننى إخبارها؟».

قال «هارى» ببلادة: «أجل. هذا أفضل. خاصة إن ظنت أنهما قد حصلا على النقود مقابل قدور مسروقة أو ما شابه».

لم تنطق «هيرميون» طوال باقى الحصة، لكن «هارى» ارتاب فى استمرار تحكمها فى نفسها طويلاً. وكان محقًا، فحالما خرجوا من القلعة فى فترة الراحة ووقفوا تحت أشعة شمس شهر مايو الواهنة، ركزت بعينين ضيقتين على «هارى» وفتحت فمها عازمة على الكلام.

قاطعها «هارى» قبل أن تنطق، وقال بحسم: «لا فائدة من مضايقتى. فريد وجورج معهما الذهب بالفعل. وقد أنفقا جزءًا كبيرًا منه، ومن الواضح أننى لن أقدر على استعادته منهما ولا أريد هذا. فوفرى على نفسك الكلام يا هيرميون».

قالت بصوت مجروح: «لم أنو الكلام عن فريد وجورج».

احتج «رون» بصوت مسموع؛ كدليل على عدم تصديقه ما قالته، فرمقته «هيرميون» بنظرة غضب.

قالت بضيق: «فعلاً، لم أكن أنوى الكلام عنهما. كنت سأسأل هارى متى سيعود إلى سناب ويسأله الاستمرار فى دروس الأوكلومينسى».

انتاب «هارى» القلق. الآن وبعد أن تناولوا موضوع «فريد» و«جورج» كلامًا ومغادرتهما الدرامية الطابع - وهو ما استغرق الكثير من الوقت - فقد أراد كل من «رون» و«هيرميون» سماع أخبار «سيريوس». ومع عدم إدلاء «هارى» إليهما بسبب رغبته فى الكلام مع «سيريوس»، فمن الصعب أن يفكر فيما سيخبرهما به. لم انتهى به الأمر إلى أن قال - بصدق - إن «سيريوس» أراد له أن يستكمل دروس «الأوكلومينسى». وإنه نادم على ما حدث من وقتها. لم تترك «هيرميون» الموضوع وأخذت تعود إليه بين الحين والآخر حينما لا يتوقع «هارى» فتحها للموضوع ثانية.

قالت «هيرميون»: «لا يمكنك إقناعى بأنك لم تعد تحلم تلك الأحلام الغريبة؛ لأن رون أخبرنى بأنه سمعك تتكلم فى نومك بالأمس».

حدج «هارى» «رون» بنظرة غاضبة، فأنعم على «رون» أخيراً بنعمة الإحساس بالخجل من تصرفاته.

غمغم الأخير معتذرًا: «كنت تهمهم فقط عن رغبتك فى بلوغ المزيد».

قال «هارى» كذبًا: «حلمت بلعب الكويدتش. وكنت أحاول مد يدى للإمساك بكرة الكوافل».

انحسرت أذنا «رون»، وشعر «هارى» بنوع من اللذة الانتقامية. فهو بالطبع لم يحلم بأى مما ذكره.

ليلة أمس، قام برحلته المعهودة عبر ممر مصلحة الألغاز والغوامض. من عبر الحجرة الدائرية، ثم إلى الحجرة الممتلئة بالرفوف المتراقصة وأصوات الصليل والضجيج الآلى، حتى وجد نفسه فى الحجرة الواسعة الممتلئة بالرفوف المصطف عليها الكرات الزجاجية المغبرة.

هرول إلى الصف رقم سبعة وتسعين، وانحرف إلى اليسار وأخذ يجرى بطوله. لا بد أن وقتها تكلم بصوت مسموع. فقط مسافة قليلة للأمام. شعر وقتها بعقله الواعى يجاهد للاستيقاظ. لكن وقبل أن يصل إلى آخر الصف وجد نفسه راقدًا على سريره، وهو ينظر إلى مظلة الفراش ذات الأربعة قوائم.

قالت «هيرميون» وهى تنقل عينيها إلى «هارى»: «طبعًا تحاول أن تصد بعقلك محاولات الاختراق. أليس كذلك؟ هل تستعين بما تعلمته من الأوكلومينسى؟».

قال «هارى» محاولاً أن يبدو وكأن السؤال قد أهانه: «بالطبع أفعل». لكنه لم يبادلها النظر. الحقيقة أنه كان يشعر بفضول شديد لمعرفة ما المخبأ فى تلك الحجرة الممتلئة بالكرات المغبرة، حتى أنه أمسى حريصًا على استمرار أحلامه.

كانت المشكلة أنه مع بقاء شهر على الامتحانات، ومع تكريس كل الساعات الحرة للمراجعة، فإن عقله يصبح متشبعًا بالمعلومات عندما يحاول النوم، فيجد صعوبة فى النوم. وعندما كان ينام، يواتيه عقله المتعب كل ليلة بأحلام سخيفة وحمقاء عن الامتحانات. كما ارتاب فى أن جزءًا من عقله - الجزء الذى يتحدث بصوت «هيرميون» - يشعر بالذنب للمرات القليلة التى يعود فيها إلى الممر المنتهى بالباب الأسود، فيفيق من نومه قبل أن يصل إلى نهاية الرحلة.

قال «رون» الذي لمعت أذناه باللون الأحمر: «أتعرف؟ إن لم يتعاف مونتاج قبل مباراة سليذرين مع هافلباف، فربما نفوز بالكأس».

قال «هاري» وقد أثلج صدره أن الموضوع قد تغير: «أجل، ربما».

«أعني أننا فزنا بمباراة، وخسرنا مباراة؛ إن خسر سليذرين أمام هافلباف السبت القادم..».

قال «هاري» وهو لا يعرف ما الذي يوافقه عليه: «أجل.. هذا صحيح». كانت «تشو تشانج» تعبر القاعة، وقد قررت ألا تنظر إليه.

•••

تقرر للمباراة الأخيرة في موسم «الكويدتش» لهذا العام - «جريفندور» مع «رافنكلو» - أن تعقد في آخر إجازة أسبوعية من شهر مايو. بالرغم من أن «سليذرين» قد هُزم بصعوبة من «هافلباف» في مباراتهما الأخيرة، فإن تلاميذ «جريفندور» لم تواتهم الجرأة للأمل في النصر؛ بسبب سجل «رون» الحافل في حراسة المرمى، وإن لم يصارحه أحد بهذا. لكنه بدا وكأنه قد عثر على نبع جديد للتفاؤل.

قال لـ«هاري» و«هيرميون» بوجوم على الإفطار صباح يوم المباراة: «أقصد، لا يمكن أن يسوء مستواي في اللعب أكثر من حاله. أليس كذلك؟ لا يوجد ما أخسره، صح؟».

قالت «هيرميون» وهي تسير مع «هاري» إلى الملعب بعد قليل وسط الجمهور المتحمس للمباراة: «أتعرف؟ أعتقد أن رون قد يلعب بصورة أفضل من دون فريد وجورج. فهما لم يعطياه قط أي قدر من الثقة».

أدهشتهما «لونا لوفجود» عندما اقتربت منهما مع ما يبدو كنسر حي جاثم على رأسها.

قالت «هيرميون» وهي تراقب النسر يخفق بجناحيه، و«لونا» تسير إلى جوار مجموعة من طلبة «سليذرين» الضاجين بالضحك: «ياه.. نسيت. ستلعب تشو ضدنا. أليس كذلك؟».

وافقها «هاري»، الذي لم ينس هذه الحقيقة، بإيماءة من رأسه.

وجدا مقاعد بالصف الأعلى من المنصة. كان يومًا صافيًا جميلاً.. ما كان «رون» ليجد يومًا أفضل للعب، ووجد «هاري» نفسه يتمنى ألا يعطي «رون» جمهور «سليذرين» الفرصة للصياح بأغنية «ويسلي يا ملك».

أخذ «لي جوردن»، الذي فقد حماسه منذ خرج «فريد» و«جورج» من اللعب، يعلق كعادته. مع خروج الفريقين إلى الملعب، أعلن عن أسماء اللاعبين بحيوية أقل من حيويته المعهودة.

«.. برادلي.. دافيز.. تشانج». أعلن اسمها؛ فشعر «هاري» بصدره يضطرم بالقلق و«تشو» تخرج إلى الملعب، وشعرها الأسود اللامع يتطاير في النسيم الخفيف. لم يكن واثقًا مما يريد، إلا عدم رغبته في الجلوس إلى مقاعد المشاهدين. حتى رؤيتها وهي تتحدث مع «روجر ديفيز» وهما يستعدان لامتطاء المقشات جعلته يشعر ببعض الغيرة.

قال «لي»: «وها هم ينطلقون.. دافيز معه الكوافل، كابتن رافنكلو دافيز معه الكوافل، ويراوغ جونسون، ويراوغ بيل، ثم سبينيت.. ياه.. وصل إلى المرمى! دافيز سيصوب.. و.. و..». أطلق وقتها «لي» سبة وقحة «.. ويسجل هدفًا».

تأوه «هاري» و«هيرميون» من الضيق مع جمهور «جريفندور». وكما توقع، وكما خشي، فقد بدأ جمهور «سليذرين» على الجانب الآخر في الغناء:

ويسلي لا يعرف الصد
ولا يقدر أن يصد نحلة تعض

وصل صوت أجش إلى أذن «هاري» يقول: «هاري.. هيرميون..».

أدار «هاري» رأسه، فرأى وجه «هاجريد» ذا اللحية الهائلة واضحًا من بين الصفوف. من الواضح أنه قد خاض في المدرج حتى وصل إلى الصف الخلفي، وهو ما تراه من حالة أولاد الصفين الأول والثاني وكأن قطارًا قد مرَّ عليهم لسبب ما. كان «هاجريد» جالسًا محني الظهر وكأنه حريص على ألا يراه أحد، وإن كان بحاله هذا أطول من أي شخص طبيعي بأربع أقدام على الأقل.

همس: «(ازحما).. هل يمكنكما القدوم معي؟ الآن؟ والجميع يشاهدون المباراة؟».

سأله «هاري»: «ألا تستطيع الانتظار يا هاجريد حتى تنتهي المباراة؟».

قال «هاجريد»: «لا، لا يا هاري. علينا الذهاب الآن.. والجميع ينظرون إلى مكان آخر.. من فضلك».

كان أنف «هاجريد» ينزف بعض الدماء، وعيناه سوداوين من الكدمات. لم يره «هاري» عن قرب هكذا منذ ليلة عودته إلى المدرسة. وبدا له في حال يُرثى له.

قال «هاري» على الفور: «بالطبع.. حاضر.. سنأتي معك».

خاض هو و«هيرميون» وسط الصفوف، ليثيرا التذمر والضيق بين الطلاب الذين وقفوا ليمرروهما. أما من كانوا في صف «هاجريد»، فلم يتذمروا، بل حاولوا الاختفاء من أمامه.

قال «هاجريد» وهم يصلون إلى سلم المدرج: «أقدر لكما هذا، حقًا». أخذ ينظر حوله بعصبية وهم يهبطون إلى الأرض العشبية قائلاً: «أتمنى ألا ترانا ونحن نبتعد».

قال «هاري»: «أتعني أمبريدج؟ لن ترانا، فعندها فرقة تفتيشية كاملة تجلس معها، ألم ترَ بنفسك؟ لا بد أنها تتوقع حدوث المشكلات من المباراة وليس خارجها».

قال «هاجريد» وهو يتوقف: لينظر من خلف المدرجات إلى الأرض العشبية؛ ليتأكد من أن المسافة بين الملعب وكوخه خالية: «أجل، بعض المشكلات لن تضر أحدًا.. بل تعطينا المزيد من الوقت».

قالت «هيرميون» وهي تتطلع إليه باهتمام وهم يهرولون فوق العشب في طريقهم إلى حافة الغابة: «ما الأمر يا هاجريد؟».

قال «هاجريد» وهو يطل من فوق كتفه وصوت تهليل مرتفع ينطلق من خلفه: «(زترون) بعد دقيقة». ثم وبعد أن سمع التهليل أضاف: «ما هذا.. هل (زجل) أحدهم هدفًا؟».. فقال «هاري»: «لا بد أنهم رافنكلو».

قال «هاجريد» بذهن شارد: «رائع رائع.. هذا رائع..».

كان عليهما التواثب ليلاحقا خطاه الواسعة عبر الفناء، وهما ينظران خلفهما مع كل خطوة. عندما وصلا إلى كوخه، انحرفت «هيرميون» إلى اليسار نحو باب الكوخ. لكن «هاجريد» تقدم إلى الأمام، حيث التقط قوسه وسهامه ودخل إلى الأشجار الواقعة على طرف الغابة. وعندما أدرك أنهما لم يعودا إلى جانبيه، دار على عقبيه.

قال وهو يدور برأسه الكبيرة إليهما: «هيا.. (زندخل)».

قالت «هيرميون» متعجبة: «إلى الغابة؟».

قال «هاجريد»: «أجل.. هيا بنا، (بزرعة)، قبل أن يرونا».

تبادل «هاري» و«هيرميون» النظرات الحيرى، ثم ولجا إلى وسط الأشجار خلف «هاجريد»، الذي أخذ يبتعد عنهما وقد خاض في قلب الغابة الأخضر، وقوسه على ذراعه. جرى «هاري» و«هيرميون» خلفه: ليلحقا به.

قال «هاري»: «هاجريد.. لماذا دخلت بسلاحك؟».

قال «هاجريد» وهو يهز منكبيه الهائلين: «على (زبيل) الحيطة».

قالت «هيرميون» بتردد: «لكنك لم تجلب معك القوس والسهام يوم دخلنا معك لنرى الثيسترال».

قال «هاجريد»: «لا، فنحن لم نكن ننوي الدخول إلى (مزافة) بعيدة. كما أن هذا كان قبل أن يترك فايرنز الغابة.. (أليز) كذلك؟».

سألته «هيرميون» بفضول: «ولماذا يشكل هجر فايرنز للغابة فارقًا؟».

قال «هاجريد» بهدوء وهو يجيل طرفه حوله: «لأن (القناطير) الآخرين كانوا يعاملونني باحترام.. وإن لم (يظلوا) إلى درجة (الظباقة) معي.. لكن علاقتنا كانت جيدة. واهتموا بشئونهم (الخاظة)، وكانوا دائمًا ما يظهرون إن أردت الكلام معهم. لكن الأحوال تغيرت». وتنهد تنهيدة عميقة.

قال «هاري» متعثرًا في جذر شجرة كبير: لانشغاله بمراقبة «هاجريد»: «قال فايرنز إنهم غاضبون؛ لأنه ذهب ليعمل مع دمبلدور».

قال «هاجريد» بحسرة: «أجل.. لكن الغضب لا يكفي (لوظف) ما جرى (بالتمازتي)، إن لم أتدخل ما كانوا ليحاولوا ركل فايرنز حتى الموت..».

قالت «هيرميون» مصدومة: «وهل هاجموه؟».

قال «هاجريد» وهو يشق طريقه بين أغصان وطيئة: «أجل.. هاجمه (نظف) القطيع».

قال «هاري» مندهشًا: «وهل تدخلت؟ هل تدخلت بنفسك؟».

قال «هاجريد»: «بالطبع فعلت. لم أقدر على الوقوف قليل الحيلة أراقبه وهم يقتلونه. من (حزن) الحظ أنني مررت عليهم وقتها.. أتمنى أن يتذكر فايرنز كيف أنقذته بدلاً من (إرزال) (رزائل) تحذير حمقاء».

نظر «هاري» و«هيرميون» إلى أحدهما الآخر في دهشة شديدة، لكن «هاجريد» لم ينتبه لهما.

قال متنهدًا: «المهم، منذ ذلك الحين و(القناطين) يعاملونني بطريقة (زيئة). والمشكلة أن لهم نفوذًا في الغابة.. فهم أمهر الكائنات بها».

سألته «هيرميون»: «وهل هذا سبب وجودك هنا يا هاجريد؟ القناطير؟».

قال «هاجريد» وهو يهز رأسه نفيًا: «لا.. لا. (ليزوا) هم. بالطبع يمكنهم تعقيد المشكلة. أجل، لكن (زترون) ما جئنا من أجله. بعد لحظات».

مع قوله هذا، صمت وأخذ يتقدم، وكل خطوة منه تأخذ منهما ثلاث خطوات ليلاحقاه، فشعرا بالتعب الشديد من محاولة ملاحقته.

أصبح الممر الذي يسيرون فيه أكثف في أشجاره، وتقاربت غصونها مع خوضهم أكثر وأكثر في الغابة، وأصبح نور النهار أضعف كأنهم وقت الغسق. تركوا وراءهم المساحة الخالية من الغابة، التي أراهم «هاجريد» فيها «الثيسترال». لكن «هاري» لم يجد مبرراً للقلق حتى خطا «هاجريد» بعيداً عن درب الغابة وأخذ يمشي في مسار متعرج بين الأشجار متجهاً إلى قلب الغابة المظلم.

قال «هاري» مجاهداً لشق طريقه عبر الشجيرات الكثيفة، التي خطا «هاجريد» فوقها بيُسر، فتذكر بوضوح ما كان يجري له كلما حاد عن درب الغابة: «هاجريد، إلى أين نذهب؟».

قال «هاجريد» من فوق كتفه: «إلى الأمام قليلاً. هيا يا هاري، يجب أن نبقى معاً بعد أن (وصلنا) إلى هنا».

كان اللحاق بـ «هاجريد» صعباً خاصة مع الأغصان والفروع الكثيفة التي يمر بها «هاجريد» بسهولة وكأنها أعشاش عنكبوت، بينما تضرب «هاري» و«هيرميون» وتخدش عباءتيهما، ومن حين لآخر يشتبكان بها حتى إنهما يتوقفان لدقائق؛ للتخلص منها. سرعان ما غُطيت ذراعا وساقا «هاري» بالخدوش والجروح الصغيرة. كانوا قد توغلوا في الغابة حتى أن «هاري» أحياناً لا يرى من «هاجريد» سوى هيكله الهائل أمامه في الظلام. كان أي صوت يبدو له خطيراً في هذا الصمت الرهيب. انكسار غصن يدوي صوته عالياً، وأية حركة قليلة - ولو كان سببها ببغاء صغيراً - تجعل «هاري» يحدق في الظلام؛ بحثاً عن مصدر الشر المتوقع. بدا له أنه لم يتوغل قط في الغابة هكذا من دون أن يقابل مخلوقاً ما، فأوجس خيفة؛ لغياب الحيوانات.

قالت «هيرميون» بهدوء: «هاجريد.. هل يمكننا إضاءة الطريق بعصينا السحرية؟».

همس «هاجريد»: «أ.. أجل.. في الواقع..».

توقف فجأة ودار على عقبيه. اصطدمت به «هيرميون» وسقطت، فأمسك بها «هاري» قبل أن تلامس أرض الغابة.

قال «هاجريد»: «ربما من الأفضل أن نتوقف هنا لدقيقة.. حتى.. حتى أخبركما بما يجري قبل أن (نظل)».

قالت «هيرميون» و«هاري» يعيدها إلى قدميها: «رائع». فهمسا معاً «لوموس»، وأضاء طرفا عصويهما. انغمر وجه «هاجريد» في ضوء الشعلتين الصغيرتين ورأى «هاري» ثانية كم هو متوتر وحزين.

قال «هاجريد»: «رائع.. المهم.. الموضوع أن...».

أخذ نفساً عميقاً، ثم قال: «احتمال أن يتم طردي من (المدرزة) قريباً».

تبادل «هاري» و«هيرميون» النظرات ثم عاودا التطلع إليه.

قالت «هيرميون» بحذر: «لكنك بقيت في وظيفتك حتى الآن.. ما الذي يجعلك تظن أن...».

«أمبريدج تظن أنني من وضعت بعض المخلوقات (الزحرية) المزعجة في مكتبها».

«وهل فعلت؟».. بادره «هاري» بالسؤال قبل أن يتمكن من منع نفسه.

قال «هاجريد» باستنكار: «لا.. بالطبع لا.. لكنها تظن أن أي شيء (يحدث) وله علاقة بالمخلوقات (الزحرية) يعود إليّ. تعرفان كيف تحاول (البحث) عن حجة لطردي منذ عدت من رحلتي. لا أريد الرحيل طبعاً، لكن إن لم يكن هو من ينعش.. أعني.. الظروف (الخاصة) التي أشرحها لكم، كنت لأغادر (المدرزة) قبل أن تجد الحجة لطردي، كما فعلت مع تريلاوني».

احتج كل من «هاري» و«هيرميون» على كلامه، لكنه تجاهلهما بتلويحة من إحدى يديه الهائلتين.

«إنها (ليست) نهاية العالم، وقتها (أقدر) على (مساعدة) دمبلدور. يمكنني أن أقوم بأعمال مفيدة للجماعة. و(تعلمكم) جروبلي - بلانك. و(تنجحون) في امتحاناتكم بتفوق..». ارتج عليه وارتعد صوته فسكت.

قال بسرعة و«هيرميون» تهم بربت ذراعه: «لا تقلقا بشأني». رفع منديله الهائل من جيب معطفه ومسح به عينيه، وأضاف: «انظرا، ما كنت لأحكي لكما كل هذا إن لم يتعين عليّ هذا. المهم، إن تعبت، ذهبت من دون أن أخبركما.. فأنا أر.. أر.. أريد عونكما. ورون كذلك، إن رغب في هذا».

قال «هاري» على الفور: «بالطبع سنساعدك.. فيم تريد مساعدتنا؟».

تنهّد «هاجريد» وربت بقوة على كتف «هاري»، فسقط واصطدم بجذع شجرة.

قال «هاجريد» من خلف منديله: «كنت أعرف أنك (ستقول) هذا.. لكن.. لا يمكن.. لن (أنسى).. هيا.. كدنا (نصل).. انتبها».

ساروا في هدوء لمدة خمس عشرة دقيقة.. فتح «هاري» فمه؛ ليسأل إلى متى سيمشون، قبل أن يرفع «هاجريد» يده اليمنى؛ ليشير إليهما بالتوقف.

قال «بغلوث»: «بهدوء.. تقدموا بهدوء».

تسللوا إلى الأمام، فرأى «هاري» أنهم في مواجهة تبّة عالية من الأرض بطول «هاجريد»، حتى أنه حسب، للحظة، أنها عرين لحيوان هائل، وصاحبت الفكرة رجفة رعب. فحول القمّة، كانت الأشجار منزوعة من جذورها، وجذوع الأشجار مصفوفة في دائرة، مشكلةً ما يشبه السور الخشبي، الذي وقف «هاري» و«هيرميون» و«هاجريد» خلفه. همس «هاجريد»: «إنه نائم».

تصديقًا على كلامه، سمع «هاري» صوتًا بعيدًا، متثاقلًا، لاهثًا، لما يبدو كرئتين هائلتين تتنفسان الهواء بانتظام. نظر إلى جانبه؛ إلى «هيرميون»، التي حدقت في التبة وفمها مفتوح، وبدت خائفة بشدة.

قالت بهمسة لا تكاد تُسمع فوق صوت تنفس الكائن النائم: «هاجريد، من هذا؟».

وجد «هاري» السؤال غريبًا.. فقد كان سيسأل: «ما هذا؟».

قالت «هيرميون» وعصاها السحرية تهتز في يدها: «هاجريد، لقد قلت لنا: إلا أحد منهم أراد المجيء معك».

نقل «هاري» بصره بينها وبين «هاجريد»، ثم داهمه الفهم، وعاود النظر إلى التبة بنظرة رعب بيّن.

كانت التبة الأرضية التي كان يمكنه ومعه «هاجريد» و«هيرميون» أن يقفوا عليها ـ تتحرك في صعود وهبوط مع صوت التنفس. لم تكن تبة.. كانت منحنية بطريقة توضح أنها..

قال «هاجريد» بحسرة: «إنه لم يرغب في المجيء.. لكنني أحضرته معي يا هيرميون، كان عليّ هذا».

سألته «هيرميون» بنبرة من يريد البكاء: «لكن لماذا؟ لماذا.. لماذا يا هاجريد؟».

قال «هاجريد» وكأنه سيبكي هو الآخر: «(حزبت) أنني لو عدت به وعلمته الأدب، (زأقدر) على إخراجه وأن أوضح للجميع أنه (مزالم)».

قالت «هيرميون» بصوت حاد: «مسالم؟!» فلوّح لها «هاجريد» بيديه؛ لتسكت قبل أن يصدر عن المخلوق النائم صوت غريب. وأضافت: «إنه هو من يصيبك بالجروح طوال هذه المدة، أليس كذلك؟ بسببه أصبت بكل هذه الجروح».

قال «هاجريد» بصدق: «إنه لا يعرف كم هو قوي.. وحاله (يتحزن)، فهو لم يعد يتشاجر معي (كثيرًا) كما كان يفعل..».

قالت «هيرميون»: «إذن، فلهذا استغرقت شهرين للعودة من رحلتك. أوه يا هاجريد.. لماذا عدت به إن لم يرغب في المجيء؟ ألم يكن ليحيا حياة سعيدة وسط قومه؟».

قال «هاجريد»: «جميعهم يضايقونه ويتحرشون به يا هيرميون؛ لأنه ضئيل».

قالت «هيرميون»: «ضئيل! ضئيل!».

قال «هاجريد» والدموع تنهمر على وجهه المجروح ولحيته الكبيرة: «هيرميون، لم أقدر على تركه. إنه.. إنه أخي». حدقت فيه «هيرميون» وفمها مفتوح.

قال «هاري» ببطء: «هاجريد.. وأنت تقول أخي، هل تعني..؟».

عدل «هاجريد» من قوله قائلًا: «أعني أخي غير الشقيق.. فهو ابن أمي وأحد العمالقة، بعد أن مات أبي، وها هو جراوب».

قال «هاري»: «جراوب؟».

قال «هاجريد» بقلق: «أجل، هكذا ينطق (إزمه).. فهو لا يتكلم الإنجليزية. حاولت تعليمه.. المهم، يبدو أن أمي لم تحبه (مزلما) لم تحبني. مع العمالقة لا يهم غير الأبناء العمالقة الهائلي الحجم، أما هو فيعتبر ضئيلًا وقليل الحجم بين العمالقة.. فطوله لا يتجاوز (الزت) عشرة قدمًا».

قالت «هيرميون» بسخرية هستيرية: «فعلًا.. صغير جدًا.. أنا لا أكاد أراه».

«أخذوا يضربونه ويضايقونه.. لم أقدر على تركه معهم».

سألته «هيرميون»: «وهل أرادت مدام مكسيم الرجوع به مثلك؟».

قال «هاجريد»: «لم تر أهمية الأمر لي.. لك.. لكننا افترقنا في رحلة العودة.. ووعدتني بألا تخبر أحدًا».

قال «هاري»: «وكيف بربك عدت به من دون أن يراه أحد؟».

قال «هاجريد»: «لهذا أخذت وقتًا طويلًا في العودة. لم أتمكن من الارتحال إلا ليلًا (ورِطْ) الأراضي الجبلية. بالطبع كان يتقدم (بزرعة) عندما يشاء، لكنه دومًا كان يريد العودة».

قالت «هيرميون» وهي تنهار جالسة على شجرة محطمة وتدفن وجهها في يديها: «هاجريد.. لماذا لم تدعه يعود؟ ماذا عساك أن تفعل بعملاق عنيف لا يريد البقاء هنا؟».

قال «هاجريد»: «كلمة عنيف شديدة عليه قليلاً. أعترف بأنه يضربني قليلاً عندما يكون مزاجه (زينا)، لكنه (يتحسن)، ويتقدم، وحاله (يزتقي) ويبتعد عن العنف».

سأله «هاري»: «ما هذه الحبال على أية حال؟».

لاحظ لتوه وجود حبال سميكة ممتدة حول جذوع أكبر الأشجار، وإلى حيث يرقد «جراوب» مكوماً على الأرض وظهره لهم.

قالت «هيرميون» بكلل: «هل عليك أن تبقيه مربوطاً؟».

قال «هاجريد» وهو ما زال متوتراً: «أجل.. فكما قلت، إنه لا يعرف مدى قوته».

فهم «هاري» لماذا غابت المخلوقات الأخرى عن هذا الجزء من الغابة.

تساءلت «هيرميون» بقلق: «إذن، ماذا تريد مني ومن هاري ورون أن نفعل؟».

قال «هاجريد» بصوت أجش: «ترعونه، إن رحلت أنا».

تبادل «هاري» و«هيرميون» نظرات تعسة، وأدرك «هاري» أنه قد وعد «هاجريد» بالقيام بما يطلبه.

سألت «هيرميون»: «ماذا... ماذا يعني كلامك بالضبط؟».

قال «هاجريد» بلهفة: «لن تطعموه أو ما شابه.. يمكنه (الحصول) على طعامه من دون مشاكل، من طيور وغزلان وغيرها.. لا، ما يحتاجه هو (الصحبة) الآدمية. فقط (تجلسون) معه وتعلمونه».

لم ينطق «هاري»، بل التفت لينظر إلى الجسد الهائل الراقد على الأرض أمامهم. على النقيض من «هاجريد»، الذي بدا كآدمي هائل الحجم، بدا «جراوب» مشوهاً بشدة. ما حسبه «هاري» صخرة كبيرة تنمو عليها الطحالب إلى يسار التبة، تعرف فيه على رأس «جراوب». كان غير متناسب مع جسده بحجمه الكبير، ومغطى بأكمله بشعر مجعد كثيف كنبات السرخس، ويظهر من خلاله طرف أذنه الكبيرة، ورأسه ـ مثل رأس الخال «فرنون» ـ مستقر فوق كتفيه مباشرة، من دون مساحة من الرقبة بينهما. أسفل ظهره بدا أشبه بجلود حيوانات بنية اللون يرتديها، بدا عريضاً للغاية. كانت أقدامه مكومة تحت جسده. رأى «هاري» كف قدمه هائلاً، قذراً وحافياً، مستقراً على أرض الغابة الترابية.

قال «هاري» بصوت أجوف: «هل تريدنا أن نعلمه؟». فهم الآن تحذير «فايرنز»، ومعناه. محاولته لن تجدي. عليه أن يتخلى عنها. بالطبع، المخلوقات الأخرى التي تعيش بالغابة سمعت محاولات «هاجريد» غير المثمرة لتعليم «جراوب» الإنجليزية.

قال «هاجريد» بأمل: «أجل.. حتى إن تكلمتم معه قليلاً؛ لأنني أعتقد أنه لو فهم (الناس)، (يفهم) أنهم يحبونه ويريدونه أن يبقى معهم».

نظر «هاري» إلى «هيرميون» التي بادلته النظر من بين أصابعها المتشابكة فوق وجهها.

قال: «ما جرى يجعلك تتمنين لو عاد نوربرت التنين، أليس كذلك؟».

أطلقت ضحكة مرتجفة.

قال «هاجريد» الذي لم يلحظ ما قاله «هاري» منذ لحظة: «هل (تراعدونني) إذن؟».

قال «هاري»، وقد ارتبط بالفعل بكلمته ووعده: «سـ... سنحاول يا هاجريد».

قال «هاجريد» وهو يبتسم بوجهه المبلل وهو يدفنه في منديله: «كنت أعرف أن بإمكاني الاعتماد عليكما. ولا أريد أن تفعلا (الكثير) لأجلي. أعرف أن الامتحانات تقترب.. إن قدرتم على المجيء ولو مرة كل (أسبوع) في عباءة الإخفاء للكلام معه قليلاً.. (أوقظه) الآن.. لأقدمكما له..».

قالت «هيرميون» وهي تهب واقفة: «ماذا؟ لا.. هاجريد، لا، لا توقظه، رجوك. لا نحتاج إلى...».

لكن «هاجريد» كان قد خطا بالفعل فوق جذع الشجرة الكبيرة المكومة أمامه وتقدم نحو «جراوب». عندما صار على مسافة عشر أقدام رفع غصناً طويلاً مكسوراً من فوق الأرض، وابتسم مشجعاً «هاري» و«هيرميون»، ثم لكز «جراوب» في وسطه بالغصن.

زأر العملاق بصوت جلجل في الغابة الصامتة.. طارت الطيور الجاثمة على أغصان الأشجار القريبة، وحلقت مبتعدة. أمام «هاري» و«هيرميون»، نهض «جراوب» العملاق من فوق الأرض، فارتجت الأرض عندما وضع يداً عملاقة عليها؛ ليرفع نفسه على ركبتيه؛ أدار رأسه ليرى من أزعجه.

قال «هاجريد» بصوت أراد له أن يكون مرحاً وهو يتراجع ومعه الغصن متأهباً لوخزه ثانية: «هل أنت بخير يا جراوب؟ هل نمت جيداً؟».

تراجع «هاري» و«هيرميون» قدر استطاعتهما والعملاق ما زال أمامهما يرمقانه. مال «جراوب» بين شجرتين لم يخلعهما بعد. نظرا إلى وجهه الهائل الشبيه بقمر رمادي في ضوء الغابة الخافت. كأن ملامح وجهه منحوتة في

كرة من الصخر، الأنف خشن وبلا معالم محددة، والفم معوج وملىء بالأسنان الصفراء بحجم قوالب الطوب، والعينان صغيرتان بمقاييس العمالقة، بلون أخضر بني ونصف مغلقة غائمة بالنعاس. رفع «جراوب» قبضتيه المتسختين بالطين، وكل منهما في حجم كرة الكريكيت، إلى عينيه؛ ليدعكهما بحماس، ثم ومن دون تحذير، هب واقفًا بسرعة ورشاقة كبيرتين.

سمع «هاري» «هيرميون» تقول بصوت رفيع خائف إلى جواره: «يا ربي».

أخذت الأشجار التي رُبطت بها الحبال الممسكة به تصر وتئن. كان كما قال «هاجريد»، بطول ست عشرة قدمًا على الأقل. أخذ يحدق بعيون غائمة حوله، ومد يده الكبيرة بحجم شمسية الشاطئ؛ ليقبض على عش طيور من الفروع العليا لشجرة صنوبر طويلة ويقلبه ليجد أن ليس به طيور، بتأثر وضيق واضحين.. لكن البيض سقط على الأرض مثل القذائف، فرفع «هاجريد» يده فوق رأسه؛ ليحميه.

صاح «هاجريد»: «المهم يا جراوب» وهو ينظر فوقه بتوجس خوفًا من تساقط المزيد من البيض. أضاف: «لقد أحضرت معي (صديقين)؛ لتقابلهما. تذكر، قلت لك إنني (ربما أحضرهما)، (ألين) كذلك؟ هل تذكر عندما قلت: إنني قد أخرج في رحلة (قصيرة)؟ هل تذكر يا جراوب؟».

لكن «جراوب» لم يفعل أكثر من إطلاق زئير جديد. كان من الصعب معرفة إن كان ينصت لـ«هاجريد» وهل يعرف إن كانت الأصوات الخارجة عن الأخير نوعًا من الكلام أو اللغة؟ أمسك بقمة شجرة الصنوبر وجذبها نحوه، ومن الواضح أنه يعبث ويحاول معرفة ما سيحدث إن تركها ترتد.

صاح «هاجريد»: «يا جراوب، لا تفعل هذا.. هكذا انخلعت الأشجار الأخرى..».

وفعلًا، رأى «هاري» الأرض من حول جذور الشجرة تتخلخل.

صاح «هاجريد»: «معي (صحبة)، (صحبة). انظر! انظر للأسفل أيها العملاق، لقد أحضرت معي بعض (الأصدقاء)».

تأوهت «هيرميون» قائلة: «آه يا هاجريد»، لكن «هاجريد» كان قد رفع الغصن بالفعل وضرب ركبة «جراوب» ضربة حادة.

ترك العملاق الشجرة، التي ترنحت وأمطرت «هاجريد» بوابل من حبات الصنوبر، ثم نظر إلى أسفل.

قال «هاجريد» وهو يسارع إلى حيث يقف «هاري» و«هيرميون»: «هذا هو هاري يا جراوب! هاري بوتر! ربما يأتي لزيارتك إن رحلت أنا، هل تفهم؟».

وقتها فقط أدرك العملاق وجود «هاري» و«هيرميون». راقباه بذعر شديد وهو يخفض رأسه العملاق؛ حتى ينظر إليهما عن قرب.

قال «هاجريد» مترددًا: «هذه.. هيرميون.. هل تراها؟». ثم التفت إلى «هيرميون» وقال: «هل تمانعين إن أطلق عليك هيرمي يا هيرميون؟ فنطقه (لاسمك) (صعب)». فقالت «هيرميون»: «لا، لا أمانع بالمرة».

«هذه هيرمي يا جراوب. و(ربما تأتي) لزيارتك كما قلت. (ألين) هذا رائعًا؟ (صديقان) جديدان لك.. جراوب.. لا!».

ارتفعت يد «جراوب» فجأة ناحية «هيرميون»، فقبض عليها «هاري» وجذبها إلى خلف إحدى الأشجار؛ فاحتكت يد «جراوب» بجذع الشجرة وأمسك الهواء.

سمعا «هاجريد» يصيح: «أنت ولد (وحش) يا جراوب.. لا!»، و«هيرميون» ممسكة بـ«هاري» بقوة خلف الشجرة، وهي ترتجف وتنتفض. «أنت ولد (وحش) جدًا جدًا يا جراوب.. أيبي».

أخرج «هاري» رأسه من خلف الجذع ورأى «هاجريد» راقدًا على ظهره، ويده فوق أنفه. كان «جراوب»، الذي فقد الاهتمام بهم على ما يبدو، قد استقام في وقفته ثانية وأخذ يجذب شجرة الصنوبر قدر استطاعته.

قال «هاجريد» وهو ينهض ويده فوق أنفه النازف والأخرى قابضة على القوس: «ها قد رأيتماه، قابلتماه، وتعرف عليكما، (سيعرفكما) إن عدتما، حسنًا».

رفع بصره إلى «جراوب»، الذي أخذ يجذب الشجرة وعلى وجهه تعبير استمتاع غريب، أخذت الجذور تئن وهو ينتزعها من الأرض.

قال «هاجريد»: «أعتقد أن هذا يكفي اليوم.. آ.. هلا عدنا؟».

أومأ له «هاري» و«هيرميون» موافقين. رفع «هاجريد» القوس إلى ظهره ثانية، وهو ما زال يمسح أنفه، قاد الطريق بين الأشجار.

لم يتكلم أحد لبرهة، ولا حتى سمعوا صوت التحطم البعيد الذي يعني أن «جراوب» قد خلع شجرة الصنوبر أخيرًا. كان وجه «هيرميون» شاحبًا وحزينًا. لم يجد «هاري» شيئًا ليقوله. ماذا يحدث يا ترى لو اكتشف أحدهم ما يخبئه «هاجريد» في الغابة المحرمة؟ وقد وعده أنه هو و«رون»

و«هيرميون» سيكملون محاولاته غير المجدية؛ لتعليم العملاق. كيف أمكن لـ«هاجريد» أن يخدع نفسه ويظن للحظة أنه من الممكن ترويض «جراوب» ليصبح مثل الآدميين؟ حتى مع حبه وولعه الشديدين بالمخلوقات المخيفة ذات الأنياب والمخالب.

قال «هاجريد» فجأة و«هاري» و«هيرميون» يجاهدان على طريق العودة من خلفه؛ ليشقا لهما طريقاً: «انتظرا». رفع سهماً من جعبة السهام ووضعه في كبد القوس. رفع «هاري» و«هيرميون» عصويهما السحرية، بعد أن توقفا هما الآخران، وسمعا صوت حركة قريبة. قال «هاجريد» بهدوء: «اللعنة».

قال صوت رجولي عميق: «حسبتني قلت لك يا هاجريد إنك غير مرحب بك هنا».

بدا وكأن جذع رجل عارٍ يسري نحوهم من دون شيء تحته، مقترباً من بين الأشجار، ثم رأوا خصره وباقي جسده على شكل حصان بني اللون. كان لذلك القنطور وجه أرستقراطي جميل، وشعر أسود طويل. مثل «هاجريد». كان مسلحاً بجعبة سهام، وقوس طويلة على كتفه.

قال «هاجريد» بحذر: «كيف حالك يا ماجوريان؟».

تحركت الأشجار من خلف القنطور، ثم خرج منها أربعة أو خمسة قناطير آخرون تعرف فيهم «هاري» على «بان» ذي الجسد الأسود واللحية، الذي قابله منذ أربعة أعوام في نفس ليلة مقابلته «فايرنز». لم يبد على «بان» أنه يعرف «هاري».

قال وقد تغير صوته تغيراً مخيفاً قبل أن يلتفت إلى «ماجوريان»: «لقد اتفقنا على ما سنفعله إن ظهر هذا الآدمي في الغابة ثانية.. أليس كذلك؟».

قال «هاجريد» بغضب: «تطلقون عليَّ هذا الآدمي، فقط لأنني منعتكم من ارتكاب جريمة قتل؟».

قال «ماجوريان»: «ما كان لك التدخل يا هاجريد. عاداتنا ليست مثل عاداتكم، ولا قوانيننا مثل قوانينكم. فايرنز خان بني جلدته، وغمس أنوفهم في التراب».

قال «هاجريد» بصبر نافد: «لا أعرف كيف (تتطرفون).. إنه لم يفعل شيئاً غير (مزاعدة) دمبلدور..».

قال قنطور رمادي له وجه جاف: «لقد قام فايرنز بخدمة البشر».

قال «هاجريد» مستنكراً: «خدمة؟ لقد (أزدى) دمبلدور معروفاً..».

قال «ماجوريان» بهدوء: «إنه يُفشي أسرارنا وعلومنا للبشر. لا يمكن العفو عن هذا الجرم».

قال «هاجريد» وهو يهز منكبيه: «هذا رأيك.. لكنني شخصياً أراك ترتكب خطأ كبيراً..».

قال «بان»: «أما أنت يا آدمي، فقد عدت إلى الغابة وقد منعناك..».

قال «هاجريد» بغضب: «(الزمعني)، كفاك كلاماً عن الغابة كأنها غابتكم. (ليس) من حقكم تحديد من يدخلها ومن يخرج منها..».

قال «ماجوريان» بنعومة: «ولا من حقك يا هاجريد. سأتركك تمر هذه المرة؛ لأن معك رفقة من أصدقائك الصغ...».

قاطعه «بان» بغضب: «إنهم ليسوا أصدقاءه.. بل تلاميذ يا ماجوريان، من المدرسة، وقد استفادوا من تعاليم الخائن فايرنز».

قال «ماجوريان» بهدوء: «لا فارق.. فإن قتل الصغار جرم كبير.. ولن نمس الأبرياء كذلك. اليوم يا هاجريد ستمر. ومن الآن ابتعد عن هذا المكان. لقد أخللت بصداقة القناطير بمساعدتك للخائن فايرنز في الهرب منا».

قال «هاجريد» بصوت مرتفع: «لن أبقى خارج الغابة بأمر البغال (أمزالكم)».

قالت «هيرميون» بصوت مرتفع خائف: «هاجريد. هيا نخرج من هنا. أرجوك هيا». وكل من «بان» والقنطور الرمادي يضربان الأرض بحوافرهما.

تقدم «هاجريد» إلى الأمام، لكن قوسه كانت لاتزال مرفوعة، وعيناه مركزتان على «ماجوريان» بطريقة مخيفة.

قال «ماجوريان» وباقي القناطير تختفي خلف الأشجار: «نعرف ماذا تخبئ في الغابة يا هاجريد. وصبرنا ينفد».

التفت «هاجريد» وعلى وجهه علامات الرغبة في الكلام مع «ماجوريان». صاح فيه: «(تتحمله) طوال إقامته هنا، وهذه (ليزت) غابتك وحدك».

و«هاري» و«هيرميون» يدفعان «هاجريد» بكل قوة إلى الأمام؛ ليتحرك مبتعداً. نظر إلى الأسفل وهو ما زال يصيح غاضباً، وتعبير وجهه يتغير إلى الدهشة عندما رآهما يدفعانه، فمن الواضح أنه لم يشعر بضغطهما عليه.

قال وهو يدور على عقبيه ليسير وهما يلهثان من خلفه: «اهدآ.. يالهم من بغال وقحة.. (أليزوا) كذلك؟».

قالت «هيرميون» بأنفاس متقطعة: «هاجريد، إن كانت القناطير غير راغبة في دخول البشر إلى الغابة، فهذا يعني أنني لن أقدر وهاري على...».

قال «هاجريد» منهيًا الموضوع: «لقد (زعمتما) ما قالوه.. إنهم لا يؤذون (الطغاة) النهم، لا يجب أن (ترمح) لهؤلاء الحمقى بالتلاعب بنا هكذا».

غمغم «هارى» مخاطبًا «هيرميون» التى بدت حزينة: «محاولة جيدة».

أخيرًا عادوا إلى درب الغابة، وبعد عشر دقائق أخرى صارت الأشجار أقل كثافة.. تمكنوا من رؤية أجزاء من السماء الزرقاء فوقهم ثانية، وسمعوا أصوات الهتاف والتهليل على مسافة بعيدة.

تساءل «هاجريد» متوقفًا فى ظل الأشجار وقد ظهر استاد «الكويدتش» أمامهم: «هل هذا هدف آخر؟ أم أن المباراة قد انتهت؟».

قالت «هيرميون» بتعاسة: «لا أعرف». رأى «هارى» أنها فى حالة يُرثى لها؛ بشعرها المليء بأغصان وأوراق الأشجار، وعباءتها الممزقة من عدة مواضع، والخدوش الكبيرة على وجهها ويديها. عرف أنه لا بد فى حالة أفضل منها.

قال «هاجريد» وهو ما زال ينظر إلى الإستاد: «يبدو أن المباراة قد انتهت. انظرا، ها هو الجمهور يغادر الملعب.. إن (أزرعتما) (زتتمكنان) من الاختلاط بالجموع، ولن يعرف أحد أين كنتما».

قال «هارى»: «فكرة جيدة.. حسنًا.. نراك لاحقًا يا هاجريد».

قالت «هيرميون» بصوت مضطرب مهتز لحظة ابتعد «هاجريد» عنهما ولم يعد قادرًا على سماعها: «لا أصدقه.. لا أصدقه.. بصراحة لا أصدقه».

قال «هارى»: «اهدئى».

قالت بصوت محموم: «اهدأ؟ عملاق؟ عملاق فى الغابة! وعلينا أن نعلمه الإنجليزية نفترض أن قطيع القناطير القتلة لن يهاجمنا.. لا أصدقه».

حاول «هارى» أن يطمئنها بصوت هادئ: «لم نضطر لفعل أى شىء بعد.. وهما يتضمان للطيع جمهور «هافلباف» المتذمر المتجه إلى القلعة، أضاف: «إنه لم يطلب منا شيئًا إلا فى حالة طرده من المدرسة، وهذا قد لا يحدث أبدًا».

قالت «هيرميون» بغضب وقد تجمدت فى مكانها فجأة فتفاداها مَن خلفها من الطلبة: «دعك من هذا الكلام يا هارى، بالطبع سيطردونه، وبصراحة بعد ما رأيته، فمن يستطيع لوم أمبريدج؟!».

حل الصمت لبرهة وأخذ «هارى» يرمقها بعينيه، ثم بكت.

قال «هارى» بهدوء: «أنت لم تقصدى ما ذكرتِه».

قالت وهى تمسح دموعها بغضب: «لا، أعنى... لا، لم أقصد لكن، لماذا يصعّب علينا حياتنا هكذا؟ لماذا؟».

«لا أعرف...».

ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)
ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)
ويسلى يا صاعد يا واعد
ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)

قالت «هيرميون» بتعاسة: «أتمنى أن يكفّوا عن غناء هذه الأغنية.. ألا يكفيهم ما فعلوه؟». تحرك تجمع كبير من الطلبة عبر الفناء إلى الملعب.

قالت «هيرميون»: «هيا ندخل إلى القلعة، قبل أن يأتى طلبة سليذرين».

ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)
ويسلى لا يفلت منه الذباب
ولهذا نغنى ونقول بإعجاب:
ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)

قال «هارى» ببطء: «هيرميون!».

أخذ الغناء يرتفع، لكنه لم يكن صادرًا من الجمهور ذى الزى الأخضر والفضى الخاص بـ «سليذرين»، لكن من كتلة الجماهير المرتدية الذهبى والأحمر فى طريقها ببطء إلى القلعة، وفوق المناكب والرءوس أحد اللاعبين.

ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)
ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)
ويسلى يا صاعد يا واعد
ويسلى يا ملك يا أبو مقشة (زنبلك)

قالت «هيرميون» هامسةً: «لا يمكن!».

قال «هاري» بصوت مرتفع: «أجل».

صاح «رون» ملوحاً بقبعة «الكويدتش» الفضية في الهواء بسعادة خرافية «هاري! هيرميون! لقد نجحنا! فزنا».

ابتسموا إليه وهو يمر. كانت هناك دعامة خشبية وطيئة عند مدخل القلعة فاصطدم بها رأس «رون»، لكنهم لم ينزلوه من فوق أكتافهم. أخذ الجمهور يغني، ويحشر نفسه في القاعة الأمامية وغابوا عن الأبصار راقبهم «هاري» و«هيرميون» وهم يمضون، وهما يبتسمان حتى اختفى عن مسامعهما آخر صيحة: «ويسلي يا ملك». ثم التفتا إلى أحدهما الآخر، وتلاشت ابتسامتهما.

قال «هاري»: «سنخفي عنه ما عرفناه حتى الغد، ما رأيك؟».

قالت «هيرميون» بتعب: «أجل، حسناً. أنا لست متلهفة لإخباره».

صعدا السلم معاً، وعند الأبواب الأمامية، نظرا إلى الغابة المحرمة. لم يكن «هاري» واثقاً مما رآه، إن كان وهماً أم حقيقة، لكنه رأى تجمعاً صغيراً من الطيور يحلق في الهواء فوق أطراف الأشجار العليا على مسافة بعيدة، حيث اقتلعت الأشجار المقامة عليها أعشاشها منذ لحظات.

٣١ (أوه. دبليـــو. إل)

من فرحة «رون» بمساعدته فريق «جريفندور» على الفوز بكأس الكويدتش، لم يستقر على حال طوال اليوم التالي. كل ما أراده هو الكلام عن المباراة، حتى وجد «هاري» و«هيرميون» صعوبة شديدة في ذكر «جراوب»، لأن كانا لم يحاولا فتح الموضوع. فلم يكن أي منهما حريصاً على إعادة «رون» إلى عالم الواقع بهذه الطريقة القاسية. كان يوماً دافئاً جميلاً عندما انتهاء بالانضمام إليهما في المذاكرة تحت شجرة الزان على شاطئ البحيرة، لأن فرصة أن يسمعهم أحد أقل منها في حجرة الطلبة. لم يتحمس «رون» للفكرة في البداية، فقد كان مستمتعاً بربتات جميع من يمرون إلى جواره في حجرة الطلبة، دعك من غناء «ويسلي يا ملك» بين الحين والآخر. لكن وبعد رغبة، وافق على الاستمتاع ببعض الهواء النقي.

فتحا كتبهما في ظل شجرة الزان وجلسا، بينما «رون» يكلمهما عن أول كرة يصدها في المباراة، للمرة (المليون):

«كنت قد تركت كرة «دافيز» تمر؛ لذا فلم أكن أشعر بالثقة، لكن لا أعرف. عندما اقترب مني «برادلي»، شعرت فجأة بأنني قادر على صد الكرة. واستغرقت ثانية في التفكير في أي الاتجاهات أطير؛ لأنه بدا وكأنه سيصوب إلى المرمى اليمين - إلى يميني - ويساره كما هو واضح - لكن شعرت بأنه يخادعني، وهكذا خاطرت وطرت إلى اليسار - إلى يمينه يعني - و... ورأيتم ما جرى». أنهى كلامه بتواضع وهو يعبث بشعره حتى يبدو وكأنه نزل من فوق المكنسة منذ لحظة، ونظر حوله؛ ليرى إن كان أقرب الجلوس إليهم قد سمعوه، وهم جماعة من تلاميذ «هافلباف». ثم قال: «ثم، عندما اقترب مني شامبرز بعد خمس دقائق، ماذا؟». كف عن الكلام فجأة عندما رأى النظرة المرتسمة على وجه «هاري». أضاف: «لماذا تبتسم؟».

قال «هاري» بسرعة وهو يعاود النظر إلى مذكرات مادة التحويل، محاولاً إخفاء الابتسامة: «أنا لا أبتسم». الحقيقة أن «رون» قد ذكره بلاعب

«كويدتش» آخر جلس تحت الشجرة نفسها منذ زمان بعيد وأخذ يعبث بشعره هكذا». أضاف: «أنا فقط سعيد؛ لأننا كسبنا. هذا كل شيء».

قال «رون» ببطء مستمتعًا بالكلمات: «أجل.. فزنا. هل رأيت نظرة تشانج عندما أمسكت «جيني» بالسنيتش من تحت أنفها؟».

قال «هاري» بقسوة: «تراها بكت؟».

قطب «رون» جبينه قليلاً وقال: «آه.. أجل.. من الغضب أكثر من أي شيء آخر. لكنني رأيتها تلقي بمقشتها على الأرض عندما نزلت. ألم تَرها؟».

قال «هاري»: «آ...».

قالت «هيرميون» بتنهيدة ثقيلة وهي تضع كتابها جانبها وتنظر إليه نظرة اعتذار: «في الواقع لا يا رون.. في الحقيقة، الجزء الوحيد الذي شاهدته وهاري من المباراة هو هدف «ديفيز» الأول».

فجأة، بدا شعر «رون» المنفوش من عبثه به وكأنه قد ذبل من الحسرة. قال بضعف ناقلاً بصره بينهما: «ألم تشاهدا المباراة؟ ألم تشاهدا كل الحركات الماهرة التي قمت بها؟».

قالت «هيرميون» وهي تمد إليه يدًا مهدئة: «في الواقع لا.. لكن يا رون نحن لم نكن نريد أن نقوم.. كان علينا هذا».

قال «رون» ووجهه آخذ في الاحمرار: «حقًا! وكيف هذا؟!».

قال «هاري»: «هاجريد هو السبب. فقد قرر إخبارنا بسبب إصاباته الكثيرة التي يصاب بها منذ عودته من أرض العمالقة. أرادنا أن ندخل معه إلى الغابة، ولم يكن أمامنا خيار، فأنت تعرف كيف يكون عندما يصمم على شيء. المهم...».

حكى له الحكاية في خمس دقائق، وعندما انتهى.. حلت محل نظرة «رون» المستنكرة المتألمة نظرة ارتياب مطلق.

«عاد بواحد منهم إلى الغابة؟».

قال «هاري» بتجهم: «أجل».

قال «رون»: «لا، لا يمكن»، وكأنه يقول إنه قادر على جعل ما حدث غير حقيقي.

قالت «هيرميون» بحسم: «جراوب طوله ست عشرة قدمًا، ويستمتع بخلع أشجار الصنوبر بطول عشرين قدمًا، كما يعرفني باسم هيرمي».

ضحك «رون» ضحكة متوترة.

«وهل يريدنا هاجريد أن...؟».

قال «هاري»: «تعلمه الإنجليزية.. أجل».

قالت «هيرميون» بامتعاض وهي تقلب صفحة كتاب (التحويل: المستوى المتوسط) وتنظر إلى مجموعة من الرسوم التي تظهر فيها بومة تتحول إلى نظارة: مشاهدة الأوبرا: «أجل. بدأت أرى هذا. لكن للأسف جعلني أنا وهاري نعده».

قال «رون» بلهجة قاطعة: «إذن، فكل ما عليكما هو ألا تفيا بالوعد، هذا كل شيء. أعني... بربكما عندنا امتحانات، ونحن على قيد هذه المسافة - رفع يده وقلبها وقرّب سبابته من إبهامه حتى كادا يتلامسان - من أن نُطرد من هنا.. هل تذكران نوربرت؟ وأراجوج؟ هل انتهى بنا الحال على خير من قبل عندما كنا نتدخل في شئون أصدقاء هاجريد من الوحوش؟».

قالت «هيرميون» بصوت خفيض: «أعرف.. لكننا وعدناه».

عبث «رون» بشعره ثانية، وبدا عليه الانشغال.

تنهد أخيرًا وقال: «حسنًا.. هاجريد لم يُطرد بعد.. أليس كذلك؟ لقد نجا حتى هذه اللحظة، ربما يقدر على البقاء حتى نهاية الفصل الدراسي، وربما لن نضطر للذهاب إلى جراوب».

***

كانت الأراضي المحيطة بالقلعة مغمورة في أشعة الشمس وكأنها لوحة مرسومة.. السماء الصافية تبتسم مختالة للبحيرة المتلألئة، والحدائق الخضراء يتمايل عشبها الحريري الملمس مع النسيم. وصل شهر يونيه، لكن لطلبة الصف الخامس، فهذا يعني شيئًا واحدًا لقد داهمتهم امتحانات الـ(أو. دبليو. إل.) أخيرًا.

لم يعد معلموهم يكلفونهم بالواجب.. كانت الحصص مكرسة بالكامل للمراجعة على الموضوعات التي يراها المعلمون أقرب للمجيء في الامتحانات. تمكن الجو الجاف المحموم المتوتر من إبعاد أي شيء بخلاف الامتحانات عن ذهن «هاري»، وإن كان يتساءل أحيانًا أثناء حصص الوصفات السحرية إن كان «لوبين» قد أخبر «سناب» بأن عليه العودة لدروس «الأوكلومينسي» معه. إن كان قد فعل، فقد تجاهل «سناب» «لوبين» كما يتجاهله. شعر «هاري» بأن هذا يناسبه جدًا، فهو مشغول ومتوتر بما يكفي

ولا تنقصه دروس إضافية مع «سناب». ومما أراحه أيضًا أن «هيرميون» كانت مشغولة هي الأخرى، فلم تسأله كثيرًا عن «الأوكلومينسي». وقضت وقتًا طويلاً تهمهم وتكلم نفسها أثناء المذاكرة، ولم تنتج أيًا من ملابس الأقزام المنزلية لمدة أيام.

لم تكن الوحيدة التي تتصرف بغرابة مع اقتراب الامتحانات. «إرني ماكميلان» مثلاً أصبح عنده عادة سيئة: كلما رأى أحدًا يسأله عن: كيف يذاكر؟

قال لـ«هاري» و«رون» وهما واقفان أمام فصل علم الأعشاب، وعيناه تلمعان بجنون: «كم ساعة تقضيانها في المذاكرة كل يوم؟».

قال «رون»: «لا أعرف.. قليلاً».

«أكثر أم أقل من ثماني ساعات؟».

قال «رون» باديًا عليه الانزعاج: «أقل على ما أعتقد».

قال «إرني» وهو «ينفش» صدره: «أنا أذاكر ثماني ساعات. ثماني أو تسع ساعات. فأنا أذاكر ساعة قبل الإفطار كل يوم، يمكنني المذاكرة لعشر ساعات في الإجازة. وتسع ونصف الساعة يوم الإثنين. ولا أذاكر جيداً يوم الثلاثاء. فقط سبع ساعات وربع الساعة. ثم يوم الأربعاء...».

شعر «هاري» بعميق الامتنان للأستاذة «سبروت» عندما أشارت إليهم بالدخول إلى الصوبة الزجاجية رقم ثلاثة؛ لتجبر «إرني» على الكف عن الكلام عن مذاكرته.

أما «دراكو مالفوى»، فقد كانت عنده طريقة أخرى يثير بها ذعر الطلبة بشأن الامتحانات.

سمعوه يقول لـ«كراب» و«جويل» بصوت مرتفع خارج فصل الوصفات السحرية قبل الامتحانات بأيام: «بالطبع المسألة ليست مسألة ماذا تعرف. بل من تعرف. الآن أبي صديق شخصي لرئيسة لجنة الامتحانات السحرية وهي جريسلدا مارشبانكس. فهي تأتي لتناول العشاء عندنا».

همست «هيرميون» فجأة؛ لتفزع «هاري» و«رون» بصوتها: «هل تريان ما يقوله حقًا؟».

قال «رون» بوجوم: «ليس بيدنا ما نفعله؛ إن كان حقًا».

قال «نيفيل» بهدوء من خلفهم: «لا أعتقد أنه صادق؛ لأن جريسلدا مارشبانكس صديقة لجدتي، ولم تتكلم قط عن آل مالفوى أمامي».

سألته «هيرميون» على الفور: «كيف هي يا نيفيل؟ هل هي صارمة؟

قال «نيفيل» بصوت لطيف: «الحقيقة أنها تشبه جدتي».

قال له «رون» مشجعًا: «ومعرفتك بها في مصلحتك. أليس كذلك؟».

قال «نيفيل» بتعاسة: «لا أعتقد أن هذا يشكل فارقًا. فجدتي تقول للأستاذة مارشبانكس دومًا إنني لست في مهارة أبي.. رأيتم كيف هي في سانت مونجو».

نظر «نيفيل» بثبات إلى الأرض. تبادل «هاري» و«رون» و«هيرميون» النظرات، لكن لم يجدوا ما يقولونه. كانت المرة الأولى التي يعترف فيها «نيفيل» بأنه قابلهم في مستشفى السحرة.

انتعشت السوق السوداء في تجارة المواد المنشطة، والمعالجة للإرهاق الذهني، والضعف بين طلبة الصفين الخامس والسابع فرح «هاري» و«رون» كثيرًا بزجاجة من إكسير «باراكيو» للعقول، التي قدمها لهما طالب في الصف السادس باسم «إيدى كارمايكل». وأقسم إنه حصل على درجة «امتياز» العام السابق بسببها، وإنه سيعطيهم الزجاجة كلها مقابل اثني عشر «جاليونًا». وعد «رون» «هاري» بأنه سيرد له نصيبه من ثمن الزجاجة، عندما يتخرج في «هوجورتس» ويحصل على وظيفة. لكن وقبل أن تتم الصفقة، صادرت «هيرميون» الزجاجة من «كارمايكل»، وسكبت محتوياتها في المرحاض.

صاح «رون»: «هيرميون. كنا سنشتري الزجاجة».

قالت مزمجرة: «لا تكن غبيًا. ولماذا لم تتعاط بودرة مخلب التنين التي يبيعها هارولد دينجل أيضًا؟».

قال «رون» بلهفة: «وهل مع هارولد بودرة مخلب التنين؟».

قالت «هيرميون»: «لا. لقد صادرتها منه. هذه الأشياء غير مفيدة بالمرة».

قال «رون»: «مخلب التنين مؤثر وفعال. فهو خارق في قوته، ويعطي العقل قوة كبيرة، دعيني أحصل على بعضه.. فهو لا يؤذي».

قالت «هيرميون» بوجوم: «بل يؤذي. لقد فحصته، فوجدته فضلات (عو نطاط) مجففة».

أبعدت هذه المعلومة الرغبة في الحصول على منشطات عن عقل «هاري» و«رون».

أحاطوا علمًا بجدول الامتحانات، وتفاصيل إجراءات الامتحانات في حصة التحويل.

قالت الأستاذة «مكجونجال» للفصل وهم ينقلون مواعيد وزمن الامتحانات

من السبورة: «كما ترون، فإن امتحانات شهادة الـ(أوه. دبليو. إل.) على أسبوعين متتاليين. ستتلقون الامتحان النظري للمادة صباحًا، والامتحان العملي مساءً. أما امتحان علم الفلك العملي فسيتم بالطبع وقت الليل.

«على أن أحذركم من أن أقوى التعاويذ المضادة للغش يتم تطبيقها في لجنة الامتحانات. ريشات الكتابة التي تكتب وحدها محظورة، وكذلك المذكرات السحرية، والحبر المصحح نفسه بنفسه»[1]. يؤسفني أن كل عام نجد طالبًا واحدًا على الأقل يعتقد أنه يمكنه خداع قواعد لجنة الامتحانات السحرية العليا. أتمنى ألا يكون هذا الشخص من جريفندور هذا العام. ناظرتنا الجديدة...

نطقت الأستاذة «مكجونجال» الكلمة وعلى وجهها نفس تعبير الخالة «بيتونيا» عندما تزيل بقعة عنيدة من الوسخ. «طلبت من المسئولين عن الفرق المدرسية إخبار الطلبة بأن الغش سيعاقب عليه من يرتكبه أقسى العقاب؛ لأن نتائج امتحاناتكم تعكس مدى نجاح النظام الجديد للناظرة في المدرسة...».

تنهدت الأستاذة «مكجونجال»، ورأى «هاري» فتحتي أنفها الحاد تنتفشان.

«... لكن هذا ليس سببًا يجعلكم لا تذاكرون جيدًا. فمستقبلكم هو ما يجب التفكير فيه».

قالت «هيرميون» ويدها مرفوعة في الهواء: «من فضلك يا أستاذة. متى ستظهر نتائج الامتحانات؟».

قالت الأستاذة «مكجونجال»: «سيتم إرسال بومة إليكم في شهر يوليو».

قال «دين توماس» بهمسة مسموعة: «ممتاز. حتى لا نقلق بشأن النتيجة طوال الإجازة».

تخيل «هاري» نفسه جالسًا على فراشه في «بريفت درايف» بعد ستة أسابيع منتظرًا درجات الـ(أوه. دبليو. إل.). فقال لنفسه إنه هكذا سيضمن وصول رسالة واحدة على الأقل إليه هذا الصيف.

كان امتحانهم الأول - نظرية التعاويذ - صباح يوم الإثنين. وافق «هاري» على اختبار «هيرميون» بعد الغداء يوم الأحد، لكنه ندم بعدها على الفور. كانت متوترة وأخذت تنتزع الكتاب منه من حين لآخر لتتأكد من أنها أجابت الإجابات الصحيحة. وأخيرًا ضربته بقوة على أنفه بطرف كتاب (انجازات في عمل التعاويذ) الحاد.

---

(١) وكأن الأستاذة «مكجونجال» تقول: «ممنوع الآلات الحاسبة، والالكترونيات والكتابة بالقلم الأزرق فقط، كما في امتحانات الثانوية العامة (المترجم).

قال لها بصرامة مناولاً إياها الكتاب وعيناه تدمعان من الألم: «لماذا لا تختبرين نفسك؟».

بينما أخذ «رون» يقرأ مذكرات التعاويذ وأصابعه في أذنيه، وشفتاه تتحركان من دون صوت، و«سيماس فينيجان» راقد على ظهره على الأرض، يُسمّع تعريف تعويذة التضخيم، و«دين» ممسك بكتاب «كتاب التعاويذ المدرسي: الصف الخامس» يختبره. بينما «بارفاتي» و«لافندر» اللتان كانتا تتدربان على تعاويذ التحريك الأساسية، أخذتا تتسابقان بأقلامهما على طرف المائدة.

كان العشاء لطيفًا تلك الليلة. لم يتكلم «هاري» و«رون» كثيرًا، بل أكلا باستمتاع، بعد أن ذاكرا طوال اليوم. أما «هيرميون»، فقد داومت على خفض سكينها وشوكتها والنزول تحت المائدة إلى حقيبتها، فتقبض على أحد الكتب؛ لتتحقق من معلومة أو رقم ما. أمرها «رون» أن تأكل وجبة محترمة وإلا فلن تنام الليل، عندما انزلقت شوكتها من بين أصابعها واستقرت برنين مسموع على طبقها.

قالت بوهن محدقة في القاعة الأمامية: «يا إلهي..! هل هم هؤلاء؟! هل هذه لجنة الممتحنين؟».

التفت «هاري» و«رون» في مقعديهما إلى حيث تنظر. ومن خلف أبواب القاعة الكبرى، رأوا «أمبريدج» واقفة مع جماعة صغيرة من الساحرات والسحرة المسنين. ورأى «هاري» - وهو ما سره - أن «أمبريدج» متوترة.

قال «رون»: «هلا ذهبنا وألقينا نظرة عن قرب؟».

أومأ «هاري» و«هيرميون» موافقين، وهرعوا إلى الأبواب المُفضية للقاعة الأمامية، وأبطأ ثلاثتهم خطوهم وهم يعبرون الباب ويسيرون برصانة إلى جوار الممتحنين. قال «هاري» لنفسه: إنه لابد أن تكون الأستاذة «مارشبانكس» هي الساحرة الضئيلة المنحنية الظهر ذات الوجه المجعد.. كانت «أمبريدج» تتحدث إليها بحرص واهتمام. بدت الأستاذة «مارشبانكس» ضعيفة السمع؛ لأنها كانت تجيب عن أسئلة الأستاذة «أمبريدج» بصوت عالٍ بالنسبة لمسافة القدم التي تفصلهما.

قالت بصبر نافد: «كانت رحلة موفقة.. فعلاً، لقد جئنا إلى هنا كثيرًا من قبل. والآن، لم أسمع أي أخبار عن دمبلدور منذ فترة». وهي تجيل طرفها في

القاعة وكأنها تنتظر خروجه فجأة من خزانة المقشات. أضافت: «لا تعرفين أين هو على ما أعتقد».

قالت الأستاذة «أمبريدج» وهى تحدج «هارى» و«رون» و«هيرميون» الذين أخذوا يتسكعون أمام السلم و«رون» يتظاهر بعقد رباط حذائه، بنظرة حقود: «لا أعرف بالمرة. لكن أؤكد لك أن وزارة السحر ستتعقبه وتصل إليه قريباً».

صاحت الأستاذة «مارشبانكس» الضئيلة: «لا أعتقد. ليس إن قرر «دمبلدور» ألا يجده أحد. أعرف هذا. فقد اختبرته بنفسى فى مادتى التحويل والتعاويذ فى شهادة الـ(إن. إى. دبليو تى). فعل بعصاه السحرية أشياء رهيبة لا قبل لى بها».

قالت الأستاذة «أمبريدج» مع جرجرة «هارى» و«رون» و«هيرميون» لأقدامهم على السلم الرخامى ببطء شديد: «أجل.. حسناً.. دعونى أوصلكم إلى حجرة المعلمين. أكيد أنتم فى حاجة إلى كوب شاى بعد هذه الرحلة الشاقة».

كانت أمسية مشحونة بالتوتر. أخذ الجميع يراجعون، ولم يتقدم أحد منهم فى مراجعته كما يجب. صعد «هارى» مبكراً إلى الفراش، لكنه رقد متيقظاً لوقت شعر أنه ساعات طوال. تذكر استشارته المهنية مع الأستاذة «مكجونجال» وإعلانها الغاضب أنها ستساعده؛ حتى يصبح مقاتلاً للسحر الأسود، وإن كان هذا آخر ما تفعله. تمنى لو كان قد ذكر لها مهنة معقولة يقدر عليها، بعد أن جاءت الامتحانات وأدرك صعوبة ما يبتغيه. كان يعرف أنه ليس الوحيد الراقد متيقظاً فى الحجرة، لكن لم يتكلم أى من الراقدين، وأخيراً - واحداً تلو الآخر - ناموا جميعاً.

وفى اليوم التالى، لم يتكلم أى من طلبة الصف الخامس كثيراً أثناء الإفطار. أخذت «بارفاتى» تتمرن على التعاويذ بصوت خفيض وعلبة الملح تتمايل أمامها وترتعش. و«هيرميون» تعيد قراءة كتاب (إنجازات فى عمل التعاويذ) بسرعة رهيبة. وأخذ «نيفيل» يسقط سكينه وشوكته، كما سكب طبق المربى.

حالما انتهى الإفطار، تجمع طلبة الصفين الخامس والسابع فى القاعة الأمامية بينما ذهب التلاميذ الآخرون إلى فصولهم، ثم وفى تمام الساعة التاسعة وعشر دقائق، نادوا عليهم، فصلاً بعد الآخر، بالدخول إلى القاعة الكبرى، التى أعيد ترتيبها؛ حتى أصبحت بالطريقة التى رآها «هارى» عليها فى المفكرة السحرية عندما كان أبوه و«سيريوس» و«سناب» يؤدون امتحانات الـ(أوه. دبليو. إل.) فقد أزيلت موائد الفرق الأربعة وحلت محلها موائد كثيرة

تواجه كلها مائدة المعلمين عند طرف القاعة البعيد، حيث وقفت الأستاذة «مكجونجال» فى مواجهتهم. عندما جلسوا جميعاً واستقروا هادئين، قالت: «يمكنكم البدء». وقلبت الساعة الرملية الكبيرة المستقرة فوق المائدة المجاورة لها، التى كان عليها أيضاً ريشات كتابة، وقنانى حبر، ورقع كبيرة من الورق.

قلب «هارى» ورقته، وأخذ قلبه يخفق بقوة. على مسافة ثلاثة صفوف إلى يمناه، وأربعة مقاعد أمامه، وجد «هيرميون» قد بدأت فى الكتابة. خفض بصره ناظراً إلى السؤال الأول: *أ) اذكر تعويذة طيران المواد الصلبة. ثم: ب) صف حركة العصا السحرية المطلوبة للتعويذة السابق ذكرها.*

تذكر «هارى» هراوة تطير فى الهواء، وتضرب جمجمة «ترول» بصوت مسموع[1]. يبتسم ابتسامة خفيفة، وانحنى على ورقته، وبدأ فى الكتابة.

***

تساءلت «هيرميون» بقلق فى القاعة الأمامية بعد ساعتين، وهى ما زالت قابضة على ورقة الأسئلة: «لم يكن امتحاناً صعباً.. أليس كذلك؟ لست واثقة من إجابتى عن سؤال التعاويذ المبهجة، فقد داهمنى الوقت. هل ذكرت تعويذة مقاومة الفواق؟ لم أكن واثقة من وجوب ذكرها فى الإجابة، لكن شعرت بهذا. والسؤال الثالث والعشرون..».

قال «رون» بصرامة: «هيرميون.. لقد تكلمنا عن هذا منذ قليل.. عندنا امتحانات أخرى، ويكفينا حل الامتحان مرة واحدة».

أكل طلبة الصف الخامس طعام الغداء مع باقى تلاميذ المدرسة - بعد أن عاودت موائد الفرق الأربعة الظهور وقت الغداء - ثم ساروا إلى حجرة صغيرة إلى جانب القاعة الكبرى، حيث انتظروا حتى تودى عليهم لأداء الامتحان العملى. مع المناداة على مجموعة صغيرة من الطلبة؛ للتقدم لأداء الامتحان، كان الذين يبقون يتمرنون على التعاويذ وحركات العصى السحرية، ومن الحين للآخر يصيبون بعضهم فى الظهر أو العين عن طريق الخطأ.

نادوا على اسم «هيرميون»، وهى ترتجف غادرت الحجرة مع «أنتونى جولدشتاين» و«جريجورى جويل» و«دافنى جرينجراس». الطلبة الذين تم اختبارهم لا يعودون إلى من لم يختبروا، فلم يعرف «هارى» و«رون» كيف أدت «هيرميون» اختبارها العملى.

(١) حدث هذا عندما كان «هارى» فى الصف الأول بالمدرسة، وأدخل «ترول» إلى المدرسة، فتخلص منه هو و«رون» و«هيرميون» فى رواية «هارى بوتر وحجر الفيلسوف». (المترجم)

قال «رون»: «ستنجح بتفوق، أتذكر كيف حصلت على مائة واثنين بالمائة في واحد من امتحانات التعاويذ السابقة؟».

بعد عشر دقائق، نادى الأستاذ «فليتويك»: «باركنسون بانسي - باتيل بادما - باتيل بارفاتي - بوتر هاري».

قال «رون» بهدوء: «حظ سعيد» و«هاري» يدخل إلى القاعة الكبرى، ممسكاً بعصاه بقوة حتى أن يده أخذت ترتجف.

قال الأستاذ «فليتويك» بصوته الرفيع حالما خرج «هاري» عبر الباب: «الأستاذ توفتي غير مشغول يا بوتر» أشار لـ«هاري» نحو من بدا أكبر وأصلع الممتحنين، وكان جالسًا خلف مائدة صغيرة في الركن البعيد، على مسافة قصيرة من الأستاذة «مارشبانكس» التي كانت تمتحن «دراكو مالفوي» بنفسها.

قال الأستاذ «توفتي» متحققًا من قائمة الأسماء من خلف نظارته الصغيرة مع اقتراب «هاري»: «بوتر. أليس كذلك؟ بوتر الشهير؟».

من طرف عينه رأى «هاري» «مالفوي» يحدجه بنظرة قاسية. سقطت الكأس التي كان «مالفوي» يحاول رفعها وتحريكها بعصاه وتحطمت على الأرض، لم يقدر «هاري» على منع ابتسامة أفلتت منه، وابتسم الأستاذ «توفتي» هو الآخر مشجعًا.

قال بصوت عجوز مرتعش: «هكذا. لا حاجة بنا للتوتر. والآن، إن طلبت منك رفع طبق البيض هذا وجعله يدور في الهواء، فهل تقدر؟».

تقدم «هاري» في الامتحان بسهولة. كانت تعويذة الرفع التي أداها أفضل بالطبع من تعويذة «مالفوي»، وإن تمنى لو لم يمزج تعويذة تغيير اللون بتعويذة النمو؛ فقد أصبح الجرذ المطلوب منه تغيير لونه إلى البرتقالي بحجم القندس قبل أن يصحح «هاري» خطأه. سره أن «هيرميون» لم تكن بالقاعة وقتها وتجاهل ذكر خطئه هذا لها بعدما انتهى من الامتحان. كان بإمكانه إخبار «رون» بالطبع، بعد أن تسبب الأخير في تحويل طبق كبير إلى نبات عش الغراب ولم يعرف كيف وقع هذا.

لم يجدوا وقتًا للراحة تلك الليلة. دخلوا إلى حجرة الطلبة بعد العشاء مباشرة وأخذوا يراجعون مادة التحويل لامتحان اليوم التالي، ومضى «هاري» إلى الفراش ورأسه مليء بنماذج التعاويذ المعقدة، والرسوم التوضيحية والنظريات.

نسي تعريف تعويذة التغيير أثناء الامتحان في الصباح التالي، لكن اختباره العملي كان أسوأ بكثير. على الأقل، تمكن من إخفاء الخنزير كله، بينما فقدت «هانا آبوت» أعصابها تمامًا على المائدة المجاورة إليه، وتمكنت من مضاعفة عدد حيوان ابن عرس، الذي تختبر عليه وحولته إلى سرب من البجع؛ ليتوقف الامتحان لمدة عشر دقائق وهم يمسكون بالطيور ويحملونها إلى خارج القاعة.

امتحنوا في مادة علم الأعشاب يوم الأربعاء. بخلاف عضة صغيرة من شجرة «جيرانيوم» بأنياب، فقد شعر «هاري» أن أداءه في الامتحان كان جيدًا. ثم مادة الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود يوم الخميس، وللمرة الأولى يثق «هاري» في نجاحه. لم تواجهه مشكلات في الامتحان النظري، واستمتع كثيرًا بالامتحان العملي، عندما أدى تعاويذ دفاعية أمام «أمبريدج» التي أخذت تراقبه ببرود من أمام الأبواب الفضية إلى القاعة الأمامية.

صاح الأستاذ «توفتي» الذي كان يختبر «هاري» ثانية: «ياه. براڤو» عندما أدى «هاري» تعويذة طرد (عو) ممتازة. أضاف: «رائع جدًا. يكفي هذا يا بوتر. إلا إذا...».

مال قليلاً للأمام:

«سمعت من صديقتي العزيزة تايبرياس أوجدين أنك قادر على إطلاق باترونس... ما رأيك؟ سأمنحك نقاطًا إضافية عليها...».

رفع «هاري» عصاه السحرية، ونظر مباشرة إلى «أمبريدج» وتخيلها وهي تُطرد من المدرسة:

«إكسبكتو باترونام».

انبعث أيله الفضي من طرف عصاه السحرية وطاف بطول القاعة. التفت كل الممتحنين إليه ليراقبوه؛ حتى تحلل متحولاً إلى دخان فضي اللون، فصفق الأستاذ «توفتي» بيديه المعروقتين بحماس.

قال: «ممتاز! رائع يا بوتر، لقد أدهشتني».

و«هاري» يمر إلى جوار «أمبريدج» في طريقه للخروج، التقت عيونهما. وجد ابتسامة قذرة مرتسمة على طرف فمها الواسع المترهل، لكنه لم يبال. إن لم يكن مخطئًا - ولم يكن ينوي أن يخبر أي أحد - فقد حصل على درجة «امتياز» في هذه المادة.

أخذ «هاري» و«رون» يوم الجمعة إجازة، في حين دخلت «هيرميون»

امتحان مادة الأبجديات القديمة التي تأخذها، ولأنهما وجدا أمامهما أسبوعًا كاملاً للمراجعة فقد أخذا هذا اليوم راحة. تثاءبا وتمطا إلى جوار النافذة المفتوحة، التي تسلل عبرها هواء صيفي دافئ إليهما وعما يلعبان «شطرنج» سحريًا. رأى «هاري» «هاجريد» على مسافة بعيدة وهو يدرس حصة لفصل ما عند طرف الغابة. أخذ يحاول تخمين الكائنات التي معه - لا بد أنها حصان وحيد القرن؛ لأن الأولاد وقفوا إلى الخلف قليلاً - عندما انفتح باب حجرة الطلبة ودخلت «هيرميون» باديًا عليها المزاج المعتل.

قال «رون» متثائبًا: «كيف كان الامتحان؟».

قالت «هيرميون» مقطبة الجبين: «أسأت ترجمة كلمة (إهوان)، فهي تعني شراكة، وليس دفاعًا، وقد اختلط عليّ الأمر بينها وبين كلمة (أهوان)».

قال «رون» بكسل: «هذا خطأ واحد، أليس كذلك؟ وما زال عندك...».

قالت «هيرميون» بغضب: «اصمت.. هذا الخطأ الواحد قد يشكل فارقًا بين النجاح والسقوط. والأسوأ أن هناك من سرّب (عرسة مشعرة الأنف) إلى مكتب أمبريدج. لا أعرف كيف مر عبر الباب الجديد، وأنا أمر أمام مكتبها رأيتها تصرخ. ومن صوتها، واضح أن الحيوان قد التهم جزءًا من ساقها».

قال «هاري» و«رون» معًا: «رائع».

قالت «هيرميون» بحرارة: «بل ليس كذلك.. إنها تعتقد أن هاجريد هو من يفعل هذا. ولا نريد أن يُطرد هاجريد».

قال «هاري» مشيرًا إلى النافذة: «إنه في حصة. لا يمكنها إلقاء اللوم عليه».

قالت «هيرميون» وقد بدت مصممة على البقاء في حالتها المزاجية المعتلة هذه: «كم أنت ساذج يا هاري. هل تعتقد حقًا أن أمبريدج تنتظر دليلاً؟». ثم هرعت إلى جناح نوم البنات وأغلقت الباب خلفها.

قال «رون» بهدوء شديد وهو يرفع وزيره ليضعه في خانة أخرى؛ ليضرب أحد حصاني «هاري»: «يا لها من بنت لطيفة هادئة مهذبة».

ظل مزاج «هيرميون» على حاله طوال عطلة نهاية الأسبوع، وإن وجد «هاري» و«رون» تجاهلها سهلاً، حيث قضيا معظم يومي السبت والأحد يراجعان مادة الوصفات السحرية؛ من أجل امتحان يوم الإثنين، وهو الامتحان الذي يتطلع «هاري» إليه والذي كان واثقًا من أنه سيكون السبب

في انهيار طموحاته في أن يكون مقاتلاً للسحر الأسود. ومن البديهي أنه وجد ورقة الأسئلة صعبة، وإن حسب أنه قد يحصل على الدرجات النهائية في سؤال.. وصفة «البوليجوس»، فقد تمكن من وصف آثارها بدقة، وقد حضرها بنفسه في الصف الثاني.

لم يكن الامتحان العملي بعد الظهر سيئًا، كما توقع له أن يكون. في غياب «سناب» وجد أنه أكثر راحة واستمتاعًا بالوصفات السحرية. بدا «نيفيل» - الجالس بالقرب من «هاري» - أسعد عن حاله في حصص الوصفات السحرية. عندما قالت الأستاذة «مارشبانكس»: «ابتعدوا عن قدوركم من فضلكم، الامتحان انتهى»، ملأ «هاري» دورقًا صغيرًا بعينة من وصفته، شاعرًا بأنه قد لا يحصل على درجة جيدة، لكنه أفلت من السقوط.

قالت «بارفاتي باتيل» بتعب وهم يتوجهون إلى برج «جريفندور»: «لم يبق سوى أربعة امتحانات».

قالت «هيرميون» بحدة: «فقط! عندي مادة الرياضيات السحرية وهي أصعب مادة».

لم يكن أحدهم غبيًا بما يكفي ليرد عليها بحدة كما تكلمت: لذا فلم تقدر على تنفيس غضبها في أحد، ولم تفكر في أكثر من تعنيف بعض طلبة الصف الأول على الضحك في حجرة الطلبة.

عقد «هاري» العزم على أن يجد في امتحان رعاية الكائنات السحرية؛ حتى لا يخذل «هاجريد». أجرى الامتحان العملي بعد الظهر عند طرف الغابة المحرمة، حيث طلب من التلاميذ التعرف على «النارل» المختبئ بين بعض القنافذ - والفكرة في السؤال أنه يمكن التعرف على «النارل» بتقديم لبن لكل الكائنات، فحيوان «النارل» يرتاب كثيرًا في محاولة تسميمه، ويهتاج كلما ظن أن هناك من يقدم له السم في اللبن. ثم السؤال التالي، هو إظهار القدرة على التعامل بصورة ملائمة مع «البوتروكل»، وإطعام وتنظيف سرطان نارى من دون التعرض لحروق خطيرة، واختيار الطعام المناسب - من بين تشكيلة كبيرة من الأطعمة - لحصان وحيد القرن مريض.

رأى «هاري» «هاجريد» يراقبهم بتوتر من نافذة كوخه. عندما ابتسمت ممتحنة «هاري» - وهي ساحرة بدينة قصيرة هذه المرة - وقالت له: إن الامتحان قد انتهى، رفع إبهامه لـ«هاجريد» مشجعًا قبل أن يتوجه إلى القلعة.

جاءت ورقة أسئلة مادة علم الفلك سهلة صباح يوم الأربعاء. لارتاب «هاري» في عدم ذكره الأسماء الصحيحة لأقمار كوكب المشترى، لكن على الأقل، كان واثقًا أنه لا قمر منهم تسكنه الفئران. كان عليهم الانتظار حتى المساء؛ لأخذ الامتحان العملى من مادة علم الفلك، بينما امتحنوا مادة التنجيم في فترة بعد الظهر.

حتى بمستوى «هاري» المنخفض في مادة التنجيم، فقد جاء الامتحان شديد السوء. كان من الأسهل عليه رؤية أشكال تتحرك على المائدة المستقرة عليها البللورة السحرية، على أن يرى في البللورة نفسها أي شيء، واختلط الأمر عليه تمامًا في قراءة الطالع في ورقة الشاي، وقال للأستاذة «مارشبانكس» وهو يقرأ طالعها إنه يبدو أنها ستقابل غريبًا بدينًا، أسمر، كسولاً، واختلط عليه الأمر أكثر عندما خلط خطوط الحياة في يدها وقال لها إنها ستموت الثلاثاء الماضي!

قال «رون» بوجوم وهما يصعدان السلم الرخامي: «لا يهمك، نحن نعرف منذ زمن أننا سنرسب في هذه المادة». شعر «هاري» بالتحسن عندما أخبره بأنه قال للممتحن: إنه يرى في البللورة السحرية رجلاً قبيحًا ببثرة قذرة في أنفه، ليدرك بعدها أنه ينظر إلى انعكاس الممتحن فيها.

قال «هاري»: «ما كان علينا أن نأخذ هذه المادة السخيفة من البداية».

«على الأقل يمكننا تركها الآن».

قال «هاري»: «أجل، ولا مزيد من التظاهر بأننا نهتم بأن المشترى وأورانوس بينهما تآلف ومحبة».

«ولن أهتم إذا قرأت على ورق الشاي: مت يا رون. فسوف أرميها وسط القمامة كما يليق بها».

ضحك «هاري» و«هيرميون» تهرول من خلفهما. كف عن الضحك على الفور؛ خوفًا من أن يضايقها ضحكه.

قالت: «أحسنت في مادة الرياضيات السحرية». فتنفس «هاري» و«رون» الصعداء وهي تقول لهما: «أمامكما القليل من الوقت لمراجعة خرائط النجوم قبل العشاء...».

عندما وصلا إلى برج علم الفلك الساعة الحادية عشرة، وجدا الليل متلألئًا

بالنجوم، والسماء خالية من السحب. كانت الأرض مغمورة بشعاع القمر الفضى، وثمة برودة خفيفة في الهواء. أحضر كل منهم تلسكوبه، ثم عندما أمرتهم الأستاذة «مارشبانكس» بدءوا في رسم خرائط للنجوم.

سار كل من الأستاذة «مارشبانكس» والأستاذ «توفتي» بينهم، وهم يرسمون النجوم في مواقعها الدقيقة كما يرونها في السماء. كان الجو هادئًا، فيما عدا حركة الأوراق الخفيفة التي تحركها الرياح، وصرير تلسكوب من حين لآخر وصاحبه يعدل من وضعه على قائمه، وصرير ريشات الكتابة العديدة. مرت نصف ساعة، ثم ساعة. أخذت مربعات الذهب الصغيرة في التلاشي من تحتهم مع انطفاء أنوار حجرات القلعة البادية منها نوافذها، واحدة تلو الأخرى.

لكن مع انتهاء «هاري» من رسم مجموعة نجوم «أوريون» انفتحت الأبواب الأمامية للقلعة أسفلهم تمامًا وامتد ضوء القاعة الأمامية إلى الفناء الخارجي. نظر «هاري» إلى الأسفل وهو يعدل من وضع تلسكوبه؛ ليرى خمسة أو ستة ظلال تتحرك فوق العشب المضاء قبل أن توصد الأبواب من خلفهم ويصبح الفناء ثانية في بحر الظلام.

أعاد «هاري» عينه إلى التلسكوب وغيَّر من مداه البؤرى، وأخذ يفحص كوكب الزهرة. نظر إلى خريطته؛ ليرسم الكوكب بها، لكن شتته شيء ما. توقف عن الرسم وتجمدت الريشة فوق الورق، وركز بصره على الأرض المظلمة ليرى ستة أشخاص يمشون فوق العشب. إن لم يتحركوا، ما كان القمر ليلمع على قمة رءوسهم، وما كان ليراهم وسط الظلام. حتى على هذه المسافة، شعر «هاري» بأنه يعرف أكثرهم قصرًا وبدانةً، وهي قائدة المجموعة.

لم يقدر على الوصول لسبب يبرر خروج «أمبريدج» بعد منتصف الليل، ومعها خمسة آخرون. ثم سعل أحدهم من خلفه، وتذكر أنه وسط الامتحان. نسى تمامًا موقع كوكب الزهرة. ركز بصره في التلسكوب ثانية، ووجد الكوكب، ثم همَّ برسمه على الخريطة. عندما شتته صوت غريب، فقد سمع على بعد صوت طرقات تدوى في الأرض المحيطة بالقلعة، تلاها صوت نباح كلب.

رفع بصره وقلبه يختلج. رأى الأنوار في نافذة «هاجريد». الناس الذين شاهدهم يسيرون في الفناء واقفين أمام كوخه يراهم على الضوء القليل المنبعث من النافذة. انفتح الباب ورأى الأشخاص الستة يدخلون. أوصد الباب من خلفهم ثانية وعم الصمت.

شعر بالقلق نظر إلى جانبه؛ ليرى إن كان «رون» و«هيرميون» قد شاهدا ما شاهده، لكن الأستاذة «مارشبانكس» جاءت من خلفه في تلك اللحظة، ولأنه لم يرغب في أن تظنه يغش من إلى جواره؛ فقد سارع بالانحناء على خريطته وتظاهر بالرسم وهو ينظر إلى كوخ «هاجريد». رأى من بالداخل يتحركون أمام نوافذ الكوخ؛ ليحجبوا الضوء بين الحين والآخر.

شعر بعيني الأستاذة «مارشبانكس» على رقبته؛ فضغط عينه على التلسكوب، وحدق في القمر الذي علم موقعه منذ ساعة. لكن والأستاذة «مارشبانكس» تتحرك سمع صياحًا من الكوخ، يدوي في الظلام ليصل إلى برج علم الفلك. رفع بعض من المحيطين بـ«هاري» رءوسهم من خلف التلسكوبات، ونظروا في اتجاه كوخ «هاجريد».

سعل الأستاذ «توفتي» سعلة جافة.

قال بصوت هادئ: «حاولوا التركيز يا أولاد ويا بنات».

أعاد معظمهم رءوسهم إلى التلسكوبات. نظر «هاري» إلى يساره، فوجد «هيرميون» تحدق بثبات في كوخ «هاجريد».

قال الأستاذ «توفتي»: «إحم.. باقٍ من الوقت عشرون دقيقة».

أجفلت «هيرميون» والتفتت إلى خريطة النجوم، ونظر «هاري» إلى خريطته ليلاحظ أنه قد كتب المريخ بدلًا من الزهرة؛ فانحنى على الخريطة؛ ليصححها.

سمع صوت فرقعة عالية من الأسفل. صاح العديدون: «أي»، عندما اصطدمت تلسكوبات بعضهم برءوس المتأوهين وهم يهرعون لرؤية ما يجري بالأسفل.

انفتح باب «هاجريد» ومن الضوء المتسرب من الداخل رأوه واقفًا بجسده الهائل يزأر ويلوح بقبضتيه، وهو محاط بستة أشخاص، جميعهم يحاولون إخضاعه لأثر تعويذة التجميد، وهو ما اتضح من الشعاع الأحمر المنطلق من عصيهم السحرية.

صاحت «هيرميون»: «لا».

قال الأستاذ «توفتي» بصوت مستنكر: «عزيزتي، هذا امتحان».

لكن لم يتنبه أحد لخرائط النجوم. أخذت الأشعة الحمراء تتطاير حول كوخ «هاجريد»، لكن بطريقة ما كانت ترتد عنه، وهو قائم على قدميه.. وكما رأى «هاري»، فقد كان يقاوم. سمع صرخات وصيحات من الأسفل، وثمة رجل يقول: «تعقل يا هاجريد».

زأر «هاجريد» بأعلى صوته: «اللعنة على التعقل، لن أدعكم (تأزروني) هكذا يا داوليش».

رأى «هاري» «فانج» يحاول الدفاع عن «هاجريد»، فقفز أكثر من مرة على السحرة من حوله حتى أصابته إحدى تعاويذ التجميد؛ فسقط على الأرض. عوى «هاجريد» عواءً غاضبًا، ورفع من أصابه من فوق الأرض ورماه، فطار الرجل مسافة عشر أقدام وبدا أنه لن ينهض ثانية بعد أن ارتطم بالأرض. شهقت «هيرميون»، ورفعت يديها إلى فمها.. نظر «هاري» إلى «رون» ورآه هو الآخر باديًا عليه الفزع. لم يروا «هاجريد» في ثورة الغضب هذه من قبل.

قالت «بارفاتي»: «انظروا» بصوتها الرفيع وهي مائلة على حاجز البرج وكانت تشير إلى قاعدة القلعة حيث انفتحت الأبواب ثانية، وأطل منها الضوء وخرج ظل أسود وأخذ يهرول على العشب.

قال الأستاذ «توفتي» بتوتر: «من فضلكم، لم يبقَ سوى ست عشرة دقيقة».

لكن لم يعره أحدهم انتباهًا، أخذوا يراقبون الشخص المتقدم من كوخ «هاجريد» وهو يجري.

سمعوا صوت أنثوي تصيح: «كيف تجرءون؟ كيف تجرءون؟».

همست «هيرميون»: «إنها مكجونجال».

سمعوا صوت الأستاذة «مكجونجال» في الظلام: «دعوه لشأنه. على أي أساس تهاجمونه؟ إنه لم يفعل شيئًا، ولا شيء يستدعي هذا الـ..».

صرخت «هيرميون» و«بارفاتي» و«لافندر». انطلق ما لا يقل عن أربعة أشعة من تعويذة التجميد لتصيب الأستاذة «مكجونجال» في منتصف المسافة بين القلعة والكوخ.. وللحظة، بدا وكأنها تلمع بالنور الأحمر، ثم انخلعت من فوق الأرض، لتسقط فوق العشب، ولم تتحرك بعدها.

صاح الأستاذ «توفتي»، الذي بدا كأنه نسي الامتحان هو الآخر: «بحق الجرجوانات الشمطاوات.. من دون أي تحذير! يا له من سلوك مشين!».

صاح «هاجريد» وصوته يصل بجلاء إلى البرج: «جبناء! جبناء! قذرين! خذوا.. خذوا»، فأخذت الأضواء تسطع من نوافذ القلعة العديدة.

شهقت «هيرميون»: «يا ربي!».

ضرب «هاجريد» اثنين من أقرب مهاجميه إليه، واتضح من سقوطهما السريع على الأرض أنهما قد فقدا الوعي. رأى «هاري» «هاجريد» يسقط، وظن أن إحدى التعاويذ قد تمكنت منه. لكن على النقيض؛ في اللحظة التالية، وقف ثانية وعلى ظهره ما يشبه الجوال، ثم أدرك «هاري» أنه جسد «فانج» الفاقد الوعي.

صرخت «أمبريدج»: «أمسكه.. أمسكه». لكن من تبقى من مساعديها تردد كثيراً فى الاقتراب من قبضتى «هاجريد». أخذ يتراجع بسرعة حتى تعثر فى أحد فاقدى الوعى وسقط. دار «هاجريد» على عقبيه وبدأ يجرى و«فانج» معلق حول رقبته. صوبت «أمبريدج» عليه آخر تعويذة تجميد، لكنها لم تصبه.. وجرى «هاجريد» بأقصى سرعته تجاه البوابات البعيدة؛ ليختفى تماماً فى الظلام.

مرت دقيقة من الصمت المضطرب، والجميع يحدقون مفغورى الأفواه فى الأرض، ثم جاء صوت الأستاذ «توفتى» الواهن: «إحم.. باق من الزمن خمس دقائق».

بالرغم من بقاء خمس دقائق فقط، تاق «هارى» لانتهاء الامتحان. عندما انتهى أخيراً، أعاد هو و«رون» و«هيرميون» التلسكوبات إلى قوائمها وهرعوا إلى السلم الحلزونى. لم ينم أى من التلاميذ.. أخذوا يتكلمون بأصوات مرتفعة متحمسة عند نهاية السلم، بشأن ما شاهدوه لتوهم.

شهقت «هيرميون» قائلة: «تلك المرأة الشريرة.. كيف تحاول التسلل هكذا والقبض على هاجريد ليلاً». ومن الواضح أنها تواجه صعوبة فى الكلام بسبب غضبها المستطير.

قال «إرنى ماكميلان» بحكمة وهو يقترب؛ لينضم إليهم: «من الواضح أنها أرادت تفادى ما حدث عندما طردت تريلاونى».

قال «رون» الذى بدا منزعجاً أكثر منه متأثراً: «أبلى هاجريد بلاء حسناً.. أليس كذلك؟ كيف انعكست عنه كل التعاويذ هكذا؟».

قالت «هيرميون» مرتجفة: «لا بد أن السبب هو دم العمالقة الذى يسرى فى عروقه.. من الصعب تجميد عملاق، فهم مثل الترول، أقوياء جداً.. لكن الأستاذة مكجونجال المسكينة.. أربعة أشعة تجميد ضربتها فى صدرها وهى ليست شابة لتتحمل كل هذا.. أليس كذلك؟».

قال «إرنى» وهو يهز رأسه برصانة: «أمر فظيع.. فظيع.. سأصعد؛ لأنام. تصبحون على خير جميعاً».

أخذ الطلبة من حولهم يتناقصون، وهم ما زالوا يتحدثون عما شاهدوه.

قال «رون»: «على الأقل، لم يأخذوا هاجريد إلى أزكابان.. أعتقد أنه سينضم لدمبلدور.. أليس كذلك؟».

قالت «هيرميون» بعيون دامعة: «أعتقد هذا.. يا له.. بالبشاعة.. حسبت دمبلدور سيعود بسرعة، لكن الآن خسرنا هاجريد أيضاً».

عادوا إلى حجرة طلبة «جريفندور» ليجدوها ممتلئة عن آخرها. أفاق الكثيرون من النوم بسبب الصياح والجلبة التى سمعوها بالخارج، وسارعوا بإيقاظ أصدقائهم. أخذ «سيماس» و«دين»، اللذان وصلا قبل «هارى» و«رون» و«هيرميون»، يخبران المتحلقين من حولهما بما شاهداه من فوق برج علم الفلك.

تساءلت «أنجيلينا جونسون» وهى تهز رأسها: «لكن، لماذا تريد طرد هاجريد الآن؟ إنه ليس تريلاونى.. فهو يقوم بالتدريس بطريقة أفضل هذا العام».

قالت «هيرميون» بمرارة وهى تنهار على مقعد وثير: «أمبريدج تكره أنصاف البشر». وهى مصممة على التخلص من هاجريد بغض النظر عن أى شىء آخر».

قالت «كاتى بيل»: «وظنت أن هاجريد هو من ألقى بالعرس المشعرة الأنف فى مكتبها».

قال «لى جوردن» وهو يغطى فمه بيده: «اللعنة.. إننى أنا من وضعت العرس المشعرة الأنف فى مكتبها.. فريد وجورج تركا لى اثنتين منها.. وألقيت بهما عبر نافذتها».

قال «دين»: «كانت ستطرده بحجة أخرى، فهو قريب جداً من دمبلدور».

قال «هارى»، وهو يجلس على المقعد المجاور لـ«هيرميون»: «هذا صحيح».

قالت «لافندر» بعيون مغرورقة بالدموع: «أتمنى فقط أن تكون الأستاذة مكجونجال بخير».

قال «كولين كريفى»: «لقد حملوها إلى القلعة، ورأيناها من نافذة جناح النوم.. لكنها لا تبدو بخير».

قالت «أليشيا سبينيت» بحزم: «سترعاها مدام بومفرى.. فهى لا تفشل أبداً».

كانت الساعة الرابعة عندما خلت حجرة الطلبة. لم يشعر «هارى» بالرغبة فى النوم، وملأت صورة «هاجريد» وهو يجرى فى الظلام رأسه، كان غاضباً من «أمبريدج» حتى أنه لم يقدر على التفكير فى عقاب كافٍ لها، وإن كان اقتراح «رون» بوضعها فى صندوق من «السكرويت المتفجرة الطرف» الجائعة له رونقه. سقط نائماً وهو يفكر فى انتقام هائل، ثم نهض من الفراش بعد ثلاث ساعات شاعراً بالتعب.

تقرر لامتحانهم الأخير - تاريخ السحر - أن يُعقد فى فترة ما بعد الظهر. ودَّ «هارى» لو صعد إلى فراشه للنوم بعد الإفطار، لكن كان عليه المراجعة

صباحًا قبل الامتحان؛ لذا فبدلاً من ذلك، جلس ورأسه بين يديه إلى جوار نافذة حجرة الطلبة، محاولاً بصعوبة ألا يسقط نائمًا وهو يقرأ مذكرات «هيرميون» بطول ثلاث أقدام ونصف من الورق.

دخل طلبة الصف الخامس إلى القاعة الكبرى في تمام الساعة الثانية ظهرًا واستقروا في أماكنهم وأمامهم أوراق الأسئلة. شعر «هاري» بالإرهاق الشديد. أراد الانتهاء من الامتحان؛ حتى يعود إلى النوم. ثم غدًا، يخرج هو و«رون» إلى ملعب «الكويدتش» - وسيطير هو على مقشة «رون» - ويستمتعان بالحرية بعد كل هذه المذاكرة.

قالت الأستاذة «مارشبانكس» من صدر القاعة وهي تقلب الساعة الرملية العملاقة: «اقلبوا الورقة.. وابدأوا».

حدق «هاري» بثبات في السؤال الأول. بعد لحظات، أدرك أنه لم يفهم كلمة منه. رأى زنبورًا يطن أمام النوافذ العالية للقاعة. ببطء، شرع أخيرًا في كتابة إحدى الإجابات.

وجد من الصعب تذكر الأسماء وأخذ يخلط بين التواريخ. لم يُجب على السؤال الرابع (*في رأيك، هل ساهم قانون العصي السحرية في السيطرة على تمرد الجان في القرن الثامن عشر أم تسبب في تفاقم الأزمة؟*). وقال لنفسه إنه سيعود له إن بقي عنده وقت، ثم تقدم إلى السؤال الخامس (*كيف تم انتهاك قانون السرية سنة ١٧٤٩، وما الإجراءات التي اتخذت لمنع تكراره؟*). لكنه ارتاب في أنه لم يذكر بعض التفاصيل الهامة، وراوده إحساس بأن لمصاصي الدماء علاقة بالموضوع لا يتذكرها.

تطلع إلى سؤال يمكنه إجابته عن يقين ووصلت عيناه إلى السؤال العاشر: (*صف الظروف التي قادت إلى تكوين الاتحاد الكونفدرالي الدولي للسحرة، واشرح لماذا رفض سحرة لختنشتاين الانضمام إليه؟*).

كان «هاري» يعرف الإجابة، وإن شعر بذهنه كليلاً مخدرًا. رأى بعين الخيال عنوان صفحة: *تشكيل الاتحاد الكونفدرالي الدولي للسحرة*.. فقد قرأ الموضوع في المذكرات صباح اليوم.

بدأ في الكتابة، رافعًا بصره بين الحين والآخر؛ لينظر إلى الساعة الرملية العملاقة المستقرة على المائدة المجاورة للأستاذة «مارشبانكس». كان جالسًا خلف «بارفاتي باتيل»، التي امتد شعرها الأسود الناعم على ظهر

مقعدها. مرة أو مرتين، وجد نفسه يحدّق في الأضواء الذهبية التي تلمع وقد انعكست عليه، وهي تحرك رأسها قليلاً، فيهز رأسه هو الآخر ليصفيه.

.. وأول رئيس للاتحاد الكونفدرالي الدولي للسحرة كان بيير بوناكورد، لكن اعترض على تعيينه مجتمع سحرة لختنشتاين بسبب..

أخذت ريشات الكتابة من حول «هاري» تصر على الأوراق مثل الفئران الراكضة. كانت الشمس قوية على ظهره. ماذا فعل «بوناكورد» ليتسبب في مضايقة سحرة لختنشتاين؟ شعر «هاري» بأن للأمر علاقة بالترول.. حدق في شعر «بارفاتي» ثانية. فقط إن قدر على أداء «الليجيليمينس» وفتح نافذة في عقلها ليرى ما فعله الترول؛ ليفسد العلاقة بين «بوناكورد» ولختنشتاين.

أغمض «هاري» عينيه ودفن وجهه بين يديه، حتى أصبح اللون الأحمر المتوهج أمام عينيه المغمضتين أسودَ باردًا. أراد «بوناكورد» إيقاف صيد الترول، وإعطاء الترول حقوقها.. لكن لختنشتاين كانت تعاني من قبيلة من ترول الجبال الغلاظ.. هذا هو السبب.

فتح عينيه.. شعر بالألم فيهما عندما وقعتا على الورقة البيضاء الساطعة. أخذ يكتب ببطء سطرين عن الترول، ثم قرأهما؛ ليرى ما كتب. لم يجد بما كتب الكثير من المعلومات أو التفاصيل، لكنه كان واثقًا من أن مذكرات «هيرميون» عن الاتحاد الكونفدرالي كثيرة الصفحات.

أغمض عينيه ثانية؛ محاولاً رؤية الصفحات؛ محاولاً التذكر. اجتمع مجلس الاتحاد الكونفدرالي لأول مرة في فرنسا، أجل.. كتب هذا بالفعل.

حاول الجان الحضور ولكن تم استبعادهم.. كتب هذا أيضًا.

لم يرغب أحد من لختنشتاين في المشاركة.

قال لنفسه: فكر. ووجهه بين يديه، والجميع من حوله تصر ريشاتهم وهي تخط الإجابات، والرمل يتسرب من الساعة أمام عينيه.

أخذ يسير في الممر البارد المظلم لمصلحة الألغاز والغوامض ثانية، يسير بخطوات ثابتة واثقة، وبين الحين والآخر يجري، عازمًا الوصول إلى هدفه أخيرًا. الباب الأسود ينفتح له كالعادة، وها هو في الحجرة الدائرية ذات الأبواب الكثيرة.

عبر الأرض الحجرية إلى الباب الثاني.. أضواء متراقصة على الجدران والأرض مع أصوات آلية، ولكن لا وقت للتفسير. عليه بالإسراع.

قفز الخطوات القليلة الباقية للباب الثالث، الذي انفتح مثل الأبواب الأخرى.

مرة ثانية في الحجرة الكنسية الحجم، والممتلئة بالكرات الزجاجية المصطفة على الرفوف.. أخذ قلبه يخفق بسرعة.. سيصل إلى هدفه هذه المرة.. عندما وصل إلى الرف رقم (٩٧) انحرف إلى اليسار وسار في الممر الواقع بين الصفين.

لكن، كان هناك شيء ما على الأرض عند الطرف البعيد، شيء أسود، يتحرك على الأرض، وكأنه حيوان جريح.. شعر بالخوف الشديد، بالتوتر والإثارة.

خرج صوت من فمه، صوت بارد مرتفع خاو من أي رحمة أو إنسانية.

«خذها من أجلي.. أنزلها الآن.. لا يمكنني لمسها.. لكن أنت تستطيع..».

تغيّر وضع الشكل القابع عند الطرف البعيد. رأى «هاري» يداً بأصابع بيضاء طويلة تمسك بعصا سحرية من عند طرف ذراعه.. سمع الصوت العالي البارد يقول: «كروسيو».

أطلق الرجل الراقد على الأرض صرخة ألم، محاولاً الوقوف لكنه سقط ثانية يتقلب على الأرض.. ضحك «هاري».. رفع عصاه السحرية، فانتهت اللعنة وتأوه المصاب بها ورقد بلا حراك.

«اللورد ڤولدمورت ينتظر..».

ببطء شديد ويداه ترتجفان، رفع الرجل الراقد على الأرض منكبيه عدة بوصات من فوق الأرض ورفع رأسه. كان وجهه مغطى بالدم، والألم الشديد يحركه، لكن التحدي الذي يغمره يجعله جامداً ثابتاً.

همس «سيريوس»: «عليك بقتلي أولاً».

قال الصوت البارد: «بالطبع سأفعل في النهاية.. لكنك ستحضرها أولاً يا بلاك.. هل تعتقد أن ما شعرت به هذا ألم؟ فكر ثانية.. أمامنا ساعات، ولن يسمع أحد صراخك..».

لكن أحدهم صرخ، وأنزل «ڤولدمورت» عصاه ثانية.. صرخ أحدهم وسقط مترنحاً من فوق مكتب ساخن إلى الأرض الصخرية الباردة.. أفاق «هاري» من ثباته عندما اصطدم بالأرض، وهو ما زال يصرخ، وندبته كأنها تحترق.. والقاعة الكبرى تعاود الظهور من حوله.

٣٢ بين ألسنة اللهب

«لن أذهب.. لا أحتاج إلى المستشفى.. لا أريد..».

أخذ «هاري» يهذي وهو يحاول الإفلات من الأستاذ «توفتي» الذي أخذ ينظر إليه باهتمام بالغ بعدما ساعده في الخروج إلى القاعة الأمامية والتلاميذ من حولهما ينظرون.

تمتم «هاري» وهو يمسح العرق من على جبينه: «أنا.. أنا بخير يا سيدي، حقاً.. كل ما حدث أنني نمت.. وحلمت بكابوس..».

قال الساحر العجوز بتعاطف وهو يربت على كتف «هاري» بيد مرتجفة: «ضغط الامتحانات.. يحدث أحياناً أيها الشاب، وقد حدث معك. والآن اشرب بعض المياه الباردة وقد تقدر على العودة إلى القاعة الكبرى. أوشك الامتحان على الانتهاء، لكن قد تقدر على إجابة آخر سؤال.. أليس كذلك؟».

قال «هاري» بحرارة: «أجل.. أعني لا.. لقد انتهيت.. أجبت ما قدرت عليه من أسئلة الامتحان..».

قال الساحر العجوز برفق: «رائع.. سأعود وآخذ ورقة إجابتك، وأقترح عليك الخروج والرقاد في مكان هادئ».

قال «هاري» وهو يومئ برأسه بحماس: «فعلاً، سأفعل هذا.. شكراً جزيلاً».

اختفت قدم العجوز وهو يلف إلى القاعة الكبرى، وأخذ «هاري» يجري صاعداً درجات السلم الرخامي إلى الممرات، واللوحات التي يمر إلى جوارها تهمهم، ثم أعلى السلم، ليدخل كالإعصار إلى جناح المستشفى، فصرخت مدام «بومفري» التي كانت تناول «مونتاج» ملعقة من الدواء الأزرق.

«بوتر، ماذا تفعل؟».

شهق «هاري» وأنفاسه تقطع كالسكاكين في صدره: «أريد رؤية الأستاذة «ماكجونجال» حالاً.. الأمر.. عاجل».

قالت مدام «بومفري» بأسى: «إنها ليست هنا.. لقد نقلوها إلى مستشفى سان مونجو هذا الصباح. أربع تعاويذ تجميد في صدرها وهي في هذه السن؟ لا أعرف كيف لم تقتلها».

قال «هاري» مصدومًا: «هل.. رحلت؟».

رن الجرس بالخارج وسمع الحركة والجلبة المعتادة للطلبة المتدفقين إلى الممرات من فوقه وتحته. تجمد في مكانه، ناظرًا إلى مدام «بومفري»، والرعب يتصاعد داخله يتملكه.

لا يوجد من يخبره. رحل «دمبلدور»، ورحل «هاجريد»، لكنه كان يتوقع وجود الأستاذة «ماكجونجال»، ربما هي سريعة الغضب وقاسية، لكن يُعتمد عليها، ووجودها مطمئن.

قالت مدام «بومفري» كأنها تؤيد صدمته: «لا تدهشني صدمتك يا بوتر. وكأن واحدًا منهم كان يقدر على ضرب مينرفا ماكجونجال بتعويذة تجميد لو كان قد واجهها وجهًا لوجه، بالنهار. جبناء.. جبناء. حقارة.. لو كنت غير قلقة على ما قد يعانيه الطلبة إن غبت عنهم، لقدمت استقالتي على الفور؛ احتجاجًا على ما جرى». قال «هاري» بذهن شارد: «أجل».

دار على عقبيه وهرع خارجًا من جناح المستشفى إلى الممر المزدحم، وأخذ يجاهد الجموع، والذعر يتملكه، وينتشر داخله كالغاز السام، حتى إنه شعر برأسه يدور، ولم يعرف كيف يتصرف.

«رون» و«هيرميون»، قالها صوت من داخل رأسه.

أخذ يجري ثانية، وهو يدفع التلاميذ من طريقه، غير مكترث لاعتراضاتهم الغاضبة. جرى هابطًا طابقين، ووصل إلى طرف السلم الرخامي عندما رآهما يجريان نحوه.

قالت «هيرميون» على الفور، والخوف مرتسم على وجهها: «هاري، ماذا جرى؟ هل أنت بخير؟ هل تشعر بالمرض؟». وقال «رون»: «أين كنت؟».

قال «هاري» بسرعة: «تعالا معي. تعالا، عندي ما أريد إخباركما به».

قاد الطريق بطول ممر الطابق الأول، ناظرًا إلى الأبواب، وأخيرًا وجد فصلاً خاليًا فدخلوا إليه، وأغلقوا الباب خلفهم لحظة دخولهم، ومال على الباب ليواجههما.

«فولدمورت وصل إلى سيرياس».

«ماذا؟».

«كيف عرف..؟».

«رأيتهما منذ قليل، عندما سقطت نائمًا في الامتحان».

قالت «هيرميون»، وقد صار وجهها أبيض شاحبًا: «لكن.. لكن أين؟ وكيف؟».

قال «هاري»: «لا أعرف كيف، لكن أعرف المكان بالضبط. هناك حجرة في مصلحة الألغاز والغوامض ممتلئة بالرفوف المرصوص عليها ما يبدو مثل كرات زجاجية صغيرة، وهما عند طرف الصف السابع والتسعين. إنه يحاول الاستعانة بسيرياس في الحصول على شيء يريده.. إنه يعذبه.. يقول إنه سيقتله في النهاية».

وجد «هاري» صوته مهتزًا مرتجفًا، وكذا ركبتاه. تقدم إلى إحدى الموائد وجلس إليها؛ محاولاً التماسك. سألهما: «كيف سنصل إلى هناك؟».

مرت برهة من الصمت، ثم قال «رون»: «نـ... نذهب إلى أين؟».

قال «هاري» بصوت مرتفع: «نذهب إلى مصلحة الألغاز والغوامض؛ حتى ننقذ سيرياس». فقال «رون» بوهن: «لكن يا هاري..».

قال «هاري»: «ماذا؟ ماذا؟».

لم يفهم لماذا أخذا يحدقان فيه فاغري الأفواه وكأنه يطلب منهما شيئًا غير منطقي.

قالت «هيرميون» بصوت خائف: «هاري.. آ.. كيف.. كيف وصل فولدمورت إلى وزارة السحر من دون أن يدرك أحد وصوله؟».

قال «هاري» بصوت مدوٍّ: «وكيف أعرف؟ المفروض أن نهتم بكيف نصل إلى هناك».

قالت «هيرميون» وهي تأخذ خطوة نحوه: «لكن، هاري، فكر في الأمر.. إن الساعة الخامسة بعد الظهر. الوزارة مليئة بالموظفين.. كيف يصل فولدمورت وسيرياس إلى هناك من دون أن يراهما أحد؟ هاري.. إنهما أكثر ساحرين مطلوبين للعدالة في العالم. هل تعتقد أنهما يمكنهما الدخول إلى مبنى مكتظ بمقاتلي السحر الأسود من دون أن يلاحظ وجودهما أحد؟».

صاح «هاري»: «لا أعرف.. ربما استعان فولدمورت بعباءة إخفاء أو ما شابه. المهم، مصلحة الألغاز والغوامض كانت خالية دائمًا، كلما رأيتها..».

قالت «هيرميون» بهدوء: «لكنك لم تذهب إلى هناك قط يا هاري.. كنت فقط تحلُم بها، هذا كل شيء».

صاح «هارى» فى وجهها واقفًا ومتخذًا خطوة أقرب إليها بدوره: «هذه ليست بالأحلام العادية». أراد أن يهزها من كتفيها وهو يقول: «كيف تفسرين ما رأيته عن والد رون، ما رأيك فيه؟ كيف عرفت بما جرى له؟».

قال «رون» بهدوء ناظرًا إلى «هيرميون»: «عنده حق».

قالت «هيرميون» بيأس: «لكن هذا الموضوع.. مريب، وغير محتمل.. كيف يرتك يصل فولدمورت إلى سيرياس، بينما هو فى جريمولد بليس طوال الوقت؟».

قال «رون» والقلق باد عليه: «ربما شعر سيرياس بالضيق وخرج يتنسم الهواء النقى.. إنه يسعى للخروج من المنزل منذ فترة..».

أصرت «هيرميون» على كلامها: «لكن لماذا؟ لماذا يستعين فولدمورت بسيرياس؛ ليحصل على سلاح؟ أو أيًا كان ما يسعى إليه؟».

صاح «هارى» فيها: «لا أعرف، هناك الكثير من الاحتمالات.. ربما فولدمورت ليس مهتمًا بإيذاء سيرياس..».

قال «رون» بصوت خفيض: «أتعرف؟ فكرت فى شىء آخر.. سيرياس شقيق لأحد أكلة الموت، أليس كذلك؟ ربما أخبر سيرياس بكيفية الوصول إلى السلاح».

قال «هارى»: «أجل؛ ولهذا ظل حرص دمبلدور على إبقاء سيرياس محبوسًا طوال الوقت».

صاحت «هيرميون»: «انظر.. أنا آسفة.. لكن ما تقولانه غير منطقى، ولا يوجد دليل عليه، ولا يوجد دليل على وجود فولدمورت وسيرياس فى..».

قال «رون» ملتفتًا إليها: «هيرميون، هارى يرى الحقيقة فى أحلامه».

قالت خائفة مترددة: «حسنًا.. لكن علىّ أن أقول إن..».

«ماذا؟».

«أنت.. هارى، هذا ليس نقدًا لكنك.. أعنى.. ألا ترى أنك تسعى دائمًا لإنقاذ الناس؟».

نظر إليها شزرًا، وقال: «وماذا تعنين بسعيى لإنقاذ الناس؟».

بدت أكثر ترددًا وخوفًا مما سبق وهى تقول: «أعنى.. أنت.. أعنى.. العام الماضى على سبيل المثال.. فى البحيرة.. أثناء المسابقة.. كان عليك، أقصد، لم تكن مضطرًا لإنقاذ ديلاكور.. وتحمست قليلاً و..».

اجتاحت موجة من الغضب الحار الشديد جسد «هارى». كيف تذكره بما جرى وقتها الآن؟

قالت «هيرميون» بسرعة وقد أصابتها نظرة «هارى» إليها بالخوف الشديد: «أعنى، ما تفعله عظيم.. قال الجميع إن ما فعلته كان رائعًا..».

قال «هارى» من بين أسنانه: «هذا غريب؛ لأننى أذكر ما قاله «رون» عن أننى أضيع وقتى محاولاً أن أكون بطلاً.. هل هذا ما ترينه أنت الأخرى؟ أتحسبين أننى أتصرف كبطل ثانية؟».

قالت «هيرميون» مذعورة: «لا، لا، لا.. ليس هذا ما أعنيه».

صاح «هارى»: «إذن، اذكرى ما تعنيه؛ لأننا نضيع وقتنا هنا».

«أحاول أن أقول.. إن فولدمورت يعرفك يا هارى. أخذ جينى من قبل إلى حجرة الأسرار؛ ليجذبك إليه. إنه يفعل هذا الآن، ويعرف أنك ستهب لإنقاذ سيرياس. ماذا لو كان يحاول أن يدفعك لدخول مصلحة الألغاز والغوامض؟».

«هيرميون، لا يهم إن كان قد فعل ما فعل ليجذبنى إليه.. لقد أخذوا مكجونجال إلى سانت مونجو، ولا يوجد بهوجورتس أى من أعضاء الجماعة لأخبره، وإن لم أذهب لإنقاذ سيرياس فسوف يموت».

«لكن يا هارى.. ماذا لو كان حلمك.. مجرد حلم؟».

صرخ «هارى» صرخة ضيق وإحباط شديدين، فتراجعت «هيرميون» عنه مبتعدة من الخوف.

صاح فيها قائلاً: «ألا تفهمين؟ أنا لا أحلم بالكوابيس، ولا أحلم بالمرة. لماذا تراهم أعطونى دروس أوكلومينسى إن لم يكن هذا هو السبب؟ لماذا تظنين سعى دمبلدور لحجب هذه الأحلام عنى؟ لأنها حقيقية يا هيرميون.. سيرياس محاصر، وقد رأيته. فولدمورت قبض عليه، ولا يوجد أحد غيرى يعرف، وهذا يعنى أننا من نقدر على إنقاذه، وإن كنت لا تريدين المجىء فلا يهم، لكننى ذاهب.. أتفهمين؟ وإن كان ما أتذكره صحيحًا، فإنك لم تقلقى بشأن رغبتى فى إنقاذ الناس عندما أنقذتك من الديمنتورات.. أو..». التفت إلى «رون» وأكمل: «.. عندما أنقذت أختك من الأفعى العملاقة..».

قال «رون» بحرارة: «أنا معك يا صاحبى».

قالت «هيرميون» بقوة: «لكن يا هارى.. دمبلدور أرادك أن تتعلم حجب هذه الأحلام عن عقلك. إن كنت قد تعلمت الأوكلومينسى كما يجب، ما كنت لترى ما..».

«إن كنت تحسبين أننى سأتصرف وكأننى لم أر أى شىء..».

«قال سيرياس لك إنه لا يوجد أهم من تعلمك تحصين عقلك»

«كان سيقول شيئاً مختلفاً لو كان يعرف بما رأيته منه».

انفتح باب الفصل، فالتفت «هاري» و«رون» و«هيرميون». دخلت «جيني» بادياً عليها الفضول، وخلفها «لونا»، كعادتها وكأنها دخلت إلى المكان عن طريق الخطأ.

قالت «جيني» بتردد: «أهلاً.. عرفنا صوتك يا هاري، لماذا تصيح هكذا؟».

قال «هاري» بخشونة: «لا تشغلي بالك». فرفعت «جيني» حاجبيها.

قالت ببرود: «لست مضطراً للكلام معي بهذه النغمة، كنت فقط أريد مساعدتك».

قال «هاري» باقتضاب: «لا تقدرين».

قالت «لونا» بصفاء وهدوء: «أنت غير مهذب معها».

لعنها «هاري» وأشاح بوجهه عنها. آخر ما يريده الآن هو محادثة مع «لونا لوفجود».

قالت «هيرميون» فجأة: «انتظر.. انتظر يا هاري، يمكنهما المساعدة».

نظر «هاري» و«رون» إليها.

قالت برجاء: «اسمع يا هاري.. نحن بحاجة إلى معرفة إذا كان سيرياس قد ترك البيت أم لا».

«قلت لك إنني رأيته».

قالت «هيرميون» بأسى: «هاري.. أرجوك، من فضلك، من فضلك دعنا نتحقق من غياب سيرياس عن المنزل قبل أن نذهب إلى لندن. إن لم نجده هناك فأقسم على أنني لن أحاول منعك، سآتي معك.. وأفعل ما أقدر عليه في سبيل إنقاذه».

صاح «هاري»: «سيرياس يتعرض للتعذيب الآن.. ليس لدينا وقت لنضيعه».

«لكن، ربما هذه خدعة من فولدمورت يا هاري، علينا التحقق».

سألها «هاري»: «كيف؟ كيف سنتحقق؟».

قالت «هيرميون»: «سنستعين بنيران مدفأة أمبريدج، ونرى إن كان سيقدر على الكلام إلينا» والرعب مرتسم على وجهها من الفكرة. أضافت: «سنجذب أمبريدج بعيداً عن المكتب ثانية، لكن سنحتاج لمن يحرس حجرتها، وسنستعين بجيني ولونا في هذا».

قالت «جيني» على الفور، وإن أخذت تجاهد لتخمين ما يجري: «أجل، سنفعل هذا». وقالت «لونا»: «عندما تقول سيرياس، فهل تعني ستوبي بوردمان؟».

لم يجبها أحد.

قال «هاري» بعدوانية مخاطباً «هيرميون»: «حسناً، حسناً، إن كنت تعرفين طريقة، تفعلين بها هذا بسرعة فأنا معك، وإلا فسأذهب إلى مصلحة الغوامض الآن».

قالت «لونا» مندهشة: «مصلحة الألغاز والغوامض؟ لكن كيف ستصل إليها؟».

مرة ثانية تجاهلها «هاري».

قالت «هيرميون» وهي تسارع بالسير بين الموائد: «أجل.. هيا.. سيذهب أحدنا أولاً ليجد أمبريدج.. و.. يبعدها عن طريقنا. يمكن أن يقول لها إن بيفيس سيقوم بشيء خطير مثلاً..».

قال «رون» على الفور: «سأذهب أنا.. سأخبرها أن بيفيس قد دمر فصل التحويل أو ما شابه، فهو بعيد للغاية عن مكتبها. بل ربما أقدر على إقناع بيفيس بفعل هذا إن قابلته في طريقي».

كان الموضوع خطيراً حتى إن «هيرميون» لم تعترض على تدمير فصل التحويل.

قالت مقطبة الجبين وهي مستمرة في السير جيئة وذهاباً: «حسناً.. والآن، نحن بحاجة لإبقاء الطلبة بعيداً عن مكتبها ونحن ندخله، وإلا فقد يسارع أحد طلبة سليذرين بإخبارها».

قالت «جيني» على الفور: «سأقف أنا ولونا على جانبي الممر، ونحذر الطلبة من الدخول: بحجة أن أحدهم قد أطلق الغاز الخانق القاتل». بدا على «هيرميون» الدهشة من قدرة «جيني» الوافرة على الكذب، هزت «جيني» منكبيها، وقالت: «فريد وجورج كانا يخططان لهذا قبل أن يغادرا».

قالت «هيرميون»: «حسناً.. هاري، سأدخل أنا وأنت تحت عباءة الإخفاء إلى المكتب وتتحدث إلى سيرياس..».

«إنه ليس بالبيت يا هيرميون».

«يمكنك التحقق من غياب سيرياس عن البيت وأحرسك أنا. لا أعتقد أنه من الحكمة البقاء كثيراً في المدفأة.. فقد أثبت لي جوردن بالفعل أن النوافذ ضعيفة، بعد أن أدخل منها تلك العرس».

حتى في غضبه ونفاد صبره عرف «هاري» أن عرض «هيرميون» بمرافقته تحت عباءة الإخفاء دليل على ولائها وتضامنها معه.

غمغم: «أ.. حسناً، شكراً لك».

قالت «هيرميون» وقد أراحها قبول «هاري» الخطة: «حسنًا.. المهم، حتى وإن فعلنا كل هذا، فلا أعتقد أننا سنقدر على الحصول على أكثر من خمس دقائق.. فوجود فيلش والفرقة التفتيشية التعيسة لا يوفر لنا الأمان».

قال «هاري»: «تكفينا خمس دقائق.. هيا، دعونا نذهب..».

قالت «هيرميون» باديًا عليها الصدمة: «الآن؟».

قال «هاري» بغضب: «بالطبع الآن.. ماذا تظنين؟ أن ننتظر حتى العشاء؟ هيرميون، سيرياس يتعرض للتعذيب في هذه اللحظة».

قالت بيأس: «إ.. حسنًا.. اذهب أنت وأحضر عباءة الإخفاء، وسأقابلك عند طرف الممر المفضي لمكتب أمبريدج.. اتفقنا؟».

لم يجبها «هاري»، بل هرع خارجًا من الحجرة وبدأ في الجري وسط الزحام، على مسافة طابقين قابل «سيماس» و«دين»، اللذين رحبا به بمرح وأخبراه بأنهما يخططان للاحتفال بنهاية الامتحانات، في حفل من غروب الشمس إلى الفجر بحجرة الطلبة. لم يعرهما «هاري» انتباهًا وهرول داخلاً عبر اللوحة إلى حجرة الطلبة وهما يتناقشان في كمية المشروبات التي سيهربانها إلى المدرسة، ثم خرج من برج «جريفندور» ومعه عباءة الإخفاء وسكين «سيرياس» في حقيبته، قبل أن يلاحظا أنه قد ابتعد عنهما.

«هاري.. هل تريد المشاركة بجاليونين؟ سنشترى المشروبات الليلة».

لكن «هاري» كان قد ابتعد بالفعل راكضًا في الممر، وبعد دقيقتين، كان قد قفز آخر درجات السلم منضمًا إلى «رون» و«هيرميون» و«جيني» و«لونا»، الذين تجمعوا عند طرف ممر حجرة «أمبريدج».

قال لاهثًا: «حصلت عليها.. جاهزون؟».

همست «هيرميون» وعصبة من طلبة الصف السادس يمرون إلى جوارهم صانعين جلبة شديدة: «حسنًا.. رون، ستذهب؛ لتبعد أمبريدج عن مكتبها.. جيني، لونا، ستبدآن في إبعاد الناس عن الممر.. هاري وأنا سنرتدي العباءة وننتظر أن يصبح الجو آمنًا..».

ابتعد «رون»، وشعره الأحمر البراق يلمع بطول الممر، بينما أخذ رأس «جيني»، الذي لا يقل بريقًا عن رأسه، يتقافز بين الطلبة في الاتجاه المقابل، ومعها «لونا» بشعرها الأشقر.

غمغمت «هيرميون» وهي تمسك برسغ «هاري» وتجذبه إلى ركن خفي من

الأحجار القشنة المطلي، حيث يقف تمثال لساحر من العصور الوسطى يغمغم وهو يتحدث إلى نفسه، قالت: «هـ.. هل أنت متأكد أنك بخير يا هاري؟ أنت شاحب جدًا».

قال باقتضاب وهو يخرج عباءة الإخفاء من حقيبته: «أنا بخير». في الواقع، أخذت ندبته تؤلمه، لكن ليس إلى درجة ألم «سيرياس» من تعذيب «فولدمورت» بالطبع.. وإن آلمته بدرجة أقوى من حالها، عندما عاقب «فولدمورت» «أفيري».

قال وهو يلقي بعباءة الإخفاء فوقهما ويقفان: ليتسمعا بحرص وصوت الغمغمة باللاتينية للتمثال يعكر عليهما السمع.

قالت «جيني» للملتفين حولها: «لا يمكنكم المرور من هنا. لا آسفة.. عليكم المرور من السلم الآخر، فهناك من أطلق الغاز الخانق..».

سمعا الطلبة يتذمرون، وقال صوت من بينهم: «لكنني لا أرى أي غاز».

قالت «جيني» بطريقة مقنعة: «هذا، لأنه بلا لون.. لكن إن أردت المرور فلتفعل، وقتها ستجد جثتك دليلاً يثبت وجوده للأحمق التالي الذي لا يصدق».

ببطء أخذ التجمهر يقل، انتشرت أخبار الغاز الخانق بسرعة، ولم يعد الطلبة يأتون من هذا الطريق. عندما اختفى آخرهم، قالت «هيرميون» بهدوء: «أعتقد أن الوقت مناسب للمرور يا هاري.. هيا بنا».

تقدما، تحت غطاء العباءة. وقفت «لونا» وظهرها إليهما عند الطرف البعيد من الممر وهما يمران بـ«جيني». همست «هيرميون»: «أداؤك جيد.. لا تنسى الإشارة».

غمغم «هاري» وهما يقتربان من باب «أمبريدج»: «أية إشارة؟».

ردت «هيرميون» قائلة: «غناء «ويزلي يا ملك». إن رأت إحداهما أمبريدج تقترب». و«هاري» يدخل السكين في شق الباب، انفتح الباب ودلفا إلى المكتب.

كانت القطيطات الصغيرة مستلقية في أشعة شمس ما بعد الظهر التي أدفأت أطباقها. لكن بخلاف هذا، كان المكتب خاليًا وغير مشغول مثل المرة الأخيرة. تنفست «هيرميون» الصعداء.

«ظننت أنها قد تضيف بعض الحراسة بعد حادث العرسة».

رفعا العباءة، هرولت «هيرميون» إلى النافذة ووقفت بعيدة عن نطاق البصر، وأخذت تنظر إلى الفناء وعصاها السحرية مشهرة. هرع «هاري» إلى المدفأة، وقبض على إناء بودرة الفلو، وألقى بملء قبضة يده منها في

المدفأة: فاشتعل اللهب الياقوتي ودبّت فيه الحياة. انحنى عليه، وألقى برأسه داخل اللهب المتراقص وصاح: «المنزل رقم (١٢)، جريمولد بليس».

بدأ رأسه يدور وكأنه فى الملاهى، وظلت ركبتاه كما هما على أرضية المكتب الباردة. أبقى عينيه مغمضتين؛ حتى لا يدخل فيهما الغبار، حتى انتهى الدوران، وفتحهما، ليجد نفسه قد وصل إلى مطبخ «جريمولد بليس» البارد الكبير.

لم يكن من أحد به. توقع هذا لكنه لم يكن مستعداً لموجة الذعر والهلع التى اجتاحته عندما رأى الحجرة خالية. صاح: «سيرياس! سيرياس، هل أنت هنا؟».

دوى صوته فى الحجرة، لكن لم يتلق إجابة، فيما عدا صوتًا ضئيلاً إلى جوار المدفأة. نادى قائلاً: «من هناك؟»، متسائلاً إن كان هذا فأراً.

ظهر «كريتشر» القزم المنزلى. بدا مسروراً لسبب ما، وإن كان على يديه جرحان خطيران، وقد ضمدهما بضمادات كثيرة.

قال «كريتشر» للمطبخ الخالى ملقيًا بنظرات مختلسة غريبة ظافرة على «هارى»: «إنه رأس الولد بوتر فى المدفأة. لماذا جاء يا ترى؟ إن كريتشر يتساءل».

سأله «هارى»: «أين سيرياس يا كريتشر؟».

ضحك القزم المنزلى ضحكة واهنة. وقال: «السيد خرج يا هارى بوتر».

«إلى أين ذهب؟ أين ذهب يا كريتشر؟»، وضحك «كريتشر».

قال «هارى»: «أنا أحذرك»، وهو على وعى تام بأن مسألة عقاب «كريتشر» غير ممكنة. أضاف: «ماذا عن لوبين؟ ماد آى؟ أى منهم.. أيوجد منهم أحد هنا؟».

قال القزم جذلاً وهو يلتفت بعيداً عن «هارى» ويبدأ فى السير ببطء إلى الباب الواقع عند طرف المطبخ البعيد: «لا أحد هنا غير كريتشر. كريتشر يريد الكلام مع سيدته قليلاً، أجل، عنده فرصة للكلام معها، بعد أن أبقاه السيد بعيداً عنها لزمن طويل..».

صاح «هارى» فى القزم: «أين ذهب سيرياس؟ كريتشر؟ هل ذهب إلى مصلحة الألغاز والغوامض؟».

تجمد «كريتشر» فى مكانه. رأى «هارى» رأسه الأصلع من بين غابة أرجل مقاعد المائدة أمامه.

قال القزم بهدوء: «السيد لا يخبر كريتشر المسكين بوجهته».

صاح «هارى»: «لكنك تعرف. أليس كذلك؟ تعرف أين هو».

مرت لحظة من الصمت، ثم أخرج القزم أعلى ضحكاته صوتاً.

قال بجذل: «السيد لن يعود من مصلحة الألغاز والغوامض. كريتشر أصبح مع سيدته وحدهما أخيراً». ثم سارع بالخروج واختفى من الباب المفتوح «أنت...».

وقبل أن ينطق بكلمة إهانة أو سبّة واحدة، شعر «هارى» بألم فى قمة رأسه، شهق فدخل رئتيه بعض الغبار، وسعل، ووجد نفسه ينسحب عبر اللهب، حتى وجد نفسه يحدّق فجأة فى وجه الأستاذة «أمبريدج» العريض الشاحب، التى سحبته من شعره إلى جانب المدفأة وأحنت عنقه إلى الخلف حتى كادت تقسمه إلى نصفين.

همست وهى تنحنى على عنق «هارى» وهى تحنيه لأعلى أكثر، حتى أصبح ينظر إلى السقف: «هل تظن أن بعد دخول (عرستين) كنت سأترك مخلوقاً قذراً حقيراً آخر يدخل إلى مكتبى من دون معرفتى؟ نصبت تعاويذ ضد التسلل حول مكتبى بعد ما جرى آخر مرة، أيها الولد الغبى. خذ عصاه»، صاحت فى شخص لم يره، لكنه شعر بيد تتسلل إلى جيب عباءته وتأخذ العصا.. «وعصاها هى الأخرى».

سمع «هارى» صوتًا إلى جانب الباب وعرف أنها «فيرميون» وقد أخذت منها عصاها.

قالت «أمبريدج» وهى تهز قبضتها القابضة على شعره؛ ليترنح: «أريد أن أعرف لماذا دخلت مكتبى».

قال «هارى» بصوت أجش: «كنت أحاول استعادة الفايربولت».

هزت رأسه ثانية وقالت: «كاذب. الفايربولت تحت حراسة مشددة فى القبو، كما تعرف يا بوتر. لقد أدخلت رأسك فى المدفأة. مع من كنت تتحدث؟».

قال «هارى» محاولاً أن يبتعد عنها: «لا أحد». أحس ببعض الشعرات تنتزع من فروة رأسه.

صاحت «أمبريدج»: «كاذب». ألقت به بعيداً عنها فاصطدم بالمكتب. رأى

«هيرميون» وقد أمسكت بها وحشرتها بينها وبين الحائط «ميليسنت بولسترود». رأى «مالفوي» مائلاً على النافذة، وهو يبتسم له بسخرية، وألقى بعصا «هاري» في الهواء قبل أن يقبض عليها ثانية.

سمع جلبة بالخارج، ثم دخل بعض أولاد «سليذرين»، قابضين على «رون» و«جيني» و«لونا». ولدهشة «هاري»: «نيفيل»، الذي أخذ يصارع قبضة «كراب» القوية باديًا عليه أنه يعاني من الاختناق. كان أربعتهم مكممين.

قال «وارنجتون» وهو يلقي بـ«رون» بقوة إلى الحجرة: «أمسكناهم جميعًا». ثم وهو يدفع بـ«نيفيل» قال: «حاول هذا منعي من الإمساك بها» مشيرًا إلى «جيني»، التي حاولت ركل ذقن فتاة ضخمة من «سليذرين» كانت ممسكة بها، أضاف: «لذا فقد أحضرته هو الآخر».

قالت «أمبريدج» وهي تراقب صراع «جيني»: «جيد.. رائع.. إذن، يبدو أن هوجورتس ستتخلص قريبًا من آل ويسلي، أليس كذلك؟».

ضحك «مالفوي» بصوت مرتفع متملقًا إياها، وارتسمت على وجه «أمبريدج» ابتسامتها العريضة السمجة وجلست في مقعدها الوثير، وهي تنظر إلى أسراها مثل الضفدع المستقر فوق ورقة شجر خضراء عريضة.

قالت: «إذن يا بوتر، فقد وضعت حراسة حول مكتبي، وأرسلت لي هذا المهرج» وهي تشير برأسها إلى «رون». فضحك «مالفوي» بصوت أعلى: «ليخبرني بأن بيفيس البولترجايست قد حطم فصل التحويل وأنا أعرف تمام المعرفة أنه مشغول بتلويث كل عدسات تلسكوبات المدرسة بالحبر. فالسيد فليش قد أخطرني بهذا منذ قليل.

«الواضح أنه كان ضروريًا أن تكلم من كلمته. هل كان ألبوس دمبلدور؟ أم ذلك النصف آدمي هاجريد؟ لا أظن أنها كانت ميترفا مكجونجال، سمعت أنها ما زالت مصابة ولا تقدر على الكلام مع أحد».

ضحك «مالفوي» ومعه بعض أعضاء الفرقة التفتيشية، عندما قالت هذا وجد «هاري» نفسه في ثورة رهيبة من الغضب والكراهية حتى إنه أخذ ينتفض.

قال مزمجرًا: «هذا ليس من شأنك». تقلص وجه «أمبريدج» المترهل.

قالت بصوت خطير بنبرتها العذبة: «حسنًا. رائع يا سيد بوتر.. قدمت لك فرصة الاعتراف بإرادتك، وقد رفضت. ليس عندي من بديل سوى أن أجبرك.. مالفوي.. أحضر الأستاذ سناب».

أدخل «مالفوي» عصا «هاري» السحرية في ثنيات عباءته وغادر الحجرة ضاحكًا باستهزاء، لكن «هاري» لم ينتبه، فقد لاحظ شيئًا للتو. لا يعرف كيف كان غبيًا هكذا لينسى. حسب أن كل أعضاء الجماعة ـ كل من يمكنهم إنقاذ «سيريوس» ـ قد رحلوا عن المدرسة، لكنه كان مخطئًا. فمازال هناك أحد أعضاء جماعة العنقاء في «هوجورتس»: «سناب».

ساد المكتب الصمت، فيما عدا أصوات الشجار، والمقاومة الناتجة عن محاولات طلبة «سليذرين» الإبقاء على «رون» والباقين تحت السيطرة. نزفت شفة «رون» على بساط «أمبريدج» وهو يقاوم «وارنجتون». حاولت «جيني» الوقوف على قدم تلميذة الصف السادس الممسكة بها، التي رفعت ذراعيها خلفها مقيدة إياها. أخذ وجه «نيفيل» يتحول إلى اللون البنفسجي وحالة اختناقه تسوء في ذراع «كراب». وحاولت «هيرميون» بلا جدوى أن تبعد «ميليسنت بولسترود» عنها. لكن «لونا» وقفت ساكنة إلى جانب الفتاة الممسكة بها، تحدق بنظرة حالمة خارج النافذة وكأنها تشعر بالملل مما يجري.

نظر «هاري» إلى «أمبريدج» التي وقفت تراقبه عن قرب. أبقى وجهه ساكنًا صامتًا وقد وصلهم وقع أقدام بالخارج، مع عودة «دراكو مالفوي» إلى الحجرة، يتبعه «سناب».

قال «سناب» ناظرًا إلى الأزواج المتصارعين من حوله وعلى وجهه يرتسم البرود والحياد: «هل أردت رؤيتي يا حضرة الناظرة؟».

قالت «أمبريدج» وابتسامتها تتسع وهي تقف ثانية: «آه.. أستاذ سناب.. أجل، أردت منك زجاجة فيريتاسيرام، بأسرع وقت ممكن من فضلك».

قال وهو يمسحها ببصره ببرود من بين خصلات شعره الأسود اللامع المتهدلة على عينيه: «لقد أخذت آخر زجاجة جاهزة منها.. بالطبع لم تستعمليها كلها.. أليس كذلك؟ قلت لك إن ثلاث نقاط كافية».

تورد وجه «أمبريدج».

قالت وصوتها البناتي قد صار أكثر عذوبة ورقة، كحالها كلما غضبت: «يمكنك تحضير المزيد.. أليس كذلك؟».

قال «سناب» وهو يزم شفتيه: «قطعًا. إنه يأخذ دورة قمرية واحدة فقط حتى ينضج، فلن تنتظرى أكثر من شهر».

صاحت «أمبريدج»: «شهر؟ شهر؟ لكننى أحتاجه هذا المساء يا سناب. لقد وجدت بوتر منذ قليل يستخدم مدفأتى فى الاتصال بشخص أو أشخاص لا أعرفهم».

قال «سناب» وقد ظهر على وجهه أخيرًا أولى علامات الاهتمام وهو ينظر إلى «هارى»: «حقًا. حسنًا، هذا لا يدهشنى.. بوتر لم يظهر أبدًا التزامًا بقواعد المدرسة».

نظر بعينيه السوداوين الباردتين فى عين «هارى»، الذى بادله النظر دون أن يطرف، مركزًا بقوة على ما رآه فى حلمه، داعيًا «سناب» لقراءة أفكاره؛ حتى يفهم.

رددت «أمبريدج» بغضب: «أريد استجوابه»، وعاود «سناب» النظر إلى وجهها الغاضب وهى تقول: «أرجو أن تمدنى بوصفة سحرية تجبره على قول الحقيقة».

قال «سناب» بنعومة: «قلت لك بالفعل إنه لا يوجد عندى مخزون من الفيريتاسيرام؛ إلا إذا أردت تسميم بوتر.. وأضمن لك أننى سأتعاطف معك كثيرًا لو فعلت.. وبخلاف هذا لا أقدر على مساعدتك. المشكلة الوحيدة أن السموم تعمل بسرعة لا تعطى الضحية الوقت؛ لتذكر الحقيقة».

عاود «سناب» النظر إلى «هارى»، الذى حدّق فيه، متلهفًا إلى الكلام معه.

فكر بيأس: «فولدمورت قبض على سيرياس فى مصلحة الألغاز والغوامض.. فولدمورت قبض على سيرياس..».

صاحت الأستاذة «أمبريدج»: «سأخضعك للعمل فى فترة اختبار»، فأعاد «سناب» بصره إليها ورفع حاجبيه قليلاً وهى تقول: «أنت لا تريد مساعدتى عن عمد. كنت أتوقع منك المزيد، لطالما مدحك لوكياس مالفوى. والآن اخرج من مكتبى».

انحنى لها «سناب» انحناءة ساخرة وغادر. عرف «هارى» أن فرصته الأخيرة لأن تعرف الجماعة تسير خارجة من الحجرة.

صاح: «معه بادفوت.. حاصر بادفوت فى المكان الذى يختبئ فيه الشىء».

توقف «سناب» ويده على مقبض باب «أمبريدج».

صاحت الأستاذة «أمبريدج» وتنقلت بصرها بلهفة بين «هارى» و«سناب»: «بادفوت؟ ما هذا البادفوت؟ أين يختبئ؟ ماذا يعنى يا سناب؟».

التفت «سناب» إلى «هارى»، ووجهه لا يعكس ما بداخله. لم يعرف «هارى» إن كان قد فهم أم لا، لكنه لم يجرؤ على الكلام بوضوح أمام «أمبريدج».

قال «سناب» ببرود: «لا أعرف. بوتر، عندما أريدك أن تهذى أمامى سأعطيك

عقار الثرثرة. وكراب، أرخ قبضتك قليلاً. إن اختنق لونجبوتم سيتسبب فى كثير من الأعمال الكتابية والتقارير التى أخشى أننى سأذكرها فى تقييمى لك عندما تتقدم لوظيفة».

أغلق الباب خلفه، فصدر عنه صوت حاد تاركًا «هارى» فى حيرة من أمره.. كان «سناب» هو أمله الأخير. نظر إلى «أمبريدج» التى كانت تشعر بنفس الإحساس، وصدرها يضطرم بالغضب والغيظ.

قالت وهى تشهر عصاها السحرية: «حسنًا.. حسنًا.. لم تدع لى خيارًا.. هذه المسألة متعلقة بالانضباط فى المدرسة.. إنها مسألة خطيرة.. أمن الوزارة مرتبط بها.. أجل.. أجل..».

بدت كأنها تحاول إقناع نفسها بشىء ما. أخذت تتقافز على قدميها، ناقلة وزنها من قدم إلى قدم، محدقة فى «هارى» وهى تضرب بعصاها على راحتها الخالية وتتنفس بصوت مسموع وهو يراقبها. شعر «هارى» بقلة الحيلة من دون عصاه السحرية.

قالت «أمبريدج» وهى ما زالت تتحرك فى مكانها بقلق: «أنت تجبرنى على هذا يا بوتر.. لا أريد هذا، لكن.. لكن، أحيانًا الغاية تبرر الوسيلة.. أنا واثقة من أن الوزارة ستتفهم أنه لم يعد أمامى خيار..». راقبها «مالفوى» بجشع.

قالت «أمبريدج» بهدوء: «ستفك لعنة الكروتياس لسانك».

صرخت «هيرميون»: «لا.. يا أستاذة أمبريدج. إنها غير قانونية».

لكن «أمبريدج» لم تنتبه لها. كان على وجهها نظرة قذرة حقيرة متلهفة، لم يرها «هارى» من قبل. رفعت عصاها.

صاحت «هيرميون»: «الوزارة لن توافقك على مخالفة القانون يا أستاذة أمبريدج».

قالت «أمبريدج» وهى تلهث مصوبة عصاها إلى مناطق مختلفة من جسد «هارى» على التوالى، ومن الواضح أنها تبحث عن المكان الذى تضربه فيه: «ما لن يعرفه كورنيلياس لن يؤذيه. لن يعرف أبدًا أننى أنا من أمرت الديمنتورات بملاحقة الولد بوتر الصيف الماضى، لكنه سُرّ كثيرًا بفرصة فصله من المدرسة».

شهق «هارى» قائلاً: «أنت؟ هل أنت من أرسل الديمنتورات إلىّ؟».

قالت «أمبريدج» بصوت تنفسها الثقيل وعصاها تستقر على جبين «هارى»: «كان على أحدنا أن يتصرف.. كانوا يتكلمون عن رغبتهم فى أن تسكت، فى أن ينزعوا ثقة الناس عنك. لكن أنا من تصرفت وفعلت شيئًا.

لكنك نجوت. أليس كذلك يا بوتر؟ لكنك لن تهرب اليوم. ليس الآن...» ثم وهي تأخذ نفسًا عميقًا صاحت: «كروســـ...».

صرخت «هيرميون» بصوت حاد من خلف «ميليسنت بولسترود»: «لا.. لا. هاري.. علينا إخبارها».

صاح «هاري» محدقًا فيما يراه من «هيرميون»: «لا.. مستحيل».

«نحن مضطرون يا هاري، وإلا ستعذبك وتعرف منك على أية حال.. فما الداعي إذن؟».

وبدأت «هيرميون» تبكي بوهن في ظهر «ميليسنت بولسترود». كفت «ميليسنت» عن محاولتها سحقها في الجدار وابتعدت عنها باشمئزاز.

قالت «أمبريدج» والظفر يملأ عينيها: «أجل، أجل، أجل.. الآنسة أسئلة ستعطيني أخيرًا بعض الإجابات. هلمي، انطقي يا فتاة».

صاح «رون» من خلف كمامته: «هـ.. إر.. مي.. ن... لا».

حدقت «جيني» في «هيرميون» وكأنها تراها لأول مرة. و«نيفيل» الذي أخذ يجاهد للتنفس نظر إليها هو الآخر. لكن «هاري» لاحظ شيئًا. بالرغم من بكاء «هيرميون» ووجهها بين يديها، فلم ير أثرًا للدموع.

قالت «هيرميون»: «أ.. آسفة. لـ.. لكن.. لا أقدر».

قالت «أمبريدج» وهي تقبض على «هيرميون» من منكبيها وتلقي بها بعنف على المقعد الوثير وتميل عليها: «هذا صحيح. فعلاً يا فتاة.. والآن.. مع من كان بوتر يتحدث؟».

قالت «هيرميون»: «كان يحاول الكلام مع الأستاذ دمبلدور».

تجمد «رون» في وقفته، واتسعت عيناه. كفت «جيني» عن محاولة الوقوف على أصابع أقدام فتاة «سليذرين» القابضة عليها، وحتى «لونا» بدا على وجهها بعض الدهشة. ومن حسن الحظ أن تركيز «أمبريدج» كان منصبًا على «هيرميون» حتى إنها لم تلحظ أي أمارات تثير الريبة عندها.

قالت بلهفة: «دمبلدور؟ أتعرفين أين دمبلدور إذن؟».

قالت «هيرميون»: «لا.. حاولنا رؤيته في زقاق دياجون، وفي مقهى المقشات الثلاث، وفي رأس الخنزير...».

صاحت «أمبريدج»: «فتاة بلهاء.. دمبلدور لن يجلس على المقاهي والوزارة بأكملها مقلوبة تبحث عنه».

عوت «هيرميون» ويداها على وجهها: «لكن... لكننا أردنا الكلام معه في موضوع مهم» فعرف «هاري» أنها لا تشعر بالضيق والألم، بل تحاول التغطية على غياب الدموع.

قالت «أمبريدج» وقد عاد لها حماسها فجأة: «حقًا؟ فيم كنتم تريدون الكلام معه؟».

قالت «هيرميون»: «أردنا... أردنا أن نخبره بأنه جاهز».

سألتها «أمبريدج» وقد قبضت على كتفيها ثانية وهزتها: «ما هذا الجاهز؟ ما الجاهز يا فتاة؟».

قالت «هيرميون»: «الـ.. السلاح».

قالت «أمبريدج» وعيناها تكادان تخرجان من محجريهما من الحماس: «السلاح؟ السلاح؟ هل طورتم سلاحًا للمقاومة؟ سلاحًا تستخدمونه ضد الوزارة؟ بناء على أوامر الأستاذ دمبلدور؟».

شهقت «هيرميون» وقالت: «أجـ... أجـ... أجل. لكنه اضطر للرحيل قبل أن ننتهي منه، والآ.. الآن انتهينا منه، ولا.. ولا... ولا نجده؛ لنخبره».

قالت «أمبريدج» بقسوة ويداها قصيرتا الأصابع قابضة على كتفي «هيرميون» بقوة: «أي سلاح هذا؟».

قالت «هيرميون» وهي تنشج بصوت مرتفع: «لا.. لا نفهمه.. إنه.. إنه كما أمرنا الأستاذ دمبلدور أن نـ... نـ... نصنعه».

استقامت «أمبريدج» في وقفتها وبدا عليها الابتهاج.

قالت: «خذيني إلى السلاح».

قالت «هيرميون» بصوت حاد ناظرة إلى أولاد «سليذرين» من بين أصابعها المتشابكة: «لن أريهم السلاح...».

قالت الأستاذة «أمبريدج» بقسوة: «ليس من حقك فرض الشروط».

قالت «هيرميون» وهي تبكي في يديها ثانية: «حسنًا.. حسنًا.. دعوهم يرونه، أتمنى أن يستعملوه ضدك. في الواقع، أتمنى لو دعى الكثير من الطلبة لرؤيته.. كم.. كم أتمنى رؤيتهم وهم يضربونك به.. كل المدرسة ستعرف أين هو، وسوف.. سوف يستعملونه ضدك، ولن يجد أحدهم صـ... صعوبة في استخدامه».

[illegible] أيلة الأذ على «أمبريدج». نظرت بسرعة وريبة إلى

الفرقة التفتيشية، وعيناها الجاحظتان تستقران للحظة على «مالفوى»، الذى أيضاً فى إخفاء نظرة اللهفة والجشع التى ظهرت على وجهه.

رنت «أمبريدج» إلى «هيرميون» لبرهة، ثم تكلمت بصوت أشبه بصوت الأم، «حسنًا يا عزيزتى.. خذينى إليه.. وسآخذ بوتر معى، اتفقنا؟ هيا، انهضى».

قال «مالفوى» بلهفة: «أستاذة.. أستاذة أمبريدج.. أعتقد أن على بعض أعضاء الفرقة التفتيشية الذهاب معك؛ لحراستك..».

قالت «أمبريدج» بحدة: «أنا موظفة مؤهلة من الوزارة يا مالفوى، ألا تعتقد أن بإمكانى التعامل مع ولد وبنت فى سن المراهقة من دون عصى سحرية؟ كما أن هذا السلاح لا يجب أن يراه أطفال المدارس. لتبق هنا حتى أعود، واضمن لى أن أيًا من هؤلاء...» وهى تشير إلى «رون» و«جينى» و«نيفيل» و«لونا» أضافت: «.. سيهرب».

قال «مالفوى» وعلى وجهه أمارات الحسرة والإحباط: «حاضر».

قالت «أمبريدج» مشيرة إلى «هارى» و«هيرميون» بعصاها: «أنتما.. هيا، تقدما أمامى وقودا الطريق.. اخرجا».

٣٣ اضـرب، واجـر

لم يكن «هارى» يعرف أى شىء عن خطة «هيرميون»، أو إن كانت لديها خطة أصلاً. سار على مسافة نصف خطوة خلفها وهما يتوجهان إلى الممر الواقع خارج مكتب «أمبريدج»، وهو يعرف أنه سيبدو مثيراً للريبة إن بدا عليه جهله بوجهتهم. لم يجرؤ على محاولة التحدث إليها. كانت «أمبريدج» تسير على قرب خلفهما حتى أنه سمع صوت تنفسها الثقيل.

قادت «هيرميون» الطريق عبر السلم إلى القاعة الأمامية. دوت من حولهم أصوات الصخب والحركة، مع رنين الملاعق على الأطباق من خلف أبواب القاعة الكبرى المزدوجة. لم يصدق «هارى» أن على مسافة عشرين قدمًا يجلس أشخاص يأكلون العشاء، ويحتفلون بانتهاء الامتحانات، ولا يشغلهم شاغل.

سارت «هيرميون» إلى الأبواب البلوطية الأمامية وعبر درجات السلم الحجرية إلى النسيم المسائى العليل. اقتربت الشمس من قمم أشجار الغابة المحرمة، ومع سير «هيرميون» بحزم على العشب، أخذت «أمبريدج» تهرول من خلفها؛ لتلحق بها.. وظلالهم طويلة ممتدة على العشب وكأنها عباءات وهم يمشون.

قالت «أمبريدج» بلهفة فى أذن «هارى»: «إنه مخبأ فى كوخ هاجريد، أليس كذلك؟».

قالت «هيرميون» بقسوة: «بالطبع لا؛ حتى لا يطلقه هاجريد عن طريق الخطأ».

قالت «أمبريدج» التى أخذ حماسها يقترب من الذروة: «أجل.. أجل، كان ليفعل هذا بالطبع، ذلك النصف آدمى المشوه».

ضحكت.. شعر «هارى» برغبة عارمة فى الالتفات والقبض عليها من رقبتها، لكنه قاومها. أخذت ندبته تؤلمه وهواء المساء الناعم يداعبها، لكنها لم تصل إلى درجة الألم الحارق بعد، وكان يعرف أنها ستصل إلى هذا الحد، عندما يُقدِم «فولدمورت» على القتل.

تساءلت «أمبريدج» وصوتها مشوب بالريبة: «إذن، أين هو؟»، مع مضى «هيرميون» باتجاه الغابة.

قالت «هيرميون» مشيرة إلى الأشجار المظلمة: «هناك بالطبع. لا بد أن يكون فى مكان بعيد عن متناول يد الطلبة.. أليس كذلك؟».

قالت «أمبريدج»: «بالطبع» وإن بدت قلقة، أضافت: «بالطبع.. حسنًا، إذن لتبقيا أمامي».

سألها «هاري»: «هلا أعطيتنا عصاك السحرية إذن؟ إن كنا سنسبقك؟».

قالت «أمبريدج» بلطف وهي تلكزه بالعصا في ظهره: «لا يا بوتر، فالوزارة تقدر حياتي كثيرًا على حياتكما».

عندما وصلوا إلى الظل البارد لأول الأشجار، حاول «هاري» أن يتبادل النظرات مع «هيرميون».. فالمضي داخل الغابة من دون عصي سحرية بدا له أحمق ما يفعلانه هذا المساء، لكنها لم تفعل أكثر من النظر لـ «أمبريدج» شزرًا، ثم تمرق من بين الأشجار، متحركة بسرعة لم تقدر «أمبريدج» معها، إلا بشق الأنفس، على اللحاق بها.

سألت «أمبريدج» ـ عندما تمزقت عباءتها على أحد الأغصان ـ «هل سنتوغل كثيراً إلى الداخل؟».

قالت «هيرميون»: «أجل، إنه مخبأ جيدًا».

تزايد قلق «هاري».. فـ«هيرميون» لم تمش على الدرب الذي اتخذوه لزيارة «جراوب»، بل طريق آخر مشوا فيه منذ ثلاثة أعوام، ينتهي بعرين الوحش «أراجوج». لم تكن «هيرميون» معه في تلك المرة، وشك في أن عندها فكرة عن حجم الأخطار الواقعة في نهاية الدرب.

سألها «أ.. هل أنت واثقة من أننا نسير في الاتجاه الصحيح؟».

قالت بصوت جامد وهي تحطم بيدها الأغصان الجافة أمامها: «أجل». فأحس بأن الجلبة الصادرة عن تحطيم الأغصان غير ضرورية ومصطنعة من خلفهما، تعثرت «أمبريدج» في شجيرة صغيرة. لم يتوقف أحدهما ليساعدها على النهوض.. مضت «هيرميون» في طريقها، ونادت بأعلى صوتها من فوق كتفها: «ما زال أمامنا القليل».

غمغم «هاري» وهو يسارع باللحاق بها: «هيرميون.. اخفضي صوتك.. فقد يسمعنا أي أحد هنا».

أجابته بهدوء و«أمبريدج» تتقدم صانعة جلبة شديدة بخطوها على الأغصان الجافة: «أريدهم أن يسمعونا.. سترى».

ساروا لمسافة طويلة، حتى أصبحوا وسط أدغال الغابة الكثيفة فانحجب عنهم الضوء. شعر «هاري» بالإحساس الذي راوده من قبل عندما دخل الغابة.. الإحساس بأن هناك من يراقبه.

سألت «أمبريدج» بغضب من خلفه: «كم بقي أمامنا؟».

صاحت «هيرميون» وقد وصلوا إلى مساحة خالية قليلة الضوء من الغابة: «لم يبق الكثير.. سنمشي قليلاً للأمام ثم...».

طار سهم في الهواء ورشق بصوت حاد في الشجرة فوق رأسها. امتلأ الهواء فجأة بأصوات الحوافر، وشعر «هاري» وكأن الغابة ترتجف. صرخت «أمبريدج» صرخة واهنة ودفعته أمامها وكأنه درع.

حرر نفسه من يديها والتفت.. وجد من حولهم خمسين «قنطورًا» متحلقين في دائرة، وأقواسهم مرفوعة وسهامها مستعدة للانطلاق، مصوبة نحو «هاري» و«هيرميون» و«أمبريدج». تراجعوا ببطء إلى مركز الساحة العشبية الخالية، وغمغمت «أمبريدج» بأصوات غريبة تنم عن رعبها. اختلس «هاري» نظرة إلى «هيرميون».. كانت على وجهها ابتسامة ظافرة.

قال صوت: «من أنت؟».

نظر «هاري» إلى يساره.. رأى القنطور ذا الشعر البني المسمى «ماجوريان» يتقدم إليهم منفصلاً عن الدائرة، وقوسه ـ مثل أقواس الآخرين ـ مرفوع. إلى يمين «هاري».. لم تكف «أمبريدج» عن الغمغمة، وعصاها المصوبة نحو القنطور المتقدم منها ترتجف بقوة.

قال «ماجوريان» بخشونة: «سألتك من أنت أيتها الآدمية».

قالت «أمبريدج» بصوت مرتفع مذعور: «أنا دولوريس أمبريدج، وكيل أول وزارة السحر وناظرة مدرسة هوجورتس ومفتشتها العليا».

قال «ماجوريان» مع إحساسه بالضيق الذي انتقل إلى القناطير من حوله: «هل أنت من وزارة السحر؟».

قالت «أمبريدج» بصوت أعلى: «هذا صحيح! لذا فأنا أحذرك.. فطبقًا لأحكام القوانين الخاصة بالمخلوقات السحرية، فإن أي هجوم من نصف الآدميين من أمثالك، على البشر، يعني...».

صاح قنطور حاد النظرات مهتاجًا، عرف «هاري» فيه «بان»: «بم تصفيننا؟». سمع همهمة جماعية غاضبة وأصوات شد الأقواس من حولهم.

قالت «هيرميون» بغضب شديد: «لا تصفيهم بهذه الصفة»، لكن «أمبريدج» لم يبد كأنها سمعتها. وهي ما زالت مصوبة عصاها نحو «ماجوريان»، قالت: «القانون رقم (١٥)، في الفقرة (ب) منه ذكر أن: أي هجوم من مخلوق سحري يتمتع بذكاء شبه بشري، يستتبعه وجوب العقاب على الـ...

ردد «ماجوريان» كلامها: «ذكاء شبه بشري؟». و«بان» والآخرون يضربون الأرض بحوافرهم في ثورة من الغضب. أضاف: «نحن نعتبر هذه إهانة عظيمة يا بشرية. ذكاؤنا يتجاوز ذكاءك بكثير».

صاح قنطور جامد الوجه رآه «هاري» و«هيرميون» في رحلتهما الأخيرة إلى الغابة: «ماذا تفعلين في غابتنا؟ ماذا تفعلين هنا؟».

قالت «أمبريدج»: «غابتكم؟». وصوتها الخائف يشوبه الاستنكار. أضافت: «دعني أذكرك بأنك تعيش هنا فقط؛ لأن وزارة السحر تسمح لكم بمناطق معينة من الأرض لتعيـ...».

مرق سهم بالقرب من رأسها، ومس شعرها قبل أن يعبر. صرخت صرخة تصم الآذان وألقت بيديها فوق رأسها، بينما صدر عن القناطير كلمات الاستحسان والضحكات الخشنة. كان صوت ضحكهم الخشن وسط البرية، ووقع حوافرهم على الأرض يسلب الشجاعة من أي شخص.

صاح «بان»: «غابة من هذه، يا بشرية؟».

صرخت ويداها فوق رأسها: «أنصاف البشر الأنجاس. البهائم. الحيوانات البرية».

صاحت «هيرميون»: «اصمتي». لكن سبق السيف العزل. صوبت «أمبريدج» عصاها نحو «ماجوريان» وصرخت: «إنكاركيروس».

انطلقت بعض الحبال مثل الثعابين في الهواء وأحاطت بجذع القنطور وذراعيه. صرخ صرخة غضب وتقافز على قدميه الخلفيتين؛ محاولاً تحرير نفسه، بينما هاجمها القناطير الآخرون.

أمسك «هاري» بـ«هيرميون»، وجذبها إلى الأسفل. ووجهه مستقر على أرض الغابة الطينية. أحس بلحظة من الرعب عندما سمع الحوافر تدوي من حوله راعدة، ومعها صرخات وهتافات الغضب.

سمع «أمبريدج» تصرخ: «لاااااا.. لاااااا. أنا وكيل أول الوزارة.. لا يمكنكم أن.. اتركوني يا حيوانات.. لااااااا».

رأى «هاري» شعاعًا أحمر وعرف أنها تحاول تجميد أحدهم. ثم صرخت صرخة رهيبة. رفع رأسه بمقدار بعض البوصات عن الأرض فرأى «أمبريدج» وقد أمسكها «بان» من الخلف ورفعها في الهواء، وهي تصيح وتصرخ من الرعب. سقطت عصاها السحرية على الأرض، واختلج قلب «هاري».. فقط إن أمكنه الوصول إليها

لكن وهو يمد يده إليها سقط حافر قنطور منهم عليها فانشطرت إلى شطرين.

«والآن».. سمع «هاري» الصوت الزائر، ثم سقطت يد قوية مشعرة من الهواء عليه ورفعته. رأى «هيرميون» هي الأخرى وهناك من أجبرها على الوقوف. من بين غابة شعر وظهور وحوافر القناطير، رأى «هاري» «أمبريدج» محمولة بين الأشجار على يد «بان». وهي تصرخ بلا توقف وصوتها يبتعد ويبتعد مع مضيها إلى قلب الغابة، حتى لم يسمع سوى أصوات الحوافر من حوله.

قال القنطور الجامد الوجه الممسك بـ«هيرميون»: «وهذان؟».

سمع «هاري» صوتًا بطيئًا هادئًا من خلفه يقول: «إنهما صغار. نحن لا نهاجم الأطفال».

رد عليه القنطور الممسك بـ«هاري»: «إنهما من أحضرها إلى هنا. وهما ليسا صغيرين.. فهذا الولد قريب من سن الرجولة».

هز «هاري» من عباءته، من عند رقبته.

قالت «هيرميون» بأنفاس متقطعة: «أرجوكم. أرجوكم لا تهاجمونا. فنحن لا نفكر مثلما تفكر هي، ولسنا من موظفي وزارة السحر. لقد جئنا هنا فقط أملاً في أن تبعدوها عنا».

عرف «هاري» على الفور من النظرة المرتسمة على وجه القنطور الرمادي الممسك بـ«هيرميون» أنها قد ارتكبت غلطة فظيعة بقولها هذا. أرجع القنطور رأسه للخلف، وأخذ يضرب بقدميه الخلفيتين في الأرض بغضب، وصاح: «أرأيت يا رونان؟ لهما عجرفة جنسهما. إذن فقد أسدينا لهما خدمة قذرة، أليس كذلك أيتها الفتاة البشرية؟ لقد تصرفنا وكأننا خدم لك، وأبعدنا عنك عدوك مثل الكلاب المطيعة».

قالت «هيرميون» بصوت مذعور: «لا. من فضلك.. لم أقصد هذا. تمنيت فقط لو تقدرون على مساعدتنا..».

لكن بدا كأنها تنتقل معه من سيئ إلى أسوأ.

زمجر القنطور الذي يحمل «هاري» وقد شد قبضته وتراجع قليلاً حتى فارقت قدما «هاري» الأرض للحظة: «نحن لا نساعد البشر. نحن جنس مختلف ونفخر باختلافه. لن نسمح لكم بالدخول إلى هنا، والتفاخر بأننا فعلنا كما شئتم».

صاح «هاري»: «نحن لن نقول هذا أبدًا. نحن نعرف أنكم لم تفعلوا ما فعلتم لأننا أردنا منكم أن تفعلوه..».

لكن بدا كأن لا أحد يسمعه.

صاح قنطور ملتح يقف على مسافة بعيدة: «لقد دخلا إلى هنا غير مدعوين، ولا بد من أن يدفعا الثمن».

دوى زئير استحسان لكلماته وصاح قنطور أسود الجسد: «يمكن أن يأخذا المرأة».

صاحت «هيرميون»، ودموع حقيقية تنهمر على وجهها: «قلتم إنكم لا تؤذون الأبرياء. نحن لم نفعل أي شيء بقصد إيذائكم، ولم نستعمل عصينا أو هددناكم بشيء، كل ما نريده هو العودة للمدرسة. من فضلكم دعونا نعود...».

صاح قنطور رمادي: «لسنا جميعًا مثل الخائن فايرنز». فوافقته صيحات الاستحسان من خلفه. أضاف: «ربما تحسبيننا جيادًا متكلمة جميلة المظهر؟ نحن جنس قديم عريق لا يحتمل غزوات السحرة وإهاناتهم. نحن لا نعترف بقوانينكم، ولا نعترف بسيادتكم علينا. نحن...».

لكنهما لم يسمعا المزيد؛ ففي تلك اللحظة صدر صوت مرتفع من طرف المساحة الخالية من الأشجار حتى أنهم التفتوا إلى مصدره جميعًا، «هاري» و«هيرميون» والخمسون قنطورًا. تخلى القنطور الممسك بـ«هاري» عنه؛ فسقط على الأرض والأول يمد يده إلى قوسه وسهامه. سقطت «هيرميون» هي الأخرى، وهرع «هاري» إليها بينما جذعا شجرتين يفترقان ويظهر «جراوب» بجسده العملاق في الفتحة بينهما.

تراجع أقرب القناطير من العملاق إلى الخلف.. تأهبوا جميعًا لإطلاق السهام، وجميعها مصوبة إلى الوجه الرمادي الهائل. انفتح فم «جراوب» بطريقة بلهاء، وأمكنهم رؤية أسنانه الصفراء التي بحجم الطوب تلمع في الضوء الخافت، وعيناه تضيقان وهو يدقق النظر في أقرب القناطير من قدميه. والحبال المقطوعة حول كاحليه يجرها من خلفه.

فتح فمه على اتساعه.

«هاجر».

لم يفهم «هاري» معنى كلمة «هاجر»، أو بأي لغة نطقها، ولم يبال.. أخذ يراقب قدمي «جراوب» اللتين كانتا بطول جسد الإنسان العادي. قبضت «هيرميون» على ذراعه بقوة. وصمت القناطير تمامًا، وأخذوا يحدقون في العملاق، الذي تحرك رأسه من اتجاه إلى آخر وهو يفحصهم بعينيه وكأنه يبحث عن شيء سقط منه.

قال ثانية وبصوت فيه إصرار: «هاجر».

قال له «ماجوريان»: «ابتعد عن هنا يا عملاق. لا مكان لك بيننا».

لم يبد وأن الكلمات قد تركت أي انطباع عند «جراوب». مال لأسفل قليلاً، فتوترت أصابع القناطير على أقواسهم، ثم صاح: «هاجر».

ظهر القلق على بعض القناطير لكن «هيرميون» شهقت.

همست: «هاري.. أعتقد أنه يريد قول: هاجريد».

في تلك اللحظة، رآهما «جراوب»، وهما الآدميان الوحيدان بين القناطير. أحنى رأسه مسافة قدم أخرى، ورنا إليهما باهتمام. شعر «هاري» بـ«هيرميون» تنتفض و«جراوب» يفتح فمه على اتساعه ثانية، ويقول بصوت هادر: «هيرمي».

قالت «هيرميون» وهي تقبض على ذراع «هاري» بقوة آلمته معها وقد بدا عليها كأنها ستفقد الوعي: «يا ربي.. إنه يتذكرني».

زأر «جراوب»: «هيرمي. أين هاجر؟».

قالت «هيرميون» بصوت حاد مذعور: «لا أعرف. آسفة يا جراوب.. لا أعرف».

«جراوب يريد هاجر».

نزلت إحدى يدي العملاق مقتربة من الأرض. صرخت «هيرميون»، وتراجعت بعض الخطوات، ثم سقطت على الأرض. من دون عصا سحرية، استعد «هاري» للقتال بيده، أو بالركل، أو بالعض أو أيًا كانت الطريقة الممكنة، ولكن عندما اقتربت اليد منه اصطدمت بقنطور أبيض وأسقطته على الأرض.

كان هذا ما ينتظره القناطير. كانت أصابع «جراوب» على مسافة قدم من «هاري».. عندما طار خمسون سهمًا في الهواء تجاه العملاق؛ لتصيبه في وجهه، وتجعله يعوي من الألم والغضب وهو يستقيم في وقفته، ويمسح وجهه بيديه العملاقتين، ويكسر السهام وإن انغرست رءوسها في جسده.

صرخ وتعثر فتفرق القناطير مشتتين، انهمرت قطرات دم «جراوب» على «هاري»، وهو يجذب «هيرميون» إلى قدميها وينطلقان؛ بحثًا عن مأوى بين الأشجار. حالما وصلا إليه عاودا النظر للخلف. أخذ «جراوب» يضرب القناطير بعشوائية والدم ينزف من وجهه.. تراجعوا من غير نظام، ومنهم من تسلل من بين الأشجار. راقب «هاري» و«هيرميون» «جراوب» وهو يزأر ثانية من الغضب ويسعى إليهم، محطمًا في طريقه المزيد من الأشجار.

قالت «هيرميون»: «لا.. بالقطاعة. ربما يقتلهم جميعًا»، وهي تنتفض بعنف حتى أنها خرت على قدميها.

قال «هاري» بمرارة: «هذا في الحقيقة لا يؤلمني».

أخذت أصوات حوافر القناطير والعملاق الذي يطاردهم تخفت. أنصت «هاري»، لمته ندبته ثانية بقوة فاجتاحته موجة من الفزع.

ليس هناك وقت ليضيعوه. لقد ابتعدوا عن إنقاذ «سيريوس» أكثر من حالهم عندما رآه في الحلم. لم يفقد «هاري» عصاه فقط، بل أيضًا علق في وسط الغابة المحرمة من دون أي طريقة للخروج منها.

قال لـ«هيرميون» بحدة وقد أحس بأن عليه التنفيس عن بعض غيظه: «يا لها من خطة ذكية.. خطة ذكية فعلاً.. إلى أين نذهب الآن؟».

قالت «هيرميون» بوهن: «نحتاج للعودة إلى القلعة».

قال «هاري» وهو يركل جذع شجرة قريبة من غيظه: «قبل أن نعود سيكون سيريوس قد مات بالفعل». سمع صوت حيوان مرتفعًا فوقه؛ فنظر لأعلى ليجد «بوتروكل» غاضبًا ينظر إليه ممسكًا بأصابعه الغصينية الطويلة متألمًا.

قالت «هيرميون» وقد نفد منها الأمل وهي تنهض ثانية: «لا يمكننا فعل أي شيء من دون عصينا السحرية. المهم يا «هاري»، كيف تخطط للذهاب إلى لندن؟».

سمعا صوتًا مألوفًا من خلفهما يقول: «أجل، كنا نفكر في هذا منذ لحظة».

التفت «هاري» و«هيرميون» معًا إلى مصدر الصوت.

خرج «رون» من بين الأشجار، ومن خلفه «جيني» و«نيفيل» و«لونا». جميعهم يبدون في حالة يُرثى لها.. كانت عليهم خدوش كثيرة من الجري لمسافة طويلة، ووجنة «جيني» مجروحة، و«نيفيل» مصاب بكدمة زرقاء فوق عينه اليمنى، وشفة «رون» تنزف أكثر من إصاباتهم جميعًا.. لكنهم بدوا فخورين بأنفسهم.

قال «رون» وهو يزيح غصنًا واطئًا جانبًا، ويعطي «هاري» عصاه السحرية: «إذن، هل واتتكما أية أفكار؟».

سأله «هاري» بتعجب وهو يأخذ عصاه منه: «كيف هربتم؟».

قال «رون» بلا اكتراث وهو يناول «هيرميون» عصاها هي الأخرى: «بتعويذتي تجميد، وتعويذة نزع سلاح.. كما أدى نيفيل تعويذة إعاقة ماهرة. لكن جيني كانت أفضلنا، فقد ضربت مالفوي بتعويذة الغول الخفاشي، وهي

رائعة. غطت التعويذة وجهه كله بقطع لحمية مشعرة. المهم، رأيناكم من النافذة تتوجهون إلى الغابة فتبعناكم. ماذا فعلتما بأمبريدج؟».

قال «هاري»: «أخذها منا قطيع من القناطير».

سألته «جيني» بدهشة بالغة: «وهل تركوكما؟».

قال «هاري»: «لا، لقد طاردهم جراوب».

سألت «لونا» باهتمام: «من جراوب؟».

قال «رون» على الفور: «شقيق هاجريد الصغير. هذا لا يعنينا الآن. هاري، ماذا رأيت في المدفأة؟ هل وصل - الذي تعرفه - إلى سيريوس أم...؟».

قال «هاري» وندبته تؤلمه ثانية: «أجل. وأنا واثق من أن سيريوس ما زال على قيد الحياة، لكن لا أعرف كيف سنصل إليه لنساعده».

صمتوا جميعًا، والخوف بادٍ عليهم. بدت المشكلة التي تواجههم بلا حل ولا قبل لهم بها.

قالت «لونا» بنبرة من تقرر الحقائق: «سنذهب طائرين. أليس كذلك؟».

قال «هاري» بامتعاض وهو يلتفت إليها: «حسنًا. أول شيء هو أنك لن تأتي معنا، وثانيًا، رون هو الوحيد الذي عنده مقشة لا يحرسها الترول. لذا...».

قالت «جيني»: «أنا عندي مقشة».

قال «رون» بغضب: «أجل، لكنك لن تأتي».

قالت «جيني»: «عذرًا، لكنني أهتم بما قد يحدث لسيريوس قدر اهتمامك». فتبدَّى التشابه بينها وبين «فريد» و«جورج» جليًا في تلك اللحظة.

قال «هاري»: «أنت أيضًا...». لكن «جيني» قالت بشراسة: «أنا أكبر من حالك بثلاث سنوات عندما قاتلت - الذي تعرفه - على حجر الفيلسوف، وبسببي أنا ستجد مالفوي راقدًا في مكتب أمبريدج والوطاويط تهاجمه».

«أجل، لكن...».

قال «نيفيل» بهدوء: «جميعنا أعضاء في جماعة الـ(دي. أيه) وعلينا جميعًا أن نقاتل - الذي تعرفه - أليس كذلك؟ وهذه هي أول فرصة لنا للقيام بشيء حقيقي.. أم أن تدريبنا كان لعبًا؟».

قال «هاري» بصبر نافد: «لا.. بالطبع لم يكن كذلك».

قال «نيفيل» ببساطة: «إذن، فعلينا أن نأتي نحن الآخرين.. نريد المساعدة».

قالت «لونا» وهي تبتسم بسعادة: «هذا صحيح».

قابلت عينا «هاري» عيني «رون». عرف أن «رون» يفكر فيما يفكر فيه بالضبط: إن كان أمامه الخيار لأخذ بعض أعضاء الـ(دي. أيه) ليفتقدوا «سيرياس» معه هو و«رون» و«هيرميون». فما كان ليختار «جيني» أو «نيفيل» أو «لونا» أبدًا.

قال «هاري» بغيظ: «كل هذا لا يهم؛ لأننا لا نعرف كيف سنصل إلى هناك..».

قالت «لونا» غاضبة: «حسبتنا انتهينا من هذه المسألة.. قلنا إننا سنطير».

قال «رون» وهو غير قادر على احتواء غضبه: «انظري.. قد تقدرين على الطيران من دون المكنسة، لكنَّ الباقين لن تنمو لهم أجنحة و...».

قالت «لونا» بهدوء: «هناك وسائل أخرى للطيران غير المكنسات».

سألها «رون»: «وهل ستطيرين على ظهر كاكي ستورجل أو ما شابه من كائناتك الغريبة؟».

قالت «لونا» مستنكرة: «الستوركاك ذو القرن لا يطير، لكن هذه تطير، ويقول هاجريد إنها ماهرة في العثور على الأماكن التي يسعى راكبوها للوصول إليها».

نظر «هاري» خلفه، وجدهما بين شجرتين وعيونهما البيضاء تلمع، كائنين من (الثيسترال)، يراقبان الحوار الجاري وكأنهما يفهمان كل كلمة منه.

همس مقتربًا منهما: «أجل!» رفعا رأسيهما، وهزا شعر رقبتيهما الكثيف، ومد «هاري» يده بلهفة وربت على رقبة الأقرب إليه منهما، كيف كان يرى هذه الكائنات قبيحة؟

قال «رون» بتردد محدقًا في نقطة إلى يسار «الثيسترال» الذي يربت «هاري» على عنقه: «هل هي تلك الجياد المجنونة؟ التي لا تراها إلا عندما ترى الموتى؟».

قال «هاري»: «أجل».

«كم عددها؟».

«اثنان فقط».

قالت «هيرميون»: «نحن بحاجة إلى ثلاثة منها».

قالت «جيني» بعبوس: «بل أربعة يا هيرميون».

قالت «لونا» بهدوء وهي تحصي عددهم: «أعتقد أننا ستة أفراد».

قال «هاري» بغضب: «لا تكوني غبية. لا يمكن أن نذهب جميعًا. انظروا أنتم الثلاثة..» مشيرًا إلى «نيفيل» و«جيني» و«لونا». «لا شأن لكم بهذا، أنتم لستم...».

صدر عنهم المزيد من الاحتجاج. آلمته ندبته ثانية، ألم أكبر هذه المرة؟ كل لحظة تأخير غالية جدًا، وليس عنده وقت للنقاش والجدال.

قال باقتضاب: «حسنًا، اختاروا ما شئتم. لكن إن لم تجدوا المزيد من الثيسترالات، فلن تقدروا على...».

قالت «جيني» بثقة: «سيأتي المزيد منها». وهي مثلها مثل «رون» تنظر في الاتجاه الخاطئ، ومن الواضح اعتقادها أنها هكذا تنظر إليهما.

«ولماذا تعتقدين هذا؟».

قالت بهدوء: «لأن في حالة ما لم تلاحظوا، فإنك أنت وهيرميون مغطيان بالدم، ونعرف أن هاجريد قد جذب الثيسترالات إلى حيث نقف باللحم النيئ، هذا يعني أن الدم هو سبب ظهور هذين».

شعر «هاري» بحركة على عباءته، فنظر إلى مصدرها ليرى أقربهما إليه يلعق كمه، والذي كان مغمورًا بدم «جراوب».

قال وقد واتته فكرة جيدة: «حسنًا.. سأركب أنا ورون هذين ونسبقكم، وستبقى هيرميون مع ثلاثتكم؛ حتى تجذب المزيد من الثيسترالات...».

قالت «هيرميون» بغيظ: «لن أبقى هنا».

قالت «لونا» مبتسمة: «لا حاجة بك لهذا. انظري، ها قد جاء المزيد.. لا بد أن رائحتكما قوية ونفاذة...».

التفت «هاري» إلى حيث تشير. وجد ما لا يقل عن ستة أو سبعة «ثيسترالات» تقترب من بين الأشجار، وأجنحتها الجلدية الكبيرة مطبقة على أجسادها، وعيونها تلمع في الظلام. لم يعد عنده عذرٌ.

قال بغضب: «حسنًا.. ليركب كل منكم واحدًا.. هيا».



٣٤ مصلحة الألغاز والغوامض

شبك «هاري» أصابعه في عُرف أقرب «ثيسترال» إليه، وسند قدمه على أقرب جذع شجرة منه، وقفز إلى ظهر الحصان الحريري الملمس. لم يعترض، بل أدار رأسه للخلف، وكشف عن أنيابه، وحاول لعق الدم من على عباءة «هاري».

وجد أن بإمكانه ثني ركبتيه خلف مفصلي الجناحين؛ حتى يؤمِّن نفسه في ركوبه، ثم التفت إلى الآخرين. امتطى «نيفيل» ظهر «الثيسترال» المجاور له، وأخذ يحاول رفع قدمه القصيرة فوق ظهر الكائن. ركبت «لونا» وجلست بطريقة الركوب الجانبية، وقدماها إلى جانب واحد، ثم عدلت وضع عباءتها وكأنها تركبه كل يوم، لكن «رون» و«هيرميون» و«جيني» وقفوا مفغوري الأفواه يحدقون أمامهم ببلاهة. قال «هاري»: «ما الأمر؟».

قال «رون» بوهن: «كيف سنركب ونحن لا نرى هذه الأشياء؟!».

قالت «لونا» وهي تنزل من على حصانها وتسير نحوه هو و«هيرميون» و«جيني»: «تعال هنا..».

أوقفتهم إلى جوار «الثيسترالات» الباقية، وتمكنت من مساعدتهم على الركوب واحداً تلو الآخر. بدوا متوترين بشدة وهي تلف أيديهم حول أعناق الجياد وتطالبهم بالإمساك جيداً قبل أن تعود إلى جوادها.

غمغم «رون» محركاً يده الحرة فوق عنق الحصان: «هذا جنون.. جنون.. إن كنت لا أراه فـ..».

قال «هاري» بوجوم: «فلتتمنى أن يبقى خفيًا عليك. هل نحن مستعدون جميعًا؟».

أومأوا له جميعًا موافقين، واستعدوا للطيران.

«حسنًا..». نظر إلى رأس «الثيسترال» الأسود وازدرد لعابه.

قال بتردد: «وزارة السحر، مدخل الزوار، لندن.. آ.. إن كنت تعرف إلى أين ستذهب..».

للحظة، بدا وكأن «ثيسترال» «هاري» لم يفهم شيئًا، ثم وبحركة كادت أن

تخلعه من مكانه خلفًا امتد الجناحان، وتأهب الجواد للطيران، ثم ارتفع بسرعة وبحدة حتى أن «هاري» قبض بيديه وساقيه بقوة على جسده؛ حتى لا يقع من فوق ظهره العظمي النحيف. أغمض عينيه وضغط وجهه إلى عنق الجواد الحريري، وهما يمرقان إلى جانب فروع وأوراق الأشجار وإلى الشمس الغاربة الدموية الحمرة.

لم يحسب «هاري» أنه سيتحرك بهذه السرعة. حلق «الثيسترال» فوق القلعة، وجناحاه العريضان يخفقان ويضربان الهواء، والنسيم البارد المنعش يضرب وجهه، وعيناه مغمضتان في مواجهة الرياح الشديدة. نظر حوله إلى رفاقه الخمسة المحلقين من خلفه، وكل منهم متمسك قدر استطاعته بعنق «ثيسترال»ه؛ خشية السقوط.

حلقوا فوق الأراضي المحيطة بقلعة «هوجورتس»، ومروا فوق «هوجزميد»، وتمكن «هاري» من رؤية الجبال والأخاديد بالأسفل، ومع انطفاء ضوء النهار، رأى تجمعات ضوئية وهم يمرون فوق بعض القرى، ثم فوق طريق متعرِّج لا تسير عليه سوى سيارة واحدة تشق طريقها بصعوبة بين التلال.

سمع «هاري» «رون» يصيح من مكان ما خلفه: «هذا غريب»، وتخيل كيف يشعر وهو يطير على هذا الارتفاع من دون أن يرى ما يطير فوقه.

حل الغروب واحمرت السماء، وتحول نورها إلى لون بنفسجي قاتم ترصّعه النجوم، وسرعان ما أضاءت أنوار «العامة» من بيوتهم بالأسفل، وصارت هذه الأضواء هي ما يدلهم على سرعة ارتحالهم. التفّ ذراعا «هاري» حول عنق الجواد وهو يحثه على الطيران أسرع وأسرع. كم من الوقت مضى منذ رأى «سيرياس» راقدًا على أرضية مصلحة الألغاز والغوامض؟ كم تبقى من قدرة «سيرياس» على مقاومة «فولدمورت»؟ كل ما عرفه «هاري» هو أن أباه الروحي لم يفعل ما يريده «فولدمورت» منه، ولم يمت؛ لأنه كان مقتنعًا بأنه إن وقع أي من الأمرين؛ فسوف يشعر بإحساس «فولدمورت» بالفرحة أو الغضب في جسده، وستحترق ندبته بالألم الممض كما حدث ليلة مهاجمة السيد «ويزلي».

مضوا محلقين في الهواء والليل من حولهم يوغل. شعر «هاري» بوجهه يتجمد من البرد، وبساقيه متخدرتين من التمسك بجانبي «الثيسترال»، لكنه لم يجرؤ على تغيير جلسته؛ وإلا سقط. أصيب بالصمم المؤقت من صوت الهواء

الهادر فى أذنيه، وصار فمه جافًا ومتجمدًا من الهواء الليلى البارد. فقد إحساسه بالمكان، وتركز كل عزمه على الحيوان الطائر من تحته، وهو ما زال يخفق بجناحيه سماوات الليل، متقدمًا للأمام بلا توقف.

إن وصلوا متأخرين...

إنه حى، ما زال حيًا ويقاوم، أشعر به...

إن قرر «فولدمورت» أن «سيريوس» لن ينهار...

سأعرف وقتها...

اضطربت معدة «هارى» من التوتر. وفجأة، اتجه رأس «الثيسترال» نحو الأرض فانزلق بضع بوصات بطول رقبته. كانوا فى طريقهم للهبوط أخيرًا. سمع صرخة من خلفه فالتفت ولم ير أثرًا لشخص يسقط. الواضح إذن، أنهم قد أحسوا بالصدمة عندما غيرت الحيوانات اتجاهها فجأة ـ كما حدث له.

أخذت أضواء برتقالية لامعة تتوهج وتقترب من كل الأجناب. رأوا أسطح البنايات، وشلالات الضوء مثل عيون حشرات عملاقة، ومربعات من الضوء الأصفر الشاحب المطل من نوافذ الحجرات المضيئة. فجأة، بدا وكأنهم سيرتطمون بالرصيف. أمسك «هارى» برقبة «الثيسترال» بكل ما فيه من قوة واستعد للاصطدام، لكن الحصان لامس الأرض المظلمة بهدوء وخفة كأنه ظل، وانزلق «هارى» من فوق ظهره وأخذ ينظر حوله فى الشارع وبالقرب منه كابينة التليفون المدمرة.

حط «رون» قريبًا منه وسقط من فوق «الثيسترال» الذى يركبه على الرصيف.

قال وهو يجاهد للنهوض على قدميه: «لن أركبه ثانية»، وكأنه يبعد عن «الثيسترال» مشيحًا بيده. ولكن وهو غير قادر على رؤيته، فقد اصطدم بمؤخرته وكاد أن يقع ثانية. فأضاف: «أبدًا. أبدًا. إنها أسوأ مواصلة فى حياتى...».

لامست كل من «هيرميون» و«جينى» الأرض إلى جواره من الجانبين، ونزلت كل منهما من فوق حصانها بطريقة أكثر رشاقة بقليل من طريقة «رون»، وإن كان على وجهيهما نفس تعبير الراحة لعودتهما إلى الأرض الثابتة. قفز «نيفيل» من فوق جواده، ووقف مرتجفًا، أما «لونا» فقد نزلت من فوقه بكل رشاقة ونعومة.

سألت «هارى» بصوت مهذب: «أين سنذهب الآن؟»، وكأنهم فى رحلة ممتعة.

قال: «إلى هنا»، ربت على ظهر «الثيسترال» الذى كان يركبه ربتة امتنان خفيفة، سريعة، ثم قاد الطريق إلى كابينة التليفون المحطمة وفتح الباب وقال: «تعالوا»، مخاطبًا الآخرين الذين ترددوا.

تقدم «رون» و«جينى» فى طاعة، أما «هيرميون» و«نيفيل» و«لونا» فقد دخلوا خلفهما بعد لحظة. ألقى «هارى» نظرة أخيرة على «الثيسترالات»، التى أخذت ترعى على بقايا الطعام المتعفن على الأرض، ثم حشر نفسه فى الكابينة من خلف «لونا».

قال: «من الأقرب إلى السماعة؟ اضرب رقم ستة، ثم اثنين، أربعة، أربعة، اثنين».

فعل «رون» كما قال، حنى ذراعه بطريقة غريبة ليصل إلى قرص الأرقام. والقرص يعود إلى مكانه، سمعوا صوتًا أنثويًا باردًا يملأ الكابينة:

«أهلاً بك فى وزارة السحر. من فضلك اذكر اسمك، وسبب زيارتك».

قال «هارى» بسرعة بالغة: «هارى بوتر، رون ويسلى، هيرميون جرانجر، جينى ويسلى، نيفيل لونجبوتم، لونا لوفجود... نحن هنا لإنقاذ شخص ما، إلا إن كانت الوزارة قد أنقذته بالفعل».

قال الصوت الأنثوى البارد: «شكرًا لك. السادة الزوار من فضلكم أخذ الشارات وربطها بصدر عباءاتكم».

انزلقت ست شارات من المخرج المعدنى الذى تنزل منه العملات الزائدة. أمسكت بها «هيرميون» وأعطتها إلى «هارى» فى صمت، وهى تمد يدها من فوق رأس «جينى». فنظر إلى أولها: «هارى بوتر، مهمة إنقاذ».

«السادة زوار الوزارة، عليكم الخضوع للتفتيش، وتقديم عصيكم السحرية لمكتب الأمن، وهو عند الطرف البعيد من قاعة الاستقبال».

قال «هارى» بصوت جهورى ورعشة ألم تداهم ندبته ثانية: «حسنًا. والآن، هلا تحركنا؟».

ارتجفت أرضية كابينة التليفون، وارتفع الرصيف من حول جدرانها الزجاجية، وخرجت «الثيسترالات» عن نطاق البصر، وعم السواد من حولهم ومن فوق رءوسهم مع جلبة أصوات معدنية وهم يهبطون إلى قلب وزارة السحر.

ضرب شعاع رفيع من النور الذهبى أقدامهم، واتسع ليغمر أجسادهم. ثنى

«هارى» ركبتيه ورفع عصاه السحرية مستعداً متأهبًا وهو يحدق من الزجاج؛ ليعرف إن كان هناك من ينتظرهم فى قاعة الاستقبال، لكن القاعة بدت خالية تمامًا، والضوء أخفت من حاله بالنهار. لم تكن هناك نيران فى المدافئ التى تشغل الحوائط، لكن ومع استقرار المصعد بنعومة بالقاعة، رأى الرموز الذهبية مستمرة فى التثنّى والالتفاف على السقف الأزرق الداكن.

قال الصوت الأنثوى: «تتمنى لكم وزارة السحر أمسية سارة».

انفتح باب كابينة التليفون. تعثر «هارى» وهو يخرج عبره، ومن خلفه «نيفيل» و«لونا». الصوت الوحيد بالقاعة كان للمياه المتدفقة فى النافورة الذهبية، حيث الماء المتدفق من عصى الساحرة والساحر، ومن طرف قوس «القنطور»، ومن طرف قبعة الجنى، ومن أذنى القزم المنزلى، وكلها تتجمع فى البركة المائية الصغيرة الواقعة أمام التماثيل.

قال «هارى» بهدوء وهم يهرولون بطول القاعة: «هيا». كان فى المقدمة، وعبر إلى جوار النافورة تجاه مكتب ساحر الأمن الذى وزن عصاه السحرية، وإن وجده الآن مهجوراً.

كان «هارى» على يقين من ضرورة وجود حارس أمن بالمكتب، ومن أن غيابه لا يعنى خيراً، وازداد إحساسه بصدق مخاوفه مع مرورهم إلى جوار البوابات الذهبية للمصاعد. ضغط على مفتاح «أسفل»، الأقرب إليه، فانفتح المصعد بصوت صاخب. انفتحت البوابات الذهبية بصوت معدنى مدوٍّ. ضغط «هارى» على مفتاح الطابق التاسع، أغلق الباب الذهبى وبدأ المصعد فى الهبوط، بصوته المعدنى الرنان. لم يدرك «هارى» كم صخب المصعد يوم جاء بالنهار مع السيد «ويسلى». كان واثقا من أن الصخب الذى يصدره المصعد كافٍ لإيقاظ أى من أفراد الأمن بالمبنى. لكن عندما توقف المصعد، جاء الصوت الأنثوى البارد: «مصلحة الألغاز والغوامض» وانفتح الباب. خطوا إلى الممر ولا شىء يتحرك غير نيران المشاعل القريبة التى تحركت مع الرياح الناتجة عن حركة المصعد.

التفت «هارى» إلى الباب الأسود. بعد شهور وشهور من حلمه به، وصل إليه أخيراً.

همس قائلاً: «هيا بنا»، وقاد الطريق بطول الممر، و«لونا» إلى يمناه من الخلف تحدق حولها وفمها مفتوح فى دهشة خفيفة.

قال «هارى» وهو يتوقف ثانية قبل الباب بست أقدام: «حسنًا. اسمعوا ربما... ربما على اثنين منا البقاء هنا للحراسة و...»

سألته «جينى»، وحاجبها يرتفع: «وكيف ستعرف إن وقع مكروه لمن يدخلون؟ ربما تتوغلون مسافة أميال للداخل».

قال «نيفيل»: «سنأتى معك يا هارى». فقال «رون» بحزم: «هيا بنا الآن».

لم يكن «هارى» يريد أن يدخلوا جميعًا معه، لكن بدا أنه لا خيار أمامه. التفت ليواجه الباب وتقدم منه.. كما رآه فى حلمه تمامًا، انفتح وخطا فوق مدخل الباب، والباقون فى عقبه.

وجدوا أنفسهم فى حجرة كبيرة دائرية، كل شىء بها أسود، حتى الأرضية والسقف.. وأبواب سوداء متماثلة بلا أية علامات أو مقابض، على مسافات متساوية، ومتفرقة على جدران الحجرة، بينها شموع زرقاء اللهب، وضوؤها البارد المتراقص ينعكس على الأرضية الرخامية اللامعة، مما جعلهم يشعرون بأن تحتهم مياه داكنة اللون. غمغم «هارى»: «ليغلق أحدكم الباب».

ندم على الأمر الذى أصدره لحظة أطاعه «نيفيل». بدون شعاع الضوء الطولى القادم من الممر، أصبح المكان مظلمًا.. وللحظة، لم ير سوى ألسنة اللهب الزرقاء الصغيرة على الجدران، وانعكاسها الشبحى الطايع على الأرض.

فى حلمه، كان «هارى» يسير دومًا بتصميم عبر الحجرة إلى الباب المواجه للمدخل تمامًا ويمر عبره. لكنه وجد حوله اثنى عشر بابًا. وهو يحدق أمامه فى الأبواب المقابلة له: محاولاً معرفة الصحيح منها، سمع صخبًا شديداً وبدأت الشموع فى الحركة إلى الجانب.. الحجرة الدائرية تدور.

أمسكت «هيرميون» بذراع «هارى»، وكأنها خائفة متوجسة من أن تتحرك الأرض هى الأخرى، لكنها لم تتحرك. بعد ثوان قليلة، أصبح ضوء الشموع من حولهم أشبه بالضوء (النيون) والجدار يدور ويدور بسرعة. ثم فجأة.. كما بدأ الأمر.. كفت الحركة، وهدأ كل شىء ثانية.

رأى «هارى» خيوطًا ضوئية زرقاء تتراقص أمام عينيه، وكان هذا كل ما يقدر على رؤيته. همس «رون» بخوف: «ماذا جرى؟».

قالت «جينى» بصوت هامس: «أعتقد أن المقصود هو ألا نعرف أى الأبواب نختار».

أدرك «هارى» أنها محقة على الفور. لم يتعرف على الباب الذى عبروا منه،

والباب الذى كان عليهم المرور عبره، وقد يكون أى من الأبواب الاثنى عشر من حولهم. قال «نيفيل» بضيق: «كيف سنعود إذن؟».

قال «هارى» بقوة وعينه تطرف محاولاً مسح الخطوط الزرقاء من أمام عينيه، ممسكًا بعصاه السحرية بقوة أكبر: «هذا لا يهم الآن.. لن نحتاج للخروج؛ حتى نعثر على سيرياس..».

قالت «هيرميون» بحرارة: «لكن لن نمشى ننادى عليه..». لم يكن «هارى» بحاجة لنصيحتها؛ فقد كان يعرف أن عليه الحفاظ على الهدوء قدر استطاعته.

تساءل «رون»: «أين سنذهب إذن يا هارى؟».

قال «هارى»: «لا أعر..». ثم صمت، وازدرد بصعوبة وأكمل: «فى أحلامى، كنت أمر عبر الباب المواجه للمصعد الذى عبرنا منه.. ثم ألج عبر باب آخر فى الحجرة يفضى إلى حجرة أخرى متلألئة نوعًا ما.. علينا تجربة فتح بعض الأبواب إذن»، ثم قال بتردد: «سأعرف الباب الصحيح عندما أراه. هيا».

سار إلى الباب المواجه له مباشرة، وتبعه الآخرون، وضع يده اليسرى على سطح الباب البارد اللامع، ورفع عصاه فى وضع الاستعداد، ليضرب بها لحظة أن ينفتح، ثم دفعه فانفتح الباب بسهولة.

بعد ظلام الحجرة الأولى، أعطت المصابيح، ذات السلاسل الذهبية المعلقة من السقف، الانطباع بأن هذه الحجرة المستطيلة أكبر بكثير. لكن لم ير «هارى» أضواء متراقصة متلألئة، كما رأى فى أحلامه. كان المكان خاليًا إلا من بعض الموائد القليلة، وفى منتصف الحجرة وعاء زجاجى كبير به سائل داكن الخضرة، وكبير بما يكفى ليسبحوا فيه جميعًا.. وعدد من الأشياء اللؤلؤية البياض الطافية والسابحة بكسل داخله.

همس «رون»: «ما هذه الأشياء؟». فقال «هارى»: «لا أعرف».

همست «جينى»: «هل هى أسماك؟».

قالت «لونا» بحماس: «إنها ديدان فيروسية بحرية.. قال أبى إن وزارة السحر تربيها بصفة غير قانونية..».

قالت «هيرميون»: «لا»، وبدا صوتها غريبًا.. تحركت مقتربة من الوعاء ناظرة من جوانبه إلى ما بداخله، ثم أعلنت: «إنها مخاخ».

«مخاخ؟!».

«أجل.. ترى ماذا يفعلون بها؟».

انضم «هارى» إليها أمام الوعاء. بالطبع لا خطأ فى هويتها من هذه المسافة القريبة. أخذت تسبح بلونها اللامع، مقتربة منهم ومبتعدة عنهم فى السائل الأخضر، وقد بدت أشبه بنبات عيش الغراب لزج الملمس.

قال «هارى»: «لنخرج من هنا.. هذه ليست الحجرة الصحيحة، سنجرب بابًا آخر».

قال «رون» مشيرًا إلى الجدران: «هناك أبواب أخرى هنا أيضًا». غاص قلب «هارى» فى صدره.. ما مساحة هذا المكان؟

قال: «فى أحلامى كنت أمر بالحجرة المظلمة إلى حجرة ثانية.. أعتقد أن علينا الخروج من هنا وتجربة باب آخر».

وهكذا هرولوا خارجين من الحجرة إلى الحجرة الدائرية المظلمة.. أخذت أشكال المخاخ تسبح أمام عينى «هارى» بدلاً من اللهب الأزرق للشموع.

قالت «هيرميون» بحدة: «انتظرى»، و«لونا» تهم بفتح الباب المجاور لحجرة المخاخ. ثم قالت: «فلاجرات».

شهرت عصاها السحرية ورسمت بالتعويذة التى ذكرتها علامة (X) لامعة فى منتصف الباب. وما إن أغلق الباب من خلفهم، حتى أخذت الحجرة تدور ثانية وبسرعة كبيرة، لكنهم رأوا وسط الأضواء الزرقاء المتداخلة لمعانًا أحمر ذهبيًا، ثم عندما استقرت الحجرة وجدوا علامة «هيرميون» مستقرة على الباب؛ لتكشف لهم عن الحجرة التى دخلوها.

قال «هارى»: «تفكير جيد.. حسنًا.. دعونا نجرب هذا الباب..».

مرة ثانية، اتجه مباشرة إلى الباب المواجه له وفتحه، وعصاه السحرية مشهرة، والباقون فى عقبه.

كانت هذه الحجرة أكبر من سابقتها.. مضاءة إضاءة خافتة ومستطيلة الشكل، وفى مركزها حفرة حجرية كبيرة بعمق عشرين قدمًا. وقفوا على طرف الدرجة العليا من الحجرة، التى بدت أشبه بمدرجات مسرح قديم، أو أشبه بحجرة المحكمة التى حوكم فيها «هارى» على أيدى أعضاء الـ«ويزنجاموت». لكن بدلاً من المقعد ذى السلاسل، كان هناك منبر حجرى فى منتصف الحجرة، وعليه قوس حجرية قديمة وبالية الحال، حتى إن «هارى» اندهش

من أنه ما زال قائماً لم ينهدم. كانت القوس الحجرية قائمة من غير عمد، ويغطيها ستار أسود. أخذ بالرغم من سكون الهواء بالحجرة في الارتجاف وكأن هناك من يلامسه من الخلف.

قال «هاري» وهو يقفز درجة إلى الأسفل: «من هناك؟». لم يجبه مجيب، لكن الستار استمر في الحركة والتأرجح. همست «هيرميون»: «احذر».

نزل «هاري» الدرجات واحدة تلو الأخرى حتى وصل إلى القاع الحجري للحفرة الغائصة في الأرض. دوى صوت خطوات قدميه مرتفعاً وهو يقترب ببطء من المنبر. بدت القوس الحجرية المدببة الطرف أطول مما سبق وهو واقف أمامه. أخذ الستار يتحرك ويتأرجح برفق، وكأن هناك من مر خلاله منذ قليل.

«سيرياس؟». تكلم «هاري» ثانية، لكن بصوت أخفت وقد اقترب.

أحس إحساساً قوياً بأن هناك من يقف خلف الستار مباشرة ويراقبه. أمسك بعصاه بقوة، ودار حول المنبر، لكنه لم يجد أحداً خلفه.. كل ما رآه هو الجانب الآخر من الستار الأسود المهترئ.

نادته «هيرميون» من عند منتصف الدرجات: «هيا نذهب. أرتاب في الأمر يا هاري، هيا بنا».

بدت خائفة، أكثر خوفاً من حالها في حجرة المخاخ العائمة، لكن «هاري» استشعر نوعاً من الجمال في الستار، وإن كان قديماً هكذا. أغراه الستار المتراقص برفق بالاقتراب، وأحس برغبة عارمة في صعود درجات المنبر والمرور عبره.

قالت «هيرميون» بقوة أكبر: «هاري، هيا بنا.. هيا نعود».

قال: «حسناً». لكنه لم يتحرك، سمع شيئاً. كان هناك همس خافت، غمغمة قادمة من الجانب الآخر للستار.

قال بصوت مرتفع: «ماذا تقولون؟»، حتى أن كلماته أصدرت دوياً على الدرجات الصخرية.

قالت «هيرميون» وهي تقترب منه: «لم يتكلم أحد يا هاري».

قال مبتعداً عنها مقطب الجبين في مواجهة الستار: «هناك من يهمس.. هل هذا أنت يا رون؟».

قال «رون» وهو واقف على الجانب الآخر من القوس الحجرية: «أنا هنا يا صاحبي».

تساءل «هاري»: «ألا يسمع أحدكم الأصوات؟».. لأن الأصوات والهمسات قد صارت أقوى، وإن كانت بلا معنى، لكنه وجد قدميه تتحركان على درجات المنبر.

همست «لونا»: «أنا أسمعها». وقد انضمت إليهم عند جانب القوس وحدقت في الستار الخافق، وقالت: «هناك أشخاص بالداخل».

سألتها «هيرميون» وهي تقفز من فوق الدرجة الأخيرة وقد تملكها الغضب: «ماذا تعنين بقولك: بالداخل؟ لا يوجد (بالداخل). إنها مجرد قوس، ولا مكان فيها لأحد. هاري، توقف، ابتعد..». أمسكت بذراعه وجذبته، لكنه قاومها.

قالت بصوت مرتفع متوتر: «هاري، نحن هنا للبحث عن سيرياس».

رد «هاري» كلامها وهو ما زال محدقاً بثبات في الستار الخافق: «سيرياس. أجل..».

فجأة، عادت الأوضاع إلى حالها الصحيح في عقله: سيرياس، قبض عليه وتعرض للتعذيب تحت الأسر، وهو ينظر إلى القوس.

أخذ عدة خطوات مبتعداً عن الستار، ثم أشاح بوجهه عنه. قال: «هيا».

قالت «هيرميون»: «هذا ما أحاول أن.. أعني.. هيا بنا إذن». وقادت الطريق إلى الجانب الآخر من المنبر. أخذ «نيفيل» و«جيني» يحدقان في الستار هما الآخران وبدون كلام، أمسكت «هيرميون» بذراع «جيني»، وأمسك «رون» بذراع «نيفيل»، وأعادوهما إلى درجات المدرج وصعدوا إلى الباب.

سأل «هاري» «هيرميون» وقد عادوا إلى الحجرة الدائرية المظلمة: «ترى، ما هذا الستار؟».

قالت بحزم وهي ترسم علامة سحرية على الباب الذي خرجوا منه: «لا أعرف. لكن، أياً كان فهو خطير».

استقر حال الجدار بعد أن دار ثانية. تقدم «هاري» من أحد الأبواب ودفعه، لكنه لم يتحرك.

قال «رون» بحماس وهو ينضم إلى «هاري» في محاولة فتح الباب: «لا بد أن هذا هو الباب الذي نقصده، أكيد».

قالت «هيرميون» بحدة: «ابتعدا عنه»، وأشارت بعصاها السحرية إلى حيث يقع القفل في الأبواب العادية وقالت: «ألوهوموراه».

لم يحدث شيء.

قال «هارى»: «سكين سيرياس» وهو يجذبها من ثنيات عباءته ويضعها فى الشق الواقع بين الباب والجدار. راقبه الآخرون بلهفة وهو يجرى السكين بطول الباب، ويسحبه، ثم يدفع الباب بكتفه. ظل مغلقًا كما هو. والأغرب أن «هارى»، عندما نظر إلى سكينه وجد نصله قد ذاب.

قالت «هيرميون» بتصميم: «حسنًا، سنترك هذه الحجرة».

قال «رون» متطلعًا إلى الباب بمزيج من الرهبة والتوق: «لكن، ماذا إن كانت هى المقصودة؟».

قالت «هيرميون» وهى تعلِّم الباب بعلامة سحرية أخرى، مع إعادة «هارى» لسكين «سيرياس» الذائب إلى جيبه: «لا يمكن». كان هارى يمر عبر الباب بسلاسة فى حلمه.

قالت «لونا» بلهفة وقد بدأ الجدار فى الدوران ثانية: «أتعرفون ماذا قد يقع خلف هذا الباب؟».

قالت «هيرميون» بسخرية غاضبة: «شىء مخيف طبعًا». فضحك «نيفيل» ضحكة متوترة قصيرة.

كف الجدار عن الدوران، ودفع «هارى» أقرب الأبواب إليه؛ لينفتح وقد بدأ اليأس يتسرب إلى قلبه. «إنه هو».

عرفه على الفور؛ من الأضواء الجميلة المتراقصة المتلألئة. مع تعوّد عينيه على الضوء البراق، رأى ساعات تلمع على كل الأسطح بالحجرة، كبيرة وصغيرة، قديمة وحديثة، معلقة فى الفراغات بين خزانات الكتب، ومنتصبة على المكاتب المصطفة بطول الحجرة، حتى امتلأت الحجرة بصوت آلاف عقارب الثوانى المتقدمة مع تقدم الزمن. أما مصدر الضوء، فقد كان جرة كريستالية جرسية الشكل وهائلة تتحرك متراقصة عند الطرف البعيد من الحجرة.

«من هنا».

أخذ قلب «هارى» يخفق بقوة بالغة وقد عرف أنه فى طريقه الصحيح، قاد المجموعة بطول المساحة الخالية بين صفوف المكاتب، متجهًا - كما كان يفعل فى حلمه - إلى مصدر الضوء، والجرة الكريستالية طويلة وكبيرة ومستقرة على مائدة، وقد بدت محفوفة برياح عاوية شديدة.

قالت «جينى»، وهم يقتربون: «ياه.. انظروا». مشيرة إلى قلب الجرة الكريستالية.

كانت هناك بيضة صغيرة لامعة وسط التيار المتدفق. وهى ترتفع داخل الجرة، انفتحت وخرج منها طائر طنّان، وكان على طرف الجرة العلوى، لكن مع خروجه إلى السائل ابتل ريشه، ومع عودته إلى البيضة فى قاع الجرة عاد مرة أخرى إلى داخلها.

قال «هارى» بحدة: «تقدموا»؛ لأن «جينى» بدا عليها أنها تريد التوقف ومراقبة تقدم البيضة، دورة البيضة، وهى تتحول إلى طائر.

قالت بغضب: «لقد تلكأت أمام القوس الحجرية القديمة»، لكنها اتبعته من خلف الجرة وإلى الباب الوحيد من خلفها.

قال «هارى» ثانية وقلبه يخفق بقوة وسرعة شعر معهما بأن نبضات قلبه تتداخل مع كلماته: «هذا هو. عبْره سـ...».

نظر حوله إليهم جميعًا. كانت عصيهم مشهرة وقد بدت عليهم علامات الجدية والتوتر. عاود النظر للباب ودفعه؛ فانفتح

دخلوا، وجدوا مرادهم. حجرة مرتفعة السقف وكأنها كنيسة ومليئة بصفوف وصفوف من الرفوف التى تغطيها كرات زجاجية صغيرة مغبرة. كانت تلمع على الضوء القادم من الشموع المعلقة على مسافات متساوية بين الرفوف. مثلها، مثل الشموع المعلقة فى الحجرة الدائرية من خلفهم، كان لهبها أزرق، والحجرة شديدة البرودة.

تقدم «هارى» إلى الأمام، ونظر إلى الممرات المظلمة الواقعة بين صفين من الرفوف. لم يسمع أو يرَ ما يدل على أدنى حركة.

همست «هيرميون» قائلة: «قلت إنه الصف السابع والتسعون».

قال «هارى»، وهو ينظر إلى طرف أقرب الرفوف: «أجل». تحت الشموع الزرقاء اللهب كان هناك رقم معلق وهو ثلاثة وخمسون.

همست «هيرميون» وهى تنظر عن قرب إلى الصف التالى: «سنمشى تجاه اليمين على ما أعتقد. أجل.. هنا رقمه أربعة وخمسون».

قال «هارى» برفق: «أبقوا على عصيكم فى وضع الاستعداد».

زحفوا إلى الأمام، ناظرين خلفهم وهم يتقدمون عبر صفوف الممرات والرفوف، التى كان طرفها البعيد غارقًا فى ظلام دامس. كانت هناك

لافتات صغيرة مصفرة تحت كل كرة زجاجية على الرفوف، بعضها يتألق بضوء سائل الطابع، غريب، وبعضها الآخر داكن ومظلم وكأن بداخله أضواء ميتة.

تقدموا إلى الصف رقم أربعة وثمانين.. خمسة وثمانين.. أخذ «هاري» ينصت لأقل حركة، لكن ربما «سيرياس» مكمم الفم، أو لعله فاقد الوعى.. أو، وكما قال صوت بداخله: لعله مات.

قال لنفسه إنه كان ليشعر بهذا، لكن قلبه أخذ يخفق فى صدره وكأنه قد وصل إلى تفاحة آدم فى حلقه، كنت لأعرف.. كنت لأعرف.

همست «هيرميون»: «سبعة وتسعين».

وقفوا حول طرف الصف، محدقين فى الممر الواقع إلى جانبه، لم يكن هناك أحد.

قال «هارى» الذى أصبح فمه جافًا: «إنه عند الطرف البعيد.. لا يمكن أن تراه من هنا».

وقاد الطريق بين صفوف الكرات الزجاجية العالية، وبعضها يتألق بنور خافت وهم يمرون إلى جوارها.

همس «هارى» قائلاً: «يجب أن يكون هنا» مقتنعًا بأن كل خطوة يخطوها تقربه من جسد «سيرياس» الذى سيظهر عندما يقتربون بما يكفى. أضاف: «فى مكان ما هنا.. قريبًا من هنا..».

قالت «هيرميون» بريبة: «هارى؟». لكنه لم يرغب فى الرد. أصبح حلقه شديد الجفاف. قال: «هنا.. فى مكان ما هنا..».

وصلوا إلى طرف الممر البعيد ليجدوا أضواء الشموع ثانية. لم يكن هناك من أحد. كل ما حولهم سكون مدوٍ مقبر.

همس «هارى» ناظرًا إلى الصف التالى: «ربما يكون... أو ربما...». هرول تجاه الصف الذى أشار إليه. قالت «هيرميون» ثانية: «هارى؟».

قال لها مزمجرًا: «ماذا؟».

«لـ.. لـ.. لا أعتقد أن سيرياس هنا».

لم يتكلم أحد. لم يرغب «هارى» فى النظر إلى أى منهم. شعر بالغثيان. لم يفهم لماذا لم يجد «سيرياس». كان يجب أن يكون هنا. فهنا رآه بنفسه.

جرى إلى طرف الصفوف محدقًا بطول الممرات الواقعة إلى جوارها، ممر بعد ممر، وكلها كانت خالية. جرى فى الاتجاه الآخر، وعاد إلى أصحابه الذين أخذوا يرنون إليه. لم يجد علامة على وجود «سيرياس» أو أية إشارة على وقوع شجار أو مقاومة هنا.

ناداه «رون»: «هارى».

«ماذا؟».

لم يرغب فى سماع ما سيقوله «رون»، لم يرغب فى سماع تعليقه عن غبائه أو اقتراحه بالعودة إلى «هوجورتس»، وأخذت الحرارة تزيد فى وجهه وأحس بالرغبة فى فحص المكان مليًا قبل أن يعود إلى قاعة الاستقبال بالأعلى ويواجه نظرات الآخرين المعاتبة. قال «رون»: «هل رأيت هذا؟».

قال «هارى»: «ماذا؟». لكن بلهفة هذه المرة.. لا بد أن ما يشير إليه دليل على وجود «سيرياس» هنا، دليل ما. عاد إلى حيث يقفون جميعًا، قريبًا من الصف رقم سبعة وتسعين، لكنه لم يجد سوى «رون» وهو يحدق فى واحدة من الكرات الزجاجية على الرف. ردد «هارى»: «ماذا؟».

قال «رون»: «اسمك مكتوب عليها».

اقترب «هارى» أكثر. كان «رون» يشير إلى واحدة من الكرات الزجاجية الصغيرة التى تلمع بضوئها الداخلى، وإن كانت مغبرة وكأن أحدًا لم يمسسها منذ سنوات طوال. قال «هارى»: «اسمى أنا؟».

خطا للأمام. لم يكن بطول «رون»؛ لذا فقد اضطر لمد رقبته: لقراءة الورقة المصفرة المعلقة على الرف تحت الكرة الزجاجية المغبرة. كتابة عنكبوتية عليها تاريخ يعود إلى ستة عشر عامًا، وتحتها:

إس. بى. تى. إلى أيه. بى. دبليو. بى. دى.

سيد الظلام

و (؟) هارى بوتر

تطلع «هارى» إليها.

تساءل «رون» وصوته مضطرب: «ما هذا؟ ماذا يفعل اسمك هنا؟».

نظر إلى الأوراق المعلقة أسفل باقى الكرات بطول الرف.

أضاف باديًا عليه العجب: «أنا لست هنا.. ولا الباقون».

قالت «هيرميون» بحدة: «هاري، لا أعتقد أن لمسها فكرة جيدة»، وهو يمد يده إلى الكرة. قال: «لم لا؟ إنها شيء له علاقة بي، أليس كذلك؟».

قال «نيفيل» بغتة: «لا تلمسها يا هاري». نظر «هاري» إليه. كان وجه «نيفيل» المستدير يلمع بالعرق، بدا كأنه لا يحتمل المزيد من الإثارة.

قال «هاري»: «إن اسمي عليها».

شاعراً ببعض التهور، قبض بأصابعه على سطح الكرة المغبر. توقع الإحساس ببعض البرودة على أنامله، لكنه لم يجد ما توقع. على النقيض، شعر وكأن الكرة كانت في الشمس لساعات، وكأن توهجها الداخلي نابع من دفئها. متوقعًا - بل وحتى آملاً - حدوث شيء ما، شيء مثير يجعل الرحلة الطويلة والخطرة ذات قيمة، رفع «هاري» الكرة الزجاجية من فوق رفها وحدّق فيها.

لم يحدث شيء. تحرك الآخرون متحلقين من حوله، ونظروا إلى الكرة وهو يزيح عنها الغبار. ثم، ومن خلفه مباشرة، جاءه صوت أجش يقول:

«رائع يا بوتر. والآن التفت ببطء وهدوء، وأعطني هذه».

٣٥ خلف الستار

أخذت أشكال سوداء تتجسد من الهواء حولهم، لتعيق أمامهم الطريق، إلى اليمين وإلى اليسار، عيونهم تلمع من خلف أقنعتهم، توقد اثنى عشر طرف عصا سحرية، صُوبت إلى قلوبهم مباشرة. شهقت «جيني» من الرعب.

كرر «لوكياس مالفوي» بصوته الأجش: «تعال إلىّ يا بوتر»، وهو شاهر عصاه السحرية.

اضطربت أمعاء «هاري» وشعر بالغثيان، لقد حوصروا، وعدد محاصريهم ضعف عددهم.

قال «مالفوي» ثانية: «تعال إلىّ».

قال «هاري»: «أين سيرياس؟».

ضحك بعض أكلة الموت. انبعث صوت أنثوي من وسط الظلال إلى يسار «هاري» يقول بظفر: «سيد الظلام على حق دائمًا».

ردد «مالفوي» بخفوت: «دائمًا. والآن أعطني النبوءة يا بوتر».

«أريد أن أعرف مكان سيرياس».

قلدته السيدة الواقفة إلى يساره: «*أريد أن أعرف مكان سيرياس*».

تقدمت ومعها أكلة الموت منهم حتى صاروا على مسافة أقدام قليلة من «هاري» والآخرين، والضوء المنبعث من عصيهم السحرية ينعكس على عيني «هاري» ويبهرهما.

قال «هاري» متجاهلاً الذعر المتنامي في صدره، الذي أخذ يجاهده منذ وصلوا إلى الصف رقم سبعة وتسعين: «لقد أسرتموه. إنه هنا. أعرف أنه هنا».

قالت السيدة مقلدة إياه بصوت طفولي بشع: «*(الوليد) (الصغير)* صحى من النوم خائفًا وحسب أن ما *(حلم)* به حقيقة». شعر «هاري» بـ«رون» يتحرك إلى جواره.

غمغم «هاري»: «لا تفعل أي شيء. ليس بعد...».

أطلقت السيدة التي قلدته صرخة مفزعة على سبيل الضحك.

«هل سمعتموه؟ هل سمعتموه؟ إنه يعطي تعليمات للأطفال الآخرين وكأنه يحسب أنه سيحاربنا».

قال «مالفوى» بنعومة: «آه، أنت لا تعرفين بوتر كما أعرفه يا بيلاتريكس. إنه ضعيف أمام مظاهر البطولة. يفهم سيد الظلام هذه النقطة فيه. والآن أعطني النبوءة يا بوتر».

قال «هاري» وإن كان الذعر قد جعل صدره ينقبض حتى أنه لم يقدر على التنفس: «أعرف أن سيرياس هنا.. أعرف أنكم قد نلتم منه».

ضحك كثير من أكلة الموت، وإن ضحكت المرأة بصوت أعلى منهم جميعًا.

قال «مالفوى»: «حان الوقت؛ لتعرف الفرق بين الحياة والأحلام يا بوتر. والآن أعطني النبوءة، وإلا سنبدأ في استعمال عصينا السحرية».

قال «هاري» وهو يرفع عصاه إلى مستوى صدره: «هيا إذن». وهو يفعل هذا ارتفعت عصى «رون» و«هيرميون» و«نيفيل» و«جيني» و«لونا» إلى جانبيه. ازداد اضطراب صدر «هاري». إن لم يكن «سيرياس» هنا، فقد قاد أصدقاءه إلى حتفهم بلا سبب.

لكن أكلة الموت لم يضربوا!

قال «مالفوى» ببرود: «ناولني النبوءة ولن يتأذّى أحد».

حان الدور على «هاري» لكي يضحك.

قال: «أجل.. فعلاً.. أعطيك الـ.. النبوءة.. أليس هذا اسمها؟ ثم تدعنا نعود إلى ديارنا، أليس كذلك؟».

ما كادت الكلمات تخرج من فمه حتى صرخت الساحرة أكلة الموت: «أكيو بروف...».

كان «هاري» متأهبًا لها، صاح: «بروتيجو» قبل أن تنتهي من تلاوة تعويذتها، وبالرغم من أن الكرة الزجاجية كادت تفلت من بين أصابعه فإنه تمكن من إمساكها قبل أن تقع.

قالت وعيناها المجنونتان تتطلع إليه من خلف قناعها: «آه، إنه قادر على اللعب، ذلك الولد الصغير الساذج بوتر.. جميل، رائع.. إذن...».

زأر «لوكياس مالفوى» في وجه المرأة: «قلت لك لا.. لو تحطمت فـ...».

أخذ عقل «هاري» يدور بسرعة رهيبة. أكلة الموت يريدون الكرة الزجاجية المغبرة. الكرة لا تهمه في شيء. كل ما يريده هو النجاة مع أصحابه، وأن يضمن ألا يدفع أي منهم الثمن الرهيب لغبائه.

خطت المرأة إلى الأمام، بعيدًا عن رفاقها، وخلعت قناعها. أصاب

«أزكابان» وجه «بيلاتريكس ليسترانج» بالنحول والشحوب، أصبح نحيلاً نحيلاً، وأشبه بالجمجمة، لكنه كان مفعمًا بالحياة وعلى محياها مظاهر الحمى، وهي تتوهج بجنون.

قالت وصدرها يخفق بشدة: «هل تحتاج للمزيد من الإقناع؟ حسنًا.. إنتقل من الصغيرة...». ثم أمرت آكلة الموت من حولها: «دعوه يتفرج علينا ونحن نعذب الفتاة الصغيرة.. سأفعلها أنا».

شعر «هاري» بالآخرين يقتربون من «جيني».. خطا إلى الجانب حتى أصبح أمامها، والنبوءة مرفوعة إلى صدره.

قال مخاطبًا «بيلاتريكس»: «سيكون عليك تحطيم هذه أولاً، قبل أن تهاجمي أيًا منا.. لا أعتقد أن رئيسك سيسره كثيرًا أن تعودي إليه من دونها، أليس كذلك؟».

لم تتحرك، أخذت تنظر إليه، وطرف لسانها يبلل شفتها الرفيعة.

قال «هاري»: «إذن، ما النبوءة التي تتكلمون عنها؟».

لم يقدر على التفكير في شيء سوى الكلام. شعر بيد «نيفيل» تلامسه، وأحس به يرتجف، شعر بنفس شخص آخر من رفاقه على شعره من الخلف. تمنى لو يفكرون جميعًا في طرق الخروج من هذا الموقف على خير؛ لأن عقله تجمد وصار غير قادر على التفكير.

رددت «بيلاتريكس» والابتسامة تتلاشى من على وجهها: «ما النبوءة؟ يا لك من مهرج يا هاري بوتر».

قال «هاري» وعيناه تتنقلان بين أكلة الموت: «لا، أنا لا أمرح». بحثًا عن ثغرة ما، مساحة يمكنهم الهروب منها. أضاف: «لماذا يريدها فولدمورت؟».

همس العديد من أكلة الموت في غيظ شديد.

همست «بيلاتريكس»: «كيف تجرؤ على ذكر اسمه؟».

قال «هاري» محافظًا على إحكام قبضته على الكرة الزجاجية متوقعًا محاولة أخرى لأخذها منه: «أجل.. ليس عندي مشكلة في قول كلمة فولد...».

صرخت «بيلاتريكس»: «أغلق فمك.. كيف تجرؤ على ذكر اسمه بشفتيك الحقيرتين، كيف تجرؤ على تدنيس الاسم بلسانك أيها الساحر الهجين، كيف تجرؤ على...».

قال «هاري» بتهور: «هل تعرفين أنه ساحر هجين هو الآخر؟» فتأوهت

«هيرميون» في رعب، وأضاف: «فولدمورت. أجل، أمه كانت ساحرة، لكنّ أباه كان من العامة.. أم تراه أخبركم بأنه ساحر أصيل؟».

«ستوبيف...».

«لا...».

انطلق شعاع أحمر من طرف عصا «بيلاتريكس ليسترانج»، لكن «مالفوي» شتته.. أصابت تعويذته تعويذتها وجعلتها تنحرف لتصيب رفًا على مسافة قدم من «هاري» فتحطمت العديد من الكرات.

انبعث شكلان بلون أبيض لؤلؤي كالأشباح، وبملمس سائل دخاني الطابع من بين حطام الزجاج على الأرض، وبدأ كل منهما في الكلام، وأصواتهما تتداخل، حتى إنهم لم يسمعوا سوى بعض الكلمات من بين صياح «مالفوي» و«بيلاتريكس».

قال الشكل المتجسد على هيئة رجل عجوز «عند الانقلاب سيظهر من جديد...».

«لا تهاجميه.. نحن بحاجة إلى النبوءة».

صرخت «بيلاتريكس» بصوت غير متماسك: «لقد جرؤ.. جرؤ.. ذلك الهجين النجس، الـ...».

صاح «مالفوي»: «انتظري حتى نحصل على النبوءة».

قال شكل المرأة المتجسدة من الكرة الثانية «.. ولن يأتي بعده أحد...».

ذاب الشكلان المتجسدان المنبعثان من الكرتين في الهواء. لم يبق منهما سوى بقايا الزجاج على الأرض، لكنهما أعطيا «هاري» فكرة. المشكلة هي نقلها للآخرين.

قال سعيًا لكسب الوقت: «لم تخبروني ما يهمكم في النبوءة التي تريدون مني أن أناولها لكم». حرك قدميه ببطء إلى الجانبين؛ بحثًا عن أقدام غيره من رفاقه.

قال «مالفوي»: «لا تلاعبنا يا بوتر».

قال «هاري» ونصف عقله في الحوار والنصف الآخر على قدمه المتحركة: «أنا لا ألعب». ثم وجد أصابع أقدام أحدهم وضغط عليها. سمع شهقة من خلفه وتعرّف فيها على «هيرميون».

همست: «ما الأمر؟».

قال «مالفوي»: «ألم يخبرك دمبلدور من قبل بأن سر ندبتك مخبأ في أعماق مصلحة الألغاز والغوامض؟».

قال «هاري»: «أ.. ماذا؟». لحظتها نسي الخطة وقال: «ما علاقة ندبتي بالموضوع؟».

همست «هيرميون» برجاء من خلفه: «ما الأمر؟».

قال «مالفوي» بسرور وجذل كبيرين: «حقًا؟». ضحك بعض أكلة الموت ثانية.. ومن تحت غطاء صوت ضحكهم، همس «هاري» لـ«هيرميون» محركًا شفتيه بأقل قدر ممكن، قائلًا: «حطمي بعض الرفوف...».

ردد «مالفوي» قوله: «ألم يخبرك دمبلدور من قبل؟ هذا يفسر سبب تأخرك يا بوتر، تساءل سيد الظلام لماذا لم...».

«عندما أقول لك الآن...».

«.. تأت متلهفًا عندما أظهر لك المكان المخبأة به النبوءة في أحلامك، حسب أن فضولك الطبيعي سيجعلك ترغب في سماع منطوق النبوءة...».

قال «هاري»: «حقًا؟». من خلفه، سمع «هيرميون» تمرر رسالته للآخرين، فاسترسل في الكلام؛ ليبعد أعين أكلة الموت عنها: «إذن، فقد أراد أن آتي وآخذها.. أليس كذلك؟ لماذا؟».

بدا «مالفوي» في ذروة سروره وهو يقول: «لماذا؟ لأن الشخص الوحيد المسموح له باستعادة نبوءته من مصلحة الألغاز والغوامض يا بوتر، هو من تعنيه النبوءة، كما اكتشف سيد الظلام عندما أمر الآخرين بأن يأخذوها له».

«ولماذا يريد سرقة نبوءتي؟».

«نبوءتكما يا بوتر.. ألم تتساءل لماذا حاول سيد الظلام قتلك وأنت طفل؟».

حدق «هاري» في فتحتي القناع التي تظهر من خلفهما عينا «مالفوي» الرماديتان. هل النبوءة هي سبب موت والدي «هاري»؟ السبب في حمله لهذه الندبة على شكل لسان البرق؟ هل الإجابة لكل تساؤلاته بين يديه الآن؟

قال بهدوء محدقًا في «لوكياس مالفوي» وأصابعه تتوتر من حول الكرة الزجاجية الدافئة في يده: «هل تنبأ أحدهم بنبوءة عن فولدمورت وعني؟». كانت الكرة أكبر من كرة «السنيتش» بقليل، وما زالت خشنة بسبب الغبار المتراكم فوقها.. أضاف: «ولقد جعلني آتي إلى هنا وأحضرها له؟ لماذا لم يأت بنفسه ليأخذها؟».

صرخت «بيلاتريكس» قائلة بصوت يعلو بالكاد فوق صوت ضحكاتها المجنونة: «يأتي بنفسه ليأخذها؟! يدخل سيد الظلام بنفسه إلى وزارة السحر بعد أن كذبوا عودته؟ سيد الظلام يكشف نفسه لمقاتلي السحر الأسود، بينما هم في هذه اللحظة يضيعون وقتهم بحثًا عن ابن عمي العزيز؟».

قال «هاري»: «إذن، فهو يجعلكم تقومون بالجزء القذر من العمل لأجله، أليس كذلك؟ مثلما حاول جعل ستورجيس يسرقها.. وبود أيضًا؟».

قال «مالفوي» ببطء: «رائع يا بوتر، رائع. لكن سيد الظلام يعرف أنك لست غبيًا».

صاح «هاري»: «الآن».

انبعثت خمس صيحات من خلفه في نفس واحد قائلة: «ريداكتو».. فانطلقت خمس تعاويذ من خمسة اتجاهات، وسقطت الرفوف من حولهم مع إصابتها جميعًا أهدافها. تمايل صف الرفوف مع سقوط مائة كرة زجاجية وتحطمها على الأرض، انبعثت أشكال بيضاء لؤلؤية في الهواء وأخذت تتكلم، وأصواتها تدوي وتتداخل بين أصوات تحطم الزجاج والخشب الذي انهمر على الأرض.

صاح «هاري»: «اجروا». مع تمايل الرفوف بقوة وسقوط المزيد من الكرات، أمسك بعباءة «هيرميون» وسحبها معه إلى الأمام، رافعًا إحدى يديه فوق رأسه؛ ليحمي نفسه ويحميها من الزجاج المنهمر من الرفوف. تقدم أحد أكلة الموت إلى الأمام، فضربه «هاري» في وجهه بمرفقه بقوة. أخذوا جميعًا يصيحون، وسمعوا بعض صرخات الألم، وتحطم الزجاج والرفوف بصوت كالرعد، والرفوف تترنح وتسقط مع أصوات النبوءات المتسربة من بين الجلبة الشديدة.

وجد «هاري» طريقًا مفتوحًا أمامه، ورأى «رون» و«جيني» و«لونا» يتقدمون أمامه، وأذرعهم فوق رءوسهم، ضربه شيء ثقيل على جانب وجهه، لكنه أحنى رأسه وانطلق يعدو إلى الأمام. أمسكته يد من كتفه، وسمع «هيرميون» تصيح: «ستوبيفاي». فتركته اليد على الفور.

وصلوا إلى نهاية الممر رقم سبعة وتسعين. التفت «هاري» إلى اليمين وبدأ في الجري بكل ما عنده من عزم. سمع وقع أقدام من خلفه وصوت «هيرميون» وهي تحث «نيفيل» على المشي. أمامه مباشرة كان الباب الذي عبروا منه إلى الداخل مفتوحًا على مصراعيه.. رأى «هاري» الأضواء المتراقصة المتلألئة والجرة الجرسية الشكل.. مر عبر الباب، والنبوءة ما زالت بين يديه في أمان.. انتظر حتى مر الآخرون عبر الباب، قبل أن يغلقه من خلفهم.

شهقت «هيرميون» قائلة: «كولوبورتوس». فأغلق الباب نفسه بتعويذتها بصوت مرتفع غريب.

شهق «هاري» قائلاً: «أين.. أين الآخرون؟».

ظن أن «رون» و«لونا» و«جيني» أمامهم، وأنهم بانتظاره في هذه الحجرة، لكنه لم ير أحدًا.

همست «هيرميون» والرعب يملأ وجهها: «لا بد أنهم قد مضوا في طريق خطأ».

همس «نيفيل»: «أنصتا».

سمعوا وقع أقدام وصياحًا من خلف الباب الذي أغلقوه. وضع «هاري» أذنه على الباب: ليسمع صياح «لوكياس مالفوي»: «اتركوه.. اتركوه كما قلت.. جراحه لا شيء، مقارنة بما سيجرى له عندما يعرف سيد الظلام أننا فقدنا النبوءة. جاجسون، تعال هنا، نحتاج للنظام. سننقسم إلى أزواج ونبحث عنهم، ولا تنسوا، رفقًا ببوتر؛ حتى نحصل على النبوءة، يمكنكم قتل الآخرين إذا استدعت الحاجة. بيلاتريكس، رودولفوس، اتجها إلى اليسار. كراب، راباستان، إلى اليمين. جاجسون، دولوهوف، إلى الباب المواجه لكما. ماكنير، أفيري، من هنا.. روكوود، من هنا.. مولكيبر، تعال معي».

سألت «هيرميون» «هاري» وهي تنتفض من قمة رأسها حتى أخمص قدميها: «ماذا نفعل الآن؟».

قال «هاري»: «ليس علينا الوقوف هنا وانتظار مجيئهم ليجدونا.. هذا كبداية.. هيا نبتعد عن هذا الباب».

ركضوا بأسرع ما يقدرون، إلى جوار الجرة التي أخذ الطائر يخرج من بيضته، ثم يعود إليها في دائرة لا تنتهي، وتوجهوا إلى مخرج الباب المفضي إلى الحجرة الدائرية عند الطرف البعيد من الحجرة. كادوا أن يصلوا عندما سمع «هاري» صوت ارتطام قويًا وثقيلاً عند الباب الذي سحرته «هيرميون».

قال صوت خشن: «ابتعدوا.. ألوهوموراً».

مع انفتاح الباب، اختبأ «هاري» و«هيرميون» و«نيفيل» تحت الموائد. رأوا أطراف عباءات السحرة الطويلة تقترب، وأقدامهم تتقدم بسرعة.

قال الصوت الخشن: «ربما دخلوا إلى القاعة مباشرة».

قال صوت آخر: «انظر تحت الموائد».

رأى «هاري» سيقان أكلة الموت تنحني، وهو يخرج عصاه من تحت المائدة صاح: «ستوبيفاي».

انطلق شعاع أحمر وضرب أقرب أكلة الموت إليه، سقط على ظهره على ساعة كبيرة فأسقطها.. لكن رفيقه طار إلى الجانب؛ متفاديًا التعويذة وصوب عصاه نحو «هيرميون»، التي زحفت خارجة من تحت المائدة؛ لتصوب جيدًا.

«أفادا..».

طار «هاري» عبر الحجرة من تحت المائدة وأمسك بتالي التعويذة من حول

ركبتيه: ليسقط أرضًا وتتشتت تعويذته بعيداً عن هدفها. قلب «نيفيل» إحدى الموائد في خضم رغبته في المساعدة، وصوب عصاه نحو الزوج المتصارع صائحًا:

«إكسبيليارموس».

طارت كل من عصا «هاري» السحرية وعصا الساحر من بين أيديهما، واستقرتا عند مدخل قاعة النبوءة، وكل منهما قد هب واقفًا وانطلق يطارد عصاه. كان آكل الموت في الأمام و«هاري» في عقبيه، و«نيفيل» في الخلف وقد أفزعه ما فعله.

صاح «نيفيل» وقد صمم على تصحيح خطئه: «ابتعد عن طريقي يا هاري».

طار «هاري» إلى الجانب و«نيفيل» يصوب عصاه ثانية

«ستوبيفاي».

انطلق الشعاع الأحمر ليصيب آكل الموت في كتفه، فسقط على كابينة زجاجية الواجهة ممتلئة بالساعات، سقطت الكابينة على الأرض وانفتحت، وتحطم الزجاج متطايرة شظاياه في كل الاتجاهات، ثم أصلح نفسه واستعاد هيئته بعد أن أعاد التجمع وحده في شكل كابينة، ثم تحطم، ثم جمع شظاياه ثانية.. وهكذا.

قبض آكل الموت على عصاه السحرية التي استقرت على الأرض إلى جوار الجرة الجرسية الشكل. اختبأ «هاري» خلف مائدة أخرى والرجل يلتفت إليه، وقناعه قد تهدل على وجهه ولم يعد قادراً على الرؤية. مزق القناع بيده الأخرى وصاح: «ستوبيف...».

صرخت «هيرميون»: «ستوبيفاي» والتي كانت تتابع ما يجري. انطلق الشعاع الأحمر ليصيب الساحر في صدره، تجمد، ورفع ذراعه، وسقطت عصاه على الأرض، وانهار على ظهره ناحية الجرة الجرسية الشكل. توقع «هاري» سماع الرنين عندما ضرب الرجل السطح الزجاجي وانزلق من على الجرة إلى الأرض، لكن بدلاً من هذا غاص رأسه في سطح الجرة وكأنها ليست أكثر من فقاعة صابون، ثم سقط على ظهره على المائدة الحاملة للجرة، ورأسه داخل الجرة الممتلئة بالرياح المتلألئة اللون.

صاحت «هيرميون»: «أكيو واند»[١]. طارت عصا «هاري» من الركن المظلم التي كانت فيه إلى يدها: فألقتها إليه.

قال: «شكرًا لك.. والآن، هيا نخرج من هنا قبـ...».

(١) الـ wand بمعنى عصا. (المترجم)

قال «نيفيل» مرتاعًا: «احترس». وكان ينظر إلى رأس آكل الموت الذي دخل الجرة. رفع ثلاثتهم عصيهم السحرية ثانية، لكن لم يطلق أي منهم تعاويذ.. أخذوا يتطلعون مفغوري الأفواه في دهشة عارمة فيما يجري لرأس الرجل أمامهم.

أخذ الرأس يتقلص بسرعة وينكمش، ويصلع أكثر وأكثر والشعر ينحسر عنه، والشعر الأسود يصبح أكثر نعومة، ووجنتاه ناعمتان، وجمجمته تصبح مستديرة وتغطى بزغب أشبه بزغب الفروخ.

رأوا رأس طفل رضيع مستقرًا فوق عنق الساحر القوي البالغ وهو يجاهد للنهوض ثانية.. لكن ومع مراقبتهم له بأفواه مفتوحة بدأ الرأس في الانتفاخ ثانية إلى حجمه الطبيعي، وشعر أسود كثيف يغطيه.

قالت «هيرميون» بصوت مندهش: «إنه الزمن.. الزمن».

هز آكل الموت رأسه القبيح ثانية؛ محاولاً تصفية ذهنه.. لكن وقبل أن يقدر على تمالك نفسه، بدأ في التقلص ثانية إلى وضع الرضيع.

سمعوا صيحة من حجرة قريبة، ثم صوت تحطم تلته صرخة.

صاح «هاري»: «رون؟ جيني؟ لونا؟».. محولاً بصره بسرعة عن عملية التحول الرهيبة التي تجري أمام عينيه.

صرخت «هيرميون»: «هاري».

أخرج آكل الموت رأسه من الجرة، بدا شكله شديد الغرابة برأس الطفل الصغير المستقر فوق كتفيه، وبذراعيه السميكتين اللتين تتأرجحان في كل الاتجاهات، مقتربًا من «هاري» الذي تفاداه بالكاد، ثم رفع عصاه السحرية ولكن لدهشته، أمسكت «هيرميون» بذراعه.

«لا يمكنك إيذاء طفل».

لم تكن هناك فائدة من الجدال.. سمع «هاري» المزيد من وقع الأقدام يقترب من قاعة النبوءة وعرف - متأخرًا جدًا - أنه ما كان يجب أن يصيح ليعرفهم بموضعهم.

قال تاركًا آكل الموت ذا الوجه الطفولي يتمايل ويترنح من خلفهم: «هيا»، وهم يتوجهون إلى الباب المفتوح عند الطرف البعيد من الحجرة، والمفضي إلى الردهة المظلمة.

جروا نصف المسافة إليه، عندما رأى «هاري» من خلف الباب المفتوح اثنين آخرين من أكلة الموت يعبران الحجرة المظلمة إليهم.. انحرف إلى اليسار، ودخل إلى مكتب صغير مظلم وأوصد الباب من خلفهم بعد أن تبعه «نيفيل» و«هيرميون».

حاولت «هيرميون» تلاوة تعويذة غلق الأبواب: «كولو...» لكن وقبل أن تنتهي منها، انفتح الباب ودخل عبره اثنان من أكلة الموت.

وبصرخة ظافرة، صاح كل منهما:

«إمبيديمنتيا».

سقط «هاري» و«هيرميون» و«نيفيل» على ظهورهم.. طار «نيفيل» فوق المكتب واختفى عن عيونهم. سقطت «هيرميون» على خزانة كتب، فسقطت الكتب فوقها.. أما رأس «هاري»، فقد ضرب الحائط الحجري من خلفه، فتراقصت أضواء دقيقة أمام عينيه.. وللحظة، شعر بالدوار والحيرة، فلم يعرف كيف يتصرف.

صاح صوت أقرب أكلة الموت في أذن «هاري»: «أمسكنا به.. في المكتب الواقع عند...».

صاحت «هيرميون»: «سايلينسيو»، فاختفى صوت الرجل.. استمر في الكلام من خلف قناعه لكن لم يتبعث منه صوت، فتنحاه رفيقه إلى الجانب.

صاح «هاري»: «بيتريفيكوس توتالوس». وأكل الموت الآخر يرفع عصاه السحرية.. انضمت ذراعاه معًا وكذا ساقاه وسقط على وجهه، ليقع عند قدم «هاري» جامدًا كلوح غير قادر على الحركة

«أحسنت يا ها...»

لكن أكل الموت الذي ضربته «هيرميون» بتعويذتها منذ لحظات حرك عصاه السحرية في الهواء، فانطلق منها ما بدا أشبه بلهب بنفسجي ضرب «هيرميون» في صدرها.. خرج منها آهة خافتة وكأنها مندهشة، وضربت الأرض، حيث رقدت بلا حراك.

«هيرميون»

خرَّ «هاري» على ركبتيه إلى جوارها، وزحف «نيفيل» بسرعة إليهما من تحت المكتب، وعصاه مشهرة أمامه. ركل أكل الموت رأس «نيفيل» بقوة وهو يخرج، كسرت قدمه عصا «نيفيل» السحرية إلى نصفين ووصلت إلى رأسه. عوى الأخير من الألم وتراجع ممسكًا بفمه وأنفه. دار «هاري» على عقبيه، ورفع عصاه عاليًا، ورأى أكل الموت يمزق قناعه ويشهر عصاه في وجهه، فتعرف «هاري» في الوجه النحيل الشاحب المضطرب على «أنطونين دولوهوف» الساحر الذي قتل آل «بريفيت» ـ كما أعلنت جريدة «الدايلي بروفيت».

ابتسم «دولوهوف»، وبيده الحرة أشار إلى النبوءة التي ما زال «هاري» ممسكًا بها، ثم نقلها إليه، ثم إلى «هيرميون» وإن لم يقدر على الكلام، فقد بدا ما يريد قوله واضحًا: أعطني النبوءة، وإلا يجري لك ما جرى لها.

قال «هاري»: «وكأنك لن تقتلنا إذا أخذتها مني».

منعته سحابة من الذعر داخل رأسه من التفكير بصورة سليمة. وضع إحدى يديه على كتف «هيرميون» التي رقدت دافئة بلا حراك، وإن لم يجرؤ على النظر إليها نظرة مدققة. أرجو ألا تموت، أرجو ألا تموت.. الخطأ خطئي أنا: إن ماتت...

قال «نيفيل» بحرارة من تحت المكتب وقد شوه أنفه المحطم كلامه: «أيًا كان ما (ستفعله) يا (أري) فلا تعطه (النبوءة)». والدم يتدفق من أنفه إلى فمه وذقنه.

ثم سمعوا صوت تحطم الزجاج خارج الباب، ونظر «دولوهوف» من فوق كتفه.. ظهر الساحر ذو الرأس الصغير عند مدخل الباب، ورأسه يترنح، وقبضتاه الهائلتان تتأرجحان في كل الاتجاهات، فانتهز «هاري» الفرصة.

«بيتريفيكوس توتالوس».

ضربت التعويذة «دولوهوف» قبل أن يقدر على عكسها عنه، فسقط إلى الأمام فوق رفيقه، وقد صار كل منهما جامدًا كاللوح، ولم يقدرا على السير مسافة خطوة واحدة.

قال «هاري» على الفور: «هيرميون.. انهضي يا هيرميون...». وهو يهزها والساحر ذو الرأس الصغير قد غاب عن بصره.

قال «نيفيل» وهو يزحف من تحت المكتب ويميل عليها والدم يتدفق من أنفه المتورِّم بسرعة: «(ماذا) (فعن) بها؟».

«لا أعرف».

أمسك «نيفيل» برسغ «هيرميون».

«(هذا) هو نبضها يا (أري)، إنها حية».

تنفس «هاري» الصعداء، وللحظة شعر بالسرور.

«واثق أنها حية؟».

«أجل.. (أعتقد) (هذا)».

مرت فترة من الصمت حاول فيها «هاري» سماع مزيد من وقع الأقدام، لكن كل ما سمعه هو غمغمة وكلام أكل الموت ذي الرأس الصغير القادم من الحجرة المجاورة.

همس «هاري» «نيفيل». نحن لسنا بعيدين عن المخرج. إننا إلى يمين الحجرة الدائرية.. إن تمكنا من تمريرك معها والعثور على الباب المناسب قبل دخول أي من أكلة الموت، فأراهنك أنك ستقدر على العودة بـ«هيرميون» إلى الممر وإلى المصعد.. ثم أطلق إنذارًا..».

قال «نيفيل» وهو يمسح أنفه الدامي بكمِّه وجبينه مقطب في مواجهة «هاري»: «و(ماذا) (ستفعل) (أنت)؟».

قال «هاري»: «عليَّ العثور على الآخرين».

قال «نيفيل» بتصميم: «(إذن)، سأبقى معك، وأجدهم معك».

«لكن هيرميون...».

قال «نيفيل» بحزم: «(سنأخذها) معنا.. (سأحملها) أنا.. وأنت (تقاتلهم) إن وجدنا أيًا منهم..».

وقف وأمسك بذراع «هيرميون»، وحدّق في «هاري» الذي تردد قبل أن يمسك بذراعها الآخر ويساعد على رفعها فوق كتفي «نيفيل».

قال «هاري» وهو يقبض على عصا «هيرميون» من على الأرض ويضعها في يد «نيفيل»: «انتظر.. الأفضل أن تأخذ هذه».

ركل «نيفيل» بقايا عصاه المحطمة وهما يسيران ببطء تجاه الباب.

قال «نيفيل» والدم يتدفق من أنفه مع كلامه: «(ستقتلني) جدتي.. كانت هذه عصا أبي».

أطلَّ «هاري» برأسه من الباب ونظر حوله بحذر. أخذ آكل الموت ذو الرأس الصغير يصرخ ويرتطم بالأشياء؛ لتسقط الساعات الكبيرة وتنقلب الموائد، بينما أخذت الكابينة الزجاجية (الواجهة) تتحطم ويعيد زجاجها تجميع نفسه في دورة لا تنتهي.

همس: «لن يلاحظ وجودنا أبدًا.. هيا.. ابق خلفي..».

زحفا إلى خارج المكتب وعادا ناحية الباب إلى الردهة السوداء، التي صارت خالية تمامًا. سارا بضع خطوات إلى الأمام، وتأخر «نيفيل» قليلاً بسبب وزن «هيرميون» على ظهره. أغلق باب حجرة الزمن من خلفهم وبدأت الجدران في الدوران ثانية. أصيب «هاري» بالدوار؛ نتيجة للضربة الأخيرة التي تلقاها على رأسه، وضيق ما بين عينيه، وهو يترنح قليلاً، حتى توقفت الجدران ثانية، ثم رأى أن علامات «هيرميون» السحرية على الأبواب قد اختفت فغاض قلبه في صدره.

«إذن، فأي طريق تعتقد أن...؟».

لكن وقبل أن يأخذ قرارًا بأي طريق يتخذ، انفتح باب إلى يمينهم وخرج منه ثلاثة أشخاص.

قال «هاري» بصوت أجش: «رون، جيني.. هل جميعكم بخـ...؟»، وكان يقترب منهما.

قال «رون» وهو يضحك بوهن ويتقدم للأمام قابضًا على عباءة «هاري»، ومحدقًا في وجهه بعيون لا ترى: «هاري.. ها أنت ذا.. ها ها ها.. شكلك ظريف يا هاري..».

كان وجه «رون» شديد البياض، وثمة شيء داكن ينسال من ركن فمه. اللحظة التالية انهارت ركبتاه وهو ما زال ممسكًا بعباءة «هاري»، فأمسك به الأخير.

قال «هاري» بخوف: «جيني، ماذا جرى؟».

لكن «جيني» هزت رأسها وانزلقت على الحائط؛ لتجلس على الأرض وهي تلهث وتمسك بكاحلها.

همست «لونا»: «أعتقد أن كاحلها مكسور، سمعته يطقطق». مالت عليها، وكانت هي الوحيدة التي لم تُجرحْ. أضافت: «طاردنا أربعة منهم إلى حجرة مظلمة مليئة بالكواكب.. يا له من مكان غريب، أخذنا نسري في الهواء وسط الظلام ونحن بتلك الحجرة..».

قال «رون» وهو ما زال يضحك بوهن: «هاري، رأينا كوكب أورانوس عن قرب.. أتفهم يا هاري؟ لقد رأينا أورانوس.. ها ها ها..».

تجمعت فقاعة دم في ركن فم «رون»، ثم انفجرت.

«.. المهم، أمسك أحدهم بقدم جيني، استعملت تعويذة التقليص عليه وفجرت كوكب بلوتو في وجهه، لكن...».

أشارت «لونا» بيأس تجاه «جيني» التي كانت تتنفس بصعوبة، وعيناها مازالتا مغلقتين.

قال «هاري» بخوف و«رون» مستمر في الضحك وما زال قابضًا على عباءته: «وماذا عن رون؟».

قالت «لونا» بحزن: «لا أعرف، لكنه أصبح كثير الضحك هكذا، وصلتُ به إلى هنا بصعوبة».

قال «رون» وهو يجذب أذن «هاري» إلى فمه ويضحك: «هاري.. أتعرف هذه الفتاة يا هاري؟ إنها إنها لونا.. لونا المجنونة.. ها ها ها..».

قال «هارى» بحزم: «علينا الخروج من هنا. لونا، هلا ساعدت جينى؟».

قالت «لونا» وهى تضع عصاها السحرية خلف أذنها؛ لتحفظها: «أجل» ثم أحاطت خصر «جينى» بذراعها ورفعتها من على الأرض.

قالت «جينى» بصبر نافد: «إنه كاحلى، يمكننى القيام بنفسى». لكن ما إن حاولت القيام حتى سقطت ثانية وأمسكت بـ«لونا». جذب «هارى» ذراع «رون» فوق كتفه كما فعل منذ شهور مضت مع «ددلى». نظر حوله. كانت فرصتهم واحداً إلى اثنى عشر في أن يجدوا المخرج الصحيح في المحاولة الأولى.

سار بـ«رون» إلى أحد الأبواب.. كانوا على مسافة بضع أقدام منه عندما انفتح باب آخر ودخل ثلاثة من أكلة الموت تقودهم «بيلاتريكس ليسترانج».

صرخت: «ها أنتم».

انطلقت تعاويذ التجميد لتملأ الحجرة.. سارع «هارى» بالوصول إلى الباب المواجه له، وألقى بـ«رون» من فوق كتفه بلا اكتراث، ثم انحنى ليساعد «نيفيل» على حمل «هيرميون».. وصلوا إلى المدخل في الوقت المناسب، وأغلقوا الباب في وجه «بيلاتريكس».

صاح «هارى»: «كولوبورتوس»، وسمع ثلاثة أجساد ترتطم بالباب من الجانب الآخر.

قال أحد السحرة بالخارج: «لا يهم. توجد وسائل أخرى. حاصرناهم، إنهم هنا».

التفت «هارى» خلفه.. وصلوا إلى حجرة العقول ثانية، ووجدوا أبواباً بطول جدران الحجرة. سمع وقع خطوات أقدام في القاعة من خلفه مع انضمام المزيد من أكلة الموت للثلاثة الذين وصلوا في البداية.

«لونا.. نيفيل، ساعدانى».

مرّ ثلاثتهم على جدران الحجرة بسرعة، وهم يغلقون الأبواب.. اصطدم «هارى» بمائدة وتعثر بها وسط انشغاله بالوصول إلى الباب التالى.

«كولوبورتوس».

سمع وقع أقدام تسير من خلف الأبواب، ومن حين لآخر يرتطم جسد ثقيل بأحدها، فتصر وتئن تحت ثقله.. سحرت «لونا» و«نيفيل» الأبواب على الجدار المقابل.. ثم و«هارى» يصل إلى نهاية الحجرة، سمع لونا تصيح:

«كولو.. آآآه».

التفت في الوقت المناسب ليراها تطير في الهواء.. دخل خمسة من أكلة الموت إلى الحجرة من الباب الذى لم تتمكن من إغلاقه في الوقت المناسب.. سقطت «لونا» على إحدى الموائد، ثم انزلقت على سطحها وإلى الأرض على الجانب الآخر، ورقدت بلا حراك، مثلها مثل «هيرميون».

صاحت «بيلاتريكس»: «أمسكوا بوتر». وهى تجرى نحوه، تفاداها وجرى إلى الجانب الآخر من الحجرة. إنه في أمان مادامت النبوءة معه.

قال «رون» الذى نهض على قدميه وأخذ يترنح متجهاً إلى «هارى» وهو يضحك: «هارى، هذه أدمغة، ها ها ها، يا لغرابتها، هارى؟».

«رون، ابتعد عن الطريق، انحن».

لكن «رون» صوب عصاه السحرية إلى الوعاء.

«بصراحة يا هارى، هل هذه أدمغة؟ أكيو برين»[1].

تجمد المشهد للحظة.. التفت كل من «هارى» و«جينى» و«نيفيل» وأكلة الموت بتعجب إلى قمة الوعاء، والعقول تطير خارجة من السائل الأخضر كأسماك متقافزة.. وللحظة، تعلقت في الهواء، ثم سرت ناحية «رون» بسرعة متزايدة، ومن خلفها شرائط رفيعة من الصور المتحركة.

قال «رون» وهو يراقبها تقترب منه: «ها ها ها.. انظر يا هارى. هارى، تعال والمسها، إنها غريبة».

«رون، لا».

لم يعرف «هارى» ماذا سيجرى إن لمس «رون» أهداب الأفكار التى تطير من خلف العقول، لكنه كان واثقاً من أن ما سيجرى لن يكون خيراً. تقدم للأمام، لكن «رون» أمسك بالمخ في يده الممتدة.

لحظة لامست أصابعه الأهداب، بدأت في لف نفسها حول ذراعه وكأنها حبال.

«هارى، انظر ماذا حدث.. لا.. لا.. لا أريدها.. لا.. أوقفها.. أوقفها».

لكن الشرائط الرفيعة التفت حول صدر «رون».. أخذ يمزقها ويبعدها عنه والمخ ينقبض حوله وكأنه أخطبوط.

صاح «هارى» محاولاً إبعاد الأهداب عن «رون»: «ديفيندو». لكنها لم تبتعد. سقط «رون» وهو ما زال يحاول تمزيق قيوده.

(١) أو Brain بمعنى مخ أو دماغ (المترجم).

صرخت «جيني» التي شلها كاحلها المكسور من على الأرض: «هاري»، «ستخنقه»، ثم انطلق شعاع أحمر من إحدى عصي أكلة الموت السحرية، وضربتها في وجهها، فمالت إلى جانبها وسقطت فاقدة الوعي.

صاح «نيفيل» وهو يدور ويلوح بعصا «هيرميون» السحرية تجاه أكلة الموت: «ستوبيفاي.. ستوبيفاي.. ستوبيفاي».

لكن لم يحدث شيء.

أطلق أحد أكلة الموت تعويذة تجميد تجاه «نيفيل»، التي انحرفت عنه ببضع بوصات. أصبح «هاري» و«نيفيل» الوحيدين الباقيين؛ ليقاتلا خمسة من أكلة الموت، الذين أطلق اثنان منهما دفقة من الضوء الفضي مثل السهام، فضربت الجدار من خلفهما. جرى «هاري»، محاولاً النجاة و«بيلاتريكس ليسترانج» تجري خلفه. أمسك بالنبوءة فوق رأسه، ثم عاد إلى الجانب الآخر من الحجرة وكل ما يقدر على التفكير فيه هو جذب أكلة الموت بعيداً عن الآخرين.

بدا كأن خدعته قد نجحت.. جروا خلفه، وهم يسقطون المقاعد والموائد، لكن لا يجرءون على ضربه بالسحر؛ خوفًا من إصابة النبوءة. انطلق إلى الباب المفتوح الذي دخل منه أكلة الموت.. متمنيًا لو يبقى «نيفيل» مع «رون» ليجد طريقة لتحريره من التعويذة المصاب بها. جرى عدة أقدام إلى الحجرة الجديدة وشعر بالأرض تختفي من تحته.

سقط على درجات سلم واحدة تلو الأخرى، وهو يصطدم بكل درجة، حتى استقر أخيراً على ظهره في قاع الحفرة الحجرية، فرأى القوس الحجرية فوقه أعلى المنبر. دوت ضحكات أكلة الموت في الحجرة.. نظر إلى أعلى ورأى الخمسة الذين اقتحموا حجرة العقول وهم يقتربون منه، بينما عدد مماثل منهم قد ظهر من الجانب الآخر للحجرة وأخذوا يتقافزون على الدرجات تجاهه. هب «هاري» واقفا ولن كانت ساقاه ترتجفان ولا تكادان تحملانه. وفيما يشبه المعجزة لم تتكسر النبوءة التي استقرت في يده اليسرى، بينما يمناه مشغولة بعصاه السحرية. ابتعد ناظراً حوله؛ محاولاً رؤية جميع أكلة الموت في نفس الوقت. ضرب بقدمه شيئاً صلبًا.. وصل إلى المنبر، ومن فوقه القوس الحجرية.. تسلقه وظهره لدرجات السلم.

توقف كل أكلة الموت، وأخذوا ينظرون إليه. لاهثين بشدة مثله. كان أحدهم ينزف بغزارة.. «دولوهوف» الذي تحرر من التعويذة المقيدة للجسم أخذ ينظر إلى «هاري» شزراً وعصاه مصوبة إلى وجهه مباشرة.

قال «لوكياس مالفوي» بصوت أجش: «بوتر، انتهى السباق، والآن ناولني النبوءة وكن فتى طيبًا».

قال «هاري» بيأس: «دع.. دع الآخرين يخرجون، وسأعطيك النبوءة».

ضحك بعض أكلة الموت.

قال «لوكياس مالفوي» ووجهه الشاحب متوهج من الجذل: «أنت لست في موقف يسمح بالمساومة يا بوتر.. نحن عشرة وأنت وحدك.. ألم يعلمك «دمبلدور» العدد والحساب؟».

انبعث صوت من خلفه يقول: «إنه (ليس) وحده.. أنا معه».

انقبض صدر «هاري».. وجد «نيفيل» يهرول نازلاً السلم تجاههم، وعصا «هيرميون» مرفوعة في يده المرتجفة.

«نيفيل.. لا.. عُد إلى رون».

صاح «رون» ثانية، مشيراً بعصاه إلى كلٍ من أكلة الموت: «ستوبيفاي.. ستوبيفاي.. ستوب...».

أمسك أحد أكلة الموت ضخام الجثة بـ«نيفيل» من الخلف، وأحاط خصره بذراعيه. أخذ «نيفيل» يقاوم ويركل، وضحك بعضهم.

قال «لوكياس مالفوي» بسخرية: «إنه لونجبوتم.. أليس كذلك؟ لقد اعتادت جدتك على فقدان أفراد عائلتها من أجل قضيتنا.. لن يصدمها موتك كثيراً».

ردت «بيلاتريكس» وابتسامة شريرة ترتسم على وجهها الهزيل: «لونجبوتم؟ لقد استمتعت بمقابلة والديك يا فتى».

قال «نيفيل» بصوت قوي: «أعرف أنك (فعلت)»، وهو يصارع قبضة آسره بشدة، فصاح الآخر: «فليجمده أحدكم».

قالت «بيلاتريكس»: «لا، لا، لا»، وبدت في حالة غريبة، يملؤها حماس وإثارة غريبان وهي تنظر إلى «هاري» ثم إلى «نيفيل». أضافت: «لا، دعونا نرى ما سيتحمله لونجبوتم الصغير قبل أن ينهار مثل والديه.. إلا إن كان بوتر يريد إعطاءنا النبوءة».

صاح «نيفيل» بأعلى صوته: «لا تعطها (لهم) يا (ارى)»، وقد أصبح في حالة غضب شديد، مع اقتراب «بيلاتريكس» منه ومن آسره، رفعت عصاها وهو يقول: «لا تعطها (لهم) يا (ارى)».

رفعت «بيلاتريكس» عصاها السحرية.. «كروسيو».

صرخ «نيفيل»، وارتفعت ساقاه إلى صدره حتى أن آكل الموت الممسك به ارتفع عن الأرض لحظة. أسقطه وسقط على الأرض، وهو يتلوى ويصرخ من الألم.

قالت «بيلاتريكس» وهي ترفع عصاها؛ حتى تتوقف صرخات «نيفيل» ويرقد باكيًا عند قدميها: «هذا مجرد فاتح شهية».. التفتت ونظرت إلى «هاري» قائلة: «والآن يا بوتر، إما تعطينا النبوءة، أو تراقب صديقك الصغير وهو يموت متأثرًا بالألم».

لم يكن «هاري» بحاجة إلى التفكير. لم يعد أمامه خيار. كانت النبوءة ساخنة تتوهج بالحرارة وهو يمدها أمامه. قفز «مالفوى» إليه؛ ليمسك بها.

ثم ومن فوقهم انفتح بابان ودخل خمسة أشخاص إلى الحجرة: «سيرياس» و«لوبين» و«مودى» و«تونكس» و«كنجسلى».

التفت إليهم «مالفوى»، رافعًا عصاه السحرية، لكن «تونكس» كانت قد أطلقت بالفعل تعويذة تجميد تجاهه. لم ينتظر «هارى» ليراها وهي تصيبه، بل هبط من فوق المنبر مبتعدًا عن طريقها. تشتت أكلة الموت مع وصول أعضاء الجماعة الذين أخذوا يمطرونهم بالتعاويذ وهم يتقافزون على الدرجات إلى الأسفل. ومن بين الأجساد الكارة والفارة وأشعة التعاويذ، رأى «هارى» «نيفيل» وهو يزحف. تفادى شعاعًا أحمر آخر، ثم ألقى بنفسه على الأرض؛ ليصل إلى صديقه.

صاح: «هل أنت بخير؟»، وتعويذة أخرى تمر فوق رأسيهما بعدة بوصات.

قال «نيفيل» وهو يحاول النهوض: «(أجن)».

«ورون؟».

«لا أظنه (يخين)، فهو (مازان) يقاوم (العقون) منذ تركناه».

تفجرت الأرض بينهما وتطايرت منها الشظايا عندما أصابتها تعويذة، تاركة وراءها حفرة في الأرض، حيث كانت يد «نيفيل» منذ لحظات. هرول كلاهما مبتعدين، ثم جاءت يد وقبضت على عنق «هاري»؛ لترفعه، حتى فارقت أصابع قدميه الأرض.

قال الصوت الأجش في أذنه: «هاتها. أعطني النبوءة».

أخذ الرجل يضغط على حنجرة «هاري»، حتى كاد أن يختنق. ومن بين أعين مغرورقة بدموع الحاجة للهواء، رأى «سيرياس» يقاتل أحد أكلة الموت على مسافة عشر أقدام. و«كنجسلي» يقاتل اثنين منهم. و«تونكس» على مسافة درجتين منه.

تطلق تعاويذ تجاه «بيلاتريكس».. ولا أحد منهم يعرف أنه على وشك الموت. أدار عصاه السحرية للخلف ناحية جانب الرجل، لكن لم يجد الهواء اللازم؛ لنطق التعويذة، واقتربت يد الرجل الثانية من يد «هاري» الممسكة بالنبوءة.

«آآآآه».

اقترب «نيفيل» وهو غير قادر على نطق تعويذة، دب عصا «هيرميون» بقوة في قناع الرجل مكان العين. ترك الساحر «هاري» على الفور وهو يعوي من الألم. دار «هاري» على عقبيه؛ ليواجهه، وشهق:

«ستوبيفاى».

ترنح آكل الموت إلى الخلف وسقط قناعه عنه. كان «ماكنير» الذي كان سيقتل «باكبيك»، وإحدى عينيه منتفخة محتقنة الدماء.

قال «هاري» لـ«نيفيل» وهو يجذبه إلى الجانب مع اقتراب «سيرياس» ومن يقاتله من أكلة الموت منهما «أشكرك». كانا يتقاتلان بعنف حتى إن طرفي عصويهما أخذا يطلقان أشعة التعاويذ بسرعة رهيبة، ثم ضربت قدم «هاري» شيئًا مستديرًا وجامدًا، وانزلق. لحظة، حسب أنه قد أسقط النبوءة، ثم رأى عين «مودي» السحرية تدور على الأرض.

كان مالكها راقدًا على جانبه، ينزف من رأسه ومهاجمه يقترب من «هاري» و«نيفيل».. «دولوهوف» بوجهه الشاحب المرتسم عليه الجذل.

صاح: «تارانتاليجرا» مصوبًا عصاه نحو «نيفيل» الذي أخذت قدماه ترقصان رقصة محمومة، وهو غير قادر على التحكم فيهما، فسقط على الأرض ثانية، وقال الرجل: «والآن يا بوتر...».

قام بنفس الحركة بعصاه السحرية التي سبق أن أصاب بها «هيرميون» مع صرخة «هاري»: «بروتيجو».

شعر «هاري» بشيء يضرب جانب وجهه مثل سكين غير حاد. ألقته الضربة جانبًا، فسقط فوق قدمي «نيفيل» المتراقصتين، لكن تعويذة الصد التي أطلقها أبعدت عنه أسوأ ما في التعويذة التي أصابته.

رفع «دولوهوف» عصاه ثانية وقال: «أكيو بروف...».

اقترب «سيرياس» منهم، وضرب «دولوهوف» بكتفه، فطار مبتعدًا عن الطريق. فقد «هاري» ثانية تحكمه في النبوءة بعد أن وصلت إلى أطراف

أصابعه، لكنه استعاد السيطرة عليها. أخذ «سيرياس» و«دولوهوف» يتقاتلان، وعصواهما تلمعان كالسيوف، والشرر يتطاير من طرفيهما.

سحب «دولوهوف» عصاه ملوحًا بها إلى الخلف؛ ليؤدي بها نفس التعويذة التي استعملها على «هاري» و«هيرميون». وهو ينهض صاح «هاري»: «بيتريفيكوس توتالوس». مرة ثانية تضامّت ساقا وذراعا «دولوهوف»، وسقط إلى الخلف؛ ليحط على الأرض بصوت مرتفع.

صاح «سيرياس»: «تعويذة رائعة». مع خفضه لرأس «هاري» وتعويذتي تجميد تطيران نحوهما. أضاف: «والآن أريدك أن تخرج من...».

انحنيا ثانية. مرّ فوق «سيرياس» شعاع أخضر. رأى «هاري» «تونكس» تسقط من فوق الدرجات، وجسدها يسقط من فوق درجة إلى أخرى وقد فقدت الوعي، و«بيلاتريكس» تجري ظافرة عائدة إلى القتال الدائر.

صاح «سيرياس» وهو يهب؛ لمقاتلة «بيلاتريكس»: «هاري، خذ النبوءة، وأمسك بنيفيل واجرِ». لم ير «هاري» ما حدث بعدها. رأى «كنجسلي» يترنح بطرف عينه، وهو يقاتل «روكوود» الذي سقط عنه قناعه. طار شعاع أخضر آخر فوق رأس «هاري»؛ فألقى بنفسه على «نيفيل».

صاح في أذن «نيفيل»: «هل تقدر على الوقوف؟». ومع حركة ساقي «نيفيل» التي لا تهدأ، أضاف: «ضع ذراعك حول رقبتي..».

فعل «نيفيل» كما أمره. ورفعه «هاري»، وساقاه تتراقصان في كل الاتجاهات، من دون أن يحملاه. ثم فجأة، هاجمهما أحد أكلة الموت. سقطا أرضًا، وساقا «نيفيل» تتراقصان مثل خنفساء انقلبت على ظهرها. أما «هاري»، فقد رفع يده اليسرى في الهواء؛ محاولاً حماية الكرة الصغيرة من التحطم.

سمع صوت «لوكياس مالفوي» في أذنيه: «النبوءة.. أعطني النبوءة»، وشعر «هاري» بطرف عصاه يضغط جانبه بين ضلوعه.

«لا.. ابتعد.. عني.. نيفيل.. أمسكها».

دحرج «هاري» الكرة على الأرض. دار «نيفيل» مرتكزًا على ظهره وأمسك بالكرة؛ ليضمها إلى صدره. صوب «مالفوي» عصاه ناحية «نيفيل»، لكن «هاري» رفع عصاه من فوق كتفه وصاح: «إمبيديمنتا».

سقط «مالفوي» على ظهره و«هاري» ينهض ثانية ويتلفت ليراه يرتطم بجانب المنبر الذي أخذ «سيرياس» و«بيلاتريكس» يتقاتلان على درجاته.

صوب «مالفوي» عصاه ناحية «هاري» و«نيفيل» ثانية، لكن وقبل أن يلتقط أنفاسه؛ ليضرب، قفز «لوبين» بينهم، قائلاً: «هاري، اجمع الآخرين واذهب».

أمسك «هاري» بعباءة «نيفيل» من عند كتفه ورفعه فوق الدرجة الحجرية الأولى. أخذت ساقا «نيفيل» تتلويان وتتراقصان ولم يقدر على النهوض. رفعه «هاري» ثانية بكل قوته؛ ليصعد به درجة أخرى.

ضربت تعويذة الحجر بين عقبي «هاري». تشتت وسقط على الدرجة السفلى. انهار «نيفيل» على الأرض، وساقاه لم تكفا عن الرقص، ثم ألقى بالنبوءة في جيبه.

قال «هاري» بيأس وهو يمسك بعباءة «نيفيل»: «هيا.. حاول دفع ساقيك».

رفعه «هاري» رفعة قوية أخرى؛ فتمزقت عباءة «نيفيل» من عند طرفها الأيسر.. وسقطت الكرة الزجاجية الصغيرة من جيبه، وقبل أن يتمكن أحدهما من الإمساك بها ركلتها قدم «نيفيل» الراقصة.. طارت عشر أقدام إلى يمينهما وتحطمت على الدرجة الحجرية الواقعة تحتهما. مع تحديقهما في موقع تحطمها، وقد روعهم ما جرى، ارتفع جسد أبيض لؤلؤي بعيون متضخمة في الهواء، دون أن يلاحظه أحد غيرهما. رأى «هاري» فمه يتحرك، لكن وسط كل الصرخات والصيحات وأصوات اصطدام التعاويذ بالحجر والأجساد لم يسمع كلمة واحدة من النبوءة. كف الظل عن الكلام وتلاشى.

صاح «نيفيل» ووجهه يتلوى مكروبًا وساقاه أخذتان في الرقص: «(أرى) أنا آسف.. أنا آسف يا (أرى)، (لم) أقصد أن...».

صاح «هاري»: «لا يهم.. حاول فقط أن تقف، هيا نخرج من هنـ...».

قال «نيفيل» ووجهه المغمور بالعرق قد التفت فجأة؛ ليحدّق فوق كتف «هاري»: «(دمبلدور)».

«ماذا؟».

«(دمبلدور)».

دار «هاري» على عقبيه؛ ليرى ما ينظر إليه «نيفيل». فوقهما مباشرة أمام مدخل الباب المفضي إلى حجرة العقول، وقف «ألبوس دمبلدور»، وعصاه السحرية مرفوعة ووجهه أبيض وغاضب. شعر «هاري» بتيار كهربي يسري في كل ذرة من جسده.. لقد نجونا.

نزل «دمبلدور» درجات السلم إلى جوار «نيفيل» و«هاري»، اللذين تخليا عن فكرة الهروب. أدرك أقرب أكلة الموت إليه بوجوده، فصاح محذرًا الآخرين. حاول أحد أكلة الموت الهرب، فتسلق الدرجات الحجرية المقابلة كالقرود.

أعادته تعويذة «دمبلدور» إلى وضعه السابق بسهولة ويسر وكأنه قد شبكه بخطاف خفي من ظهره.

لم يبق سوى شخصين يتقاتلان غير واعيين بظهور القادم الجديد. رأى «هاري» «سيرياس» يتفادى شعاع «بيلاتريكس» الأحمر، وهو يضحك في وجهها صاح وصوته يدوي في أرجاء الحجرة الواسعة: «لا أصدق.. هل هذا أفضل ما عندك؟».

أصابته التعويذة الثانية في صدره.

لم تتلاش الابتسامة تماماً من على وجهه، ولكن اتسعت عيناه من الصدمة. تخلى «هاري» عن «نيفيل»، وإن لم يدرك هذا وهو يفعله.. وقفز إلى الأرض مشهراً عصاه السحرية، و«دمبلدور» يلتفت ليواجه المنبر.

وكأن «سيرياس» قد استغرق دهوراً في سقوطه.. انحنى جسده برشاقة وسقط إلى الخلف.. ثم اخترق الستار المعلق فوق القوس.

رأى «هاري» نظرة الخوف والدهشة المرتسمة على وجه أبيه الروحي الذي كان يوماً وسيماً، وهو يسقط عبر القوس الحجرية القديمة ويختفي خلف الستار، الذي خفق للحظة وكأن رياحاً شديدة قد ضربته، ثم عاد إلى اهتزازه الهادئ المعتاد.

سمع «هاري» صرخة «بيلاتريكس ليسترانج» الظافرة، لكنه عرف أنها بلا معنى.. سقط «سيرياس» عبر القوس، وسوف يعاود الظهور على الجانب الآخر في أي لحظة.

لكن «سيرياس» لم يعُد.

صاح «هاري»: «سيرياس.. سيرياس».

وصل إلى الأرض، أخذ يتنفس في شهقات كبيرة. لا بد أن «سيرياس» خلف الستار، وسوف يعيده من مكمنه.

لكن مع وصوله إلى الأرض وهرولته ناحية المنبر، أمسكه «لوبين» وقد لف ذراعه حول صدره؛ ليمنعه من التقدم.

«ليس بيدنا شيء يا هاري».

«هاته.. أنقذه.. لقد سقط منذ لحظة».

«.. لا فائدة يا هاري».

حاول «هاري» الفكاك منه وهو يقول: «بل نقدر على الوصول إليه..»، لكن «لوبين» لم يتركه.

«لا فائدة يا هاري.. ليس بيدنا شيء.. لقد هلك».

٣٦ الوحيد الذي يخشاه

صاح «هاري»: «إنه لم يهلك».

لم يصدق.. لن يصدق.. أخذ يقاوم «لوبين» بكل ما فيه من قوة. «لوبين» لا يفهم.. الناس يختبئون خلف هذا الستار.. سمعهم يتهامسون عندما دخل الحجرة للمرة الأولى.. «سيرياس» مختبئ، مختبئ بعيداً عن الأنظار.

صاح: «سيرياس.. سيرياس».

قال «لوبين» بصوت متهدج محاولاً احتواء «هاري»: «لا يمكنه العودة يا هاري.. لا يمكنه العودة؛ لأنه ما..».

صرخ «هاري»: «إنه.. لم.. يمت.. سيرياس».

استمرت الحركة من حولهما، من قتال لا رجاء منه، والمزيد من التعاويذ وأشعتها. بالنسبة لـ«هاري» لم تكن أكثر من بعض الجلبة، انعكاس التعاويذ وارتدادها وتطايرها من حولهما لا يعنيه، لا شيء يهم، لا شيء يهم غير أن يكف «لوبين» عن التظاهر بأن «سيرياس» الذي كان يقف على مسافة بضع أقدام من الستار القديم، لن يعود في أية لحظة، ويهز رأسه فيتطاير شعره الأسود القاتم الناعم الطويل ويعاود دخول المعركة بلهفة.

جر «لوبين» «هاري» بعيداً عن المنبر. كان «هاري» الذي أخذ يحدق في القوس الحجرية غاضباً من «سيرياس» الذي جعله ينتظر كثيراً.

لكنّ جزءاً منه أدرك الحقيقة، حتى وهو يجاهد؛ ليتحرر من قبضة «لوبين» أدرك أن «سيرياس» لم يجعله ينتظره من قبل.. «سيرياس» يخاطر بكل شيء، دائماً يخاطر بكل شيء؛ حتى يهب لرؤية «هاري» ومساعدته.. إن لم يعاود «سيرياس» الظهور من القوس الحجرية و«هاري» ينادي عليه وكأن حياته في خطر؛ فالتفسير الوحيد المقبول هو أنه لن يعود أبداً.. وأنه فعلاً قد...

جمع «دمبلدور» معظم من تبقى من أكلة الموت وسط الحجرة، وقد جلسوا وكأن حبالاً غير مرئية تقيدهم. زحف «ماد آي مودي» إلى حيث ترقد «تونكس» وحاول أن يفيقها، ومن خلف المنبر كان هناك المزيد من أشعة

التعاويذ والصيحات والصرخات.. وقد تقدم «كنجسلي» من «بيلاتريكس» ليكمل معركة «سيرياس».

«هاري؟».

انزلق «نيفيل» على الدرجات الحجرية إلى حيث يقف «هاري». كف الأخير عن مقاومة «لوبين» الذي حافظ على قوة قبضته عليه.

قال «نيفيل»: «(أرى). أنا (فعنا) آسف. (هن) (ذلك) (النجن).. سيرياس.. (هن) كان صديقك؟».

أومأ «هاري» برأسه موافقًا.

قال «لوبين» بهدوء مصوبًا عصاه نحو قدمي «نيفيل» المتراقصتين: «فينيتي». فانتهى أثر التعويذة.. استقرت قدما «نيفيل» على الأرض وثبتتا في مكانهما. كان وجه «لوبين» شاحبًا وهو يقول: «هيا.. هيا لنجد الآخرين. أين هم يا نيفيل؟».

ابتعد «لوبين» عن القوس الحجرية وهو يتكلم. بدا كأن كل كلمة ينطقها تؤلمه.

قال: «إنهم في (الخنف).. (تعنض) (نون) (نهجوم) مخ.. (نكنه) (بخين)، و(هنميون) فاقدة الوعي. (نكن) (بخين)..».

سمعوا صوت ارتطام مرتفعًا وصرخة من فوق المنبر. رأى «هاري» «كنجسلي» وهو يسقط على الأرض متأوهًا من الألم. دارت «بيلاتريكس ليسترانج» على عقبيها وجرت قبل أن يتحرك «دمبلدور» تجاهها. صوب ناحيتها تعويذة لكنها تفادتها. ووصلت إلى منتصف الدرجات الحجرية في طريقها إلى أعلى.

صاح «لوبين»: «هاري.. لا» لكن «هاري» تملص من قبضته القوية.

وصاح: «لقد قتلت سيرياس. لقد قتلته. سأقتلها».

وهرول ناحيتها فوق الدرجات الحجرية. أخذوا ينادون عليه من خلفه لكنه لم يكترث. اختفى طرف عباءة «بيلاتريكس» خلف الباب المفتوح إلى حجرة الأدمغة السابحة.

صوبت نحوه تعويذة، من فوق كتفها. ارتفع الوعاء في الهواء وسقط. وجد «هاري» نفسه مغموراً بسائل كريه الرائحة. انزلقت الأدمغة وأخذت تدور على أعقابها الكثيرة الألوان. لكنه صاح: «وينجارديام ليفيوسا»: فطارت مبتعدة عنه في الهواء. أخذ يتعثر وينزلق وهو يجري ناحية الباب. طار فوق «لونا» التي

رقدت تتأوه على الأرض، وإلى «جيني» التي قالت: «هاري.. ماذا؟»، وإلى جوار «رون» الذي أخذ يضحك في وهن، و«هيرميون» التي ما زالت فاقدة الوعي. فتح الباب المفضي إلى الحجرة الدائرية. فوجد «بيلاتريكس» وهي تختفي عبر الباب الواقع على الجانب الآخر من الحجرة.. وأمامها الممر المفضي إلى المصاعد.

انطلق يجري، لكنها أغلقت الباب خلفها وأخذت الجدران تدور مرة ثانية. وجد نفسه محاطًا بأشعة الضوء الأزرق من الشمعدانات الدائرة.

صاح بيأس والجدار يتوقف ثانية: «أين المخرج؟ أين طريق الخروج؟».

بدا كأن الحجرة كانت تنتظر منه أن يسأل. انفتح الباب الواقع إلى يمينه وظهر الممر المفضي إلى المصاعد من خلفه. فرآه تضيئه المشاعل. أخذ يجري.

سمع باب المصعد يوصد أمامه. انطلق يعدو بأقصى سرعة في الممر، ثم توقف أمام المصعد وضغط على المفتاح: ليستدعي مصعدًا آخر أخذ يصلصل ويرن وهو يقترب ويقترب من أعلى، وانفتح بابه الذهبي. فدلف إليه «هاري» بسرعة، ثم ضرب المفتاح المكتوب عليه «قاعة الاستقبال». أغلقت الأبواب وأخذ المصعد يرتفع.

خرج من المصعد قبل أن تنفتح الأبواب بالكامل، ونظر حوله. كانت «بيلاتريكس» قد وصلت إلى مصعد التليفون عند الطرف البعيد من القاعة، لكنها نظرت إلى الخلف وهو يجري نحوها وصوبت تعويذة أخرى تجاهه. تفاداها بعد أن رقد خلف النافورة.. مرت التعويذة إلى جواره وضربت البوابات الذهبية عند الطرف البعيد من القاعة، حيث رنت مثل الجرس. لم يسمع المزيد من وقع الأقدام. كفت عن الجري.. جلس خلف تماثيل النافورة وأصاخ السمع.

نادته بصوت تقلد الصغار: «اخرج.. اخرج يا هاري يا صغيري». فأخذ يدوي مرتدًا على الأرضية الخشبية المصقولة «لماذا جئت خلفي إذن؟ حسبتك ستنتقم لابن عمي العزيز».

صاح «هاري»: «سأفعل» فأخذت كلمته تدوي في أرجاء القاعة: «سأفعل.. سأفعل.. سأفعل».

«آآآه.. هل كنت تحبه يا بوتر يا حبيبي؟».

تملك الغيظ «هاري» كما لم يتملكه من قبل.. ألقى بنفسه من خلف النافورة وصاح: «كروسيو».

صرخت «بيلاتريكس»: فقد طرحتها التعويذة أرضًا، لكنها لم تتلوَّ وتصرخ

مثل «نيفيل»، بل هبّت واقفةً بسرعة وهي تلهث، وإن كفت عن الضحك. رجع «هارى» إلى خلف تماثيل النافورة ثانية. ضربت تعويذتها المضادة رأس تمثال الساحر الوسيم، الذى انفجر وحط على مسافة عشرين قدمًا؛ محدثًا خدوشًا طويلة على الأرض الخشبية.

صاحت: «لم تستعمل التعويذة غير المغفور لها من قبل يا فتى.. أليس كذلك؟». تخلت عن صوتها الطفولى وهى تقول: «لتؤذيها جيدًا، عليك أن تكون مصرًا عليها يا بوتر. تحتاج للرغبة الشديدة فى إحداث الألم.. والتمتع به، الغضب الأعمى كدافع للتعويذة لا يؤذى كثيرًا. سأريك كيف تؤذيها، هلا بدأنا؟ سأعطيك درسًا..».

دار «هارى» حول النافورة إلى الجانب الآخر وهى تصرخ: «كروسيو»، فأجبرته على أن ينحنى ثانية عندما انخلع ذراع «القنطور» الممسك بالقوس وطار ليسقط على الأرض على مسافة قصيرة من رأس الساحر الذهبى.

صاحت: «بوتر، لن تغلبنى أبدًا».

سمعها تتحرك إلى اليمين؛ محاولة الوصول إلى نقطة تصوب عليه منها جيدًا. انحنى خلف التمثال بعيدًا عنها، وجلس القرفصاء خلف ساقى «القنطور»، ورأسه على مستوى رأس القزم المنزلى.

«كنت وما زلت أكثر خدم سيد الظلام ولاءً وإخلاصًا. تعلمت فنون السحر الأسود منه، وعرفت تعاويذ بقوة، لا تحلم بمعرفتها أيها الولد الصغير اليائس..».

صاح «هارى»: «ستوبيفاى»، خرج من الناحية اليمنى إلى حيث يقف الجنى مبتسمًا للساحر الذى طار رأسه وسدد نحوها تعويذته وهى تبحث عنه عند الجانب المقابل من النافورة. جاء رد فعلها سريعًا فانحنت لتتفادى تعويذته.

«بروتيجو».

ارتد شعاع التعويذة الأحمر - تعويذته - إليه. عاد إلى خلف النافورة ورأى إحدى أذنى الجنى تطير عبر الحجرة.

صاحت «بيلاتريكس»: «بوتر، سأعطيك فرصة أخيرة.. أعطنى النبوءة، دحرجها نحوى.. وسأتركك تعيش».

صاح «هارى»: «لتقتلينى إذن.. فقد تحطمت النبوءة»، وهو يصيح شعر بألم شديد يعتصر جبهته.. أحس بندبته ملتهبة ثانية.. وبغيظ شديد غير مرتبط بغضبه بالمرة، قال - وهو يعرف بضحكة مجنونة ليست أقل من جنون

ضحكات «بيلاتريكس»: «صديقك القديم فولدمورت يعرف بتحطمها.. لن يسعده فشلك، أليس كذلك؟».

صاحت: «ماذا.. ماذا تعنى؟».. وللمرة الأولى أحس بالخوف فى صوتها.

«تحطمت النبوءة وأنا أحاول رفع نيفيل على الدرجات، ترى ماذا سيقول فولدمورت عن هذا؟».

احترقت ندبته ثانية من الألم.. أحس بالألم يعمى عينيه.

صاحت: «كاذب».. لكنه أحس بالرعب مع الغضب فى صوتها. «إنها معك يا بوتر، وستناولها لى. أكيو بروفيسى.. أكيو بروفيسى».

ضحك «هارى» ثانية؛ لمعرفته أن ضحكه سيثير سخطها، والألم يتصاعد فى رأسه بشدة؛ فشعر بجمجمته تكاد تنفجر. لوح بيده الفارغة من خلف الجنى ذى الأذن الواحدة وسحبها بسرعة قبل أن ترمى فى بشعاع أخضر من فوقه.

صاح: «لا شىء معى.. لا شىء معى لتستدعيه. لقد تحطمت ولن يسمع أحد أبدًا منطوقها، أخبرى رئيسك بهذا».

صرخت: «لا.. هذا ليس حقًا.. أنت تكذب.. مولاى.. لقد حاولت.. لقد حاولت.. لا تعاقبنى أرجوك..».

صاح «هارى» وعيناه مغمضتان من الألم الرهيب الذى لم يصل لهذه الدرجة من قبل: «لا تتعبى نفسك.. إنه لا يسمعك من هنا».

قال صوت مرتفع بارد: «حقًا يا بوتر؟».

فتح «هارى» عينيه، فوجد شيئًا.. طويلاً، ونحيلاً، ومغطى بقلنسوة سوداء.. ووجهه أبيض شاحب، وعيناه الحمراوان المشقوقتان طوليًا كعيون الثعابين تحدقان فيه.. ظهر لورد «فولدمورت» وسط القاعة مصوبًا عصاه السحرية ناحية «هارى» الذى وقف متجمدًا، غير قادر على الحركة.

قال «فولدمورت» بنعومة محدقًا فى «هارى» بعينيه الحمراوين الخاليتين من الرحمة: «إذن، فقد حطمت نبوءتى؟ لا يا بيلا، إنه لا يكذب.. أرى الحقيقة تطل علىّ من عقله عديم النفع.. شهور من التحضير، شهور من العمل.. ويترك أكلة الموت هارى بوتر يهرب منى ثانية..».

أخذت «بيلاتريكس» تبكى وقد ألقت بنفسها عند قدمى «فولدمورت» - الذى اقترب قليلاً - : «مولاى.. أنا آسفة، لم أكن أعرف. قاتلت بلاك، مولاى، لتعرف أن..».

قال «فولدمورت» بقسوة: «اصمتي يا بيلا.. سأتعامل معك بعد لحظة. هل تعتقدين أنني قد دخلت وزارة السحر؛ لأستمع لأعذارك الباكية؟».

«لكن يا مولاي، إنه هنا.. إنه بالأسفل..».

لم يعرها «فولدمورت» اهتمامًا.

قال بهدوء: «ليس عندي المزيد لأقوله لك يا بوتر.. لقد أزعجتني كثيرًا، كثيرًا جدًا.. أفادا كيدافرا».

لم يفتح «هاري» فمه حتى ليطلق تعويذة مضادة.. كان عقله قد شل عن التفكير، وعصاه مصوبة إلى الأرض.

لكن تمثال الساحر الذهبي المنزوع الرأس والمستقر في النافورة دبت فيه الحياة فجأة، فقفز من مكانه؛ ليحط على الأرض بصوت رهيب بين «هاري» و«فولدمورت»، فانعكست التعويذة على صدره والتمثال يرفع ذراعيه؛ ليحمي «هاري».

صاح «فولدمورت» ناظرًا حوله: «ماذا..؟»، ثم قال بصوت هامس: «دمبلدور».

نظر «هاري» خلفه، وقلبه يخفق بقوة. رأى «دمبلدور» واقفًا أمام البوابات الذهبية.

رفع «فولدمورت» عصاه السحرية؛ ليطلق شعاعًا أخضر آخر تجاه «دمبلدور» الذي دار على عقبيه بعد أن سحب عباءته؛ لتلتف حوله، ثم يختفي. عاود الظهور بعد لحظة خلف «فولدمورت» وصوب عصاه تجاه النافورة. دبت الحياة في باقي التماثيل. جرى تمثال الساحرة ناحية «بيلاتريكس» التي صرخت وأخذت ترمي بتعاويذ ارتدت على صدر التمثال، قبل أن ينقضّ عليها ويثبتها في الأرض. بينما انطلق كل من الجنّي والقزم المنزلي تجاه المدفأة، وانقض «القنطور» ذو الذراع الواحدة على «فولدمورت»، فاختفى ليعاود الظهور إلى جوار البركة. ألقى التمثال منزوع الرأس بنفسه فوق «هاري» مبعدًا إياه عن القتال، مع تقدم «دمبلدور» من «فولدمورت» و«القنطور» الذهبي يركض حولهما.

قال «دمبلدور» بهدوء: «تصرف أحمق منك أن تأتي الليلة إلى هنا يا توم. إن مقاتلي السحر الأسود في طريقهم..».

قال «فولدمورت» بحدة: «وقتها سأكون قد غادرت، وتكون أنت قد مت». ألقى بتعويذة قاتلة أخرى تجاه «دمبلدور» لكنها لم تصبه، بل ضربت مكتب حارس الأمن، الذي اشتعل فيه اللهب.

لوح «دمبلدور» بعصاه السحرية.. وكانت التعويذة التي انطلقت منها من القوة بحيث أحس «هاري»، الذي يحميه حارسه الذهبي، بشعر رأسه يقف وهي تمر فوقه.. وهذه المرة، أجبر «فولدمورت» على إطلاق تعويذة درع فضية ليشتتها.. لم تصب التعويذة - أيًا كانت طبيعتها - الدرع بأي دمار مادي، وإن صدر عن اصطدامها بالدرع صوت رنين بارد غريب عميق.

قال «فولدمورت» وعيناه الحمراوان تضيقان من فوق الدرع: «أنت لا تسعى لقتلي يا دمبلدور.. فأنت تسمو فوق هذه القسوة.. أليس كذلك؟».

قال «دمبلدور» بهدوء وهو مستمر في التقدم من «فولدمورت» وكأنه لا يخاف من أي شيء في العالم، وكأنه لا يوجد ما يستدعي أن يتوقف عن السير عبر القاعة: «كلانا يعرف أن هناك وسائل أخرى لتدمير الرجال غير القتل يا توم.. مجرد قتلي لك لن يرضيني، أعترف بهذا..».

قال «فولدمورت» مزمجرًا: «لا يوجد ما هو أسوأ من الموت يا دمبلدور».

قال «دمبلدور» وهو يقترب من «فولدمورت» وسط كلامه وكأنه يناقش معه موضوعًا خفيفًا أثناء تناول الشراب: «أنت مخطئ تمامًا». شعر «هاري» بالخوف وهو يراه يسير إلى جواره.. بلا حماية، وبلا دروع. أراد أن يصرخ فيه محذرًا، لكن حارسه منزوع الرأس أبقاه على الأرض، مانعًا أي محاولة الحركة تصدر عنه.. سمع «دمبلدور» يسترسل في الكلام: «بالطبع، فشلك في فهم أن هناك أشياء أسوأ من الموت هو نقطة ضعفك الكبرى..».

انطلق شعاع أخضر آخر من خلف الدرع الفضية. هذه المرة، تقدم «القنطور» ذو اليد الواحدة ووقف أمام «دمبلدور»؛ ليتلقى الضربة ويتفتت إلى مائة قطعة، لكن وقبل أن تستقر الشظايا على الأرض شهر «دمبلدور» عصاه ثانية ولوّح بها وكأنها سوط، طار من طرفها خيط لهب رفيع، التف حول «فولدمورت» وحول الدرع. للحظة، بدا كأن «دمبلدور» قد انتصر، لكن حبل اللهب تحول إلى أفعى، فتخلت عن إمساكها بـ«فولدمورت» على الفور، والتفتت وهي تهس بغضب بالغ لمواجهة «دمبلدور».

اختفى «فولدمورت»، وارتقى الثعبان من فوق الأرض متأهبًا للانقضاض.

انبعث اللهب في الهواء من فوق «دمبلدور» مع عودة «فولدمورت» للظهور، ووقوفه وسط البركة؛ حيث كانت التماثيل الخمسة مستقرة.

صاح «هارى»: «احترس!».

لكن حتى ومع صيحته انطلق شعاع أخضر من عصا «فولدمورت» ناحية «دمبلدور» وانقضَّ الثعبان.

حلَّق «فاوكس» ليهبط أمام «دمبلدور» ويفتح منقاره ليلتَهِم الشعاع الأخضر كله.. اشتعل فيه اللهب وسقط على الأرض بلا حراك. في نفس اللحظة، أدار «دمبلدور» عصاه السحرية بحركة طويلة على طول ذراعه، فطار الثعبان الذى كان على وشك غرس أنيابه فى جسده فى الهواء واختفى وسط دخان أسود.. وارتفعت المياه من البركة وغطت «فولدمورت» مثل شرنقة من الزجاج السائل.

لثوانٍ قليلة، ظهر «فولدمورت» من وراء شرنقته، وجهه غير واضح المعالم وهو يقاوم؛ محاولاً التخلص من ثقل الماء.

ثم اختفى، وسقط الماء فى البركة ثانية، وانساب من على أطراف البركة؛ ليغرق الأرضية المصقولة.

صرخت «بيلاتريكس»: «مولاى».

انتهى الأمر. قرر «فولدمورت» الهرب، وهمَّ «هارى» بالنهوض من خلف التمثال الحارس، لكن «دمبلدور» صاح فيه: «ابقَ مكانك يا هارى».

ولأول مرة، يبدو الخوف على «دمبلدور».. لم يعرف «هارى» السبب. القاعة خالية تمامًا إلا منهم، و«بيلاتريكس» الباكية محبوسة تحت تمثال الساحرة، و«فاوكس» طائر العنقاء ينعب بوهن على الأرض.

ثم انفتحت ندبة «هارى» وعرف أنه سيموت.. كان الألم فوق التصور، يتجاوز حدود الألم وحدود التحمل البشرية.

اختفى من القاعة، وجد نفسه محبوسًا وسط أذرع مخلوق بعيون حمراء، بقوة جعلته لا يعرف أين تنتهى حدود جسده ويبدأ جسد الكائن.. كانا ممتزجين معًا، يجمعهما الألم، ولا مفر ولا مهرب.

ثم تكلم المخلوق، استعمل فم «هارى» فى الكلام، وفى خضم ألمه شعر بفكِّه يتحرك.. «اقتلنى الآن يا دمبلدور».

وهو أعمى ووسط احتضاره، شعر بكل ذرة فى جسده تصرخ طالبة التحرر، شعر «هارى» بالمخلوق يستخدمه ثانية فى الكلام.

«إن كان الموت لا شىء يا دمبلدور فاقتل الصبى».

ليتوقف الألم. اقتلنا معًا. إنه الألم يا «دمبلدور».. الموت لا شىء مقارنة بهذا.

وسأرى «سيريوس» ثانية.

ومع امتلاء قلب «هارى» بالمشاعر، انفكت قبضة الكائن عليه وتراجع الألم. رقد ووجهه إلى الأرض، وعويناته قد اختفت، وهو يرتجف وكأنه راقد على الثلج، وليس على الخشب.

سمع أصواتًا تدوى فى القاعة، أصواتًا أكثر مما يجب.. فتح «هارى» عينيه، ورأى عويناته مستقرة عند قدم التمثال منزوع الرأس الذى كان يحرسه، لكنه رقد على ظهره، جامدًا ومتثاقلاً وبلا حراك. ارتدى عويناته ورفع رأسه قليلاً ليجد أنف «دمبلدور» العجوز على مسافة بوصات قليلة من أنفه.

«هل أنت بخير يا هارى؟».

قال «هارى» وهو ينتفض غير قادر على رفع رأسه كما يجب: «أجل.. أنا بخير. أين فولدمورت؟ أين.. من كل هؤلاء؟ ما الذى..؟».

كانت قاعة الاستقبال ممتلئة بالناس.. والأرضية تعكس اللهب الأخضر الزمردى الذى اشتعل فى المدافئ بطول أحد الجدران.. وتدفق تيار من الساحرات والسحرة إلى القاعة منها. مع نهوض «دمبلدور» على قدميه رأى «هارى» التمثال الذهبى الصغير للقزم المنزلى، وتمثال الجنى يقودان «كورنلياس فادج» المصدوم إلى الأمام.

صاح رجل بعباءة حمراء، شعره معقود على شكل ذيل حصان: «لقد كان هناك»، مشيرًا إلى كومة من الركام الذهبى على الجانب الآخر من القاعة؛ حيث كانت ترقد «بيلاتريكس» منذ لحظات بلا حراك. أضاف: «رأيته يا سيد فادج. أقسم أنه كان الذى.. تعرفه. لقد أمسك بالمرأة واختفيا».

غمغم «فادج» الذى كان يرتدى منامة تحت عباءته رسمية المظهر ويشهق وكأنه قد جرى مسافة أميال: «أعرف يا ويليامسون، أعرف، رأيته أنا الآخر.. بحق لحية مرلين.. هنا.. هنا.. فى وزارة السحر!.. يا ربى! هذا لا يمكن.. لا أصدق.. كيف حدث هذا؟».

قال «دمبلدور» وقد أرضاه أن «هارى» بخير: «إن نزلت إلى الأسفل، إلى مصلحة الألغاز والغوامض يا كورنلياس، فسوف تجد بعض آكلة الموت

الهاربين في حجرة الموت، مقيدين بتعويذة مضادة للاختفاء السحري، بانتظار قرارك الذي ستتخذه معهم». تقدم «دمبلدور» إلى الأمام، فأدرك القادمون الجدد وجوده للمرة الأولى (ورفع بعضهم عصيهم السحرية وحدق فيه البعض الآخر بدهشة، بينما أخذ تمثالا القزم والجني يهللان، وأخذ «فادج» يتقافز متوترًا).

شهق «فادج» قائلاً بدهشة بالغة: «دمبلدور.. أنت.. هنا.. أ.. أ.. أنا..».

نظر إلى مقاتلي السحر الأسود الذين جلبهم معه من حوله، وبدا واضحًا أنه يود لو يقول: «اقبضوا عليه».

قال «دمبلدور» بصوت راعد: «كورنلياس.. أنا مستعد لمقاتلة رجالك والتغلب عليهم ثانية. لكن منذ دقائق، رأيت بنفسك الدليل، بعينيك، وعرفت أنني أقول لك الحقيقة منذ سنوات. لقد عاد لورد فولدمورت، وعرفت أنك تطارد الشخص الخطأ طوال اثني عشر شهرًا، وحان الوقت للإنصات لصوت العقل».

قال «فادج» متلعثمًا: «أنا لا.. أعني.. المهم..». نظر حوله كأنه يلتمس العون من أحدهم. لكن لم ينطق أحد، فأكمل كلامه: «حسنًا.. داوليش.. ويليامسون، انزلا إلى مصلحة الألغاز والغوامض ولتريا ما هناك.. دمبلدور.. سوف.. سوف تخبرني بالضبط بما جرى.. وما جرى للنافورة» أضاف الكلمة الأخيرة بصوت خافت ناظرًا إلى الأرض؛ حيث بقايا تماثيل الساحرة، والساحر، و«القنطور».

قال «دمبلدور»: «سنناقش هذا عندما يعود هاري إلى هوجورتس».

«هاري.. هاري بوتر؟».

دار «فادج» على عقبيه ونظر إلى «هاري» الذي وقف أمام الحائط إلى جوار التمثال المنهار، الذي كان يحميه أثناء صراع «دمبلدور» و«فولدمورت».

قال محدقًا في «هاري»: «هل هو.. هنا؟ لماذا؟! ما الموضوع؟».

رد «دمبلدور»: «سأشرح لك كل شيء، عندما يعود هاري إلى المدرسة».

سار مبتعدًا عن البركة إلى المكان الذي يستقر عنده رأس تمثال الساحر على الأرض، صوب عصاه إليه وغمغم: «بورتوس». توهج الرأس بوهج أزرق، ثم أخذ يتدحرج بصوت مزعج على الأرض الخشبية لعدة ثوانٍ، قبل أن يهمد ثانية.

قال «فادج»، و«دمبلدور» يلتقط الرأس ويسير به عائدًا إلى «هاري»: «دمبلدور.. ليس معك تصريح ببوابة الانتقال السحرية هذه. لا يمكنك فعل مثل هذه الأشياء أمام أعين وزير السحر.. أنت.. أنت..».

خمد صوته و«دمبلدور» يفحصه بعينيه من فوق عويناته الهلالية الشكل.

قال «دمبلدور»: «ستعطي أمرًا بفصل دولوريس أمبريدج من هوجورتس، وستأمر مقاتلي السحر الأسود بالكف عن مطاردة مدرس رعاية الكائنات السحرية؛ حتى يعود لعمله. وسأعطيك...». جذب «دمبلدور» ساعة بها اثنتا عشرة ذراعًا من جيبه ونظر إليها وأكمل: «.. نصف ساعة من وقتي الليلة، أعطي فيها النقاط الهامة لما جرى هنا، وبعدها سأعود إلى مدرستي. إن كنت بحاجة لمساعدتي، فمرحبًا بك وبإمكانك الاتصال بي في هوجورتس.. والخطابات المرسلة على عنوان الناظر ستجد طريقها إليّ».

حملق فيه «فادج» أكثر من أي وقت مضى، انفتح فمه على آخره وأصبح وجهه المستدير أكثر احمرارًا.

«أنا.. أنت..».

أعطاه «دمبلدور» ظهره.

«أمسك بالبوابة يا هاري».

مد رأس التمثال الذهبية لـ«هاري» الذي وضع يده عليه، وهو لا يهتم بما يجري بعدها أو أين يذهب.

قال «دمبلدور» بهدوء: «سأعود إليك بعد نصف ساعة.. واحد.. اثنان.. ثلاثة..».

شعر «هاري» بإحساس اعتاده، بأن خُطَّافًا قد أمسك به من مركز جسده. اختفت الأرضية الخشبية المصقولة من تحت قدميه. اختفت قاعة الاستقبال، و«فادج» و«دمبلدور»، ووجد نفسه يطير في دوامة من الألوان والأصوات.



٣٧ النبـوءة المفقـودة

لامس «هاري» الأرض الصلبة. ارتجت ركبتاه قليلاً وسقط رأس تمثال الساحر الذهبي على الأرض بصوت مسموع. نظر حوله ورأى أنه في مكتب «دمبلدور».

أصلح كل شيء نفسه أثناء غياب الناظر. عادت الآلات الفضية المعقدة إلى وضعها السابق فوق الموائد الصغيرة، وأخذت تدور وتنفث البخار. أخذ السحرة والساحرات في اللوحات المعلقة على الجدران يغطون في نومهم، ورءوسهم مائلة على المقاعد داخل اللوحات أو على أُطُرها. نظر «هاري» عبر النافذة. كان هناك خط بارد من اللون الأخضر الشاحب بطول الأفق. فالفجر يقترب.

لم يحتمل الصمت والهدوء، الذي لا يكسره سوى أصوات النائمين في اللوحات، وإن كانت الموجودات من حوله لتعكس ما يعتمل بداخله، كانت اللوحات لتصرخ من الألم. سار في المكتب الهادئ الجميل، وهو يتنفس بسرعة؛ محاولاً ألا يفكر. لكن عليه التفكير. لا مهرب منه.

كان خطؤه أن مات «سيريوس». إن لم يكن غبياً بما يكفي للسقوط في فخ «فولدمورت»، وإن لم يقتنع بأن ما يراه في أحلامه هو الحقيقة، وإن لم يفتح عقله؛ حتى ينفذ «فولدمورت» خطته ويجذب «هاري» بالطريقة التي قالتها «هيرميون» عن حبه للعب دور البطل.

لم يتحمل، ولا يريد التفكير في الموضوع، ولا يقدر على التفكير. ثمة فراغ هائل داخله لا يريد أن يلمسه أو يفحصه، حفرة سوداء كان يشغلها «سيريوس». والآن وبعد أن اختفى «سيريوس»، لم يرغب في أن يبقى وحيداً مع هذا الفراغ الصامت الهائل، لا يقدر على تحمله. سمع صوتاً مرتفعاً من شاغل اللوحة الواقعة خلفه، ثم قال صوت بارد: «آه.. هاري بوتر..».

تثاءب «فينياس نيجيلوس» بقوة وتمطأ وهو ينظر إلى «هاري» من طرف عينه الضيقة القاسية.

قال بعدها: «ماذا يا ترى أتى بك إلى هنا في هذه الساعة من الصباح؟ هذا المكتب لا يجب أن يشغله سوى الناظر. أم أن دمبلدور قد أرسلك إلى هنا؟

انتظر.. لا تخبرني..». تثاءب ثانية، ثم أضاف: «هل هي رسالة مطلوب مني إبلاغها لحفيد حفيدي عديم النفع؟».

لم يتكلم «هاري». «فينياس نيجيلوس» لا يعرف أن «سيريوس» قد مات، لكن «هاري» لم يقدر على إخباره. فبعد أن يعلن هذا، سيصبح موته حقيقة مطلقة لا رجعة فيها.

أفاق بعض شاغلي اللوحات الآخرين من النوم، ومن خوفه من أن يستجوبوه عبر الحجرة إلى الباب أمسك بمقبضه.

لم يدر المقبض. وجد نفسه محبوساً. قال الساحر البدين أحمر الأنف المعلقة لوحته على الجدار الواقع خلف مكتب الناظر: «أرجو أن يكون معنى هذا أن دمبلدور سيعود إلينا قريباً».

التفت «هاري» إليه. أخذ الساحر يفحصه باهتمام كبير. أومأ «هاري» برأسه. حاول إدارة المقبض ثانية من خلف ظهره، لكنه ظل كما هو لا يتحرك.

قال الساحر: «عظيم. فالحياة من دونه مملة، مملة جداً».

استرخى على كرسي أشبه بكرسي العرش مرسوم من خلفه، وابتسم بعذوبة في وجه «هاري».

قال بصوت هادئ: «دمبلدور يقدرك كثيراً، وأنا واثق من معرفتك بهذا. أجل، إنه يقدرك كثيراً».

امتلأ صدر «هاري» بالإحساس بالذنب، وكأنه وحش هائل جاثم على صدره. لم يتحمل، لم يعد قادراً على تحمل نفسه. لم يشعر بكونه محاصراً داخل جسده ورأسه من قبل هكذا. ولم يتمنَّ أبداً أن يكون شخصاً آخر كما شعر وقتها.

اشتعل اللهب الأخضر الزمردي في المدفأة، فقفز «هاري» بعيداً عن الباب، وأخذ يحدق في الرجل الذي خرج من بين النيران. مع وقوف «دمبلدور» بكامل طوله خارج المدفأة، استيقظ كل السحرة والساحرات من اللوحات، وأخذوا يهللون ويرحبون به. قال «دمبلدور» بهدوء: «شكراً لكم».

في البداية، لم ينظر إلى «هاري»، لكنه سار تجاه مَجثم الطائر بجوار الباب وأخرج من جيب عباءته «فاوكس» طائر العنقاء، وقد أصبح صغيراً وقبيحاً وبلا ريش على جسده، فوضعه برفق على صينية التراب الناعم تحت القائم الذهبي الذي يقف عليه «فاوكس» في العادة.

قال «دمبلدور» أخيراً بعد أن التفت بعيداً عن الطائر الرضيع: «هاري، سيسرك سماع أنه ما من أحد من رفاقك من الطلبة قد أصيب بضرر ناتج عن أحداث الليلة».

حاول «هاري» أن يقول: «جيد» لكن لم يخرج منه صوت. بدا له أن «دمبلدور» يذكره بالدمار الذي تسبب فيه، وبالرغم من أنه قد نظر إليه مباشرة، وبالرغم من تعبير وجهه الرقيق البعيد عن الاتهام، فلم يقدر «هاري» على مبادلته النظرات.

قال «دمبلدور»: «مدام بومفري تعالج الجميع. ربما تحتاج نيمفادورا تونكس إلى قضاء بعض الوقت في سانت مونجو، لكنها ستتعافى وتصبح كما كانت».

شغل «هاري» نفسه بالإيماء وعيناه ناظرتان إلى البساط، الذي أخذ لونه في الإشراق مع ظهور تباشير الفجر بالخارج. كان واثقاً من أن كل شاغلي اللوحات بالحجرة ينصتون إلى كل كلمة ينطقها «دمبلدور»، متسائلين أين كان «دمبلدور» و«هاري»، ولماذا وقعت إصابات؟!

قال «دمبلدور» بهدوء بالغ: «أعرف بما تشعر يا هاري».

قال «هاري» وقد أصبح صوته مرتفعاً وقوياً فجأة، والغضب الحار يحترق داخله: «لا، لا تعرف». وسط إحساسه بأن «دمبلدور» لا يعرف أي شيء عن شعوره.

قال «فينياس نيجيلوس» بمكر: «أرأيت يا دمبلدور؟ لا تحاول أبداً فهم الطلبة. إنهم يكرهون هذا ويودون لو تفهمهم خطأ ويتنحبون أسفاً على أنفسهم ويغرقون في...».

قال «دمبلدور»: «هذا يكفي يا فينياس».

أعطى «هاري» ظهره لـ«دمبلدور» ونظر خارج النافذة. رأى استاد «الكويدتش» على بعد. جاء «سيرياس» إلى هذا الملعب ذات مرة، متخفياً في هيئة كلب أسود كبير؛ حتى يرى «هاري» وهو يلعب... وعلى الأرجح جاء ليرى إن كان «هاري» يلعب بنفس مهارة «جيمس»... فلم يسأله أبداً ليعرف منه

وصله صوت «دمبلدور» وهو يقول: «ليس عليك الإحساس بالخجل مما تشعر به يا هاري. على النقيض، حقيقة أنك تشعر بكل هذا الألم هي مصدر قوتك الأكبر».

شعر «هاري» بالغضب الأعمى يعتمل داخله، ويحترق وسط فراغه الأسود، ويملأه بالرغبة في إيذاء «دمبلدور» على هدوئه وكلماته الخاوية.

قال «هاري» وصوته يرتجف وهو يحدق في ملعب «الكويدتش» من دون أن يراه: «قوتي الأكبر؟ أنت لا تعرف شيئاً... لا تعرف...».

سأله «دمبلدور» بهدوء: «ما الذي لا أعرفه؟».

كان هذا كثيراً. دار «هاري» على عقبيه؛ ليواجهه، وهو ينتفض من الغضب. «لا أريد الحديث عن إحساسي، مفهوم؟».

«هاري، المعاناة دليل على أنك إنسان حقيقي. هذا الألم جزء من إنسانيتنا».

قال «هاري» بصوت كالرعد: «إذن - لا - أريد - أن - أكون - إنساناً». وهو يقبض على إحدى الآلات الفضية المعقدة من فوق المائدة المستقرة إلى جواره ويرمي بها بطول الحجرة. انكسرت إلى مائة قطعة صغيرة على الجدار. أطلق بعض شاغلي اللوحات صيحات الغضب والخوف، وقال «أرماندو ديبيت» من لوحته: «لا يمكن!».

صاح «هاري» فيهم ممسكاً بآلة أخرى ملقياً بها في المدفأة: «أنا لا يهمني. لقد نلت كفايتي، رأيت ما يكفيني. أريد الخروج. أريد لكل هذه المعاناة أن تنتهي. لم أعد أهتم...».

أمسك بالمائدة التي كان عليها الآلة الفضية وألقى بها هي الأخرى. تحطمت على الأرض وأخذت أرجلها تتدحرج في كل الاتجاهات.

قال «دمبلدور»: «أنت تهتم». لم تطرف عيناه أو يتحرك أقل حركة محاولاً منع «هاري» من تدمير مكتبه. كان تعبير وجهه هادئاً، وكأنه لا يعنيه أياً مما يجري. أضاف: «أنت تهتم كثيراً، لدرجة أنك تكاد تنزف ألماً حتى الموت من إحساسك بما يجري».

صرخ «هاري» بصوت كادت حنجرته معه تتمزق: «أنا لا أبالي»... وللحظة ود لو يجري ناحية «دمبلدور» ويحطمه هو الآخر؛ يحطم هذا الوجه الهادئ العجوز، يهزه، يؤذيه، يجعله يشعر بجزء صغير من الرعب المعتمل داخله.

قال «دمبلدور» بهدوء أكثر: «بل تهتم. لقد خسرت أمك، وأباك، وأقرب شخص إليك بعد والديك. بالطبع تهتم».

صرخ «هاري»: «أنت لا تعرف ما أشعر به. أنت... وأنت واقف هكذا. أنت...». لكن الكلمات لم تعد كافية، وتحطيم الأشياء لا يساعده. أراد الجري، أراد الجري من دون أن ينظر خلفه أبداً. أراد أن يبتعد عن هنا قدر الإمكان ولا يرى هذه العيون الزرقاء الصافية ترنو إليه، وهذا الوجه العجوز الهادئ الكريه. دار على عقبيه وجرى ناحية الباب، وأمسك بمقبضه ثانية وأداره.

لكن الباب لم ينفتح.

التفت «هاري» إلى «دمبلدور».

قال مرتجفًا من قمة رأسه حتى أخمص قدميه: «دعني أخرج».

قال «دمبلدور» ببساطة: «لا». للحظات، تبادلا النظرات.

قال «هاري» ثانية: «دعني أخرج».

قال «دمبلدور»: «لا».

«إن لم تخرجني.. إن أبقيتني هنا.. إن لم أخرج..».

قال «دمبلدور» بهدوء: «استمر في تدمير حاجياتي.. فعندي الكثير منها».

دار حول المكتب وجلس خلفه، وأخذ يراقب «هاري».

قال «هاري» ثانية بصوت هادئ قريب من هدوء صوت «دمبلدور»: «دعني أخرج».

قال «دمبلدور»: «ليس قبل أن أقول ما عندي».

صاح «هاري» ثانية: «حقًا؟ هل تعتقد أنني أريد السماع؟ هل تعتقد أن هذا يهمني بالمرة؟ لا يهمني ما تريد قوله.. لا أريد سماع أي شيء تريد قوله».

قال «دمبلدور» بثبات: «بل تفعل؛ لأنك لست غاضبًا مني كما يجب أن تغضب. إن هاجمتني - كما أعرف أنك كنت على وشك فعل هذا - فإنني سأستحق هذا بجدارة».

«عمَّ تتحدث؟».

قال «دمبلدور» بصفاء: «أنا سبب في موت سيرياس.. أو دعني أقول إنني السبب الأهم في موته تقريبًا.. لن أقول بعجرفة إنني المسئول الوحيد. كان سيرياس شجاعًا، وماهرًا ونشيطًا، ومثل هؤلاء الرجال لا يرضيهم الجلوس بالبيت مختبئين، بينما يرون الآخرين في خطر. وليس عليك أن تعتقد للحظة بأن ذهابك إلى مصلحة الألغاز والغوامض الليلة كان خطأك يا هاري. إن كنت صريحًا معك كما ينبغي، لعرفت منذ زمن طويل أن فولدمورت قد يحاول استدراجك إلى مصلحة الغوامض، ولعرفت أن حلمك الأخير كان فخًا قد نصبه. وما كان سيرياس ليسعى خلفك. اللوم عليّ وحدي، أنا السبب».

كان «هاري» ما زال واقفًا ممسكًا بمقبض الباب، لكنه غير واعٍ بما يفعله. أخذ يحدّق في «دمبلدور»، وهو لا يكاد يتنفس، وينصت إلى كلامه وهو لا يكاد يفهم ما يسمعه.

قال «دمبلدور»: «اجلس من فضلك». لم يكن هذا أمرًا.. بل طلب.

تردد «هاري» قليلًا، ثم سار ببطء عبر الحجرة التي أخذت شظايا الخشب والفضة تلمع فيها، وجلس في مواجهة مكتب «دمبلدور».

قال «فينياس نيجيلوس» ببطء إلى يسار «هاري»: «هل أفهم من هنا أن حفيد حفيدي - آخر آل بلاك - قد مات؟».

قال «دمبلدور»: «أجل يا فينياس».

قال «فينياس» بفظاظة: «لا أصدق».

أدار «هاري» رأسه؛ ليرى «فينياس» يخرج من لوحته وعرف أنه ذهب؛ ليزور لوحته الأخرى في «جريمولد بليس». لعله سيتنقل من لوحة إلى أخرى مناديًا على «سيرياس» في المنزل.

قال «دمبلدور»: «هاري.. أنا مدين لك بالتفسير.. تفسير لغلطة رجل عجوز؛ لأنني الآن أرى بوضوح ما فعلته، وما لم أفعله، فيما يتعلق بك. وكل ما جرى؛ لأنني بلغت من العمر أرذله. الشباب لا يعرفون كيف يفكر العجائز وبم يشعرون. لكنَّ الرجال المسنينَ يشعرون بالذنب إن نسوا كيف حال الشباب وكيف يفكرون.. ويبدو أنني قد نسيت..».

ارتفع قرص الشمس في السماء، وظهر شريط برتقالي رفيع من فوق الجبال، والسماء من فوقه زرقاء وصافية. سقط الضوء على «دمبلدور»، وعلى حاجبيه ولحيته الفضية، وعلى الخطوط والتجاعيد العميقة في وجهه.

قال «دمبلدور»: «أعتقد أنه منذ خمسة عشر عامًا، عندما رأيت الندبة على جبينك، أنني عرفت معناها. حسبت أنها علامة على علاقة بينك وبين فولدمورت».

قال «هاري» بفظاظة: «قلت لي هذا من قبل يا أستاذ». لم يكترث لوقاحته. لم يعد يبالي بأي شيء.

قال «دمبلدور» بلهجة المعتذر: «أجل.. أجل، لكن كما ترى.. من الضروري أن أبدأ الكلام بندبتك؛ لأنه اتضح بعد انضمامك لعالم السحر بقليل أنني على حق، وأن ندبتك تحذرك عندما يقترب فولدمورت منك، أو عندما يشعر بمشاعر قوية».

قال «هاري» بتعب: «أعرف».

«وهذه القدرة.. قدرتك على المعرفة بوجود فولدمورت، حتى إن تنكر، وأن تعرف مشاعره.. أصبحت أقوى، عندما عاد فولدمورت إلى جسده، وعادت قوته بأكملها إليه».

لم يحاول «هاري» حتى الإيماء.. كان يعرف كل هذا بالفعل.

قال «دمبلدور»: «مؤخراً، تركز اهتمامى على ما إذا كان ڤولدمورت يعرف بهذه الصلة أم لا. اقتربت أنت بعدها من عقله ومن أفكاره فأحس بوجودك داخله. أنا أتكلم بالطبع عن ليلة رؤيتك للهجوم الذى وقع على السيد ويسلى».

غمغم «هارى»: «أجل، أخبرنى سناب بهذا».

صححه «دمبلدور» بهدوء: «الأستاذ سناب يا هارى.. لكن، ألم تتساءل لماذا لم أشرح لك الأمر بنفسى؟ لماذا لم أعلمك بنفسى الأوكلومينسى؟ لماذا لم أنظر إليك طوال شهور عديدة؟».

رفع «هارى» بصره، أدرك أن «دمبلدور» حزين ومتعب. غمغم قائلاً: «أجل، تساءلت عن كل هذا».

استطرد «دمبلدور» قائلاً: «عرفت أنه لن يمر وقت طويل قبل أن يحاول ڤولدمورت اقتحام عقلك، واستغلالك وتوجيه أفكارك فى الاتجاه الخطأ، ولم أتلهف على إعطائه حافزاً أكبر على هذا. كنت واثقاً من أنه لو عرف بالعلاقة التى بيننا، وأنها أقرب من علاقة الناظر بالتلميذ، فإنه سيستغل الفرصة ويستعين بك فى التجسس علىّ. خشيت من إمكان محاولته السيطرة عليك. هارى، أعتقد أننى كنت محقاً فى ظنى أن ڤولدمورت قد يستغلك بهذه الطريقة. وفى المرات القليلة التى اقتربنا فيها من بعضنا، أنا وأنت، رأيت ظله جاثماً خلف عينيك...».

تذكر «هارى» كيف شعر بالثعبان يهب داخله ويستعد للدغ، فى اللحظات التى يبادل فيها «دمبلدور» النظرات.

«إن غاية ڤولدمورت من الاستحواذ عليك قد ظهرت الليلة، وهى ليست تدميرى، بل تدميرك أنت. لقد تمنّى عندما استحوذ عليك منذ فترة وجيزة أن أضحى بك أملاً فى قتله. لذا فكما ترى، فقد حاولت إبعاد نفسي عنك؛ لحمايتك يا هارى. ويالها من غلطة رجل عجوز...».

تنهد بعمق. ترك «هارى» الكلمات تغمره. كان ليهتم كثيراً بمعرفة كل هذا منذ شهور قليلة. لكن الآن، فهى معلومات بلا قيمة مقابل الفجوة الهائلة التى بداخله، بعد أن خسر «سيريوس».. لا شىء منها يهمه.

«لقد قال لى سيريوس إنك شعرت بڤولدمورت داخلك ليلة حادث آرثر ويسلى. عرفت على الفور أن أسوأ مخاوفى حقيقة؛ أن ڤولدمورت قد أدرك قدرته على استغلالك. وفى محاولة لحمايتك من هجوم ڤولدمورت على عقلك، رتبت دروسك للأوكلومينسى مع الأستاذ سناب».

سكت عن الكلام. راقب «هارى» نور الشمس، الذى تسلل بنعومة إلى سطح مكتب «دمبلدور» المصقول، ليضىء قنينة حبر فضية أنيقة وريشة كتابة حمراء. عرف أن كل اللوحات من حولهما قد أفاقت من نومها وأخذت تنصت باهتمام لتفسير «دمبلدور». سمع حركة العباءات الخافتة، والسعال الواهن القادم منهم. لم يعد «فينياس نيجيلوس» بعد إلى لوحته.

أكمل «دمبلدور» كلامه قائلاً: «اكتشف الأستاذ سناب أنك تحلم بباب مصلحة الألغاز والغوامض لشهور. وكان ڤولدمورت تستحوذ عليه فكرة سماع النبوءة منذ استعاد جسده، وأخذ يدور حول الباب، كما فعلت أنت، وإن لم يتمكن من معرفة معناها.

ثم رأيت روكوود، الذى يعمل فى مصلحة الألغاز والغوامض، قبل اعتقاله، رأيته وهو يخبر ڤولدمورت بما نعرفه منذ زمان.. أن نبوءات وزارة السحر عليها حراسة مشددة، وأن من تتعلق به النبوءة هو فقط القادر على رفعها من فوق الرف من دون أن يمسه الجنون.. فى هذه الحالة، كان على ڤولدمورت نفسه أن يدخل إلى وزارة السحر، ويخاطر بكشف نفسه.. أو يجعلك تأخذها له. وأصبح وقتها إتقانك الأوكلومينسى شديد الأهمية».

غمغم «هارى»: «لكننى لم أتقنه». قال كلمته بصوت مرتفع؛ محاولاً التخفيف عن إحساسه بالذنب.. فالاعتراف يخفف من الضغط الهائل الذى يعتصر قلبه.. أضاف: «لم أتمرن، لم أهتم بالتمرين، كان بإمكانى منع هذه الأحلام عنى، وداومت هيرميون على إخبارى بهذا، إن كنت فعلت، ما كان ليريني أين أذهب.. وما كان سيريوس لـ... لـ...».

ظهر شىء جديد داخل رأس «هارى»: حاجته لتبرير ما جرى؛ للشرح.

«حاولت معرفة إن كان سيريوس قد خرج من البيت بالفعل، وذهبت إلى مكتب أمبريدج، وتحدثت إلى كريتشر فى المدفأة وقال لى إن سيريوس ليس بالمنزل، وأنه خرج».

قال «دمبلدور» بهدوء: «كذب كريتشر. أنت لست سيده، ويمكنه الكذب عليك من دون الحاجة لعقاب نفسه. أراد كريتشر لك أن تذهب إلى وزارة السحر».

«هل.. هل قصد هذا؟».

«أجل. فكريتشر ـ وكما خشيت ـ يخدم أكثر من سيد واحد منذ شهور».

قال «هارى»: «كيف؟ إنه لم يغادر جريمولد بليس منذ سنوات».

قال «دمبلدور»: «انتهز كريتشر الفرصة قبل أعياد الميلاد بقليل، عندما صاح فيه سيرياس: اخرج. أخذ كلمات سيرياس وفسرها عن عمد منه بأن عليه الخروج من المنزل. ذهب إلى عضو عائلة بلاك الوحيدة التى يحترمها. ابنة عم سيرياس. نارسيسا، وهى أخت بيلاتريكس وزوجة لوكياس مالفوى».

قال «هارى» وقلبه يخفق بسرعة شديدة: «كيف عرفت كل هذا؟» أحس بالغثيان. تذكر قلقه على غياب «كريتشر» وقت أعياد الميلاد، وتذكر ظهوره المفاجئ.

قال «دمبلدور»: «أخبرنى كريتشر بهذا ليلة أمس. عندما حذرت أنت الأستاذ سناب، أدرك أنك قد حلمت بسيرياس محبوسًا فى مصلحة الألغاز والغوامض، وهو - مثله مثلك - حاول الاتصال بسيرياس على الفور. وعلىّ أن أقول لك إن عند أعضاء جماعة العنقاء وسائل اتصال أكثر أمنًا من مدفأة دولوريس أمبريدج. وجد سناب سيرياس حيًا وآمنًا فى جريمولد بليس.

لكن، عندما لم تعد من رحلتك داخل الغابة مع دولوريس أمبريدج، شعر الأستاذ سناب بالقلق من أنك ربما ما زلت تعتقد أن سناب أسير اللورد فولدمورت. وقام بتحذير بعض أعضاء الجماعة على الفور».

تنهد «دمبلدور» بعمق، ثم أكمل: «ألستور مودى، ونيمفادورا تونكس، وكنجسلى شاكلبولت، وريموس لوبين، كانوا فى مقر الجماعة عندما قام بالاتصال، هبوا جميعًا لمساعدتك على الفور. طلب الأستاذ سناب من سيرياس أن يبقى، فهو بحاجة إلى شخص بالمقر؛ ليخبرنى بما جرى؛ لأننى كنت سأصل إلى هناك فى أى لحظة. بينما قصد هو - الأستاذ سناب - البحث عنك فى الغابة.

«لكن سيرياس لم يرغب فى البقاء بينما الآخرون يهبون لمساعدتك. فوض لكريتشر مهمة إخبارى بما جرى. وهكذا عندما وصلت إلى جريمولد بليس بعد خروجهم للوزارة بقليل وجدت القزم الذى أخبرنى - وهو يضحك حتى كاد يتفجر من الضحك - أن سيرياس قد خرج».

قال «هارى» بصوت خاوٍ: «هل كان يضحك؟».

قال «دمبلدور»: «أجل. كريتشر لا يقدر على خيانتنا كلية. إنه ليس أمين سر الجماعة، ولم يتمكن من إعطاء مالفوى عنواننا، أو إخباره بأى من خطط الجماعة السرية التى منعناه من إفشائها. فهو مجبر على الطاعة كبنى

جلدته جميعًا، وهو ما يعنى أنه لا يقدر على مخالفة أمر من سيده بطريقة مباشرة. لكنه أعطى نارسيسا معلومات قيِّمة جدًا فى صالح فولدمورت، وإن كانت تبدو تافهة لسيرياس فلم يمنعه من إفشائها». قال «هارى»: «مثل ماذا؟».

قال «دمبلدور» بهدوء: «مثل حقيقة أن أكثر شخص يهتم به سيرياس فى العالم هو أنت.. وحقيقة أنك ترى سيرياس كمزيج من الأب والأخ. كان فولدمورت يعرف بالفعل أن سيرياس عضو فى الجماعة، وأنك تعرف بمكانه. لكن معلومات كريتشر جعلته يدرك أن الشخص الوحيد الذى ستفعل أى شىء فى سبيل إنقاذه هو سيرياس بلاك».

شعر «هارى» بشفتيه باردتين ومخدرتين.

«وهكذا، عندما سألت كريتشر إن كان سيرياس موجودًا ليلة أمس..».

قاطعه «دمبلدور» قائلاً: «بالطبع أمر مالفوى كريتشر - بناء على تعليمات فولدمورت - بأن يجد طريقة؛ لإبقاء سيرياس بعيدًا عنك حالما ترى الحلم الذى يتعذب فيه. ثم وإن قررت التحقق من وجود سيرياس فى البيت يتظاهر كريتشر بأنه ليس موجودًا. قام كريتشر بجرح باكبيك بالأمس، ولحظة ظهورك فى المدفأة كان سيرياس بالأعلى يداويه».

شعر «هارى» بالهواء قليلاً فى رئتيه، وأصبح تنفسه سريعًا.

قال بصوت أجش: «وأخبرك كريتشر بكل هذا.. ثم ضحك؟».

قال «دمبلدور»: «لم يرغب فى إخبارى. لكننى أجيد فن الليجيليمنسى وأعرف عندما يكذب من يكلمنى و.. وأقنعته بإخبارى القصة كاملة، قبل أن أغادره متجهًا إلى مصلحة الغوامض».

همس «هارى» قائلاً: «وكانت هيرميون تقول إن علينا معاملته بلطف..». وقبضته مكورة وباردة على ركبته.

قال «دمبلدور»: «كانت محقة يا هارى. لقد حذرت سيرياس عندما قررنا اتخاذ منزله مقرًا للجماعة من سوء معاملته لكريتشر، ومدى خطورة هذا علينا. لا أعتقد أنه قد أخذ كلامى على محمل الجد، أو لعله لم ير كريتشر ككائن شبيه بالبشر..».

«إياك. إياك والكلام من.. عن.. سيرياس بهذه الطريـ..». صار تنفس

«هاري» صعبًا، وأحس بكلماته تختنق وغضبه الذي تنحى عنه قليلاً عاود الاضطرام داخله. لن يترك «دمبلدور» ينتقد «سيرياس». «كريتشر يكذب.. غبي.. إنه يستحق الـ..».

قال «دمبلدور»: «كريتشر هو صنيعة السحرة. أجل، لا بد أن نعطف عليه. إن وجوده في الحياة بائس مثل وجود صديقك دوبي. لقد أجبر على خدمة سيرياس؛ لأن سيرياس كان آخر أعضاء العائلة التي أصبح عبدًا لها، لكنه لم يشعر بولاء حقيقي له. وأيًا كانت أخطاء كريتشر، فلا بد من الاعتراف بأن سيرياس لم يفعل شيئًا ليحسن من وضع كريتشر..».

صاح «هاري»: «لا تتكلم عن سيرياس بهذه الطريقة».

هب واقفًا ثانية، والغضب قد تملكه، مستعداً للهجوم على «دمبلدور»، الذي بدا له أنه لا يفهم «سيرياس» بالمرة، وكيف كان شجاعًا، وكيف عانى.

قال «هاري»: «وماذا عن سناب؟ أنت لا تتحدث عنه، أليس كذلك؟ عندما قلت له إن فولدمورت قد وصل إلى سيرياس نظر إليّ بسخريته المعتادة..».

قال «دمبلدور» بثبات: «هاري، أنت تعرف أن الأستاذ سناب لم يقدر سوى على التظاهر بأنه لا يأخذ كلامك على محمل الجد أمام دولوريس أمبريدج.. لكن وكما شرحت لك، فقد أخبر الجماعة بسرعة بما قلته أنت. وكان هو من استنتج مكانك عندما لم تعد من الغابة، وكان هو أيضًا من أعطى الأستاذة أمبريدج فيريتاسيرام مزيفًا عندما حاولت إجبارك على إخبارها بمكان سيرياس».

تناسى «هاري» هذا. شعر بمتعة جامحة في لوم «سناب»، بدا له هذا أسهل من تحمل الذنب الرهيب، وأراد أن يسمع «دمبلدور» يوافقه على رأيه.

«لقد.. لقد سخر سناب من بقاء سيرياس بالمنزل.. وجعله يشعر بأنه جبان..».

قال «دمبلدور»: «كان سيرياس بالغًا وماهراً بما يكفي، بدرجة لا تسمح لهذه المضايقات بإيلامه..».

قال «هاري»: «كف سناب عن إعطائي دروس الأوكلومينسي.. لقد طردني من مكتبه».

قال «دمبلدور»: «أعرف هذا، قلت لك بالفعل إن خطئي أنني لم أعلمك بنفسي، وإن كنت واثقًا وقتها أن لا شيء أكثر خطورة علينا من فتح عقلي أمامك، بينما فولدمورت يستشعر وجودي..».

«كان الأمر مع سناب أسوأ.. كانت ندبتي تؤلمني كثيراً بعد كل درس معه..».

تذكر «هاري» أفكار «رون» حول الموضوع وأكمل: «.. كيف تعرف إن لم يكن يحاول تجهيزي وتسهيل اختراق فولدمورت لعقلي؟».

قال «دمبلدور» ببساطة: «أنا أثق في سيفيراس سناب.. لكنني نسيت.. إنها غلطة رجل عجوز أخرى.. إن بعض الجراح أعمق من أن تلتئم. حسبت الأستاذ سناب قد تغلب على مشاعره ناحية أبيك، لكنني كنت مخطئًا».

صاح «هاري»: «لكن لا بأس بهذا.. أليس كذلك؟ لا بأس في أن يكره سناب والدي، لكن ليس من حق سيرياس أن يكره كريتشر؟»، متجاهلاً الوجوه المندهشة المستنكرة التي تطل عليه من اللوحات بطول الجدران.

قال «دمبلدور»: «إن سيرياس لم يكره كريتشر.. بل رآه كخادم لا يستحق الاهتمام أو المراعاة. إن التجاهل يكون في العادة أخطر من الكراهية الصريحة.. النافورة التي حطمناها الليلة ليست أكثر من كذبة. نحن السحرة نسيء معاملة رفاقنا وأصدقائنا منذ زمن بعيد، والآن نحصد ما زرعناه».

صاح «هاري»: «إذن، فسيرياس يستحق ما جرى له.. أليس كذلك؟».

رد «دمبلدور» بهدوء قائلاً: «لم أقل هذا، ولن تسمعني أقول هذا أبدًا.. لم يكن سيرياس بالرجل القاسي، وهو ودود مع الأقزام بصفة عامة. لكنه لم يحب كريتشر؛ لأن كريتشر يذكره ببيت آل بلاك الذي يكرهه».

قال «هاري» مديرًا ظهره لـ«دمبلدور» وهو يسير مبتعدًا عنه: «أجل، كان يكرهه».. سطعت الشمس داخل الحجرة وتابعته عيون شاغلي اللوحات، وإن لم يدرك ما يفعله، ولا رأى المكتب من حوله وهو يقول: «لقد جعلته يبقى بالمنزل محبوسًا به وهو يكرهه، ولهذا أراد الخروج ليلة أمس..».

قال «دمبلدور» بهدوء: «كنت أحاول الإبقاء على حياة سيرياس».

قال «هاري» بغيظ شديد ملتفتًا إليه: «الناس لا يحبون البقاء مقيدين.. لقد فعلت هذا بي الصيف الماضي..».

أغمض «دمبلدور» عينيه ودفن وجهه بين أصابعه الطويلة. راقبه «هاري»، لكن علامة التعب، أو الحزن، أو أيًا كانت، التي بدرت من «دمبلدور» لم تخفف من غضبه. على النقيض، شعر بغضب أقوى من إظهار «دمبلدور» لعلامات الضعف. لا يجب أن يشعر بالضعف عندما يغضب «هاري» ويهاجمه هكذا.

أنزل «دمبلدور» يديه ونظر إلى «هاري» من فوق نظارته.

قال أخيراً: «حان الوقت لقول ما كان يجب أن أخبرك به منذ خمسة أعوام يا هاري. اجلس من فضلك. سأخبرك بكل شيء. وأطالبك ببعض الصبر ستحصل على فرصة الغضب مني، وفعل ما تشاؤه، عندما أنتهي من حكايتي، لن أمنعك من شيء».

حدجه «هاري» بنظره للحظة، ثم استلقى على المقعد المواجه لـ«دمبلدور» وانتظر.

نظر «دمبلدور» للحظة إلى الأرض المغمورة بالشمس خارج النافذة، ثم عاود النظر إلى «هاري» قائلاً: «منذ خمس سنوات وصلت أنت إلى هوجورتس يا هاري، وصلت آمناً وسليماً، كما خططت وقصدت أنا. لم تكن سليماً جداً، فقد عانيت. عرفت أنك ستعاني عندما تركتك أمام باب خالتك وزوجها. عرفت أنني مدان بمسئوليتي عن قضائك عشر سنوات سوداء وصعبة».

سكت عن الكلام، لم ينطق «هاري».

«ربما تسأل - ولك كل الحق في السؤال - لماذا سارت الأمور هكذا؟ لماذا لم تتبناك عائلة من عائلات السحرة؟ كان الكثيرون ليفعلوا هذا بكل سرور، وكانوا ليشرفوا ويسعدوا بأن تكون ابنهم.

«إجابتي هي أن الأولوية عندي كانت إبقاءك على قيد الحياة. كنت في خطر لم يدركه أحد سواي. كان فولدمورت قد انهزم منذ ساعات، لكنْ مساندوه - والكثيرون منهم شرهم يقارب شره - كانوا أحراراً، وغاضبين، ويملؤهم اليأس والعنف. وكان عليّ اتخاذ قرار فيما يتعلق بالسنوات التالية. هل كنت أعتقد أن فولدمورت قد هلك إلى الأبد؟ لا. عرفت أن عشراً أو اثنتي عشرة أو حتى خمس عشرة سنة قد تمر قبل أن يعود، لكنني كنت واثقاً من عودته، وكنت واثقاً أيضاً - لمعرفتي له عن قرب - أنه لن يرتاح حتى يقتلك.

«كنت أدرك أن معرفة فولدمورت بفنون السحر أوسع من معرفة أي ساحر في العالم، وحتى أشد تعاويذي الحامية الدفاعية تعقيداً وقوة لن تقاومه إن عاد إلى كامل قوته.

«لكنني كنت أعرف أيضاً نقطة ضعف فولدمورت، وهكذا اتخذت قراري: قراراً بحمايتك بنوع قديم غابر من السحر يعرفه هو، ويحتقره، ولطالما قلل من شأنه، فدفع الثمن. أنا أتحدث بالطبع عن حقيقة أن أمك قد ماتت وهي تحاول حمايتك، ولقد منحتك حماية استمرت معك قائمة ولم يتوقعها هو،

حماية تتدفق في شرايينك حتى اليوم؛ لذا فقد وثقت في دماء أمك، وأعطيتك لأختها، قريبتها الوحيدة الباقية على قيد الحياة».

قال «هاري» على الفور: «إنها لا تحبني، ولا تهتم بـ...».

قاطعه «دمبلدور» قائلاً: «لكنها أخذتك. ربما أخذتك كارهة وغاضبة وغير راغبة، لكنها أخذتك. وبفعلتها هذه، فقد ختمت على التعويذة التي وضعتها أنا عليك. لقد جعلت تضحية أمك رابطة الدم أقوى درع يمكنني منحه لك».

«ما زلت لا...».

«مادمت أنت في المكان الذي يسري فيه دم أمك، فلا يمكن لفولدمورت أن يمسك أو يضرك. لقد أهدر دمها، لكنه عاش في جسد أختها. صار دمها ملجأك. أنت بحاجة للعودة إلى هناك مرة في السنة، وطوال إقامتك هناك لا يمكنه إيذاؤك. تعرف خالتك هذا. شرحت لها ما فعلته في الرسالة التي تركتها معك على باب بيتها. تعرف أنها بسماحها لك بالإقامة في بيتها قد أبقت على حياتك مدة خمسة عشر عاماً».

قال «هاري»: «انتظر. انتظر لحظة...». استقام أكثر في جلسته ونظر إلى «دمبلدور».

«أنت من أرسل الرسالة العاوية. قلت لها أن تتذكر. كان هذا صوتك...».

قال «دمبلدور» وهو يميل برأسه قليلاً: «قلت لنفسي إنها ربما تحتاج إلى من يذكرها بالتعويذة التي ختمت عليها بأخذها لك. حسبت أن هجوم الديمنتورات قد يفزعها ويذكرها بمخاطر وجودك بمنزلها كابنها بالتبنِّي».

قال «هاري» بهدوء: «هذا ما حدث. في الواقع شعر زوجها بالفزع أكثر منها. أراد طردي. لكن بعد مجيء الرسالة العاوية، قالت إنه يجب أن أبقى».

نظر إلى الأرض لحظة، ثم قال: «لكن ما علاقة هذا بـ...».

لم يقدر على نطق اسم «سيرياس».

أكمل «دمبلدور» كلامه وكأن «هاري» لم يقاطعه: «منذ خمسة أعوام وصلت إلى هوجورتس، لم تكن سعيداً، ولم تبد عليك مظاهر النعمة، لكنك كنت على قيد الحياة، وبصحة جيدة. لم تكن أميراً ينتظره العرش، بل ولداً طبيعياً كما تمنيت وكما سمحت الظروف، وهكذا نجحت خطتي».

«ثم، تتذكر أحداث عامك الأول في هوجورتس مثلما أتذكرها. تصديت

بطريقة رائعة للتحدى الذى واجهك وبأسرع بكثير مما توقعت أنا. وجدت نفسك وجهاً لوجه مع ڤولدمورت، ونجوت منه. بل وفعلت ما هو أكثر من هذا. فلقد أخرت عودته إلى كامل قوته. قاتلت قتال الرجال. كنتُ فخوراً بك إلى درجة لا أقدر على التعبير عنها.

«لكن كان هناك عيب فى تلك الخطة الرائعة التى وضعتُها.. عيب عرفت ـ حتى وقتها ـ أنه قد يفسد كل شيء. لكن؛ لمعرفتى بأهمية نجاح خطتى، قلت لنفسى: إننى لن أسمح لهذا العيب بتدمير كل شيء. أنا فقط من كان بإمكانه التصدى لهذا العيب، لذا فأنا وحدى من كان عليه التمتع بالقوة الكافية لمواجهته. وكان اختبارى الأول وأنت راقد فى جناح المستشفى ضعيفاً بعد مواجهتك وصراعك مع ڤولدمورت».

قال «هارى»: «لا أفهم ما تقوله».

«ألا تتذكر عندما سألتنى وأنت راقد فى المستشفى: لماذا حاول ڤولدمورت قتلك وأنت طفل رضيع؟». أومأ «هارى» برأسه موافقاً.

«ألم يكن علىّ إخبارك بالسبب وقتها؟».

نظر «هارى» إلى العينين الزرقاوين ولم ينطق، لكن قلبه أخذ يخفق بسرعة ثانية.

«أنت لم تر عيب خطتى بعد؟ لا.. ربما لا.. المهم، كما تعرف قررت ألا أجيبك. قلت لنفسى إن سنك وقتها ـ أحد عشر عاماً ـ أصغر من أن تفهم فيه الوضع. لم أكن أنوى أبداً إخبارك وأنت فى سن الحادية عشرة. كانت هذه المعرفة ثقيلة وكبيرة على سنك وقتها.

«كان علىّ التعرف على علامات الخطر وقتها. كان علىّ سؤال نفسى لماذا لا أشعر بالانزعاج من أنك سألتنى السؤال الذى عرفت أنك ستسأله يوماً وسيتعين علىّ ساعتها إخبارك بالإجابة الرهيبة. كان علىّ معرفة أن سعادتى يومها منعتنى من إخبارك، وحسبت أنك صغير، صغير جداً».

«وهكذا دخلت عامك الثانى فى هوجورتس. وللمرة الثانية، تقابل التحديات التى لا يقدر السحرة البالغون على مواجهتها.. وللمرة الثانية، تتصرف بصورة تتجاوز أشد أحلامى تحليقاً فى الخيال. لكننى لم أجب عن سؤالك.. لماذا ترك ڤولدمورت تلك العلامة على جبهتك؟! ناقشنا مسألة الندبة وقتها.. أجل.. اقتربنا جداً جداً من الموضوع. لماذا لم أخبرك حينها بكل شيء؟

«كنت فى الثانية عشرة من عمرك وقتها، وهى سن لا تتحمل معها هذه المعلومات. سمحت لنفسى بتركك تغادر مكتبى ملطخاً بالدماء ومتعباً. لكن إن كنت شعرت وقتها بالقلق كما يجب، فربما كنت لأخبرك. لكن قلقى تراجع واختفى بسرعة حينها. كنت صغيراً، ولم أرغب فى إفساد إحساسك بالفرحة من نصرك ليلتها.

«أترى يا هارى؟ هل ترى عيب خطتى العبقرية الآن؟ لقد وقعت فى فخ لم أره، وأخذت أقول لنفسى إن علىّ تجنبه، علىّ تفاديه».

«لا أعرف...».

قال «دمبلدور» ببساطة: «كنت أهتم بشأنك إلى درجة مبالغ فيها. اهتممت بسعادتك أكثر من اهتمامى بإخبارك بالحقيقة؛ لأريح عقلك أكثر من إتقانى لخطتى كما يجب، أكثر من اهتمامى بحياتك وحياة الآخرين التى يمكن أن نخسرها لو فشلت الخطة. بمعنى آخر، تصرفت كما توقع منى ڤولدمورت أن أتصرف.

«هل أقدر على الدفاع عن نفسى؟ أنا أكثر من راقبك ورعاك، ولقد راقبتك عن قرب أكثر مما كنت أتخيل.. وأردت منع الألم عنك، منع الألم وأنت تعانى بالفعل مما يكفيك منه. لماذا أهتم بمقتل أشخاص ومخلوقات بلا أسماء ولا أعداد معروفة فى المستقبل؟ إن كنت فى الحاضر حياً ترزق وبحال جيدة، بل وسعيداً.. لم أرغب أبداً فى إيلامك.

«وهكذا دخلنا إلى العام الثالث. وراقبتك من بعيد وأنت تقاتل؛ لمنع الديمنتورات عنك، وأنت تعثر على سيريوس، وتعرف من هو وتنقذه. هل كان علىّ وقتها وأنت تنقذ أباك الروحى من بين أنياب الوزارة أن أخبرك؟ لكن وبعد أن وصلت لسن الثالثة عشرة نفدت منى الأعذار. كنت صغيراً، لكنك أثبتَّ جدارتك وخصوصيتك. لم يرتح ضميرى يا هارى. عرفت أن الوقت سيحين قريباً.

«لكنك خرجت من المتاهة العام الماضى بعد أن شاهدت سيدريك «ديجورى» وهو يموت، ونجوت من الموت بصعوبة.. ولم أرغب فى إخبارك، وإن كنت أعرف أن ڤولدمورت قد عاد، وأن علىّ فعل هذا بسرعة. والآن، الليلة، عرفت أنك كنت مستعداً لمعرفة الحقيقة التى أبقيتها مخفية عنك منذ فترة طويلة؛ لأنك أثبتّ أنه كان علىّ إلقاء العبء عليك قبل الآن. دفاعى الوحيد عن نفسى هو أننى راقبتك وأنت تقاتل وتحارب أهوالاً لم يقابلها أى من التلاميذ الذين تعلموا بهذه المدرسة، ولم أقدر على تحميلك بعبء آخر، أقصد أثقل عبء».

انتظر «هاري»، لكن «دمبلدور» لم يتكلم.

«ما زلت لا أفهم».

«حاول ڤولدمورت قتلك عندما كنت طفلاً؛ بسبب نبوءة ظهرت قبل مولدك بقليل. كان يعرف النبوءة، وإن لم يعرف فحواها. خرج؛ ليقتلك وأنت طفل رضيع، مؤمنًا بأنه يفعل ما تقوله النبوءة. لكنه كان مخطئًا وتحمل ثمن الخطأ. عندما أطلق لعنة قصد قتلك بها، فارتدت عليه. وهكذا، ومنذ عودته إلى جسده، وبصفة خاصة منذ هروبك الصعب العام الماضي، وهو مصمم على سماع النبوءة بأكملها. وهذا هو السلاح الذي يسعى إليه باجتهاد منذ عودته: معرفة كيف يدمرك».

أشرقت الشمس، غمرت أشعتها مكتب «دمبلدور». أخذت الحاوية الزجاجية المستقر داخلها سيف «جودريك جريفندور» تلمع، وبقايا الآلات التي حطمها «هاري» على الأرض تلمع وكأنها قطرات المطر. ومن خلفه، أخذ «فاوكس» الصغير ينعب بأصوات حادة في عشه الترابي.

قال «هاري» بذهن شارد: «لقد تحطمت النبوءة.. كنت أجذب نيفيل على الدرجات في حجرة.. حجرة القوس الحجرية، ومزقت عباءته فسقطت منه..».

«ما حطمته لم يكن أكثر من سجل بالنبوءة محفوظ في مصلحة الألغاز والغوامض، لكن النبوءة نفسها سمعها شخص ما، وهو قادر على تذكر كل حرف منها».

سأله «هاري» وهو يعرف الإجابة بالفعل: «ومن سمعها؟».

قال «دمبلدور»: «أنا.. ذات ليلة باردة ممطرة منذ ستة عشر عامًا، في حجرة فوق مقهى رأس الخنزير ذهبت إلى هناك؛ بحثًا عمن يشغل وظيفة مدرس التنجيم، ولم أكن راغبًا حتى في استمرار تدريس هذه المادة. لكن المتقدمة للوظيفة كانت حفيدة حفيدة عرافة شهيرة، وقلت لنفسي إنه من التهذيب أن أذهب؛ لمقابلتها. أصبت بالحسرة. لم أرَ فيها أدنى أثر لموهبة جدتها الكبرى. قلت لها بتهذيب شديد إنني لا أراها مناسبة للوظيفة. وأدرت ظهري لها؛ لأغادر».

نهض «دمبلدور» وسار إلى جوار «هاري» إلى الخزانة السوداء بجوار «فاوكس». مال لأسفل وفتح القفل وأخرج من داخلها حوضًا حجريًا ضحلاً، منحوتًا عليه نقوش قديمة على الحواف، وهو الحوض الذي رأى فيه «هاري» أباه وهو يعذب «سناب». عاد «دمبلدور» إلى المكتب، ووضع المفكرة السحرية عليه، ورفع عصاه السحرية إلى صدغه. ومنه سحب خيوطًا فضية ناعمة التصقت بالعصا، فوضعها في الحوض. جلس على كرسيه خلف المكتب

وراقبها وهي تدور وتسبح في المفكرة للحظة. ثم وهو يتنهد رفع عصاه السحرية والمادة الفضية على طرفها.

خرج منها ظل آنثوي، وعيناها تبدوان هائلتين من خلف عدسات عويناتها. وأخذت تدور ببطء، وقدماها على الحوض. لكن عندما تكلمت «سيبيل تريلاوني» لم تتكلم بصوتها الدرامي الغامض، لكن بصوت أجش لم يسمعه «هاري» منها من قبل:

«صاحب *القوة الكافية لهزيمة سيد الظلام يقترب.. سينجبه من تحدياه ثلاث مرات، ويولد مع موت الشهر السابع. وسوف يراه سيد الظلام ندًا له، لكنه سيحوز على قوى لا يعرفها سيد الظلام.. وسيموت أحدهما على يد الآخر؛ حيث لا يمكن لأحدهما أن يحيا والآخر حي.. صاحب القوة الكافية لهزيمة سيد الظلام سيولد مع موت الشهر السابع..*».

عادت الأستاذة «تريلاوني» وهي تدور إلى الحوض الفضي واختفت داخله. أصبح الصمت داخل المكتب مُطبقًا. لم يندّ عن «هاري» أو «دمبلدور» أو أي من اللوحات أي صوت. حتى «فاوكس» صمت.

قال «هاري» بهدوء بالغ: «أستاذ دمبلدور؟ ما.. ما.. ماذا تعني؟»، حيث أخذ «دمبلدور» يحدق في المفكرة السحرية وقد بدا غارقًا في أفكاره.

قال «دمبلدور»: «تعني أن الشخص الوحيد القادر على هزيمة لورد ڤولدمورت سيولد مع نهاية شهر يوليو، منذ ستة عشر عامًا تقريبًا. هذا الولد سيولد لأبوين تحديا ڤولدمورت ثلاث مرات».

شعر «هاري» بأن هناك ما يحاصره، وشعر بأنفاسه تخرج منه بصعوبة.

«هل هذا الكلام يشير إليّ.. أنا؟».

تفحصه «دمبلدور» ببصره للحظة من خلف عويناته.

قال برفق: «الغريب يا هاري أن النبوءة كان من الممكن ألا تعنيك بالمرة. نبوءة سيبيل كانت تنطبق على ولدين، وُلد كلاهما آخر شهر يوليو من ذلك العام، وكل منهما له أبوان في جماعة العنقاء، وكلاهما له أبوان تحديا ڤولدمورت ونجيا منه ثلاث مرات، بالطبع أولهما هو أنت، والثاني: نيفيل لونجبوتم».

«لكن.. لكن، لماذا اسمي على النبوءة وليس اسم نيفيل؟».

قال «دمبلدور»: «لقد تغير السجل الرسمي بعد هجوم ڤولدمورت عليك وأنت صغير. فقد اتضح وقتها لحافظ سجلات قاعة النبوءات أن ڤولدمورت حاول قتلك؛ لأنه يعرف أنك أنت من تقصده نبوءة سيبيل».

قال «هاري»: «إذن، فربما لا تقصدني النبوءة».

قال «دمبلدور» ببطء وكأن كل كلمة ينطق بها تكلفه الكثير من الجهد: «لا شك في أنك أنت من تقصده النبوءة».

«لكنك قلت إن... نيفيل قد ولد في آخر شهر يوليو، وإن أمه وأباه...».

«لقد نسيت الجزء التالي من النبوءة، الجزء الخاص بالولد الذي سيهزم فولدمورت. لقد عرف فيك فولدمورت نداً له. وهذا ما حدث يا هاري. لقد اختارك ولم يختر نيفيل. فمنحك الندبة التي ثبت أنها نعمة ونقمة في نفس الوقت».

قال «هاري»: «لكن، ربما اختار الشخص الخطأ».

قال «دمبلدور»: «لقد اختار من يراه خطراً عليه.. ولاحظ يا هاري أنه لم يختر الولد ذا الدم السحري النقي ـ وطبقاً لأنصاره، فإن هذا هو النوع الوحيد من السحرة المستحق للاحترام أو الاعتراف به كساحر ـ بل اختار الهجين، مثله. رأى فيك نفسه قبل حتى أن يراك، وعلمك بندبته، ولم يقتلك كما أراد، لكن أعطاك قوى رهيبة ومستقبلاً استطعت فيه أن تهرب منه ليس مرة واحدة، بل أربع مرات حتى الآن.. وهو الشيء الذي لم ينجح فيه أبواك أو والدا نيفيل».

قال «هاري»، وقد شعر بالغدر والبرد: «لماذا فعل هذا إذن؟ لماذا حاول قتلي وأنا طفل؟ كان عليه الانتظار؛ لمعرفة إن كنت أنا أم نيفيل الأخطر عليه عندما نكبر، ووقتها يقتل منا من يراه».

قال «دمبلدور»: «هذا بالطبع هو المسار العملي الذي كان عليه اتخاذه.. لكن معلومات فولدمورت عن النبوءة لم تكن كاملة.. فملهى رأس الخنزير الذي اختارته سيبيل للمقابلة؛ لأنه رخيص، يجذب منذ فترة طويلة زبائن أكثر إثارة للاهتمام من زبائن المقشات الثلاث. وكما عرفت أنت وأصدقاؤك، وكما عرفت أنا ليلتها، أنه ليس بالمكان الذي يمكن فيه الكلام من دون أن يتنصت عليك أحد. بالطبع لم أكن أعرف عندما خرجت لمقابلة سيبيل تريلاوني أنني سأسمع ما يستحق ألا يتنصت عليه أحد. ومن حسن حظنا، أن من تنصت علينا قد تم التعرف عليه قبل أن تكتمل تلاوة النبوءة وألقي بالخارج».

«إذن، فقد سمع فقط الـ...».

«سمع البداية، عن ولد يولد في آخر شهر يوليو لأبوين تحديا فولدمورت ثلاث مرات. بالتالي فلم يحذر سيده من أن الهجوم قد تنتقل معه قواه إليك،

بعد أن يراك نداً له. وهكذا فلم يعرف فولدمورت قط أنه قد يتعرض للخطر إن هاجمك، وأن من الحكمة الانتظار، ومعرفة المزيد. لم يكن يعرف أنك تتمتع بقوى لا يعرفها سيد الظلام».

قال «هاري» بصوت مختنق: «لكن هذا غير صحيح.. فأنا ليس عندي أية قوة لا يتمتع بها، ولا يمكنني قتاله كما قاتلته أنت الليلة، ولا أقدر على استحواذ الناس أو قتلهم».

قاطعه «دمبلدور» قائلاً: «هناك حجرة في مصلحة الألغاز والغوامض مغلقة طوال الوقت. وتحتوي على قوة أقوى وأكثر فظاعة من الموت، وأكثر من الذكاء البشري، ومن أية قوة طبيعية أخرى. إنها أيضاً أكثر الأشياء غموضاً من بين الأشياء الغامضة الموجودة بالمصلحة. تلك القوة الراقدة داخل الحجرة تملكها أنت بكميات كبيرة ولا يتمتع بها فولدمورت بالمرة. القوة التي جعلتك تنقذ سيرياس الليلة. القوة التي أنقذتك من استحواذ فولدمورت عليك؛ لأنه غير قادر على البقاء داخل جسد تملأه قوة يمقتها. في النهاية، لا يهم إن تمكنت من إغلاق عقلك أم لا. إن قلبك هو الذي أنقذك».

أغمض «هاري» عينيه. لو لم يكن قد ذهب لإنقاذ «سيرياس»، فما كان ليموت.. وليبعد لحظة تفكيره فيما جرى لـ«سيرياس»، فقد سأل ثانية من دون الاهتمام بمعرفة الإجابة: «ونهاية النبوءة.. كانت شيئاً من قبيل: لا يمكن لأحدهما أن يحيا...».

قال «دمبلدور»: «... والآخر حي».

قال «هاري» جالباً الكلمات مما بدا له كبئر يأس عميقة بداخله: «إذن، فهذا يعني أن أحدهما سيقتل الآخر.. في النهاية؟».

قال «دمبلدور»: «أجل».

لم يتكلما لفترة طويلة. من خلفهما وعند جدار المكتب، سمع «هاري» الأصوات.. التلاميذ يتوجهون إلى القاعة الكبرى؛ لتناول الإفطار. بدا من المستحيل أن هناك أشخاصاً في العالم يرغبون في تناول الطعام، ويضحكون، ولا يهتمون بمقتل «سيرياس بلاك». «سيرياس» الذي صار على مسافة ملايين الأميال، حتى وقتها كان هناك جزء من «هاري» يؤمن بأنه إن جذب الستار، فسوف يجد «سيرياس» يطل عليه من خلفه، ويحييه، وربما يضحك ضحكته القصيرة.

قال «دمبلدور» بتردد: «أنا مدين لك باعتراف آخر يا هارى.. ربما تتساءل لماذا لم أخترك رائداً للفصل؟ لأعترف بأننى قلت لنفسى: إن عليك ما يكفيك من مسئوليات، ولست بقادر على تحمل المزيد».

تطلع «هارى» إلى «دمبلدور»، فرأى دمعة تنحدر على وجهه، وإلى لحيته الفضية الطويلة.



٣٨ .. وتبدأ الحرب الثانية

الذى ـ لا ـ يجب ـ ذكر ـ اسمه يعود

فى تصريح خاص ليلة الجمعة، أكد السيد وزير السحر كورنيليوس فادج أن الذى لا يجب ذكر اسمه قد عاد إلى البلاد وعاود نشاطه القديم.

وقد صرح فادج مخاطبًا مراسلى الأخبار والصحفيين: «إننى وبكل أسف أؤكد أن الساحر الذى يسمى نفسه لورد... تعرفون من أعنى.. ما زال حيًا ويسعى بيننا. وبنفس الأسف، أعلن عن تمرد «ديمنتورات أزكابان» الذين أظهروا نفورهم من خدمة الوزارة. وقد بلغتنا معلومات أن الديمنتورات تأخذ تعليماتها حاليًا من لورد... ذلك الشىء».

«كما نوصى مجتمع السحرة بالحذر واليقظة. حاليًا تقوم الوزارة بطباعة كتيبات عن مبادئ الدفاع عن النفس والبيت، وسوف تسلمها إلى كل بيوت السحرة خلال الشهر القادم».

لاقى تصريح السيد الوزير الخوف والرعب من عامَّة مجتمع السحرة، الذين ـ وحتى الأربعاء الماضى ـ كانوا يتلقون تأكيدات الوزارة على أنه لا يوجد أية حقيقة فى الإشاعات القائلة بعودة الذى ـ تعرفونه.

ما زالت تفاصيل ما جرى لكى تغير الوزارة موقفها غامضة، وإن كان قد قيل: إن الذى لا يجب ذكر اسمه قد اقتحم وزارة السحر بنفسه ليلة الخميس ومعه جماعة من أتباعه (المعروفين باسم آكلة الموت).

ومن جهة أخرى، فإن ألبوس دمبلدور، الناظر المعاد حديثًا إلى مدرسة هوجورتس لتعليم الساحرات والسحرة، والعضو المعاد تعيينه فى الاتحاد الكونفدرالى الدولى للسحرة، والمعاد إلى منصبه كرئيس للويزنجاموت، لم نجده حتى الآن؛ لنحصل منه على تعليق. وكان قد أصرَّ ـ على مدى العام الماضى ـ أن الذى ـ تعرفونه لم يمت، كما أملنا وتمنينا جميعًا، لكنه يجمع الأتباع فى محاولة جديدة للوصول إلى السلطة. ومن جانب آخر، فإن «الولد الذى عاش...»

«ها أنت ذا يا هاري، كنت أعرف أنهم سيحشرونك في الموضوع بطريقة أو بأخرى» كانت هذه «هيرميون»، التي خاطبته وهي تنظر إليه من فوق طرف الجريدة.

كانوا في جناح المستشفى «هاري» جالس عند طرف فراش «رون» وكل منهما ينصت إلى «هيرميون» وهي تقرأ الصفحة الأولى من عدد يوم الأحد من «الدايلي بروفيت». كانت «جيني»، التي انكسر كاحلها وأصلحته مدام «بومفري» في ثانية واحدة، جالسة عند طرف فراش «هيرميون». و«نيفيل» الذي عاد أنفه إلى حجمه وشكله الطبيعيين كان جالسًا في مقعد بين الفراشين، و«لونا» التي جاءت للزيارة كانت قابضة على العدد الأخير من مجلة «كويبلر» وتقرأ فيه مقلوبًا، ومن الواضح أنها لا تسمع كلمة مما تقوله «هيرميون».

قال «رون» بغموض: «أصبح هاري (الولد الذي عاش) ثانية، أليس كذلك؟ وليس مجرد ولد مغرور نصاب، صح؟».

التهم بعض قطع شيكولاتة «فروج» من كومة موضوعة على المائدة المجاورة للفراش، وألقى ببعضها إلى «هاري» و«جيني» و«نيفيل»، ثم مزَّق غلاف القطعة التي تبقت معه بأسنانه. ما زالت هناك سحجات على جبينه من أهداب الأدمغة التي التفت حوله. وكما قالت مدام «بومفري»، فإن الأفكار تترك جروحًا أعمق من أي جروح، وإن كان هناك بعض التحسن في حالة إصاباته منذ أعطته زيت (دكتور أوبلي المغفل).

قالت «هيرميون» وهي تمسح الموضوع الصحفي بعينيها: «أجل، إنهم يمدحونك كثيرًا يا هاري.. صوت الحقيقة الوحيد، الذي رأوه غير متزن، لكنه لم يهتز ولم ينكر قصته قط، والذي تحمل ألم السخرية وتشويه سمعته.. هممم، ألاحظ أنهم لم يذكروا أنهم هم من سخروا وقللوا من شأنك».

أجفلت ووضعت يدها على ضلوعها. تسببت لعنة «دولوهوف»، التي كانت أخف من حالها لو كان قد نطقها بصوته الطبيعي، في ضرر كبير - كما قالت مدام «بومفري». اضطرت «هيرميون» لتناول عشر وصفات سحرية كل يوم، وأخذت تتحسن بسرعة، وإن كانت تشعر بالملل من المستشفى.

قالت ثانية وهي تكمل قراءة الجريدة: «*محاولة الذي تعرفونه للسيطرة على الوزارة، الصفحات من الثانية للرابعة. ما قالته لنا الوزارة، الصفحة الخامسة، لماذا لم ينصت أحد لألبوس دمبلدور، الصفحات من السادسة للثامنة، حوار مع هاري بوتر، الصفحة التاسعة*..». لملمت الجريدة وألقت بها جانبًا وهي تضيف:

«واضح أن ما حدث، أعطاهم الكثير ليكتبوا عنه، وذلك الحوار الخاص مع هاري ليس خاصًا، إنه الذي نشرته مجلة الكويبلر منذ شهور..».

قالت «لونا» بغموضها المعتاد وهي تقلب صفحات «الكويبلر»: «لقد باعه أبي لهم، وحصل على سعر مناسب جدًا له، سوف نذهب في حملة إلى السويد هذا الصيف، لمطاردة السنوركاك مجعد القرن».

بدا كأن «هيرميون» تجاهد نفسها لحظة، ثم قالت: «هذا جميل».

بادلت «جيني» «هاري» النظرات، ثم أشاحت بوجهها بسرعة وهي تبتسم.

قالت «هيرميون» وهي تستقيم في جلستها قليلاً وتجفل ثانية من الألم: «إذن، المهم، ماذا يحدث في المدرسة؟».

قالت «جيني»: «تخلص فليتويك من مستنقع فريد وجورج.. تخلص منه في ثلاث ثوانٍ، لكنه ترك بركة صغيرة منه تحت النافذة، ثم أحاطها بالحبال..».

قالت «هيرميون» في دهشة: «لماذا؟».

قالت «جيني» وهي تهز كتفيها: «يقول إنها خدعة سحرية جيدة».

قال «رون» وفمه مليء بالشيكولاتة: «أعتقد أنه تركها كتذكرة لفريد وجورج، لقد أرسلوا لي كل هذا كما تعرفون» أشار إلى كومة شيكولاتة «فروج» إلى جواره وأكمل: «لا بد أن العمل في متجر المقالب يسير بأحسن حال، صح؟».

بدا الامتعاض على وجه «هيرميون» وتساءلت: «إذن، فهل انتهت كل المشكلات مع عودة دمبلدور؟».

قال «نيفيل»: «أجل، عاد كل شيء إلى وضعه الطبيعي».

سأل «رون» وهو ينظر إلى كارت من كروت شيكولاتة «فروج» عليه «دمبلدور» ومعه إبريق ماء: «أعتقد أن فيلش سعيد، أليس كذلك؟».

قالت «جيني»: «بل إنه يشعر بتعاسة بالغة»، خفضت صوتها حتى صار هامسًا وهي تقول: «إنه يقول إن أمبريدج هي أفضل شخص دخل هوجورتس..».

أداروا رءوسهم جميعًا في اتجاه واحد. كانت الأستاذة «أمبريدج» راقدة في فراش مقابل لهم وهي تحدق في السقف. دخل «دمبلدور» وحده إلى الغابة لإنقاذها من «القناطير».. كيف أنقذها؟ وكيف خرج من بين الأشجار و«أمبريدج» معه من دون خدش واحد على وجهه؟ لا أحد يعرف، ولن تقول «أمبريدج» أبدًا. ومنذ عادت إلى القلعة - وعلى حد علم الجميع - لم تنطق بكلمة واحدة. لم يعرف أحد قط ماهية إصابتها. كان شعرها المصفف الأنيق الأشبه

بفراء الفترلن أشعث وغير مصفف وفيه قطع من الأغصان وأوراق الأشجار، لكن بخلاف هذا كانت سالمة.

همست «هيرميون» قائلة: «تقول مدام بومفري إنها في حالة صدمة».

قالت «جيني»: «بل هي عابسة حزينة».

قال «رون»: «أجل، فعلامات الحياة تبدو عليها إن فعلت هذا». ثم أصدر أصوات ضربات أرجل الخيل على الأرض، فهبت «أمبريدج» جالسة في الفراش ونظرت حولها بخوف.

قالت مدام «بومفري»: «هل هناك ما يسوء يا أستاذة؟»، وقد أطلت برأسها من باب مكتبها.

قالت «أمبريدج» وهي تعاود الرقاد على وسادتها: «لا.. لا.. لا بد أنني كنت أحلم..».

كتمت «هيرميون» و«جيني» ضحكاتهما في مفرش السرير.

قالت «هيرميون» وقد تراجعت ضحكاتها قليلاً: «بمناسبة القناطير.. من معلم التنجيم الآن؟ هل سيبقى فايرنز؟».

قال «هاري»: «عليه هذا.. فباقي القناطير لن يقبلوا بعودته.. أليس كذلك؟».

قالت «جيني»: «يبدو أنه سيقوم بالتدريس مع تريلاوني».

قال «رون» وهو يأكل رابع قطعة شيكولاتة: «أراهن أن «دمبلدور» يتمنى التخلص من تريلاوني للأبد.. والمشكلة أن فايرنز ليس أفضل منها بكثير..».

قالت «هيرميون»: «كيف تقول هذا؟ بعد أن عرفنا بأن نبوءاتها حقيقية؟».

أخذ قلب «هاري» يخفق بسرعة. لم يخبر «رون» أو «هيرميون» أو أيًا من الآخرين بفحوى النبوءة. أخبرهم «نيفيل» بأنها قد تحطمت، ولم يصحح «هاري» هذا الانطباع بعد. لم يكن مستعداً لتعبيرات وجوههم عندما يخبرهم بأنه سيكون قاتلاً أو ضحية، وأنه لا مهرب من هذا المصير.

قالت «هيرميون» بهدوء وهي تهز رأسها: «يحزنني تحطمها».

قال «رون»: «أجل، لكن على الأقل لم يعرف الذي - تعرفونه، علام تحتوي.. أين ستذهب؟». أضاف السؤال الأخير بدهشة وحسرة ناظراً إلى «هاري» وهو يقف.

قال «هاري»: «آ.. إلى كوخ هاجريد.. لقد عاد لتوه وكنت قد وعدته بالجلوس معه قليلاً وإخباره بحالكما».

قال «رون» بعبوس ناظراً من نافذة الحجرة إلى بقعة من السماء الزرقاء الصافية وراءها: «حسناً.. تمنيت لو جئنا معك».

قالت «هيرميون» و«هاري» يخرج من جناح المستشفى: «أبلغه سلامنا، وسله ماذا جرى لـ لصديقه الصغير».

لوّح لها «هاري» بيده: ليعلمها بأنه قد سمع وفهم ما قالته، ثم غادر المكان.

بدت القلعة بـالغة الهدوء يوم الأحد. خرج الجميع للشمس الساطعة، مستمتعين بنهاية الامتحانات وفكرة أن آخر أيام لهم في الفصل الدراسي غير مشغولة بعمل الواجب. سار «هاري» ببطء عبر الممر الخالي، وهو ينظر من النوافذ أثناء سيره. رأى بعض التلاميذ على المقشات فوق ملعب «الكويدتش» واثنان منهم يسبحان في البحيرة، ومعهما الحبار العملاق.

وجد من الصعوبة تقرير إن كان يريد البقاء مع الناس أم البقاء وحده.. كلما جلس مع صحبة ودّ الابتعاد عنهم، وكلما جلس وحده ودّ لو يجلس مع الناس. عقد العزم على زيارة «هاجريد»، فهو لم يتحدث إليه منذ عاد.

كان قد نزل آخر درجات السلم الرخامية إلى القاعة الأمامية عندما رأى «مالفوي» و«كراب» و«جويل» يخرجون من باب إلى اليمين، كان «هاري» يعرف أنه يُفضي إلى حجرة طلبة «سليذرين». تجمّد «هاري» في مكانه، وكذا فعل «مالفوي» والآخران. الأصوات الوحيدة المسموعة كانت صيحات وضحكات تسري إلى القاعة من الخارج عبر الأبواب المفتوحة.

نظر «مالفوي» حوله.. عرف «هاري» أنه يتحقق من عدم وجود مدرسين، ثم عاود النظر إليه وقال بصوت خفيض: «أنت ميت يا بوتر».

رفع «هاري» حاجبيه وقال: «غريبة.. لكنني ما زلت أسير على قدمي».

بدا «مالفوي» غاضباً أكثر من أي وقت رآه فيه «هاري» غاضباً.. وشعر بنوع من الرضاء من رؤيته لوجهه الشاحب الحاد القسمات وقد شوهه الغضب. قال «مالفوي» بصوت أعلى بقليل من الهمس: «ستدفع الثمن.. سأجعلك تدفع ثمن ما فعلته بأبي».

قال «هاري» بسخرية: «ياه.. لقد أخفتني فعلاً.. يبدو أن لورد فولدمورت ليس أكثر من نائم شهية بالنسبة إلى ثلاثتكم.. ما المشكلة؟». أضاف السؤال الأخير عندما رأى نظرة الهلع على وجه «مالفوي» و«كراب» و«جويل» عند ذكر الاسم.. ثم أكمل: «إنه صديق أبيك.. أليس كذلك؟ وأنت غير خائف منه طبعاً.. أم أنك خائف؟».

قال «مالفوي» وهو يتقدم من «هاري» ومن خلفه «كراب» و«جويل»: «أتعتقد أنك قوي يا بوتر؟ انتظر سأنال منك. لا يمكنك وضع أبي في السجن...».

قال «هاري»: «لكنني وضعته فعلاً في السجن».

قال «مالفوي» بهدوء: «لقد غادر الديمنتورات أزكابان. سيخرج أبي والآخرون في طرفة عين...».

قال «هاري»: «أجل، أتوقع هذا. لكن على الأقل يعرف الجميع الآن أنكم حثالة...».

طارت يد «مالفوي» إلى عصاه السحرية، لكن «هاري» كان أسرع منه، شهر عصاه قبل أن تصل أصابع «مالفوي» إلى جيب عباءته.

«بوتر».

رن الصوت في القاعة الأمامية. خرج «سناب» من عند درجات السلم المفضية إلى مكتبه وعندما رآه «هاري»، شعر بكم هائل من الكراهية يفوق أي شيء يشعر به تجاه «مالفوي»... مهما قال «دمبلدور»، فهو لن يغفر لـ«سناب» أبداً.. أبداً.

قال «سناب» بصوته البارد المعهود وهو يهرول مقترباً من الأربعة: «ماذا تفعل يا بوتر؟».

قال «هاري» بغيظ شديد: «أحاول تقرير نوع اللعنة التي سأصيب بها مالفوي يا سيدي». حدق فيه «سناب».

قال بسرعة: «أبعد هذه العصا على الفور.. مخصوم عشر نقاط من جريف...».

نظر «سناب» إلى الساعات الرملية العملاقة المعلقة على الجدران وابتسم ابتسامة ساخرة.

«آه.. أرى أنه لم تعد هناك نقاط باقية في ساعة جريفندور في هذه الحالة يا بوتر سأضطر إلى...».

«إضافة بعض النقاط؟».

كانت هذه هي الأستاذة «مكجونجال» التي أخذت تعرج صاعدة درجات السلم الحجرية الخارجية للقلعة. كانت تحمل حقيبتها في يد، وتتكئ على عصا في يدها الأخرى، لكن بخلاف هذا بدت بصحة جيدة.

قال «سناب» وهو يقترب منها: «أستاذة مكجونجال.. خرجت من سانت مونجو أخيراً!».

قالت الأستاذة «مكجونجال» وهي تخلع معطفها عنها: «أجل يا أستاذ سناب.. أنا في أفضل حال. أنتما.. كراب.. جويل...».

لوحت لهما؛ ليسرعا بالسير وهما يقتربان منها باديًا عليهما الارتباك.

قالت الأستاذة «مكجونجال» ملقية بحقيبتها في صدر «كراب»، وبمعطفها إلى «جويل»: «هذا.. اصعدا بهما إلى مكتبي». التفتا وسارا تجاه السلم الرخامي.

قالت الأستاذة «مكجونجال» ناظرة إلى الساعة الرملية على الحائط: «رائع، والآن، أعتقد أن بوتر وأصدقاءه يستحقون خمسين نقطة، لكل منهم، على تحذير العالم من عودة الذي - تعرفه. ما رأيك يا أستاذ سناب؟».

قال «سناب»: «ماذا؟» وإن كان «هاري» يعرف تمام المعرفة أنه سمع جيداً. أضاف: «آه.. طيب.. أعتقد...».

قالت الأستاذة «مكجونجال»: «وهكذا نعطي خمسين نقطة لبوتر، وخمسين لكل من الأخوين ويسلي، وخمسين للآنسة جرانجر». فتدفق شلال من حبات الياقوت لتملأ قاع الساعة وهي تتكلم، أضافت: «آه.. وخمسين نقطة للآنسة لوفجود». فزاد ارتفاع الياقوت الأزرق في ساعة «رافنكلو». أكملت: «والآن، أردت أنت خصم عشر نقاط من السيد بوتر، أليس كذلك يا أستاذ سناب؟ ها هم...».

نقصت ياقوتات «جريفندور» قليلاً، تاركة كمًا لا يُستهان به.

أكملت الأستاذة «مكجونجال» كلامها برشاقة: «بوتر، مالفوي، أعتقد أن عليكما الخروج في يوم رائع كهذا!».

لم يحتج «هاري» لسماع قولها مرتين. أعاد عصاه إلى عباءته وتوجه مباشرة إلى الأبواب الأمامية من دون نظرة ثانية إلى «سناب» أو «مالفوي».

غمرته الشمس الساطعة وهو يسير عبر المماشي العشبية تجاه كوخ «هاجريد». رأى التلاميذ راقدين على العشب يتحدثون، ويقرأون جريدة «الدايلي بروفيت» ويأكلون الحلوى، وينظرون إليه وهو يمر إلى جوارهم. نادى بعضهم عليه، ولوح له البعض الآخر، متلهفين على إظهار أنهم مثلهم مثل الجريدة قد قرروا أنه بطل. لم يقل «هاري» أي شيء لأي منهم. لم يكن يعرف كم يعرفون عما جرى طوال الأيام الثلاثة الماضية، لكنه قرر تفادي استجوابهم له، وفضّل أن يبقى الوضع هكذا.

ظن عندما طرق باب كوخ «هاجريد» أنه بالخارج، لكن «فانج» خرج إليه من خلف الكوخ وكاد يطرحه أرضًا وسط حماسه وترحيبه به. اتضح أن «هاجريد» كان يلتقط بعض النباتات من خلف كوخه.

قال مبتسماً و«هاري» يقترب من السور: «هل أنت بخير يا هاري؟ تعال، تعال.. تعال نشرب كوباً من (عظين) الهندباء..».

سأله «هاجريد» وهما يجلسان إلى مائدة خشبية وبينهما كوبان من العصير المثلج: «كيف الأحوال؟ أجل.. آ.. هل أنت بخير؟».

عرف «هاري» من نظرة الاهتمام المرتسمة على وجه «هاجريد» أنه لا يشير إلى حالته الصحية بالمرة. قال بهدوء: «أنا بخير. لكن أين كنت؟»؛ لأنه لا يحتمل نقاش الموضوع الذي يعرف أن «هاجريد» يفكر فيه.

قال «هاجريد»: «كنت مختبئاً في الجبال.. في كهف.. (مزل) (زيريان) عندما...».

سكت «هاجريد» عن الكلام، وسعل، ثم نظر إلى «هاري» وأخذ رشفة كبيرة من عصيره. قال بوهن: «المهم أنني قد عدت».

قال «هاري» وقد قرر إبقاء الحوار بعيداً عن «سيرياس»: «تبدو.. تبدو في حال أفضل». قال «هاجريد» وهو يرفع يده الهائلة ويجس بها وجهه: «ماذا؟ آه.. أجل.. جراوب أفضل (بكزير) الآن.. (أظبح) يفرح برؤيتي بعد أن عدت. في الحقيقة هو ولد طيب.. فعلاً.. أفكر في أن أجلب له (ظديقة) من (الجنّ) الناعم..».

كان «هاري» في العادة ليحاول إقناع «هاجريد» بالعدول عن الفكرة على الفور.. فكرة وجود عملاق ثانٍ في الغابة، وعلى الأغلب أكثر قسوة وبأساً من «جراوب» كانت مزعجة، لكنه لم يجد العزم الكافي لجداله. بدأ يتمنى لو صار وحده ثانية.. وعندما راودته الفكرة، أخذ يرشف رشفات كبيرة من عصير الهندباء، فأفرغ نصف كوبه.

قال «هاجريد» برفق: «(ألظبح) الجميع يعرفون أنك تقول الحقيقة يا هاري.. (وتتحزن) الأمور هكذا.. (أليز) كذلك؟».. كان يرنو إلى «هاري» عن قرب.

هز «هاري» منكبيه.

مال «هاجريد» للأمام عبر المائدة وقال: «انظر.. أعرف (زيريان) من قبل أن تعرفه أنت (بكزير).. لقد مات في المعركة، وهذه هي الطريقة التي أراد أن يموت بها دائماً..».

قال «هاري» بغضب: «لم يرغب في الذهاب إلى هناك بالمرة».

أحنى «هاجريد» رأسه الهائل غزير الشعر.

قال بهدوء: «لا.. لا أعتقد أنه أراد هذا.. لكن يا هاري، لم يكن (ليجلز) في البيت ويدع الآخرين يحاربون ويقاتلون. ما كان ليحتمل العار إن لم يهب (لمزاعدتك)..».

هبّ «هاري» واقفاً.

قال بصورة آلية: «عليّ الذهاب لزيارة رون وهيرميون في جناح المستشفى».

بدا الضيق على «هاجريد» وهو يقول: «آه.. طيب.. اعتني (بنفزك) يا هاري، وتعال لزيارتي كلما واتتك (الفرظة)..». فقال: «أجل.. سأفعل».

عبر «هاري» المسافة الفاصلة إلى الباب بسرعة وفتحه.. غمرته أشعة الشمس ثانية قبل أن ينتهي «هاجريد» من قول: «وداعاً». وسار عبر المَمشى. مرة ثانية أخذ التلاميذ ينادونه وهو يمر. أغمض عينيه للحظات، متمنياً لو يختفون جميعاً، ويفتح عينيه ليجد المكان خالياً.

منذ أيام قليلة مضت، قبل نهاية الامتحانات وحلمه بـ«فولدمورت»، تمنى لو يدفع أي ثمن؛ ليعرف عالم السحرة أنه لا يكذب، وأن يصدقوا أن «فولدمورت» قد عاد، وأن يعرفوا أنه ليس بمجنون. لكن الآن..

سار مسافة قصيرة حول البحيرة، وجلس على شاطئها، وقد حمى نفسه من نظرات المارة ببعض الشجيرات وأخذ يحدق في المياه اللامعة، وهو يفكر.

لعل سبب رغبته في البقاء وحيداً أنه يشعر بالعزلة منذ كلامه مع «دمبلدور». ثمة حاجز خفي يفصله عن باقي العالم. إنه ـ وكان هكذا دائماً ـ عليه علامة. لكنه لم يفهم معنى العلامة.

لكن وهو جالس هكذا أمام البحيرة، جاثم على صدره ثقل من الحزن والأسى، مع فقدان «سيرياس» وحزنه عليه داخله، لم يقدر على الإحساس بالخوف. كان الجو مشمساً، والأرض من حوله مليئة بالضاحكين، فشعر بمسافة تفصله عنهم وكأنه لا ينتمي إلى جنسهم، ووجد من الصعب تصديق أنه جالس هنا وهو يعرف أن حياته ستتضمن ـ أو تنتهي بـ.. حادث قتل.

جلس لفترة طويلة، وهو ينظر إلى المياه؛ محاولاً التفكير في أبيه الروحي وتذكر أن على الضفة الأخرى سقط «سيرياس» ذات مرة محاولاً صد مائة «ديمنتور» عنه.

غربت الشمس قبل أن يدرك أنه يشعر بالبرد، فنهض وعاد إلى القلعة، ومسح وجهه في كم عباءته وهو يسير.

***

غادر «رون» و«هيرميون» جناح المستشفى وقد تعافيا تمامًا قبل ثلاثة أيام من نهاية الفصل الدراسي. ظهر على «هيرميون» رغبتها في الكلام عن «سيرياس»، لكن «رون» كان يسكتها كل مرة تذكر فيها اسمه. لم يكن «هاري» واثقًا بعد من رغبته في الكلام عن أبيه الروحي. فرغباته تتباين مع حالته المزاجية. كان يعرف شيئًا واحدًا، بالرغم من إحساسه بالحزن، فسوف يفتقد «هوجورتس» بعد أيام قليلة عندما يعود إلى المنزل رقم (٤) بشارع «بريفت درايف». وبالرغم من فهمه لسبب وجوب عودته كل صيف إلى هناك، لم يتحسن إحساسه بالعودة.. وبالطبع كان يخاف من عودته إلى المدرسة بعد الإجازة.

غادرت الأستاذة «أمبريدج» «هوجورتس» قبل يوم من انتهاء الفصل الدراسي. زحفت خارجة من جناح المستشفى وقت العشاء، متمنية ألا يراها أحد. لكن للأسف، قابلت «بيفيس» في الطريق، الذي انتهز آخر فرصة له لفعل ما أوصاه به «فريد»، وطاردها بجذل وهي تسير خارجة من المدرسة وهو يضربها بعصا وكيس طباشير ممتلئ. جرى التلاميذ إلى القاعة الأمامية؛ ليراقبوها وهي تجرى مبتعدة، والأساتذة قادة الفرق المدرسية يحاولون إثناءها عن المغادرة بلا حماس. جلست الأستاذة «ماكجونجال» في مقعدها على مائدة المعلمين بعد كلمات احتجاج قليلة زائفة، وسمعوها تتحسر على أنها لم تخرج لتهلل خلف «أمبريدج»؛ لأن «بيفيس» استعار عصاها التي تسير بها.

جاءت آخر أمسياتهم في المدرسة.. انتهى معظم التلاميذ من حزم الحقائب وتوجهوا إلى القاعة الكبرى لتناول مأدبة نهاية الفصل الدراسي، لكن «هاري» لم يكن قد بدأ في حزم الحقائب.

قال «رون» الذي وقف منتظرًا إلى جوار باب جناح الأولاد: «احزمها غدًا. تعال، أنا أتضوّر جوعًا»، فقال: «لن أغيب طويلاً.. اذهب أنت..».

لكن عندما أوصد باب الحجرة من خلف «رون» لم يحاول «هاري» الإسراع بحزم حقيبته. آخر شيء يريده هو حضور مأدبة الوداع. أقلقه ما قد يشير إليه

«دمبلدور» أثناء خطبته. كان واثقًا من أنه سيذكر عودة «فولدمورت»، فقد تحدث إليهم في هذا الموضوع في مأدبة العام الماضي.

أخرج «هاري» بعض العباءات المتسخة من قاع حقيبته مفسحًا المجال للعباءات النظيفة.. وهو يفعل هذا، لاحظ وجود لفة في ركن الحقيبة. لم يعرف ما هي. مال عليها وأخرجها من تحت ملابسه وفحصها ببصره.

أدرك خلال ثوان قليلة ما هي. أعطاها «سيرياس» له وهو واقف على باب المنزل رقم (١٢) بـ«جريمولد بليس»، وقال له: «استعملها عندما تحتاج إلىَّ، مفهوم؟».

جلس «هاري» ثانية على فراشه وفض اللفافة. سقطت منها مرآة صغيرة مربعة بدت له قديمة، وكانت متسخة. رفعها إلى وجهه ورأى انعكاس وجهه فيها يطل عليه. أدار المرآة، وكان على ظهرها عبارة كتبها «سيرياس».

هذه مرآة ثنائية، ومعي القرينة الأخرى منها. إن احتجت للكلام معي فانطق اسمي. سأظهر لك في مرآتي وسأقدر على الحديث. اعتدت أنا وجيمس استعمالها عندما كنا نتعرض للاحتجاز في مكانين مختلفين.

بدأ قلب «هاري» في الخفقان بسرعة. تذكر رؤية أبويه في مرآة منذ أربع سنوات. سيقدر على الكلام مع «سيرياس» ثانية. الآن، يعرف هذا.

نظر حوله؛ ليضمن عدم وجود أحد.. كانت الحجرة خالية تمامًا. عاود النظر إلى المرآة، ورفعها أمام وجهه بيد مرتجفة وقال بصوت مرتفع واضح: «سيرياس».

تعكر صفو المرآة بالبخار المنبعث من فمه. رفعها وقربها منه أكثر، والإحساس بالإثارة يتدفق داخله، لكن العينين اللتين تطرفان على سطح المرآة كانتا عينيه.

مسح المرآة وقال ثانية بصوت رن في الحجرة: «سيرياس بلاك».

لم يحدث شيء. كان الوجه الغاضب المغتاظ الذي يطل عليه منها هو وجهه.

لم يكن مع «سيرياس» مرآته وهو يدخل عبر القوس الحجرية، وقال صوت خفيض داخل رأس «هاري»: لهذا لا تعمل المرآة.

ظل «هاري» صامتًا للحظة، ثم ألقى بالمرآة في الحقيبة حيث تحطمت. اقتنع لدقيقة جميلة أنه سيرى «سيرياس»، ويتكلم معه ثانية.

أخذت الحسرة تحرق حلقه، نهض وبدأ في إلقاء حاجياته بلا ترتيب داخل الحقيبة؛ ليغطي المرآة المكسورة.

ثم واتته فكرة.. فكرة أفضل من المرآة.. فكرة أهم وأكبر وأخطر.. كيف لم يفكر فيها من قبل؟ ولماذا لم يسأل من قبل؟

هرع إلى باب الحجرة وعبر السلم الحلزوني وهو يضرب الجدران مع هبوطه، دون أن يلاحظ هذا حتى.. هرول عبر حجرة الطلبة الخالية، وعبر الباب وإلى الممر، متجاهلاً السيدة البدينة التي نادت عليه قائلة: «ستبدأ المأدبة بعد قليل كما تعرف.. يبدو أنك لن تصل في الميعاد».

لكن «هاري» لم يقصد الذهاب إلى المأدبة.

لماذا يمتلأ المكان بالأشباح عندما لا تحتاجها، لكن عندما تبحث عن أحدهم..

جرى نازلاً السلم وعبر الممرات، فلم يقابل أحدًا حيًا أو ميتًا. كانوا جميعًا - على ما يبدو - في القاعة الكبرى. خارج فصل التعاويذ، توقف وهو يلهث مفكرًا بحزن في أنه سيضطر للانتظار حتى نهاية المأدبة.

لكن، عندما فقد الأمل، رأى جسدًا شبه شفاف يسري عند طرف الممر البعيد.

«أنت هناك.. نيك.. نيك».

أدار الشبح رأسه بعد أن كان قد اخترق الحائط.

قال وهو يسحب باقي جسده من خلف الحائط ويبتسم في وجه «هاري»: «مساء الخير.. أنا لست الوحيد الذي تأخر إذن» وتنهد وهو يقول: «لكن طبعًا إحساسي بالمأدبة مختلف...».

«نيك.. أيمكنني أن أسألك سؤالاً؟».

ارتسم على وجه «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا» تعبير غريب وعدل من وضع

ياقته، ومن الواضح أنه يفكر قليلاً. وكف عن مداعبة ياقته، عندما بدا أن رقبته شبه المقطوعة ستسقط.

قال «نيك» بارتباك: «أ.. الآن يا هاري؟ ألا تستطيع الانتظار حتى نهاية المأدبة؟».

قال «هاري»: «لا.. نيك.. أرجوك.. أنا بحاجة إلى الكلام معك. هلا دخلنا هنا؟».

فتح «هاري» باب أقرب الفصول، فتنهد «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا».

قال باستسلام: «حسنًا.. لا يمكنني التظاهر بأنني لم أتوقع طلبك هذا».

أمسك «هاري» الباب؛ ليدخل «نيك»، لكنه دخل مخترقًا الحائط.

سأله «هاري» وهو يغلق الباب من خلفه: «تتوقع ماذا؟».

قال «نيك» وهو يسري فوق النافذة ويطل الظلام على الأرض بالخارج: «أتوقع قدومك إليّ بحثًا عني.. هذا يحدث أحيانًا.. عندما يعاني أحدهم من فقدان عزيز لديه».

قال «هاري» رافضًا الهزيمة: «حسنًا.. أنت محق، لقد خرجت؛ بحثًا عنك».

لم ينطق «نيك».

قال «هاري» مرتبكًا أكثر مما توقع: «المسألة أنك.. أنك ميت. لكنك ما زلت موجودًا، أليس كذلك؟». تنهد «نيك» ثانية واستمر في النظر عبر النافذة.

قال «هاري»: «أليس كذلك؟ لقد توفيت، لكنك تتكلم معي.. ويمكنك السير في «هوجورتس» والحياة بها، أليس كذلك؟».

قال «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا»: «بلى.. يمكنني السير والكلام».

قال «هاري» بلهفة: «إذن، فأنت قد عدت، أليس كذلك؟ يمكن للناس العودة من الموت، أليس كذلك؟ كأشباح.. فليس عليهم الاختفاء كلية.. صحيح؟». كان يتكلم بنفاد صبر و«نيك» ما زال صامتًا.

تردد «نيك مقصوف الرقبة تقريبًا»، ثم قال: «لا يقدر الجميع على أن يعودوا كأشباح». فقال «هاري» بسرعة: «ماذا تقصد؟».

«فقط.. الـ... السحرة».

قال «هاري» وهو يكاد يضحك من إحساسه بالنجاة: «جميل، رائع، الشخص الذي أتكلم عنه ساحر إذن، فيمكنه العودة. أليس كذلك؟».

ابتعد «نيك» عن النافذة ونظر بحزن ناحية «هاري».

«لن يعود».

«من؟».

«سيرياس بلاك».

قال «هاري» بغضب: «لكنك عدت.. لقد عدت، وأنت ميت، ولم تختفِ».

قال «نيك» بتعاسة: «يمكن للسحرة ترك ظلال شاحبة من أنفسهم؛ لتسير على وجه الأرض حيث ساروا وهم أحياء.. لكنَّ القليلين من السحرة هم من يختارون هذا الطريق».

قال «هاري»: «لماذا؟ لكن هذا لا يهم.. سيرياس لن يبالي إن كان هذا الطريق غير معتاد.. سيعود.. أعرف هذا».

كان إيمانه قويًا بهذا حتى إنه أدار عينيه إلى الباب وكأنه يتوقع رؤية «سيرياس» بعد جزء من الثانية، بلون أبيض شاحب ونصف شفاف لكنه يبتسم، وهو يسير مقتربًا منه.

قال «نيك»: «لن يعود... سـ... سيمضي في طريقه».

قال «هاري» بسرعة: «ماذا تعني بأنه سيمضي في طريقه؟ سيذهب إلى أين؟ اسمع.. ماذا يحدث عندما يموت الإنسان؟ أين يذهب؟ لماذا لا يعود الجميع؟ لماذا المدرسة ليست ممتلئة بالأشباح؟ لماذا...؟».

قال «نيك»: «لا أقدر على الإجابة».

قال «هاري» بسخط: «أنت ميت، صح؟ من يقدر على إجابة تساؤلاتي غيرك؟».

قال «نيك» بخفوت: «كنت خائفًا من الموت، اخترت التخلف ولم أمضِ في طريقي. أحيانًا أتساءل إن كان عليَّ المضي.. فأنا وقفت وسط الطريق.. في الواقع، أنا لست هنا، ولست هناك..». ضحك ضحكة قصيرة ثم قال: «لا أعرف شيئًا عن أسرار الموت يا هاري؛ لأنني اخترت هذا التقليد الباهت

للحياة. أعتقد أن السحرة يدرسون هذا الموضوع في مصلحة الألغاز والغوامض...».

قال «هاري» بغيظ شديد: «لا تكلمني عن هذا المكان».

قال «نيك» برفق: «آسف؛ لأنني غير قادر على مساعدتك. المهم، اعذرني بعد إذنك.. المأدبة كما تعرف...».

وغادر الحجرة، تاركًا «هاري» وحده، ناظرًا بذهن غائب إلى الحائط الذي اختفى منه «نيك».

شعر «هاري» وكأنه قد فقد أباه الروحي للمرة الثانية، بعد أن فقد الأمل في الكلام معه أو رؤيته ثانية. سار ببطء وتعاسة صاعدًا السلم، متسائلاً إن كان سيشعر بالفرحة ثانية.

انحرف مع انحناءة الممر ناحية ممر السيدة البدينة ورأى شخصًا يلصق ورقة على لوحة الإعلانات على الحائط بنظرة ثانية، عرف أنها «لونا». لم يجد أماكن يختفي فيها منها بالقرب، وستسمع وقْع أقدامه.. وعلى أية حال، فهو غير قادر على التحكم في غضبه بما يكفي لتفادي مقابلة أي أحد.

قالت «لونا» بغموض وهي تنظر إليه: «أهلاً». سألها: «لماذا لست في المأدبة؟».

قالت «لونا» بهدوء بالغ: «لقد فقدت حاجياتي.. يأخذها التلاميذ ويخبئونها. لكن هذه الليلة الأخيرة، وأنا أحتاجها؛ لذا فأنا أعلق اللافتات».

أشارت ناحية لوحة الإعلانات التي علقت عليها قائمة بما فقدته من كتب وملابس، مع رجاء خاص بإعادتها.

أحس «هاري» بإحساس غريب، عاطفة مختلفة عن الغضب والحزن الذي يملأه منذ مات «سيرياس». مرت لحظات قبل أن يدرك أنه يشعر بالأسف على «لونا».

سألها مقطب الجبين: «لماذا يخبئ الناس أشياءك؟».

هزت رأسها وقالت: «أعتقد أنهم يرونني غريبة الأطوار. وبعض الناس يطلقون عليَّ لونا المجنونة». نظر «هاري» إليها والإحساس الجديد يؤلمه.

قال: «هذا ليس سببًا لأخذ حاجياتك.. هل تحتاجين لمساعدتي في العثور عليها؟».

قالت مبتسمة: «لا.. ستعود، إنها دائمًا ما تعود في النهاية. المسألة أنني أريدها الليلة. المهم.. لماذا لم تذهب إلى المأدبة؟».

هزّ «هاري» كتفيه وقال: «لم أرغب في الذهاب».

قالت «لونا» وهي تراقبه بنظراتها الغامضة الغائمة: «لا، لا أعتقد أنك ترغب في هذا. ذلك الرجل الذي قتله آكلة الموت هو أبوك الروحي، أليس كذلك؟ جيني أخبرتني بهذا».

أومأ «هاري» برأسه بسرعة، لكنه وجد - لسبب ما - أنه لا يمانع في كلام «لونا» عن «سيرياس». تذكر أيضًا أنها تقدر على رؤية حيوان «الثيسترال».

قال: «هل.. أعني.. من الذي.. هل مات شخص تعرفينه؟».

قالت «لونا» ببساطة: «أجل.. أمي، كانت ساحرة رائعة، لكنها كانت تحب تجربة الأشياء الجديدة، وذات مرة ضربتها تعويذة أطلقتها وماتت. وكنت في التاسعة من عمري وقتها». غمغم «هاري»: «أنا آسف».

قالت «لونا» بطريقة من تود النقاش: «أجل، موتها أمر محزن وبشع. كلما تذكرتها شعرت بالحزن لكن عندي أبي. كما أنني سأقدر على رؤية أمي.. أليس كذلك؟».

قال «هاري» بتردد: «آ.. هل ستقابلينها ثانية؟».

«لقد سمعتهم.. سمعتهم يتحدثون من خلف الستار، أليس كذلك؟».

«هل تعنين...».

«في حجرة القوس الحجرية تلك. إنهم خلف الستار. لقد سمعتهم».

تبادلا النظرات. ابتسمت «لونا» ابتسامة خفيفة. لم يعرف «هاري» ماذا يقول، أو فيم يفكر. «لونا» تؤمن بأشياء غريبة كثيرة.. لكنه كان واثقًا من سماع الأصوات خلف الستار هو الآخر.

قال: «هل أنت واثقة من أنك لا تريدين مساعدتي في العثور على حاجياتك؟».

قالت «لونا»: «لا.. الأفضل أن أنزل وآكل بعض الطعام، ثم أنتظر ظهورها. فهي دائمًا ما تظهر في النهاية. أتمنى لك إجازة سعيدة يا هاري».

«أشكرك، وأنت أيضًا».

سارت مبتعدة، راقبها شاعرًا بالثقل الهائل الجاثم على صدره وقد خفّ قليلاً.

* * *

كانت رحلة العودة في قطار «هوجورتس» مختلفة من عدة نواحٍ. أولاً، حاول «مالفوي» و«كراب» و«جويل» - الذين انتظروا طوال الأسبوع سعيًا لفرصة يضربون فيها «هاري» من دون أن يراهم المدرسون - نصب فخ لـ«هاري» عند وسط القطار وهو عائد من دورة المياه. كانت الضربة لتنجح لولا أنهم اختاروا نصب الفخ خارج مقصورة ممتلئة بأعضاء الـ«دي. أيه» الذين رأوهم من خلف الزجاج وهبوا لمساعدة «هاري». مع انتهاء «إرني ماكميلان» و«هانا أبوت» و«سوزان بونز» و«جوستين فينش - فلتشلي» و«أنتوني جولدشتاين» و«تيري بوت» من استعمال عصيهم السحرية وبعد أن أطلقوا تشكيلة رائعة من اللعنات والتعاويذ التي لقنها لهم «هاري» كان «مالفوي» و«كراب» و«جويل» أشبه بثلاث يرقات كبيرات ترتدي زي «هوجورتس» المدرسي. ثم حملهم «هاري» و«إرني» و«جوستين» إلى عربة الحقائب وتركوهم بها والسوائل تسيل منهم.

قال «إرني» شاعرًا بالرضاء وهو يراقب «مالفوي»: «لا بد أن أقول إنني أتوق لرؤية نظرة أم مالفوي عندما تراه بعد نزوله من القطار». لم ينس «إرني» قط لـ«مالفوي» خصمه المتكرر للنقاط من «هافلباف» أثناء الفترة القصيرة التي قضاها عضوًا في الفرقة التفتيشية.

قال «رون» الذي جاء يدفعه الفضول؛ لمعرفة مصدر الجلبة: «أم جويل ستفرح كثيرًا.. فهو أفضل بكثير هكذا. المهم يا هاري، عربة الطعام أمام مقصورتنا، إن كنت تريد شراء شيء منها...».

شكر «هاري» الآخرين ورافق «رون» إلى مقصورتهم، حيث اشترى كومة هائلة من الكعك وعصير القرع. كانت «هيرميون» تقرأ جريدة «الدايلي بروفيت»، و«جيني» تحل لعبة في «الكويبلر»، و«نيفيل» يداعب الـ«ميمبولوس

«ميمبليتونيا» التي كبرت كثيراً على مدى العام وأصبحت تصدر أصواتاً مزعجة خافتة عندما يلمسها أحد.

قتل «هاري» و«رون» الوقت بلعب الشطرنج السحري، بينما أخذت «هيرميون» تقرأ فقرات من الجريدة. كانت مليئة بأخبار عن تمرد «الديمنتورات»، ومحاولات الوزارة تعقب أكلة الموت، ورسائل هستيرية يدعي مرسلوها أنهم قد رأوا لورد «فولدمورت» يسير إلى جوار بيوتهم صباحاً.

تنهدت «هيرميون» بعبوس وهي تطبق الجريدة وتقول: «لم نبدأ بعد.. لكن لن يمر وقت طويل قبل أن نبدأ..».

قال «رون» برفق وهو يومئ ناحية النافذة الزجاجية المطلة على الممر: «هاري».

التفت «هاري». كانت «تشو» تمر تصحبها «ماريتا إيدجكومب» المرتدية وشاحاً طويلاً يغطي وجهها. تبادل و«تشو» النظرات للحظة. احمر وجه «تشو» ومضت في طريقها. عاود «هاري» النظر إلى لوحة الشطرنج؛ ليرى حصان «رون» يجري وراء بيدقه؛ لينزل من فوق اللوحة.

سأله «رون» بهدوء: «ما.. أ.. كيف حالك معها؟».

قال «هاري» بصدق: «لا شيء».

قالت «هيرميون» بحذر: «أ.. سمعت أنها تقابل شخصاً آخر الآن».

اندهش «هاري»؛ لأن كلامها لم يجرحه. فرغبته في إثارة إعجاب «تشو» أبعد ما تكون عن ذهنه.. فالكثير مما رغب فيه قبل موت «سيريوس» تخلى عنه هذه الأيام. الأسبوع الذي انقضى منذ رأى «سيريوس» لآخر مرة بدا أنه استغرقه دهوراً، حتى وكأنه امتد على مدى حياتين: حياة بـ«سيريوس» وحياة دونه.

قال «رون» بقوة: «لقد فهمناها جيداً يا صاحبي. أعرف أنها جميلة، لكن عليك البحث عن فتاة مرحة أكثر منها».

قال «هاري» وهو يهز كتفيه: «هي على الأرجح مرحة مع شخص آخر غيري».

سأل «رون» «هيرميون»: «بالمناسبة.. مع من تخرج؟». لكن «جيني» هي من أجابته.

قالت: «مايكل كورنر».

قال «رون» وهو يدير عنقه؛ لينظر إليها: «مايكل.. لكن.. لكنه كان يواعدك».

قالت «جيني» بعزم: «ليس بعد اليوم.. لم يسره هزيمة جريفندور لرافنكلو في الكويدتش، وغضب كثيراً؛ لذا فقد تخليت عنه، وتوجه هو لتشو؛ ليخفف عنها ألم الهزيمة». حكت أنفها من دون وعي منها بطرف ريشتها وهي ممسكة بـ«الكويبلر» مقلوبة وعادت إلى حل المسابقات. نظر إليها «رون» بسرور.

قال وهو يدفع وزيره أمام بيدق «هاري» الآخر المرتجف: «طالما رأيته أحمق، ذلك الولد.. هذا أفضل. اختاري شخصاً أفضل منه المرة القادمة».

وألقى على «هاري» نظرة ماكرة غريبة وهو يتكلم.

سألته «جيني» بغموض: «لقد اخترت دين توماس، أليس أفضل؟».

صاح «رون» وهو يقلب لوحة الشطرنج: «ماذا؟!». طارد «كروكشانكس» قطع الشطرنج التي سقطت، ورفرفت «هدويج» و«بيج-ويج» بغضب.

مع تباطؤ حركة القطار مع اقترابه من «كينجس كروس»، أحس «هاري» بأنه لم يرغب في البقاء بالقطار هكذا من قبل. تساءل عما سيجري إن رفض القيام، وهل سيأخذه القطار إلى «هوجورتس». لكن عندما توقف تماماً، رفع قفص «هدويج»، وتأهب لجر حقيبته؛ لينزلها من القطار كالعادة.

عندما قال المحصل لـ«هاري» و«رون» و«هيرميون» أن بإمكانهم السير عبر الحاجز السحري بين الرصيف رقم تسعة ورقم عشرة وجد مفاجأة تنتظره على الجانب الآخر: مجموعة لم يتوقعها من الناس، ينتظرونه؛ ليرحبوا به.

رأى «ماد آي مودي» كئيباً كعادته وقبعته تغطي عينه السحرية، ويداه المعجوزتان تمسكان بعصا طويلة، ووجد جسده ملفوفاً بمعطف ثقيل. كانت «تونكس» واقفة خلفه تماماً، وشعرها الوردي يلمع في الشمس التي تسربت أشعتها من نوافذ المحطة العالية في السقف، مرتدية بنطلون «جينز» مرقعاً و«تي شيرت» بنفسجياً. إلى جوار «تونكس» وقف «لوبين»، بوجهه الشاحب وشعره الرمادي، مرتدياً معطفاً يغطي بنطلونه وقميصه المهترئين. وأمام الواقفين كان هناك السيد والسيدة «ويسلي» في أفضل زي «عامة» لديهما، و«فريد» و«جورج» اللذان كانا يرتديان سترتين جديدتين عليهما مادة خضراء لزجة.

قالت السيدة «ويسلي» وهي تجري للأمام وتعانق أطفالها بلهفة: «رون، جيني. آه، هاري العزيز. كيف حالك؟».

كذب عليها «هاري» قائلاً: «بخير» وهي تجذبه إليها لتعانقه. ومن فوق كتفيها رأى «رون» يحدق في ملابس التوأمين الجديدة.

سألهما مشيرًا إلى السترات: «ما هذا؟».

قال «فريد» وهو يداعب سترته بيده: «من أفضل جلود التنين يا أخي الصغير. عملنا مزدهر، فقضلنا تدليل أنفسنا قليلاً».

قال «لوبين» والسيدة «ويسلي» تتخلى عن «هاري» وتلتفت إلى «هيرميون» لترحب بها: «أهلاً يا هاري».

قال «هاري»: «أهلاً.. لم أتوقع الـ... ماذا تفعلون جميعًا هنا؟».

قال «لوبين» وابتسامة صغيرة مرتسمة على وجهه: «قلنا لأنفسنا: لمَ لا نتكلم قليلاً مع خالك وزوجها قبل أن يأخذاك إلى المنزل؟».

قال «هاري» على الفور: «لا أعرف إن كانت هذه فكرة جيدة أم لا».

قال «مودي» بصوته الأجش وهو يقترب منهما: «أراها فكرة جيدة. إنهم هؤلاء، أليس كذلك يا بوتر؟».

أشار بأصبعه من فوق كتفه، وعينه السحرية قد رأتهم. مال «هاري» قليلاً إلى اليسار ليرى إلى أين يشير «ماد أي» ورآهم. آل «دورسلي». ثلاثتهم، وقد أزعجهم رؤية لجنة استقبال «هاري».

قال السيد «ويسلي»: «آه. هاري. هلا فعلنا ما قصدناه إذن؟». التفت مبتعداً عن أبوي «هيرميون» بعد أن رحب بهما بحماس، واللذين عانقا ابنتهما بعدها. قال «مودي»: «أجل. حان الوقت يا آرثر».

قاد هو والسيد «ويسلي» الجميع بعد أن سارا بطول المحطة تجاه آل «دورسلي» الذين بدوا كأنهم قد انزرعوا في الأرض. تحررت «هيرميون» برفق من والدتها وانضمت للجماعة.

قال السيد «ويسلي» بتهذيب للخال «فرنون» الذي توقف أمامه مباشرة: «مساء الخير. ربما تذكرني. أنا اسمي آرثر ويسلي».

مع تدمير السيد «ويسلي» وحده معظم حجرة معيشة آل «دورسلي» منذ سنتين، فقد استبعد «هاري» نسيان الخال «فرنون» له. بالطبع تحول وجه

الخال «فرنون» إلى لون أحمر داكن، وحدق في السيد «ويسلي»، لكنه اختار ألا يتكلم. لعل السبب هو أن آل «دورسلي» كانوا أقل من المحيطين بهم بنسبة تفوق اثنين إلى واحد. بدت الخالة «بيتونيا» خائفة ومحرجة، وأخذت تنظر حولها وكأنها خائفة من أن يراها شخص تعرفه وهي مع هذه الصحبة الغريبة. بينما بدا كأن «دَدلي» يحاول إخفاء نفسه، وكأنه يسعى؛ لأن يبدو صغيرًا وبلا أهمية، وهو الشيء الذي فشل فيه فشلاً ذريعًا.

قال السيد «ويسلي» دون أن تفارقه الابتسامة: «قلنا لأنفسنا لِمَ لا نتكلم معكم قليلاً عن هاري؟».

قال «مودي» بصوت أجش: «أجل. عن معاملتكم له وهو في بيتكم».

أخذ شارب الخال «فرنون» يرتجف من الغضب. على الأرجح؛ لأن قبعة «مودي» أعطته الانطباع الخاطئ أن مرتديها قريب منه بشكل أو بآخر، فقد وجه كلامه إلى «مودي»:

«أنا لم يتنامَ إلى علمي أن من شأنك أي مما يجري في بيتي-».

قال «مودي» بصوت هادر: «أرى أن ما لم يتنامَ إلى علمك قد يملأ كتبًا كثيرة يا دورسلي».

تدخلت «تونكس»، التي أزعج شعرها الوردي الخالة «بيتونيا» أكثر من انزعاجها من جميع الباقين وهي تغمض عينيها بلا أية رغبة في النظر إليها، وقالت: «المهم، هذا ليس ما نريد الكلام عنه. الموضوع أننا لو اكتشفنا أنكم تعاملون هاري معاملة سيئة...».

أضاف «لوبين» بلطف: «.. ولا تخطئوا سماع ما نقول. فنحن سنعرف إن عاملتموه بطريقة لا تسره».

قال السيد «ويسلي»: «أجل. حتى إن لم تدعوا هاري يستعمل (الفليفون)..».

همست «هيرميون»: «تليفون».

قال «مودي»: «.. أجل، إن عرفنا أن بوتر قد تعرض لأي معاملة سيئة ستجدوننا أمامكم لنتكلم عما فعلتموه».

انتفخ الخال «فرنون» بصورة خطيرة. كان إحساسه بالغيظ يغطي على أي إحساس بالخوف من هؤلاء المهرجين.

قال بصوت مرتفع حتى إن المارة التفتوا ليراقبوه: «هل تهددني يا سيدي؟».

قال «ماد آي» الذى سره اكتشاف الخال «فرنون» لهذه الحقيقة بهذه السرعة: «أجل، أهددك». صاح الخال «فرنون»: «وهل أبدو كرجل جبان؟».

قال «مودى» وهو يرجع قبعته للوراء؛ ليكشف عن عينه السحرية المخيفة: «ما رأيك..». قفز الخال «فرنون» إلى الوراء فى رعب واصطدم بعربة نقل الحقائب. فأكمل «مودى»: «أجل، أرى أنك تخاف يا دورسلى».

أشاح بوجهه عن الخال «فرنون» ناظرًا إلى «هارى».

«المهم يا بوتر، إذا احتجتنا نادِ علينا. إن لم نسمع أى أخبار منك لمدة ثلاثة أيام متتالية، فسوف نرسل من يطمئن عليك..».

أخذت الخالة «بيتونيا» تهمهم بطريقة يُرثى لها. كان من الواضح أنها تفكر فيما سيقوله الجيران عنها عندما يرون أشخاصًا مثل هؤلاء يسيرون عبر حديقتها متجهين إلى باب بيتها.

قال «مودى» ممسكًا بكتف «هارى» للحظة: «إلى اللقاء يا بوتر».

قال «لوبين» بهدوء: «خذ بالك من نفسك، وداوم على الاتصال».

همست السيدة «ويسلى»: «هارى، سنأخذك؛ لتقيم معنا فى أسرع فرصة ممكنة» وهى تعانقه ثانية.

قال «رون» بتوتر وهو يشد على يد «هارى»: «سنراك قريبًا يا صاحبى».

قالت «هيرميون» بصدق: «قريبًا جدًا.. نعدك بهذا».

أومأ «هارى» برأسه. لم يجد الكلمات المناسبة للتعبير عن مدى حبه لهم وهم واقفون جميعًا هكذا إلى جواره يشدون من أزره. لكنه ابتسم، ورفع يده مودعًا، ثم دار على عقبيه وقاد الطريق إلى خارج المحطة، وإلى الشارع المشمس، مع الخال «فرنون» والخالة «بيتونيا» و«ددلى» الذى أخذ يتعثر فى مشيته من خلفهم.